غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد التاسع والسبعون

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

نسخة مجانية

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المِحْوَرُ التَّاسِعُ

الشِّعْرُ وَالأَدَبُ وَالحِوَارُ

١٥٦ المقدِّمات

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفَ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحـور التاسع

الشِّعر والأدب والحوار

١٥٦

المقـدِّمـــات

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة تجليبة

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**». رواه الطبراني في مسند الشاميين.

عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إنَّ العلماء هم وَرَثة الأنبياء، لم يُوَرِّثُوا دينارًا ولا درهما، وإنما وَرِثُوا العلم، فمن أخذ به، أخذ بحظ وافر**». رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(أمَّا بعد)

فهذه مقدَّمات كتبتها لمجموعة كبيرة من المؤلفات المهمة، تزيد عن سبعين مقدّمة لكتب في مختلف العلوم: في العقائد، والأديان والمذاهب ـ أو ما يُسَمَّى «الملل والنحل» ـ والتفسير، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، والسِّيرة النبويَّة، والفقه، والأصول، والفتاوى، وفي اللغة العربيَّة وآدابها، وفي قضايا الفكر الإسلامي، والدعوة الإسلاميَّة، والتربية الإسلاميَّة، وقضايا الأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم، والمرأة المسلمة، وفي السياسة الشرعيَّة، وفي التاريخ، وفي التراجم، وفي التربية والتنمية والتعليم، وفي الكتب التراثيَّة المحقَّقة، وفي الكتب الإسلاميَّة المترجمة من العربيَّة إلى اللُّغات الأخرى، وفي الكتب المترجمة من اللغات الأخرى إلى العربيَّة، وفي الأدب بشعره ونثره، وفي المجلَّات والدوريَّات.

وأنا في الحقيقة ترسل إليَّ كتب كثيرة من شتَّى بقاع العالم لتقديمها، يرسلها إليَّ أصحابها: من باحثين، وأساتذة جامعات، ودُعاة، وعلماء،

QaradawiBooks.com

وأدباء، وشعراء، وكثير من هذه الكتب مهمٌّ في بابه، نافع في مضمونه، رصين في عبارته، يضيف جديدًا إلى المكتبة الإسلاميَّة، فأقدم لبعضها إذا حانت لي فرصة، وأعتذر عن التقديم آسفًا للبعض الآخر، وإنْ كنت أنوِّه ببعض هذه المؤلفات الَّتي لم أقدم لها في برنامج الشريعة والحياة، أو في خطبة الجمعة، أو أرجع إليها في بعض بحوثي ومؤلفاتي، تعريفا بها، وثناء عليها، وعلى كاتبيها. وليعذرني إخواني وأبنائي الَّذين حال ضيق الوقت، وكثرة الأعباء، وتزاحم المواعيد، وتعدُّد الأسفار، ودوام الانشغال، وتوزُّع الاهتمامات، عن التقديم لبحوثهم.

وتتضمَّن هذه المقدمات فوائد علميَّة شتَّى، وملاحظات عامَّة على بعض ما ورد في الكتاب الَّذي أُقَدِّمه من قضايا، كما أنَّ فيها آراء لي لم أدوِّنها من قبلُ في كتابٍ ولا رسالة، مثل: رأيي في المنهج الأمثل لتحقيق الكتب، وهو ما يمكن استخلاصه من مُقَدَّماتي لعدد من الكتب المحققة، كتحقيق أخينا الدكتور مُحمَّد السليماني لكتاب «المسالك في شرح موطأ مالك» لابن العربي، وتحقيق أخينا الكبير الدكتور عبد العظيم الديب رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب «نهاية المطالب في دراية المذهب» للجويني.

كما أنَّ لهذه المقدِّمات تعلُّقًا بعلم التراجم بوجه ما، ففي أغلبها نوعُ ترجمة للمُقَدَّم لهم، ثناء عليهم، وإشادة بجهودهم، خصوصًا أنَّ أغلب المؤلفين الَّذين قَدَّمت لهم كُتُبَهم، شخصيَّات علميَّة عرفتها وعايشتها عن قرب، من إخواني العلماء الَّذين أكرمني الله بمعرفتهم وصحبتهم، ومن أبنائي وتلاميذي الَّذين أعتزُّ بهم.

فمن إخواني وزملائي العلماء قدَّمتُ لكلٍّ من: حسن المعايرجي، ومحمَّد تقي العثماني، وعلي القرَداغي، وراشد الغنوشي، وعبد الحليم

QaradawiBooks.com

أبو شُقَّة، وأحمد زكي حمَّاد، وعزّ الدِّين إبراهيم، وعبد العظيم الديب، وحسان حتحوت، وغيرهم.

ومن تلاميذي قدَّمت لكلٍّ من: وضحة السويدي، ومحمَّد قطبة، وعبد السلام البسيوني، وعمرو عبد الكريم، ومجد مكي، ومحمَّد أكرم الندوي، ومحمَّد السليماني، وعصام تليمة، ومعتزّ الخطيب، ومحمَّد المختار الشنقيطي، وأكرم كسَّاب، ووصفي عاشور أبو زيد، ووليد أبو النجا، وحسن فوزي، وفتحي أبو الورد وغيرهم.

بل كتبتُ مقدَّمة لمن هم في مقام شيوخي وأساتذتي، مثل مقدّمتي لفتاوى شيخنا فقيه الأُمَّة الأستاذ الكبير مصطفى أحمد الزرقا رَحِمَهُ اللَّهُ، الَّذي شرَّفني بكتابة مقدّمة لكتابه الممتع، الَّذي يضمُّ مجموعة طيِّبة من فتاويه، وقد قلتُ صادقًا في مقدِّمتي: «ما كان مثلي ليُقَدِّم مثله، ولكنَّه أَمَر ورَغِب، وليس عليَّ إلَّا الطاعة، وقديمًا قال سلفنا الصالح: الامتثال خير من الأدب». ومقدِّمتي للسيرة النبويَّة للعلَّامة أبي الحسن الندوي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وقليل من هذه المقدِّمات كتبتها لمؤلِّفين لم أعرفهم، وإنَّما قدَّموا لي بحوثهم طالبين أنْ أكتب لها مقدَّمة، فاستجبتُ لهم.

ولقد عايشتُ بعض هذه الكتب الَّتي كتبتُ مقدّمة لها، منذ كانت فكرةً في ذهن مُؤَلِّفها، يناقشني فيها، ويعرض عليَّ تفاصيلها، ويُريني مسوَّداتها، قبل أن تكتمل وتخرج على النَّاس في صورة كتاب، مثل كتاب أخينا الأستاذ عبد الحليم أبو شُقَّة رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذه المقدِّمات متفاوتة إيجازًا وإطنابًا، بعضها لا يتجاوز صفحتين، وبعضها يقارب ملزمة من ملازم الكتاب، وربَّما أكثر، تبعًا لأهميَّة

QaradawiBooks.com

الكتاب، ومعرفتي بمؤلِّفه، وتعليقاتي على ما ورد في فصوله ومباحثه.

كما أنَّ هذه المقدِّمات تُغَطِّي فترة زمنيَّة ليست بالقصيرة، من عام (١٩٦٨م ـ ١٣٨٧هـ) الَّذي كتبت فيه أوَّل مقدّمة، وآخرها في هذا العام الَّذي نحن فيه (٢٠١٥م ـ ١٤٣٦هـ)[١] وقد رتَّبناها ترتيبًا موضوعيًّا، ثمَّ تاريخيًّا داخل العلم الواحد.

وأخيرًا فهذا ما اهتدى إليه الإخوة الباحثون في مكتبي من مقدّماتي، وقد جمعوها من الكتب الموجودة في مكتبتي، واستعانوا بشبكة المعلومات العالميَّة (الإنترنت)، وراسلوا أصحاب هذه المؤلَّفات ليُرسلوا لنا بنسخة منها. ولا أدري هل بقيت مقدّمة أو اثنتان أو ثلاث لم نهتدِ إليها؟ إن كان كذلك، فعلى أصحابها أن يرسلوها إلينا، لنَضُمَّها إلى هذا الكتاب في الطبعة التالية إنْ شاء الله تعالى.

أسأل الله أنْ ينفع بهذه المقدِّمات، وأن ينفع بالمؤلَّفات الَّتي كتبتُ تقديمًا لها، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمين.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة في جمادى الأولى ١٤٣٤هـ

الموافق مارس ٢٠١٥م

(١) وقد أضفت عدة مقدمات كتبتها بعد ذلك التاريخ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

الشرعيات

في العقيدة الإسلاميَّة

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «البيان في أركان الإيمان»

للشيخ مجد أحمد مكي[١]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هداه.

(أمَّا بعد)

فقد سعدت منذ سنوات بمعرفة الابن النجيب، والأخ الحبيب، الأستاذ مجد مكي، الَّذي أعجبتُ به وأحببته من أوَّل لقاء، فقد رأيتُ فيه ـ على حداثة سِنِّه يومَ رأيتُه ـ قارئًا نهمًا، مشغوفًا بالكتب، مطَّلعًا على المصادر، مميِّزًا بينها، عالمًا بخصائصها، عارفًا بالأصيل والثانوي منها، مُحِبًّا للعلماء، وخصوصًا المتميِّزين منهم، ساعيًا إلى التعرُّف عليهم، والاقتراب منهم، والتأسِّي بهم، والانتفاع بما عندهم من علمٍ وعمل، ولا سيَّما علماء الشام الأعلام، أمثال العلامة الفقيه مصطفى الزرقا، والعلَّامة الأديب علي الطنطاوي حفظهما الله[٢]، والعلَّامة المُحدِّث عبد الفتَّاح أبو غُدَّة رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) نشر دار البشائر الإسلامية، ودار نور المكتبات.

(٢) توفي العلَّامة الطنطاوي ٤ ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق ١٨ يونيو عام ١٩٩٩م، وتوفي العلَّامة مصطفى الزرقا بعده بأسبوعين، وبالتحديد في ١٩ ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق ٣ يوليو ١٩٩٩م، رحمهما الله جميعًا.

نسخة مجانية

لقد وجدتُ عند هذا الشاب النابه ما لم أجد في كثيرين من الشباب الَّذين تخرَّجوا في الكُلِّيَّات الشرعيَّة، والجامعات الدينيَّة: من عقلٍ مُتَفَتِّح، وبصيرة نَيِّرة، ودأب في البحث، وصبرٍ على التحصيل، وحسن اختيار لما يقرأ ويُحَصِّل، وقد قيل: أخبرني ماذا تقرأ، أخبرْكَ من أنت!

هذا مع أدبٍ جمٍّ، وخُلُقٍ كريم، وتواضعٍ محمود، لا يدَّعي ولا يتباهى، ولا يَثْنِي عِطْفَه تِيهًا وفخرًا، بل كاد يودُّ أن يظلَّ مغمورًا، لا يعرفه إلَّا أهل العلم.

ولطالما ألححتُ عليه أنْ يكتب وينشر بعض علمه على الناس؛ إذ لا يجوز له أنْ تكون لديه هذه الكنوز الثمينة من المعرفة ثمَّ يَخْبَؤها في صدره أو في خزانته، ولا تنتفع الأُمَّة بها، في حين نرى أناسًا لا يملكون بعض ما يملك من أدوات العلم يَطْلُعون علينا كلَّ يوم، بما لا يُسْمِن من شِبَع، ولا يُغْني من جوع.

ولكنَّ الشيخَ مجدًا حفظه الله، شأنُه شأن أهل العلم الأُصَلَاء، كان يتهيَّب هذا الموقف: أنْ يخرج على النَّاس بكتابٍ أو مقالةٍ لم تنضج على نارٍ هادئة، ولم تأخذ حقَّها من العناية فكرةً وعرضًا وأسلوبًا.

ولهذا رحَّبْتُ بهذا الكتاب الَّذي كتبه الشيخ مجد في «أركان الإيمان»، وقد عرفتُ من مقدّمته: أنَّه سبقه كتابان في نفس الموضوع: «غِرَاس الإيمان»، و«أصول الإيمان». وكلُّها كتبٌ دراسيَّة أُلِّفت لتُدَرَّس في بعض المعاهد الشرعيَّة في المراحل المختلفة، وهذا الكتاب أُلِّفَ للمرحلة الثانويَّة.

والحقيقة أنِّي وجدتُ الكتاب جامعًا شاملًا لكلِّ أركان العقيدة الستَّة: من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر. بل زاد

QaradawiBooks.com

على ذلك بعض الفروع في العقيدة، الَّتي شعر المؤلِّف بحاجة الطالب إلى معرفتها، مثل: سؤال القبر ونعيمه وعذابه، ومثل: أشراط الساعة، والتفصيل في ذكر الجنَّة وألوان نعيمها، والنار وعذابها.

وقد راعى المؤلف ما ينبغي أنْ يُراعى في هذا التأليف المدرسي من: وضوح الفكرة، وحُسن العرض، وسلاسة الأسلوب، وجودة التقسيم والتبويب، وتوثيقه بالأدلَّة العقليَّة والشرعيَّة، ووضع العناوين الجانبيَّة المُعِينة على حُسن الفهم، وختم كلَّ درس بأسئلة مناسبة له. بل أضاف إلى ذلك ذِكْرَ توجيهاتٍ نافعة للمُدَرِّسين، هي ثمرة معرفةٍ وخبرة وتجربة، ولا شكَّ.

كما اهتمَّ المؤلِّف الكريم ببيان آثار العقائد الإسلاميَّة في النفس والحياة، أو في الفرد والمجتمع، مثل آثار التوحيد، والإيمان بالآخرة، والإيمان بالقدر، وغيرها.

كما بدأ كتابه ببيان أوجه الحاجة إلى العقيدة.

وعُني كذلك ببيان خصائص العقيدة الإسلاميَّة ومزاياها على غيرها من العقائد الدينيَّة والأيديولوجيَّة الوضعيَّة المختلفة، الَّتي عرفها الناس.

وقد أحسن المؤلِّف سدَّده الله، حين جعل عُمدته ومرتكزه الأوَّل: القرآن الكريم. لأنَّ أسس العقائد ثابتةٌ بالقرآن، فلا تكاد تخلو صفحة من الكتاب إلَّا وفيها آية أو أكثر، ثمَّ ما لا بدَّ منه من صحاح الأحاديث وحِسَانها، بما يزيد الأمر وضوحًا.

وهو كذلك قد أحسن الاستفادة من المراجع العلميَّة، قديمها وحديثها، واقتبس منها في مواضع جمَّة، وأجاد الاقتباس. وهذا يدلُّ

QaradawiBooks.com

على مدى هضمه وتمثُّله لما قرأ، وإنصافه في نسبة الأقوال إلى أربابها، وإن كان هناك كثيرون للأسف، يسرقون الأفكار، بل العبارات بنصِّها، ولا يَعْزونها إلى أهلها، وقد قال سلفنا رضي الله عنهم: من بركة القول أنْ يُنسب إلى قائله.

لقد أخرجت أرض حلب الشهباء نبتًا طيِّبًا، وعالمًا جديدًا، يرجى أن يكون له مكانه وتأثيره وإثماره، وإيتاء أُكُلُه في ساحة العلم والدعوة، وإنَّه لذلك لأهل، ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨].

شكر الله لأخينا الشيخ مجد، وسدَّد قلمَه في خدمة العلم والدعوة إلى الإسلام، بلسانٍ عصريٍّ مُبين.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلت: ٣٣].

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة في غُرَّة المحرَّم ١٤١٩هـ

الموافق ٢٨ أبريل ١٩٩٨م

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «القول التمام بإثبات التفويض مذهبًا للسلف الكرام»

للشيخ سيف العصري[١]

الحمد لله ربِّ العالَمِين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هداه.[١]

(أمَّا بعد)

فقد كُنَّا نَدْرس العقيدة في الأزهر تحت عنوان «علم التوحيد»، وكان شيوخنا في المرحلة الابتدائيَّة ـ الَّتي سُمِّيَتْ الآن: الإعداديَّة ـ يضعون لنا مُذَكِّرات في هذا العلم، تتضمَّن أقسامه الأساسيَّة: الإلٰهيَّات، والنبوَّات، والسمعيَّات.

وكانوا يُمَهِّدون لنا ببحوثٍ عميقة عن الحُكم العقلي والحُكم الشرعي، وأنَّ أحكام العقل تنقسم إلى: واجبٍ ومستحيلٍ وجائز. وأنَّ الواجب: ما لا يتصوَّر العقلُ عَدَمَه. وأنَّ المستحيل: ما لا يتصوَّر العقلُ وُجودَه. وأنَّ الممكن: ما يقبل الوجودَ والعدمَ.

وأنَّ علم التوحيد يُبيِّن لنا ما يجب لله تعالى، وما يستحيل عليه، وما يجوز في حقِّه، وأنَّ ممَّا يجب له أنْ يتَّصِفَ بكلِّ كمالٍ يليق بذاته،

(١) نشر دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، ط ٢ ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

وأنْ يتنَـزَّهَ عن كلِّ نقص، ومن هذا النقص: أن يُشابه المخلوقين فيما هو من خصائصهم.

وما جاء في القرآن الكريم أو السُّـنَّة النبويَّة من نصوص قد تُوهِم مشابهةَ الله تعالى لخلقه، مثل قوله: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طـه: ٣٩]، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وحديث: «**ينـزل ربُّنا في الثلثِ الأخيرِ مـن اللَّيْلِ**»[1]، فلنا منها واحد من مَوْقِفَيْن:

• إمَّا أن نسكت عن بيان معناها، ونُفَوِّض علمها إلى الله سبحانه، فإنَّ شـأن الألوهيَّة أكبر من عقولنا ومداركنا، ونؤمن بأنَّ الله منـزَّه أنْ يشابه الحوادث والمخلوقـات، وأنْ تحل فيه الحوادث، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

• وإمَّـا أن نُؤَوِّله بما تسـيغه أسـاليب اللغـة العربيَّة مـن المجاز والاسـتعارة والكناية وغيرها، كأن نُؤَوِّل: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، بمعنى: تحت سـلطانه وقدرته. ونؤوِّل: ﴿عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾، بمعنى: تحـت حفظي ورعايتي. ونـؤول: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، بمعنى: إلَّا ذاته سـبحانه. ومعنى «**ينـزل ربُّنا**» أي: يتجلَّى برحمته وفضله وإحسانه على عباده.

ويُسـمِّي العلماء هذه النصوص آيات الصفات، وأحاديث الصفات، يعنون: الصفات الخبريَّة، الَّتي تُوهم المشابهة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٤٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وفي المرحلة الثانويَّة درسنا علم التوحيد في شرح «الجوهرة»، وهي منظومة في علم التوحيد، نظمها العلَّامة اللقاني (ت١٠٤١هـ)، وشرحها الشيخ البَيْجوري (ت١٢٧٧هـ).

وكان العلماء في ذلك الزمن قد اعتادوا أنْ يجعلوا مبادئ العلوم كلِّها في منظومات، فكُنَّا ندرس في النحو شرح «ألفيَّة ابن مالك» (ت٦٧٢هـ) المعروفة، وفي علم المنطق متن «السُّلَّم» للأخْضري (ت٩٨٣هـ)، وهو منظوم أيضًا، وفي التوحيد: «الجوهرة»، وكلُّها من بحر «الرَّجَز» السهل الَّذي يستجيب للناظمين أكثر من غيره.

وقد عرض صاحب «الجوهرة» لهذه القضيَّة في أحد أبيات منظومته حين قال:

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا أَوِّلْهُ، أَوْ فَوِّضْ وَرُمْ تَنْزِيهَا[1]

ومعنى البيت واضح لا يحتاج إلى شرح، فالواجب عند النص الموهم للتشبيه هو التأويل أو التفويض، مع وجوب تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق، من التركيب والتجسيم والتحيز في جهة، والحلول في الحوادث وغيرها.

وأيضا عندما درسنا التفسير في كتاب «تفسير النسفي» (ت٧٠١هـ) الشهير، والمسمى «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، وجدناه يعتمد مذهب الخلف في التأويل، فيقول في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، أي: بحيث نراك ونكلؤك[2].

(١) انظر: شرح الصاوي على جوهرة التوحيد صـ ٢١٥ وما بعدها، تحقيق د. عبد الفتاح البزم، نشر دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ط٢.

(٢) تفسير النسفي (٣٨٨/٣)، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

ويقول في قولـه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملـك: ١]، أي: في تصرُّفه المُلْكُ والاستيلاءُ على كلِّ موجود[١].

ويقول في قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، أي: منْ ملكوته في السماء؛ لأنَّها سكن ملائكته، ومنها تنزل قضاياه وكتبه، وأوامره ونواهيه[٢].

وأكَّد ذلك دراستنا للحديث المُقَرَّر علينا من «صفوة صحيح البخاري»[٣]، وهو يسير على نفس النهج.

وفي «كُلِّيَّة أصول الدِّين»، وهي الكُلِّيَّة الَّتي تعتني بدراسة العقائد وما يَتَعَلَّق بها: درسنا أوَّل ما درسنا كتابًا مشهورًا عند الأشاعرة، وهو «العقائد النَّسفيَّة وشرحها» للعلَّامة سعد الدين التفتازاني (ت٧٩٢هـ)، وعلى الشرح حاشيتان للخيالي (ت٨٦٢هـ) وللإسفراييني (ت٩٤٤هـ)، وعلى حاشية الخيالي: حاشية أخرى لعبد الحكيم السيالكوتي (ت١٠٦٧هـ). فهذه خمسة كتب في كتاب واحد.

وفي السنة الأخيرة في الكُلِّيَّة درسنا فصولا من كتاب «المواقف» لعَضُد الدِّين الإيجي (ت٧٥٦هـ)، وشرحه للعلَّامة الشريف الجُرْجاني (ت٨١٦هـ).

وكلُّ هذه الكتب تشرح العقائد أو التوحيد على مذهب الأشاعرة والماتُريديَّة، ولم يكن بينهما فرق إلَّا في مسائلَ محدودةٍ معروفة عند العلماء.

---

(١) تفسير النسفي (٥١٠/٣).

(٢) المصدر السابق (٥١٦/٣).

(٣) للشيخ عبد الجليل عيسى، أحد علماء الأزهر المرموقين (ت١٩٧٩م).

QaradawiBooks.com

وهذا الَّذي كان يدرس في الأزهر، كان يدرس في الجامعات الدينيَّة الكبرى في العالم الإسلامي، مثل الزيتونة في تونس، والقرويِّين في فاس بالمغرب، ودِيُوبَنْد في الهند الكبرى ـ أي: قبل التقسيم ـ فقد كان المذهب الأشعري ـ ولا يزال ـ هو الَّذي يسود في العالم الإسلامي، ويسود الجامعات والكُلِّيَّات والمدارس الدينيَّة في مختلف الأقطار.

وكل هذه الكتب تُؤَكِّد أمرًا مُتَّفَقًا عليه بينها فيما يتعلَّق بآيات الصفات وأحاديثها، وهو: السكوت عنها، وتفويض حقيقة معناها إلى الله ﷻ، وهو مذهب السلف، أو تأويلها بما يناسب المقام، وما تقتضيه لغة العرب، وهو مذهب الخلف، وكثيرًا ما كانوا يقولون عقب ذلك: ومذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم! ولا يقصدون أنَّ الخلف أعلم من السلف، ولكنِ المذهب والطريقة، وذلك حسَب الوقت والحال.

وإنَّما كان مذهب الخلف أعلم؛ لأنَّه يُزيل الشبهة، ويُقيم الحُجَّة، ويُقْنع العقلَ المُتَطَلِّع أبدًا إلى المعرفة، ولا يُقنعه دائمًا التسليمُ وقولُ: الله أعلم بمراده! كما أنَّه هو الأليقُ بخطاب المنكرين والمُشَكِّكين الَّذين لا يقنعهم التفويض والتسليم، ومثلهم المُبْتَدِعون.

هذا ما عرفته في الأزهر خلال مراحله الدراسيَّة المختلفة.

وقد عرفت ممارسة أخرى من خلال اتِّصالي بدعوة الإخوان المسلمين، وقراءتي رسائل مؤسسها الإمام حسن البنَّا، فوجدتُ الرجل يعرض القضيَّة عرضًا مُنْصِفًا، بين تفويض السلف وتأويل الخلف.

وقد قال في الأصل العاشر من «الأصول العشرين» الَّتي أرادها أنْ تكون أساسًا لوحدة الفهم بين الإخوان في القضايا العقديَّة والمبدئيَّة:

QaradawiBooks.com

«وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة، وما يليق بذلك من المتشابه: نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل، ولا نتعرَّض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء، ويسعُنا ما وسع رسول الله وأصحابه، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]»[(١)].

وعرض الأستاذ البنَّا للموضوع مرَّة أخرى بتفصيلٍ أكثر في رسالته عن «العقائد»، فأبطل مذهب المُشَبِّهة والمُجَسِّمة من ناحية، ومذهب المُعَطِّلة أو الجهميَّة من ناحية أخرى، ثمَّ بيَّنَ مذهب كلٍّ من السلف والخَلَف.

بين السلف والخلف:

وممَّا قاله الإمام البنَّا في رسالة «العقائد»:

«قد علمتُ أنَّ مذهب السلف في الآيات والأحاديث الَّتي تتعلَّق بصفات الله تبارك وتعالى: أنْ يُمِرُّوها على ما جاءت عليه، ويسكتوا عن تفسيرها أو تأويلها.

وأنَّ مذهب الخَلَف: أنْ يُؤَوِّلوها بما يتَّفق مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة خلقه. وعلمت أنَّ الخلاف شديد بين أهل الرأيَيْن، حتَّى أدَّى بينهما إلى التنابز بالألقاب العصبيَّة».

ثُمَّ ذكر ما اتَّفق عليه الفريقان، فقال:

«وبيان ذلك من عِدَّة أوجه:

(١) انظر: رسالة التعاليم صـ ٣٥٧، ٣٥٨، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، نشر المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

أوَّلًا: اتَّفق الفريقان على تنزيه الله تبارك وتعالى عن المشابهة لخَلْقه.

ثانيًا: كلٌّ منهما يقطع بأنَّ المراد بألفاظ هذه النصوص في حقِّ الله تبارك وتعالى غير ظاهرها الَّتي وضِعَت له هذه الألفاظ في حقِّ المخلوقات، وذلك مترتِّب على اتِّفاقهما على نفي التشبيه.

ثالثًا: كلٌّ من الفريقَيْن يعلم أنَّ الألفاظ تُوْضَع للتعبير عمَّا يجول في النفوس، أو يقع تحت الحسِّ، ممَّا يتعلَّق بأصحاب اللغة وواضعيها، وأنَّ اللُّغات مهما اتَّسعت، لا تحيط بما ليس لأهلها بحقائقه علم، وحقائق ما يتعلَّق بذات الله تبارك وتعالى من هذا القَبِيل، فاللغة أقصر من أنْ تُوَاتينا بالألفاظ الَّتي تدلُّ على هذه الحقائق، فالتحكُّم في تحديد المعاني بهذه الألفاظ تغرير.

وإذا تقرَّر هذا فقد اتَّفق السلف والخلف على أصل التأويل، وانحصر الخلاف بينهما في أنَّ الخلف زادوا تحديد المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورة التنزيه إلى ذلك، حفظًا لعقائد العوامِّ من شُبهة التشبيه، وهو خلافٌ لا يستحقُّ ضجَّة ولا إعناتًا.

ونحن نعتقد أنَّ رأي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلمُ وأولى بالاتِّباع، حسمًا لمادَّة التأويل والتعطيل؛ فإن كنتَ ممَّن أسعده الله بطمأنينة الإيمان، وأثلج صدره ببرد اليقين، فلا تَعْدِل به بديلًا»[1] اهـ.

وفي ذلك الوقت بدأنا ننفتح انفتاحًا كبيرًا على مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) وتلميذه ابن القيِّم (ت٧٥١هـ)، وهي مدرسة ثَرِيَّة رَحْبة، لها أنصارها وتلاميذها ومحاموها، ولها آثارها الَّتي لا تُنكَر في

(١) رسالة العقائد ضمن مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا صـ ٤٠٨ ـ ٤١٨.

QaradawiBooks.com

فقه شريعة الإسلام، وبيان محاسنها، والدفاع عنها، ولها رؤيتها الخاصَّة في قضايا العقيدة، ولا سيَّما في آيات الصفات وأحاديث الصفات.

وكان أقوى من يُمَثِّلها في مصر العلامة المجدد مُحمَّد رشيد رضا صاحب «مجلة المنار»، كما كانت تُمَثِّلها جمعيَّة «أنصار السُّنَّة المُحَمَّديَّة»، الَّتي كان يرأسها العالم المُحَدِّث الشيخ مُحمَّد حامد الفقي، رحم الله الجميع.

وقد خالف ابن تيمية وتلامذته الاتِّجاه السائد في الثقافة الإسلاميَّة حول مذهب السلف، في قضيَّة الصفات الخبريَّة، والَّذي اشتهر أن مذهبهم فيها هو التفويض، وترك التفسير والتأويل والكلام في المعنى، بل إيكال ذلك إلى الله، فهو وحده الَّذي يعلم ماذا أراد بكلامه، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

قرَّر ابن تيمية في كتبه أنَّ التفويض ليس هذا هو مذهب السلف، إنَّما مذهب السلف هو الإثبات، أن نثبت لله ما أثبته لنفسه، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه، فإذا قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، قلنا: له يدان، ولكن ليستْ كأيدينا. وإذا قال في الحديث: «**ينزل ربُّنا إلى سماء الدُّنْيا في الثلث الأخير**»[1]. قلنا: إنَّه تعالى ينزل، ولكن ليس كنزولنا.

أمَّا القول بالتفويض، الَّذي شاع وانتشر، فليس قول السلف، بل هو مذهبٌ مُبْتَدع!

وطال جدال أهل العلم حول هذه المسألة بين السلفيِّين والخلفيِّين، أو بين أنصار ابن تيمية وخصومهم. وألَّف أحد علماء الأزهر (الشيخ

(١) سبق تخريجه صـ١٨.

QaradawiBooks.com

منصور مُحمَّد عويس) كتابًا عنوانه: «ابن تيمية ليس سلفيًّا!»، يريد أنَّه خالف السلف في إنكاره أنَّ مذهبهم هو التفويض، وقد ساق جملة من الأقوال تدلُّ على أنَّ مذهب السلف هو التفويض، وأن ابن تيمية هو الَّذي خالف منهج السلف في ذلك.

وقد نفد هذا الكتاب من السوق، ولم يُطْبَع مرَّة أخرى، وحاولتُ الحصول على نسخة منه فلم أُفْلِح، وقد لقيتُ مؤلِّفه ـ وأنا أعرفه من قبل ـ في الكويت حيث يعمل إمامًا وخطيبًا لأحد المساجد هناك، فسألته عن كتابه هذا، فالتفتَ يَمِينًا وشمالًا، وقال لي: أرجوك لا تذكر هذا الكتاب، حتَّى لا يُقْطَع عيشي، فهُنا فئة لو عرفَتْ أنِّي صاحب هذا الكتاب لم ترضَ ببقائي في هذا البلد يومًا واحدًا، وهيَّجَتِ الدُّنْيا عليَّ.

وهكذا يعيش النَّاس في جوِّ الإرهاب الفكري، حين تطغى مدرسة على سائر المدارس، وتخرس ألسنة الآخرين، وتتفرد هي بالقول، لأنَّها مسنودة بقوَّة سياسيَّة أو اقتصاديَّة، أو غيرها.

ومنذ سنوات أصدر أخونا وزميلنا الدكتور مُحمَّد عياش الكُبيسي من علماء العراق كتابًا قيما حول الصفات الخبريَّة، وقد بحث القضيَّة بحثا أكاديميًّا، يركض فيه وراء الدليل الشرعي، والبرهان العقلي، لا يَحِيد عنهما، ولا يضرب العقل بالنقل أو النقل بالعقل، إذ لا تعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول، كما حقَّق ذلك ابن تيمية في كتابه الشهير «درء تعارض العقل والنقل» في عشرة مجلَّدات.

وقد انتهى الدكتور الكبيسي إلى أنَّ في السلف من أثبت، وفيهم من فوَّض، وفيهم من أوَّل، حتَّى التأويل ثبت عن السلف، وهو حقٌّ. وقد اقتبستُ منه في كتابي «فصول في العقيدة بين السَّلَف

QaradawiBooks.com

والخَلَف»[١]، الَّذي ذكرت فيه ما أرجِّحه من الرأي حول هذه القضيَّة الشائكة، الَّتي اعتركت فيها الآراء، واختلفت فيها مذاهب العلماء، ولم تزل المعركة مشتعلة إلى اليوم.

وخلاصةُ ما انتهيتُ إليه: أنِّي آخذ بمذهب السلف في نصوص الصفات الَّتي هي في البشر انفعالات، مثل: الرحمة والغضب، والمحبَّة والكراهية، والفرح والغَيْرة والعُجْب، ونحوها، فنثبتها لله تعالى كما أثبتها لنفسه، ولا داعي لتأويلها، بل نقول: رحمةٌ ليست كرحمتنا، وغضبٌ ليس كغضبنا، وفرحٌ ليس كفرحنا، كما نقول: علمه ليس كعلمنا، وسمعه ليس كسمعنا، وبصره ليس كبصرنا، إلخ.

وأمَّا النصوص الَّتي تُثْبِتُ الفوقيَّة والعُلُوَّ لله تعالى ونحوها، فنُثبتها له ﷻ، ونُفَسِّرها بما فَسَّره المُحَقِّقون من أئمَّة المنهج السلفي، وأوضح مثل لهم العلَّامة الواسطي في كتابه «النصيحة»[٢].

وأمَّا النصوص الَّتي يفيد ظاهرها التركيب والتجسيم والاشتمال على الأعضاء الَّتي هي أجزاء من أجسام البشر والمخلوقين، فهذه أرجح فيها التأويل إذا كان قريبًا مقبولًا، ولم يكن بعيدًا ولا مُتَكَلَّفًا، كما هو رأي الإمامين ابن عبد السلام وابن دَقِيق العِيد رحمهما الله[٣].

اتِّباع نهج القرآن في عدم التجميع:

وأريد أن أُنَبِّه هنا على حقيقة ذات أهمِّيَّة كبيرة في قضيَّة الصفات، والإيمان بها، وتعليمها للناس على مذهب السلف.

---

(١) فصول في العقيدة صـ ٧٢ وما بعدها، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

(٢) راجع: النصيحة في صفات الرب جل وعلا لأحمد بن إبراهيم الواسطي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، تحقيق زهير الشاويش، ط ٢، ١٣٩٤هـ.

(٣) انظر كتابنا: فصول في العقيدة صـ ١١٨ ـ ١٣٢، فصل: موقفنا من قضية الصفات.

QaradawiBooks.com

وتلك الحقيقة: أن تعرض هذه الصفات كما وردت في كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيِّه ﷺ، أعني: أن تُذْكَر مُفَرَّقة لا مجموعة، فكلُّ مسلم يؤمن بها ويثبتها لله كما جاءت.

فليس ممَّا يوافق الكتاب والسُّنَّة جمعها في نسقٍ واحدٍ يُوهِم تصوُّر ما لا يليق بكمال الله تعالى. كما يقول بعضهم: يجب أن تؤمن بأنَّ لله تعالى وجهًا، وأعينًا، ويَدَيْن، وأصابع، وقدمًا، وساقًا، إلخ. فإنَّ سياقها مجتمعة بهذه الصورة قد يُوهِم بأنَّ ذات الله ـ تعالى وتَقَدَّس ـ كلٌّ مُرَكَّبٌ من أجزاءٍ، أو جسم مُكَوَّن من أعضاء!

ولم يعرضها القرآن الكريم ولا الحديث الشريف بهذه الصورة، ولم يشترط الرسول لدخول أحدٍ في الإسلام أن يؤمن بالله تعالى بهذا التفصيل المذكور.

ولم يَرِدْ أنَّ الصحابة وتابعيهم بإحسان كانوا يعلمون النَّاس العقيدة بجمع هذه الصفات، كما تجمع في بعض الكتب المؤلَّفة في ذلك.

ولكنَّ المسلم إذا قرأ القرآن الكريم، أو الحديث الصحيح، وانتهى إلى آية مشتملة على صفة من هذه الصفات، أو إلى حديث من هذا النوع، آمن به كما ورد، دون تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ، وبهذا يكون سلفيًّا حقًّا[1].

لقد أعجبني في ابننا الباحث الكريم سيف العصري: أنَّه اقتحم هذا المَيْدان على حداثة سِنِّه، وهو يعلم شِدَّةَ خَطَره، وما يمكن أن يجلب

(١) انظر كتابنا: الإخوان المسلمون سبعون عامًا في الدعوة والتربية والجهاد صـ ٣٤٣، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٧، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

QaradawiBooks.com

عليه، من هجـــوم المهاجمين، وتنديـــد المنددين، وتجنِّـــي المُتَجَنِّين، وسيتَّهمونه بكلِّ نقيصة، ويُجَرِّدونه من كلِّ فضيلة، وسيرمونه بكلِّ سهام التجهيل والتجريح والتبديع والتفسيق، وربَّما التكفير أيضًا.

لقد علم ذلك الشاب الشـــجاع حينما بدأ يكتب، بل قبل أن يكتب، ولكنَّه لم يُبَالِ أن يخوض المعركة: معركة البحث عن الحقيقة في خبايا المصادر والكتب المختلفـــة، خلال القرون، وأن يجمـــع من ذلك كمًّا كبيرًا، من كلِّ الاتِّجاهات والتخصُّصات، وأن يعلـــن هذه الحقيقة الَّتي تعب في الحصول عليها، وبذل في ســـبيلها ما بذل من جهد، دأب فيه أيامه، وسهر لياليه، وصدق الشاعر العربي حين قال:

بِقَدْرِ الْجِـــدِّ تُكْتَسَـــبُ الْمَعَالِـي وَمَنْ طَلَـــبَ الْعُلَا سَـــهِرَ اللَّيَالِي
وَمَـــنْ طَلَـــبَ الْعُلَا مِـــنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمْرَ فِـــي طَلَبِ الْمُحَالِ[1]

إنَّ هذا الشابَّ الحديث السنِّ، النحيف الجسد، يحمل في إهابه عقلَ العالمِ الحرِّ، ورُوح الجندي المجاهد، وقلب المؤمن الَّذي لا يريد إلَّا أن يعرف الحقَّ، ويأخذه من ينابيعه الصافية، ويجهر به حين يعرفه، لا تأخذه في الله لومة لائم.

وبهـــذا يخدم العلم حقًّـــا، فالحقيقة بنت البحـــث، ولا أحد يحتكر الحقيقة، أو يدَّعي أنَّه وحده يملكها، ويغلق باب البحث أمام الآخرين.

وكم من دعاوى في ذلـــك، زعم أصحابها أنَّها تُمَثِّـــل الحقيقة الَّتي لا شكَّ فيها، ونقلوا الإجماع عليها، وهاجموا أشـــدَّ الهجوم من يخرج

(١) ذكره من غير نسبة المناوي في فيض القدير (٥٠٥/٤)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

QaradawiBooks.com

عليها برأيٍ مخالف. وشيخ الإسلام ابن تيمية نفسه ضحيَّة هذه الدعاوى العريضة، وقد اتَّهمه من اتَّهمه في علمه وفي دينه، وأنَّه خرق الإجماع، وخرج على علماء الأُمَّة، بآراء ما أنزل الله بها من سلطان، ودخل السجن ومات فيه من أجل ذلك.

فينبغي أن نأخذ عبرة من ذلك، ولا نقف من الباحثين المخالفين لشيخ الإسلام موقف خصومة، بل ندع الباب مفتوحًا لكلِّ من يضع لَبِنَة في صرح العلم الكبير، وقد قال سلفنا: ليس في العلم كبير. وقال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

على أن ابن تيمية نفسه من فضله وإنصافه، قرَّر في كتبه وفتاواه: أنَّ العالم المتبحِّر إذا أخطأ في مسألة أو أكثر، فهذا مُغْتَفَر في بحر علمه، وأيُّ عالمٍ يُصيب في كلِّ شيء؟ والعصمة إنَّما هي لمن لا ينطق عن الهوى، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤][1].

ومن روائع ديننا العظيم: أنَّه لا يكتفي بأن يعذر الباحث أو المجتهد إذا أخطأ الصواب، بل يأجره أجرًا واحدًا، لاجتهاده وتَحَرِّيه.

أنا لا أريد أن أتحدَّث عن مضمون كتاب ابننا (سيف)، فالكتاب يتحدَّث عن نفسه، ويقدم أفكاره ومعانيه إلى قرائه عن بصيرة، وها هو ذا (سيف) يسرد لنا قائمة طويلة من علماء الأمة الَّذين شهدوا شهادة بَيِّنة لا لبس فيها ولا تردُّد: أنَّ السلف ـ على اختلاف وجهاتهم ومذاهبهم وتخصُّصاتهم، من متكلِّمين وأصوليِّين ومُفَسِّرين ومُحَدِّثين وفقهاء

(١) قال شيخ الإسلام: «لو قدر أنَّ العالم الكثير الفتاوى أخطأ في مائة مسألة لم يكن ذلك عيبًا، وكلُّ مَن سوى الرسول ﷺ يصيب ويخطئ». مجموع الفتاوى (٣٠١/٢٧)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

ومتصوِّفين ـ كلُّهم قالوا بالتفويض. وقد نقل (سيف) كلامهم حرفيًّا، لا اختصارًا، ولا نقلًا بالمعنى.

ومن العجيب أن نجده ينقل القول بالتفويض حتَّى ممَّن عرفوا بالغلوِّ في الإثبات، مثل عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ)، فقد نقل عنه قوله: «وأمَّا دعواك أنَّهم ـ أي أهل الحديث ـ يقولون جارحة مُرَكَّبة فهذا كفر لا يقوله أحد من المُصَلِّين، ولكنَّا نُثْبِت له السمع والبصر والعين بلا تكييف كما أثبته لنفسه فيما أنزل من كتابه وأثبته له الرسول، وهذا الَّذي تُكَرِّره مرَّة بعد مرَّة: جارحة وعضو وما أشبهه، حشو وخرافة وتشنيع لا يقوله أحد من العالمين»[(١)].

ويقول: «وأمَّا قولك: إنَّ الله غير محوِيٍّ ولا مُلازق ولا مُمازج، فهو كما ادَّعيتَ»[(٢)].

ويقول: «وما رأينا أحدًا يصفه بالأجزاء والأعضاء جلَّ عن هذا الوصف وتعالى»[(٣)].

وهو لم يكتفِ بذلك، بل ناقش القضيَّة مناقشة علميَّة شرعيَّة منطقيَّة، وردَّ على الشبهات والتساؤلات الَّتي أثيرت أو تثار في تلك الحالة. وأشهد أنَّ الشابَّ كان متين المنطق، قويَّ الحُجَّة، واضح المَحَجَّة، يقف على أرض صُلبة، حين يناقش الأقوال، ويقيم الأدلَّة، ويردُّ على المعارضين.

---

(١) الرد على المريسي (٦٨٩/٢)، نشر مكتبة الرشد، تحقيق رشيد الألمعي، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) المصدر السابق (٤٤٠/١).

(٣) المصدر السابق (٨٩٧/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أعتقد أنَّ ابننا الباحث الشابَّ قد قدَّم للعلم والدين خدمة، ينبغي أن تُقَدَّر وتشكر، سواء وافقناه عليها أم خالفناه فيها، آملًا أن يتقبَّلها العلماء المعارضون لها بصدرٍ رَحْب، ولا يضنُّوا عليها بالنقد البنَّاء، لا بالسبِّ والهجاء. فبالنقد الحُرِّ المنصف تتجلَّى الحقيقة لعُشَّاقها، كما يظهر عوار الباطل وإن لبس لبوس الحقِّ أحيانًا.

اللهمَّ أرنا الحقَّ حقًّا، وارزقنا اتِّباعه، وأرنا الباطل باطلًا، ووفقنا لاجتنابه، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

الدوحة في جمادى الأولى ١٤٢٨هـ

الموافق ٢٣ مايو ٢٠٠٧م

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

في القرآن وعلومه

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مقدمة «الهيئة العالميَّة للقرآن الكريم»

للدكتور حسن المعايرجي[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(أمَّا بعد)

فإنَّ القــرآن العظيم هو الكتــاب الوحيد الَّذي يتضمَّــن كلمات الله الأخيرة إلى البشريَّة، وهو وحده ـ دون كلِّ كتب السماء ـ الَّذي حفظه الله من كلِّ تبديلٍ وتحريف، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد تكفَّل سبحانه بحفظه، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وكان وعد ربي حقًّــا، فلم يزل هذا الكتــاب محفوظًا في الصدور، متلوًّا بالألســنة، مكتوبًا في المصاحف، متعبدًا بتلاوتــه في الصلوات وخارجها، في المساجد والمنازل، في السفر والحضر، حتَّى إن عشرات الألوف من المســلمين يحفظونه عن ظهر قلب، ومنهم صبيان لم يبلغوا العاشرة من عمرهم، ومنهم أعاجم، لا يسقطون منه كلمة، ولا يخرمون منه حرفًا، وهم لا يفهمون من العربيَّة شــيئًا، وهــذا من خصائص هذا الكتاب العزيز.

(١) نشر مطابع الدوحة الحديثة، ١٩٩١م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن نعم الله على أمة الإسلام: أنَّها الأُمَّة الوحيدة الَّتي تملك مصدرًا إلهيًّا معصومًا، لم تخالطه أهواء البشر، ولا أوهام البشر، ولا انحرافات البشر، بل بقي مصونًا كما أنزله الله تعالى، حتَّى إنَّ المسلمين ليتلونه كما كان النبيُّ ﷺ وأصحابه يتلونه بغَنِّه ومدِّه، وحركاته وسكناته، وأنشؤوا له علمًا يضبط أداءه، ويحفظ نظامه الصوتي، وهو «علم التجويد»، ويلحق به علم «مخارج الحروف».

كما أنَّ المسلمين سلفهم وخلفهم أبوا إلَّا أن يبقوا على صورة المصحف كما كتب في عهد عثمان الخليفة الثالث رضي الله عنه، واتَّفاق الصحابة عليه، فلم يُغَيِّروا فيه إلَّا ما اقتضته الضرورة من النقط والشكل، ثمَّ بقيت صورة الكلمات على ما كتبت عليه أولًا، بالرغم من تطوُّر قواعد الرسم والإملاء.

ومن هنا نتبيَّن أنَّ من **خصائص هذا القرآن: الخلود** بحكم حفظ الله له، كما وعد في كتابه؛ لأنَّه آخر الكتب، كما أنَّ من أنزل عليه هو آخر الرسل، وأُمَّته هي آخر الأمم، ورسالته هي خاتمة الرسالات، فليس هو كتاب جيلٍ أو عدَّة أجيال، ولا كتاب عصر أو جملة أعصار، بل هو كتاب الزمن كلُّه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولهذا القرآن خصائص أخرى بجوار هذه الخصيصة، منها:

أنَّه الكتاب المُعْجِز، الَّذي تحدَّى العرب أن يأتوا بكتابٍ مثله، أو بسورة مثله، فعجزوا وانقطعوا، وحقَّت عليهم كلمة الله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

QaradawiBooks.com

فهو المعجزة الكبرى، والآية العُظمى لمحمَّد ﷺ، وعلى الرغم من أنَّ الله تعالى أيَّده بآيات وخوارق جمَّة، لم يتحدَّ النَّاس إلَّا بالقرآن.. وعندما طلبوا آية حِسِّيَّة كالآيات الَّتي أيَّد بها الرسل من قبل، مثل موسى وعيسى عليهما السلام، ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وكان من أعظم وجوه إعجاز القرآن: روعة نظمه، وإبداع بلاغته، الَّتي بهرت العرب مؤمنهم وكافرهم، حتَّى قال بعض المشركين في شأن القرآن: إنَّ له لحلاوة، وإن عليه لطَلاوة، وإنَّ أعلاه لمُثْمِر، وإنَّ أسفله لمُغْدِق[1]، إلخ.

ولم يقف تأثير القرآن عند الإنس، بل بلغ تأثيره إلى الجنِّ، فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢].

هذا إلى ما يتضمَّنه القرآن من جوامع الكلم، وجواهر الحكم، وبدائع التشريع، وروائع التوجيه، وحقائق الوجود، ورواسي العقائد، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، ما لم ير البشر مثله مجموعا بين دفتي كتاب.

ومن خصائص هذا الكتاب: أنَّه كتابٌ مبين، مُيَسَّرٌ للذِّكْر والفهم، ليس ككتب الفلاسفة المليئة بالغموض والألغاز، وكتب العلم الَّتي لا يقرؤها إلَّا فئةٌ محدودة من أهل الاختصاص، ولذا وصفه منزله بقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١].

---

(١) رواه الحاكم في التفسير (٥٠٦/٢)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي. والبيهقي في دلائل النبوة (١٩٨/٢)، وجوَّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ ٣٢٤، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وسمَّاه برهانًا ونورًا لوضوحه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤].

وبهذا يسَّره للفهم والذِّكْر، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]، ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

ومن خصائص هذا القرآن: أنَّه كتاب عالمي، فكما أنَّه كتاب الزمن كلِّه، هو كتاب العالَم كلِّه، فليس كتاب العرب وحدهم، وإن نزل بلغتهم، وليس كتاب أهل الشرق وحدهم، وإن بعث الرسول من بينهم.

إنَّه كتابُ ربِّ العالَمِين لكلِّ العالَمين، عربًا وعجمًا، شرقًا وغربًا، بِيضًا وسودًا، حُكَّامًا ومحكومين، أغنياء وفقراء، فهو كتاب كل الأجناس، وكل الألوان، وكل الأوطان، وكل الألسنة، وكل الطبقات.

يقول منزله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [صٓ: ٨٧]، ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القلم: ٥٢]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، فغايته إخراج النَّاس كل النَّاس من ظلمات الشرك والضلال والغي والانحراف، إلى نور التوحيد والهدى والرشد والاستقامة.

ولا غرو أن يكون القرآن كتابًا عالميًّا، فإنَّه كتاب الإسلام وهو رسالة عالميَّة، كما قال تعالى لرسوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨].

QaradawiBooks.com

والقرآن وإن كان عالمي الدعوة والخطاب، عربي اللسان، فقد اختار الله لسان العرب لينزل به كلامه المُبين، وذكره الحكيم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨]، إلى غير ذلك من الآيات الَّتي أثبتت عربية القرآن.

ومن ثمَّ أجمع علماء الإسلام كافة على أنَّ القرآن هو: اللفظ العربي المنزل على مُحمَّد ﷺ، المنقول بالتواتر، والمدون بين دفتي المصحف.

هنا نشأت مشكلة وهي: كيف نبلغ القرآن إلى غير العرب؟ وقد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]، فإذا كان الرسول مبعوثًا للعالمين، للناس جميعًا، للناس كافة، فكيف يبين لهم وكتابه عربي، ولسانه عربي؟

وكذلك يتوجه السؤال إلى أمته من بعده: كيف يفهمون القرآن لغير العرب؟ هل يعجمون القرآن حتَّى يفهمه العجم؟ أو يعربون الأعاجم حتَّى يفهموا القرآن؟

كانت سيرة الصحابة والمسلمين الأوائل أن يعربوا الأعاجم حتَّى يفقهوا القرآن، ويفقهوا الإسلام؛ لهذا انتشر الإسلام والعربيَّة معا، في مصر وشمال أفريقيا وفارس وغيرها، استعرب أهل هذه البلاد أو كادوا،

QaradawiBooks.com

حتَّى غير المسلمين منهم، ولو استمر الأمر على هذا المنوال ما كان لدينا الآن عالم عربي، وعالم إسلامي، ولكان العالم الإسلامي كله عربيًّا!

ولكن الَّذي حدث أن اتسع نطاق الإسلام، وضاق نطاق الاستعراب. بل انتكست بعض البلدان، فارتدت من العروبة إلى العجمة، وأصبح العرب قلة في المسلمين ـ أي نحو السدس تقريبًا ـ فالمسلمون نحو ألف ومائتي (١,٢٠٠) مليون، والعرب نحو مائتي مليون.

كيف نوصل القرآن إلى غير المسلمين في العالم، ولهم لغات ولهجات لا يحصيها إلَّا الله؟

إنَّ غير المسلمين لم يجدوا أي مشكلة في ترجمة كتبهم المقدسة إلى أي لغة، فإنَّ هذه الكتب قد أصابها ما أصابها من الحذف والتبديل والتحريف، بل إنَّ بعضها لم يعد موجودًا بلغته الأصليَّة الَّتي نزل بها، كما هو شأن الإنجيل، ولم يكن لأي منها ما للقرآن من خصوصيَّة الإعجاز.

ولكن القرآن العربي المعجز ببيانه ومعانيه غير تلك الكتب؛ لهذا كانت ترجمته إلى اللغات الأخرى من القضايا الكبيرة الَّتي ثار حولها الجدل، واشتدت المعركة بين المجيزين والمانعين، وحشد كل فريق فيها أسلحته، ودخل في المَيْدان رجال كبار من كلا الطرفين. وبعد مدة وضعت هذه الحرب أوزارها، وأسفرت عما يشبه الاتفاق على جواز ما اصطلح على تسميته «ترجمة معاني القرآن».

ولكن هذا اللون من المعارك العلميَّة لا يخبو بصفة دائمة، فهو قابل للاشتعال، إذا تهيَّأت الأسباب.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ولا غرو أن تثور المسألة بين الحين والحين، وخصوصًا كلَّما وجد بعض المسلمين الغيورين بعض الترجمات للقرآن تعمد إلى تشويه جمال القرآن، وجلال القرآن؛ لأنَّ الَّذين يقومون بها إمَّا غير مسلمين أصلًا، وأغلبهم من الطوائف الدينيَّة المعادية للإسلام، وإمَّا من الفرق الَّتي انشقت عن الإسلام، وخرجت على أمته، وإن ظلت تتظاهر بأنَّها جزء من أُمَّة الإسلام.

وهذا الموضوع هو الَّذي شغل فكر الأخ الكريم، والصديق الغيور، الدكتور حسن المعايرجي منذ سنين، وكوته مشاعر الأسى والغضب من أجله، فقد أهمَّه وأحزنه ما يقوم به غير المسلمين من ترجمات مُضَلِّلة للقرآن، وكذلك المارقون ممَّن يتسمَّوْن بأسماء المسلمين.

وعكف على دراسة القضيَّة وحشد المعلومات اللازمة حولها من قارات الدُّنْيا، وتجميع التراجم للقرآن من كل اللغات الَّتي يستطيع الوصول إليها، بطريقة أو بأخرى، حتَّى كون من ذلك مكتبة كبيرة في بيته، واتصل بكل من يمكنه من قادة الدعوة والفكر في العالم الإسلامي، رجاء تقديم حل عملي للمسألة.

وكتب في ذلك هذه الدراسة، الَّتي أقدمها للقارئ اليوم، وهي عصارة جهود استمرت سنوات وسنوات.

ترجمة للتفسير لا المعاني:

وخلاصة ما تهدف إليه هذه الدراسة أمران أساسيان: أحدهما: علمي، والآخر: عملي.

فأمَّا العلمي: فهو يرى أن يتوقف المسلمون عن ترجمة القرآن، سواء كانت ترجمة حرفية، أم ما سُمِّي «ترجمة معاني القرآن».

QaradawiBooks.com

فإنَّ كتاب ربِّ العالَمِين لا يُترجَم، وإنَّما يُفَسَّـر، فإن كان لا بدَّ من ترجمته، فليس المسـلمون هم الَّذين يقومون بها، بل غير المسـلمين، لبواعثَ وأهدافٍ خاصَّة عندهم، وقد بدؤوا ذلـك من قرون، وما زالوا مُسْتَمِرِّين، وسيظلُّون كذلك.

وهو يقول بصراحة في ختـام مدخله إلى الكتاب: «إنَّ المسـلمين يُفَسِّرون القرآن لحاجتهم لفهم معانيه، وغير المسلمين يترجمون القرآن ليُحَرِّفوا الكلم عن مواضعـه. ومن أراد القرآن فعليـه بالعربيَّة، فإن لم يسـتطع فالتفسـير المترجم يكفيه حتَّى يتعلَّم العربيَّة، فالقرآن الكريم لا يُعجم لأحد، بل على المسلم أن يَتَعَرَّب للقرآن»[1] اهـ.

وإنِّي مع كاتب هذه الدراسـة في أنَّ ترجمة تفاسـير القرآن العظيم بلغات العالم المختلفة، هـي الَّتي يجب أن تتوجَّـه إليها الهمم، وهي الأَوْلى بالعناية وصرف الجهود والأموال من ترجمة المعاني.

ولكن لا أسـتطيع أن أقول: إنَّ ترجمة المعاني حرام، ويجب منعها منعًا مطلقًـا. إنَّما الَّذي يلزم منعه وسـدِّ الباب إليه بشـدَّة هو الترجمة الحرفيَّة، أمَّـا ترجمة المعاني فلا مانع منها، إذا قام بها مسـلمون ثقات مؤهَّلون لهذا العمل، مُتَضَلِّعون من لغة القرآن، ومن فهم الإسلام، ومن اللغة الَّتي تنقل إليهـا المعاني، بل ينبغي أن تشـرف على ذلك بعض الجهات الإسـلاميَّة القادرة على ذلك، وأن يتَّفق على المعاني الأساسيَّة الَّتي تفهم من النصِّ القرآني، ويراد ترجمتها إلى اللغة الأخرى، وكذلك على الألفاظ الَّتي ينبغي أن تبقى على عربيَّتِها، وتُفَسِّر معانيها، مثل لفظ الجلالة (الله)، والصلاة، والزكاة، والحج، ونحوها مع حواشـيها. وعلى

(١) الهيئة العالمية للقرآن الكريم ضرورة الدعوة والتبليغ صـ ٢٦.

QaradawiBooks.com

الحواشي الَّتي يجب أن تُضاف لشرح أسرار بعض الآيات أو الفقرات، بالإضافة إلى مقدّمة تُبَيِّن مقاصد القرآن وخصائصه، وأنَّ هذه المعاني المترجمة ليست هي القرآن.

وبهذا تكون (المعاني المُحَرَّرة المنضبطة) بمثابة تفسير موجز أو مركز للقرآن العزيز.

وأعتقد أنَّ الأخ الدكتور المعايرجي لا يمانع في ترجمة المعاني بهذه الصورة المحدَّدة، وهذا ما جرى عليه العمل، وأقرَّه أهل العلم في العالم الإسلامي، وإن لم يخلُ من قصور، وهو يُلَبِّي حاجة حقيقية لا غنى عنها، وإذا لم يقم المسلمون بهذا العمل فسيقوم به غير المسلمين، وأولى بنا أن نُصَرِّح ببعض الترجمات للمعاني بالضوابط والشروط الَّتي نضعها ونعترف بها، وما عداها نرفضه ولا نقرّ به، ونعلن أنَّه لا يُمَثِّل إلَّا رأي كاتبه.

الهيئة العالميَّة للقرآن الكريم:

وأمَّا الأمر العملي الَّذي يهدف إليه، فهو: التنبيه بقوَّة على ضرورة إقامة مؤسَّسة إسلاميَّة عالميَّة، تقوم على رعاية كلِّ ما يتعلَّق بالقرآن، وتبليغ دعوته وتعاليمه إلى المسلمين أولًا، وإلى العالم كله ثانيًا، بلغاته المختلفة.

وهو يؤكِّد هنا أنَّ مهمَّة التبليغ هذه الَّتي قصر فيها المسلمون: تحتاج إلى مؤسَّسة قرآنيَّة عالميَّة للعناية بالقرآن الكريم وتفسيره بكلِّ لسان، وطبعه وتوزيعه، ورصد ما يظهر من الترجمات والتفاسير والطبعات في شتَّى بقاع العالم، وإصدار دليل بالتفاسير الجيِّدة، والتحذير من الترجمات الفاسدة، وتتبع الناشرين للترجمات الفاسدة قضائيًّا، ودراسة حاجات المسلمين من التفاسير الجيِّدة، ومعرفة الأولويَّات لمشاريع

QaradawiBooks.com

ترجمة التفاسير المختلفة، وهي عمليَّة دقيقة تدخل فيها عوامل كثيرة، ويمكن أن تنبع هذه المؤسسة العالميَّة عن منظمة المؤتمر الإسلامي، الَّتي انبثقت عنها أجهزة ومنظمات كثيرة في شتَّى نشاطات العمل الإسلامي، وأن تمثل هذه المؤسَّسة القرآنيَّة الدول الأعضاء في خدمة كتاب الله الكريم والدفاع عنه.

وقد خصص في خواتيم دراسته عدَّة صفحات لمشروع هذه المؤسسة أو (الهيئة العالميَّة للقرآن الكريم) وبيان مهمتها، وتوضيح أهدافها ووسائلها، حتَّى إنَّه تحدث عن الأقسام والإدارات الَّتي ينبغي أن تضمها هذه الهيئة، وعن طريقة تمويلها، وغير ذلك من التفصيلات. وأضاف إلى ذلك عمل تخطيط مبسط، لما يمكن أن تكون عليه إدارات هذه الهيئة المنشودة وأجهزتها.

وإنِّي لأضمُّ صوتي إلى صوت الكاتب الغيور، وأدعو إلى تكوين هذه «المؤسَّسة القرآنيَّة العالميَّة»، وينبغي لمنظمة المؤتمر الإسلامي أن تبادر بإنشاء هذه الهيئة؛ لتنضم إلى أخواتها من المؤسسات الإسلاميَّة العالميَّة، مثل: المنظمة الإسلاميَّة للتربية والثقافة والعلوم، والمجمع الفقهي الإسلامي، ومنظمة الإذاعات الإسلاميَّة، وغيرها.

ويمكن لهذه المؤسسة أن تضم بعض الهيئات القائمة الآن في أقطار شتَّى لخدمة القرآن، مثل هيئة الإعجاز العلمي للقرآن برابطة العالم الإسلامي وغيرها.

وإنَّ شأن القرآن لجدير بذلك وما هو أكبر منه، وإنَّ أُمَّة أكرمها الله تعالى بالقرآن، لخليق بها أن تعمل لخدمة هذا الكتاب وحياطته وتبليغ دعوته.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولقد قرأت الكتاب الَّذي صدر عن المؤتمر التنصيري الشهير الَّذي انعقد في «كلورادو» بالولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، سنة (١٩٧٨م)، لتنصير المسلمين في العالم، وقد ترجمه أخيرًا المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وهالني ما قرأته عن الجهود المكثفة الَّتي يقوم بها رجال الكنيسة من أجل الإنجيل ونشره إلى كل لغات العالم ولهجاته، وطباعته بصور وأساليب شتَّى بين المسلمين، ومن ذلك أن يطبع على شكل المصحف، محاطًا بالزخارف الإسلاميَّة[1].

هذا بعض ما يصنعه أهل الباطل لباطلهم، فأين ما يصنعه أهل الحق لحقهم؟!

لعلَّ هذه الصرخة المخلصة، وهذا النداء الصادق من رجل يحترق فؤاده غيرة على القرآن، تنبه الغافلين، وتحرك الجامدين، وتدفع إلى عمل إيجابي يلائم مستوى القرآن، وأُمَّة القرآن، ويلائم مستوى العصر الَّذي نعيش فيه، ويلائم مستوى ما يقدمه الآخرون لديانتهم وكتبهم.

ولمثل هذا فليعمل العاملون، وفي هذا فليتنافس المتنافسون.

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

الدوحة جمادى الأولى ١٤١٢هـ

الموافق نوفمبر ١٩٩١م

---

(١) راجع: بحث الوضع الراهن لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين لوليام د. رايبرن صـ ٥١٠ ـ ٥٣٠.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «نظرات في كتاب الله»
للإمام الشهيد حسن البنَّا
جمعه وحقَّقه وعلق عليه الشيخ عصام تليمة[١]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(أمَّا بعد)

فمن فضل الله على هذه الأمة: أنَّها أمة خالدة؛ لأنَّ الله ختم بها الأمم، كما ختم بنبيها النبيين، وبقرآنها كتب السماء.

ومن رحمة الله بها: أنَّه يبعث لها في كل حين من يُجدِّد لها دينها، فيجمعها من شتات، ويحييها من موات.

قد يكون هذا المجدد فردًا موهوبًا يمنحه الله من نفحاته، ويفيض عليه من بركاته ما يعينه على أداء مهمته الكبرى في الإيقاظ والإصلاح والتجديد، فيضيء العقول، ويحرك القلوب، ويشد العزائم، ويدفع بالأمة إلى الأمام.

وقد يكون المُجَدِّد مدرسة فكريَّة أو دعويَّة أو حركيَّة، تمثل «الطائفة المنصورة»، الَّتي صحَّت بها الأحاديث: أنَّها لا تزال في هذه الأُمَّة قائمة بأمر الله، حتَّى تقوم الساعة[٢].

---

(١) نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٢) إشارة إلى حديث معاوية، المتَّفق عليه: «لا تزال طائفة من أُمَّتي قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم مَن خذلهم، ولا مَن خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس». رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧).

نسخة مميزة
QaradawiBooks.com

ولا يماري دارس منصف أنَّ حسن البنَّا كان من المجددين لهذا الدين، سواء نظرنا إليه فردًا، أم نظرنا إلى دعوته بكونها مدرسة متميزة بأهدافها، ووسائلها، ومناهجها، ورجالها، وآثارها في حياة الأمة.

ومن درس سيرة حسن البنَّا، علم أنَّ الرجل لم يشتغل بتأليف الكتب الكبيرة، كما يفعل العلماء المُصَنِّفون، فقد شغله تأليف الكتائب عن تأليف الكتب، ورأى أنَّ إنشاء الرجال الَّذين يقومون بنصرة هذا الدِّين هو واجبه الأوَّل، وإذا وجد هؤلاء الرجال قاموا بالتأليف والتصنيف، وملؤوا الدُّنْيا علمًا.

ومع هذا كتب حسن البنَّا مقالات كثيرة جدًّا ـ في مختلف مجالات الثقافة الإسلاميَّة ـ في مجلات شتَّى، ولا سيَّما في السنوات الأولى للدعوة، حتَّى حدَّثني الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور مُحمَّد فتحي عثمان: أنَّه وجد الأستاذ البنَّا يكتب في بعض الأحيان مقالتين في الأسبوع الواحد.

وكان الدكتور فتحي قد أخذ على عاتقه أن يجمع ما استطاع من الوثائق، للبدء في كتابة تاريخ الإخوان، ليقوم بهذا الفرض الَّذي لم تقم به الجماعة، وهو أحقُّ بذلك وأهلٌ، فهو عالمٌ وباحث، ومؤرِّخ وداعية، وقد جمع من ذلك كمًّا كبيرًا، وذلك في فترة ما بعد الخروج من السجن الحربي سنة (١٩٥٦م)، ثمَّ جاءت محنة (١٩٦٥م)، فجاء رجال المباحث، وأخذوا كُلَّ هذا التراث الهائل، ووضعوه في جوالات، ولا يدري أحدٌ ماذا فعلوا به؟!

وكم تمنَّيتُ من قديمٍ أن يُجمع تراث الإمام البنَّا، وينشر في صورة (مجموعة أعمال كاملة)، كما نشر تراث رفاعة الطهطاوي، والسيِّد جمال الدين الأفغاني، والإمام مُحمَّد عبده وغيرهم.

QaradawiBooks.com

وأذكر أنِّي منذ أكثر من ربع قرن، في أوائل السبعينيَّات من القرن العشرين، لقيت الأخ الكريم الأستاذ سيف الإسلام حسن البنَّا، في مدينة لندن، وقلت له: يا أستاذ سيف، إنَّ عليك مسؤوليَّة جسيمة، نحو تراث والدك، وعليك أن تسعى إلى تجميعه من مظانه المختلفة، وستجد الإخوان جميعا أعوانًا لك في ذلك، وهذا عمل ليس بضائع، بل هو مربح في الدُّنْيا، مربح في الآخرة، وعيب على جماعة كبيرة مثل الإخوان أن تهمل تراث مؤسسها، ولا تنشره حتَّى اليوم، وقد مضى على استشهاده نحو ربع قرن.

وقد طمأنني الأخ سيف الإسلام أنَّه شرع في هذا الأمر، ومعه من يعاونه في ذلك، وبشَّرني أنَّه عن قريبٍ سترى ثمراتِ هذا العمل.

ومرَّت السنوات وراء السنوات، وكلَّما قابلت سيف الإسلام أُذَكِّره بما وعد به، فيعدُني خيرًا. ولكن لا أرى ثمرًا.

ومنذ ثلاثة أعوام قال لي: أُبَشِّرُكَ أنَّ تراث الإمام الشهيد أصبح كُلُّه مجموعًا على الكومبيوتر.

قلت له: بشَّرك الله بالخير، فابدؤوا إذن بنشره لينتفع به الناس. وحتَّى الآن لم أرَ نتيجة عمليَّة لهذا الجهد.

ولهذا سرَّني أن يقوم ابننا النابه الناشط الشيخ عصام تليمة، بجمع ما تيسَّر له من تراث الإمام الشهيد، الَّذي عُنِيَ به منذ سنوات، ونشر من قبل ذلك بعضه، مثل: «أحاديث الجمعة»[١]، و«نظرات في التربية والسلوك»[٢].

(١) نشر دار القلم، بيروت، سلسلة كتب قيمة، الأعداد (١٥، ٣٨، ٤٥).

(٢) نشر دار البشير، جدة.

QaradawiBooks.com

واليوم يقوم بنشر تراث البنَّا حول القرآن وعلومه وتفسيره، وقد جمعها من مصادر شتَّى من كتابات الأستاذ عليه رحمة الله ورضوانه.

ولا ريب في أن حسن البنَّا كان من أقوى النَّاس صلة بالقرآن الكريم، حفظًا واستظهارًا له، وتلاوة لآياته، وفهمًا وتدبرًا لمعانيه، كأنَّما المصحف مائدة ممدودة بين يديه، يأخذ منها ما يشاء بيسر وسهولة، أو كأنَّه شجرة قطوفها دانية له، يقطف منها ما يريد، فهو رجل القرآن حقًّا. وقد سمَّاه صحفي أمريكي في مقالة عنه: «الرجل القرآني»[1] فأصاب كبد الحقيقة.

ولقد خدم الأخ عصام هذا التراث القرآني والتفسيري للإمام البنَّا، بما قدَّمه من دراساتٍ نافعة، وما علَّق به من تعليقات مفيدة، مثل: ترقيم الآيات، وتخريج الأحاديث، ونحو ذلك ممَّا يحتاج إليه القارئ المعاصر، خصوصًا إذا كان من طلاب العلم.

وربما خالفت إمامنا البنَّا في بعض آرائه حول القرآن، مثل تشدُّده في منع ترجمة القرآن الكريم، مع مسيس الحاجة إليها في عصرنا، إذا قام بها من يحسنها مع شروطها وضوابطها، وإذا تركناها نحن فلن يتركها الآخرون. وقد وجدنا المُبَشِّرين والمستشرقين من قديم مَعْنِيِّين بترجمة القرآن، وهم لا يملكون أدواتها.

وقد قام أحد تلاميذ حسن البنَّا، وهو الأخ البحاثة الدكتور حسن المعايرجي، بتجميع مكتبة كبيرة من هذه الترجمات من عدَّة لُغات، ورجا المسلمين عامَّة، وعلماءهم خاصَّة، أن يعتنوا بترجمة «تفسير

(١) راجع: الرجل القرآني حسن البنا لروبير جاكسون، ترجمة الأستاذ أنور الجندي، نشر دار الدعوة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

القرآن»، وليس ترجمة ألفاظ القرآن، كما طلب إلى المسلمين أن ينشئوا «هيئة عالميَّة للقرآن» تقوم على خدمته وتفسيره وترجمته[١].

كما أخالف شيخنا وإمامنا في مسألة العلاج بالقرآن، وإخراج الجنِّ من الإنسان، فإن الله لم يسلط الجن على الإنسان إلى حد ركوب الإنسان، والدخول في جسده، والتصرف فيه، فالإنسان أكرم عند الله من ذلك، وقد قال القرآن على لسان الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [إبراهيم: ٢٢][٢].

وقد بالغ بعض المعاصرين، حتَّى فتحوا «عيادات» للعلاج بالقرآن، وهو ما لم يفعله الصحابة ولا التابعون ولا المسلمون في خير القرون. بل اتجهوا إلى الطب القائم على السنن والأسباب، حتَّى روي أنَّ رجلًا جاء يشكو إلى النبيِّ ﷺ، فدلَّه على الحارث بن كِلْدَةَ الطبيبِ الثقفي المشهور[٣].

ولا غرو أن ارتفع صرح علم الطب في حضارة الإسلام، وتفنن فيه المسلمون علمًا وعملًا، وصنَّفوا فيه كتبًا كانت مراجع للعالَم كلِّه عدة قرون.

وقد علَّمنا الإمام البنَّا رضي الله عنه في أصوله العشرين أنَّ كلَّ أحدٍ يؤخذ من كلامه ويُتْرَك، إلَّا المعصوم ﷺ[٤].

---

(١) وقد سبقت مقدمتي لكتابه صـ٣٥.

(٢) راجع: فتاوى معاصرة (٦٩٦/٤)، نشر دار القلم، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

(٣) إشارة إلى الحديث: «إنَّك رجل مفؤود، ائت الحارثَ بن كِلْدة أخا ثقيف؛ فإنَّه رجل يتطبَّب». رواه أبي داود في الطب (٣٨٧٥)، وقال الضياء في المختارة (١٠٥٠)، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٨٣٤)، عن سعد بن أبي وقَّاص.

(٤) رسالة التعاليم ضمن مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا صـ ٢٥٧.

QaradawiBooks.com

ولا يَسَعُني إلَّا أن أقول لتلميذي وسكرتيري الخاصِّ الشيخ عصام: شــكر الله لك جهدك وعملك المتميِّز في خدمة هذا التــراث المبارك، وتقديمه للمســلمين في صورة مشــرقة، وجزاك خيرًا عمَّا قدَّمته للأُمَّة وللإمام، وللعلم والإسلام.

ونفع الله به كلَّ من قرأه ونشره، وعمَّم النفع به، ونفعنا معهم.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة شوال ١٤٢٢هـ

الموافق ينـاير ٢٠٠٢م

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

في السُّنَّة النبويَّة

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة «تكملة فتح المُلْهِم بشرح صحيح مسلم بن الحجَّاج القُشَيْري»

للشيخ مُحمَّد تقي العثماني[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيِّدنا وإمامنا مُحمَّد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(أمَّا بعد)

فإنَّ السُّنَّة النبويَّة المشرفة هي المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن الكريم، وهي البيان النظري، والتطبيق العملي لكتاب الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقد هيَّأ الله ﷻ لهذه السُّنَّة المطهَّرة في كلِّ عصر وفي كلِّ مصر رجالًا يخدمونها بأنواعٍ شتَّى من الخدمة: جمعًا لها، وذبًّا عنها، وردًّا للمفتريات عليها، ودفعًا للشبهات عنها، وتصنيفًا لكتبها، وتعريفًا برواتها، وتمحيصًا لأسانيدها، وشرحًا لمتونها، ونشرًا لدعوتها، وتبليغًا لرسالتها، وتعليمًا لحقائق عقائدها، وأسرار شرائعها، ومكارم أخلاقها، ومحاسن آدابها.

(١) نشر مكتبة دار العلوم، كراتشي، ط ٤، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وقد كان لعلماء شبه القارَّة الهنديَّة، الَّتي تشمل اليوم: الهند وباكستان وبنجلاديش نصيب وافر من خدمة السُّنَّة: تحقيقًا وتخريجًا وتعليقًا وشرحًا ونشرًا.

وما زال العالم الإسلامي في مشرقه ومغربه ينتفع بالمصادر والكتب الحديثيَّة الَّتي نشرت أوَّل ما نشرت على يد علماء الهند، في حَيْدَر آباد وغيرها، وقد صُوِّرت بعد ذلك في بلاد شتَّى طِبْقَ الأصل الهندي.

وكان لهؤلاء العلماء الأجلَّاء في مجال الشرح والتعليق لكتب السُّنَّة المعروفة والمتداولة سهمٌ وافر، ونصيبٌ مرموق، وخصوصًا الكتب الستَّة والموطأ، ومِشكاة المصابيح، وغيرها.

وقد نوَّه الداعية الإسلامي الكبير العلَّامة أبو الحسن عليٌّ الحَسَني النَّدْوي ـ أمدَّ الله في عمره في خدمة الإسلام[1] ـ ببعض ما قام به علماء الهند الكبرى في خدمة السُّنَّة وشرحها، في تقديمه لكتاب «بذل المجهود في حلِّ أبي داود» للعلَّامة المُحدِّث الكبير الشيخ خليل أحمد السَّهَارَنْفُوري[2]، ولكتاب «أوجز المسالك إلى موطأ مالك» للعلَّامة شيخ الحديث مولانا مُحمَّد زكريَّا الكَانْدَهْلَوِي، فأغنانا حفظه الله، بهذا التقديم الجامع النافع عن التنبيه على ذلك أو التذكير به.

ومن المعلوم المقرر لدى علماء الأُمَّة أنَّ صحيحي البخاري ومسلم هما أعظم كتب السنة، وأصح كتب الإسلام بعد القرآن، ولكل منهما مزاياه وخصائصه، كما يعرف ذلك أهل العلم بالحديث.

---

(١) توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في ٢٣ رمضان ١٤٢٠هـ الموافق ٣١ ديسمبر ١٩٩٩م.

(٢) نشر مطبعة ندوة العلماء، لكهنو، الهند ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

ولكنَّ صحيح البخاري حظي من عناية العلماء بالشرح والتحليل والاستنباط أكثر ممَّا لقيه صحيح مسلم قديمًا وحديثًا.

ومن قرأ كتابًا مثل «كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون»، وجد شروح البخاري أضعاف شروح مسلم.

ولعلماء الهند في شرح البخاري: «عون الباري»، للملك العالم صِدِّيق حسن خان، و«فيض الباري» لمحدث عصره الفقيه العلامة الشيخ أنور الكَشْمِيري، و«لامع الدَّرَارِي» للفقيه المُحَدِّث الشيخ رشيد أحمد الكَنْكُوهي.

ولهم في شرح مسلم «السِّرَاج الوهَّاج» لصاحب «عون الباري»، ثمَّ هذا الشرح المُسمَّى «فتح المُلْهِم بشرح صحيح الإمام مسلم» للعلَّامة المُحَدِّث الفقيه مولانا شَبِّير أحمد العُثْماني، الَّذي قدر الله أن يوافيه الأجل قبل أن يكمله، وإنَّما بلغ إلى آخر كتاب النكاح.

وقد ادَّخر القدر فضل إكماله وإتمامه إن شاء الله لعالم جليل من أسرة علم وفضل، ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ ﴾ [آل عمران: ٣٤]، هو الفقيه ابن الفقيه، صديقنا العلَّامة الشيخ مُحمَّد تَقِي العُثماني، ابن الفقيه العلَّامة المفتي مولانا مُحمَّد شفيع، رحمه الله وأجزل مثوبته، وتقبله في الصالحين.

وقد أتاحت لي الأقدار أن أتعرف عن كثب على الأخ الفاضل الشيخ مُحمَّد تقي، فقد التقيته في بعض جلسات الهيئة العليا للفتوى والرقابة الشرعيَّة للمصارف الإسلاميَّة. ثمَّ في جلسات مجمع الفقه الإسلامي العالمي، وهو يمثل فيه دولة باكستان، ثمَّ عرفته أكثر فأكثر حين سعدت به معي عضوًا في الهيئة الشرعيَّة لمصرف فيصل الإسلامي بالبحرين، والَّذي له فروع عدة في باكستان.

QaradawiBooks.com

وقد لمست فيه عقليَّة الفقيه المطلع على المصادر، المتمكن من النظر والاستنباط، القادر على الاختيار والترجيح، والواعي لما يدور حوله من أفكار ومشكلات أنتجها هذا العصر، الحريص على أن تسود شريعة الإسلام، وتحكم في ديار المسلمين.

ولا ريب في أن هذه الخصائص تجلت في شرحه لصحيح مسلم، وبعبارة أخرى: في تكملته لـ «فتح الملهم»، فقد وجدت في هذا الشرح: حِسَّ المُحَدِّث، وملكة الفقيه، وعقليَّة المعلم، وأناة القاضي، ورؤية العالم المعاصر، جنبًا إلى جنب.

وممَّا يُذْكَر له هنا: أنَّه لم يلتزم بأن يسير على نفس طريقة شيخه العلَّامة شبير أحمد، كما نصحه بذلك بعض أحبابه، وذلك لوجوه وجيهة ذكرها في مقدمته.

ولا ريب في أنَّ لكل شيخ طريقته وأسلوبه الخاص، الَّذي يتأثر بمكانه، وزمانه، وثقافته، وتيارات الحياة من حوله. ومن التكلف الَّذي لا يحمد محاولة العالم أن يكون نسخة من غيره، وقد خلقه الله مستقلًّا.

لقد رأيت شروحًا عدة لصحيح مسلم، قديمة وحديثة، ولكن هذا الشرح للعلَّامة مُحمَّد تقي هو أولاها بالتنويه، وأوفاها بالفوائد والفرائد، وأحقُّها بأن يكون هو (شرح العصر) للصحيح الثاني، فهو موسوعة بحق، تتضمن بحوثًا وتحقيقات حديثيَّة، وفقهيَّة، ودعويَّة، وتربويَّة.

وقد هيَّأت له معرفته بأكثر من لغة، ومنها الإنجليزية، وكذلك قراءاته لثقافة العصر، واطلاعه على كثير من تياراته الفكريَّة، أن يعقد مقارنات شتَّى بين أحكام الإسلام وتعاليمه من ناحية، وبين الديانات والفلسفات

QaradawiBooks.com

والنظريات المخالفة من ناحية أخرى، وأن يبين أصالة الإسلام وتميزه، كما فعل في مقدمة كتاب الطلاق[١].

ومثل ذلك حديثه في مقدمة كتاب العتق عن «الرقّ في الإسلام»[٢]، وحديثه عن «الاقتصاد في الإسلام» في مقدمة كتاب البيوع، وبيان فضل هذا الاقتصاد، وحقيقة الثروة والمِلْكِيَّة، ونقد الرأسماليَّة والاشتراكيَّة، إلخ[٣].

ومن ذلك حديثه عن «مسألة مِلكيَّة الأرض»[٤]، وهو يشرح حديث جابر: «**مَن كانت له فَضلُ أرضٍ فليَزرَعها، أو ليمنحها أخاه، فإن أبى فليُمسِك أرضه**»[٥]. وردُّه على بعض المستغربين، الَّذين يتعسَّفون في الاستدلال بمجملات القرآن، على منع مِلْكيَّة الأرض[٦].

ونحو ذلك حديثه في باب الحوالة عن الأوراق الماليَّة الرائجة والكمبيالات والشيك المصرفي والعُملة الورقيَّة، وما إلى ذلك[٧]. وأمثال ذلك كثير في كتبٍ وأبوابٍ شتَّى.

وممَّا يُذْكَر لصاحب «التكملة» هنا بالثناء والتقدير: حرصه على نقل المذاهب والأقوال بأمانة، وعرضها بأدلَّتها بإنصاف، وترجيحه ما يوجبه الدليل منها، وإن كان غير المذهب الحنفي، الَّذي هو مذهبه

(١) انظر: (١/١٢٠ ـ ١٣٤).
(٢) (١/٢٦٣ ـ ٢٧٢).
(٣) انظر: (١/٣٠٠ ـ ٣١٣).
(٤) انظر: حديث رقم (٣٨٠٠) صـ ٤٤٥.
(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٦٣٢)، ومسلم في البيوع (١٥٣٦).
(٦) انظر: (١/٤٤٥ ـ ٤٥٢).
(٧) انظر: (١/٥١٤ ـ ٥٢٠).

QaradawiBooks.com

ومذهب أسرته وأهل بلده، والَّذي نشأ عليه وتعمَّق في الاطِّلاع عليه أصولًا وفروعًا.

كما في تعليقه على ثبوت خيار الردِّ للمشتري في حديث «المُصَرَّاة»، وأن صدره لا ينشرح بأنَّه لم يكن شرعًا عامًّا، وأنَّه لا مخالفة فيه للأصول الصحيحة، وما قاله الحنفيَّة في تقسيم اللبن إلى ما كان وقت العقد وما حدث بعده، لا يبدو كافيًا في صرف الحديث عن ظاهره[١].

ومن ذلك ترجيحه مذهب الصاحِبَيْن والجمهور من وجوب القِصاص بالقتل بالمُثَقَّل في زماننا الَّذي كثر فيه القتل.

ونحو ذلك ترجيحه ثبوت أحاديث القضاء بشاهدٍ ويمين، وحملها على أحوال العذر الَّتي لا يتيَّسر فيها الحصول على نصاب الشهادة، الَّذي أرشدت إليه آية سورة البقرة: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٨٢][٢].

وتأييده لفتوى المتأخِّرين من علماء الحنفيَّة بالأخذ بقول الشافعيَّة في مسألة الظفر المعروفة[٣]، ونقل عن الحموي شارح «الكنز»، وعن صاحب «الدر المختار»، وعن ابن عابدين ما يدلُّ على ذلك[٤]. إلى غير ذلك من الأمثلة.

ولا أنكر أن هذه الأمثلة ليست كثيرة في الكتاب، ولكنَّها موجودة، وهي بالنسبة لمن يعرف المدرسة الهنديَّة، ومدى تمسُّكها

(١) انظر: (٣٤٥/١).

(٢) انظر: (٥٦٤/٢ ـ ٥٦٥).

(٣) أي ظفر الدائن بشيء من مال المديون المماطل.

(٤) انظر: (٥٨٠/٢ ـ ٥٨١).

QaradawiBooks.com

بالمذهب الحنفي، والمبالغة في تأييده والانتصار له، لها قيمتها ودلالتها على إنصاف صاحبها، وتحرُّره من غلوِّ العصبيَّة المذهبيَّة إلى حدٍّ كبير.

وممَّا أعجبني هنا نقله عن والده العلامة مُحمَّد شفيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تلك الكلمة المخلصة المضيئة بنور الحقِّ، حيث قال لجماعة من الطلاب: لا بأس أن تكونوا حنفيَّة في مذهبكم الفقهي، ولكن إيَّاكم أن تتكلَّفوا جعل الحديث النبوي حنفيًّا! فما أصدقها من نصيحة، وما أبلغها من كلمة!

إنَّ الكتاب حافل بالعلم، ثريٌّ بالتحقيق، يلمس قارئه جهدًا صادقًا مضنيًا، بذله صاحبه غير ضنين به، ولا متثاقل عنه، كلُّ ذلك بأسلوبٍ بَيِّن، وبُعْد عن الإلغاز والتعقيد. فجاء بحمد الله وتوفيقه جامعًا بين الأصالة والمعاصرة، محققًا لآمال كثير من طلاب العلم، وعشاق السُّنَّة، ومحبي الفقه.

قد أخالف المُصَنِّف حفظه الله في بعض ما ذهب إليه أو اختاره ورجَّحه من أحكام وآراء، وهذا أمرٌ طبيعي؛ نظرًا لاختلاف البيئة الَّتي نشأ فيها كلانا، بمُؤثِّراتها الفكريَّة والنفسيَّة والاجتماعيَّة، والإنسان ـ وإن بلغ من العلم ما بلغ ـ ابن زمانه ومكانه وثقافته، وهذه سُنَّة الله في البشر. ولكن لا يملك المرء مع هذا الاختلاف ـ وهو قليل ـ إلَّا أنَّه يحترم علم المؤلِّف ورأيه، ويُقَدِّر اجتهاده وإخلاصه، ويُثْني على حرصه على طلب الحق والبحث عنه بكل ما يستطيع.

وقد اقترحت عليه حين يطبع الكتاب كله من جديد أن يضيف من (كيسه) حواشي وتعليقات على شرح العلَّامة شبير، تقرب القسم الأوَّل

QaradawiBooks.com

من الكتاب بالقسم الأخير منه، كما أودُّ ضبط متون الأحاديث من «صحيح مسلم» بالشكل، مساعدة للقارئ على قراءتها قراءةً صحيحة.

شكر الله لصديقنا العلَّامة، وجزاه عن العلم والفقه والسُّنَّة خير ما يجزي به العلماء الصادقين، وجعلنا وإيَّاه من الَّذين يعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيُقبلون.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة جمادى الأولى ١٤١٢هـ

الموافق نوفمبر ١٩٩١م

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «ردُّ الحديث من جهة المتن: دراسة في مناهج المُحَدِّثين والأصوليِّين»

للدكتور معتزّ الخطيب[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(أمَّا بعد)

وجاءني بعدها مع الأستاذ توفيق غانم المدير العامِّ لموقع «إسلام أون لاين. نت» ـ الَّذي يعمل فيه ـ لأتعرَّف عليه، فإذا هو شابٌّ حديثُ السِّنِّ، لم أكن أتوقَّعه في مثل سِنِّه، فدلَّ على نُضْجه المُبَكِّر، وأنَّه قارئٌ يُحْسِن القراءة، ويستفيد ممَّا يقرأ.

ثمَّ ازددتُ تعرُّفًا عليه في مناسبات شتَّى، وتوسَّمْت فيه القدرة على إعداد برنامج «الشريعة والحياة»، الَّذي أقدمه بقناة الجزيرة من أوَّل إنشائها، فرشحتُه لهم، وأجروا له بعض التجارب، فنجح، وأصبح من يومها هو المُعِدَّ الدائم للبرنامج، وقد قدَّم مئات الحلقات في شتَّى جوانب الحياة، الَّتي تُوَجِّهها الشريعة.

(١) عرفت الأخ الحبيب والشابَّ النابه مُعْتَزًّا الخطيب قبل أن أراه، وذلك حين شارك بالكتابة حول انتقاداتي لأفكار الشهيد سيِّد قُطْب، في مُذَكِّراتي «ابن القرية والكُتَّاب»، وبخاصَّة ما كان حول تكفير المجتمع، وقد أُعْجِبْتُ بتعليقه، وأثنيتُ عليه، وعلى ما تضمَّنه من علمٍ ووعيٍ، دون أن أعرف ما هو؟ ومن هو؟

QaradawiBooks.com

ولقد زاد إعجابي بمُعْتَزِّ الخطيب حين عرفتُ أن تخصُّصه في الحديث وعلومه. والسمت العامُّ للمشتغلين بالحديث هو «النزعة الظاهريَّة»، والميل إلى الحرفيَّة في فهم النصوص، وعدم التركيز على المقاصد والكُلِّيَّات، على حين يتمتَّع معتزٌّ بعقلانيَّة مُسْتَنِيرة، مُتَنَوِّعة الثقافة، قادرة على النقد، مُسْتَعِدَّة للتساؤل عن كلِّ شيء، حتَّى ليكادُ يَعُدُّه من لا يعرفه في الليبراليِّين أو العِلْمانيِّين، ولكن إذا سبرتَ غَوْرَه وجدتَه من الملتزمين بالإسلام.

والواقع أنَّ معتَزًّا ـ إن كان لا بدَّ من تصنيفه ـ هو أقرب إلى «مدرسة الرأي» منه إلى «مدرسة الحديث والأثر»، وقد كانت المدرستان متمايزتين، وخصوصًا في أوَّل الأمر، ممَّا جعل كثيرًا من الأثريِّين يُهاجمون فقهاء العراق، وخصوصًا أبا حنيفة الَّذي شنُّوا عليه غارة شعواء، حتَّى كادوا يُخْرِجونه من الإسلام.

ومن قرأ كتابًا مثل كتاب «السُّنَّة» لعبد الله ابن الإمام أحمد، وما جمع فيه من طعونٍ وتجريحٍ لأبي حنيفة، ترتعد منها الفرائص، وما نقله بعده الإمام أبو بكر الخطيب البغدادي في موسوعته التاريخيَّة «تاريخ بغداد»، وما أورده في ترجمة أبي حنيفة من أقاويل جعلت علَّامة الأتراك وكيل المشيخة الإسلاميَّة الشيخ مُحمَّد زاهد الكوثري رَحِمَهُ اللَّهُ، ينتهض ليردَّ على الخطيب برسالته الشهيرة «تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب»! وهو ما جعل أحد علماء الحديث يردُّ على الكوثري بكتابٍ كبير، وهو العلامة الشيخ عبد الرحمن المعلِّمي اليَمَاني، وقد سمَّى كتابه «التنكيل لما ساقه الكوثري من الأباطيل».

QaradawiBooks.com

وأعتقد أنَّ كلا من الكتابين قد تجاوز أدبَ الحوار، ودخلت في المعركة عناصر لم تكن ضروريَّة، ذهبت بكلٍّ من الطَّرَفَيْن بعيدًا، وأشدُّ هذه العناصر هو: «العصبيَّة المذهبيَّة»، الَّتي قال عنها العلَّامة مصطفى الزرقا: إنَّها سجنٌ ضَيِّق مُظْلِم في جنَّة الشريعة الفيحاء!

والحقيقة أنَّ المدرستَيْن «الرأي والحديث» قد تقاربتا إلى حدٍّ كبير، بعد أن لَقِيَ الصاحبان[1] الإمامان أبو يوسف ومحمَّد الإمام مالكًا، وروى مُحمَّد «الموطَّأ» عنه، وبعد أن اقترب مالك من أصحاب الرأي بقوله بالمصالح المُرْسَلَة، وعمل أهل المدينة، وتخصيصه النصوص بمُخَصَّصات شتَّى! حتَّى قيل: لولا مالكٌ لضاقت المسالك. وحتَّى قال الإمام مُحمَّد أبو زهرة في كتابه عن «مالك»: إنَّه من أئمَّة الرأي[2]. وهو مُحِقٌّ في ذلك. ولذا أنصف من اعتبره من «فقهاء أهل الحديث» بل هو إمامهم.

وأعتقد أنَّ هذه المدرسة ـ مدرسة فقهاء الحديث الَّتي يُمَثِّلها مثل: عزُّ الدين بن عبد السلام، وابن دَقِيق العِيد، وابن تيمية وابن القيِّم، وابن كثير، وأمثالهم ـ هي المدرسة الَّتي تُمَثِّل «الوسطيَّة الإسلاميَّة»، الَّتي تفهم النصوص الجزئيَّة في ضوء المقاصد الكُلِّيَّة، ولا تقيم معركة بين السُّنَّة والقرآن، ولا بين صحيح النقل وصريح العقل، ولا بين الحديث والفقه وأصوله، بل تقيم منهجًا متكاملًا ومتوازنًا يجمع أفضل

(١) علماء الحنفية يقولون عن أبي حنيفة وأبي يوسف: الشيخان. وعن أبي يوسف ومحمد: الصاحبان. وعن أبي حنيفة ومحمد: الطرفان.

(٢) مالك حياته وعصره وآراؤه وفقهه للإمام محمد أبي زهرة صـ ٢٧٢ ـ ٢٨١، نشر دار الفكر العربي، القاهرة.

QaradawiBooks.com

ما عند المدرستين. وهذا ما انتهجه شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته، وقد دافع عن الأئمَّة المتبوعين المقبولين عند جمهور الأُمَّة، وفي مُقَدِّمتهم أبو حنيفة، وذلك في كتابه الشهير «رفع المَلَام عن الأئمَّة الأعلام».

ولكنَّ كثيرًا ممَّن يدعي الانتماء إلى مدرسة ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيِّم، لا ينهجون هذا النهج، ولا يحملون هذه الروح. ولا غرو أن أطلقت عليهم في بعض الأحيان: مصطلح «الظاهريَّة الجدد». أعني أنَّهم يتمسكون بجمود الظاهريَّة، ورفضهم القياس، وعدم تعليلهم للأحكام، وعدم اعتبارهم للمصالح أو المقاصد، واعتقادهم أنَّ الشريعة تفرق بين المتساوين، وتسوي بين المختلفين. هذا مع ما تتميَّز به الظاهريَّة من التبحُّر في العلم، والموسوعيَّة في الحديث والآثار.

وهم الَّذين رد عليهم شيخنا الشيخ مُحمَّد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في كتابه الَّذي أحدث ضجة فكريَّة كبيرة عند ظهوره، وهو الَّذي سمَّاه «السُّنَّة بين أهل الفقه وأهل الحديث»، والَّذي ردَّ فيه قليلًا من الأحاديث ثبتت في الصحيحين أو أحدهما، مثل حديث: «**لولا بنو إسرائيل لم يَخنَز اللَّحْمُ، ولولا حواءُ لم تخُنْ أنثى زَوْجَها الدَّهْرَ**»[1].

ومن حقِّه أن يرُدَّ هذا الحديث بشِقَّيْه، فاللحم يَخْنَز ـ أي يتغيَّر ويُنْتِن ـ وَفْق السنن الإلٰهيَّة، قبل بني إسرائيل وبعدهم، وحواء لم تخُن زوجها، كما نستبين ذلك من القرآن.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٩٩)، ومسلم في الرضاع (١٤٧٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقد غضب على الغزالي كثيرون، صوَّبوا إليه سهامهم، واتَّهموه بمعاداة السُّنَّة، وهي تهمة باطلة يقينًا، فقد ردَّ الرجل على أعداء السُّنَّة بمنطقه القوي، وقلمه البليغ في أكثر من كتابٍ له.

ولكن المشكلة تكمن في عمليَّة مشروعيَّة «نقد متون الأحاديث»، وفق الضوابط والقواعد، ولا سيَّما الأحاديث الَّتي لم تصل إلى درجة القطع، أعني أحاديث الآحاد.

وقد شاركت الشيخ الغزالي في بعض انتقاداته، وانتقدت المحدث الكبير الشيخ ناصر الدين الألباني في بعض تصحيحاته ـ أو تضعيفاته ـ للحديث، ولا سيَّما التصحيح والتحسين.

فهو يُصَحِّح حديث: «**الوائدةُ والموؤدةُ في النَّار**»[1]. الَّذي رواه أبو داود، وهو معارض لصريح القرآن، الَّذي قال بكل صراحة: ﴿**وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ**﴾ [التكوير: ٨، ٩].

وهو يُحَسِّن عدَّة أحاديث تقول: «**ألبانُ البقر دواءٌ، ولحومُها داءٌ**»[2]. فكيف تكون داء، وقد أباحها الله في كتابه باعتبارها من بهيمة الأنعام، وشرع ذبحها في الأضاحي، والهدي في الحج والعمرة؟ وهي مصدر عالمي للغذاء «البروتيني»؟

ولقد نبهت من قديم في عدد من كتبي إلى ضرورة (الوصل بين الفقه والحديث)، إذا أردنا أن نُحيِي اجتهادًا قويمًا. فقد انقطعت الصلة بين العلمين في عصور التراجع الحضاري والثقافي لأمتنا، وأصبح الَّذين

(١) رواه أبو داود في السنة (٤٧١٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧١٤٢)، عن ابن مسعود.
(٢) رواه الطبراني (٤٢/٢٥)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٥٣٣)، عن مليكة بنت عمرو.

QaradawiBooks.com

يشتغلون بالحديث وحده شبه أُمِيِّين في الفقه وأصوله، كما أصبح الَّذين يشتغلون بالفقه وحده شبه أُمِيِّين في علوم الحديث ورجاله، وكثيرًا ما يستدلُّون بالحديث الضعيف والمنكر، بل الموضوع، وما لا أصل له. حتَّى اشتهر قول بعضهم: هذا من حديث الفقهاء!

وأحيانًا يَرُدُّون الحديث الصحيح، وهذا غاية الخلل والاضطراب: أن نحتجَّ بالضعيف، بل الموضوع، وأن نَرُدَّ الصحيح المتَّفق عليه. والشكوى من انفصال الفقه عن الحديث قديمة، والشعور بالحاجة إلى الجمع بينهما أصيل في تراثنا.

ومن هنا وجدنا من علماء السلف من ينكر انفصال العِلْمَين، ويرونه من «الفصام النكد» كما عبر سيِّد قُطْب رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال بعضهم: كان سفيان الثَّوْري وابن عُيَيْنة وعبد الله بن سنان يقولون: لو كان أحدنا قاضيًا لضربنا بالجريد فقيهًا لا يتعلَّم الحديث، ومُحَدِّثًا لا يتعلَّم الفقه[1].

ولهذا رأينا الأزهر في تنظيمه الحديث، الَّذي قسم فيه الدراسة الجامعيَّة إلى كُلِّيَّات ثلاث: أصول الدِّين، والشريعة، واللغة العربيَّة، حاول أن يجعل في كُلِّيَّة الشريعة: دراسة الفقه المذهبي والمقارن، وأصول الفقه، وتاريخه، كما يدرس آيات الأحكام وأحاديث الأحكام. دلالة على ما قلناه من ضرورة الاتصال بين الثقافة الفقهيَّة، والثقافة الحديثيَّة.

(١) نقله الكتاني في مقدِّمة نظم المتناثر في الحديث المتواتر صـ ٦، تحقيق شرف حجازي، نشر دار الكتب السلفية، مصر، ط ٢.

QaradawiBooks.com

وما يدرس في الكُلِّيَّات لا يكفي لإعداد مجتهد، ولكن حسْبُنا هنا وضع الأسس، وقد قال حكيم: المدرسة أو الجامعة تعطيك مفاتيح العلم، أمَّا العلم نفسه ففي المكتبة!

وقد بدأت الدراسات العليا في كُلِّيَّة الشريعة بالأزهر من قديم في شعبة أصول الفقه تركز على (أصل السُّنَّة)، وهي شقيقة القرآن وبيانه، فكتب العلامة عبد الغني عبد الخالق من مصر رسالة عن «حجيَّة السُّنة»، وكتب العلَّامة مصطفي السباعي من سوريا رسالة عن «السُّنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي»، ردَّ فيها على المستشرقين، وعلى أحمد أمين، وعلى أبي ريَّة وأمثالهما.

لهذا كان أخونا الدكتور معتزٌّ الخطيب موفَّقًا، حين اختار أطروحته حول هذا الموضوع الشائك «ردُّ متن الحديث بين المُحَدِّثين والأصوليِّين»، تحت إشراف علَّامة الحديث صديقنا الأستاذ الدكتور: نور الدِّين عِتْر حفظه الله، فلا ريب في أنَّ هذه الدراسة نوعٌ مُهِمٌّ وضروريٌّ من الربط بين المدرسة الحديثيَّة والمدرسة الأصوليَّة أو الفقهيَّة.

ولا شكَّ أنَّ للأصوليِّين سَبْحًا طويلًا حول السُّنَّة باعتبارها الدليل الثاني للتشريع والأحكام بعد القرآن، لا يخالف في هذا مذهب عن مذهب، ولا أهل طريقة عن أهل طريقة أخرى، أي في طريقة التأليف في الأصول بين طريقة الفقهاء، وطريقة المُتكلِّمين، طريقة الحنفيَّة، وطريقة الشافعيَّة ومن وافقهم من المالكيَّة.

واختار د. معتز أن يكون موضوعه «ردّ متن الحديث»، لا مجرَّد نقد متن الحديث، والموضوع دسم، والدراسة فيه مُركَّزة، وتحتاج من

QaradawiBooks.com

الدارس إلى التعمُّق والتدقيق والصبر والمصابرة، حتَّى يفهم ويوازن، ثمَّ يُرَجِّح ويختار.

ومن الباحثين من يعتبر المُحَدِّثين هم الأصل، وإذا نازعهم الأصوليُّون رجَّح جانب المُحَدِّثين، لا لشيء إلَّا أنَّهم أعلم بالحديث من غيرهم. وهذا منهج غير مُسَلَّم لهم من الناحية المنطقيَّة.

فعلم الأصول هو الَّذي ينشئ الأسس، ويضع القواعد اللازمة للاستدلال، وهو الَّذي يضع كل دليل في مرتبته، ويحكم بينها إذا تعارضت، فهو مقدم في الترتيب على علم الفقه، وعلى علم الحديث.

والعمل الَّذي قام به معتزٌّ عملٌ علميٌّ له وزنه وقدره في تجلية موقف كلٍّ من الفريقين المُحَدِّثين والأصوليِّين، ولا سيَّما في هذا الموضوع المهم، وهو: «ردُّ متن الحديث» بين المدرستَيْن.

وقد قام بجهدٍ مشكور في ذلك لا يقدره إلَّا من مارس شيئًا من هذه الدراسات، ولمس الجهد المضني الَّذي يعانيه الباحث المخلص الَّذي يجهد جهده، ويغوص في الأعماق، حتَّى يصل إلى الحقائق، ويُصَفِّيها ويُبْرِزها ناصعة، ويقارن بينها وبين ما يشبهها، أو يضادّها أو يناقضها، ثمَّ يعرض النتيجة على العلماء ليسقيهم ممَّا في بطونها من بين فرثٍ ودمٍ لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين.

لقد كان إبراز موقف المُحَدِّثين وموقف الأصوليِّين من خلال تأصيل الأحكام، وتبيين المواقف، وتحليل الأفكار، وضرب الأمثلة المُتَعَدِّدة للطرفين، ومناقشتها بعقليَّة ناقدة: جهدًا مقدورًا، لا يقوم به إلَّا من وفَّقه الله لخدمة العلم، ونصرة الدين، من الرجال الَّذين أهدى إليهم الباحث

QaradawiBooks.com

كتابه، وهم «الخَلَف العُدُول»، الَّذين ينفون عن علم النبوَّة تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبطِلين، وتأويلَ الجاهلين[١].

والمَيْدَان رحْب، والأمثلة وفيرة، والمناقشات جادَّة، والانتقادات كثيرًا ما تكون حادَّة، ولكنَّها علميَّة ونافعة، سواء كانت من المُحَدِّثين أم من الأصوليِّين، ولا يتَّسع المجال لذكر القليل منها.

وممَّا يزيد من قيمتها أنَّه يعتمد على الكتب الأصليَّة، وعلى كتب المُتَقَدِّمين، ولا يكتفي بالمُتَأخِّرين، ولا يكتفي بكتابٍ واحد، أو مصدرٍ واحد، أو مدرسةٍ واحدة. ومن قارن بين بحث مُعْتَزٍّ وبحوثٍ معاصرة قريبة من موضوعه لاح له الفرق الشاسع بجلاء.

النظر في مقاييس الردِّ عند المُحَدِّثين والأصوليِّين:

وقد تحدَّث الباحث في الفصل الثاني «مقاييس ردِّ الحديث من جهة المتن عند المُحَدِّثين»، وأورد فيه ستَّة مباحث هي:

المبحث الأوَّل: التعليل بالتفرُّد.

المبحث الثاني: التعليل بالزيادة.

---

(١) جزء من حديث رواه ابن وضاح في البدع (١)، والبيهقي في الشهادات (٢٠٩/١٠)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٨). عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري. والحديث ذكره الإمام ابن القيم وقوَّاه لتعدُّد طرقه في مفتاح دار السعادة (١٦٣/١، ١٦٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. وكذلك العلَّامة ابن الوزير الذي استظهر صحته أو حُسْنه، لكثرة طرقه مع ما نقل من تصحيح الإمام أحمد له، والحافظ ابن عبد البر، وترجيح العقيلي لإسناده، مع سعة اطلاعهم وأمانتهم، فهذا يقتضي التمسك به. انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير (٢١/١ ـ ٢٣)، نشر دار المعرفة، بيروت.
وانظر كلامنا عن هذا الحديث في كتابنا: كيف نتعامل مع السُّنَّة النبويَّة صـ ٣٦ ـ ٤١، نشر دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

المبحث الثالث: التعليل بالمخالفة.

المبحث الرابع: التعليل بالاختلاف.

المبحث الخامس: التعليل بالغلط.

المبحث السادس: مقاييس أخرى.

كما أورد في الفصل الثالث «مقاييس رد الحديث عند الأصوليِّين»، قال: وفيه مدخل ضروري، وثمانية مباحث هي:

المبحث الأوَّل: مخالفة الحديث للعقل.

المبحث الثاني: مخالفة الحديث للقرآن.

المبحث الثالث: مخالفة السُّـنَّة المشهورة.

المبحث الرابع: مخالفة الإجماع.

المبحث الخامس: الانفراد بما جرت العادة على نقله تواترًا.

المبحث السادس: ورود الخبر في عموم البلوى.

المبحث السابع: مخالفة الحديث للقياس أو قياس الأصول.

المبحث الثامن: مخالفة الحديث للعمل المتوارث.

وفصل في هذين الفصلين الكبيرين الحديث عن معنى «المقياس»، وناقش بعض المعاصرين وكتاباتهم عن المقياس، وضرب أمثلة وفيرة، وناقش مفردات هذه المسائل مناقشـــة طويلة ومُعَمَّقة، بحيث لا أستطيع أن أنقل للقارئ شـــيئًا منها، إلَّا أن يكون طويلًا لا يليق بمُقَدَّمة؛ وذلك لترابط الكلام، واتِّصال بَعْضِه ببعضٍ.

QaradawiBooks.com

الحقيقة أنَّ هذه الدراسة مُرَكَّزة ودسمة ومُجْهِدة، وتستحقُّ أن تعرض منها على القارئ نماذجَ ونماذج، ومن هنا أنصح القارئ الكريم الَّذي يريد حقًّا أن يستفيد من هذه الدراسة: أن يقرأها على مَهْلٍ، وأن ينهل من معينها حتَّى يرتوي.

خاتمة البحث:

وفي نهاية هذا البحث العميق المُتميِّز، يكتب الباحث خاتمةً له يقول فيها:

«في نهاية هذا التَّطواف العلمي بين مناهج المُحَدِّثين والأصوليِّين في ردِّ متون الحديث النبوي، وبعد بحثِ عِلَل المتون، تتَّضح أهميَّة الدراسات المقارنة الَّتي تجمع بين عِلْمَيْن، بحسَب اختلاف وظيفة كلِّ علم، وما يقع بين العلوم من افتراق وتداخل.

وقد اتَّضح أيضًا بعد هذه الدراسة المستفيضة، أنَّ ردَّ المتون لعلل: أمر مُقَرَّر في الجملة عند المُحَدِّثين والأصوليِّين، وإن اختلفوا في مقاييس ذلك الإعلال وفروعه. وإذا كان البحث قد أثبت أنَّ منهج المحدث يشمل نقد الأسانيد ونقد المتون معًا، وأنَّ التَّوَسُّع في نقد الأسانيد ـ عنده ـ جاء بحكم اختصاصه ووظيفته، فإنَّ البحث أثبت ـ كذلك ـ شمول منهج الأصولي لنقد المتون ومسائل الرواية، وأن توسُّع الأصولي في نقد المتون جاء بحكم طبيعة عمله ووظيفته.

فمنهج المُحَدِّث منبثق عن موضوع علم الحديث نفسه الَّذي يُحَدِّد مجال نظره، وطبيعة وظيفته. فموضوعه هو توثيق الأحاديث والآثار،

QaradawiBooks.com

وتمييز المقبول منها والمردود، وعلى هذا الاعتبار انبنى منهجه النقدي؛ فمدار تقسيمه للحديث على درجات القوَّة والضعف بحسَب توفُّر شروط القبول حتَّى تحصل الثقة بالخبر، ولذلك كانت قرائنه واقعة في حدود ما تتقوَّى به الثقة ممَّا لا تتقوَّى، ويكون ذلك بسَبْر مرويَّات الراوي، وتتَّبُع الطرق والشواهد، وتوافر صفة العدالة الدينيَّة الحاملة على العناية الكاملة، الحاجزة عن وقوع الكذب أو التساهل أو التصرُّف في النقل بما يُخِلُّ بصيغة الضبط الَّتي تُحَقِّق الأداء كما سَمِع.

أمَّا الأصولي فإنَّ له منهجًا كاملًا في انتقاد الحديث، يشكل جزءًا من علم أصول الفقه؛ لأنَّه يتَّصل بصحَّة الدليل ومتى ينهض للاحتجاج وبناء الأحكام. ونظر الأصولي يدور على مسألة القطع والظنِّ وما يتَّصل بهما، وبناء على هذا قسم الأخبار إلى متواتر وآحاد، وما يقطع بصدقه، وما يقطع بكذبه، وما لا يقطع بكونه على واحدٍ من الأمرين، كما مَيَّز بين المَحَالِّ الَّتي يردُ عليها الخبر، ووازن بين الأدلَّة والأخبار، وحصولُ القطع والظنِّ مبنيٌّ على توافر الشروط وتكامل العمليَّة النقديَّة في المُخْبَر عنه والإخبار».

أهم النتائج:

ثمَّ يضع الباحث نصب أعيننا هذه النتائج، ويجليها لنا بوضوحٍ، فيقول:

«١ ـ المقبول أعمُّ من الصحيح، فهو عند المُحَدِّث شاملٌ للصحيح والحسن بنوعيهما، أمَّا عند الأصولي فهو ما يجب العمل به، ولذلك هو ينشغل بالمعاني التشريعيَّة، ويقايس الأخبار بأصول الشريعة.

QaradawiBooks.com

٢ ـ النقد الحديثي ليس أجنبيًّا عن الأصولي، فهو من أهله ولصيق بفنِّه، ولكنَّ اختصاص الأصولي يتَّضح من خلال قِسْمَتِه للحديث إلى متواترٍ وآحاد، ثمَّ من خلال بحثه مسائل الاحتجاج بخبر الواحد وشروطه. والمنهج النقدي عند الأصولي يقوم على ثلاثة أركان: الراوي، والمرويّ، والرواية. أو المُخْبِر والمُخبَر عنه، والإخبار، ولكلٍّ ركن شروطه.

٣ ـ صفات القَبول عند الأصوليِّين والفقهاء اختلفت قليلًا عمَّا لدى المُحَدِّثين، وإن حصل الوفاق بينهما في أصل اشتراط العدالة والضبط، واختلاف المُحَدِّثين والأصوليِّين يكمن في تفاصيل ذلك لا في أصله، وإن كان يقع التداخل أحيانًا بين مذاهب الطرفين، فلا ينهض الخلاف لدرجة القول: إنَّ لكل فريق رأيًا بموازاة الآخر، خلافًا لمن أوهم ذلك ولم يُدَقِّق من المعاصرين.

٤ ـ جوهر الخلاف بين المُحَدِّثين والأصوليِّين يقع في شرطي انتفاء الشذوذ والعِلَّة، والأولى أن يقال: إنَّ كثيرًا من الأصوليِّين والفقهاء لا يشترطون انتفاء الشذوذ والعلَّة كما هما في اصطلاح المُحَدِّثين؛ فإنَّ لكثير من الأصوليِّين عِلَلًا خاصَّة بهم وَفْق منهجهم.

٥ ـ مردُّ الخلاف بين الأصوليِّين والمُحَدِّثين في المردود إلى اختلافهم في أسباب الطعن بالحديث، فجهات الضعف متباينة متعدِّدة، فالفقهاء والأصوليُّون اختصُّوا بأسبابٍ ترجع في الجملة إلى المخالفة في المتون وتندرج ضمن الإخلال بشروط العمل بالخبر، وذلك لمراعاة نظام الشريعة ونصوصها وقواعدها، والمُحَدِّثون اختصُّوا بأسبابٍ أخرى وقرائنَ ترجع في جملتها إلى الأسانيد والرواة أكثر من غيرها.

QaradawiBooks.com

٦ ـ ليس من وظيفة الأصولـــي الطعن والتكذيب وتعيين المخطئين، بل ملاحقة العمل واســتنباط الأحكام، فالردُّ يعني عدم العمل، أو عدم توافر شروط العمل والاحتجاج.

٧ ـ مقاييـــس ردِّ الحديث من جهة المتن عنـــد المُحَدِّث ترجع إلى أصل عامٍّ هو التعليل بمســـالكه المختلفة، وهي خمســـة تكثر، ويضاف إليها ما يقع التعليل به لكن على ضِيق.

٨ ـ مقاييس ردِّ الحديث عند الأصوليِّين تنقســـم إلى ثلاثة أقســـام: الأوَّل: قسم توافقوا عليه، وهذا افترضوه بناء على التصوُّر العقلي وليس بواقع. والثاني: قسم اشترطه الحنفيَّة وبنوا عليه مسائل فقهيَّة. والثالث: قســـم اشـــترطه المالكيَّة. فالـــكلام في هـــذه النتائج وفـــي غيرها على (الأصوليِّين) بالعموم يتنـزل على هذا التحديد.

٩ ـ الاختلاف الواقع في الشروط الزائدة للحديث المقبول، إنَّما هو اختلاف في طريق ثبوت الأخبار، وليس بين من قبل الحديث الصحيح ومن رده، كما توهَّم بعضهم».

والنتائج الَّتي انتهى إليها الباحث وفيرة، ونكتفي بهذا الكمِّ منها.

أهم التوصيات:

ثم ضمـــن الباحـــث الكريم بحثـــه بهـــذه التوصيـــات أو أهم التوصيات، وهي:

«١ ـ ضرورة القيام بأبحاث تاريخيَّة دقيقة في علوم الحديث، تدرس نشـــأة المصطلحات وجذورها وتطورها والاختلاف فـــي مدلولها، عبر مختلف العصور.

QaradawiBooks.com

٢ ـ أهميَّة الدراسات التطبيقيَّة الَّتي من شأنها أن تُخَفِّف من غلواء التنظير الَّذي قد يخالف الواقع التطبيقي في بعض الأحيان.

٣ ـ القيام بالدراسات البينيَّة بين العلوم، أي دراسة الموضوعات الَّتي يشترك فيها عِلْمان أو أكثر من علوم الشريعة، لتوسيع مدارك نظر الباحثين، والوقوف على مساحات التقاطع بين العلوم؛ لأنَّ هذا سينعكس على مزيد من الفهم لحركة العلوم وتطورها، وسيكشف عن طبيعة وظيفة كلِّ علمٍ منها.

٤ ـ ضرورة العودة إلى المصادر التأسيسيَّة لأيِّ علمٍ من العلوم للوقوف على حقيقة مذاهب وأنظار مؤسِّسيه، مع عدم إهمال كتب المتأخِّرين الَّتي لا تخلو من تحرير وفوائد.

٥ ـ تلافي عيوب التأليف النقلي، ومن أبرزها عدم نقل الأقوال بنصِّها، أو اقتطاعها من سياقها، أو الوقوف دون انتهاء مقصود المتكلم منها.

٦ ـ ضرورة الدراسات التحليليَّة النقديَّة الَّتي تُعالج أسباب الاختلاف بين العلماء، على أسسٍ معرفيَّة، تتجاوز الكتابات الَّتي سُمِّيَتْ بأدب الاختلاف، وذلك لأهميَّة التلازم بين الأخلاق والمعرفة في التعامل مع الخلاف.

٧ ـ تَحَرِّي الدقَّة في فهم مناهج العلماء ومذاهبهم، وفي نقلها، وفي مناقشتها، وعدم الاسترواح إلى الترجيح بينها باستخفاف ودون تحصيل مؤهِّلات الترجيح، مع ضرورة الإنصاف في كل ذلك».

QaradawiBooks.com

شكر الله لأخينا معتز الخطيب ما قام به من جهد علمي أصيل يقدره أهل العلم، ويعدونه من «صلب» العلم، كما قال الإمام الشاطبي، لا من ملحه. وهو يقوم على الاستيعاب والمناقشة والموازنة والنقد والاختيار، بعيدا عن التعصب والانحياز، إلَّا للحقيقة العلميَّة الموضوعية الَّتي تظهر بالبحث المحايد الحر، بحيث نتحير في نهاية البحث: من أي المدرستين هو؟ أهو من المحدثين أم من الأصوليِّين؟

ســدَّد الله خطاه، ونفع به. كما جاء في الأثر: اللهمَّ علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا.

غير مرخصة للطباعة

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

الدوحة ٩ رجب ١٤٣١هـ

٢١ يونيو ٢٠١٠م

نسخة مجانية

مقدمة «الذهبي ومنهجه في نقد متن الحديث الشريف»

للدكتور حسن فوزي حسن الصعيدي(١)

حمدًا لله، وصلاةً وسلامًا على رسوله محمد، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فعندنا نحن المسلمين مصدران كبيران للإسلام: مصدر مُؤصِّل، ومصدر مُكَمِّل، أو مصدر يُؤسِّس، ومصدر يُبَيِّن ويشرح، أو مصدر أوَّل، ومصدر ثانٍ، وهما القرآن والسُّنَّة.

فالمصدر الأوَّل هو القرآن الكريم، الَّذي أنزله الله على رسوله مُحمَّد بطريق الوحي الجليِّ، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥].

وهو الَّذي قال الله فيه لرسوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال في ختام سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

---

(١) نشر مكتبة وهبة، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

QaradawiBooks.com

وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والمصدر الثاني هو: السُّنَّة النبويَّة، الَّتي جاء بها مُحمَّد ﷺ، وتتضمَّن البيان النظري للإسلام، والتطبيق العملي له، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وهذه السُّنَّة تشمل: ما صحَّت روايته عن النبيِّ ﷺ من قولٍ، أو فعل، أو تقريرٍ، أو سِيرة، أو صفة خُلُقيَّة أو خلْقِيَّة.

ومن هنا قام علم تفسير القرآن وعلوم القرآن وما يتعلق به في ثقافتنا الإسلاميَّة، كما قامت إلى جوارها علوم السُّنَّة، أو علوم الحديث، نحو تسعين علمًا عدَّها الإمام السيوطي في كتابه «تدريب الراوي في تقريب النواوي».

وعلَّق على كلٍّ من هذه العلوم الشريفة أعداد هائلة من العلماء، زخرت بهم بحار هذه العلوم، وقاموا بها علمًا وعملًا، وبيانًا وشرحًا، وفصَّلوها تفصيلًا في كلِّ أنحاء البلاد، وفي كلِّ ما يحتاج إليه العباد، وكانوا كما جاء في الحديث: «**يحمل هذا العلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُه، ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبطِلين، وتأويلَ الجاهلين**»[1]. وقد قوَّاه ابن القَيِّم.

(١) سبق تخريجه صـ٧١.

QaradawiBooks.com

وقامت في كلِّ أنحاء العالم مدارس ومعاهد، وجوامع وجامعات، وأندية وروابط، لتدريس هذه العلوم وتكميلها وتوضيحها، حتَّى تضخَّمت ونضجت وأثمرت.

وكان من ذلك في مصر، الجامع الأزهر، وما تفرع عنه، وما أضيف إليه من مدارس ودور للعلم بجانبه، من معاهد وكُلِّيَّات وجامعات، فإنَّ لكل منها مكانها ومكانتها، مثل كُلِّيَّة دار العلوم، والجامعات الحديثة، الَّتي كان لها صداها ومداها في خدمة القرآن والسُّنَّة وعلوم الأمة، فلا غرو أن تجد في هذه دراسات وكتبًا وبحوثًا قيمة، نالت حظها من الدرجات العلميَّة الجامعيَّة المعروفة.

والكتاب الَّذي أقدمه اليوم للقراء العرب هو إحدى هذه الدراسات القيمة الَّتي ظهرت من غير الأزهر ودار العلوم وما في معناهما، وإنَّما هو من إحدى كُلِّيَّات الجامعات المدنيَّة، فهو من قسم اللغة العربيَّة، ولا ريب أنَّ بين العربيَّة والإسلام صلة وثيقة.

إنَّه كتاب الدكتور حسن فوزي حسن الصعيدي عن «**الإمام الذهبي ومنهجه في نقد متن الحديث الشريف**».

والحقيقة أنِّي لم أكن أعرف الأخ حسن من قبل، فبُعدي عن مصر من أكثر من نصف قرن، جعلني أجهل الكثير من أبنائها، والكثير ممَّا يصدر عنهم.

صحيح أنَّ مصر ـ حرسها الله ـ تأخَّرت وتدهورت في نواحٍ كثيرة عمليَّة وعلميَّة، شهد بذلك كلُّ العارفين بشؤونها وأحوالها، وكلَّما مرَّت الأيام ازداد الخَسار والدمار عليها، وهذا ما شهد به القاصي والداني.

QaradawiBooks.com

ولكن بين هـذا الـركام، تخـرج أحيانًا أعمـال علميَّة، تُحْسَـب لأصحابها، فما يزال الخير كامنًا في هذه الأُمَّة إلى يوم القيامة، ولا تخلو الأمة خلُوًّا كاملًا من هذا الخير، كيـف والله تعالى يقول: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١]؟

وقال عليُّ بـن أبي طالـب رضي الله عنه: «لا تخلـو الأرضُ مـن قائمٍ لله بحُجَّة»[(١)].

ولهذا على الرغـم ممَّا ينـزل بمصر ويحيق بهـا، لا تزال ترى فيها ما بين حينٍ وآخر، أعمالًا تُسَرُّ بها أنفسنا، وتَقَرُّ بها أعيننا، فضلًا من الله تعالـى علينا، حتَّـى لا تَيْئَـس أبـدًا. ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

جاء الأخ حسن ليعمل في مدارس قطر، أو في مساجدها، وقدم إليَّ ليعمل في مكتبي مع الشـباب العاملين، وقبلته فـي أوَّل الأمر دون أن أعرفه، ثمَّ عرفت أنْ لديه دراسة أطلعني عليها، فأعجبت بها، وعرفت أنَّ الرجل ينبغي أن يعرف قدره، ويبـرز دوره، فلا يجوز لنا أن نغمط جهد أبنائنا وإخواننا الجاهدين الَّذين حفروا الأرض، وبذروها بالبذور الطيِّبة، وسقوها بالماء الطيِّب، وجهدوا عليها جهدهم حتَّى آتت أكلها.

لقد اكتشـفت أنَّ هناك كُلِّيات وجامعات غير شرعيَّة، تعطي درجات عليا في الدراسـات الشـرعيَّة في الحديث كما في رسـالتنا هذه، وفي التفسير، كما عرفت أنَّ كُلِّيَّة الدراسات العربيَّة في جامعة أسيوط أعطت طالبًـا نجيبًا درجـة الدكتوراه فـي التفسـير، وكان موضوع دراسـته:

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧٩/١)، نشـر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

«القرضاوي ومنهجه في التفسير»، كما عرفت أنَّ بعض كُلِّيَّات التربية المدنيَّة أعطت أكثر من ماجستير عن منهج القرضاوي في التربية.

ولقد أعجبني في هذه الدراسة: أنَّها حول شخصيَّة أحبُّها وأُقَدِّرها وأعرف مَقَامها، وهي شخصيَّة الإمام الذهبي، أحد كبار أئمَّة الحديث والتاريخ والنقد الأفذاذ، الَّذين أُعجبت بهم في حياتي، وبنظرتهم الاعتداليَّة، الَّتي تقوم على التوازن والإنصاف مع الموافق والمخالف، وهذا لا يتأتَّى لكلِّ إنسان.

ولقد تتبَّعتُ الإمام الذهبي في كثيرٍ من أحكامه في كتبه، مثل: «ميزان الاعتدال»، و«طبقات الحُفَّاظ»، و«تاريخ الإسلام»، و«سِيَر أعلام النبلاء»، وغيرها من كتبه الكثيرة، في مختلف علوم الحديث، والَّتي لا يستغني عنها باحث، وهي وحدها ركن ركين في المكتبة الإسلاميَّة.

فوجدتُه رَحِمَهُ اللَّهُ لا يَحيد أبدًا عن العدل والنَّصَفة، حتَّى مع الملاحدة وأعداء الدِّين. ومع الظلمة والجبابرة المستكبرين في الأرض، إذا كان لهم من العلم والفكر والأدب والعمل ما يُقَدِّمونه للناس.

انظر إلى قوله عن الحجَّاج، وما اشتهر به من ظلمٍ وقتل، وإيذاء النَّاس وتجبُّر عليهم. فهو لا يُنسي الكثير من الفظائع، ولا يُخفي قليل الإحسان. ففي ترجمة الحجَّاج، ذكر سوء سيرته وظلمه، وتجبُّره وخُبْثه، وسفكه للدماء، وحصاره لابن الزُّبَيْر بالكعبة، ورميه إيَّاها بالمنجنيق، وإذلاله (لأهل الحَرَمَيْن)، وتأخيره للصلاة ثمَّ قال: «نسبُّه ولا نُحِبُّه، بل نُبغضه في الله، فإنَّ ذلك من أوثق عُرَا الإيمان»[1].

(١) سير أعلام النبلاء (٣٤٣/٤)، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

ومع هذا لم ينسَ الذهبي حسناتِ الحجَّاج وإن قلَّت، وذكر أنَّه ذو شجاعة وإقدام، وفصاحة وبلاغة، وتعظيم للقرآن، فقال: «وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله، وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء»[١].

وانظر إلى قوله عن أبي نُوَاس وما اشتُهر به من مجون وخمريَّات: «له أخبار وأشعار رائقة في الغزل والخمور، وحظوة في أيَّام الرشيد والأمين... عفا الله عنه»[٢].

وإلى قوله عن بَشَّار بن بُرْد وما أثر من شَكِّه وارتيابه في الدِّين: «شاعر العصر... بلغ شعره الفائق نحوا من ثلاثة عشر ألف بيت... ومدح الكبراء»[٣].

وإلى قوله عن الجاحظ المعتزلي وإغراقه في الاعتزال، وإلى غيرهم ممَّن يخالفونه في المنهج أو الاعتقاد أو الفقه وأصوله. تجد الرجل آية في الاعتدال والإنصاف، على ما هو شأن البشر، الَّذين لا يبلغ أحدهم الكمال من كل جانب.

ولقد كان علامة الترك الشيخ مُحمَّد زاهد الكوثري وكيل المشيخة الإسلاميَّة في تركيا الَّذي ختم حياته في مصر، بعد أن ألحقت تركيا قسرًا بالركب العلماني، وسيق الشعب بالحديد والنار إلى الحياة اللادينيَّة، وقُتِلَ العلماء، وشُرِّدوا من أجل ذلك، ومنهم الشيخ الفقيه الحنفي المُحَدِّث الكوثري، شيخ صديقنا العلَّامة الفقيه الحنفي الحلبي المُحَدِّث

(١) سير أعلام النبلاء (٣٤٣/٤).
(٢) المصدر السابق (٢٨٠/٩).
(٣) المصدر السابق (٢٤/٧).

QaradawiBooks.com

عبد الفتَّاح أبو غُـدَّة، وقد كان الكوثري يقول عـن الذهبي كلامًا كثيرًا ويتَّهمه بأنَّه لم يكن مُنْصِفًا في تراجمه لمن يخالفونه، ولا مُنْصِفًا في كلِّ تراجمه لمن يُحِبُّونه، ويحاول أن يستدلَّ على ذلك من مُصَنَّفات الإمام الذهبي على خلاف ما عرفه النَّاس به طَوال التاريخ.

وأنا مع إعجابي بالشيخ الكوثري، ضاق صدري بما يقول، وقلتُ لصديقنا وشيخنا أبي غدَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: هل أنت مع شَيْخِك الكوثري في هذا؟

الحقيقة أنِّي أجد نفسي ضدَّه، فالرجل عندي مثالٌ يحتذى في الحديث عن العباقرة والنوابغ، وهو يجتهد أن يُوَفِّيهم حقَّهم، ولا يبخسهم حظهم، وإن أخذ عليهم ما أخذ من شكوك أو سلوكيَّات. قال الشيخ: أنا معك في هذا ولستُ مع شيخي. ولقد تابعتُه في كثيرٍ من الشخصيَّات، فلم أجد أكثر إنصافًا منه، حتَّى مع خصوم فِكْرته، وأعداء جماعته. بل أعداء المسلمين وأهل الدِّين جميعًا.

والحقيقة أنَّ الحافظ ابن حجر رووا عنه أنَّه شرب ماء زمزم، ليصل في معرفة الرجال وحفظهم إلى ما وصل إليه الذهبي، ومع ما وصل إليه ابن حجر من رحاب العلم وأعماقه، لا أعتقد أنَّه وصل إلى ما وصل إليه الذهبي، فقد كان الذهبي مُؤَرِّخ الأُمَّة كلِّها: مُحَدِّثيها، ومُفَسِّريها، وفقهائها على اختلاف مذاهبهم، وأصوليِّيها، ومُتَكَلِّميها، ومُتَصَوِّفيها، ونَحْوِيِّيها، ولُغَوِيِّيها، وسائر طوائفها، إلى ملوكها، وأمرائها، وقُوَّادها.

اختار أخونا وابننا الَّذي نُقَدِّم لـه: «**الذهبي ومنهجه في نقد متن الحديث الشريف**» وهذا أيضًا قَرَّبني إلى الموضوع مرَّة أخرى؛ لأنَّه تعرَّض للحديث من جهة متنه، وهو أحبُّ إليَّ من التعرُّض إلى سنده،

QaradawiBooks.com

وأنَّه كذلك يقترب من الذهبي الناقد لمتن الحديث، ومنهج النقد أحبُّ إليَّ من غيره.

لهذا أُعْجِبْتُ بدراسة الابن حسن، الَّتي قدَّمها إليَّ مطبوعة بالآلة الكاتبة على الورق الكبير، فبلغت (٦٨٧) صفحة. ولكنَّها كلُّها محشوَّة علمًا حقًّا، ينتفع بها كلُّ من قرأها، وكان عنده رغبة في تحصيل العلم واقتناصه حيث وجده.

تناول ابننا حسن في هذه الرسالة ثلاثة أبواب:

وقد جاء الباب الأوَّل في ثلاثة فصول:

يقدم أولها وصفًا لحياة الإمام الذهبي وعصره، وشيوخه، وتلاميذه، ومصنفاته، وإذا كان هذا الفصل غالبًا ما يكون تقليديًّا، لا يكاد الباحث يضيف فيه إلَّا يسيرًا، إلَّا أنَّ الباحث آثر ألا يخلو من بعض الفوائد، حيث فند بعض ما انتحل على الذهبي من المؤلَّفات مثل: «رسالة الذهبي إلى ابن تيمية» تلك الرسالة الَّتي تحمل غلظة في القول، وفظاظة في الوصف، وتنكرًا لشيخه ورفيق دربه، الَّذي اشترك معه في كثير من المواقف.

كيف يقبل العالم المنصف أنَّ الذهبي قد جرى بهذه الرسالة قلمه، وخطها بنانه؟! وهو الَّذي يقول في شيخه وشيخ الإسلام: «فوالله ما مقلت عيني مثله، ولا رأى هو مثل نفسه... فارغًا عن شهوات المأكل والملبس والجماع، لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه»[(١)].

وقد نقل عنه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ ما يبين موقفه من ابن تيمية بوضوح. يقول الذهبي: «ومن خالطه وعرفه فقد يَنْسُبني إلى التقصير فيه،

(١) المعجم المختص بالمحدثين للذهبي صـ ٢٥، تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة، نشر مكتبة الصديق، الطائف، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

ومن نابذه وخالفه فقد يَنْسُبني إلى التغالي فيه، وقد أُوذِيتُ من الفريقين: من أصحابه وأضداده، وأنا لا أعتقد فيه عِصْمة؛ بل أنا مخالفٌ له في مسائلَ أصليَّةٍ وفرعيَّة»[١].

ومع ذلك الاختلاف، فالذهبي يرى في شيخ الإسلام ابن تيمية نموذجًا قلَّما يتكرَّر، ويرى أن مخالفيه إنَّما خالفوه عن هوى.

يقول الذهبي: «فوالله ما رمقت عيني أوسع علمًا ولا أقوى ذكاءً من رجل يقال له: ابن تيمية... وقد تعبت في وزنه، وفتشته حتَّى مللت في سنين متطاولة، فما وجدت قد أخره بين أهل مصر والشام، ومقتته نفوسهم، وازدروا به وكذَّبوه وكفروه، إلَّا الكبر والعجب، وفرط الغرام في رياسة المشيخة، والازدراء بالكبار»[٢].

يُعَلِّق ابننا الباحث فيقول:

«وبعد هذا يظنُّ أن تكون تلك النصيحة الذهبيَّة من تأليف الحافظ الذهبي؟! القلب يأبى هذا، والعقل يرفضه، والشواهد ترُدُّه، وما يتمسَّك به إلَّا من يتَّخذ من هذه الرسالة ذريعة للنيل من الحافظ ابن تيمية، رضي الله عن الأئمَّة الأعلام، وغفر الله للجميع بمَنِّه وكرمه، آمين»[٣].

---

(١) الدرر الكامنة لابن حجر (١/١٧٦)، تحقيق محمد عبد المعيد خان، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط٢، ١٩٧٢م.

(٢) زغل العلم صـ ٣٨، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، نشر مكتبة الصحوة الإسلامية.

(٣) وقد أكَّد د. بشار عواد نسبة هذه الرسالة للذهبي، ولم يعترض عليها، وجعلها ممَّا يؤيد وسطية الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ! في كتابه: الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام صـ ١٤٦، نشر مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م. وانتقدها الأستاذ عبد الستار الشيخ ودلَّل على زيفها وبطلانها في كتابه: الذهبي مؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين صـ ٣٥٠ ـ ٣٥٢، نشر دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، ولا بدَّ من باحث أصيل يفصل بينهما.

QaradawiBooks.com

وكذلك فعل مع كتاب «**الطب النبوي**»، و«**الكبائر**»، و«**المنهج في مصطلح الحديث**»، فشكر الله له!

وتناول الفصل الثاني ملامح المنهج النقدي عند الذهبي، حيث جمع الباحث من الشواهد ما يدلُّ على أنَّ الذهبي قد جمع من المقومات، ما هو عزيز، وهو رأس مال الناقد المتجرد عن الهوى، ومن ذلك:

الإنصاف: فمما تميَّز به الإمام الذهبي: الإنصاف، وهو عزيزٌ، قليلٌ من يتَّصف به، ونادرٌ من ينخلع عن ذاتيَّته ومذهبه وآرائه أثناء مناقشته لبعض القضايا.

فعند حديث الحافظ الذهبي عن الإمام ابن حزم دافع عنه أمام خصومه، ورأى حسناته مقارنة بأوهامه، ووزن ذلك بميزان العدل والإنصاف، وخلع عنه ثوب التحامل، فقال في ترجمته: «ابن حزم رجل من العلماء الكبار، فيه أدوات الاجتهاد كاملة، تقع له المسائل المحررة، والمسائل الواهية، كما يقع لغيره، وكل أحد يؤخذ منه ويُردُّ عليه»[(١)].

والإمام يخالف ابن حزم في مسائل عدَّة، ويتبرهن له خطؤه فيها، ولكن ذلك لا يدفعه للتحامل عليه، أو الغلو في نشر أخطائه والتغاضي عن صوابه، يقول الذهبي: «ولي أنا ميل إلى أبي مُحمَّد لمحبته في الحديث الصحيح، ومعرفته به، وإن كنتُ لا أوافقه في كثير ممَّا يقوله في الرجال والعلل، والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطع بخطئه في غير مسألة، ولكن لا أُكَفِّره، ولا أُضَلِّله، وأرجو له العفو والمسامحة وللمسلمين، وأخضع لفرط ذكائه وسعة علومه»[(٢)].

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (٢٣١/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠١/١٨ ـ ٢٠٢).

QaradawiBooks.com

المرونة والاعتدل:

المرونة هي الَّتي تُميِّز الناقد المعتدل، الَّذي لا غاية له سوى الوقوف على الحقائق، دونما انحياز أو تعلق بأحد طرفي النقيض. والذهبي يعد داعية إلى الاعتدال والتوسط، راغبًا عن الإفراط، معرضًا عن التفريط، فلم يحتد الذهبي على إبراهيم بن سعد المدني لكونه يبيح سماع الملاهي، ولم يجعل ذلك سببًا في طرح علمه ورواياته، بل التمس له المعاذير، ودافع عنه قائلًا: «كان يجوز سماع الملاهي، ولا يجد دليلًا ناهضًا على التحريم، فأدَّاه اجتهاده إلى الرخصة، فكان ماذا؟»[1].

الذهبي يناقش حفاظ الحديث:

حفل تاريخنا الإسلامي بعلماء أفذاذ، جادوا بأعمارهم وأموالهم، ورحلوا، وارتحل النَّاس إليهم، فأسهمت جهودهم في بناء ذلك الصرح العلمي الإسلامي، وأثمرت تلك التضحيات ذلك التراث الهائل، الَّذي نفاخر به الدنيا.

ومع كل ذلك، فلا بدَّ للسان من عثرة، ولا بدَّ للقلم من زلة، ولا بدَّ للعالم الجليل من كبوة، وهذا هو الإنسان، مخلوق تعتريه أوجه النقص، وتحيط به من العوامل ما يجعله ينسى أو يزل، وسبحان من له الكمال.

فالعالم الورع من يصوب الخطأ من غير أن يشهر بالمخطئ، وأن يرشد المخطئ من غير أن ينزل من قدره، وأن يبين أوهام المصنفات دون أن يهجر محاسنها، مع التأني في القول، والعدل في النقد.

وللإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك الحظ الوافر، واليد الطُّولى.

---

(١) الرواة الثقات للذهبي صـ ٣٧، تحقيق محمد إبراهيم الموصلي، نشر دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

مثال: سنن ابن ماجه

كتاب سنن ابن ماجه سادس الكتب الستَّة، تأخر ترتيبه، وقل الاعتماد عليه، حتَّى استبدل بعض العلماء به موطأ مالك، كما عدَّ آخرون أصول السنة خمسًا لا ستًّا، متجاهلين كتاب الإمام القزويني.

وابن ماجه في نفسه حافظ ناقد صادق، واسع العلم، ثقة في نفسه، كبير الشأن، ولكن الذهبي يرى أنَّ الَّذي «غضَّ من رتبة سُننه ما في الكتاب من المناكير، وقليل من الموضوعات»[(١)].

ومن أشنع الموضوعات ما رواه ابن ماجه من رواية داود بن المُحَبّر ـ واضع كتاب العقل ـ «ستُفتَحُ عليكم مدينة يقال لها قزوين، من رابط فيها أربعين يومًا أو أربعين ليلة، كان له في الجنَّة عمودٌ من ذهب، عليه زبرجدةٌ خضراء، عليها قُبَّة من ياقوتة حمراء، لها سبعون ألف مصراع من ذهب، على كلِّ مصراعٍ زوجةٌ من الحور العين»[(٢)].

قال الذهبي: «فلقد شان ابن ماجه سُنَنه بإدخال هذا الحديث الموضوع فيها»[(٣)].

---

(١) تاريخ الإسلام (٦٢٦/٦)، تحقيق بشار عوّاد، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

(٢) رواه ابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٠)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٦٠/٣): هذا إسناد ضعيف مسلسل بالضعفاء يزيد بن أبان، والربيع بن صبح، وداود بن المحبر، ضعفاء، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال هذا الحديث موضوع لا شك فيه. عن أنس بن مالك.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي (٢٠/٢)، تحقيق محمد رضوان عرقسوسي وآخرين، نشر مؤسسة الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

استقراء المصادر:

الإمام الذهبي صاحب دعوة للتصفُّح والنظر في المصادر وعدم الاكتفاء بالنقل عن أصحابها، فمن خلال تلك المطالعة وذلك البحث في المصادر الأصيلة ربَّما تتغيَّر كثير من النتائج والمسلمات، إنَّها المعرفة عن قرب، وإنَّه التقييم الَّذي لا يتأثر بذاتية الآخرين.

فالإمام ابن عبد البر كان إمامًا دينًا ثقة متقنًا، علامة متبحرًا، ومن خلال النظر في مصنفاته يقول الذهبي: «فإنه ممَّن بلغ رتبة الأئمَّة المجتهدين، ومن نظر في مصنفاته، بان له منزلته من سعة العلم، وقوة الفهم، وسيلان الذهن»[(١)].

والحافظ الدارقطني له قدم السبق في قوَّة الحفظ وغزارة المعرفة وبراعة الفهم، وقد عرف بالحديث عامَّة، واشتهر بالعلل خاصَّة، ويقرِّر الإمام الذهبي تلك الحقيقة، من خلال مطالعة كتبه. يقول الذهبي: «وإذا شئت أن تتبين براعة هذا الإمام الفرد، فطالع العلل له، فإنك تندهش ويطول تعجبك»[(٢)].

وكما تدلُّ المصنفات على آراء واتِّجاهات مؤلفيها، فهي تعدُّ دليل براءة ممَّا يلصق بصاحبها من تهم، وما يدعى عليه من أقوال، أو ينسب إليه من آراء.

وقد شنع على ابن جرير بالتشيع، وأنَّه يجيز مسح الرجلين في الوضوء، ولم يقبل الذهبي ذلك، مستندًا إلى دليل النفي، وهو خلو مصنفاته من ذلك فقال: «ولم نر ذلك في كتبه»[(٣)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٥٧/١٨).

(٢) تذكرة الحفاظ (١٣٣/٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٧٧/١٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي الفصل الثالث، ألقى ابننا حسن الضوء على مقومات الإمام الذهبي العلميَّة، وكيف أخذ الإمام الذهبي بناصية علوم جمَّة، وحمل لواء معارفَ مُتَعَدِّدة، ذكر منها:

مصطلح الحديث:

فقد اهتمَّ الذهبي بعلوم الحديث، وبها عرف، وكان لمصطلح الحديث شأن مع ذلك الإمام، فقد أفرد له بعض مصنفاته، ومن ذلك «الموقظة» الَّتي اختصر فيها كتاب «الاقتراح» لشيخه ابن دَقِيق العِيد، وظهر فيه من آرائه النقديَّة وتوجيهاته الاصطلاحيَّة ما صبغ ذلك المختصر بروح الذهبي المعروفة في مختصراته، تلك الرُّوح الَّتي لا تعرف الاختصار الأعمى، بل ينتقد، ويضيف، ويُهَذِّب ويشرح.

وكذا «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل»، و«الزيادة المضطربة»، و«العَذْب السَّلْسل في الحديث المُسَلْسَل»، و«معرفة الرواة المُتكلَّم فيهم بما لا يوجب ردَّهم»، و«من تُكُلِّم فيه وهو مُوَثَّق»، إلى غير ذلك، إضافة إلى ما بثَّه في كتب التراجم والتواريخ والاختصارات وغيرها من مباحث تهتم بمصطلح الحديث وتعنى به.

الجرح والتعديل:

الذهبي إمام في الجرح والتعديل ومعرفة الرواة، وله في ذلك المَيْدان آثار وآراء، يتعامل مع ذلك الباب تعاملًا غير تقليدي، وقد أصل القواعد في ذلك في مرونته المعهودة الَّتي لا تعرف الجمود، وقد ردَّ كثيرًا من الطعون في الرواة إذا ثبت له أن ذلك عن تعنت، وقد رد الذهبي جرح أبي حاتم الرازي لأبي ثور الكلبي مع توثيق النسائي والناس له، واصفًا

QaradawiBooks.com

ذلك الجرح بالغلوِّ[١]، أو عن اجتهاد ثبت خطؤه، فقد قوى الإمام شعبة مُحمَّد بن إسحاق وحجَّاج بن أرطاة، وهما من أركان التدليس، وقلَّل من شأن خالد الحذَّاء وهشام بن حسَّان، وهما من رواة الصحيحين.

قال الذهبي: «هذا الاجتهاد من شُعبة مردود، لا يلتفت إليه؛ بل خالد وهشام مُحْتَجٌّ بهما في (الصحيحين)، هما أوثق بكثير من حجَّاج، وابن إسحاق»[٢].

وكذلك رفض الجرح إذا كان الراوي أقوى وأثبت من المُجَرِّح، أو إذا كان الجرح غير ثابت عن المُجَرَّح، ورد كثيرًا من الجرح غير المُفَسَّر إذا تفرَّد به الناقد.

وله في الجرح والتعديل مصنفات مشهورة، على نتائجها عمل أهل العلم، ومن تلك المصنفات «المغني في الضعفاء»، و«ميزان الاعتدال»، و«تذهيب التهذيب» و«الكاشف».

التاريخ:

الذهبي عالم بالتاريخ، محيط بأحداثه، له عناية خاصَّة به، وقد تأثَّر بذلك في نقده للمتون، فهو في تحليله للنصِّ لا يغفل عن القرائن والأحداث التاريخيَّة، وله دربة واسعة بالتاريخ، فقد ألف في ذلك مصنفات هي العمدة عند الباحثين في التاريخ، ومن ذلك «التاريخ الكبير» و«سير أعلام النبلاء»، وغير ذلك.

(١) ميزان الاعتدال (٦٩/١).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٩١/٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي البـاب الثاني بـدأ الباحث فصلـه الأوَّل متعامـلًا مع صلب موضوعه عندما عرض للتطور التاريخي لنقد متن الحديث الشريف عبر القرون، حتَّى وصـل إلى القـرن الثامن (عصر الذهبـي). وذكر أعلام المحدثين في كل قرن ممَّن كان لهم إسـهامات في علـم نقد المتون، وتطبيقاتهم العمليَّة في نقدهم الإيجابي أو السلبي.

وفي الفصل الثاني تعرض لمباحث نقديَّة مهمة، منها الطرق النقديَّة الاحتياطيـة لصيانة متن الحديث الشـريف، ومنها ضبـط الراوي زمن التحمل والأداء، وتعـرض لمقومات الضبط، ومظاهـر اختلاله، ومنها الرواية بين اللفظ والمعنى.

وتحدث أيضًا عن مقاييس نقد متون السنة، وقسمها إلى:

١ ـ **مقيـاس المقارنة**، وذكـر فيها خلاف القـرآن الكريم والسُّـنَّة الصحيحة، وخلاف فتوى الصحابة، وخلاف الإجماع، وخلاف الواقع، وخلاف التاريخ الصحيح.

٢ ـ **المقيـاس العقلـي**، وذكـر فيه التحديـث بما لا يجـوز مثله، وما لا يشبه ألفاظ النبوة، وخلاف الأوثق، وخلاف المشاهد المحسوس، وارتباط المتن باعتقاد الراوي العقدي والفقهي.

ثم شـرع يتحدَّث عن نقد متـن الحديث من حيـث المبنى، فذكر التصحيف، وأسبابه وأقسامه، وأثره في الفقه الإسلامي. وذكر الإدراج، وأسبابه وأقسامه، وعلاماته. وذكر زيادة الثقة، وتفاوت الثقات، وأسباب الزيادة، وحكمها. وكذلك الاضطراب، والقلب، والحديث المعلل.

QaradawiBooks.com

وذكر بعد ذلك نقد الحديث من حيث المعنى، فتحدَّث عن غريب الحديث، ومختلف الحديث، والناسخ والمنسوخ، وأسباب ورود الحديث، وفقه الحديث، والحديث الموضوع.

ولعلَّ هذا الفصل يمثل الاتِّجاهات النظريَّة، أو التقعيد النظري لمباحث نقد متن الحديث الشريف.

وفي الفصل الثالث تعرض الباحث للصحيحين، مُبَيِّنًا مكانتيهما عند المسلمين، مدافعًا عن صحتهما أمام من أطلق العنان لنفسه للخوض فيهما، من غير المتخصصين، مفرقًا بين حرية التفكير، والتحرر من المبادئ.

وهو مع ذلك لا يغض الطرف عن بعض مشكلات الصحيحين، فلا ينعزل عن أقوال نقاد الحديث من أهل النقد وأئمة العلل، فلا يقول بعصمة صاحبي الصحيح من الخطأ مطلقًا، فهم بشر، ويؤكد أنَّ عملهم واختيارهم قابل للمناقشة، ولكن مناقشة المتخصصين من نقاد الحديث وجهابذته، لا المتطفلين على موائد المحدثين، من الَّذين حاربوا النقل باسم العقل، ووضعوا جدارًا منيعًا بين العقل والنقل، مع أنَّ علماءنا يرون أنَّ العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح. وألَّف ابن تيمية كتابه الكبير في عشرة أجزاء «درء تعارض العقل والنقل». وقد عقد القاضي عياض في كتابه «مشارق الأنوار» فصولًا لبيان بعض أوهام رواة البخاري ومسلم رحمهما الله، وبيان الرواية الصحيحة الخالية من الوهم والخطأ، وبالرغم من انتقاد هؤلاء الحُفَّاظ لتلك الأحرف، فمن الملاحظ أنَّ الانتقاد لم يكن لأصول تلك الروايات، وإنَّما لبعض الكلمات في تلك الروايات مع التسليم بأصل الرواية، كما أنَّ هناك من المحدثين من لم ينتقد تلك الأحرف وتأولها. ومن راجع الشروح تبين له ذلك.

QaradawiBooks.com

فقد انتقد الحافظ حديث أبي هُرَيرة مرفوعًا: «**قال الله ﷻ: من عادى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب، وما تَقَرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضتُ عليه**»، وفيه «**كنتُ سمعَه الَّذي يسمع به، وبصره الَّذي يبصر به، ويده الَّتي يبطش بها، ورجله الَّتي يمشي بها**»[(١)].

قال الذهبي: «فهذا حديث غريب جدًّا، لولا هيبة الجامع الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد، وذلك لغرابة لفظه، ولأنَّه ممَّا ينفرد به شريك، وليس بالحافظ».

وانتقد الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ حديث عكرمة بن عمار، عن أبي زميل، عن ابن عبَّاس قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبيِّ ﷺ: يا نبيَّ الله، ثلاثٌ أَعطِنِيهِنَّ. قال: «**نعم**». قال: عندي أحسنُ العرب وأجملُه، أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان، أُزَوِّجُكها. قال: «**نعم**». قال: ومعاوية، تجعله كاتبًا بين يديك. قال: «**نعم**». قال: وتُؤَمِّرُني حَتَّى أُقاتلَ الكُفَّار[(٢)].

حكم عليه الحافظ الذهبي بالنكارة، فقال في ترجمة عكرمة بن عمار: «ساق له مسلم في الأصول حديثًا منكرًا، وهو الَّذي يرويه عن سماك الحنفي، عن ابن عبَّاس، في الأمور الثلاثة الَّتي التمسها أبو سفيان من النبي ﷺ». ثمَّ حكم عليه بعدم الصحَّة مع كونه في صحيح مسلم[(٣)].

وأورد ابننا الدكتور حسن نماذج من الانتقادات على الصحيحين، بعضها ظهر فيه وهم المنتقدين ـ وهو أكثرها ـ وبعضها استشكل فتنازع

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.
(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٠١).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣٧/٧)، وميزان الاعتدال (١٠٢/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فيه المصححون والمضعفون، وكل فريق له ما يؤيد نظرته، فمن أخذ بظاهر المتن اندفع إلى توهيم الرواة، ومن تأول معناه نزع إلى تصحيح الرواية. والقسم الرابع ما ثبت فيه الوهم من الشيخين أو أحدهما رحمهما الله تعالى. وهو نادر جدًّا.

وفي الباب الثالث كانت الدارسة العمليَّة عن نقد المتن، فتناول **الفصل الأوَّل** من هذا الباب علاقة المتن بالإسناد عند الذهبي.

فالمرويَّات (المتون) تارة تشكل معيارًا لتقييم الرواة ومعرفة منازلهم، وقد ظهر ذلك جليًّا في الحكم على الرواة المجهولين، فقد تمَّ معرفة أحوال ضبطِهم أو وهمِهم من خلال المتون الَّتي رووها.

وقد أكَّد على ذلك الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ، وبيَّن أنَّ المتون المُنْكَرة يُضَعَّف الراوي من أجلها، فقد ضعَّف المُحَدِّثون أحمد بن نصر الذارع، قال الذهبي: «روى عن الحارث بن أبي أسامة وطبقته، فأتى بمناكير تدلُّ على أنَّه ليس بثقة». وذكر من ذلك حديث علي مرفوعًا: «يا علي، إنَّما سُمِّيَ نخل المدينة صوحانيًّا؛ لأنَّه صاح بفضلي وفضلك»[(١)].

وروى الحارث بن عُمَيْر من حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «إنَّ فاتحة الكتاب وآية الكُرسِيِّ والآيتين من آل عمران... لمَّا أراد أن ينزلهنَّ تَعَلَّقنَ بالعرش فقُلنَ: يا ربّ! تُهبِطُنا إلى مَن يَعصِيك...» الحديث.

قال الذهبي: «تفرَّد به الحارث، وبمثل هذا الحديث المنكر نالوا منه»[(٢)].

(١) ميزان الاعتدال (١/١٧٤).

(٢) العلو للعلي الغفار للذهبي صـ ٧٣، تحقيق أشرف عبد المقصود، نشر مكتبة أضواء السلف السعودية، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

كما أنَّ نظافة السند لا تعني صحَّة المتن مطلقًا، فكم من إسناد ساطع كالشمس يحمل متنًا باطلًا، وهذا ما يرصده علماء العلل وجهابذة النُقَّاد، ووجدنا الذهبي لا تأسره جودة الأسانيد، ولا يغترُّ بحسنها قبل أن يحاكم تلك المتون لدلالات التشـريع الخالد والحكمة النبويَّة، ولذلك فكثيرًا ما ينتقد المتن مع صحَّة الإسناد.

فقد روي عن عليٍّ ﷺ قال: يا رسولَ الله، تفلَّت القرآنُ من صدري. قال: «أفلا أُعَلِّمُكَ كلماتٍ تُثَبِّتُ ما تعلَّمت فـي صدرك؟». فقال: أجل. قال: «إذا كانـت ليلة الجمعـة، فقم بأربـع رَكَعات تقـرأ فيهنَّ: يس، والدخان، وتنـزيل، وتبارك، ثمَّ تدعو...» الحديث.

قال الذهبي: «مع نظافة سنده حديث منكر جدًّا، في نفسي منه شيء»[(١)].

وقال في موضع آخر: «حيَّرني والله جودةُ سنده»[(٢)].

وجاء الحديث **في الفصل الثاني** عن: **النقد الإيجابي للمتن عند الذهبي، وضمَّنه مباحث منها:** شرح المتن، والاسـتنباط من النص، وتصويب فهم، ودفع تعارض، ودفاع عن صحَّة متن، وذكر ما صح في الباب.

وكذلك ذكر النقد السلبي للمتن عند الذهبي:

وأشار الباحث إلى دلائل تضعيف المتن عند الذهبي، ومنها:

معارضة الصحيح الثابت من المرويـات، فقد روي من حديث أبي هُرَيرة: «اللهمَّ إنَّكَ أخرجتني من أحبِّ البلاد إليَّ، فأسكني أحبَّ البلاد إليك. فأسـكنه الله المدينة»، قال الذهبي: «موضوع، فقد ثبت أن أحبَّ البلاد إلى الله مكَّة».

---

(١) ميزان الاعتدال (١٩٩/٢).

(٢) تلخيص المستدرك بهامش المستدرك (٣١٧/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وخلاف المعلومات التاريخيَّة الثابتة:

إنَّ مخالفة المتن للمعلوم من الحوادث التاريخيَّة الَّتي اتفق عليها العلماء، وتواتر عند أهل التواريخ؛ يعد قدحًا في الرواية، وقرينة على تسرُّب الوهم إلى أحد رواة الحديث، ودلالة على عدم قَبول ذلك المتن.

فمن ذلك حديث هشام بن عروة، عن أبيه، قال: مَرَّ ورقةُ بن نَوْفَل ببلال، وهو يُعَذَّب على الإسلام، يلصق ظهره بالرمضاء، وهو يقول: أَحَد أَحَد. فقال: «يا بلال، صبرًا. والَّذي نفسي بيده، لئن قتلتموه لأتَّخذنه حَنَانًا». قال الذهبي: «لم يَعِشْ ورقة إلى ذلك الوقت»[(١)].

ومخالفة الواقع:

وقد تخالف الرواية الواقع الَّذي لا يختلف فيه اثنان، ممَّن شهدوا ذلك المشهد، فيكون اتفاق العلماء على ذلك من أدلة الخطأ في الرواية؛ إذ التناقض بين الرواية الصحيحة والواقع المجمع عليه يوهن الحديث، ويُشَكِّك في صحَّة نسبته للنبيِّ ﷺ.

ومن ذلك حديث ابن عبَّاس: أسلم العباس بمكَّة قبل بدر، وأسلمت أمُّ الفضل معه حينئذ، وكان مقامه بمكَّة، أنَّه كان لا يَغْبَى[(٢)] على رسول الله ﷺ بمكَّة خبرٌ يكون إلَّا كتب به إليه... ولقد كان يطلب أن يَقْدَم، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «إنَّ مُقامك مجاهدٌ حسن»، فأقام بأمر رسول الله ﷺ. **قال الذهبي:** «ولو جرى هذا لما طلب من العباس فداء يوم بدر، والظاهر أن إسلامه كان بعد بدر»[(٣)].

(١) سير أعلام النبلاء (٣٥٢/١).

(٢) (٢) أي: لا يخفى، يقال غبي الشيء عن فلان وعليه ومنه: إذا خفي عليه فلم يعرفه.

(٣) سير أعلام النبلاء (٩٨/٢، ٩٩).

QaradawiBooks.com

وخلاف المعقول:

ومن ذلك حديث ميمونة مولاة رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المَقْدِس. قال: «ائتوه فصلُّوا فيه، فإن لم تأتوه وتصلوا فيه، فابعثوا بزيتٍ يُسْرَج في قناديله». **قال الذهبي:** «هذا خبرٌ مُنْكَر، وكيف يسوغ أن يبعث بزيتٍ ليُسرجه النصارى على التماثيل والصلبان؟! وأيضًا فالزيت منبعه من الأرض المقدَّسة، فكيف يأمرهم أن يبعثوا به من الحجاز مَحَلِّ عدمه إلى معدنه؟! ثمَّ إنَّه عليه السلام لم يأمر بوقيد ولا بقناديل في مسجده ولا فعله»[1].

ومشابهة كلام القُصَّاص:

انتشر القُصَّاص في الدولة الإسلاميَّة، وتطوَّر أسلوب أدائهم، فبينما كانت صورة القاصِّ في الزمن الأوَّل ذلك الواعظ الَّذي يذكر المسلمين بالحساب، ويَحُثُّهم على العمل الصالح، ويُرَغِّبهم في الآخرة، ويُزَهِّدهم في الدُّنْيا، فإنَّ صورته بدأت تتغيَّر شيئًا فشيئًا، حتَّى بلغ الحال بهم في بعض العصور، إلى صورة مُتَكَفِّف لأموال الناس، متسوِّل لما في أيديهم، يبيع آخرته بدُنياه، ويتفنَّن في وضع الحديث، وافتراء الحوادث الَّتي لم تكن، مازجًا ذلك بالمُؤَثِّرات الَّتي تجلب الدمع، وتثير العواطف، لعلمه أنَّه كلَّما جاشت المشاعر زاد العطاء.

تميَّز كلام القُصَّاص بسمات خاصَّة، وقد عدَّ المُحَدِّثون مشابهة متن الحديث لذلك الأسلوب، من دلائل تضعيف ذلك المتن، وطرح الثقة به.

(١) المهذب في اختصار السنن الكبير (٨٦٩/٢)، نشر دار الوطن للنشر، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

ومن ذلك ما جاء أيضًا في حديث أبي شَحْمة وفيه: «كانت امرأة تدخل على آل عمر معها صبيٌّ، فقال: من ذا الصبيُّ مَعَكِ؟ فقالت: هو ابنُك، وقع عليَّ أبو شحمة فهو ابنه. فأرسل إليه عمر فأقرَّ. فقال لعليٍّ: اجلدْه. فضربه خمسين، وضربه عمر خمسين. فقال: يا أبه قتلتني. فقال عمر: إذا لقيتَ ربَّك فأخبره أنَّ أباك يُقيم الحدود». قال الذهبي: «هذا وضعه القُصَّاص»[1].

وتحدَّث ابننا حسن عن مظاهر الوهم في متن الحديث الشريف، ومنها: رفع الموقوف، والزيادة غير الثابتة، والتصحيف، والإدراج.

وفي الفصل الثالث تحدَّث عن نقد المتن عند معاصري الإمام الذهبي، ذكر فيه الباحث الاتِّجاه النظري والتطبيقي لنقد المتن عند ابن تيمية وابن القيِّم وابن كثير. وهو فصل ينبغي أن يقرأ ويستفاد منه، ففيه خيرٌ وعلمٌ كثير، وإن كُنَّا لا نحتاج إلى ضرب أمثلة له، فحسْبنا ما حصلنا هنا، وقد استفدنا من أخينا حسن كثيرًا لوجوده معنا.

وممَّا أعجبني في هذه الرسالة: أنَّها رسالة مُلِئَتْ علمًا، وملئت نقدًا، وملئت صدقًا.

أمَّا العلم فهو علم موثق، علم الحافظ الذهبي، الَّذي ملأ الدُّنْيا، وأخذ عنه النَّاس في عصره، ومن بعده، وهم مُطْمَئِنُّون أنَّهم اغترفوا من بحرٍ زخَّار، واقتبسوا من سِرَاج وهَّاج.

وأمَّا النقد، فإنَّ علم الذهبي ليس مجرَّد علمٍ يقوم على الحفظ

(١) تلخيص كتاب الموضوعات للذهبي صـ ٣٥٨، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

واختزان الذاكرة، بل هو علمُ عالمٍ يُفَكِّر بحُرِّيَّة وأصالة، ويُعمِل عقلَه فيما يحفظه وما ينقله، ولذا رأيناه ينتقد العلماء الكبار، من الأئمَّة والفقهاء والمُحَدِّثين، والمُؤَرِّخين واللُّغَوِيِّين وغيرهم، ولكنْ بأدبِ العالم، ولغة المُتْقِن، وما كان رَحِمَهُ اللَّهُ سبَّابًا ولا فحَّاشًا، على نهج حبيبه ومعلمه مُحمَّد ﷺ.

حتَّى إنَّ بعضَهم أراد أن يسيء إلى سمعته، فنسب إليه رسالة غليظة خشنة، لا يليق أن تصدر عنه، وحاشاه من ذلك.

إنَّ الرجل على ما عرفته طَوال حياتي، وعلى ما عرفته من هذه الرسالة العلميَّة الحافلة، لا أجد فيه إلَّا أنَّه كان من الربَّانيِّين الصادقين ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

كلُّ ما آخُذه على هذه الرسالة بعض الأغلاط الإملائيَّة والنَّحْوِيَّة، ولعلَّ بعضها طِبَاعيًّا ممَّا يقع فيه أكثر الخِرِّيجين في عصرنا، وإن كان الأخ حسن أصحَّ وأحسن كثيرًا من غيره، ونرجو لهم ألَّا يَيْئسوا منه، ويعودوا إليه، ويتقوَّوا فيه، ومن طلب شيئًا وجده، ومن سعى إلى شيءٍ بجِدٍّ حصَّله، وقد حفَّظونا من قديم: من جَدَّ وجد، ومن زرع حصد.

وقد سألني بعض الشباب من زملاء الدكتور حسن: ألا توجد عندك ملاحظات على هذه الرسالة؟ فقلت لهم: كلُّ عمل يقوم به البشر، لا بدَّ لمن يبحث فيه أن يجد فيه شيئًا يجب أن يزاد فيه، أو ينقص منه، أو يكون أكمل ممَّا بدا له، إلخ، ولكنِّي وأنا أقرأ هذه الرسالة كنتُ مَعْجَبًا بها، قرير العين بقراءتها، منشرح الصدر بما أجده فيها، فقد شَفَت

QaradawiBooks.com

غليلي، وروت ظمئي، وأدعو لصاحبها بالمزيد من هذا التوجُّه الإيجابي الَّذي نحتاج إليه في علومنا، وفي مناهجنا، وفي حياتنا كلها.

والحمد لله الَّــذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّــذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

يوسف القرضاوي

١٠ يونيو ٢٠١٣م

غير مرخص للإذاعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «مِشعال المصابيح شرح مِشكاة المصابيح»

للشيخ سلمان الندوي[1]

الحمد لله ربِّ العالَمِين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه.

(وبعد)

فإنَّ كلمتي بين يدَيْ تقديم هذا الكتاب القيِّم تتركَّز في جانبَيْن: الأوَّل حول دخول الإسلام إلى الهند في القرن الأوَّل الهجري، إلى امتداد الثقافة الإسلاميَّة في بلاد الهند قرونًا متطاولة، حتَّى ظهرت ندوة العلماء وجهودها في خدمة الشريعة: اعتقادًا وفقهًا وتفسيرًا وحديثًا ودعوة وسِيرة، والثاني: يدور حول الكتاب الَّذي بين أيدينا «مِشعال المصابيح شرح مِشكاة المصابيح» ومؤلِّفه العالم الجليل الشيخ سلمان الحُسَيْني الندوي، أحد رجال ندوة العلماء وأبطالها وفي ضوء ذلك سيكون حديثي.

الجزء الأوَّل من المقدمة:

فقد دخل الإسلام دخلته الأولى إلى أرض الهند الكبرى في القرن الأوَّل الهجري (٩٠هـ)، قادمًا من جزيرة العرب، الَّتي بعث فيها مُحمَّد بن

(١) نشر المعهد العالي للدراسات الشرعية، دار العلوم لندوة العلماء، لكناو، الهند، ط٢، ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٦م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عبد الله آخر النبيين الَّذين بعثهم الله بالتوحيد والإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح، وأرسله رحمة للعالمين، وهداية للناس أجمعين. وكان العرب مكلفين أن يؤمنوا بهذا النبي الجديد، الَّذي أنزل عليه القرآن، ليهدي به النَّاس جميعا للَّتي هي أقوم، ثمَّ ينتقل العرب بهذا الدين، فاتحين الأمم الأخرى الَّتي بعدت عن التوحيد بالوثنيَّة والمجوسيَّة وعبادة آلهة غير الله، لينقلوهم إلى دينهم الجديد، لا يريدون منهم مالًا ولا أجرًا، ولا جزاءً ولا شكورًا.

كان العرب ـ بعد أن هداهم الله بهذا الدين الحي الجديد ـ كأنَّما وُلِدوا من جديد بهذه الهداية الربَّانيَّة الَّتي أتتهم من السماء، لتُنقذهم من ظلمات الأرض وأباطيل الجاهليَّة ومظالم المُتَجَبِّرين في الأرض، وقد انطلقوا إلى الأمم الكبرى في العالم، وهم أُمَّة لم يكن لها ما كان للفرس في مدنية القدماء، ولا للروم في حضارة الكبراء، ولا للإغريق في فلسفة الأذكياء، ولا ما للهند من حكمة الحكماء، وما للصين من صناعة مُتْقَنة في عالَمٍ تحيط به البَيْداء.

ولكن كان عندهم هذا الدافع الكبير النبيل الَّذي يأتي به الصغير، فيكبر ويعظم ويصبح عملاقا، ويأتي به الجديد في البناء والحضارة، فإذا به يعظم ويمتد طولًا وعرضًا وعمقًا، فيملأ الخافقين، ويتحدَّث باسم العالم كلِّه إلى العالم كلِّه، بما لديه من حقٍّ، يقاوم به الباطل، ومن عدل يهاجم به الظلم، ومن خير يطارد به الشر، ومن جد يطارح به الهزل، ومن صلاح يصد به الفساد.

وانتصرت هذه النزلة العربيَّة الإسلاميَّة الأولى، يقودها شاب عربي في بداية شبابه، انتدب ليقود الكتائب الأولى الَّتي خرجت مهاجرة في

QaradawiBooks.com

سبيل الله، مجاهدة في سبيل الله، إلى بلاد لم تعرفها من قبل، ولم تجئها لتجارة، ولا اكتساب، ولا لسياحة ولا تعلم، ولا أي شأن من شؤون الدُّنْيا، الَّتي يبتغيها الناس، ولكن كانت معهم أغلى بضاعة يحتاج إليها الناس، ليصلحوا دينهم ودنياهم، وأولاهم وأخراهم، وأفرادهم وجماعتهم، بها تنحل عقدتهم، وتستريح جماعتهم، وتنتظم أمتهم، يأخذ الضعيف فيها حقه من القوي، والفقير حقه من الغني، والعامل حقه من صاحب العمل، لا يستعلي أحد على أحد إلَّا بالحق، ولا يزهو أحد بباطل، أعظمهم من يدعو له الفقراء والمستضعفون واليتامى والأرامل وأبناء السبيل، لمن ينتصر لهم ولو على أكثر النَّاس مالا، ومهد له تمهيدا، وأعطي بنين شهودا.

كان هذا الشاب القائد المجاهد ابن سبعة عشر عامًا قاد جيوش الفاتحين للهند، بادئًا ببلاد السند، واسمه مُحمَّد بن القاسم بن مُحمَّد الثقفي الَّذي خلد ذكره الشاعر بقوله:

إنَّ السَّمَاحَةَ والمُرُوءَةَ والنَّدَى لمُحَمَّدِ بنِ القَاسِمِ بنِ مُحَمَّدِ
قَادَ الجُيُوشَ لسَبعَ عَشرَةَ حِجَّةً يَا قُربَ ذَلِكَ سُؤدُدًا مِن مَولِدِ[1]

ولقد قدر لي وأنا أزور منطقة السند في باكستان أن أقرأ على إحدى محطات القطار قادمًا من كراتشي محطة اسمها: مُحمَّد بن القاسم.

كان هذا الشاب العربي الَّذي خاض بلادًا لم يزرها، ولم يعرفها معرفة كافية، ليجد فيها ضالته الَّتي ينشدها، هداية العالم الحائر إلى رب العالمين.

(١) ذكره من غير نسبة ابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار (٣٣٢/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

QaradawiBooks.com

كان واحدا من أبطال أربعة من العــرب، كانت لهم القيادة والريادة، ليفتحوا بلادًا لأول مرَّة تبوح لهم بسرها، وتقبل عليهم بقلوبها وألبابها، وترحب بدينهم الجديد أعظم ترحيب.

كان العنصر العربي هو الَّذي أســهم بنصيبه الأكبــر في فتح الهند، وإدخالها في عالم الإسلام الأكبر، أو في «أُمَّة الإسلام الكبرى» وكان له دوره التعليمي والبنائي والزراعــي والصناعي مع المجتمع الكبير الَّذي دخل في دين الله أفواجًا، وبدؤوا كلُّهم يبنون مجتمعهم الهندي المســلم الجديد.

كان من هؤلاء من عمل في الجانب العلمي والفكري والثقافي، فيهم من اشــتغل بتفســير القرآن وألف فيه كليًّا أو جزئيًّا، وفيهم من شــغل بالحديث وعلومه، وبســنده وبمتنه، وبأصوله وبشروحه، وبالثابت منه والدخيل عليه، ومنهم من شغل بفقه أحكامه، وأصول تشريعه، وبدلائله الأصليَّة والفرعيَّة، ومن وقف عنــد الظاهر، ومن تعلق بالمقاصد، وبنى عليها وأبدع فيها.

ومنهم من عُنِيَ بالآداب، ومن عني بالتصوف والأخلاق، ومنهم من وفَّقه الله لإصابة الحقِّ، ومنهم من قــارب، ومنهم من بعد، ومن يحاول المصالحة والتقريب بين الفريقين.

ومنهم من شــغل بالعقيدة أولا وأعطى لها حقَّها وقدرها، ووفَّى لها حقَّها، وردَّ علــى المُبْطِلين من الخارج من الملاحدة ومن المشــركين، ومن اليهود والنصارى، ومنهم من ردَّ على المُبْطِلين من داخل التصوُّف ممَّن حاولوا أن يأتوا الأمر من غير بابه، ويصلوه بغير أسبابه، ويحاربوه من الداخل، من يظنُّهم البعض أنَّهم منك، وهم شرُّ الأعداء عليك.

QaradawiBooks.com

هؤلاء العرب دخل بعضهم في القوم، واندمج معهم، وبعضهم ظلَّ ينسب نفسه إلى العرب بصفة العربي، أو اليماني، أو القحطاني، أو الإدريسي، أو الخزرجي، أو القرشي، أو الصديقي، أو العثماني، أو البكري، أو الفاروقي، أو العمري، أو الهاشمي، أو الحسني، أو الحسيني، أو ما شئت من النسب والوشائج المنتزعة من هنا وهناك.

وقد عرفنا في قروننا العربيَّة الهجرية: من وفقهم الله تعالى للقيادة والريادة والفتح في عالم الفكر والثقافة والدعوة، وكان لهم فضلهم ودرجاتهم وتفاوتهم في مَيدان العمل والبذل والتضحية في هذه الجوانب الحية والمصدرة للقوة الدافعة للأمام، المباعدة عن التخلف، الداعية إلى الوثب والتقدم، المداومة على الثبات إلى الأمام، ومتابعة الأقدام، كما قال الشاعر:

نَفسُ عِصَامٍ سَوَّدَت عِصَامَا وَعَلَّمَتهُ الكَرَّ وَالإِقدَامَا
وَصَيَّرَتهُ بَطَلًا هُمَامَا حَتَّى عَلا وَبَارَزَ الأَقوَامَا[1]

فكان من هؤلاء العلامة الإمام شاه ولي الله الدهلوي، الَّذي خاض وجاهد في ميادين الثقافة والفكر والدعوة، والعقيدة والشريعة، في كتبه القيمة «حجة الله البالغة»، و«الفوز الكبير» في أصول التفسير، وكتبه الفقهيَّة والحديثيَّة والدعويَّة والتاريخيَّة، وكلها تسير على منهج هذا العالم الرباني، وقد نقل شيخنا الثقافة الهنديَّة من التقليدية المكبلة بالقيود والسدود والردود الَّتي تجعل الحركة الحرة عليها مستحيلة أو شبه مستحيلة.

(١) هو النابغة الذبياني، كما في ديوانه صـ ١١٨، تحقيق كرم البستاني، نشر دار صادر، بيروت، ١٩٦٣م.

QaradawiBooks.com

ولهذا أؤيِّد إخواننا وشيوخنا وأحبتنا من أبناء «ندوة العلماء» فيما أقروه في ميدانهم التأصيلي والتجديدي الَّذي خرجوا به من (الرسمية الشديدة) لعلماء دُيُوبَنْد ووقوفهم متسمرين على التقليد، وتحرَّروا من الصوفيَّة القبوريَّة، الَّتي تورط فيها كثير من أبنائنا من دعاة «البريلويَّة» والَّتي كان على خيار العلماء أن يدعوهم بالَّتي هي أقوم.

كان إخواننا الندويُّون أسرع إلى التعرُّف علينا، وأن يعرضوا علينا ما عندهم؛ ولذلك سرعان ما دعوا العلماء إليهم، وكتبوا لهم، وكتبوا عنهم ما شوق النَّاس إليهم.

ممَّا قرأته قبل أن أزورهم وأعرفهم في عقر دارهم ما قرأته للداعية الإسلامي الكبير الشيخ علي الطنطاوي، عن دار العلوم بندوة العلماء. ثمَّ قرأت كتاب العلَّامة أبي الحسن الندوي أوَّل ما ظهر بقيادة الأستاذ أحمد أمين، صاحب مجلَّة الآداب، ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر، وقد كتب مقدِّمة للكتاب لم يوفِّ الرجل فيها حقَّه، كما ينبغي. ثمَّ عزم على زيارة القاهرة، ليراها ويرى معالمها ورجالها وشيوخها، ورجال الإصلاح والدعوة فيها.

وقد عرفني أحد الإخوة الهنود بوقت زيارته، وأين ينزل، فقلت له: لي حق عليك أن تعرفني بالأستاذ بمجرد نزوله، وكان صادقًا، وذهبت إليه أنا وصديقي مُحمَّد الدمرداش مراد رَحِمَهُ اللَّهُ. زرناه وتعرَّفنا عليه وأهدانا من رسائله، وعرفنا بنفسه وبإخوانه، واتَّفقنا معه أن ندعوه ليلة في بيتنا في شبرا ونجتمع مع شباب الطلاب الأزهريِّين، وكانت له أيَّام هائلة في القاهرة وسائر المدن الكُبرى.

QaradawiBooks.com

ثم دعانا الشيخ أبو الحسن إلى ندوة العلماء بلكهنو لحضور المهرجان المئوي لندوة العلماء، وإن لم تكن بلغت المائة، لكن الشيخ أبا الحسن انتهز هذه الفرصة ليدعو العرب والمسلمين، وهم في حالة ثراء ممَّا أفاء الله عليهم من البترول ومُشتقَّاته؛ ليستفيد من هذه التدفُّقات المرجوَّة في التوسُّعات المطلوبة، والزيادات المُقَرَّرة، وكانت خيرًا كثيرًا والحمد لله.

كان للندوة في خدمة العلوم الإسلاميَّة أعمال كثيرة قدَّمها رجالها.

وإذا اقتصرنا على جانب الحديث النبوي وموسوعاته؛ سنجد لهم فيها فضلًا كبيرًا، وسنجد للمسلمين في أنحاء الهند فضلًا كثيرًا.

الجزء الثاني من المقدمة:

والجزء الثاني من المقدِّمة خاصٌّ بهذا الكتاب «مِشعال المصابيح شرح مِشكاة المصابيح» لأخي الحبيب وابني العزيز سلمان الحسيني، ابن الدعوة، وطليعة دار العلوم الحسنية، وخريج جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود، وحاصل على درجة الماجيستير منها في الحديث والعلوم النبويَّة، وتلميذ أبي الحسن الندوي الحسني، في الثقافة والدعوة، ولكنَّه فرع الشجرة الحسينية في الدار، الَّتي ساهم في تأسيسها الحَسنيُّون، فهم أخواله، وآباؤه حُسَيْنيُّون، فأكرِم وأنعم به من مُعِمٍّ مُخْوِلٍ!

حين زرت الندوة زيارتي الأولى مع مجموعة العلماء من العالم العربي والإسلامي وشهدنا مهرجانها المئوي، لم يكن الشاب سلمان موجودًا في ذلك الوقت، لعلَّه لم يكن قد أتم دراسته بعد، فلم يمكنه الحضور.

QaradawiBooks.com

وكان شيخنا أبو الحسن يقول لي: إننا حتَّى الآن لم نوفق إلى مترجم يترجم لك، فالمسلمون والوثنيون ممَّن لا يعرفون العربيَّة يتأثَّرون بكلامك ويهتزُّون له وإن لم يفهموه، عسى الله أن يهدينا إلى طلبنا.

وفي المرَّة الثانية حين زرت الندوة مع أخي الدكتور عبد العظيم الديب، والدكتور علي المحَّمدي، وجدت مترجمًا شابًّا شدَّني بترجمته، كان يترجم الكلام والرُّوح، ويوصله إلى السامع بحراراته وإحساساته، فقال لي العلَّامة أبو الحسن: لقد هيَّأ الله لنا طلبنا من أعزِّ أبنائنا، فحمدنا الله على ذلك، إنَّه من خيرة شبابنا الَّذين تهيَّؤوا للدعوة والفكرة بما يملكون من ثقافة، وما عندهم من حرارةٍ ورُوح، وما حملوا من شهادات عليا من المملكة، ومن قدرة على تحمُّل المسؤوليَّة.

كانت الصحاح والسنن والمجاميع النبويَّة في حاجة إلى من يشرحها أو يشرح بعضها على الأقلِّ لمسلمي العصر شرحًا علميًّا أدبيًّا، كما حظي القرآن الكريم بتفسيراتٍ بعضُها كامل، وبعضُها لم يتمَّ، ممَّا كمل «في ظلال القرآن» للشهيد سيِّد قُطْب، وجزء عمَّ للأستاذ الإمام مُحمَّد عبده، وما لخَّصه صاحب المنار من تفسيره إلى الجزء الخامس، والعشرة الأجزاء الأولى للشيخ شلتوت، وتفسير القرآن المختصر للشيخ الغزالي، وسورة النساء للشيخ المدني، وبعض التفسيرات لشيخنا الدكتور مُحمَّد عبد الله دراز، وكثيرون في بلاد شتَّى ساهموا في هذا اللون من التفسير على درجات.

ولكن السُّنَّة لم تحظَ بهذه العناية، وظلَّ شُرَّاحها تغلب عليهم اللغة الاصطلاحيَّة الَّتي شُرِحَت بها الأُمَّهات من الكتب، ولم يُتَحْ لها أن تجد من رجال العلم والأدب المسلمين من يقوم بهذه المهمَّة الكبيرة.

QaradawiBooks.com

وكان بعض مشايخي يتمنَّى عليَّ لو خَصَّصْتُ سنينَ من عمري لشرح «صحيح البخاري» أو «صحيح مسلم» أو أي كتاب من الكتب الَّتي يهتم بها النَّاس في الحديث، قال لي ذلك الشيخ البهي الخولي، وقاله لي الشيخ الغزالي، وقلت له: والله إن قلمك لهو أوَّل قلم يستعدُّ لهذا.

ولما أنشأنا مركز بحوث السُّنَّة في قطر تمنى كثيرون لو قمت بذلك، وكان منهم أخونا الَّذي اخترناه وعين خبيرًا في المركز: الدكتور موسى شاهين الَّذي كان يقرأ ما أكتبه من شرح بعض الحديث في بعض الشروح، فيسر إلى بعض الإخوان، ثمَّ يقول لي: أقول لك ذلك يا شيخ يوسف أنا أقول لك ما أعتقده بحقٍّ، أنا شرحت صحيح مسلم ولكن كل كلمة قلتها نقلتها من مرجعها من كتاب، ولكن ما تكتبه أنت عن الحديث كثير منه لا يوجد في كتاب، إنَّه نتيجة العمل بالدعوة والخبرات بالقرآن والسُّنَّة. وأنا أقول لك: ليتك تتفرغ عدة سنوات لكتابة شرح لأحد كتبنا الكبرى.

كانت هذه أمنيات الصالحين، ولكنَّها لم تتحقق كليًّا في كتاب، إلَّا في كتاب أخينا وحبيبنا الموفَّق المُعَلَّم الداعية الأديب العالم سلمان الحُسَيْني الندوي في شرحه على الكتاب الَّذي يُدَرِّسه من سنين لطلابه، وقد وعاه وهضمه، وأحسن شرحه بهذه اللغة السهلة، الَّتي يقرؤها المُتَخَصِّص وغير المُتَخَصِّص، فلا تقف كلمة في حلقه، لقد سهلت على الشيخ، واستقامت على لسانه، وسهلها لطلابه، ولكل من يريد أن يطلع عليها من المسلمين، ولهذا كان الشرح نوعًا من الكلام المشروح، أو هو من كلام النبوة، والشارح يستمدُّ منها أو يسير في ضوئها ويشرب من روحها.

QaradawiBooks.com

صحيح أنَّ كتاب الإمام مسلم قد شرحه العلَّامة الشيخ شبير العثماني، وكان الشيخ كتبه باللغة الاصطلاحيَّة المعهودة، فلما توفي الشيخ عزم ابن باكستان، وابن المفتي الشهير الشيخ شفيع: العلَّامة مُحمَّد تقي العثماني على تكملة الكتاب باللغة العصريَّة. وكان الشيخ قد عاش هذه السنين بين دراسات المجامع الفقهيَّة المختلفة، وشارك فيها مشاركة فعالة، وكانت الأجزاء الَّتي بدأ بها كلها في المعاملات الماليَّة، فملأها الشيخ بالفقهيَّات وفروعها وخلافاتها فنفعت المُخْتَصِّين؛ لكنَّها لم تنفع غير المُخْتَصِّين من النَّاس الَّذين تهُمُّهم دراسة الحديث النبوي وخصوصًا الصحيحين.

هذا الفرع المبارك من الشجرة الهاشميَّة العَلَويَّة الفاطميَّة، الَّتي تَزْهى نسبتها، وإن كانت تعلم أنَّه لن يُغني عنها من الله شيئًا، إلَّا إذا زكَّته بالإيمان والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، وفعل الخير، ونشر النور، والجهاد في سبيل الله. قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۞ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١ ـ ١٠٣].

وقال النبيُّ ﷺ لبني هاشم، كما في الصحيحين من حديث أبي هُرَيرة: «**اشتُروا أنفُسَكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مَنَافٍ، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عبَّاس بن عبد المُطَّلِب، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صَفِيَّة عمَّة رسولِ الله، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت مُحمَّد، سليني ما شئتِ من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا**»[(١)].
وعند مسلم وأحمد وغيرهما: «**ومَن بَطَّأ به عملُه، لم يُسرِع به نَسَبُه**»[(٢)].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٥٣)، ومسلم في الإيمان (٢٠٤).
(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أقول هـذه الكلمات تحية لـلأخ الحبيب إلي، العزيز علي، الأسـتاذ سلمان الحُسَيْني الندوي، فقد أبى الله إلَّا أن يظهر للجذع الحُسَيْني في هذا المد الهندي فرع كريم مليء بالأمن والإيمان، والسـلامة والإسلام، يظل ويورف مـع الدوحة الحَسَـنِيَّة الأصليَّة فـي هذا المجال، فبـارك الله في كلتيهما، وعَمَرَهما باليمن والبركة والفضل، لا يزيد كلٌّ من الفرعَيْن صاحِبَه إلَّا حسنًا وضياءً وإشراقًا: «**الحسنُ والحُسَين سيِّدا شبابِ أهل الجنَّة**»[1].

هذا الشابُّ هو الَّذي نُقَدِّم لعمله الكبير في «مِشعال المصابيح شرح مِشكاة المصابيح» للإمام أبي عبد الله مُحمَّد بن عبد الله الخطيب العمري الشيرازي (ت٧٤١هـ ـ ١٣٤٠م) وقد عملها تكملة لكتاب «مصابيح السُّنَّة» للإمام مُحيِي السُّـنَّة أبي مُحمَّد الحُسَـين بن مسـعود الفـرَّاء البغوي (٤٣١هـ ـ ٥١٠هـ = ١٠٤٥م ـ ١١١٧م).

قام الشيخ سـلمان بعد عودته من جامعة مُحمَّد بن سعود بالرياض، مسـلحًا بالعلم الأصيل، والـزاد الطيِّب، والثقافة المعمقـة الممتدَّة في ميراث النبوَّة، الَّذي هو أعظم المواريث، وأبركها وأسخاها. تلقَّاها على أيدي العلماء المُبَرِّزين من البلاد العربيَّة والإسـلاميَّة المختلفة، يتلقاها منهم فتى أهل نفسه، وأهله قومه، لدراسة العلم على خيرة الشيوخ: لسان سـؤول، وقلب عقول، غيـر غافل ولا عجـول، فاق الشـباب، وأذهل الكهول. إنَّه سلمان الندوي.

كان أمناء نـدوة العلماء منذ ظهرت في أرض الهند، تعنى بدراسـة الحديث، الَّـذي أعلى كلمته، ورفـع رايته: إمام الهنـد، ومحيي علوم

(١) رواه أحمد (١٠٩٩٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في المناقب (٣٧٦٨)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى في الخصائص (٨٤٧٢). عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

الإسلام فيها، ومجدد ما اندرس منها: شيخ الملة، ومجدد الأمة، ومحيي الدين: شاه ولي الله الدهلوي (ت١١٧٦هـ) وترك وراءه جيلًا من الرجال ومن الكتب يعمل على التجديد والإحياء لعلوم القرآن والسُّنَّة إلى ما شاء الله. وحَسْبك: «الحُجَّة البالغة»، و«الفوز الكبير»، والشروح والتعليقات على الكتب المُهِمَّة.

ولقد شاهدنا كيف قام كبار علماء الحديث بشروحهم المعروفة على الكتب الكبيرة في الحديث، الَّتي قدَّم لها شيخنا وشيخ الأُمَّة المسلمة العلَّامة أبو الحسن الندوي مُقَدِّمات رائعة، كتبت بلغة العارف بقيمتها، وما تتضمَّنه من معارف، وما تهدي إليه من أحكامٍ ومن توجيهات؛ ومن ذخائر فكريَّة وإيمانيَّة ونبويَّة، وما تطويه تحت أجنحتها من آثار ومعاني تربويَّة وأخلاقيَّة واجتماعيَّة، قلَّما يُهدى إليها إلَّا من كان في مثل عقليَّة أبي الحسن، وقدرته على الالتقاط والتوجيه إلى المعالي، الَّتي تحتاج إليها الأمم، وتحتاج إليها الجماعات، ويحتاج إليها الأفراد.

كان أخونا الأثير الَّذي تفتحت آفاقه مع هذه الكتب الَّتي درَّسها لطلابه في بعض السنين، وكان حريصًا على أن يملأ عقولهم وضمائرهم ممَّا في هذه الكتب من ذخائر ومآثر، تمدُّ العقول بالعلم، والقلوب باليقين، والعزائم بالأخلاق، والعبادات بالتقوى، والمعاملات بمفاتيح الإيمان، وتنهض بالأفراد والأسر والجماعات والأُمَّة الكبرى، وما وراء هذه الأُمَّة من أممٍ تستمدُّ منها الحقَّ والخير والرشد في عقائدها وشعائرها وأخلاقها ومعاملاتها، واقتصادها وسياستها، وكلِّ شؤونها.

كانت هذه الكتب الَّتي حاول العلماء الكبار من قديمٍ ومن حديثٍ أن يشرحوها، ويعدوا لها الطريق إلى القلوب والعقول والضمائر، لتمتلئ بها،

QaradawiBooks.com

وتأخذ منها الهدي النبوي، بجوار الهدي القرآني، كانت في حاجة إلى من يمصُّ الرحيق، ولا يبالي بالقشرة، ومن يشربُ الحليب ولا يبالي بالرَّغْوة، من يبحث عن السـرِّ المكنون في هذه الأحاديث الَّتي صحَّت سندًا ومتنًا عن خير خلق الله، نبي العالم، وهادي الأُمَّة، ومنير الظلمة، وكاشف الغُمَّة، مُحمَّد بـن عبـد الله الَّذي قـال الله فيـه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وجاء ذلك في آيتين من آيات سـورة البقرة أيضًا.

كان القرآن قـد هيَّأ الله تعالى له من أبنائه مـن يُقَرِّب معانيه ورُوحه وما وراء ألفاظـه إلى الألباب والأفئـدة، إلى العقـول والقلوب لتنجو وتصحو وتزكو وتتفاعل وتتحرَّك وتثور وتنشئ.

وجدنا ذلك فيما كتبه الأسـتاذ الإمام مُحمَّد عبده، وتلميذه الشـيخ رشـيد رضا والأديب الكبير سيِّد قُطْب، والشيخ شـلتوت، والشيخ أبو زهرة، والشيخ الغزالي، وغيرهم، ومنهم من بلغ، ومنهم من قارب.

أمَّا الحديث فكان هو الَّـذي يتطلَّب أصحاب الأقـلام، وأصحاب العقول، وأصحاب القلوب، ليسدُّوا الفراغ الَّذي يُحِسَّه كُلُّ شاعر بأهميَّة اللغة والأدب والرُّوح في شرح الحديث.

QaradawiBooks.com

كان هذا الشارح الجديد في سنِّ الشباب، والشباب هو سنُّ القوَّة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة. كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

وقد بدأ الشيخ هذا الشرح من الناحية العمليَّة، وهو يُقَدِّم دروسه، كما يفهمها، وكما ينقلها إلى الشباب. وكان الشباب يتلقَّفون هذه الدروس برُوح وثَّابة، وبفهمٍ وثيق، وإيمانٍ عميق، وشعورٍ رقيق.

وبدا حول هؤلاء الشباب في ندوة العلماء جوٌّ عامٌّ، يحيط بهؤلاء الطلَّاب، ويشجع هذا الاتِّجاه، ويشدُّ هذه العزائم، ويُقَوِّي هذه الرُّوح.

ولذلك شاء الأستاذ سلمان الحُسَيْني الندوي أن يشرك العلماء في هذا العمل الكبير، الَّذي بدأ يخوضه وحده. وأعتقد أنَّ مجموعة وراءه: تشد أزره، وتحمي ظهره، وتيسر أمره.

وقد رأى أن يكون سنده الأوَّل في شرحه وتعليمه وإمداده هو أخاه وشيخه يوسف القرضاوي، الَّذي يشد على يديه، ويقول له: سِرْ إلى الأمام، والله معك، ولن يُخْزِيك الله أبدًا.

ولذلك لم ينتظر حتَّى يكمل المسيرة، وهو يكملها بعزمه الفتي، وإيمانه القوي، وفيضه النبوي، وإمداده الإلٰهي، الَّذي لا يحرم من أقبل عليه، وتضرع إليه، ولم يبال بما حواليه.

وقف الأخ العالم الباحث الداعية متدثرًا بالحديث النبوي، ومتلفعًا به، ومستندًا إليه، ومعتمدًا بعد الله تعالى عليه، يلقي شروحه على طلابه من حوله، وعلى من يتطلع إليهم من أهل العلم من أنحاء العالم، من

QaradawiBooks.com

طلاب دارسين، ومن باحثين يزدادون علمًا، ومن راغبين يسألون لعلهم يجدون لهم جوابًا.

أمَّا شرح الآخرين لهذه الأحاديث فقد امتلأ الشيخ سلمان منه، فقد طبعت في دور الحديث في الهند وباكستان وبنجلاديش وأفغانستان وغيرها: الشروح المعروفة على مِشكاة المصابيح:

١ ـ شرح العلامة الشيخ علي القاري المعروف: «مِرقاة المفاتيح شرح مِشكاة المصابيح»، في خمسة مجلَّدات.

٢ ـ وهناك شرح «مرعاة المفاتيح على مِشكاة المصابيح» للعلَّامة الشيخ: أبي الحسن عبيد الله بن مُحمَّد عبد السلام الرحماني.

٣ ـ «لمعات التنقيح شرح مرقاة المصابيح» لعبد الحقِّ بن سيف الدين البخاري الدهلوي. وغيرها كثير.

في مقدمته إفاضة بليغة تمتد صفحة كبيرة، نقرأ فيها من فائض النعمة، ولباب الحكمة، ما يعمر الأفئدة، ويهدي العقول، ويفتح البصائر، ويشد العزائم، ويفك الأغلال، ويحل القيود، ويجيب عن الأسئلة، ويرفع العمى عن الطلاسم؛ فإذا الشرع مفهوم، وإذا القسم معلوم، وإذا الأوضاع بينة، وإذا الأحكام نيرة، تنطق بالحق، وتنادي بالعدل، وتقيم الموازين بالقسط، ولا تخسر الميزان.

وفي مَيدان «المساجد» تجد كتابًا كبيرًا يأخذ شوطًا طويلًا فسيحًا، فيما جاء به الإسلام عامَّة، وما جاء به حديث النبيِّ خاصًّا حول هذه المساجد. لم تعرف أُمَّة دينيَّة أنزل إليها كتاب، وبعث رسول من أولي العزم من الرسل من أمثال موسى بن عمران، وعيسى بن مريم، الَّذي لم

QaradawiBooks.com

يعرف في دينيهما اليهوديَّة والنصرانيَّة، وأنزل عليهما التوراة والإنجيل، ولكن لم يعرف هؤلاء من أهل الكتاب الأوَّلين ولا الآخرين ما عرفه المسلمون في أحكام المساجد، وآداب المساجد، وماذا على الساجد، وماذا للساجد، ممَّا تميزت به كتب المسلمين في مدوناتهم المنثورة، وفي كتبهم الخاصَّة، كما في كتاب «أحكام المساجد».

عمل الشيخ سلمان في «مِشعال المصابيح»:

شرح الشيخ سلمان المتمثل في «مِشعال المصابيح» يتمثل في الأجزاء الأولى من المِشعال، وهي الَّتي تمثل عمله الكبير، الَّذي يتمثل في سائر الأجزاء، وربَّما قد وصل إلى مثل هذه الأجزاء الأربعة، بما عنده من أوراق قرأها، وراجع شروحها التقليدية، مثل شرح العلامة ملا علي القاري الحنفي، الَّذي سماه: «مرقاة المفاتيح على مِشكاة المصابيح» وهو مطبوع في خمس مجلدات كبار بالطباعة الباكستانية.

كما أنَّ هناك طبعة حديثة لشرح جديد، لم يكن صاحبه بحنفي ولا مالكي ولا شافعي، ولكنَّه سلفي المشرب على طريقة إخوانه من السعوديين المعروفين بانتهاج هذا المنهج، وغالبًا يطبق ما هو يتفق مع النهج السلفي، وكثيرًا ما ينقل الشيخ سلمان ما تفرد به من آراء، دون تعصب ضده، فالواقع أنَّ الشيخ سلمان الندوي سلم من التعصب المفرط، وتعلم من آبائه وإخوانه النهج الوسط المعتدل، الَّذي لا يتبنى وجهة أبدية ضد السلفيِّين ولا ضد غيرهم، وهذا هو الوسط المنتقى من منهاج الاعتدال في التوسط والإكمال.

والحمد لله على كل حال، هذا الشرح الكبير الَّذي يشتمل على تسعة أجزاء كبيرة للشيخ العلامة عبيد الله الرحماني المباركفوري، الَّذي سماه «مرعاة المفاتيح شرح مِشكاة المصابيح».

QaradawiBooks.com

ولكن هذا الشرح على محاولته الإشباع والشمول، ظل على طريقة المشايخ المعهودة في الشرح والتحقيق، ولم يتطوَّر إلى لفتة جديدة.

وإنَّما الَّذي حاول ذلك، وبذل فيها جهده من أوَّل الأمر هو أخونا الَّذي تفرَّد بنهجه، وتميَّز بتوسُّطه، وحاول الخروج عن المنهج التقليدي المألوف، فليس هذا المنهج باتخاذ كتاب منزل، ولا بوصية نبي مرسل، ولكنَّه تواصل به العلماء على طريقتهم الَّتي توارثوها، ولم يبذلوا جهدًا يذكر للخروج منها، حتَّى هيَّأ الله من هداه السبيل، وسقاه الدليل، وعلمه فهم القال والقيل، فوُفِّق أيَّما توفيق، وفتح الله له أقومَ طريق.

وليس أمامنا إلَّا أن نوصي بأن تضع الكتاب بأجزائه بين يديك، وتقرأ في شرح الحديث ما أحببت أن تقرأ من أوَّل الكتاب، أو من أوسطه، أو من آخره، فستجده سلسلًا عذبًا يفيض بين يديك، ويتجلَّى بنوره وفيضه عليك، ولا تجد فيه وعورة المصطلحات، ولا شدَّة التقسيمات، ولا خشونة التشبيكات، بل تجد التبشيرات والتسهيلات الَّتي تعودها إخواننا من علماء الندوة في شتَّى علومها، وفي سائر تخصصاتها، فهذا ما تجده في شرح الشيخ سلمان الحُسَيْني الندوي، وما يقدم لك مشروحًا مهضوما، بأيسر سبيل، وأوضح قيل.

قد يجد الشيخ سلمان المجال مفتوحًا أمامه، والعلم مطواعًا، والقول سيالًا، والطالبين مهتمين للسماع والاستفادة، وهنا يطيل الشارح، ويمد يده بالقول، ويسبغ ويشبع، فلا يكتفي بالقليل، ولا يجزئه ما يكفي، بل يزيد في الإقناع والإبداع والإشباع، حتَّى يرتوي الظامئ، ويطأطئ المناوئ، ولا يجد أحد سبيلًا للمقاومة وكثرة الكلام.

QaradawiBooks.com

بداية الشرح تنبيه العلماء:

أول ما أبدأ به هذا الشرح الجليل الَّذي بذل فيه صاحبه جهده، واستعان لضعفه بربِّه، وتهيَّأ له من سنين طويلة، بالدراسة الجادة، وبالاطلاع الوافر، وبالتعاضد مع أهل الصَّنْعة، قائلًا: ربِّ أعنِّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكرْ عليَّ، واهدني ويسِّرِ الهدى إليَّ، وانصرني على من بغى عليَّ. كما رواه أبو داود عن النبيِّ ﷺ.

ولكن أوَّل ما بدأني به ما كنت أحبُّ أن يأتي من مثله، وهو ما وقع فيه كثيرون من الخطباء والمحاضرين والكتاب الَّذين استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، وهو تحميد الله بالتأكيد بـ(إنَّ) على ما جاء في إحدى روايات مسلم، وما دعا إليه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مخالفًا ما جاء في القرآن الكريم من صيغ حمد الله تعالى، والاقتصار على قوله: (الحمد لله)، في أوَّل سورة بدأ بها المصحف (الفاتحة)، وفي أوائل أربع سور أخرى: الأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر. كلها بدأت بـ(الحمد لله).

وكل ما جاء في القرآن عن الله تعالى، وعن ملائكته، ورسله، وأهل جناته، وعن المؤمنين بصفة عامَّة في كتاب الله، كما ورد على لسان إبراهيم: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. وما أمر به نوحًا حين قال: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وأثنى على رسوليه: داود وسليمان فقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل: ١٥].

QaradawiBooks.com

وقال أهل الجنَّة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤].

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وأحيانًا من قول الله تعالى نفسه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨١، ١٨٢].

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: ٣٦]

وأحيانًا يأمر رسوله الكريم بالحمد فيقول: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]

وختم السورة بقوله تعالى لرسوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣]

كل هذه الآيات وغيرها دلَّت على أنَّ القرآن لم يعرف كلمة (إنَّ)، قبل: الحمد لله، فليس فيه آية تقول: إنَّ الحمد لله.

فلماذا يُصِرُّ بعض النَّاس على أن يتحدَّوْا كتاب الله تعالى، ويتحدَّوا رسوله العظيم، ويتحدَّوا صحابته، ويتحدَّوا القرون الأولى وهي خير القرون، ويزعمون أنَّ عندهم أفضل ممَّا في القرآن والسُّنَّة، وما عند الصحابة والتابعين والأُمَّة كلِّها!

QaradawiBooks.com

رحم الله الشيخ الألباني فقد أعنت الأُمَّة، وغرَّ كثيرًا من شبابها، حين قال هذا، وصدَّقوه، وبدؤوا خطبهم ورسائلهم ومحاضراتهم وكتبهم بهذه العبارة الَّتي شـذَّت على الأُمَّة كلها، فليس في ملايين الكتب الدينيَّة واللُّغَويَّة والأدبيَّة والفنيَّة والإنسانيَّة والعلميَّة (المادِّيَّة) ومن أيِّ العلوم جاءت، كتب نجدها مبدوءة بقولها: إنَّ الحمد لله.

وكم نبَّهنا على بعض الأساتذة من الخطباء والمحاضرين والمُعَلِّمين والأدباء والكتاب على هذا الأمر، ففوجئوا به، وعلموا أنَّه حقٌّ، وصمَّموا على أن يُغيروه من الفور.

على كلِّ حال، أنا واثقٌ كلَّ الثقة من أن ابننا الكريم العزيز الشيخ سلمان سيفعل هذا، ولكنِّي أردتُ أن أُعلِّم بسببه أبناءه وتلاميذه وإخوانه في بلاد الهند وما حولها من بلادٍ كثيرة بخطورة الأمر الَّذي لا يجوز أن يستمرَّ في الأمة.

سبب اختيار «مِشكاة المصابيح» للشرح:

قال الشيخ سلمان الحُسَيْني في بيان سبب اختياره للمِشكاة ليقوم بشرحها وبيان معانيها:

«قد كنتُ درَّست كتاب «مِشكاة المصابيح» لطلَّاب السنة الثانية من كُلِّيَّة الشريعة وأصول الدِّين، بدار العلوم لندوة العلماء، في أوائل الثمانينيَّات، عندما رجعت من جامعة مُحمَّد بن سعود بالرياض بعد شهادة الماجستير في علوم الحديث، وكنت نشرت ملخص بعض الدروس في جريدة «الرائد» الصادرة من ندوة العلماء، ثمَّ جمعتها في كتاب صغير بعنوان «دروس في الحديث النبوي الشريف» وقد طبع

QaradawiBooks.com

ونشر، ثمَّ درَّست سنن الترمذي لطلاب السنة الرابعة، ثمَّ كتاب المغازي من صحيح البخاري لطلَّاب السنة الثانية للدراسات العليا، وكنت أنوي كتابة تعليقات على سنن الترمذي، أو أن أشرح سنن الترمذي، لأنَّه كتاب منهجي تدريسي مهم لجمعه بين متون الحديث وعلومه وفقهه ومذاهبه، ولكن تأخر ذلك لشواغل الحركة والدعوة والإدارة، إلى أن وفقني الله تعالى لإخراج كتاب «المُسوَّى شرح الموطأ» للإمام الدهلوي (١١١٤هـ ـ ١١٧٦هـ) وترجمة كتاب «المُصَفَّى شرح الموطَّا» بالفارسيَّة إلى العربيَّة، ثمَّ ترجمة القرآن الكريم، وعاد التفكير مرَّة ثانية لشرح سنن الترمذي، وكان يغلب علي التفكير أن أشرح ما يجمع الكتب الستَّة، حتَّى لا يكون شرحًا لكتاب مُعَيَّن، ومنهج مُؤَلِّف مُعَيَّن، بل نتوجَّه إلى دراسة الأحاديث من مصدرها العظيم الجليل، بحيث يتركَّز الشرح على الأحاديث، لا على منهج المُؤَلِّف، وتراجمه ورجاله، وما يتعلَّق بكتابه من مباحثَ طويلة، يشغل بها الطلَّاب، فيطول الطريق، وقد ينغلق أو يَتَعَقَّد في الوصول إلى صاحب الرسالة والشريعة ﷺ ومقاصده ومراداته، وكما أنَّ القرآن الكريم لا نصل إلى بيانه إلَّا بحديث الرسول العظيم ﷺ، كذلك لا نصل إلى فهم الحديث وتطبيقاته إلَّا بالرجوع إلى أصحاب النبي ﷺ الميامين، وحياتهم العمليَّة والتطبيقيَّة، فرأيت أن أحسن كتاب في الكتب المقرَّرة في مدارسنا، ولا سيَّما في مراحل دراسة الأحاديث الأوليَّة هو «مِشكاة المصابيح» الَّذي هو تكملة «مصابيح السُّنَّة» بزيادات مُهِمَّة، بحيث أصبح ديوان الأحاديث، وموسوعة بدائيَّة للطُّلَّاب، يشتمل على مختار الصحيحين والسنن وغيرها، أحببت أن أشتغل به، وأنظر إلى الأحاديث مجموعة في كلِّ باب، فأدرسها في مدرسة الرسول ﷺ، والآل والأصحاب رضي الله عنهم، كأنِّي أراهم وأسمع منهم وأعايشهم، ولا أنزل عنهم

QaradawiBooks.com

إلى من يليهم إلَّا لضرورة، وأن أشرح الأحاديث حسَب منهج الإمام الدهلوي، الَّذي اختارته ندوة العلماء كمنهج مختار مُفَضَّل، وهو منهج التطبيق والتوفيق بين المُحَدِّثين والفقهاء، وأهل الرأي وأهل الحديث، والمذاهب الأربعة، فلا أنازعها ولا أضرب بعضها ببعض، بل أحاول التوفيق ما استطعت، والتقريب بين الأباعد ما قدرت، وتقديم القرآن وبيانه لجميع الأمة، وشد أزرها، وتقوية ظهرها، ودفعها إلى الإمام، بحيث لا تتوزع فرقًا وأحزابًا، وحسبي الله ونعم الوكيل، هذا باختصارٍ شديدٍ ما أردتُ، وبه احتسبتُ، وله جمعتُ وألَّفتُ، وفيما يلي ترجمة المؤلِّفين العظيمين الجليلين، أجزل الله مثوبتهما، وجزاهما عن كلِّ المسلمين خير الجزاء[1].

قراءة مقدمة ناشر «مرعاة المفاتيح»:

ومن يقرأ هذا الكلام جيِّدًا، وهو يعرف أبناء ندوة العلماء وعلماءها منذ بدايتها، وما انتهت إليه من اتِّجاهاتٍ وعزائم في إصلاح التعليم الإسلامي في الهند، وإصلاح الهند كُلِّها بواسطة التعليم والتربية، وخصوصًا التعليم الديني الَّذي كان له سلطة واسعة في البلاد، ولكن كثيرًا ما فقد الهدف، وضلَّ الطريق، ولذلك قامت ندوة العلماء لإصلاح هذا المسار، وإضاءة المنار، حتَّى يَطْلُع النهار، وتُشرق الأنوار، ويتوجَّه التيار. اقرأ ما كتبه الناشر في مقدَّمة الطبعة الأولى لكتاب «مرعاة المفاتيح» للعلَّامة الرحماني المباركفوري:

اعلم أنَّ الشاه ولي الله الدهلوي رَحِمَهُ اللَّهُ قد قرَّر في المبحث السابع من كتابه «حجة الله البالغة» باعتبار فهم المعاني الشرعيَّة من الكتاب والسُّنَّة

(١) مقدمة الشارح حفظه الله (١/١ ـ ٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والاستنباط منهما والعمل بهما، مدرستين مستقلتين للتفكير: **أهل الحديث، وأهل الرأي**. فذكر في إحداهما فقهاء أهل الحديث من مؤلفي الصحاح الستَّة وغيرهم مع الأئمَّة الثلاثة: مالك والشافعي وأحمد، كمجتهدي الأُمَّة ـ ونسب رئاسة المدرسة الأولى إلى **إبراهيم النخعي وأبي حنيفة** وأصحابه. ثمَّ قارن بين أصول استدلال المدرستين وطرق الاستنباط والتخريج لهما. وعلاوة على شرحه الأحاديث فيه شرحا فقهيًّا، أرسخ قواعد حُرِّيَّة التفكير وسَعة النظر باختياره طريقة المدرسة الثانية في شرحه لموطأ الإمام مالك، وترجمته «المُسوَّى» و«المُصَفَّى» لتبقى الأُمَّة المسلمة متَّحدة عملًا مع اختلافها فكرًا ونظرًا، متمشِّية على منهاج السلف الأول.

ثُمَّ روَّج الشاه وليُّ الله رَحِمَهُ اللَّهُ تدريس الصحاح الستَّة على طريقة أهل الحديث بجنب التأليف والتصنيف؛ لأنَّ موضوع تلك الكتب جمع سيرة الرسول ﷺ كاملة، حيث يهتدى بها في جميع نواحي الحياة البشريَّة قاطبة. ثمَّ من أعظم أوصافها وخصائصها أنَّها تحمل في طيِّها سَعَة النظر، وليس في جمع وتدوين أحاديثها، ولا في تبويبها، ولا في طرق الاستدلال والاستنباط منها تحديد واقتصار.

فيورد أصحابُها كلَّ ما رُوِيَ من الأحاديث والآثار عن رسول الله ﷺ والسلف الصالحين. سواء كان دليلًا لطائفة أو عليها، لا يتعلَّق لهم بذلك غرض، فيعملون في ثبوت تلك المرويَّات والاحتجاج بها حُرِّيَّة التفكير والبحث الَّتي تورث الذهن استعداد النقد المثمر البنَّاء.

ولعلَّ هذا هو السبب الأكبر في اختياره مسلك الفقهاء المُحَدِّثين أساسًا لتوحيد صفوف الفرق المسلمة فكريًّا وعمليًّا، وجعله موضوعًا لبعض مؤلفاته.

QaradawiBooks.com

ولعلَّه قد شعر بأنَّه قد ساد على العالم الإسلامي بعد القرن العاشر الهجري عامَّة؛ إمَّا الفقه الجامد أو القاصر، أو التصوُّف المُتَخَشِّن المفضي إلى الإلحاد، وإن كان هناك شيء في المدارس باسم علوم الحديث فهو تابع للفقه المعاصر، ولم يكن يتعرَّض للروايات إلَّا في مجالس الوعظ والقصص بغض النظر عن رَطْبها ويابسها وصحيحها وسقيمها، أو لتأييد المذاهب الفقهيَّة مهما كانت درجتها في الصحَّة والثبوت.

ولتحقيق أهداف الفقهاء المُحَدِّثين بدأ الشيخ ولي الله رَحِمَهُ اللَّهُ حركة تجديد عهد المُحَدِّثين، وسقى هذا النبت حفيده الشيخ إسماعيل الشهيد (ت١٢٤٦هـ)، ثمَّ ترعرع بعده وأثمر هذا الشجر عند طبقة من المُحَقِّقين الَّذين استفادوا منه، أعني بهم المُحَدِّث الكبير شيخ الكلِّ السيِّد نَذِير حُسَيْن الدهلوي (ت١٣٢٠هـ)، التلميذ الخاصّ للشاه مُحمَّد إسحاق (ت١٢٦٢هـ)، والسيِّد أبا الطيب مُحمَّد صِدِّيق حسن خان (ت١٣٠٧هـ)، التلميذ الممتاز والمجاز للشاه مُحمَّد يعقوب (ت١٢٨٢هـ)، ابن بنت الشاه عبد العزير رَحِمَهُ اللَّهُ.

فالمُحَدِّث الدهلوي السيِّد نَذِير حسين رَحِمَهُ اللَّهُ نشر هذه الحركة المُقَدَّسة تدريسًا، والسيِّد النواب رَحِمَهُ اللَّهُ قد أسهم فيها بتأليف الكتب الكثيرة والتزامه بطبع المؤلفات النافعة النادرة الوجود على حسابه الخاصِّ وتوزيعها في العالم الإسلامي، مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربِّها.

وألف السيِّد صِدِّيق حَسَن خَان رَحِمَهُ اللَّهُ على أساس خُطَّة التفكير الفقهي للشاه ولي الله رَحِمَهُ اللَّهُ في سنة (١٢٧٨هـ) شرحًا لبلوغ المرام باللغة الفارسيَّة باسم «مسك الختام».

QaradawiBooks.com

وفي سنة (١٢٩٤هـ) «عون الباري» شرح تجريد صحيح البخاري للشرجي.

وفي سنة (١٢٩٩هـ) «السراج الوهَّاج» شرح تلخيص الصحيح لمسلم للمنذري. هذا بجنب طبعه لاستفادة أهل العلم وأصحاب التحقيق «نيل الأوطار» سنة (١٢٩٧هـ)، وفتح الباري سنة (١٣٠٠هـ) بالمطبعة الأميريَّة ببولاق (مصر) بمبالغ باهظة مع عنايته واهتمامه بترجمة كتب الصحاح الستَّة مع موطأ الإمام مالك وطبعها، ليستنير عامَّة النَّاس من أنوار علوم السُّنَّة رأسًا وبدون واسطة.

ومن تلامذة المُحَدِّث الدهلوي العلَّامة الشيخ أبو الطيِّب مُحمَّد شمس الحقِّ العظيم آبادي (م١٣٢٩هـ) ألف «عون المعبود» شرح سنن أبي داود، والشيخ أبو العَلِيِّ مُحمَّد عبد الرحمن المباركفوري (م١٣٥٢هـ) شرح الجامع للترمذي باسم «تحفة الأحوذي»، والشيخ مُحمَّد أبو الحسن السيالكوتي شرح صحيح البخاري باللغة الأرديَّة في (٣٠) مجلدًا، وسماه فيض الباري، والشيخ عبد الأوَّل الغزنوي الأمرتسري (ت١٣٣١هـ) ابن محمد[١] ابن العارف بالله الشيخ عبد الله الغزنوي ـ رحمهم الله تعالى ـ ترجم مِشكاة المصابيح وعلَّق عليها وطبعها.

ومن مفاخر علماء أهل الحديث في شبه القارة الهنديَّة أنَّه باهتمامهم فحسْب طُبِعَ أوَّل مرَّة عدَّة من كتب الحديث القَيِّمة، أمثال: السنن للنسائي، والسنن للدارقطني، و«التلخيص الحبير»، وغيرها، وإنَّها لحقيقة ثابتة أن تلك المطبوعات هي الَّتي يستفيد بها أصحاب التدريس والإفتاء وأهل التحقيق، فلله الحمد على ذلك[٢].

(١) المعلق على تفسير: جامع البيان، وناشر المسوى والمصفى، الأول.

(٢) مقدمة ناشر الطبعة الأولى لمرعاة المفاتيح للمباركفوري نهاية الجزء الأول صـ ٣، ٤، نشر =

QaradawiBooks.com

قرأ الأستاذ سلمان الحُسَيْني وإخوانه من رجال الندويين ما كتبه الأستاذ المتحدث عن الطبعة الأولى لكتاب «مرعاة المفاتيح» شرح المِشكاة، وفتحوا أعينهم وآذانهم فتحًا كاملًا لترى وتسمع. وفهم الأخ سلمان وإخوانه البلد الَّذي يعملون فيه، ويسهرون من أجله، ويُذيبون طاقاتهم لتحويله من مجتمعٍ يُشْغَل بعضُه ببعض، ويترك خصومه يبنون ويُشيدون مبانيهم الأساسيَّة، في حين يسوقوننا لنهدم ما بناه آباؤنا، ونفسد ما أصلحوه.

كان لا بدَّ للجميع أن يفهموا أنَّهم مطالبون بالبناء، والبناء من الطابق الأوَّل، بل من الأساس، وأنَّنا جميعًا أبناء أُمَّة واحدة، ذات عقيدة واحدة، منبثقة من كتاب واحد، ورسول واحد.

هكذا يجب أن يسير الجميع في هذه المسيرة خلف العلماء الصادقين الواعين المؤمنين بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن إمامًا، وبمحمد نبيًّا ورسولًا، وبالصحابة أسوة وأئمة.

وعلى هذا الأساس، ووراء هذا النبراس، مضى الفريق الجديد خلف كتاب الله، وخلف سُنَّة رسول الله.

عمل سلمان الحُسَيْني في شرح المِشكاة:

اختار سلمان الحُسَيْني المِشكاة، الَّتي اختارها الخطيب التِّبْريزي، بعد «مصابيح» العلَّامة البغوي، واستفاد من عمل كلٍّ منهما، للشرح والإيضاح والوصول إلى المفاهيم الأساسيَّة للتربية الصحيحة، والتعليم

= إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس، الهند، ط ٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

القويم، والإرشاد السليم، لتتكون الشـخصيَّة الإسلاميَّة الكاملة: جسمًا قويًّا، وفهمًا نقيًّا، وشـعورًا سـويًّا، وعزمًا فتيًّا، وتحصيلًا ثريًّا، وتضامنًا مُرْضِيًّا، لإيجـاد أبناء النهضة الإسـلاميَّة، والقـوَّة الإيمانيَّة، والخلافة الربَّانيَّة، والريادة القرآنيَّة، والقيادة المحمَّديَّة.

إنَّ الَّذي أعجبني في شـرح الشيخ سـليمان النَّدوي: أنَّه شرح كأنَّه يصدر منك إلى ذاتك، لا تكلُّف فيه ولا تنطُّع، ولا تشـديد ولا تعسير، كما جاء في الحديث النبوي، الَّذي رواه أبو موسـى: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[1].

الكلام منـك وإليك، وبك ولك، لا اسـتعلاء عليـك، ولا تطاول عليك، ولكن يسير بك ليصل بك إلى أبعد درجة تتبعها، ويطير بك من أفق إلى أفق أعلى، حتَّى يصل بك إلى أعلى درجة تريدها.

نجد الشـيخ سـلمان وهو يشـرح سـهلًا عذبًا متواصلًا، بلا تلكُّؤ ولا تردُّد، كأنَّما يغترف من بحر، أو يقطف من بستان، أو يُنفق من كنوز، كأنَّ الله تعالى سهَّل عليه هذا الشرح، وحبَّبه إليه، ويسَّره له، في سلاسة عجيبة، وسهولة غريبة، ولذلك تقرأ شرحه كأنَّه يجلس معك، وتلاميذه من بين يديه، وإخوانه من حواليه، وهو يتحدث في هدوء العالم، وكياسة المعلم، وقدرة البحاثة، وعذوبة الأديب.

لا يعيب أحدًا، لأنَّه لم ينصب نفسه معاديًا لأحد، لا من المذهبيين الأحناف، وهو واحد منهم، ولكنَّـه ليس عصبيًّا ضد غيرهم، ولا معاديًا لأهل الحديث، وهو يستفيد ممَّا نشروه وما ألفوه، ولم يعتبرهم خصومًا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسـلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد، عن أبي موسـى الأشعري.

QaradawiBooks.com

ضده ولا ضد جماعته، وكم نقل عنهم من «المرعاة شرح المِشكاة» ومن غيره، وهو ضد العصريِّين، الَّذين يتكلَّمون بلغة العصر، ويعرفون ما تحمله من أفكار بعضها مضادٌّ تمامًا لما في الكتب الصفراء، ولكنَّه يستفيد من معارفهم، ويعرف نقاط ضعفهم، ويأخذ عنهم ما لا يختلف فيه أحد، ويَفْرق من تلاميذه وجماعته، ولكنَّه يقف ضدَّ مفاهيمهم المغلوطة، الَّتي أخذوها عن الغربيِّين، وأرادوا أن ينقلوها إلى قومهم، كفصلهم الدِّين عن الدولة، وعن الحياة، وعزلهم الربَّ عن الكون الَّذي خلقه ودبَّره، وأبرز آياته في العالَمين، ليهتدي النَّاس إلى الله.

أخذ خير ما عند أهل العصر، وترك شرِّ ما عندهم، وهو ما يرفضه الإسلام من أفكار وقيم وتقاليد ومشاريع، وبين ما في هذه الأمور من زيف وآفة، تجعلها تهدم ولا تبني، وتُميت ولا تُحيي، وتُخَرِّب ولا تُعَمِّر.

وحسْبي أن أنقل ذلك من شروح الشيخ سلمان الندوي، الَّذي أعتبر أن كتابه هذا جدير أن يأخذ به أو ببعض أجزائه الدكتوراه، وأنا أُعطيه هذا بجدارةٍ ما يجلي ما أقوله، فبحسْب القارئ الراشد المُنصف أن يقرأ هذه الكلمات، وأمثالها كثير جدًّا، وأفضل منها، ليطمئنَّ قلبه أنَّه مع أحد العلماء القليلين، الَّذين نفع الله بهم علم النبوَّة الَّذي توارثته الأُمَّة، وحمله الخَلَفُ العُدُول، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ثورة الشيخ سلمان على المشايخ إذ تساهلوا في البول في الماء الدائم واستعماله:

وذلك يتناوله ثلاثة أحاديث هي كلُّ ما في الفصل الأوَّل، وقد وقف فيها وقفة ثوريَّة دعويَّة ضدَّ المتساهلين في السكوت عن القاذورات، وتَسَلُّلِها إلى المسلمين.

QaradawiBooks.com

الحديث رقم [١] عن أبي هُرَيرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يَبُولَنَّ أحدُكم في الماء الدائم الَّذي لا يَجري، ثُمَّ يغتسلُ فيه**»(١).

وفي رواية لمسلمٍ قال: «**لا يغتسل أحدُكُم في الماء الدائم وهو جُنُب**». قالوا: كيف يفعل يا أبا هُرَيرة؟ قال: يتناوله تناولًا(٢).

الحديث الأوَّل عن أبي هُرَيرة (١) ﷺ في النهي عن البول في الماء الراكد، فإن الماء الراكد مهما كان كثيرًا، لا يجوز البول فيه، وهو إدخال النجاسة والقاذورة في الماء، وهذا يخالف الفطرة، والذوق السليم، والنظافة والصحَّة، ولذلك نهى عنه الرسول ﷺ لأنَّه إذا سمح بذلك، فإنَّ الثاني يلحق الأوَّل، والثالث يتَّبع الثاني، فيتتابعون، ولا يبقى الماء بعد ذلك إلَّا مُتَقَذِّرًا، نجسًا، موبوءًا، مؤذيًا للناس، ملاذًا للجراثيم والديدان، وقوله ﷺ: «**لا يَبُولَنَّ أحدُكم في الماء الدائم ثمَّ يغتسل فيه**»، هو تصوير للإساءة، وتشنيع للعمل، وليس معناه أنَّه إذا لم يكن يحتاج إلى الغسل فيه، فلا بأس بالبول، هذا لا يفهمه إلَّا معدوم الفقه والذوق السليم، وليست المسألة متعلِّقة بغُسْلِ مَنْ بال، فإنَّه ماء لاستعمال الناس، ولا بدَّ أن يحافظ كلُّ إنسان على نظافته وطهارته ونقائه.

قال الإمام الدهلوي: «حكمة النهي أنَّ كلَّ واحدٍ منهما لا يخلو من أحد أمرين، إمَّا أن يُغَيِّر الماء بالفعل، أو يُفضي إلى التغيير، بأن يراه النَّاس يفعل فيتتابعوا، وهو بمنزلة اللاعِنَيْن، اللهمَّ إلَّا أن يكون الماء مستبحرًا، أو جاريًا، والعفاف أفضل على كلِّ حال»(٣).

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (٢٣٩)، ومسلم في الطهارة (٢٨٢).

(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٨٣).

(٣) انظر: حجة الله البالغة (٣١١/١)، تحقيق سيد سابق، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

وأقول: النهي عن الماء الراكد وارد، وإن كان الماء مُسْتَبْحِرًا، أيْ كثيرًا، فلا يسمح للناس إطلاقًا بالبول فيه، ولا شكَّ أنَّ التغوُّط أشدُّ وأقذر، وقد يقول ظاهريٌّ: نهى عن البول، ولم يَنْهَ عن التغوُّط، ورمي خِرَق الدم، وغير ذلك، فلا بأس به! وليس هذا مظنونًا، بل هو الواقع عندهم في مسائل معروفة.

وما نُقِلَ عن الشافعي: أنَّه يَخرجُ من ذلك الماءُ الكثير والقُلَّتان، لا يستقيم على القاعدة والعُرف الصحيح ومضمون الحديث، فلم يفرق فيه بين الكثير والقليل، بل نهى عن الماء الراكد أنْ تُلْقَى فيه أي نجاسة، حتَّى منع الجنب أن يغتسل فيه، ونجاسته ـ إذا لم يكن على جسده شيء مُنَجَّس ـ حُكْمِيَّة.

وسئل أبو هُرَيرة كيف يفعل من يريد الاغتسال؟ قال: يتناول الماء تناولًا، أي يخرجه من الحوض والغدير، ويغتسل في الخارج.

٤٧٥ ـ [٢] عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُبال في الماء الراكد[1]. رواه مسلم.

قال الشيخ سلمان: «وهو ما ورد عن جابر رضي الله عنه، وهو ابن عبد الله الأنصاري، أحد السبعة المُكْثرين من الرواية، وهذا هو الحكم الإسلامي الَّذي يليق باهتمامه بالنظافة، والنقاء والصحَّة، وهو ما يطالب به العلم الَّذي اكتشف الجراثيم، وأنواع الميكروبات الَّتي تفسد الماء، وهو الَّذي تؤكد عليه المراكز الصِّحِّيَّة، والخدمات الاجتماعيَّة.

(١) رواه مسلم (٢٨١)، والنسائي (٣٥)، كلاهما في الطهارة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فما بال شيوخ الإسلام لا يتنجَّس عندهم الماء القليل أيضًا إذا لم يتغيَّر أحد أوصافه! مهما تقذَّر، وتقزَّز منه الطبع، وأصبح شديد الضرر؟! (كما يذكر في المذهب المالكي) ولا يتنجَّس الماء إذا بلغ القُلَّتَيْن ـ وهو خمسمائة رطل ـ وإن وقعت فيه النجاسات، والميكروبات (كما هو مذهب الشافعي) ولا يتنجَّس العشر في العشر وهو مثل القُلَّتين مقدارًا، وإن وقع فيه ما وقع، (كما هو مذهب الأحناف)؟

هل الشريعة تنظر من طرف واحد إلى النجاسة فحسْب، وليس عندها أي مقياس للنظافة والنقاء، وأن يكون الماء محفوظًا من كلِّ ضررٍ صِحِّيٍّ، وأن تقبله الطبائع السليمة، وتُقِرُّه المراكز الصحيَّة والعلميَّة، وهي من تعاليم الإسلام في الصميم؟» اهـ.

نماذج عمليَّة للأحاديث المشروحة:

لا بدَّ لنا من أن نضع أمام القارئ الكريم نماذج عمليَّة من الأحاديث المشروحة بالطريقة السلمانية العذبة السهلة، الَّتي يفهمها كل مسلم، يعرفها عقله، ويطمئن بها قلبه، وتسلم لها إرادته. وسنضع أمام المُثَقَّف المسلم «عَيِّنة» من كل صنف من أصناف الأحاديث.

من الصنف الأوَّل الحديث رقم [٤] عن أبي هُرَيْرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الإيمان بِضعٌ وسَبعُون شُعبَة، فَأَفضَلُها قولُ: لا إله إلَّا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطَّريق، والحياء شُعبَةٌ من الإيمان**». مُتَّفق عليه[1]. الحديث من كتاب الإيمان، راويه أبو هُرَيرة، أحفظ الصحابة، وأكثرهم روايةً للحديث.

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان.

QaradawiBooks.com

قال الشيخ: أمَّا حديث أبي هُرَيرة رضي الله عنه (٤) عن الإيمان، وأنَّه بضع وسبعون شُعْبة، فقد استعمل الإيمان فيه بمعنى الإسلام، وسبق أن ذكرت أنَّ كلًّا منهما عند انفراده يشمل الآخر.

ولفظ البِضْع يُسْتَعمل للثلاث إلى التسع، فالحديث مُجْمَل في العدد، وقد ذهب المُحَقِّقون إلى أنَّه لا يُراد به عددٌ خاصٌّ لشعب الإيمان والإسلام، فهي كثيرة جدًّا، محيطة بالحياة الإسلاميَّة كلِّها، واستُعْمِلت للتكثير، مثل قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠].

فهو محمول على معنى الكثرة عند الجميع.

وقد جاء في روايات مسلم وأبي داود والترمذي والنسائي: «**بضع وسبعون**»، وفي رواية للبخاري: «**بضع وستُّون**»، وفي أخرى: «**بضع وسبعون**»، ولأبي عَوَانة في صحيحه من طريقه: «**ستٌّ وسبعون**» أو «**سبعٌ وسبعون**». وحاول النووي والقاضي عِيَاض وغيرهما التوفيق والحمل على معنى الكثرة، وهو الأولى، وقال القاري: «إنَّ شُعب الإيمان أكثر من أن تُحصى وتُضبَط»، وقال: «المراد به التكثير دون التحديد، واستعمال لفظ السبعين في هذا المعنى كثيرٌ متعارف، وذكر البضع للترقِّي والإشارة إلى أن شُعَب الإيمان أعداد مبهمة لا نهاية لكثرتها، ولذا أبهم، ولو أريد التحديد لم يُبهم، كذا قال الطِّيبي، وهو قول قريب إلى الصواب، لكنَّه قد ينافيه وقوع غير عدد السبعين في بعض الروايات كالستِّين، وتعيين البِضْع من سِتٍّ أو سبع أو أربع، وقد تصدَّى العلماء لحصرها وضبطها، وذلك لا يخلو عن تكلُّف، والله أعلم»[1].

(١) مرقاة المفاتيح لعلى القاري (٦٩/١)، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد ذكر هنا قول: «لا إلٰه إلَّا الله» كشُعبة من شعب الإيمان، فالتصديق به واليقين فيه هو الأساس، ولكنَّ إظهاره والتلفُّظ به هو أفضل الشعب الإيمانيَّة، وأدناها «إماطة الأذى عن الطريق».

والإماطة هي الإزالة والتنحية، والأذى كلُّ ما يؤذي بدنيا أو روحيًّا، مادَّة أو معنى، وإذا كان من الإيمان الاهتمام بالطرق والشوارع وحيث يمرُّ الناس، فما أوسع نظرة الإسلام، وعنايته بالحضارة والمدنيَّة والرفاهية وراحة الناس!

وقد ذكر الحياء من هذه الشعب بصورة خاصَّة لأنَّه مبعث الأخلاق الفاضلة، والمعاشرة الطيِّبة، والتعامل الرفيق.

والحياء لغةً: تغيُّر وانكسارٌ يعتري الإنسان بحكم الطبيعة من خوف ما يُعاب به.

أمَّا الحياء كاصطلاحٍ شرعيٍّ: فهو خُلُق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حقِّ ذي الحقِّ، وقد تكفَّل حديثٌ آخر ببيانه، قال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: «**استحيوا من الله حقَّ الحياء**». قال: قُلنا: يا رسول الله، إنَّا لنستحيي والحمد لله. قال: «**ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حقَّ الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، وتتذكَّر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدُّنيا؛ فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»[(١)].

وفي حديث آخر «**الحياء لا يأتي إلَّا بخير**»[(٢)].

(١) رواه أحمد (٣٦٧١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لضعف الصباح بن محمد. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٥٨)، واستغربه. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٩٣٥)، عن ابن مسعود.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١١٧)، ومسلم في الإيمان (٣٧)، عن ابن عمران بن حصين.

QaradawiBooks.com

فإن صاحب الحياء يخاف فضيحة الدُّنْيا والآخرة فيأتمر وينزجر.

ومن فقد الحياء فقد كلَّ شيء، وكأنَّه فقد الإيمان.

فقد جاء في حديث: «**إذا لم تَستَحِ فاصنعْ ما شئتَ**»[١] فالَّذي لا يستحي من الله، يعصيه ويخالف أمره، والَّذي لا يستحي من الناس، يرتكب الفواحش والمنكرات، ولا يُؤَدِّي حقوق العباد.

والحديث الثاني رقم [٥] عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ «**المُسلِم مَن سَلَمَ المُسلِمُون مِن لِسَانِه ويَدِه، والمُهَاجِرُ من هَجَر ما نهى الله عنه**» هذا لفظ البخاري، ولمسلم قال: إنَّ رجلًا سأل النبيَّ ﷺ: أيُّ المُسلِمين خَير؟ قال: «**مَن سَلَمَ المُسلِمُونَ مِن لِسانه ويده**» متَّفق عليه[٢]. يقول العلَّامة سلمان: راوي الحديث عبد لله بن عمرو وهو أحد العبادلة من الصحابة المعروفين بالفقه والرواية، مثل عبد الله بن عبَّاس حبر الأمة، وعبد الله بن عمر، وثالثهم عبد الله بن عمرو بن العاص.

أمَّا حديث عبد الله بن عمرو (٥) رضي الله عنهما فإنَّه يشتمل على بيان بعض شُعب الإيمان والإسلام، مع مراعاة لفظ الإسلام من حيث اللغة، فالإسلام من السلام، فالمسلم هو الَّذي يعطي الأمن والسلام، هذا ما يتطلبه هذا اللفظ، وتتطلبه الشريعة، إذن لا بدَّ أن يكون المسلم لا يتعرض لأحد بسوء، ويسلم المسلمون وغير المسلمين من إيذائه أيضًا.

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٣)، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٢) رواه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠)، كلاهما في الإيمان، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

ومن أحاديث الجزء الثاني: ما صحَّ في الفصل الأوَّل:

٣٠٣ ـ [٤] عن أبي هُرَيرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**تَوَضَّؤُوا ممَّا مسَّت النَّار**»[(١)]. رواه مسلم. هذا منسوخ بما روى عن:

٣٠٤ ـ [٥] عبد الله بن عبَّاس قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ أكل كتف شاة ثمَّ صلَّى ولم يتوضَّأ. مُتَّفق عليه[(٢)]

٣٠٥ ـ [٦] عن جابر بن سمرة أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ أنتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: «**إن شئتَ فتوضَّأ وإن شِئتَ فلا تتوضَّأ**». قال أنتوضَّأ مِن لُحُوم الإبل؟ قال: «**نعم فتوضَّأ مِن لحومِ الإبل**». قال: أُصَلِّي في مرابض الغنم؟ قال: «**نعم**». قال: أُصَلِّي في مَبَارِك الإبل؟ قال: «**لا**»[(٣)]. رواه مسلم.

وحديث أبي هُرَيرة (٤) ﷺ، المرفوع: «**توضؤوا ممَّا مسَّتِ النار**» أي ما طبخ على النار أو سُخِّن.

قال الشيخ سلمان: الراجح فيه أنَّ الوضوء ليس المراد به الوضوء الشرعي، فقد ثبت بأحاديث متعدِّدة عن النبيِّ ﷺ أنَّه تناول شيئًا من الطعام ولم يتوضأ، جاء ذلك في حديث ابن عبَّاس (٥) ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ أكل كتف شاة ثمَّ صلى ولم يتوضأ، وهو حديث مُتَّفق عليه، وهو معنى ما جاء في حديث ابن عبَّاس (٨) ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ شرب لبنًا فمضمض، وقال: «**إنَّ له دسمًا**» مُتَّفق عليه[(٤)]. ثمَّ ورد عن

---

(١) رواه مسلم في الحيض (٣٥٢).

(٢) رواه البخاري في الوضوء (٢٠٧)، ومسلم في الحيض (٣٥٤).

(٣) رواه مسلم في الحيض (٣٦٠)، وأحمد (٢١٠١٥).

(٤) رواه البخاري في الوضوء (٢١١)، ومسلم في الحيض (٣٥٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ابن عبَّاس (٢٥) رضي الله عنهما كحديثه (٥) وعن أم سلمة (٢٦) رضي الله عنها كذلك[١]، وعن سُوَيْد بن النُّعْمان (١٠) رضي الله عنه[٢] كذلك، ما يثبت أنَّه ﷺ تناول ما طُبِخَ على النار ولم يتوضَّأ. وما ذكر من التفريق بين لحوم الغنم ولحوم الإبل، يُبَيِّن المراد أنَّ الطبخ ليس سببًا للوضوء، بل استعمال ما فيه الزهومة والرائحة والدَّسَم، يغسل منه الفم واليد، ويحمل الوضوء على هذا المعنى، ولأنَّ لحم الإبل تكون الرائحة فيه أشدَّ، فتأكَّد فيه غسل الفم واليد، وقد ناقش حبر الأُمَّة وترجمان القرآن عبد الله بن عبَّاس، أبا هُرَيرة الراوي في فهم الوضوء الشرعي، ولم يقبل منه ما ذهب إليه، وهو الَّذي ذهب إليه جمهور الصحابة والتابعين، وهو الأوضح والأقرب، وعليه استقرَّت مذاهب الفقهاء الأربعة، إلَّا ما ذكر من التفريق في ذلك بين لحوم الغنم ولحوم الإبل عن الإمام أحمد، لتمسُّكه بظاهر الرواية أحيانًا، وينبغي أن يحمل على الفرق بين اللحمين، فتغسل اليد والفم من لحم الإبل، ولا يغسل من لحم الغنم، ولذلك فرَّق بين الصلاة في مربض الغنم، والصلاة في معطن الإبل، لشدَّة الرائحة، أو لخوف الضرر من الإبل.

ويحمل على هذا قول جرير رضي الله عنه: كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء ممَّا مسَّتِ النار[٣].

---

(١) رواه احمد (٢٦٦٢٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في الأطعمة (١٨٢٩)، وقال: حسن صحيح غريب. والنسائي في الطهارة (١٨٣).

(٢) رواه البخاري في المغازي (٤١٩٥).

(٣) رواه أبو داود (١٩٢)، والنسائي (١٨٥)، وابن الجارود (٢٤)، وابن حبان (١١٣٤)، كلهم في الطهارة، وقال النووي في المجموع (٢/٥٦، ٥٧): حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي وغيرهم بأسانيد صحيحة.

QaradawiBooks.com

ولكن نقول: أين ثبت من النبيِّ ﷺ أنَّه توضَّأ من تناول ما مسَّته النار، إنَّما قوله المحتمل، فسَّر هذا التفسير الَّذي ذهب إليه بعض الصحابة، والجمهور من الصحابة لم يقبلوا هذا التفسير، ولم ينقل عنهم الوضوء بعد الأكل من الطعام.

لقد أورد الإمام البخاري رحمه الله وغيره حديث خروج النبيِّ ﷺ إلى خيبر سنة (٧هـ) وأنَّه تناول ما مسَّته النَّار ـ وهو السَّوِيق ـ في الطريق، وصلَّى ولم يتوضَّأ[1]. ولم يسلم أبو هُرَيرة رضي الله عنه إلَّا سنة (٧هـ)، ولم يقابل النبيَّ ﷺ إلَّا في خيبر، بعد غزوة خيبر، فمن أين روى هو عن النبيِّ ﷺ حديث «**توضَّؤوا ممَّا مسَّت النَّار**»؟ وظاهر أنَّه لم يسمع من النبيِّ ﷺ ذلك، لأنَّه خالف ذلك عملًا في طريق خيبر، وشاهده الصحابة رضي الله عنهم دائما يتناول الطعام ولا يتوضَّأ، فإمَّا أن يكون أبو هُرَيرة روى عن صحابي آخر العمل المنسوخ، أو أنَّه فهم الوضوء اللغوي ـ وهو غسل اليد والفم، عند تناول ما يبقي دسمه أو رائحته للتنظيف ـ بمعنى الوضوء الشرعي، ويبدو أنَّ جابرًا رضي الله عنه فهم هذا الفهم، ولكنَّه كان أقدم إسلامًا من أبي هُرَيرة رضي الله عنه، وقد أعلَّ حديثَه بعضُ الحُفَّاظ المُحَدِّثين، وأوَّله أبو داود تأويلًا آخر.

ومثل هذا المُوجِب للوضوء الَّذي يتحقَّق يوميًّا ـ ومرَّتَيْن وثلاث مرَّات ـ لماذا لم يروِ الصحابة القدامى، ولا سيَّما كبار الصحابة، وأهل الإفتاء منهم، ولا سيَّما الخلفاء الراشدين، لماذا لم يرووا ذلك ولم يعملوا به؟

قال المباركفوري: ذهب الأكثر من السلف والخلف إلى عدم انتقاض الوضوء به، وأنَّ المراد بالوضوء غسل الفم واليدين...، وقد صدَّر البخاريُّ حديثَ ابن عبَّاس: أنَّ النبيَّ ﷺ أكل كتف شاةٍ ثمَّ صلَّى ولم

(١) وهو حديث سويد بن النعمان (١٠)، في الفصل الأول.

QaradawiBooks.com

يتوضَّأ، بالأثر المنقول عن الخلفاء الثلاثة، قال النووي: كان الخلاف معروفًا بين الصحابة والتابعين، ثمَّ استقرَّ الإجماع على أنَّه لا وضوء ممَّا مسَّت النار، ومنهم من ذهب إلى أنَّ الوضوء منسوخ بأحاديث ابن عبَّاس، وحديث أمِّ سلمة رضي الله عنها[1].

والراجح عندي بعد النظر في الروايات أنَّه لم يفرض الوضوء بتناول الطعام أبدًا، وأنَّه محمول على النظافة.

ولو سلَّمْنا جدلًا أنَّه فرض أوَّلًا أو طلب من المسلمين، فلعلَّ الحكمة فيه، أنَّ الأمر بالطهارة الحكميَّة، للنجاسة الحكميَّة أمر تعبُّدي محض، أمر بها المسلم للنقلة من الحالة الحيوانيَّة البهيميَّة المادِّيَّة إلى الحالة الرُّوحانيَّة الملكوتيَّة، فكل ما يتعلَّق بالحياة الحيوانيَّة من أكل وبول وبَراز وخروج مَنِيٍّ ومَذْيٍ، ومسّ الذكر والمرأة، وأوضاع الحياة البهيميَّة، لا تناسب الحالة الملائكيَّة، من نورٍ وطهر، وحمد وتسبيح، وذكر وعبادة، فلو اشتغل بها الإنسان ـ وهو في وصفه البهيمي، وطبيعته الحيوانيَّة ـ لقلل من شأنها وهيبتها، ومكانتها، وسموها، ورفعتها، فشرع الله تعالى علامة للطُّهر باستعمال الماء الطهور ـ وهو للطهارة الحِسِّيَّة أصلًا ـ أو باستعمال بدله، وهو ما هو من جنس الأرض الَّتي خلق منها الإنسان، وفيها يعود ومنها يخرج، وهي أيسر شيء وأسهله، للإشعار بالانتقال من حالة حِسِّيَّة إلى حالة رُوحِيَّة، ومن وضعٍ سفليٍّ إلى حقيقة علويَّة، وكلُّ ذلك لنقلة رُوحيَّة مُشْعِرة بمكانة الصلاة، والطواف بالبيت، ومسّ المصحف، وغير ذلك.

(١) باختصار من مرعاة المفاتيح (٢٢/٢، ٢٣)، وراجع للتفصيل في تحفة الأحوذي (٢١٧/١) وما بعدها، باب ما جاء في ترك الوضوء ممَّا غيرت النار، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

فيمكن أن يكون النبي ﷺ شرع لهم الوضوء للتربية النفسيَّة في هذه الحالات كلها، ثمَّ خفَّف الله تعالى وقصر الإيجاب على حالات خاصَّة تتعلق بالنجاسة الظاهرة، والرائحة الكريهة، كالبول والغائط، والريح والمذي والمني، والمباشرة، وألغى الإيجاب فيما ليس فيه نجاسة، من مس الذكر والمرأة ولا سيَّما أكل المطبوخ، ويبقى الاستحباب فيما نسخ فيه الوجوب، تشبها بالملائكة، وشعورًا بالنقلة من الدوافع الحيوانيَّة، وأشكالها إلى حالة الملائكة، المُسَبِّحين العابدين.

وليعلم هنا أنَّ مواقف أهل الظاهر والحرفيِّين من التمسُّك بالحديث بسنده أو أسانيده، وإن كان شاذًّا وغريبًا في معناه، وعدم التعمُّق في فقهه، وعدم دراسة مواقف الصحابة، والمقارنة بين ما عليه الأكثر منهم، وبين ما رُوِيَ عن آحادٍ منهم، ممَّن لم تكن لهم صحبة طويلة، ولا مكانة كبار الصحابة رضي الله عنهم، يحول دون التوصل إلى ما يجمع الأقوال، ويفيده حال المجتمع المدني في العهد النبوي ﷺ وما تلاه من العهود القريبة[1]، فلا ينبغي المنازعة بين المرفوعات والموقوفات من الروايات، بل لا بدَّ

(١) جاء عن الإمام أحمد بن حنبل: «الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ، وعن أصحابه، ثم هو بعد في التابعين مخير». الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٤٣٨/١، ٤٣٩)، تحقيق عادل الغرازي، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ. وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: «ألا إن ما سن رسول الله وصاحباه فهو دين نأخذ به». حلية الأولياء (٢٩٨/٥)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م. وعن خالد الحذّاء قال: «قال: إنا لنرى الناسخ من قول رسول الله ما كان عليه أبو بكر وعمر». الفقيه والمتفقه (٤٣٨/١). وقال ابن رجب الحنبلي: «... فما جمع عمر عليه الصحابة، فاجتمعوا عليه في عصره، فلا شك أنَّه الحق». جامع العلوم والحكم (١٢٥/٢)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م. وقال الذهبي: «أمَّا من أخذ بحديث صحيح وقد تنكّبه سائر أئمة الاجتهاد فلا». أي: فلا يعتبر. سير أعلام النبلاء (٤٠٤/١٦).

QaradawiBooks.com

أن تفهم الأحاديث المرفوعة في ضوء الأحاديث الموقوفة ويجمع بينهما، إلَّا إذا كانت قضيَّة انفرد بالرواية فيها بعض الصحابة، ولم تتنازع فيها الآراء ولا الروايات، فعندئذٍ ينبغي الاستفادة منها وفهمها حسب المقتضيات الأصوليَّة والقواعد الفقهيَّة المتَّفق عليها، ولا ينبغي أن يخالف آراء أكثر الصحابة ورواياتهم الموقوفة لحديث مرفوع انفرد به صحابي قليل الصحبة، بل ينبغي أن يعرض حديث ذلك الصحابي على مواقف الصحابة عامَّة، ثمَّ يحكم بناء على هذه الدراسة على الحديث بالقبول أو عدم القبول، ويحاول تقريب المراد منه، من الوجوب أو الاستحباب أو الجواز أو الحرمة، أو الكراهة، أو خلاف الأولى، بحيث تلتئم أكثر الأقوال، ولا يظهر التشدُّد في جانب دون جانب، لتحكيم القواعد المقبولة عند طائفة دون طائفة كأنها نحتت من حجر، من أنَّ الأمر للوجوب ـ مثلًا ـ وليس الأمر كذلك، بل القرائن، من الروايات المختلفة والمواقف المختلفة، والفهوم المختلفة هي الَّتي تُرجِّح جانبًا دون جانب، مع مراعاة اليسر والسهولة، وعدم الحرج والشدَّة على الأمة.

وإذا كان الفقه المذهبي تكون تدريجًا، في عصر دون عصر، ومصر دون مصر في أوائل القرن الثاني، ثمَّ في أواسطه، ثمَّ في أواخره، ثمَّ في أوائل القرن الثالث وكلَّما تأخر الزمن فيه، اجتمعت النصوص أكثر، وكانت الدراسة المقارنة بين الإجماعات الفقهيَّة أسهل، والنظر الجامع في الروايات أقرب، كان الجمع والتطبيق أكثر ضرورة لجمع الأمة بالتقريب والتوسيع، لا التفريق بالتجهيل، والتضعيف، والتشديد، وهذا هو المذهب التوفيقي والتطبيقي الَّذي اختاره الإمام الدهلوي (م١١٧٦) رحمه الله تعالى في القرن الثاني عشر الهجري، ليُمهِّد الطريق إلى التقريب بين المذاهب، والفقهاء والمُحَدِّثين، وأهل الرأي وأهل الحديث، وقد

QaradawiBooks.com

اشـــتدت الحاجة إلى ذلك أكثر يومَنا هذا في علم الـــكلام، وفي الفقه، وفي السلوك، ونحن نناشد العلماء من المشـــتغلين بالفقه والحديث أن يتوجَّهوا إلى هذا الأسلوب، والطراز، والمنهج الجامع السديد في دراسة الشريعة الإسلاميَّة الشاملة.

ومن أحاديث الفصل الثالث في الجزء الثالث ما جاء فيه:

٥١٢ ـ [٢٣] عن امرَأَةٍ من بني عَبدِ الأَشهَلِ قالت: قلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ لنا طريقًا إلى المســـجد مُنتِنـــة فكيف نفعلُ إذا مُطِرنـــا؟ قال: «**أليس بَعدَها طَرِيق هي أطيَبُ منها؟**» قالت: قُلتُ: بلى! قال: «**فهذه بهذه**»[(١)].

الحديث الأوَّل فيه عن امرأة من بني عبد الأشهل (٢٣) ويمكن أن تكون هي المرأة الَّتي وجهت السؤال إلى أمِّ سلمة رضي الله عنها حول المشي في المكان القذر فأفتتها أمُّ سلمة بقول الرسول ﷺ: «**يُطَهِّرُه ما بعده**»، وقد فصلت القول فيـــه، ويأتي هنا ذكر هـــذه المرأة أو ذكـــر امرأة أخرى، اســـتفتت الرســـول ﷺ عن الطريق إلى المســـجد، وهي منتنـــة، فيها قـــاذورات، فإذا مطـــرت الأرض، وتوحَّلت فلا بدَّ من تلـــوُّث النعال، وتلوث أطراف الثياب للنســـاء، فســـألها الرســـول ﷺ: أليس بعد هذه الطريق طريق أطيـــب منها؟ فقالت: بلى! فقال: هـــذه بتلك، وهو مثل قوله: يطهره ما بعده.

٥١٣ ـ [٢٤] عن عبد الله بن مسعود قال: كُنَّا نُصَلِّي مع رسول الله ﷺ ولا نتوضَّأ من المَوْطِئ. رواه الترمذي[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٢٧٤٥٢)، وقال مخرِّجوه: إســـناده صحيح. وأبو داود في الطهارة (٣٨٤)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤١٠): إسناده صحيح.

(٢) رواه الترمذي في الطهارة (١٤٣).

QaradawiBooks.com

ورد حديث عبد الله بن مسعود (٢٤) رضي الله عنه موقوفًا، قال: كُنَّا نُصَلِّي مع الرسول ﷺ ولا نتوضَّأ من المَوْطِئ، يعني كُنَّا نطأ على الأرض المتوحِّلة، ونمشي في الطريق، فلا نُعيد الوضوء، ولا نغسل الأرجل، ومعلوم أنَّ الوطء على الأرض ـ وإن كانت منتنة ـ ليس من موجبات الوضوء، فالمراد هنا نفي غسل الأرجل، وقد حُمِلَ الوضوء هنا على المعنى اللغوي بمعنى التنقية والتنظيف.

وقد حمل الفقهاء هذه الأحاديث كلَّها على المرور على الأرض الَّتي فيها نجاسة يابسة، أو قذارة غير نجسة، ولكن حديث المرأة الأشهليَّة، يُصرِّح بأنَّ المسألة تتعلَّق بحالة المطر، فهي تعرف أنَّ الأرض المُنْتِنة لا تضرُّ في حالة اليبس؛ إذ إنَّ القذارة أو النجاسة لا تَعْلَق بالنعل والثوب، ولكن بعد المطر وتبلُّل الأرض أو في حالة المطر تختلف الحال، فماذا يفعل الإنسان حين ذلك، فخفَّف ﷺ للنساء في ذيول أثوابهنَّ لضرورتهنَّ، وخفَّف في النعال للجميع لضرورتهم جميعًا، فكلُّ من يأتي المسجد في تلك الحالة، وهم مئات من الناس، هل يشتغلون بغسل نعالهم؟ وأين المِيضَأة؟ وأين الماء؟ وغسل الجلود فيها من الحرج ما هو معلوم، فخفَّف في أمر النعال، أمَّا القدم الحافية، فإذا لم يكن عند الإنسان نعل ـ وكان فقر بعض النَّاس إلى هذا الحدِّ ـ فخفَّف في أمر رِجْله أيضًا، فإنَّه إذا مشى في طريق مُتَقَذِّر، ثمَّ مشى على التراب الطاهر، فليُصَلِّ في هذه الحالة، ليس مأمورًا بغسل الأرجل، وكلُّ ذلك تخفيف ومراعاة، لحال الشدَّة والفقر، وللحالة المدنيَّة البدائيَّة، والطرق الطينيَّة، وعدم نظام المجاري، الَّذي يجعل الطرق نظيفة مثل الطريق المُبَلَّطة.

QaradawiBooks.com

والحديث الأوَّل صحيح، والحديث الثاني لم يُخْرِجه الترمذي، وإنَّما قال: وفي الباب عن عبد الله بن مسعود، وقد أخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم، وهو حديث صحيح[١].

وهذه الأحاديث لا تعارض الأحاديث الَّتي ورد فيها الأمر بإزالة النجاسة، فهو الأمر المطلوب، وفي هذه الأحاديث ذكرت أحكام التخفيف لحالات خاصَّة، كالَّتي كانت في المدينة المُنَوَّرة آنذاك، والمصلُّون يأتون إلى المسجد في العشاء والفجر بالطرق المظلمة، فلا مصابيح، ولا مشاعل، والطرق ليست مُبَلَّطة، وتوجد قمامات وقاذورات، تُسبِّب الأمطار فيها اجتماع القذر والوحل، ولا ينظر المارُّ في الظلام، ولا يستطيع أن يُمَيِّز، ويأتون من أماكن بعيدة، ولا توجد في المسجد إضاءات، ومصابيح ولا ميضأة، فلا بدَّ من التخفيف في هذه الظروف والأوضاع، ولا شكَّ أنَّها ليست أحكامًا للمسلمين الَّذين يمرُّون بالأحذية الجيِّدة على الشوارع والأزقَّة النظيفة، وهي مضاءة، ينظر فيها كل شيء، وفي المسجد حمامات، وميضآت، وخزانات مياه، فلا ينبغي تطبيق هذه الأحاديث فيها، بحيث إذا علم الإنسان أنَّه وطئ موضعًا نجسًا، فليأتِ المسجد، وليُنَظِّف رجله، ثمَّ ليدخل المسجد، وكان المسجد هناك طينيًّا مفروشًا بالحصيات، فكانوا يدخلون بنعالهم، ثمَّ إذا أرادوا خلعوا نعالهم فجعلوها عن يسارهم، أو صلَّوا في نعالهم وهي ليست صُلْبَة، ولا يصعب معها الجلوس والسجود، فلا ينبغي إطلاقًا أن يستدلَّ شخصٌ بتلك الأحاديث فيدخل بالنعال في المساجد المغسولة مثل المرآة، والمفروشة بالسجاجيد أو الحصر، فمن يدوس بنعله، الَّذي مشى به في الطريق، هذه المفروشات؛

(١) رواه أبو داود في الطهارة (٢٠٤)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٤١)، والحاكم في الطهارة (١٣٩/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

لأنَّه جاء في الحديث الصلاة بالنعال في المساجد، وقول الرسول ﷺ: «**خالفوا اليهود، صلُّوا في نعالكم**»[١]، فهو قليل الفقه والفهم، ويخبط الظاهري الجاهل خَبْط عَشْواء، فيظنُّ الحديث لكلِّ مكان، وفي كلِّ ظرف، من دون أن يتفقَّه فيه، ويطَّلع على خلفيَّاته، فيُثير فتنة، ويُلَوِّث المسجد، وهو يظنُّ أنَّه يُطَبِّق الحديث ويحسن صنعًا!

هكذا تبقي هذه الأحاديث تُطَبَّق في مجتمع ساذج يعيش حياة الشدَّة والشظف والتقشف في قرية على حالتها المدنيَّة البدائيَّة، حيث الطرق طينيَّة، والمسجد طيني، يدخل فيه البدويُّ، فلا يُمَيِّز بين داخله وخارجه، فيبول فيه، وتدخله الكلاب في الليل، فليست فيه أبواب تغلق، وتُقْبِل وتُدْبِر، وردَّ في رواية الإسماعيلي وأبي نُعَيْم والبيهقي «تبول»، وإذا لم يكن ذكر لفظ «تبول» في بعض الروايات، فلا فرق، فمن يمنع الكلاب ـ وهي تقبل وتدبر في الليل ـ ألَّا تبول.

فإذا كانت البساطة والسذاجة، والفقر، والحالة المدنيَّة البدائيَّة كهذه، فينبغي أن تكون المسائل للطرق، وعدم غسل النعال والأحذية، والدخول بها في المسجد، والصلاة فيها، كتلك الَّتي وردت، وهي تُطَبَّق حيث تكون الأوضاع كتلك، كما هي الحال في بعض قرى أفغانستان وأفريقيا، ومناطق أخرى ريفية بدوية وقروية، فيتغيَّر فقهها بناء على الأوضاع، ولا تُطَبَّق ظواهر هذه الأحاديث في المدن الراقية، والطرق الصافية، والمساجد الزاهية، وكما قال ﷺ: «**أنزلوا النَّاس منازلهم**»[٢] كذلك ينبغي

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٦٥٢)، والبزار (٣٤٨٠)، وابن حبان في الصلاة (٢١٨٦)، وقال الأرناؤوط: صحيح. والحاكم في الصلاة (٢٦٠/١)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٤٢)، وقال: ميمون لم يدرك عائشة. وعلقه مسلم في مقدمة الصحيح (٦/١)، عن عائشة. وصحَّحه الحاكم في معرفة علوم الحديث صـ ٤٨، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

QaradawiBooks.com

أن تنزل الأماكن، والأوضاع والظروف منازلها، فهو أيضًا من الفقه والحكمة الإسلاميَّة.

وفي الجزء الرابع وفي الفصل الأوَّل نجد أنسًا صاحب رسول الله وخادمه يروي هذا الحديث:

٨١٤ ـ [٣] عن أنس: أنَّ رجلًا جاء فدخل الصف وقد حفزه النفس، فقال: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «**أيُّكم المُتَكَلِّم بالكلمات؟**» فأَرَمَّ القوم، فقال: «**أيُّكم المُتَكَلِّم بها؟ فإنَّه لم يَقُل بَأسًا**» فقال رجل: جئتُ وقد حفزني النَّفَس فقُلتها. فقال: «**لقد رأيتُ اثنَي عَشَرَ مَلَكًا يَبتدِرُونها، أيُّهم يَرفعُها**»[1]. رواه مسلم.

وحديث أنس (٣) رضي الله عنه يفيد حادثًا خاصًّا كان يحمل من البركة والخير، أن جعل هديًا مفضلًا عامًّا، وهو أن شخصًا، أسرع إلى الصلاة، وأدرك الإمام في الركوع، وكان لسرعته، ولعلَّه لبدانته، بدأ يتنفَّس بشدَّة، فقد حَفَزَه النَّفَس أي جهده من شدَّة السعي إلى الصلاة، وقام من الركوع في هذه الحالة بدفع النفس العنيف، فقال بصوتٍ يُسمع: «الحمد لله حمدًا كثيرًا»، بحيث سمعه الناس، ووصل الصوت إلى الإمام سيِّدنا رسول الله ﷺ وتمثل حين تحميده لله ﷻ أمام الرسول ﷺ ملائكة يبتدرون إلى هذه الكلمات ليتلقفوها، ويحفظوها، ويصلُّوا بها إلى ربِّ السماوات العُلَا، فكان منظرًا روحيًّا ملائكيًّا عجيبًا، رآه الرسول ﷺ بعين النبُوَّة، كما كان يرى النَّاس خلفه، فلما سلم ﷺ من صلاته، وانصرف إلى الناس، قال: «**أيُّكم المُتَكَلِّم بالكلمات في الصلاة؟**» فسكت الناس،

(١) رواه مسلم في المساجد (٦٠٠)، وأحمد (١٢٧١٣).

QaradawiBooks.com

وغلب عليهم الخوف، لعلَّهم خالفوا سُنَّة من السنن، وسكت هذا الرجل خوفًا من العتاب، وأنَّه لا يجوز الجهر من المأمومين، وخرج صوتي وسُمِع[١]، وكرَّر النبيُّ ﷺ السؤال ثلاث مرَّات، وصرح بأنَّه لم يقل بأسًا ما يُؤاخذ عليه، ثمَّ قال: هذا الرجل معتذرًا خائفًا: «جئتُ وقد حَفَزَني النَّفَس، فقلتُها».

عندئذٍ بشَّر النبيُّ ﷺ هذا الرجل والناس الحضور بهذا المشهد العجيب من عالم الملائكة الخفيِّ عنهم أنَّه ﷺ رأى اثني عشر ملكًا، وفي رواية: رأى بِضْعَةً وثلاثين ملكًا، يبتدرون ليأخذوا هذه الكلمات، ويرفعوها إلى ربِّ السماوات والأرض، مشهد ملائكي للمسابقة والمبادرة! لأنَّهم رأوا رضا الرحمن، كأنَّه يهطل مدرارًا، وعلموا بأمارات معروفة في العالَم المَلَكُوتي ما دعاهم إلى هذا الاهتمام البالغ بهذه الكلمات الَّتي صدرت من شخصٍ عادي، فإذا به أصبح شامة بين الناس، وارتفعت مكانته، وأصبح سببًا لبعض مستحبَّات الصلاة، سبحان من يعطي ويهب من يشاء ما يشاء.

٧١٢ ـ [٢٤] وعن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال في مرضه الَّذي لم يَقُم منه: «**لعن اللهُ اليهودَ والنصارى، اتَّخذوا قُبُور أنبيائهم مساجدَ**». مُتَّفق عليه[٢].

قال أخونا الشيخ سلمان: أمَّا حديث عائشة (٢٤) رضي الله عنها، فإنَّها تذكر عن النبيِّ ﷺ وكان في مرض وفاته، تشديده وتغليظه على من يتخذون قبور الأنبياء ـ وكذلك الأولياء والصلحاء وغيرهم ممَّن يعتقد فيهم

(١) كذا في المطبوع.

(٢) رواه البخاري الجنائز (١٣٣٠)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٩).

QaradawiBooks.com

النَّاس ـ مساجد، أي يسجدون على قبورهم أو إلى قبورهم، مثل ما فعل اليهود والنصارى مع قبور أنبيائهم وكبرائهم.

فقد ورد في حديث جندب (٢٥) التالي[١]، أنَّهم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، نعم! اتخذوها مواضع السجود، فلعنهم الله، فمن يتبعهم من هذه الأمة، ويتخذ قبر النبي ﷺ مكانًا للسجود، فهو ملعون، وهو مثل اليهود والنصارى، ولم يذكر ﷺ المشركين، لأنَّهم كانوا يسجدون للأصنام والأوثان، ولم يعرف عنهم السجود للقبور، فقد كانوا يرون أن من دفن وقبر، يصير عظامًا وترابًا ورفاتًا، لم تبق فيه الحياة وآثارها، ولا يعود إلى الحياة، بعد أن كان ترابًا.

وقد استعاض اليهود والنصارى من الأصنام والأوثان قبورًا لأنبيائهم وأوليائهم، وهو الَّذي فعله المسلمون، لم يعبدوا الأصنام والأوثان، ولكنَّهم استبدلوا بها المقابر والمدافن، فبدؤوا يعبدونها ويسجدون لها، ويخترعون لها طقوسا وتقاليد لعمارتها، والدعوة إليها، والإشراك عن طريقها، ومشاقة الرسول بها، ولذلك أغلظ النبي ﷺ القول في ذلك، وشدد النهي، ودعا باللعنة على هؤلاء المتهوِّدين المتنصِّرين المشركين، وكان قريب الوفاة، يخاف من هؤلاء المُحَرِّفين للدِّين، الَّذين يعارضون دعوة التوحيد للأنبياء والمرسلين عن طريق تحويل مقابرهم إلى مراكز المشركين والمبتدعين والخرافيين، فكأنَّ الشيطان ينتقم من دعواتهم ودعوات المصلحين والمجددين، عن طريق هؤلاء المدسوسين، لخدمة حملات الشياطين، والقضاء على عقيدة التوحيد، ودعوة الرسالة، بمظاهر الشرك والكفر، والبدع والضلالات.

(١) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢).

QaradawiBooks.com

وقد ورد في صحيح مسلم: «**لا تجلسوا على القبور، ولا تُصَلُّوا إليها ولا عليها**»[١]، والمقصود هو سدُّ الذريعة إلى الشرك، والتشبُّه بعبدة الأوثان، وعبدة القبور.

وقال التوربشتي الحنفي في «شرح المصابيح»: «معنى إنكار النبيِّ ﷺ على اليهود والنصارى صنيعهم هذا مُخَرَّج على وجهين: أحدهما أنَّهم كانوا يسجدون لقبور الأنبياء تعظيمًا لهم، والثاني أنَّهم كانوا يتحرَّوْن الصلاة في مدافن الأنبياء، والسجود على مقابرهم، والتوجه إلى قبورهم حالة الصلاة نظرًا منهم بأن ذلك الصنيع أعظم موقعًا عند الله لاشتماله على الأمرين: عبادة الله سبحانه، والمبالغة في تعظيم الأنبياء، وذهابًا إلى أن تلك البقاع بإقامة الصلاة والتوسُّل بالعبادة فيها إلى الله لاختصاصها بقبور الأنبياء، وكلا الطريقين غير مَرْضِيَّة، أمَّا الأولى فلأنَّها من الشرك الجلي، أمَّا الثانية فلأنَّها متضمِّنة معنى ما من الإشراك في عبادة الله، حيث أتى بها على صنعة الإشراك أو التبعيَّة لمخلوق. والدليل على ذم الوجهين قوله ﷺ: «**اللَّهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتدَّ غضب الله على قوم اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». والوجه الأوَّل أشبه به. وأمَّا نهي النبي ﷺ أمته عن الصلاة في المقابر فإنَّه لمعنيين: أحدهما لمشابهة ذلك الفعل سُنَّة اليهود، وإن كان القصدان مختلفين، والثاني لما يتضمنه من الشرك الخفي، حيث أتى في عبادة الله بما يرجع إلى تعظيم مخلوق فيما لم يؤذن له. قال: والصلاة في المواضع المتبرَّكة بها من مقابر الصالحين داخلة في جملة هذا النهي، لا سيَّما إذا كان الباعث تعظيم هؤلاء، وتخصيص تلك المواضع لما أشرنا إليه من الشرك الخفي»[٢].

---

(١) رواه مسلم في الجنائز (٩٧٢)، وأحمد (١٧٢١٦)، عن أبي مرثد.

(٢) مرعاة المفاتيح (٤١٩/٢، ٤٢٠).

QaradawiBooks.com

تنبيهات للأخ الشارح:

من هذه الجولات الَّتي رأيناها ولمسناها من شرح أخينا الحبيب العالم الباحث الداعية الموفَّق الَّذي نسأل الله أن يتقبل منه هذه الشروح ويجعلها في ميزان حسناته، أودُّ أن أنبه على بعض التصحيحات الَّتي أراها مهمة، ولو كان أخي الشيخ سلمان بجواري لأسررتُ بها إليه، ولم أكتبها. من ذلك: بعض التعبيرات الَّتي لا تُقِرُّها السليقة العربيَّة، وهو غلط مشهور عند الكثير من الناس، مثل: الَّذين ظلموا أنفسهم واستبدلوا الخير بالشر، فاستحقوا عذاب الله. فالمفروض أن باء الجر إنَّما تدخل على المتروك، وهم في هذا الموقف المذموم يتركون الخير بالشر، وليس الشر بالخير، كما قال تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾؟ [البقرة: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨] فالمتروك هنا ما لا يجوز أن يترك.

في بعض ما يكتب أراه عندنا خطأ، مثل ما أراه في كتابة مثل: من أبنائكم، فهي تكتب هكذا: من أبناءكم. وعندنا أن هذا الرسم غلط. وبعض ما يقع على الهمزات تصيبه مثل هذا.

وبعض الأحاديث يراها الشيخ سلمان حفظه الله ضعيفة، أو شديدة الضعف، ولكن هناك مصنفون ينقلونها إلى درجة التحسين، بأسانيد أخرى. فأرجو التنبيه لمثل هذا.

بعض آراء الشيخ سلمان ـ وهي قليلة ـ قد لا نوافق عليها. وهذا لا يضره، فلا ينبغي للعالم أن يطلب موافقة النَّاس على كل شيء. وكأنَّه

QaradawiBooks.com

نبي مرسل، مكتوب له العصمة من الله ﷻ، فإذا جاء في شرحه ـ وهو قليل بل نادر ـ أن يرى رأيًا غير ما يراه بقية العلماء أو أكثر العلماء، فلا مانع أن يكون ما رآه خطأ، ولا يضرُّه هذا. فلولا أن في النَّاس من يخطئ ما عُرِفَ فضل الصائب.

ويظنُّ بعض العلماء أو بعض الشباب المُتَحَمِّس: أنِّي أعيب على الشيخ سلمان نهجه القوي الثوري المُتَطَلِّع إلى الأمام، بل أنِّي أحييه، وأشدُّ على يديه، وأدعو له بالمزيد من التوفيق في خدمة السُّنَّة وخدمة القرآن، وخدمة العقيدة، والشريعة والدعوة والحضارة والتاريخ، ونصرة الأمة ووحدتها وقوتها. أدعو للشيخ سلمان وإخوانه وأنصاره بالمزيد من القوَّة، والمزيد من الخير والجهد الَّذي نحن في كثير من الحاجة إليه، لتمضي الدعوة إلى الأمام، وإلى الأعلى، وإلى الأقوى في كل جانب، داعيًا الله تعالى أن يزيد الإخوة هدًى ونورًا، حتَّى ينتصر الحقُّ، وينتشر الخير، ويزداد المهتدون إلى الصراط المستقيم.

وكم كنتُ أحبُّ أن توضع أرقام الآيات فوق مع الآية نفسها، وبذلك نُفسح مساحات كثيرة تضيع بالترقيم في الأسفل.

(وبعد) فهذا ما جرى به القلم، وقد تركتُ يدي تكتبُ ما يعن لها ممَّا يفتح الله عليها، ولم أدرِ أنَّه سيطول بي إلى هذا الحدِّ، ولكن هذا ما وقع. كتبته وأنا في غاية الزحمة من العمل، حيث إنِّي مطالب أن أعمل جاهدًا للموسوعة الكبرى الَّتي تقوم على استيعاب تراثي كلّه، أو ما أبقاه القدر الأعلى منه، وما أمكنني إضافته إليه، ممَّا نشر من قبل،

QaradawiBooks.com

وممَّا لم يُنشر، وما أُكْمِلَ وهُذِّب، وما يستحقُّ التهذيب والإكمال، وما من عمل بشريٍّ يدَّعي صاحبه أنَّه بلغ غاية الكمال. فهذا ضد طبيعة البشر، ومقدرة البشر، وطاقة البشر.

فأقول لأخي الحبيب سلمان ومن معه من إخوانه وأعوانه: أنتم ـ والله ـ أحرار تمام الحُرِّيَّة فيما هو أمامكم، ومن حقِّكم أن تقرؤوه على مهل، وتسألوني فيما قد لا تجدونه سائغًا لديكم، وأن تُقَصِّروا ما طال منه، وتحذفوا ما يجلب لكم إشكالًا قد لا يكون مناسبًا لكم، وممكن أن تقترحوا حذف جملة أو عبارة أو كلمة أو حرف أو ما شئتم. فوالله لأنتم في هذه الحالة مِنِّي على حُرِّيَّة تامَّة. أقول لكم هذا صادقًا من كل قلبي.

وعلى كلِّ حال، لا يسعني إلَّا أن أقول ما قال نبي الله شعيب لقومه: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وفي النهاية، أدعو الله أن يصحبكم بعنايته، ويحفظكم برعايته، ويحرسكم بعينه الَّتي لا تنام، ويكلؤكم في كنفه الَّذي لا يُضَام، وينفع بكتابكم هذا أُمَّة الإسلام؛ أُمَّة الإجابة، وأُمَّة الدعوة، وأن تنتفع بسائر ما كتبتم من علوم القرآن والسُّنَّة، وعلوم العقيدة والشريعة والأخلاق الإسلاميَّة، ويجعلها نورًا وهدى للمسلمين وغير المسلمين.

ربَّنا تقبَّلْ منَّا إنَّك أنت السميع العليم، وتبْ علينا إنَّك أنت التوَّاب الرحيم. اللهمَّ عَلِّمنا ما ينفعنا، وانفعْنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، وانفعنا

QaradawiBooks.com

وانفع أُمَّتنا وعالمنا بما كتبناه وما نكتبه، وما يكتبه إخواننا وأبناؤنا واجعله ذخرًا لنا ولهم، وشافعًا لنا ومغفرة ورحمة لنا عندك يا رب العالمين. ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

الموافق ٢٦ سبتمبر ٢٠١٦م

الدوحة في ٢٥ ذي الحجة ١٤٣٧هـ

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

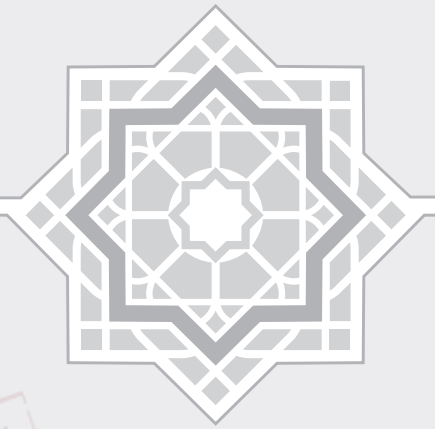

في السِّيرة النبويَّة

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «السِّيرة النبويَّة»

للإمام أبي الحسن الندوي(١)

الحمد لله الَّذي خصَّنا بخير كتابٍ أُنْـزِل، وأكرمنا بخير نبيٍّ أُرســل، وأزكي صلوات الله وتسليماته على مُعَلِّم النَّاس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرشد، رحمة الله المهداة للعالَمين، ونعمته المسداة للناس أجمعين، سيَّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه الَّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النور الَّذي أنـزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فيسعدني ويشــرفني أن أكتب هذه الســطور تقديمًا لهذه الطبعة من كتاب «السِّيرة النبويَّة» للشــيخ الإمام أبي الحسن الندوي رضي الله عنه، وذلك لسببين رئيسين:

الأوَّل: أنَّ كل مسلم في عنقه دين لســيدنا وقائد دربنا، وهادينا إلى ربنا: مُحمَّد رسول الله، فهو الَّذي أتم الله علينا برسالته النعمة، وأسبغ به الرحمة، وعلمنا الكتاب والحكمة، وهدانا من ضلالة، وعلمنا من جهالة، وأخرجنا من الظلمات إلى النور بإذن ربنا إلى صراط العزيز الحميد.

(١) نشر دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن حق هذا الرسول الكريم علينا أن نحبه ونطيعه ونتبعه ونثني عليه، ونصلي ونسلم عليه، كما أمرنا ربنا ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وأن نشكر نعمة ربنا بإرساله رحمة لنا ونورا وهدى، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ۝ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢].

ولهذا يتنافس العلماء والكتاب والمفكرون المسلمون في أن يكون لهم حظ في الكتابة عن رسول الله ﷺ، وفاء ببعض حقه عليهم، ولا أحسب شخصيَّة من عظماء الرجال كتب عنها ما كتب عن مُحمَّد بن عبد الله عليه صلوات الله وتسليماته، بلغات شتَّى، شرقية وغربية.

ومن لم يتح له من العلماء المسلمين أن يكتب عن هذه الشخصيَّة الفذة، يتمنَّى من كل قلبه أن تهيَّأ له هذه الفرصة، وأنا من هؤلاء الَّذي يتمنَّون على الله جل شأنه أن يوفقهم لكتابة شيء مستقل في السيرة المحمَّديَّة، قبل أن يوافيهم الأجل[1].

لهذا أرحِّب أن أقدِّم لكتاب له قيمته في سيرة سيدي وحبيبي رسول الله ﷺ، قيامًا ببعض الواجب عليَّ نحوه، فداه أبي وأمي.

السبب الثاني: لسعادتي بتقديم هذا الكتاب، هو قيمة الكتاب نفسه، فليس كل من كتب في السيرة يجيد الكتابة، ويقدم الأصيل والجديد، فكم من كتب في السيرة يكرر بعضها بعضًا.

(١) كتبتُ كتابًا قريبًا من السيرة كُلِّفت به من قِبَل المؤتمر العالمي للسيرة النبويَّة الذي عقد في قطر في المحرم ١٤٠١هـ بداية لاحتفالات القرن الخامس عشر الهجري، وكان عنوانه: الرسول والعلم، وقد طبع عدة مرات.

QaradawiBooks.com

إنَّ هذا الكتاب كتبه رجل عاش في السيرة، وعاشت فيه السيرة، فهو يجد في السيرة مصدر الإلهام لفكره، ومصدر الأسوة لسلوكه، ويجد في الشخصيَّة المحمَّديَّة هدي النبوة المعصومة، وعظمة العبقرية الفذة، ويتكلم عن السيرة بعقليَّة الدارس الباحث، وبقلب المحب العاشق.

لقد كان هذا الكتاب نسيج وحده في كتابة السيرة، فقد اطلع مؤلفه على ما كتب في السيرة من كتب الأقدمين، ومن كتب المحدثين، ما كتب بالعربيَّة، وما كتب بالأرديَّة، وما كتب بالفارسيَّة، وما كتب بالإنجليزية.

واطلع على ما كتب في مصادر السيرة المعروفة، مثل: سيرة ابن هشام، وسيرة ابن كثير، وإمتاع الأسماع، والروض الأنف، وغيرها، وما كتب في كتب الشمائل المحمَّديَّة، والهدي النبوي، وما دون في كتب الحديث، وكتب دلائل النبوة، والخصائص، وما كتب في التاريخ العام، وغيرها، ومن قبل ذلك كله أعظم مصادر السيرة وهو: القرآن الكريم.

واستطاع الشيخ أن يخرج من هذا المزيج هذا الكتاب العلمي الفريد، مصوغًا بلغة أدبيَّة سلسة بليغة، تقنع العقل، وتهز القلب، وتحفز الإرادة.

وبأسلوب يجمع بين دقة العالم، وإشراقة الأديب، وحرارة الداعية.

وبمضمون يجمع بين زهو الأصالة، وعبق المعاصرة.

ولم يكن هذا الكتاب أوَّل عهد الشيخ الندوي بالسيرة العاطرة، فقد كتب قبل ذلك «سيرة خاتم النبيين» للأطفال، وكتب كذلك «النبي الخاتم»، وأيضًا «الطريق إلى المدينة»... ولا يكاد يخلو كتاب من كتبه الأصيلة إلَّا وفيه نفحة من نفحات السيرة، ظاهرة أو خفية. حتَّى إن أبرز

QaradawiBooks.com

كتب الشـــيخ وأشـــهرها، وأول ما قدمه إلى العرب والعالم «ماذا خسر العالم بانحطاط المســـلمين؟»، لم يخل من هذه اللمسات والوقفات في الســـيرة. كما في الباب الثاني: «من الجاهليَّة إلى الإسلام»، وفيه وصف دقيـــق ومبين للجاهليَّـــة العربيَّـــة والعالميَّة قبل الإســـلام، وكيف حول الرسول ﷺ «خامات» الجاهليَّة إلى فضائل الإسلام، وكيف أنشأ المجتمع الإسلامي النموذجي.

وفي الباب الأخير يعلن: أنَّ محمَّدًا رسول الله هو روح العالم العربي. وكيف لا، وهو ســـليل بيت النبوة، الَّذي ربي منـــذ نعومة أظفاره على التعلق بالســـيرة وحب صاحبها، والاهتداء بهديه فـــي الأمور كلها؟ فقد نشـــئ على أنَّ أصدق الحديث كتـــاب الله تعالى، وخيـــر الهدي هدي مُحمَّد ﷺ.

وقد ذكرنا في كتابنا «أبو الحسن الندوي كما عرفته» في «ركائز الفقه الدعوي» عند الشيخ: توثيق الصلة بالسيرة والسنة النبويتين[1].

وربما ساعده على ذلك عناية علماء الهند المسلمين عامَّة، والندويين منهم خاصَّـــة بالسِّـــيرة النبويَّة، مثل ما كتبـــه العلَّامة شِـــبْلي النُّعماني، والعلَّامة ســـليمان الندوي عن الســـيرة باللغة الأرديَّة، وما كتبه الشـــيخ القاضي مُحمَّد سليمان المنصور فُورِي في كتابه «رحمة للعالَمين»، الَّذي كان من الكتب البارزة الَّتي أثرت في فكر الشيخ ونفسه منذ صباه.

ولا غرو أن يكتب الشيخ أبو الحسن كتابه هذا، في وقت أصبح فيه مرجعًا من مراجع المســـلمين في العالم، في الفكر والدعوة والتوجيه،

(١) أبو الحسن الندوي كما عرفته صـ ٨٠ نشر دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بعد أن تهيب الكتابة في الموضوع زمنا، وإذا كان مثله لا يكتب في السيرة، فمن يكتب؟

إنَّ هذا الكتاب ليسد ثغرة في مجال السيرة لا يسدها غيره، ويجيب عن تساؤلات مطروحة، وخصوصًا من المثقفين الجدد، الَّذين تشبعوا بالأفكار الغربيَّة، وقرؤوا المصادر الأجنبية، فشوشت عليهم ببعض المفاهيم.

والكتاب بمنهجه وأسلوبه العلمي العصري التربوي المتزن، جدير بأن يقيم الحجة، ويدحض الشبهة عند هؤلاء وأمثالهم.

وهو ـ فوق ذلك ـ يلمس أوتار القلوب، ويغذيها برحيق الإيمان، ويمدها بعواطف الحب لله ولرسوله ولدينه، لتصنع البطولات، وتتخطى العقبات، وتعيد دور الصحابة من جديد.

فجزى الله شيخنا الندوي خيرًا عن كتابه، ونفع الله به من قرأه، ومن نشره، ومن أسهم بنصيب في تعميم النفع به، وحشرنا مع حبيبه المصطفى ﷺ، يوم يحشر المتَّقون إلى الرحمن وفدًا. اللهمَّ آمين.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

٤ أبريل ٢٠٠١م

الدوحة: ١٠ محرم سنة ١٤٢٢هـ

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة: «هذا رسول الله»

إعداد مجموعة من العلماء والباحثين

بإشراف الدكتور سلمان العودة(١)

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الَّذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، مُحمَّد وآله وصحبه مصابيح الدجى، وأئمة الهدى، ومن بهديهم اقتدى فاهتدى.

(أمَّا بعد)

فقد اصطفى الله رسله إلى خلقه من أنفس النَّاس معدنًا، وأزكاهم أنفسًا، وأرجحهم عقولًا؛ ليكونوا أهلًا لتبليغ رسالات الله إلى خلقه، وإقامة الحجة عليهم، وإنارة الطريق أمامهم، ليبلغوا رضوان الله تعالى ومثوبته، بأن يعبدوه حق عبادته وحده لا شريك له، ويفعلوا الخير لخلقه، ويعمروا أرضه، ويقوموا بخلافته فيها، ويقيموا القسط بين الناس، كما يحب الله تعالى، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقد امتد موكب الرسل مبشرين ومنذرين في سائر الأمم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال ﷻ: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر: ٢٤].

(١) نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

QaradawiBooks.com

وكان من هؤلاء الرسل: الخمسة الكبار، الَّذين عرفوا عند المسلمين بـ «أولي العزم» وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمَّد عليهم الصلاة والسلام، الَّذين خصهم الله بالذكر في بعض المواضع من القرآن، كما في قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

وكما ذكرهم في سورة الشورى بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وهم الَّذين أوصى الله نبيَّه أن يتأسَّى بهم، ويصبر كما صبروا: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

الرسالة الأخيرة من الله للبشر:

وقد شاء الله سبحانه أن يختم سلسلة الرسل والأنبياء بمحمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وصور ﷺ نبوته بأنَّها اللبنة الأخيرة في بنيان النبوة[(١)]، وذكر من خصائصه: أنَّه ختم به النبيون[(٢)]. قال ابن كثير: والأحاديث في هذا كثيرة[(٣)].

---

(١) إشارة إلى المتَّفق عليه: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتًا، فأحسنه وأجمله، إلَّا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟». قال: «فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين». رواه البخاري في المناقب (٣٥٣٥)، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٦)، عن أبي هريرة.

(٢) إشارة إلى حديث: «فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ: أُعْطِيتُ جوامع الكَلِم، ونُصِرْتُ بالرعب، وأُحِلَّت لي الغنائم، وجُعِلَتْ لي الأرض طَهُورًا ومسجدًا، وأُرسِلْتُ إلى الخلق كافة، وخُتِم بي النبيون». رواه مسلم في المساجد (٥٢٣)، عن أبي هريرة.

(٣) تفسير ابن كثير (٤٣٠/٦)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

فكان مُحمَّد ﷺ، هو النبي الوحيد في موكب النبيين الممتد، الَّذي أعلن بصريح العبارة: أنَّه آخر الأنبياء الَّذين يحملون رسالة من الله إلى البشر. ولم يدَّع نبي مثل هذه الدعوى.

وقد مضى أكثر من أربعة عشر قرنًا على بعثة مُحمَّد ﷺ، ومع هذا لم تقم نبوة تستحق أن تسمع، كما قال الكاتب الكبير الأستاذ عبَّاس العقاد. وإنَّما قامت دعاوى منذ عهد مُحمَّد وبعد موته، ثبت زيفها وكذبها. وفي العصر الحديث قام أدعياء مثل الباب والبهاء في إيران، ومثل غلام أحمد في الهند، ومن ينظر في دعاوى هؤلاء المتنبئين، وما جاؤوا به من كتب يزعمون أنَّها تضاهي القرآن: يستيقن بما لا يدع مجالًا للشك: أنَّ محمدًا هو رسول الله حقًّا، وأن كل هذه الدعاوى عملة مزيفة، كشف زيفها، وثبت بطلانها، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد: ١٧].

وإنَّما كانت رسالة مُحمَّد ﷺ، هي الرسالة الخاتمة؛ لأنَّ الله تعالى علم أنَّ البشريَّة قد بلغت أشدها، وآنست رشدها، واكتمل نضجها، فتأهلت لنزول الرسالة الأخيرة، بما فيها من عناصر الخلود، وعوامل السعة والمرونة، وقواعد الحق والعدل، ممَّا يجعلها صالحة لكل زمان ومكان.

عالمية الرسالة المحمَّديَّة:

كما كان مُحمَّد ﷺ هو النبي الوحيد الَّذي أعلن عن «عالميَّة» رسالته من أوَّل يوم، وتكرر ذلك في سور القرآن المكي، وأتباعه لا يزالون قليلين مستضعفين في الأرض، يخافون أن يتخطَّفهم الناس، فنزل القرآن الكريم يؤكد عموم رسالة مُحمَّد ﷺ إلى العالمين، فليست رسالة للعرب

QaradawiBooks.com

وحدهم، ولا لأهل الشرق وحدهم، بل هي رسالة للعرب والعجم، وللشرق والغرب، وللأبيض والأسود. في حين كان الرسل من قبله يبعث كل رسول إلى قومه، فنوح أرسل إلى قومه، وإبراهيم أرسل إلى أبيه وقومه، وموسى أرسل إلى بني إسرائيل، كما أرسل إلى فرعون وقومه، والمسيح عيسى أرسل إلى بني إسرائيل، كما قال في إنجيله: «إنَّما بُعثت إلى خراف بني إسرائيل الضالَّة»[1].

يقول القرآن في سورة الأنبياء المَكِّيَّة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ويقول في سورة الفرقان المكِّيَّة: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

ويقول في سورة سبأ المكِّيَّة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨].

ويقول في سورة الأعراف: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ويقول في سورة ص: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينٖ﴾ [صٓ: ٨٧، ٨٨]، وتكرر ذكر هذا المعنى في القرآن المكي.

وجعل هذه الرسالة عالميَّة ضمنها كل المبادئ والأسس الَّتي تصلح بها لمخاطبة الإنسان في مختلف الأقطار، ومن شتَّى الأجناس، ومن كل الطبقات، فلا مجال فيها لعرقية، ولا إقليميَّة، ولا طبقية بحال.

(١) إنجيل متَّى (٢٤/١٥)، (٦/١٠، ٧).

QaradawiBooks.com

شموليَّة الرسالة المحمَّديَّة:

كما أعلن مُحمَّد ﷺ عن أمر ثالث، وهو شمولية رسالته، فهي رسالة للفرد ليزكو ويسمو، وللأسرة لكي تتحاب وتسعد، وللمجتمع لكي يتماسك ويتآخى، وللأمة لكي تتوحد وتترقى، وللإنسانيَّة لكي تتعارف وتتعاون.

إنَّها ليست مجرَّد رسالة لاهوتيَّة، ولا رسالة علميَّة، ولا رسالة دعويَّة، ولا رسالة تربويَّة، ولا رسالة اجتماعيَّة، ولا رسالة جهادية، إنَّها كل هذه الرسالات؛ ولذا وصف دُعاتها بأنَّهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، فهي إذن رسالات، وليست رسالة واحدة. وإنَّما كانت رسالات لتعدد مضامينها، وتنوع أحكامها، واستيعاب قيمها ومفاهيمها، فهي عقيدة وشريعة، وعبادة ومعاملة، وخلق وثقافة، ودعوة ودولة، وحق وقوة.

أشار القرآن إلى هذه الشموليَّة، حين قال مخاطبًا الرسول الكريم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى في ختام سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

إعداد مُحمَّد لحمل الرسالة العامَّة الخالدة:

وكان من حكمة الله تعالى أن يحمل هذه الرسالة العالميَّة الخالدة الشاملة من هو أهل لحملها، فلم يكن غير مُحمَّد بن عبد الله، العربي القرشي الهاشمي المكي، الَّذي علمه ربه فأكمل تعليمه، وأدَّبه فأحسن تأديبه، واختاره من دون العالمين، لينزل عليه القرآن هدى للناس وبيِّنات من الهدى والفرقان، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، وعلَّمه ما لم

QaradawiBooks.com

يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيمًا. كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥].

كان من الإعجاز الإلٰهي في شأن محمد: أنَّه اختاره أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. ولكن هذا الأمي علم البشريَّة من الهدى ودين الحق ما جمع كل ما علمه الرسل من قبله، وزاد عليهم.

حفظ الله محمدًا في مراحل حياته كلها: في طفولته، وفي صباه، وفي شبابه، وفي كهولته؛ فكان مثال الطهارة والاستقامة في سلوكه، ومثال الجد والاجتهاد في حياته، لم يتكل على حسبه ونسبه، وينتظر مساعدة النَّاس له، بل سعى إلى رزقه بكد يمينه، وعرق جبينه، وعمل في رعي الغنم، ثمَّ في المضاربة في التجارة، ولم يعرف عنه يومًا أنَّه شارك في مجون، أو عبث، أو شهوة، ممَّا هو متاح في مكَّة لكل راغب، بل كان حفظ الله له من مقارفة أي سوء يكلؤه حيثما كان، ومن تولى الله حفظه فلن يزل ولن يضيع، ولا غرو أن سماه قومه: «الأمين».

وكان كل عام يعتزل قومه ـ بما شاع فيهم من الوثنيَّة، وانتشار الخمر والميسر، والأنصاب والأزلام، والسفاح واتخاذ الأخدان، وظلم النساء واليتامى، وأكل الربا ـ ليتعبد لربه في غار معروف، هو غار حراء، يخلو فيه إلى نفسه، ويتأمل في الكون من حوله، ويطيل المناجاة لربه، حتَّى جاء الوحي يوما، وهو في هذا الغار، ولم يكن يرجوه ولا يتوقعه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦].

QaradawiBooks.com

ولذا رجع إلى زوجه خديجة يرجف فؤاده، ويرتعد جسمه، قائلًا: «**زمِّلوني، زمِّلوني**»[(١)].

وظل في مكَّة ثلاثة عشر عامًا يتلقى الوحي، وإذا فتر عنه أحس بقلق شديد، وإذا نزل عليه أحس بذلك من حوله، ثمَّ ينبثق عن قرآن يتلى، يحفظه في صدره، ويأمر كتّاب الوحي أن يسجّلوه فيما يتيسّر لهم من الأدوات البدائيَّة. وعشرة أعوام أخرى في المدينة بعد الهجرة إليها، حتَّى اكتمل الدين، وتمت به النعمة، ونزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

كان القرآن يوجه محمدًا في مسيرة حياته كلها، يمده بالمعرفة المعصومة فيما يتعلق بعالم الغيب، ويسدد عقله في معرفة عالم الشهادة، كما يرسم له الطريق إلى مرضاة الله، ليسلكه، ويسلكه من آمن به واتبعه، ويحذره من الطريق إلى سخط الله، حتَّى يجتنبه هو ومن آمن به واتبعه.

فكان مُحمَّد يتعلم من وحي ربه فيعمل به، ثمَّ يبلغ ويبين ويعلم، ولم يكتم آية أو جملة واحدة ممَّا أنزله الله عليه، ولو كان في ذلك عتاب أو لوم له، كما في قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١، ٢]، وقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]، وقوله: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وقوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١].

كل هذه الآيات وأمثالها رفعت من مقام مُحمَّد ﷺ، ولم تنزل منه؛ لأنَّها دلت على مدى أمانته فيما يبلغ عن ربه، كما دلَّت على أنَّه ﷺ

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

مؤيد من ربه، غير موكول إلى نفسه، فوراءه وحي يسدده، ورب يكلؤه بعينه الَّتي لا تنام، ويحرسه في كنفه الَّذي لا يضام.

ومن خلال سنوات الدعوة في مكَّة، وسنوات الجهاد في المدينة، اكتملت شخصيَّة محمد، الَّذي زوده الله بكل أنواع الكمال البشري، الَّذي لم يرقَ إليه إنسان قبله، ولذا استحقّ أن يحمل الرسالة العامَّة والأخيرة للبشر. ولا عجب أن خاطبه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

أعظم شخصيَّة في البشر:

لقد أثبتت كل الدلائل أنّ محمّدًا رسول الإسلام هو أعظم شخصيَّة عرفها البشر في تاريخهم الطويل، شهد له بذلك المؤمنون به عن معرفة وصحبة.

وشهد له بذلك المعادون له، بعد معارك متصلة، والفضل ما شهدت به الأعداء.

وشهدت له بذلك سِيرته العاطرة الحافلة، في سلمه وفي حربه، وفي محنته وفي انتصاره، وفي شدَّته ورخائه.

وشهد له قبل ذلك ربه، الَّذي أرسله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

وشهد له قرآنه، الَّذي جعله الله آية عظمى له: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

وشهد له بذلك جيل من الأصحاب ربّاهم على يديه، ونشّأهم على طريقته، ليربّوا العالم من بعده، ويخرجوه من الظلمات إلى النور، فكانوا مثلًا في العبادة، ومثلا في البذل، ومثلًا في الأخلاق، وهم الَّذين

QaradawiBooks.com

أخذت الأمة عنهم القرآن، وروت عنهم السنن، وفتح الله على أيديهم الفتوحات الإسلاميَّة.

وشهد له بذلك سنته الَّتي رويت عنه، وسجلت أقواله وأفعاله وتقريراته، وغدت تعتبر ـ بجوار القرآن ـ المصدر الثاني للإسلام في تشريعه وتوجيهه وتربيته وتثقيفه، وهي ثروة هائلة من الجوامع والسنن والمسانيد والمصنفات المختلفة، خدمتها عقول كبيرة من علماء الأمة، وسهرت على تنقيتها وحفظها وشرحها، حتَّى تنتفع بها الأجيال.

وها نحن أولاء نرى نموذجًا من هذه السنة المحمَّديَّة، تتجلى في هذه الجمهرة من الأحاديث الصحاح والحسان، المستمدة من مصادرها المعتمدة، المخرجة تخريجًا مناسبًا، المفسر غريبها بما لا بدَّ منه، وهي تشمل كل أبواب الدين، من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والآداب والجهاد والسيرة، وغيرها.

وهي كنوز نفيسة بما فيها من تعاليم هادية، وأحكام عادلة، وتوجيهات نيرة، وما تحويه من جواهر المعرفة، وغوالي القيم، ونفائس التوجيه، وروائع الحكم، وجوامع الكلم، مع البلاغة والسلاسة، والعذوبة والجزالة، وهي تمثل قمة البلاغة البشريَّة.

قام بها جماعة من العلماء الأفاضل من الدعاة والمربين، وأشرف عليها الأخ العالم الداعية المجاهد سلمان فهد العودة، نفع الله بهم وجزاهم خيرًا.

والحمد لله ربِّ العالَمِين.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «الرحمة»

للشيخ إبراهيم حسين مليباري[١]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(أمَّا بعد)

فإن «الرحمة» هي عنوان الرسالة المحمَّديَّة بنص القرآن: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

والنبي ﷺ قال: «**إنَّما أنا رحمة مُهداة**»[٢].

وقد تجلت رحمته عليه الصلاة والسلام في سيرته وسنته كلها: في أقواله وأفعاله وتقريراته. فهو يمثل الرحمة فيها جميعًا.

فهو يكره القسوة، وينكر الغلظة، ويذم العنف، ويدعو إلى الرفق في كلِّ شيء، وهو المثل الأعلى في ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) نشر دار (Compass Books)، تورنتو، كندا، ط١، ٢٠٠٩م.

(٢) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه على شرطهما، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٨٠٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما دخل الرفقُ في شيءٍ إلَّا زانه**»[١]، «**إنَّ الله يحبُّ الرفقَ، ويُعطي على الرِّفقِ ما لا يُعطي على العُنف**»[٢].

وقد كانت معاملته ﷺ مع أصحابه ومع أعدائه، في حالة السلم وفي حالة الحرب، تجسد الرحمة الَّتي بعث بها ﷺ، وكان خلق الرحمة أبرز أخلاقه ﷺ.

وقد اجتهد أخونا الباحث الفاضل الشيخ إبراهيم حسين مليباري أن يجمع معاني الرحمة ووقائعها من حياته وسـنته ﷺ، فكان هذا الكتاب الفريد من نوعه، الجديد في طرحه، السهل في أسلوبه.

أسـأل الله أن ينفع به كل من اطلع عليه، وأن يجزي كاتبه عن دينه ونبيِّه وأمَّته خيرًا.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤)، وأحمد (٢٤٩٣٨)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٣)، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

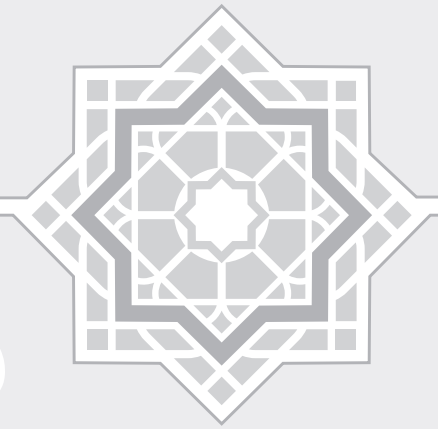

غير مرخصة للطباعة

في الفقه والفتوى

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

مقدمة
«رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود»(١)

صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن زيد المحمود
رئيس المحاكم الشرعيَّة والشؤون الدينيَّة بدولة قطر

أحمد إليكم الله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وأصلي وأسلم على رسوله وآله وصحبه ومن اتَّبع هُداه، وأحييكم بتحية الإسلام، تحية من عند الله مباركة طيبة، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

فقد عدت من سفر لي، فوجدت كتابًا كريمًا من فضيلتكم، يتضمن ثناء طيبًا على كتابي «فتاوى معاصرة»، الَّذي قرأتم حوالي ربعه، وما زلتم مستمرين في قراءته.

---

(١) هذه رسالة تقريظ لرسائل الشيخ عبد الله بن زيد المحمود، من العالم الفاضل الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي، عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة قطر، ودراسة هذه الرسالة تغني عن التنويه بحسن معناها، وجمال مبناها (عبد الله بن زيد).
انظر: الحكم الجامعة لشتى العلوم النافعة، ضمن مجموعة رسائل وخطب الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود (٣٦٩/٧ ـ ٣٧٩)، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط٢، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا ريب في أنِّي أعتز بشهادتكم للكتاب، وتقديركم له، وتنويهكم به، وإشادتكم بمؤلفه، فهي شهادة من عالم ثبت متمكن، يعرف ما يقول، ويعني ما يقول. كما لا أنسى شهادتكم من قبل لكتاب «فقه الزكاة»، ومن قبله كتاب «الحلال والحرام»، الَّذي سعدت برأيكم فيه منذ قدمت قطر من ثمانية عشر عامًا، وما سألتم عنه من حكم تارك الصلاة ستجدون جوابه ـ إن شاء الله ـ في موضعه من الكتاب.

وإذا كنت فضيلتك قد حسبتني من المتساهلين في أمر تارك الصلاة، فإنَّ كثيرًا من قراء الكتاب صنفوني هنا في زمرة المتشددين، ولكنِّي على أي حال أسير وراء الأدلَّة حيث لاحت لي أضواؤها.

وقد سعدت مع كتابك هذا، بصورة من رسالتين جديدتين دبّجهما قلمكم الكريم:

إحداهما: عن جواز الإحرام من جدة للقادمين إليها بطريق الجو، مستندًا إلى أنَّ الحكمة في وضع المواقيت في أماكنها الحالية، كونها بطرق الناس، وأنَّها على مداخل مكَّة، وكلها تقع بأطراف الحجاز، وقد صارت جدة طريقًا لجميع ركاب الطائرات، ويحتاجون بداعي الضرورة إلى تعيين ميقات أرضي يحرمون منه لحجهم وعمرتهم، فوجبت إجابتهم، كما وقّت عمر لأهل العراق ذات عرق، إذ لا يمكن جعل الميقات في أجواء السماء، أو في لجّة البحر، الَّذي لا يمكن النَّاس فيه من فعل ما ينبغي لهم فعله، من خلع الثياب، والاغتسال للإحرام، والصلاة، وسائر ما يسن للإحرام، إذ هو ممَّا تقتضيه الضرورة، وتوجبه المصلحة، ويوافقه المعقول، ولا يخالف نصوص الرسول ﷺ.

QaradawiBooks.com

وقد أعجبني تعليقكم على الحديث الشريف الَّذي ورد في المواقيت المعروفة: «**هُنَّ لهنَّ، ولمن أتى عليهنَّ من غير أهلهنَّ**»[١]، بقولك: «ومن المعلوم أنَّ مرور الطائرة فوق سماء الميقات ـ وهي محلقة في السماء ـ لا يصدق على أهلها أنَّهم أتوا الميقات المحدد لهم لا لغة ولا عرفًا، لكون الإتيان هو الوصول إلى الشيء في محله.. فلا يأثم من جاوزه في الطائرة، ولا يتعلق به دم عن المخالفة»[٢] اهـ.

وهذا تيسير عظيم على النَّاس في هذا الزمان، بدل تكليفهم الإحرام في الطائرة مع ما فيه من حرج، أو الإحرام من بيوتهم في بلادهم، ولم يلزمهم الله بذلك.

وقد كنت قرأت لبعض علماء المالكيَّة أقوالًا لها اعتبارها، في جواز تأخير الإحرام في البحر لركاب السفن، حتَّى ينـزلوا إلى البر في جدة[٣]، مستدلين بمثل الاعتبارات الَّتي ركنتم إليها فضيلتكم.

ولا ريب في أنَّ راكب الجو المعلق بين السماء والأرض، أولى بالتيسير من راكب البحر.

أمَّا الرسالة الثانية: فهي تتضمن اقتراحات عمليَّة في ضوء فقه الشريعة السمحة، للتخفيف من سفك دماء الهدايا والذبائح بمنى، وهي اقتراحات في نظري، يؤيدها الفقه، وتوجبها المصلحة، ويسندها النقل، ولا يرفضها العقل. وأضيف إلى أربعتها خامسًا، وهو أن يكتفي الحجاج بالدماء الواجبة عليهم لزوما، كهدي المتعة والقران، ودم الجبران، ونحوها.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٢٦)، ومسلم (١١٨١)، كلاهما في الحج، عن ابن عباس.

(٢) انظر: مجموعة رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود (٢٧/٢).

(٣) انظر: الشرح الصغير على الدردير مع حاشية الصاوي (٢٦٧/١)، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.

QaradawiBooks.com

أمَّا ما خير فيه بين الفدية وطعام المسكين، فليختر إطعام المسكين.

وأمَّا دم التطوع، مثل الأضحية في أيَّام العيد، فلا معنى لها هناك، فإن الهدي الواجب يغني عنها، ومن لم يكن عليه دم واجب، فلا مبرر لذبحه ما لا ينتفع به، وأفضل منه أن يوكل من يضحي عنه في بلده وبين أهله.

فضيلة الشيخ الكريم:

لقد كنت أتحدث مع بعض الزملاء عن رسائلكم وبحوثكم، حديثًا لا أرى بأسًا من نقل مضمونه إلى فضيلتكم، ولا سيَّما أنِّي كنت وعدت فضيلتكم من مدة بالكتابة معبرا عن رأيي في رسائلكم ومؤلفاتكم الَّتي تتفضلون دائمًا بإهدائها إليَّ أوَّل ظهورها، وأحيانًا كثيرة قبل طباعتها.

وكان ممَّا قلته: أن رسائل الشيخ نوعان:

١ ـ **رسائل عادية**، تتضمن توجيهات ونصائح أشبه بالخطب المنبرية، بل هي في الغالب من خطب الجمعة الَّتي يحضرها الشيخ، ويتعب عليها، ويُغَذِّيها بالنصوص والحكم والأشعار حتَّى تنضج. وهذه ليست مقصودة بالحديث هنا.

٢ ـ **والنوع الآخر: رسائل علميَّة فقهيَّة**، تهدف إلى تحقيق مسألة مُعَيَّنة، وإبداء الرأي فيها عن طريق الترجيح والاجتهاد المبني على النصوص النقليَّة، وفهم القواعد الكُلِّيَّة والمبادئ العامَّة للشريعة، ومراعاة مصالح الخلق، ومقاصد الشرع.

وهي الَّتي صال فيها قلم الشيخ وجال، وأتى فيها بالجديد والطريف، وجعلت له كثيرًا من المعجبين، كما هيَّجت عليه كثيرًا من المنكرين. وقلَّ من النَّاس إلَّا من له مادح وقادح، إلَّا الخامل من الناس، الَّذي

QaradawiBooks.com

يعيش بينهم حيًّا كميت، وموجودًا كمفقود، فهو لا ينفع ولا يضر، ولا يحزن ولا يسر.

ولا أنكر أنِّي قد أختلف مع الشيخ في بعض الجزئيات فيما يكتبه، مثل ذبائح الشيوعيِّين والملاحدة والمرتدِّين، وقد أتناقش معه في بعض القضايا ويحتدُّ بيننا النقاش، ولكن اختلاف الرأي لا يفسد ما بيننا من ود، ولا عيب في اختلاف الآراء، ما دام أصحابها أرادوا الحق والخير، إنَّما العيب في اختلاف القلوب، وتحاسد النفوس.

وقد اختلف الصحابة والتابعون والأئمَّة بعضهم مع بعض، ووجدوا في ذلك توسعة ورحمة للأمة، وحسبنا قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

ولكن الَّذي لا ينكره إلَّا مكابر، أنَّ رسائل الشيخ الفقهيَّة الَّتي أطال فيها البحث والفكر، تتمثل فيها عدة مزايا جديرة بالتنويه والتسجيل:

المزيَّة الأولى: هي الواقعيَّة

فليست بحوثًا محلقة في أجواء الخيال، أو تعالج مشكلات صنعها الوهم، أو كانت مشكلات في عصر مضى ثمَّ عفا عليها الزمن.

وإنَّما تعالج مشكلات واقعية يعيشها الناس، ويطلبون لها حلًّا، وينشدون من حملة الشرع أن يقولوا فيها كلمتهم، ويحددوا موقفهم، ولا يكتفوا بالهرب من المشكلة بالسكوت عنها، أو إحالة بعضهم على بعض، أو انتظار الإجماع الَّذي قلما يحدث.

وجمهور النَّاس لا يكفيهم من علماء الشرع أن يقولوا: لا ندري. فإن هذا قد يقبل من واحد أو اثنين أو ثلاثة، أمَّا أن يقول الجميع: لا أدري. فتلك هي الطامة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن المعلوم أنَّ التصدي للإجابة عن تساؤلات الناس، وحل مشكلاتهم في حياتهم الاجتماعيَّة ـ في ضوء فقه الشريعة ـ فرض كفاية على علماء الإسلام، فإذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد، وقال الكل: (لا أدري) فيما يعرض للناس من قضايا، فقد ركب الإثم الجميع. فجزى الله الشيخ خيرًا عن المسلمين وعلمائهم، فقد قام عنهم في كثير من المواقف بفرض الكفاية.

المزيَّة الثانية: التيسير والتخفيف

ولا غرو، فالتيسير روح الشريعة، وبه بعث الله محمدًا ﷺ، كما قال: «**إنِّي أُرسِلتُ بحنيفيَّة سمحة**»[(١)]. فهي حنيفية في العقيدة، سمحة في الشريعة.

وقال: «**إنَّ الله لم يبعثني مُعَنِّتًا ولا مُتَعَنِّتًا، ولكن بعثني مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا**»[(٢)].

وأرسل ﷺ أبا موسى ومعاذًا إلى اليمن، وأوصاهما بهذه الوصية الجامعة: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا**»[(٣)]. أي: لا تختلفا.

وقال ﷺ لأصحابه، وهو خطاب للأُمَّة كلِّها: «**إنَّما بُعِثتُم مُيَسِّرين، ولم تُبعَثُوا مُعَسِّرين**»[(٤)]. ومن هنا نرى أنَّ القرآن يعقب على أحكام الطهارة بقوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

---

(١) رواه أحمد (٢٤٨٥٥)، وقال مخرِّجوه: حديث قوي. وحسَّن إسناده الحافظ في التغليق (٤٣/٢)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٨)، وأحمد (١٤٥١٥)، عن جابر.

(٣) سبق تخريجه صـ١٣٠.

(٤) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وعلى أحكام الصيام بقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وعلى أحكام النكاح بقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

وعلى أحكام القصاص والعفو بقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وإذا كان التيسير والتخفيف مطلوبًا دائمًا؛ لأنَّه مقتضى رحمة الله وضعف الإنسان، فهو ألزم ما يطلب في عصرنا هذا، الَّذي رق فيه الدين، وضعف اليقين، وتعرض فيه الإسلام لهجمات ضارية من أعدائه على اختلاف نحلهم ومشاربهم، وقد جعل فقهاؤنا القدامى رضوان الله عليهم «عموم البلوى» بالشيء من أسباب التخفيف فيه، وجعلوا من قواعدهم: «المشقَّة تجلب التيسير»، و«إذا ضاق الأمر اتَّسع».

فلا عجب إن رأينا الشيخ يتَّجه وجهة التيسير على الناس، منذ رسالته الأولى في جواز رمي الجمار قبل الزوال، وإلى رسالته الأخيرة في جواز الإحرام من جُدَّة لركاب الطائرات. وقد يختلف الكثيرون مع الشيخ في هذه القضيَّة أو تلك، وقد يكون الصواب معهم، وقد يكون معه. فكل مجتهد معرض لأن يصيب ويخطئ، وهو مأجور على كلِّ حال، أخطأ أم أصاب.

ولكن منهج التيسير الَّذي سلكه الشيخ في رسالته لا يستطيع أحد لومه عليه، فهو يقول: والتيسير متى وجد العالم إليه سبيلًا، وجب أن يفتي بموجبه؛ لأنَّه من شريعة الدين الَّذي قال الله فيه: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٨].

QaradawiBooks.com

وأحب أن أذكر هنا: أنِّي لا أريد بالتيسير ما يفعله بعض النَّاس من اعتساف التأويلات، ولي أعناق النصوص المحكمات؛ لتبرير الأوضاع القائمة، وتسويغ المعاملات الجارية، استسلامًا للتيارات السائدة، وانهزامًا أمام الحضارة الوافدة.

ولكن الَّذي أسجله هنا: أنَّ من العلماء من تبنى موقف التشدد في كل قضيَّة، فأقرب شيء إلى قلمه ولسانه كلمة «حرام»، مع ما ورد في القرآن والسُّنَّة وأقوال السلف من التحذير من ذلك، حتَّى كانوا يقولون: نكره هذا، ولا يعجبنا، أو لا نحبه، أو لا نراه إلخ، دون التصريح بالتحريم خوفًا من وعيد الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

ولا ريب في أن موقف المنع والتحريم والتزمت أمر سهل لا يحتاج من العالم إلى طول بحث وإعمال فكر، كما يحتاج موقف التيسير.

ورضي الله عن إمام الفقه والورع أمير المؤمنين في الحديث سفيان بن سعيد الثوري، فقد روى النووي عنه في مقدمة «المجموع» هذه الكلمة المشرقة: إنَّما العلم الرخصة من ثقة، أمَّا التشديد فيحسنه كلُّ أحد[1].

والحق أنَّ عصرنا في حاجة إلى رخص ابن عبَّاس أكثر منه إلى شدائد ابن عمر، رضي الله عن الجميع.

المزية الثالثة: التحرر من التقليد

فالشيخ حفظه الله وإن كان حنبلي النشأة والدراسة في أوَّل الأمر، قد سار على طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيِّم في

(١) المجموع شرح المهذب للنووي (٤٦/١)، نشر دار الفكر.

QaradawiBooks.com

الاختيار من روايات المذهب وأقواله، وما أكثرها! ولا مانع عند اللزوم من الخروج على المذهب إلى غيره من المذاهب الأربعة أو مذاهب غيرهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من فقهاء الأمة.

وهذا ما جعله يختار مذهب عطاء وطاوس في جواز الرمي قبل الزوال أيَّام التشريق، خارجًا عن الرأي السائد المألوف في مذهب أحمد وسائر المذاهب الأربعة المتبوعة.

وما جعله يخرج عما نصت عليه كتب المذهب المشهورة في الأضحية عن الميت، مبينا أن هذه الكتب المتأخرة ينقل بعضها عن بعض، في حين أنَّ المتقدمين لم ينصوا على هذا الأمر بوضوح.

إنَّ عيب الكثيرين من المشتغلين بالعلم أنَّهم سجنوا أنفسهم في قمقم التقليد، والتعصب لمذهب معين، لا يخرج أحدهم عنه، وإن بدا له ضعف مأخذه، أو تهافت دليله، ولا يلتفت إلى غيره، وإن كان أرجح ميزانًا، وأنصع برهانًا.

هذا مع نهي الأئمَّة المتبوعين رضي الله عنهم، عن تقليدهم، وترغيبهم في العودة إلى المنابع، والأخذ من حيث أخذوا.

وهذا التقليد ممَّا ابتلي به فقهنا في عصر الركود الفكري، والجمود العلمي، وإن لم يخل عصر من العصور، من شهب تسطع في دياجير العصبيَّة المذهبيَّة، داعية إلى الاجتهاد داخل المذهب أو خارجه، مثل ابن العربي المالكي، وابن الهمام الحنفي، والسبكي الشافعي، وابن تيمية الحنبلي، وبعدهم الدهلوي، والصنعاني، والشوكاني، وغيرهم في شتَّى الأعصار والأمصار.

QaradawiBooks.com

والحق أنَّ التقليد لا يسمى علمًا، فالعلم هو معرفة الحق بدليله، لا مجرد تلقي اللاحق عن السابق، والخلف عن السلف. وإذا قُبل التقليد من العوام، لم يقبل أبدًا من العلماء الَّذين وقفوا حياتهم على العلم والبحث، ورحم الله من قال: لا يقلد إلَّا عصبي أو غبي[١].

المزية الرابعة: الشجاعة في إبداء الرأي

فكم من عالم خلع ربقة التقليد من عنقه، وانتهى به البحث إلى رأي ارتضاه، ولكنَّه يكتمه أو يبوح به لخاصته والقريبين منه، ولا يجرؤ على إذاعته بين جمهور الناس، اتقاء لثورتهم الَّتي لا تقف عند حد، وحرصًا على السلامة من ألسنة هي أحد من السيوف.

ولكن الشيخ إذا وصل باجتهاده إلى رأي في قضيَّة أذاع به وأعلن عنه، ولم يبال في ذلك بهياج العامَّة، ولا بسخط الخاصَّة، بل ربَّما أخذت عليه الشدَّة والحدة في الذود عن الرأي ومقارعة الخصوم، حتَّى يخيل إليك أنَّه مقاتل في معركة، لا مناظر في مسألة.

ولا غرو، فقد أخذ من قبل على شيخه، شيخ الإسلام ابن تيمية مثل هذه الحدة والصرامة، حتَّى قال بعض معاصريه: لولا حدة فيه لكان كلمة إجماع[٢].

ومن يدري؟ لعلَّ هذا الطبع الحاد في شيخ الإسلام ساعده على أن يخرج على مذهبه، بل على المذاهب الأربعة المتبوعة كلها باجتهاداته

(١) لسان الميزان لابن حجر (٢٨٠/١)، من قول أبي جعفر الطحاوي، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م.

(٢) انظر: البدر الطالع للشوكاني (٦٤/١، ٦٥)، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

الَّتي رحب بها العالم الإسلامي والفكر الإسلامي في عصرنا، ولم يعبأ بمخالفة المخالفين، ولا تذمُّر المتذمِّرين، وكيد الكائدين.

وكذلك سار الشيخ على نفس المنهاج، ونسج على نفس المنوال، فقد نشر رأيه في رسالته الأولى «يُسر الإسلام» في مسألة رمي الجمار قبل الزوال، وأصر على رأيه، برغم مخالفته لعلماء العالم الإسلامي عامَّة، وعلماء المملكة خاصَّة، ولرأي المذاهب المعتمدة، وجمهور الفقهاء، ورغم أنَّه لم يكن له من الشهرة العلميَّة ما له اليوم.

ومع هذا يثبت على قوله، مصرًّا على التحدي، موجهًا رسالته إلى علماء الرياض، وفيهم المفتي الأكبر العلَّامة الشيخ مُحمَّد بن إبراهيم، الَّذي ألَّف رسالة في الرد على رأي الشيخ في موضوع الجمار.

وهناك أكثر من رسالة من رسائل الشيخ عارضها من عارضها من العلماء، مثل رسالة «الأضحية عن الميت»، ورسالة «النبي والرسول»، ورسالة «الجهاد المشروع في الإسلام»، وغيرها.

ولكن هذا لم يثن عزم الشيخ عن نشر اجتهاداته في رسائل أخرى، وقد تثير عليه معارضة أقوى وأوسع نطاقا من سوابقها، كما فعل في رسالة «فصل الخطاب في إباحة ذبائح أهل الكتاب».

والَّذي أنصح به إخواني العلماء في المملكة العربيَّة، وفي الأزهر الشريف، وفي معاهد الهند والباكستان، وبلاد الشام والمغرب، وغيرها: أن يفسحوا صدورهم للرأي المخالف، ويفتحوا آذانهم وعقولهم للاجتهاد الجديد، وإن أخطأ صاحبه؛ لأنَّ المجتهد ليس ملكًا ملهمًا، ولا نبيًّا معصومًا، ولكنَّه بشر يذهل كما يذهل البشر، ويخطئ كما

QaradawiBooks.com

يخطئ البشـــر، غير ناســـين أنَّ الله تعالى قد أثـــاب المجتهد المخطئ مكافأة على اجتهاده.

إن من أحـــوج ما نحتاج إليه في عصرنا هذا هـــو: الاجتهاد، لإثبات صلاحية الشريعة وقدرتها على مواجهة التطور وتوجيهه، وأنَّ عندها لكلِّ داءٍ دواءً، ولكلِّ مشكلةٍ حلًّا.

وهذا هو منهج الشيخ جزاه الله خيرًا، وسدَّد خطاه على الحقِّ، وهذه هي مميِّزات رسائله، نفع الله بها.

يا فضيلة الشيخ، لا يَسَعُني في ختام هذه السطور إلَّا أن أدعو الله لكم بتســـديد الخُطا، والتوفيق في القول والعمل، ونفـــع الله بكم، وأعزكم، وأعز بكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

عميد كُلِّيَّة الشريعة والدراسات الإسلاميَّة بجامعة قطر

الدوحة ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ

الموافق ١٦مايو ١٩٧٩م

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية

مقدمة «الغناء والموسيقى: دراسة في الحكم الشرعي»

للأستاذ عمرو عبد الكريم[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(أمَّا بعد)

فهذا بحث جاد، قام به شاب صاعد واعد، نتيجة قراءات متعددة، وعقل متفتح، تنقل بين القديم والحديث، وتزاوج بين الدين والواقع، وأحسن الاستفادة من الرجوع إلى القواعد والأصول الكُلِّيَّة، كما استفاد من النصوص والأدلة الجزئيَّة، وقد اختار موضوعًا من الموضوعات المهمة المتصلة بحياة الناس، اختلف فيه العلماء قديمًا، كما اختلفوا فيه حديثًا، وكان لكل منهم وجهته ودليله، ما بين محرم ومبيح ومفصل، ذلكم هو موضوع «الغناء والموسيقى»، الَّذي كتب فيه الكاتبون، وألف فيه المؤلفون، تحت عناوين شتَّى، منها «السماع» و«الآلات» وغيرها.

ولا أنكر أنِّي ممَّن شغل بهذا الموضوع، وعرضت لحكمه في أكثر من كتاب لي: في «الحلال والحرام»، وفي «الفتاوى المعاصرة» الجزء

(١) نشر دار القلم، الكويت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

الأوَّل ثمَّ الجزء الثاني، وفي «ملامح المجتمع المسلم»، بل إنَّنِي أؤلف كتابًا مستقلًّا فيه، لم يكتمل بعد[١].

ولقد سـرَّني أنَّ بحث هذا الشـابِّ يلتقي معي فـي كثير من أفكار كتابي، رغم أنَّ تخصُّصه ليس في الدراسات الشرعيَّة، بل هو مُتَخَصِّص في العلوم السياسيَّة، ولكنَّه مسـلم غيور على دينه، يقرأ ويعي، ويوازن ويُحَلِّل، ويُرَجِّح ويستنبط. ولا أحد يحجر عليه هذا الحقَّ، إذا أهَّل نفسه لذلك، وأعطى الدراسة ما تسـتحقُّه من عناية، ولم يستعجل الثمرة قبل أوانها، وأحسب أنَّه مدرك لذلك جيِّدًا.

وقد سرَّني منه أنَّه لم يُبِحْ كلَّ غناء، وكلَّ موسيقى، بل أباح ما أباح بضوابطه الشرعيَّة، وإن كان الأصل عنده ـ كما وضح الإمام الغزالي[٢] ـ هو الإباحة، والحرمة عارضة.

وأنا أعلم أنَّ مثل هذا التوجُّه التيسيري في هذا الموضوع الشائك قد يغضب كثيرًا من المُتشـدِّدين في هذا الأمر، حتَّى إنَّهم يغلقون المذياع عند بدء نشرات الأخبار؛ لأنَّ لها مُقَدِّمة موسيقيَّة، ومنهم من يمنع الدفَّ في العُرس، رغم ما ثبت فيه من السُّـنَّة، ولكنَّ الحقَّ أحقُّ أن يُقال، وأن يُستمع، والمدار على الدليل، فمن كان أسعد بالدليل ينبغي أن يؤيَّد.

وإنِّي لأُحَيِّـي في ابننا وباحثنا الأسـتاذ عمـرو عبد الكريم: جهده المتواصل، وعلـوَّ همَّته، وصبره على البحـث، وحرصه على التأصيل، وميله إلى التيسير، ونظرته المتكاملة إلى الإسلام. وهذا كله من أسباب

(١) كتابنا: فقه الغناء والموسـيقى في ضوء الكتاب والسُّنَّة، قد وفَّق الله وأعان وأتممت تأليفه، ونشرته مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢) إحياء علوم الدين (٢/٢٧٣) نشر دار المعرفة، بيروت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

توفيقه فيما كتب، وإنِّي لمستبشر له بمستقبل مشرق في البحث والدراسة، على نحو ما قال الشاعر قديمًا:

وَإِذَا رَأَيْتَ مِنَ الْهِلَالِ نُمُوَّهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلَا[1]

أسال الله تعالى له مزيدًا من التوفيق، وأن يُسَدِّد قلمَه في نصرةِ الحقِّ، وتجلية حقائق الإسلام وقيمه المثلى، وأن يُجَنِّبه الزلل والعَثَار.

وصلى الله على رسولنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا مُحمَّد وسلم تسليمًا كثيرًا.

يوسف القرضاوي

(١) من شعر أبي تمام، كما في شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي (٢/٢٣٠)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «فتاوى مصطفى الزرقا»

اعتنى بها مجد أحمد مكي[1]

شرَّفني شيخنا الفقيه الكبير الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا حفظه الله ونفع المسلمين بعلمه: أن أكتب مقدّمة لكتابه هذا الممتع، الَّذي يضمُّ مجموعة طيِّبة من فتاويه، الَّتي أجاب بها تحريرًا من سألوه ـ طوال عمره المديد المبارك ـ في قضايا شتَّى، ممَّا يشغل فكر المسلم المعاصر في شؤون الدين والحياة.

وإنِّي ليُسْعِدُني ـ والله ـ أن أكتب مقدمًا لفقيه الأُمَّة الزرقا، فأزداد بذلك ـ إن شاء الله ـ قربة عند الله، وفخرًا عند الناس.. وما كان مثلي ليقدم مثله، ولكنَّه أَمَرَ ورَغِبَ، وليس عليَّ إلَّا الطاعة، وقديمًا قال سلفنا الصالح: الامتثال خيرٌ من الأدب.

وقد عاش العلَّامة الزرقا للفقه، تدريسًا وتأليفًا، وإفتاء وممارسة، في الحياة، وفي الجامعات، وفي المجامع الفقهيَّة، وفي لجان التقنين، وفي مراكز البحوث، وله في كل هذه المجالات باع رحب، وآثار تُذْكَر فتُشْكَر، انتفع بها النَّاس في أنحاء ديار الإسلام، ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨].

(١) نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

ولا عجب، فقد ورث شيخنا الفقه كابرًا عن كابر، أبًا عن جَدٍّ، فقد كان والدُه رَحِمَهُ اللَّهُ العلَّامة الشيخ أحمد الزرقا فقيهًا حنفيًّا ضليعًا، شهد له تلاميذه ومعاصروه بسعة العلم، والبصيرة في الفقه، وترك لنا من آثاره العلميَّة ما يدلُّ عليه، ويشير إليه، وهو «شرح القواعد الفقهيَّة».

وكان جده الشيخ مُحمَّد الزرقا كذلك فقيهًا مرموقًا في حلب الشهباء، تخرج على يده كثير من العلماء، وقد كان يُدَرِّس لطلبته الحاشية الشهيرة لعلَّامة متأخِّري الحنفيَّة ابن عابدين، فهو غصنٌ باسق في شجرة مباركة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾ [آل عمران: ٣٤].

فلا غرو أن يشبَّ علَّامتنا في هذه البيئة العلميَّة المباركة، وأن يرضع من لِبَانها، ويتزوَّد من ثمارها، ويغترف من بحارها، وقد آتاه الله البصيرة المتفتِّحة، والعقل النقَّاد، والذهن الوقَّاد، والذاكرة الواعية، والقدرة على الاستنباط والموازنة والتحليل والتعليل والنقد، مع غاية في التدقيق، وبراعة في التمحيص والتحقيق، ونفس سمحة تميل إلى التيسير لا التعسير، والتسهيل لا التعقيد.. فكان ثمرة ذلك كله: تلك الكتب الأصيلة النافعة، الَّتي جمعت بين أصالة القديم، ونصاعة الجديد، والَّتي شرقت وغربت، واستفاد منها الداني والقاصي في العالم الإسلامي على امتداده، استفاد منها رجال الفقه، ورجال القانون، بل ورجال السياسة، ورجال الدعوة.

وقد اهتدى علماء الفقه منذ قرون بهدي القرآن والسُّنَّة، فكانت كتبهم على نموذجين أو نوعين: نموذج يقرر الأحكام ويفصلها ابتداء، وهو ما تقوم به كتب الفقه المعروفة في كل مذهب. ونموذج يجيب على الأسئلة المطروحة، ويقرر الحكم الشرعي فيها، وهو ما تقوم به كتب الفتاوى والنوازل، وهي معلومة مشهورة.

QaradawiBooks.com

وهذا ما نجده في القرآن، فهو إمَّا يُبَيِّن الأحكام ابتداء، مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وإما يجيب عن أسئلة أثيرت، كما في قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِۖ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وأمثالها في القرآن الكريم.

وكذلك السُّنَّة، فيها أحكام يقررها الرسول الكريم، تعليما منه وتوجيهًا مبتدأ لأمته، كما في خطبة الجمعة والعيدين والكسوف والخسوف، ودروسه الَّتي يتخول بها أصحابه بالموعظة بين حين وآخر.

وفيها أحكام يجيب بها من سأله، ويفتي في القضايا العارضة، كما سئل عن ماء البحر، فقال: «**هو الطَّهور ماؤه، الحِلُّ مَيتَتُه**»[1].

وقد ذكر العلَّامة ابن القيِّم جملة كبيرة من فتاويه ﷺ في الجزء الرابع من كتابه «إعلام الموقعين»، وهي جديرة بأن تقدم عليها دراسة تشرح مضامينها، وتبين مراميها، وتستنبط منها الأحكام والقواعد اللازمة للفقيه والمفتي.

وكذلك كان شيخنا الزرقا، لقد صنف الكتب الأصيلة، الَّتي نهل منها النَّاس العلم في مشارق الأرض ومغاربها، أمثال «المدخل الفقهي

(١) رواه أحمد (٨٧٣٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود (٨٣)، والترمذي (٦٩)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٥٩)، ثلاثتهم في الطهارة، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العام»، و«المدخل إلى نظريَّة الالتزام»، و«الفقه الإسلامي ومدارسه»، و«أحكام الأوقاف»، و«في الحديث النبوي»، و«العقل والفقه في فهم الحديث النبوي»، و«الاستصلاح والمصالح المرسلة في الفقه الإسلامي»، وغيرها.

كما صنف هذا الكتاب الَّذي جمع فيه فتاويه وإجاباته عن أسئلة المسلمين، خلال عمره المديد المبارك، أفرادا كانوا أو مؤسسات، والَّتي قام على جمعها وترتيبها العام الشاب النابه الأستاذ مجد مكي جزاه الله خيرًا.

هذه الفتاوى الزرقاوية، إنَّما هي في حقيقتها بحوث ودراسات فقهيَّة أصيلة وعميقة، تقصر أو تطول. ليست مجرد قول المفتي: يجوز أو لا يجوز، أو يجوز على مذهب فلان، ولا يجوز على مذهب آخر. بل هو يغوص في المسألة، ويحلِّل عناصرها، ويعرضها على نصوص الشريعة الثابتة، حتَّى ينتهي إلى ما يراه من حكم شرعي لها، مدخلًا في حسابه تغير الزمان والمكان والإنسان.

لا يدَّعي أنَّ رأيه الَّذي كوَّنه في المسألة هو حكم الله، ولا أنَّه الصواب الَّذي لا يحتمل الخطأ، بل كما قال الأولون: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

قد يختلف بعض العلماء مع الشيخ فيما انتهى إليه من نتائج وأحكام، ولكن لا يمكن أحدهم أن يشكك في أصالة ملكته الفقهيَّة، وقدرته على التأصيل والتفريع، وبراعته في المناقشة والاستدلال. فهو لا شك فقيه الأمة في هذه المرحلة: فقيه في فهم النصوص، فقيه في فهم المقاصد، فقيه في فهم الواقع.

QaradawiBooks.com

والحقيقة أنِّي رأيته نسيج وحده في فقه الواقع ـ ولا سيَّما في المعاملات ـ وله بصيرة متميزة في التمييز بين المتشابهات، وإدراك الفوارق الدقيقة بين الأشياء، الَّتي يغفل عنها الكثير من العلماء.

أذكر هنا مثالين من فتاواه للتوضيح:

أحدهما: تفريقه بين القرض الفردي والقرض الجماعي، فالقرض الفردي (الشخصي) لم يجز أن يزاد عليه، ولو فلسًا واحدًا.

أمَّا القرض الجماعي، فينظر إلى المقصد الكبير، هو إدامة وجود رأسمال يستفيد منه أكبر قدر ممكن من المنتفعين، وهنا لا بدَّ من الحفاظ على رأس المال، وذلك بإيجاد جهاز إداري يقوم بمتابعة استرداد المبلغ، ولا بدَّ من الإنفاق على هذا الجهاز الإداري. ولما كان أحق النَّاس بدفع قيمة المصروفات هذه، للحفاظ على رأس المال، هم المنتفعين من الصندوق، فلا بأس من اقتطاع نسبة معينة فوق المال المقترض؛ لتغطية نفقات هذا الجهاز، شريطة أن تغطي هذه النسبة كلفة تشغيل الجهاز فعليًّا، بشريًّا وماديًّا، من أجور ونفقات، ولا يجوز أن تصبح فائدة باسم جديد[١].

ومثل ذلك: رأيه في التفريق في الهدايا الَّتي يدفعها التجار لعملائهم عن طريق القرعة، بين الهدايا البسيطة الَّتي هي من عادة التجار وعرفهم لمن يشتري كمية كبيرة من بضائعه، وبين الهدايا الخارجة عن ذلك العرف، ذات القيمة الكبيرة، مثل السيارة ونحوها؛ فالأولى جائزة، والثانية محرمة شرعًا[٢].

(١) فتاوى الزرقا صـ ٦٨٠، تحقيق مجْد أحمد مكي، نشر دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
(٢) فتاوى الزرقا صـ ٥١٣.

QaradawiBooks.com

وهذا هو الفقه النير السليم.

وهو في هذه الفتاوى يطبق فقهه على واقع الحياة، فيطلب لها من صيدلية الشريعة، ويجد فيها لكل داء دواء، ولكل مشكلة حلًّا، يحقق اليسر، ولا يوجب العسر. فهذا هو الَّذي يريده الله لهذه الأمة، الَّتي لم يجعل عليها في الدين من حرج، وأنزل عليها في كتابه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وقال لها رسولها الكريم ﷺ: «**إنَّما بُعِثتم مُيَسِّرين، ولم تُبعَثوا مُعَسِّرين**»[(١)].

ولقد رأيت بعض النَّاس ـ سامحهم الله ـ يتهمون الشيخ بالتساهل في الدين، ونسي هؤلاء أن هذا الَّذي يسمونه «التساهل» هو «التيسير» الَّذي أمرنا به نبينا ﷺ، فقد روى الشيخان، عن أنس، أنَّه ﷺ قال: «**يَسِّروا ولا تُعسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا**»[(٢)].

وروي، أنَّه أرسل أبا موسى ومعاذا إلى اليمن، وأوصاهما بهذه الوصية الجامعة: «**يَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا**»[(٣)].

وكأن شيخنا حفظه الله ورعاه، قد جعل نصب عينيه تلك الكلمة المضيئة الَّتي قالها الإمام سفيان بن سعيد الثوري رضي الله عنه ـ الَّذي انعقدت له الإمامة في الفقه والحديث والورع ـ ونقلها عنه الإمام النووي في مقدمات المجموع: إنَّما الفقه الرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه صـ١٨٢.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

(٣) سبق تخريجه صـ١٣٠

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٧٨٤/١)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٤٦٧)، وانظر: المجموع للنووي (٤٢/١).

QaradawiBooks.com

ومن النَّاس في عصرنا من يحسب المتشدد في الفتوى، المعسر في الفقه: أورع وأتقى عند الله من الميسر على عباد الله، وكأنهم ـ للأسف ـ يتوهمون أنَّ التيسير على الخلق ناشئ من قلة الدين، وضعف اليقين.

مع أنَّ الميسر إنَّما أطاع الأمر النبوي بالتيسير لا التعسير، والمشدد أقرب إلى الدخول في قوله ﷺ: «**ألا هلك المُتَنَطِّعون**» قالها ثلاثًا[١].

وهو ﷺ كان أكثر النَّاس تيسيرا على أمته، كما يتجلى ذلك في مواقفه وفتاويه وتعامله مع الناس، ومن صفاته صلوات ربي وسلامه عليه: أنَّه ما خير بين أمرين إلَّا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا[٢].

ولو كان ما يظنه هؤلاء صحيحًا، لكان حبر الأمة وترجمان القرآن (ابن عباس): أوَّل من يتهم بضعف الدين، لكثرة ما روي عنه من التيسير والترخيص، حتَّى اشتهر في تراثنا: رخص ابن عبَّاس في مقابل شدائد ابن عمر، رضي الله عنهم جميعًا.

والشيخ الزرقا أقرب إلى مدرسة ابن عبَّاس منه إلى مدرسة ابن عمر، وأنا مثله في ذلك، ولعلَّ هذا من الأشياء الَّتي تقربني منه، وتقربه مني.

وأودُّ أن أُنبِّه على أنَّ هناك فرقًا كبيرًا بين التيسير لدى بعض العلماء المعتبرين، والتسيب لدى بعض الدخلاء على العلم، فالتيسير له أسبابه، وله أصوله وقواعده، وله شروطه وضوابطه. أمَّا التسيب، فليس له أصول

(١) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، وأحمد (٣٦٥٥)، عن ابن مسعود.

(٢) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلَّا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلَّا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها». رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٠)، ومسلم الفضائل (٢٣٢٧)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وضوابط، إلَّا اتباع الهوى، ومجاراة العصر، والعمل على إرضاء الخلق ولو بسخط الخالق.

ولا غرو أن نجد الشيخ الزرقا في بعض القضايا ميسرا، كما في موقفه من «التأمين» و«الخلو»، واستخدام الموسيقى لبعض المقاصد في وسائل الإعلام، والتسهيل في بعض المعاملات خارج دار الإسلام، كما هو مذهب أبي حنيفة، مثل شراء بيت في أمريكا عن طريق أخذ القرض من البنك الربوي هناك، ومثل فتوى الشيخ للبنك الإسلامي للتنمية منذ عشرين سنة بجواز أخذ ما تجمع له من فوائد لدى البنوك الأجنبية، وقد بلغت أكثر من ستين مليونًا، وصرفها على البلاد الإسلاميَّة الفقيرة، والمنظمات الإسلاميَّة المحتاجة، وغير ذلك من الفتاوى الَّتي أوافق شيخنا فيها كل الموافقة.

وفي بعض القضايا يقف كالصخرة الصماء، لا يتزحزح، ولا يلين، حتَّى يكاد بعض النَّاس يحسبه من الجامدين، وما هو من الجامدين، ولكنَّها محكمات النصوص هي الَّتي تحدد موقفه، وذلك مثل فتواه في زواج المسلمة بغير المسلم، فقد سد الباب إلى ذلك بقوَّة[1]، ومثل ذلك جوابه عن محاولة بعض البلديات ضم المقابر الدارسة إلى ملكيتها، وهي أوقاف إسلاميَّة، فأفتى بأنَّه لا يجوز لأي سلطة وهيئة في دولة إسلاميَّة أن تصدر قانونًا ينقل مِلْكِيَّة المقابر الدوارس إلى البلديَّات، فصدور قانون من هذا القبيل لا يصلح لتبرير مثل هذا الغصب الحرام لمال جماعة المسلمين؛ لأنَّ القانون الزمني لا يقلب الحرام حلالًا في نظر الشريعة الإسلاميَّة.

(١) فتاوى مصطفى الزرقا صـ ٢٦٧.

QaradawiBooks.com

وشرط قَبول أي قانون أن يكون منسجمًا مع قواعد الشريعة الإسلاميَّة ومقاصدها، وغير مصادم لشيء من نصوصها الخاصَّة والعامَّة[١].

ولقد نبَّهت في بعض ما كتبته: أنِّي وجدت فقهاء الصحابة ﷺ أكثر النَّاس تيسيرًا على المسلمين، وكذا تلاميذهم من التابعين، وإن لم يبلغوا مبلغهم في التيسير، وكلَّما نـزلنا في القرون وجدنا التشدُّد أكثر، ولمسنا غلبة الأخذ بالأحوط على الأخذ بالأيسر، وخصوصًا مع رسوخ التقليد، وقلَّة الاجتهاد والتجديد.

فإذا كان الشيخ ينهج منهج التيسير فهو يعود إلى الأصل، ويحيي منهج الأئمَّة المتقدمين، وسلف الأمة من الصحابة والتابعين.

ولقد رأينا من بعض زملائنا من المشتغلين بالفقه: من يجمد على ظواهر النصوص، ويفهمها فهمًا حرفيًّا، ولا ينفذ إلى مقصدها وهدفها، كالذين يوجبون إخراج زكاة الفطر من الحبوب في المدن الحديثة، برغم أنَّ الفقراء لا ينتفعون بها، فلم يعودوا يطحنون أو يخبزون. وكالذين يمنعون رمي الجمرات قبل الزوال في ثاني وثالث أيَّام النحر، برغم شدَّة الزحام، الَّذي أدَّى أحيانًا إلى موت النَّاس تحت الأقدام، ورغم أن ذلك ليس خلاف الإجماع، بل قال به ثلاثة من الأئمَّة الكبار: عطاء فقيه مكَّة، وطاوس فقيه اليمن، وأبو جعفر الباقر فقيه آل البيت.

بل رأيت من هؤلاء ـ على فضلهم وإخلاصهم ـ من يجمد على أقوال الفقهاء السابقين، وعلى ما قعدوه من قواعد، وإن بدا ذلك بوضوح معارضًا لمقاصد الشرع، وروح الدين، وعدل الله في خلقه.

(١) فتاوى مصطفى الزرقا صـ ٤٥٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مثال ذلك: قاعدة «المثليَّات والقِيمات»، واعتبار الفقهاء النقود من المثليات. فطبق هؤلاء الأخوة الفضلاء «النقود الورقيَّة» الحديثة على «النقود المعدنيَّة» القديمة. وأعطوا الورقيَّة جميع أحكام النقود المعدنيَّة. وهذا لم يجئ به كتاب ولا سُنَّة، ولا أحسب أنَّ الفقهاء القدامى قصدوا إليه.

إنَّ الَّذي رجحته وتبنَّيته من قديم في كتابي «فقه الزكاة»: هو اعتبار النقود الورقية «نقودا شرعيَّة»، تجب فيها الزكاة، ويجري فيها الربا؛ لأنَّها أثمان النَّاس ومقياس قيمهم، وأداة تبادلهم، ورؤوس أموالهم، ورددت على من أنكر ذلك ممَّن يدعون العلم أو ينتسبون إلى أهله.

ولكن هذا لا يعني أن هذه النقود الورقية تأخذ كل أحكام النقود الأصليَّة من الذهب والفضة؛ لأنَّ هذه لها قيمة ذاتية في نفسها، حتَّى ولو بطل التعامل بها فإنها في نفسها ذات قيمة يرغب فيها الناس.

أمَّا النقود الورقية فهي أشبه ما يكون بـ «الفلوس» وهي النقود الفرعيَّة الَّتي تشتري بها الأشياء البسيطة والتافهة، وتعتبر كسور النقود (الذهب والفضة)، ولأبي يوسف فيها رأي معروف اختاره علماء المذهب الحنفي للإفتاء، خلاصته: اعتبار قيمتها يوم ثبوتها في الذمة لا يوم الأداء[1]، وهو ما رجَّحه الشيخ الزرقا في فتاويه.

بل الفلوس في الواقع أقوى من الورقية من بعض النواحي؛ لأنَّها لها قيمة في نفسها من حيث هي نحاس أو معدن.

بخلاف الورقية، فإنها لا قيمة لها في ذاتها، إنَّما قيمتها في اعتبار الدولة إياها، وإعطائها قوَّة شرعيَّة بهذا الاعتبار، بحيث لو صدر قرار من

(١) انظر: حاشية ابن عابدين (٦٠٥/٥)، نشر دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

السـلطة المسـؤولة بإلغائها، أصبحت مجرد قطعة من الورق، لا تسمن ولا تغني من جوع.

والشيخ الزرقا وإن كان من فقهاء الحنفيَّة المعدودين ـ بحكم النشأة والدراسة ـ ليس من المتعصبين للمذهب الحنفي، فكثيرًا ما يخرج عليه إذا رأى غيره أرجـح من ناحية الدليـل، لمراعاته للنـص، أو لتحقيقه مقاصد الشرع ومصالح العباد.

وهو يرى أنَّ الشـريعة لا يمثلها مذهب واحد، وإنَّما يمثلها مجموع المذاهب والمدارس الفقهيَّة على اختلاف مشاربها، وتعدد مسالكها، كما يتجلى ذلك بوضوح في عدد من الفتاوى، وهو يرى أنَّ العصبيَّة المذهبيَّة سجن ضيق في جنَّة الشريعة الفيحاء!

وحين سـئل عن قضيَّة تتعلق بهدم مسـجد وإعادة بنائه وتوسعته، وجعله في الطابق الثاني: اختار مذهب الحنابلة باعتباره أوسع المذاهب الأربعة في ذلك قائـلًا: ولا يخفى على أحد من أهل العلم أنَّ الأمة غير مكلفة باتباع مذهب بخصوصه من مذاهب الأئمَّة المجتهدين رضي الله عنهم [1] اهـ.

كما اختار مذهب الحنابلة في العقود والشـروط، لسعته ومرونته في ذلك.

بل يأخذ أحيانًا بآراء بعض الصحابة والتابعين، الَّذين نقلت آراءهم كتب الآثار والفقه العام، واختلاف الفقهاء.

وكثيرا ما يخرج الشـيخ على المعهود والمنصوص في الكتب، بناء على قراءة كتاب الواقع المعيش، كما في فتواه في مشاركة بعض الفرق

(١) فتاوى الزرقا صـ ٤٦٥.

QaradawiBooks.com

المنتسبة للإسلام، الَّذين عرف من كتب الفقه أنَّهم مرتدون، فهل يجوز التعامل معهم؟

أجاب الشيخ: بأنَّهم لا ينطبق عليهم حكم المرتد؛ لأن هؤلاء اليوم لم يدخلوا في الإسلام ثمَّ ارتدوا، وإنَّما هم أجيال سلفهم الأوَّل، الَّذين ارتدوا، وأصبحوا فيما بعد فرقة من الفرق الخارجة عن الإسلام. وهم الآن في الواقع مواطنون، فلا بأس بالمعاملة معهم[1].

وللشيخ الزرقا آراء فقهيَّة سبق بها عصره، عرضها على المجامع الفقهيَّة، ولم تأخذ بها، مثل رأيه في اعتبار الحساب الفلكي في إثبات الأهلة والشهور، وخصوصًا: هلال رمضان، وهلال شوال، وهلال ذي الحجة.

ولقد سمعت رئيس المجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي يقول له في عمان، وقد رفض المجمع رأيه: هذه المرَّة الثانية الَّتي يرفض فيها المؤتمر رأي الشيخ الزرقا بإجماع الأعضاء، وقبل ذلك رفضه مجمع رابطة العالم الإسلامي، فأنت يا شيخ وحيد المجمعين!

وهذه والله مأثرة للشيخ تكتب له في سجل مفاخره، فليس الفقيه هو الَّذي يساير النَّاس ويردد ما قاله من سبقوه، فما بهذا يحيا الفقه، وتزدهر أحكام الشريعة، بل الفقيه الحق هو الَّذي يبدع ويجتهد، وإن انفرد وحده بالرأي، وقد كان للإمام أحمد آراء انفرد بها عن الأئمَّة المتبوعين، نظمت في كتب، وشرحت، وعرفت بـ «مفردات المذهب»، ولكل إمام مسائل انفرد بها عن غيره.

(١) فتاوى الزرقا صـ ٥٦٠.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

على أنَّ رأي الشيخ في الأخذ بالحساب قد وافق فيه رأي المحدث الفقيه العلَّامة الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ، الَّذي رجح ذلك في رسالته «أوائل الشهور العربيَّة»، كما نقلنا ذلك في كتابنا «كيف نتعامل مع السُّنَّة النبويَّة».

ومن حسنات الشيخ الزرقا في فتاويه هذه ـ بل في سائر كتبه ـ أنَّه كتبها بأسلوب الأديب الضليع، واللغوي البليغ، فتجد فيها السلاسة والجزالة، والإبانة والفصاحة، بعيدًا عن وعورة المصطلحات، وتعقيدات المتأخرين من المصنفين، وألغاز المتون، الَّتي حاول أصحابها أن يضعوا فيها أهم مسائل العلم بأسلوب البرقيات، بل أخصر.

وكم للشيخ من عبارات أنيقة، وصياغات رائعة، وتشبيهات معبرة، وأمثال موضحة، تقرب المعنى البعيد إلى النفوس، وتظهر المعقول في صورة المحسوس، وهذا لا يقدر عليه إلَّا من كان عالمًا متمكنًا، وأديبًا وشاعرًا، كالشيخ الزرقا.

انظر إلى قوله في حكم التهرب من ضريبة الدخل: «فالضرائب بوجه عام إذا كانت عادلة في فرضها وجبايتها وإنفاقها، لا يجوز شرعًا ـ في نظري ـ أن يتهرب المكلف منها، وإلا لتوقف عمل الدولة، وقعد الجمل عن الحمل! وقديمًا قالوا: إنَّ السفينة لا تجري على اليبس! ولكن يبدو في حياة البشر: أنَّ النظريات شيء، والواقعيات شيء آخر!»[1]. وأمثال ذلك كثير.

جزى الله شيخنا الزرقا عن أُمَّته خير ما جزى به الأئمَّة الهداة، والعلماء الربَّانيِّين، وأمدَّه بروح من لدنه، حتَّى ينفعنا بعلمه وعمله. آمين.

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

(١) فتاوى الزرقا صـ ٥٥٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة
«قرارات المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث»[١]

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الَّذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، وآله وصحبه مصابيح الدجى، ومن بهم اقتدى فاهتدى.

(أمَّا بعد)

فمن فضل الله على المسلمين أن استيقظوا بعد طول رقود، وأدركتهم هذه الصحوة الإسلاميَّة المباركة، الَّتي شرقت وغربت، وكان لها أثرها في إحياء القلوب بالإيمان، وفي تنوير العقول بالمعرفة، وفي تقويم العزائم باليقين، وفي تقويم السلوك بالالتزام.

ولم يقف أثر هذه الصحوة عند حدود العالم الإسلامي، بل امتدت أضواؤها وآثارها إلى خارج العالم الإسلامي، حيث توجد الأقلِّيَّات والجاليات الإسلاميَّة، وقد تجلى ذلك بوضوح في ديار الغرب، وفي أوربا بصفة خاصَّة، فقد كان فيها ملايين من أهل البلاد الأصليين يعيشون في شبه عزلة عن أمتهم الإسلاميَّة، وكان بعضهم مكتومي الأنفاس وراء الستار الحديدي أيَّام سطوة الشيوعيَّة.

(١) نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

وكان المهاجرون الأُوَل، الَّذين غادروا أوطانهم في دار الإسلام، طلبًا لعيش أرغد، ورزق أوسع أو أسهل، قد ضاع كثير منهم في المجتمعات الجديدة، وذابوا فيها تمامًا.

ثم اتسعت الهجرة، وزاد عدد المهاجرين، تبعا لتطورات حدثت في العالم كله، فهناك من هاجر طلبًا للأمن، وفرارا من الاضطهاد في بلده، ومن هاجر للدراسة، ومن هاجر للعمل، ومن هاجر لأسباب أخرى.

وأصبح في أوربا الشرقيَّة والغربيَّة من أهل البلاد الأصليِّين ومن المهاجرين نحو خمسين مليونًا من المسلمين، ولم يكن غريبًا أن تدركهم الصحوة الَّتي أدركت إخوانهم داخل الوطن الإسلامي، وأن يشعروا بهويتهم الإسلاميَّة، وأنَّهم جزء من أمة القرآن، وأتباع مُحمَّد ﷺ، وأثر ذلك بلا ريب في وعيهم وسلوكهم، وطفقوا يعودون إلى أمتهم ورسالتهم من جديد.

وبدأت العقول الذكية والقلوب النقية والعزائم الفتية تتجمع وتتساند، وتتفاهم وتتعاون لبناء المؤسسات الَّتي تحتاج إليها الجماعة المسلمة، والَّتي تحفظ عليها شخصيتها دون عزلة أو انغلاق.

ومن هنا أنشئت المساجد للعبادة، والمدارس للتعليم، والأندية للتوجيه والترفيه، وأقيمت المخيمات، وعقدت المؤتمرات، وتوالت الندوات والحلقات، وصدرت المجلدات، ونشرت الكتب والمقالات، وألقيت الدروس والمحاضرات، وفرغ الدعاة والمعلمون.

وفي السنوات الأخيرة فكر الإخوة الغيورون في استكمال المؤسسات الَّتي لا تستغني عنها المجموعات الإسلاميَّة في أي مكان.

QaradawiBooks.com

فكان من ذلك: تأسيس «اتحاد المنظمات الإسلاميَّة في أوربا»، الَّذي كان من ثمراته: إنشاء «الكُلِّيَّة الأوربيَّة للدراسات الإسلاميَّة» في فرنسا، وقد خرجت أوَّل دفعة منها منذ بضعة أشهر[1]، ومثلها ينشأ الآن في بريطانيا.

ومن ذلك: «إنشاء المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث»، الَّذي يضم عددًا من العلماء الَّذين يتصدون للفتوى في المراكز الإسلاميَّة المهمة في أوروبا، إلى جوار عدد من العلماء الَّذين يعيشون داخل الوطن الإسلامي، ولكنَّهم مهمومون بأمر إخوانهم في أوربا، ويترددون عليهم، ويعرفون ظروفهم وأحوالهم.

مهمة هذا المجلس محاولة «توحيد الفتوى» في هذه الديار بقدر الإمكان، ومنع البلبلة والصراع الفكري حول هذه الأمور، ما وجد إلى ذلك سبيلًا، وذلك عن طريق التشاور، والبحث المشترك، والاجتهاد الجماعي، الَّذي أصبح اليوم فريضة وضرورة.

كما يراد أن يكون هذا المجلس مرجعيَّة دينيَّة معتمدة لدى السلطات المحلية في كل بلد، وهذا يقوي شأن الجاليات الإسلاميَّة، ويشد من أزرها.

ليس هذا المجلس منافسًا أو بديلًا للمجامع الإسلاميَّة الأصليَّة والكبيرة في داخل عالمنا الإسلامي، مثل «مجمع البحوث الإسلاميَّة» بالأزهر، و«المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي»، و«مجمع الفقه الإسلامي» المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، بل هو مكمل لعملها

(١) تخرجت الدفعة الأولى سنة ١٩٩٧م، وقد حضرت احتفال الكلية بتخريج أول دفعة لها، وتسليمهم الشهادات.

QaradawiBooks.com

في هذا المَيْدان الَّذي عني به وتخصص فيه، وهو «فقه الأقليات»، ومن يعيش خارج ديار الإسلام ومجتمع المسلمين.

وهو ـ أي المجلس ـ ينتفع يقينا بما يصدر عن هذه المجامع الكبرى من قرارات، وما يقدم إليها من بحوث.

إنَّ فقهاءنا رحمهم الله قرَّروا أنَّ الفتوى تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان، وأعظم مظهر لتغيُّر المكان هو: اختلاف دار الإسلام عن غيرها.

فالذي يعيش في قلب المجتمع الإسلامي، يجد من الأوضاع الَّتي حوله ـ غالبًا ـ ما يعينه على السلوك الإسلامي، والالتزام الإسلامي، بخلاف من يعيش في مجتمع مختلف تمامًا.

ومن هنا كانت رسالة هذا المجلس: أن يُيَسِّر في فتواه على هؤلاء ولا يُعَسِّر، وأن يُبَشِّر في دعوته ولا يُنَفِّر، وأن يستبقي النَّاس في إطار الدِّين، ولو بالحدِّ الأدنى من الإسلام، وأن يُفتيهم بالأيسر لا بالأحوط، وقد قال الإمام سفيان الثوري رضي الله عنه: إنَّما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأمَّا التشديد فيُحسنُه كلُّ أحد[1].

ومما أكد ضرورة وجود هذا المجلس وجود بعض المتعالمين، الَّذين حشروا أنفسهم في زمرة أهل الفتوى، وصدرت عنهم فتاوى ضالة مضلة، تبيح للمسلمين أن يسرقوا أموال تلك البلاد الَّتي آوتهم، وأطعمتهم من جوع، وآمنتهم من خوف، وأن يستولوا عليها بكل ما يستطيعون: بالاختلاس، أو بالتزوير، أو بالغش، أو بأي وسيلة كانت، فلا يدفعوا ثمن ما يستهلكون، ولا أجر ما يستخدمون، وهم يكذبون ليأخذوا من

(١) سبق تخريجه صـ ١٩٧.

QaradawiBooks.com

المعونات ما لا يستحقون، ويخونون من يتعاملون معه، ويغدرون به متى قدروا على ذلك، فهؤلاء وصمة في جبين الإسلام، وهم أشبه باليهود الَّذين استحلوا مال الآخرين، وقالوا كما ذكر القرآن: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥].

هذه الفتاوى تسيء إلى سمعة الإسلام وأهله، وتضر بالجاليات الإسلاميَّة أبلغ الضرر، وتصور المسلمين بصورة العصابات الَّتي لا تؤمن بقيم ولا أخلاق، ولا تعترف بعهد ولا ميثاق، فهؤلاء هم الرؤوس الجهال، الَّذين وصفهم الحديث الصحيح أنَّهم إذا سُئِلُوا أَفتَوا بغير علمٍ فضلُّوا وأضلُّوا[1].

وقد أفضت هذه الفتاوى الجاهلة إلى أن دخل بعض المسلمين السجن، متهمين بالسرقة أو الاختلاس أو نحوها من الجرائم.

وأشد من ذلك خطرًا: إفتاؤهم لأفراد المسلمين باستباحة قتل أهل هذه البلاد، الَّتي يعيشون فيها آمنين، وإذا تبطلوا عن العمل، أو ظهرت لهم حاجة، صرفوا لهم من المعونة ما يساعدهم على العيش، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

لهذا كان لا بدَّ من هذا المجلس؛ ليرشد المسيرة الإسلاميَّة في الغرب، ويسكت هذه الأصوات المتطاولة بالباطل، ويعمل على حل مشاكل المسلمين في ضوء الشريعة السمحة الغراء.

وقد يسر الله للمجلس أن يعقد ثماني دورات في أقطار مختلفة من القارة الأوربيَّة، وأن يناقش عدة قضايا مهمة، قدمت فيها دراسات

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، كلاهما في العلم، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وبحوث عميقة، كما أجاب عن أسئلة عديدة، وصلت إليه من الأفراد أو المؤسسات في البلاد الأوروبية المختلفة، وكان من ثمرات ذلك مجموعة طيبة من الفتاوى لها قيمتها العلميَّة، أكثرها أجمع عليها أعضاء المجلس، وأقلها اختلف فيه، وأخذ بأصوات الأغلبيَّة، كما هو الشأن في كل المجامع الفقهيَّة.

وقد صدرت مجموعة منها من قبل، وضم إليها اليوم المجموعة الثانية، لتصدر في هذا الكتاب، الَّذي يسرني أن أقدِّمه للقرّاء الكرام، سائلًا الله تعالى أن ينفع به المسلمين في أوربا وفي غيرها ممَّن كان حالهم مثل حالهم، وألا يحرمنا أجر المجتهد وإن أخطأنا.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

كما لا يفوتني أن أشكر لهيئة آل المكتوم الخيريَّة تبنيها لهذا المجلس، وسخاءها في الإنفاق عليه دون منٍّ ولا أذى، ولا تدخّل في شؤونه من قريبٍ أو بعيد، فجزاهم الله خيرًا، وأثابهم على ما قدّموا.

والحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة «حكم الاستثمار في الأسهم»

للدكتور علي القرداغي[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.[1]

(أمَّا بعد)

فإنَّ الإسلام كما شرعه الله تعالى، منهج شامل للحياة، فهو: إيمان وعمل، عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، فكر وعاطفة، أخلاق وعمران، وليس كما يتصوَّره بعض النَّاس أو يُصوِّرونه: مجرَّد ديانة لاهوتيَّة لا صلة لها بالحياة، ولا بالمجتمع، ولا بالكون.

بل الواقع أنَّه رسالة متكاملة: تُنَظِّم العلاقة بين المرء وربِّه، وبينه وبين مجتمعه، وبينه وبين أُمَّته، وبينه وبين البشريَّة كلها، ثمَّ بينه وبين الكون الكبير حوله.

ولهذا كان القرآن الكريم دستورًا شاملًا، يضع الأسس والأصول الكُلِّيَّة لهذه المعاني كلها، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فهو تبيان لكل شيء من رب كل شيء.

---

(١) نشر مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ٢٠٠٥م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ووجدنا السُّـنَّة تبين هذا الدسـتور، فقد كلف الله تعالى رسوله بذلك: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فلم تدع السُّنَّة أمرًا يقرب النَّاس إلى ربهم إلَّا دعت إليه، ولا أمرا يبعدهم عنه إلَّا دلتهم عليه.

ولعل من دلائل عنايـة مصادرنا المعصومة (القرآن والسُّـنَّة) بحياة النَّاس وعلاقاتهم ومعاملات بعضهم لبعض: أن نجد أطول آية في القرآن الكريم قد جـاءت لتنظم أمرًا صغيرا من أمور الإنسـان، وهو (المداينة وكتابة الدين)، حتَّى لا تضيع الحقوق بين الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ومن قرأ في كتب أصـول الفقه وجد أنَّ المال هـو إحدى الكُلِّيَّات الخمس، الَّتي جاءت الشـريعة للمحافظة عليها، وهي: الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال.

ومن نظر في الفقه الإسلامي وجد أن أقله في العبادات، ومعظمه في العادات والمعاملات، ومـن العبادات نجد بعضهـا ـ كالزكاة ـ

QaradawiBooks.com

يتعلق بالجانب المالي من ناحية مواردها، والجانب الاجتماعي من ناحية مصارفها.

ومن خصائص الشريعة: ما تتميز به من سعة ومرونة، جعلتها قادرة ـ بأصولها وقواعدها ومقاصدها وكلياتها ـ على مواكبة التطور، ومعالجة مستحدثات العصور والمجتمعات، ومراعاة مقاصد الشرع، ومصالح الخلق في كل زمان ومكان.

وفي عصرنا استحدث النَّاس ألوانًا شتَّى من المعاملات في كلِّ ميادين الحياة، لم يكن للفقه الإسلامي عهد بها، ولا سيَّما في الجانب المالي والاقتصادي، وأنشؤوا أنواعًا من الشركات غير ما ذكره الفقهاء؛ من شركة العِنان، والمفاوضة، والأبدان، والمضاربة، وأهمّ هذه الشركات جميعًا: شركة المساهمة، الَّتي يشترك فيها ألوف من النَّاس لا يعرف بعضها بعضا، ليقيموا مشروعات كبرى: زراعيَّة أو صناعيَّة أو معدنيَّة أو تحويليَّة أو تجاريَّة أو غيرها، بواسطة ما يجمعون من أموال هائلة، تستطيع أن تُحَقِّق كثيرًا بتجميعها وتنظيمها وحُسْن إدارتها، ولو بقيت هذه الأموال مُفَرَّقة في جيوب أصحابها لم تستطع أن تفعل شيئًا يُذْكَر.

وفي كلِّ شركة من هذه الشركات يُحَدَّد لها رأس مال مُعَيَّن، تطرحه على النَّاس مقسمًا أو مجزَّأً في شكل حصص متساوية، كل حصة فيها تُسمَّى «سهمًا»، أي نصيبًا معلومًا شائعًا في رأسمال الشركة، يقدر بمبلغ معيَّن، ويشترك النَّاس في هذه الحصص أو (الأسهم) كلٌّ بما يقدر عليه، أو ما يُخَصَّص له.

QaradawiBooks.com

ولقد شكَّك قليل من المسلمين في أصل مشروعيَّة شركات المساهمة في حدِّ ذاتها، وأبدوا بعض الشبهات الضعيفة، رد عليها فقهاء الأمة، وأجازوها بما يشبه الإجماع.

وإنَّما كان النزاع بينهم حول بعض ما تمارسه هذه الشركات من أنشطة، وما يمكن أن يطرأ عليها من معاملات محظورة شرعا، ولهذا قسموا هذه الشركات إلى أنواع ثلاثة:

١ ـ شركة أصل نشاطها محظور، كأن تتاجر في الخمور أو الملاهي المحرمة، أو الربا، كالبنوك الربوية.

٢ ـ شركة أصل نشاطها حلال، ومعاملاتها حلال؛ لأنَّها تلتزم في نظام تأسيسها بأحكام الشريعة الإسلاميَّة، مثل: المصارف الإسلاميَّة، وشركات التأمين الإسلاميَّة، وكل المؤسَّسات الماليَّة الاستثماريَّة الإسلاميَّة؛ فهذه لا حرج من المساهمة فيها، وشراء أسهمها ولا غبار فيها.

٣ ـ شركة أصل نشاطها حلال، مثل شركات الماء والكهرباء والإسمنت والصناعات والناقلات والسكك الحديدية والأدوية، وغيرها، ولكن قد يعتريها بعض الحرام عن طريق الفوائد الربوية الَّتي تدخل عليها اقتراضا عند التوسع في مشروعاتها، أو إقراضًا عندما تفيض عندها سيولة تودعها بفائدة.

فهذه هي الَّتي اختلف فيها العلماء، فمنهم من حرمها لتعاملها بالربا، ومنهم من أجازها بشروط فصلها هذا البحث القيم، وذلك لعدة اعتبارات منها:

QaradawiBooks.com

١ ـ أنَّ أصل نشاطها حلال، والمحظور يأتي تابعا بعد ذلك، ومن المقرر أنَّه يغتفر في التابع ما لا يغتفر في الأصل.

٢ ـ ومنها التيسير على خلق الله، وروح الشريعة إرادة اليسر لا إرادة العسر، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، ومن المأثور عن علمائنا إذا اختاروا رأيا فيه رخصة وتخفيف أن يقولوا: هذا أرفق بالناس.

٣ ـ ومنها: عموم البلوى بهذا النوع من الشركات، وعموم البلوى من المخففات عند عامَّة العلماء؛ لأنَّ البلوى لم تعم إلَّا لحاجتهم إليها.

٤ ـ ومنها: ألَّا يحرم المتدينون من المساهمة في هذه الشركات، في حين يستفيد منها من لا يبالون بالدين، ولا يميزون بين حلال وحرام، وخصوصًا إذا كانت الدولة هي من تطرح هذه الشركات للمواطنين وتعرضها بأقل من ثمنها، ترغيبا للمواطنين أن ينتفعوا بها.

٥ ـ ومنها: أنَّ كثرة المتدينين والملتزمين بالدين، قد يكون لهم تأثير في تحويل الشركة في المستقبل إلى الاقتصاد الإسلامي، فالمساهمون هم أصحاب الشركة، وهم الَّذين يختارون مجلس الإدارة، ويقدرون إن شاؤوا على تغيير نظامها الأساسي.

ولقد غدا الاستثمار في الأسهم (شراء وبيعًا واتجارًا): حديث النَّاس في المجالس والأندية، وأمسى الجميع يسألون عن حكم الاشتراك في هذه الشركات الَّتي تعرض عليهم كل عدة أشهر، ما يحل منها وما يحرم، وإذا كان في بعضها شيء من الحرام، فكيف يمكن التخلص منها أو من آثارها؟ وكيف يمكن زكاتها؟ هل تزكى القيمة الأصليَّة أم القيمة

QaradawiBooks.com

الســـوقية؟، وهل يزكى الأصل والربح، أو يزكى الربح فقط؟ وما مقدار الزكاة إن أخرجنا من الأصل، أو أخرجنا من الربح؟

ولقد تصدى للجواب عنها أخـــي العلَّامة الدكتور علـــي القرَداغي حفظه الله، وهو لها أهل، فهو فارس حلبتهـــا، وابن بجدتها، وقد أصبح بحمد الله حجة فـــي فقه المعاملات الماليَّة المعاصرة، فقد اشـــتغل بها، واعتنى بها، منذ كانت رســـالته للدكتـــوراه في كُلِّيَّة الشـــريعة بالأزهر الشريف، في فقه المعاملات.

وعنده من المؤهلات ما يمكنه من امتلاك ناصية البحث والاستنباط، من حفظ القرآن الكريم، والاطلاع على السُّنَّة، والغوص في كتب الفقه بشـــتَّى نواحيه، والمعرفة بما يجري في عصرنا الحديث، وما تحكم به القوانين الوضعيَّة، فهو يجمع بيـــن فقه التراث وفقه الواقع، وبين معرفة النصوص ومعرفة المقاصد، وهذه أدوات إيجابيَّة لازمة لكلِّ فقيهٍ يتصدَّى لمشكلات العصر، مع نظرة متوازنة، وإيمان بالمنهج الوسطي المعتدل، فلا غرو أن يوفق في بحثه إلى ما هو أرشد وأصوب، وإن كانت العصمة للرسول الكريم وحده.

ولا عجب أن غـــدا أخونا الحبيب الشـــيخ علي القرَداغي، قاســـمًا مشتركًا في كل الندوات البحثية، والمؤتمرات العلميَّة، والمجامع الفقهيَّة الَّتي تعقد وتبحث فيها جوانب المعامـــلات المختلفة، فهو أحد الخبراء المعدودين والموثقين لدى علماء الأمة.

وهذا الكتاب الَّذي يقدمه اليوم عن «حكم الاســـتثمار في الأسهم»، مع تطبيق عملي على ســـوق الدوحة للأوراق الماليَّة: نموذج لما ذكرته

QaradawiBooks.com

عن فقه الدكتور القرَداغي ووسطيته وواقعيته، ولا يسعني إلَّا أن أدعو الله له بالمزيد من التوفيق والسداد في معالجة هذه الأمور، الَّتي يحتاج إليها المســلمون في كل مكان، والَّتي ضاعت الحقيقة فيها بين المبالغين في التحريم، والمسرفين في التحليل، وخير الأمور أوسطها.

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة ـ قطر

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «القول المجتبى في تحريم الربا»

للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي[1]

الحمد لله وكفى، وسلام على رسـله الَّذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، مُحمَّد وآله وصحبه ومن بهم اقتدى فاهتدى.

(أمَّا بعد)

فقد عرفت العالم العامل، والقاضي الفاضل، الشيخ أحمد بن حجر حفظه الله ورعاه[2]، منذ قدمت إلى قطر، منذ نحو سـبع وثلاثين سـنة، وعرفه الخاصَّة والعامَّة كذلك، من علماء المسلمين المشهود لهم بالعلم والعمل والغيرة على الإسلام، والدفاع عن عقيدته وشريعته، وعن قرآنه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

كما عرفت من مزاياه: أنَّه رجل طلعة، يحب القراءة، ويحرص على الاطلاع، ولا يدعي أنَّه عرف كل شيء، بل يطبق ما قاله السلف: اطلب العلم من المهد إلى اللحد. ولا يزال المرء عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنَّه علم فقد جهل.

(١) نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

(٢) توفي رحمه الله يوم الثلاثاء ١٥ جمادى الأولى سنة ١٤٢٣هـ الموافق ١٤ يونيو ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

ولا يسـمع بكتاب علمي له قيمة ظهر في السـوق إلَّا سـارع إلى اقتنائه، ولذا تجد مكتبته عامرة بالكتب، حافلة بالمراجع القيمة، في كل جوانب المعرفة الإسلاميَّة.

وقد عاش العلَّامة الشـيخ ابن حجر طوال عمره في خدمة الإسلام، قاضيًا يحكم بالشرع، وخطيبًا يصدع بالحق، ومصنفًا يطارد الباطل، فقد جند قلمه كما جند لسانه لبيان المعارف الشرعيَّة الصحيحة، والرد على أباطيل خصوم العقيدة والشـريعة، يفند الشبهات، ويدحض المفتريات، ويتعقب المنحرفين، يكشف سترهم ويفضح زيفهم.

هكذا رأيناه يرد على من تطاول على عقيدة السلف.

يرد على القاديانية ونحلتها الضالة.

ويرد على من زعم أنَّ الرسول ﷺ كان يقرأ ويكتب في أواخر حياته.

ويرد على من دعا إلى التمذهب والتعصب والتقليد.

ويرد على من لعن الصحابة والتابعين.

وهو في كتابنا هذا الَّذي نقدمه اليوم «المجتبـى في تحريم الربا»، يرد على المهزومين أمام حضـارة الغرب ونظامها الرأسـمالي، الَّذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويلوون أعنـاق النصوص من آيـات القرآن وأحاديث الرسول الكريم، بالتأويلات المتعسفة، حتَّى تبرر الفوائد الربوية، والَّتي هي ـ مع الاحتكار ـ عصب الرأسماليَّة الغربيَّة ذات المخالب والأنياب المفترسة.

كما يرد الشـيخ أكرمه الله على أولئك المتلاعبين بشريعة الله، الَّذين أرادوا أن يحلوا ما حرم الله من فوائد البنوك، الَّتي أجمع العلماء في كل المجامع الفقهيَّة والشرعيَّة أنَّها هي الربا الحرام.

QaradawiBooks.com

والشيخ في هذا الكتاب ـ كما في غيره ـ لا يعتمد على رأيه أو هواه، أو على قول فلان أو علان من النَّاس إلَّا من باب الاستئناس، إنَّما عمدته أبدًا: محكمات الأدلَّة من كتاب الله تعالى ومن صحيح سنة رسوله الكريم ﷺ، وهما المعتصم الأمين لمن تمسك بهما، ورد المتنازع فيه إليهما، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

قد يختلف معه عالم أو آخر في استدلاله بهذا النص أو ذاك، وفي فهمه لهذه الجزئيَّة أو تلك، ولكن لا يشك عالم في أصالته العلميَّة، وفي ملكته الفقهيَّة، وفي تمكنه من العلوم الشرعيَّة.

فشكر الله للشيخ ابن حجر سعيه، وجزاه عن العلم والإسلام خير ما يجزى به العلماء العاملين، والدعاة الصادقين، ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «فتاوى مُحمَّد أبو زهرة»

اعتنى بها مجد أحمد مكي(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(أمَّا بعد)

بعد أن وفَّقني الله ﷻ لأداء شعيرة الحج بعد ثمان وعشرين موسمًا لم يقدر لي أن أشارك فيها، وفي معتكفي بعد الحج في (درَّة العروس) ضاحية جُدَّة، ضيفًا على الأخ الكريم أبي ياسر صالح بن محفوظ حفظه الله وبارك فيه، زارني ابننا الحبيب وأخونا الكريم الشيخ مجد مكي أيَّده الله بروح منه، على عادته في الحرص على زيارتي ولقائي، كلَّما جئت المملكة للمشاركة في مؤتمر أو ندوة أو استجابة لدعوة أو أداء عمرة.

ومجد مكي من العلماء النابهين، والدعاة المستنيرين، والباحثين الَّذين يتميزون بالدأب والصبر النادرين.. وهو من هدايا حلب، الَّتي طالما أمدت الأمة الإسلاميَّة برجالات أفذاذ، كالعالم الأصولي الشيخ أحمد الزرقا، وابنه الفقيه الكبير العلَّامة مصطفى الزرقا، والمحدث الفقيه الشيخ عبد الفتَّاح أبو غدَّة، والقانوني الأصولي السياسي الدكتور

(١) قدمها إليَّ المؤلف منذ فترة، وما زالت تحت الطبع حتى الآن.

QaradawiBooks.com

معروف الدواليبي، والشـــاعر الأديب الداعية الأســـتاذ عمر بهاء الدين الأميري.

وأعتقد أنَّ أخانا مجدًا بأعماله العلميَّة، وبحوثه المتنوعة، وخدماته الدؤوبة للعلم وتراث العلماء، ســـيكون إضافة لها قيمتها إلى ما قدمته حلب الشهباء للإسلام وثقافته وأمته.

زارني الأستاذ مجد، وهو يتأبَّط ملفاتٍ ضخمة، فقلت له: ماذا تحمل من علم؟

قال: أحمل بعض مســـوَّدات الكتب الَّتي أنا مشـــغول بإعدادها هذه الأيام، وهي ندوات وفتاوى العلَّامة الفقيه الكبير الشيخ مُحمَّد أبو زهرة، وندوات العلَّامة الداعية الكبير الشيخ مُحمَّد الغزالي، الَّتي نشرتها مجلَّة «لواء الإسلام» على امتداد سنوات عدة.

قلتُ: قـــد حدَّثتني من قبل عـــن فتاوى أبي زهـــرة، وذلك منذ عدَّة سنين، ولكن يبدو أنَّ مشاغلك العلميَّة أخرتك عن إنجازها إلى اليوم.

قال: هذا صحيح، ولكن ســـترى أنَّ الوقت لم يكن ضائعًا، فبعد أن أخرجت فتاوى علَّامة الأمة الشـــيخ مصطفى الرزقا، الَّتي أكرمتنا بكتابة مقدمتك العلميَّة المهمة لها بطلب الشيخ نفسه رحمه الله تعالى، ثمَّ مقالاته وبحوثه الشـــرعيَّة في مجلدين، ثمَّ أخرجت تفســـيري المحـــرر المختصر الَّذي سميته «المعين على تدبر الكتاب المبين».

قلت: وكذلك إشرافك على موقع رابطة علماء ســـوريا المستقلَّة على الإنترنت ـ وهي عضو الاتِّحاد العالمي لعلماء المســـلمين ـ وإخراجك لمقالات أســـتاذنا العلَّامة الشيخ طه الســـاكت في جزئين، بعنوان: «من

QaradawiBooks.com

ذخائر السُّنَّة النبويَّة»، وهي شروح مُتَمَيِّزة لأحاديث مختارة، نشرت في مجلَّة الأزهر.

لم يحضر الشيخ مجد كل فتاوى وندوات الشيخ معه، لثقلها وضخامتها، فهي ستصدر إن شاء الله في أربعة مجلدات كبار، ولكنَّه أحضر نماذج كافية منها، قرأ علي عددا منها في موضوعات مختلفة، وما كتبه من تعليقات ضافية عليها، تقارب ثلثي الكتاب أو أكثر، تتضمن تخريج الأحاديث، والتعقيب على بعض الموضوعات العلميَّة بالتأييد أو المخالفة.

وليس بدعًا أن يخالف الصغير الكبير، فقد اعترض بعضهم على شيخه، مستدلًّا بما قاله الهدهد لسليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]. وإنَّما ينمو العلم، وينضج البحث بالمناقشة، والأخذ والرد، وقد قال سلفنا: ليس في العلم كبير، وفوق كل ذي علم عليم.

طلب إليَّ ابننا الأستاذ الشيخ مجد أن أكتب مقدمة لندوات وفتاوى أستاذنا الكبير الشيخ مُحمَّد أبو زهرة، رحمه الله تعالى، وجزاه عن الأُمَّة خيرًا، ورحبت بذلك لما للشيخ من حق على أمة الإسلام عامَّة، وعلى علمائها خاصَّة، فقد عاش عمره مدافعًا عنها وعن دينها ورسالتها، بالتدريس والتأليف، حتَّى تخرجت أجيال على يديه، وهو في عمره المديد شاهر سيفه ضد خصوم العقيدة والأمة، لم تلن له قناة، ولم يفرط في حق، ولم يتنازل عن كرامة.

ورغم حبي وإجلالي للشيخ، وأنَّه بلديي، فهو مثلي من أبناء مركز

QaradawiBooks.com

المحلة الكبرى، محافظة الغربيَّة، إلَّا أنَّه لم يتح لي أن ألقاه إلَّا مرَّة واحدة، في مدينة البيضاء في ليبيا سنة (١٩٧٢م)، في ندوة التشريع الإسلامي، الَّتي دُعي إليها عدد من العلماء والفقهاء من أنحاء الوطن العربي. وكان الشيخ بحق نجم الندوة الساطع، بتعليقاته الدقيقة، واستدراكاته العميقة، الَّتي كان يتدفق بها كالبحر، ويتألق فيها كالبدر، وقد تعرَّف عليَّ في هذه الندوة، وانعقدت بيني وبينه مودّة، لم تطل، فقد اختاره الله إلى جواره بعد وقتٍ قريب، رحمه الله تعالى **وغفر له وتقبّله** في الصالحين.

عرفنا الشيخ أبو زهرة أستاذا للشريعة في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، مع رفيقيه العلامتين: الشيخ علي الخفيف، والشيخ عبد الوهاب خلاف.

وعرفناه عضوا عالي الصوت في مجمع البحوث الإسلاميَّة بالأزهر، منذ إنشائه.

وعرفناه مؤلفًا موسوعيًّا في جوانب مختلفة من الثقافة الإسلاميَّة، فألَّف في العقائد ومقارنة الأديان «محاضرات في النصرانيَّة»، وألَّف في الخطابة والجدل، وألَّف في السِّيرة النبويَّة «خاتم النبيين»، وألَّف في علوم القرآن، وفي تفسير القرآن، تفسيره في تسعة مجلدات، الَّذي انتهى فيه إلى سورة النمل، وألَّف في تاريخ المذاهب الإسلاميَّة، وفي أصول الفقه، والأحوال الشخصيَّة، والجريمة والعقوبة، وفي الزكاة والمجتمع الإنساني في ظل الإسلام، وغيرها من جوانب الفقه.

واشتهر بكتبه عن الأئمَّة الفقهاء: الأئمَّة الأربعة، والإمام الصادق، والإمام زيد، وابن حزم، وابن تيمية: حياتهم وعصرهم وآرائهم وفقههم.

QaradawiBooks.com

وقد أبدع فيها وأجاد، وأصبحت مراجع معتمدة للباحثين في موضوعاتها من أنحاء العالم.

لم يشتهر الشيخ أبو زهرة كثيرًا في الأوساط العلميَّة بالفتوى، كما اشتهر الشيخ شلتوت مثلًا، ولم يقم هو بجمع ما نشر له من فتاوى على صفحات مجلَّة «لواء الإسلام»؛ لأنَّها في الواقع كانت إجابات شفهية مقتضبة تحتاج إلى تنقيح وتحرير.

وقد هيَّأ الله تعالى بفضله للاضطلاع بهذا العمل الأخ البحاثة الدؤوب، المحب للعلم، والحفي بالعلماء، وخصوصًا المصلحين والمتميزين منهم، الأستاذ الشيخ مجد مكي، حفظه الله تعالى ووفقه.

فتصدى للقيام بهذا العمل الكبير ـ وهو له أهل ـ الَّذي استوفى فيه الندوات الَّتي شارك فيها الشيخ، وهي عصب هذا العمل وروحه، فإن الفتاوى الَّتي كانت تنشرها المجلة في كثير منها لا تتعدى أسطرًا، أمَّا الندوات فهي المَيْدان الَّذي يصول فيه الشيخ ويجول، ويبدي رأيه بكل صراحة، ويناقش آراء الآخرين ويعارضها بكل حرية، بشخصيته القوية، وقدرته على الإقناع، وبتأثيره وصوته الجهوري، في مجلس يضم نخبة من أهل العلم، يصدرون بعد البحث والمناقشة عن رأي واحد، هو أقرب ما يكون إلى الاجتهاد الجماعي الَّذي ندعو إليه، والَّذي رأيناه يتجسد في المجامع الفقهيَّة والعلميَّة.

عني أخونا مجد بجمع كل ندوات «لواء الإسلام» الَّتي بلغت (٢٤٣) ندوة، وشارك فيها عشرات العلماء المرموقين، من أمثال: مُحمَّد الخضر حسين، وعبد الوهاب خلاف، ومحمَّد أبي زهرة، وعبد الوهاب حمودة، ومحمَّد الغزالي، ومحمَّد البنا، وعبد الحليم بسيوني،

QaradawiBooks.com

وعبد اللطيف السبكي، ومحمَّد أبو العيون، وأحمد الشرباصي، ومصطفى زيد، وعبد العزيز عامر، وصلاح أبو إسماعيل، ومحمود شيت خطاب وغيرهم، والَّتي يعزم على إخراجها في مجموعات عدة: الندوات القرآنيَّة، والندوات الفقهيَّة، والندوات التاريخيَّة، والندوات الفكريَّة.

قام أخونا الكريم بعد انتهائه من جمع ندوات الشيخ أبو زهرة وفتاويه، الَّتي اجتهد أن يبحث عنها في مظانها المختلفة، ولم يقتصر على مجلَّة «اللواء»، بل عملَ على جمع كل فتوى صدرت للشيخ في جريدة «الإخوان المسلمون»، أو مجلتهم، أو حتَّى جريدة الأخبار.

ثم قام باستقراء تفسير الشيخ الَّذي صدر باسم «زهرة التفاسير» في تسعة مجلدات، واستخراج آرائه وترجيحاته الفقهيَّة، وضمها إلى هذا المجموع.

وقد أغنى الباحث الكتاب بتعليقاته الثرية، وحواشيه الغنية، وقام بتخريج الأحاديث من مصادرها، على ما يقتضيه فن التخريج، وتوجبه صناعة الحديث. وقد كان الشيخ أبو زهرة وجيله من الفقهاء المعدودين، الَّذين لهم قدم راسخة في الفقه، ولكنَّه كان مثل رفقائه جميعا، مزجى البضاعة في علم الحديث، وهذا ما جعلنا ننادي ونركز في نظرتنا الإصلاحية التجديدية على ضرورة الوصل بين الفقه والحديث.

وكثيرا ما تعقب التلميذ أستاذه في بعض الفتاوى الَّتي أجاب فيها على عجل، ولم يستوعب فيها الجواب، أو رأى الباحث أنَّه لم يوفق فيها للسداد.

QaradawiBooks.com

كما أورد في حواشي الكتاب، الفتاوى المماثلة الَّتي أفتى فيها علماء المجلة «اللواء» ومفتوها، من أمثال: العلَّامة عبد الحليم بسيوني والعلَّامة مُحمَّد البنّا، والَّتي نسب بعضها إلى الشيخ أبي زهرة خطأ، ممَّن جمع فتاويه دون تحرٍّ كافٍ.

كما أضاف الباحث إلى الفتاوى بعض ما انتخبه من الفتاوى، الَّتي نشرت في المجلة بعد توقف الشيخ أبي زهرة عن تحرير ركن الإفتاء فيها، ليجد المطالع نفسه أمام عدة فتاوى تتعلق بالسؤال المسؤول عنه، فيها مزيد من الإضافات والإضاءات.

قام أخونا بهذا العمل المضني من جمع وتحقيق وترتيب وتعليق، ولم يثنه عن عمله الَّذي عزم عليه، ومضى فيه: صدور طبعة لفتاوى الشيخ، وقد بين في مقدمته أن فيها نقصًا كبيرًا وإعوازًا، وفتاوى منسوبة إلى الشيخ وهي ليست له.

لا يسعني إلَّا أن أهنِّئ ابننا وأخانا مجدا بهذا العمل الكبير الَّذي خدم فيه العلم، وخدم شيخنا أبا زهرة، وخدم الأمة المسلمة كلها، وعرّفنا فيه بمنهج الشيخ في الفتوى، وأطلعنا على آرائه واجتهاداته الفقهيَّة العلميَّة، بعد أن تعرّفنا على الشيخ في بحوثه النظريَّة التأصيليَّة.

وسواء وافقنا شيخنا فيما أبداه من آراء واجتهادات في فتاويه، وفي ندواته، أم خالفناه، كما في رأيه في تحضير الأرواح، ودخول الجنّي في الإنسان ونحوها، فإنّا نقدِّر هذه الإضافة الجليلة إلى المكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، وخصوصًا مكتبة الفتاوى.

QaradawiBooks.com

ونشكر لأخينا مجد ســعيه وجهده، وندعو الله أن يجزيه عنه خيرًا، ويتقبله منه، وأن يوفقه للمزيد مــن العطاء العلمي والدعوي النافع، وأن يرحم شيخنا أبا زهرة، ويغفر له، ويتقبله في الأئمَّة العاملين الصادقين، إنَّه أكرم مأمول، وخير مسؤول.

الفقير إلى الله تعالى

يوسف القرضاوي

جدة: ٢٣ من ذي الحجة ١٤٢٩هـ

الموافق ٢١ من ديسمبر ٢٠٠٨م

غير مصرح بطباعة
نسخة مجانية

مقدمة «المقاصد الجزئيَّة: ضوابطها، حجيتها، وظائفها، أثرها في الاستدلال الفقهي» للدكتور وصفي عاشور أبو زيد [1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.[1]

(أمَّا بعد)

فإن الدكتور وصفي عاشور أبو زيد ـ حفظه الله ورعاه، وسدد في طريق العلم والدعوة خطاه ـ ابن حبيب، وأخ عزيز، وصديق كريم، ونصير مبين، وعضو مؤسس في أسرة تلاميذ القرضاوي؛ فهو مني وأنا منه؛ أعتز به، وأقدر علمه وفضله بين أبنائي وأحبابي، وهو إذا ذكر العلماء فهو أحدهم، وإذا ذكر الباحثون فهو في مقدمتهم، وإذا ذكر المقاصديُّون فهو في طليعتهم، وإذا ذكر الدعاة فهو منهم، وإذا ذكر الثائرون على الطواغيت فهو في أوائلهم.

دخل الدعوة من باب الفقه، ودخل الفقه من طريق المقاصد، ودخل المقاصد من طريق فقهه للقرآن الكريم، وللسُّنَّة النبويَّة المطهرة، ولفقه الصحابة والراشدين، وفقه تلاميذهم الأبرار من التابعين لهم بإحسان، ثمَّ بفقه ما خلفه لنا الأئمَّة وأتباعهم من مصادر ثريَّة، وكتب غنيَّة، تركها

(١) نشر دار المقاصد، القاهرة، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأوَّلون، وزاد عليها الآخرون، فنهل منهـا جميعًا نهل الظمآن من الماء الـمَعِيـن، وأعمل فيها عقله الناقد، وحسَّـه الواعـي، فأعطته ما يرضي فطرته، وما يُشـبع فكرته، وما يملأ وجدانه، فنال مـن منابعها الزاخرة، ومن منابتها الأولى والآخرة، أكثر ممَّا ناله غيره على قدر جده ونيته، ولله الفضل والمنة.

وقال ما قاله إمامنا ابن القَيِّم في إعلامه: «الشريعة عدلٌ كلُّها، ورحمة كلُّه، وحكمة كلُّها، ومصلحة كلُّها، وأي مسـألة خرجت فيها من العدل إلى الجور، ومن الرحمـة إلى ضدِّها، ومن الحكمـة إلى العبث، ومن المصلحة إلى المفسـدة، فليسـت مـن الشـريعة، وإن أُدخِلَـت فيها بالتأويل»[1].

لقد رأى الباحث الكريم أنَّ الإسلام كله رسالة مقاصد، فله مقاصده في الشـريعة، وله مقاصده في العقيدة، وله مقاصـده في الأخلاق، وله مقاصده في كل ما يشـرعه للناس، الَّذين يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، ويريد التخفيف ولا يريد التضييق، ويريد السعة ولا يريد الحرج، كما قال تعالـى معلقا على أحكام الصيـام: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى بعد أحكام النكاح والتحريم: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النسـاء: ٢٨]، وقـال ﷻ: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وقد كتب الدكتور وصفي عاشـور كتابه فـي (المقاصد الجزئيَّة في الشريعة الإسـلاميَّة)، ورجاني أن أكتب له مقدمة، وسلم إليَّ الكتاب، وبعد ما أصابني من وعكة صحية، وبعـد انتصار الثورة المصرية، وبعد

(١) انظر: إعلام الموقعين (١١/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

وفاة أخينا الحبيب، وشيخنا الكبير الشيخ عبد المُعِزّ عبد السَّتّار، وشعرت بعدها بفتور الهمة، وخمود الجذوة، وضعف الشعلة، حتَّى هيأ الله ـ تباركت آلاؤه، وتعالت أسماؤه ـ لي هذه الفرصة لأمسك بالقلم، وأخط هذه السطور لتقديم باحثنا المحبب، وعالمنا المهذب.

وقد عُرِفَ د. وصفي بعلمه وبحثه وتخصَّصه في مقاصد الشريعة، وبعنايته بالجوانب الإصلاحيَّة في مجتمعاتنا الإسلاميَّة، وغَيْرته على الإسلام وأُمَّته، وما تتعرَّض له من أعدائها وخصومها، في الداخل والخارج، ولهذا تعرفت عليه الجهات الإسلاميَّة المختلفة، وتعارف عليه الشباب الواعدون الصاعدون في دراسة الشريعة الإسلاميَّة، والعقيدة الإسلاميَّة، والأخلاق الإسلاميَّة، ولهذا رأينا مركز الدراسات الَّذي قام من أجل الوسطيَّة في الكويت وكلف بإدارته الدكتور الداعية عصام البشير، يختطفه من القاهرة، ويضمه إلى صف العاملين معه، حين كان في أوج قوته، وبداية مشواره.

ورأيناه ينضم من أوَّل يوم، ومن قبل البدء، إلى مدرسة تلاميذ القرضاوي، الَّتي بدأت في الدوحة، وأبلغت دعوتها إلى المشارق والمغارب، ليتجاوب معها كثير من الشباب والكهول، الَّذين يعرفون بالفكر الوسطي والتجديدي المتميز والمعمق، والَّذي يعتمد على علم المقاصد، وفقه الأولويات، وفقه المآلات، وفقه الموازنات، وغيره من أنواع الفقه العملي التطبيقي الَّذي تحتاج إليه الأمة في نهضتها العلميَّة والعمليَّة والتشريعيَّة.

وحين بدأت ثورات الربيع العربي بدءًا من تونس، وتثنية بمصر، ثمَّ بليبيا واليمن، ثمَّ بسوريا، كان في مقدمة الَّذين حملوا اللواء، ولبوا

QaradawiBooks.com

النداء، وقدموا الفداء، ونادوا الجماهير، لتقوم بدورها، وتؤدي واجبها في نصرة الحق، ومقاومة الباطل، والدفاع عن الشعب، ومطاردة السفاحين، والنهابين، الَّذين ظلموا الشعوب، وسفكوا دماءها بغير حق، وانتهكوا حرماتها بالباطل، وأكلوا أموالها حرامًا، وسرقوها بل نهبوها، وهربوها إلى الخارج بالبلايين.

كان وصفي عاشور في طليعة الثائرين، مع إخوانه وشيوخه، الَّذين كفروا بالباطل والطاغوت، وآمنوا بالله وبالحق، وقد وفقني الله جل شأنه لأقوم بدور في هذه المعركة الكبيرة، رآه بعض النَّاس بعين البصر والبصيرة، واضحًا كالشمس، راسخا كالجبل، متينًا كالحديد، فكان وصفي من هؤلاء الَّذين رصدوا هذه المسيرة من جوانبها المتعددة، وكتب فيها كتابه: «القرضاوي الإمام الثائر، دراسة تحليليَّة أصوليَّة في معالم اجتهاده للثورة المصرية».

وكتب من قبل دراسته الَّتي ترصد المقاصد في كتبي وفتاواي في كتاب سماه: «رعاية المقاصد في منهج القرضاوي: رؤية استقرائية تحليليَّة». صدر عن دار البصائر في القاهرة، وقد عدني ـ وفقه الله ـ من أبرز العلماء المعاصرين الَّذين راعوا المقاصد في سائر ما ارتادوه من مجالات تتعلق بقضايا الأمة المسلمة. وقد كتب غيره أيضًا حول صلتي بالمقاصد، منهم الأستاذ مُحمَّد شاويش في كتابه «المنهج المقاصدي عند الشيخ يوسف القرضاوي» طبع بدار الفكر بدمشق سنة (٢٠٠٩م)، واقتصر فيه مؤلفه على المقاصد في كتاب «الحلال والحرام».

وبين يدي الآن: رسالة ابني الحبيب وتلميذي النجيب الدكتور وصفي الَّتي تجاوزت الخمسمائة صفحة في «المقاصد الجزئيَّة:

QaradawiBooks.com

ضوابطها. حجيتها. وظائفهـا...» وقد جعلها في مقدمة وستة فصول، وخاتمة ونتائج وتوصيات وفهارس.

ومن أجمل مواضيع الكتاب: حديثه عن الوظائف العامَّة للمقاصد الجزئيَّة، وأهمها: العمل على بيان خلود الشريعة وعمومها وصلاحياتها، والتسديد في الفقه والفتوى، وتوسيع أوعية الاجتهاد والتوسط في الاجتهاد والأحكام، والعمل على شرعيَّة المصالح واجتهادها، والعمل على اعتبار الاجتهاد المآلي.

وما أجمل كلامه عند حديثه عن التوسُّط في الاجتهاد والأحكام: «إنَّنا نعاني في حياتنا الفقهيَّة والفكريَّة والثقافية من الجنوح إلى طرفي الإفراط والتفريط، وكل تفريط ينتج إفراطا، كما ينتج كل إفراط تفريطًا، ويضيع المنهج الوسط والقول الوسط بين الجافي عن الدين والغالي فيه». كما أجاد أيضًا في بحث الوظائف الخاصَّة للمقاصد الجزئيَّة.

وما أجمل كلمته عند حديثه عن وظيفة تقييد إطلاق النص، وحمل المطلق على المقيد رعاية لمقصد من مقاصد الشريعة، وضرب المثال المعروف في إطلاق الرقبة في سورة المجادلة من كل وصف وتقييدها في سورة النساء بالإيمان، وأنَّ الإطلاق حمل على قيد الإيمان رعاية لمقصد تحرير رقاب المسلمين. قال وفَّقه الله «وما أحوج أُمَّتنا المؤمنة اليوم إلى من يُحرِّر رقبتها لتنطلق من رقها الاقتصادي والسياسي والثقافي والفكري، فهي بحاجة لمن يُحرِّرها من هذه العبوديَّة، وهي أوجب من تحرير رقاب الأفراد والعبيد، إن فرضنا لهم وجودًا واسعًا في هذا العصر».

وقد ختم رسالته النافعة بملحق تطبيقي مستقل مهم: أورد فيه خمسة تطبيقات: في العبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصيَّة، والحدود

QaradawiBooks.com

والعقوبات، والسياسة الشرعيَّة، وقد دلت هذه التطبيقات على فهمه للمقاصد وتشربه لها.

وقد ضرب مثالًا فيما يتَّصل بالعبادات بوقت رمي الجمرات، وذكر مقصد الحكم بأنَّ المقصود من الرمي هو ذكر الله ﷻ، إضافة إلى مقاصد أخرى تدعو إلى التوسع في وقت الرمي كما أفتيتُ بذلك وأفتى من قبلي وبعدي الكثيرون الَّذين أتى الأخ وصفي على ذكرهم.

وضرب مثالًا يتَّصل بالمعاملات في التسويق الشبكي، وانتهى إلى حكم هذا البيع بناء على مقصده، وأنَّ المقصود من التسويق الشبكي هو تسويق العملات وليس المنتج، ممَّا يحكم عليه الفقيه المقاصدي بالتحريم.

وضرب مثالًا ثالثًا يتصل بالأحوال الشخصيَّة في زواج المصلحة، القائم على قضاء المصالح فقط دون لقاء بين الزوجين، وذكر له عدة صور، لا سيَّما في بلاد الغرب، ناقشناها في المجلس الأوربي للإفتاء، وقد انتهى بعد عرض الأدلَّة لعدد من الفقهاء المعاصرين، عرض من بعدها لموقف الفقهاء من مسألة الألفاظ والقصود عند التعاقد، وعرض مقاصد الشريعة من الزواج وأثر ذلك في الحكم على هذه المسألة، وانتهى إلى عدم جواز زواج المصلحة الَّذي يفرغ العقد من معانيه ومقاصده، إضافة إلى أنَّه يشوه صورة المسلمين في الغرب.

وضرب مثالًا رابعًا يتصل بالحدود، وهو حكم قتل المرتد، وقد أورد نصوص القرآن والسُّنَّة في المسألة، وتتبع أحاديث السُّنَّة في هذا الموضوع، وأظهر أنَّ مجرد الردة ليس موجبًا للقتل، وإنَّما الموجب لذلك اقتران الردة بالحرابة والخروج المسلح ومفارقة الجماعة، ونقل

QaradawiBooks.com

آراء الفقهاء المعاصرين، وانتهى إلى مقصد الحكم ودوره في الاستدلال، وهو منع الفتنة والمحاربة والخروج على جماعة المسلمين.

وأورد مثالًا خامسًا يتصل بالسياسة الشرعيَّة، وهو التظاهرات السلمية الَّتي ظهرت في صورة ثورات شعبية أدت إلى خلع حكام وتغيير أنظمة، واستعرض آراء الفقهاء المعاصرين على هذه النازلة، فذكر أدلة من يحرمها، وأدلة من يجيزها، وناقش أدلة القول الأوَّل الَّذي غاب عنه التصور الصحيح لواقع المسألة، فحكم على المظاهرات بالخروج على الحاكم، وأنَّها بدعة، أو فتنة.

ورجَّح بناء على مقصد المظاهرات بأنَّها وسيلة للاحتجاج على الأنظمة الطاغية المُستبدَّة، وهذه الوسيلة إذا كانت من أجل الأخذ على يد الظالم، ورفع الظلم، وتحقيق كرامة الإنسان، واسترداد حريته فلا يُماري عاقل في القول بالإباحة، بل الوجوب إذا توافرت فيها السِّلميَّة وتحقيق المصالح المترتبة على إقامتها أكثر من الخسائر والمفاسد.

ومن المسائل الَّتي ناقشها في كتابه عند تطبيقاته لحجية المقاصد الجزئيَّة المنضبطة مسألة حكم قتال المسلم الأمريكي إخوانه المسلمين في أفغانستان، واستقرأ آراء الفقهاء في هذه القضيَّة، وذكر أنني ممَّن أفتيت بجواز المشاركة عند الضرورة، وناقشني بأدب وإنصاف.

ورجح القول الَّذي يذهب إلى تحريم المشاركة مع المحافظة ـ قدر الاستطاعة ـ على قيم المواطنة، لأن مقصد الحكم هو حفظ النفوس البشريَّة، وهو مقصد كلي أيضًا يتصل بهذا الحكم الجزئي.

والواقع أن هذه الفتوى لم تكن من صياغتي، ولم أنسبها لنفسي ولم أنشرها في كتبي وفتاواي المطبوعة، وليس من عادتي أن أكتب فتوى

QaradawiBooks.com

بالاشـــتراك، وإنَّما كانت هذه الفتوى بمثابة بيان لمعالجة موقف طارئ، وقد صور لي بأن عدم اشـــتراك الجنود المســـلمين الأمريكان في تلك الحرب ســـيلحق ضررا بجميع المســـلمين هناك، وقد رجعت عن هذه الفتوى الَّتي تنسب إلي وعددتها من الفتاوى الشـــاذة في كتابي الأخير «الفتاوى الشاذة معاييرها وتطبيقاتها وأسبابها وكيف نعالجها ونتوقاها»، وقلت هناك: إنَّ موافقتي على هذه الفتوى مردها إلى عدم معرفتي معرفة كاملة وواضحة بالواقع الأمريكـــي، وأن من حق الجندي في الجيش أن يعتذر عن عدم مشاركته في الحرب ولا حرج عليه[1].

وهناك ملاحظات عابرة لاحظتها أثناء تصفحي لرسالته القيمة، نبهت إليها أخي الكريم الدكتور وصفي، وأرسلت إليه بعضها؛ ليتداركها عند طباعة الكتاب.

وهذه الملاحظات العابرة لا تقلل من الجهد الكبير الَّذي بذله الابن الوفي وصفي، الَّذي استوفى في دراسته المقاصديَّة ما استطاع، وناقش وأصل، وبحث وحلل، ممَّا يدلُّ على تضلُّعـــه بعلم المقاصد واطلاعه الواســـع على ما كتب فيه فـــي القديم والحديث، مع حســـن العرض وجمال الأسلوب.

والأخ وصفي ليس ككثير ممَّن يحرص على درجة الدكتوراه، كما هو شـــأن كثير من الحريصين على هذا اللقب، يتدرَّج آليا في مراحل الدراســـة حتَّى يصل إليها، فإذا وصل إليها انتهـــى عندها واكتفى بها، وإنَّما نالها بعدما حمل من العلم ما يغنيـــه عنها؛ فدرس وقرأ، وبحث وكتب، وصحب العلمـــاء والفقهاء والدعاة، فكانـــت الدكتوراه لأخينا

(١) الفتاوى الشاذة صـ ١٢٤ ـ ١٢٦، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وصفي قطعة حلوى على مائدته، إنْ وُجِدَت نفعت ولذّت، وإنْ فُقِدَت ما ضرّت وجوّعت، ورُبّ دكتوراه عند آخرين هي خبز المائدة وإدامها ليس عليها غيرها.

أسأل الله ﷻ أن ينفع بابننا الحبيب وأخينا الشاب النجيب، وفقيهنا الأريب، ليقدم المزيد من العطاء العلمي، وأن يعنى بفقهاء النهضة العلميَّة الحديثة، ويبرز دورهم في الإصلاح والتجديد وإعمال المقاصد في بحوثهم وفتاواهم؛ ليكون مع هؤلاء الرواد، ويحمل مع إخوانه من تلاميذنا النجباء الراية العلميَّة، ويحققوا لهذه الأمة الريادة، ويعيدوا إليها المكانة، ويضطلعوا بمهمَّة الفقهاء المقاصديِّين الَّذين يعيدون دور الفقه إلى حياة الناس، ويحلون به مشكلاتهم، ويحققون به سعادتهم في دنياهم وأخراهم، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه، وصلّى الله على سيِّدنا مُحمَّد وآله وصحبه، والحمد لله ربِّ العالَمِين.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة: الأحد ٢٧ رجب ١٤٣٣هـ

١٧ يونيو ٢٠١٢م

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة «مقصد الحرية وتطبيقاته في الفقه السياسي الإسلامي» للدكتور فتحي أبو الورد[1]

«فتحي أبو الورد» اسم يوحي بالتفاؤل؛ لأنَّه يتضمَّن كلمتين محبَّبتين إلى الناس، وهما الفتح والورد، فالفتح يقابل الإغلاق أو الإمساك، ولهذا يدعو النَّاس ربَّهم بالفتح، كما قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]، والفتح المبين نزلت به سورة الفتح. والورد هو تلك الزهرة الطيبة الرائحة الَّتي يعرفها النَّاس حيثما كانوا، فليست من أزهار المترفين ولا المتكبِّرين[1].

ولذلك حين نتحدَّث عن رسالة علميَّة لأخينا الدكتور فتحي الَّذي عرفناه قبل ذلك مديرًا لمكتبنا (مكتب الأمانة العامَّة للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين) في مصر، ومشرفًا على أنشطته الَّتي شاركتُ في بعضها بمحاضرة تجمَّع لها أبناء الأزهر، وخصوصًا من البلاد الإسلاميَّة، وضاقت بهم المنطقة، ممَّا جعل الأجهزة المباحثيَّة الَّتي فوجئت بالحضور والأعداد الهائلة تعتذر عن إقامة محاضرة أخرى.

فتحي أبو الورد من أبناء كُلِّيَّة دار العلوم، العربيَّة الإسلاميَّة، الَّتي أنشأها علي مبارك باشا، وظلَّت مستقلَّة سنين طويلة، وخرَّجت أمثال

(١) نشر الدار الشامية، بيروت، ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٧م.

QaradawiBooks.com

حسن البنَّا وسيِّد قطب وإبراهيم بيومي مدكور، وغيرهم من أساتذة العربيَّة والشريعة الكبار، الَّذين اعترف بهم وبفضلهم أهلُ العلم في القاهرة والعالم.

كان أهل دار العلوم يأخذون أبناءهم قبل ذلك من أفضل حملة الشهادة الثانويَّة من طلاب المعاهد الثانويَّة الأزهريَّة، ينتقونهم انتقاء، من نتائج امتحاناتهم، وكان الطلَّاب الأذكياء يُقَدِّمون أنفسهم لهذه الدار، لما يعرفون فيها من اهتمام، وما بها من أساتذة مشهورين مثل الشيخ علي حسب الله، ود. مصطفى زيد، وما بها من فرص لابتعاث الطلاب المتفوقين إلى الجامعات الأوربيَّة.

في حين أنَّ الأزهر لم يعُدْ فيه هذا التميُّز، ولهذا كم رغَّبني الكثير من إخواني أن أذهب إلى دار العلوم، لكي تتهيَّأ لي فرصة البعث إلى الخارج، ولكن لم تنجح معي هذه الدعوة المغرية عندي جدًّا، لأنِّي كنتُ أُعِدُّ نفسي لأكون من مشايخ الأزهر قبل كلِّ شيء، وأسعى مع إخواني لفتح باب الدراسات العليا من جديد لأبناء الأزهر، وقد نجحنا أخيرًا والحمد لله، واستجابوا لنا ببطء شديد، يكاد يُوئس الراغبين.

حديثنا عن الشيخ فتحي أبو الورد هو الَّذي جرَّنا إلى هذا المساق، فهو ابن دار العلوم في عصرها الحديث، الَّتي تخلَّت عن الأزهر وأبنائه، وأصبحت تأخذ بالثانويَّة العامَّة وبمجاميعها، فمنهم من يكون نصيبه دار العلوم كالشيخ فتحي، الَّذي استقبل هذه الكُلِّيَّة، حيث كانت وجهته بعد أن أنهى الثانويَّة إلى الكُلِّيَّة الحربيَّة، وشاءت الأقدار أن تلقي به إلى دار العلوم حيث أراد الله له أن يكون.

QaradawiBooks.com

اعتمد الطالب على ذكائه واستفادته من أساتذته الَّذين درَّسوه، وقد جاءهم من مدرسة أحمد ماهر الثانويَّة بالمطريَّة دقهليَّة، من أرض مصر الطيِّبة.

درس العلوم العربيَّة والعلوم الإسلاميَّة على اختلاف تخصُّصاتها ما بين عقيدة وفقه وأصوله وتفسير وحديث، ونجح في الليسانس وسجَّل في الدراسات العليا، وبدأ في الدراسة بقسم التاريخ والحضارة الإسلاميَّة، ولكنَّه لم يكمل، وسافر إلى اليمن، ودرس هناك أصول الفقه على بعض المشايخ منهم الشيخ مُحمَّد حزام المقرمي بمحافظة تعز، هذا العلم الَّذي يحتاج إلى رجال يُيَسِّرون فهمه للناس، إلى جوار عمله المعيشي، ثمَّ انتقل عمله إلى أوربا الشرقيَّة وبعد مدَّة قضاها هناك عاد إلى مصر ليكمل دراسته العليا بقسم الشريعة ودراسة الماجستير والدكتوراه في الأصول، وفي المقاصد الَّتي بدأ الكثير من العلماء يهتمُّون بها، ويُوَجِّهون الكثير من الطُّلَّاب إلى دراستها في رسائل علميَّة للماجستير وللدكتوراه.

وعلم المقاصد علمٌ عظيم، هو من أهمِّ أسس علم الأصول، وإن أهمله الأصوليُّون في بعض العصور، وكانت معظم دراساتهم وبحوثهم ومناقشاتهم حول الدراسات اللفظيَّة واللُّغويَّة، وهي بحوث مهمَّة وجادَّة ونافعة، ولكن حين ترتبط بمقاصد العلم، وما يهدف إليه من إصلاح الأفراد، وإصلاح الأسر والجماعات، وإصلاح للأمم وعلاقاتها الإنسانيَّة المختلفة، ولذلك كان من فضل الله أن يهتمَّ الشيخ فتحي بها، ويجعل دراساته العليا حولها.

في أوائل السبعينيَّات حين فُتِحَتْ كُلِّيَّة التربية للبنين والبنات في قطر، وأنشئ فيها قسم الدراسات الإسلاميَّة الَّذي وَلِيت رئاسته، كان

QaradawiBooks.com

مُدَرِّسٌ من مصر، معار من الأزهر من كُلِّيَّة الشريعة، وكانت رسالة الدكتوراه الَّتي قدَّمها للأزهر في أصول الفقه، وكان موضوعها الحريات وحقوق الإنسان، الَّتي لم يهتمَّ بها الأصوليُّون، وهي في قلب الشريعة.

كان هناك من الفقهاء من لا يعتبرون المقاصد، ولا ينظرون إليها، ولا يرون لها أيَّ أهميَّة في معرفة الأحكام الشرعيَّة، وأولئك هم «الظاهريَّة» عرفهم النَّاس بهذا الاسم، وأطلقوا عليهم هذا الوصف، وإذا قال الرسول ﷺ: «**البِكرُ تُستَأذَنُ، وإذنُها صُمَاتُها**» اعتبر صماتها إذنًا منها، فإذا كان عندها من الجرأة ما يجعلها تنطق وتقول: أنا موافقة؛ تُعْتَبر مخالفةً للحديث ولا تعتبر موافقتها اللفظيَّة.

ما يفهمه القول باللفظ غير ما يفهمه القول بالقصد، وقد نعلم بالإشارة ما لا نعلمه بالعبارة، وقد يقول المتكلم كلامًا ولا يقصد به ظاهر ما يفيده لفظه وعبارته، وقد يقول الشخص الكلمة ويفهم النَّاس منها معاني متفاوتة وقد تكون متناقضة.

الظاهريَّة فئة قليلة من الناس، لها فهمها الخاص، ولذلك لم تستسغها الجماهير، واختفت من المجتمع المسلم، ولولا أنَّ ابن حزم جاء في القرن الخامس الهجري وجدَّد فقهها ونشره بلسانه الحادِّ، وعلمه الواسع، ومعرفته بالأحكام والأقوال، وجرأته على خوض المجالات الكثيرة، دون أي رهبة أو خشية من هنا أو هناك، لولا ذلك لم يعرفها المجتمع المسلم.

كُنَّا في السجن الحربي في الخمسينيَّات من القرن الماضي، وكان هناك آلاف من كل الفئات، ومن كل الأعمار، ومن سائر المدن والقرى، ولكن لم يوجد فينا ظاهري غير واحد من مدينة شِرْبِين، وكانت تابعة وقتذاك للغربيَّة، ثمَّ صارت بعد ذلك تابعة للدقهليَّة، هو أخونا الحاج

QaradawiBooks.com

محمود عبيــة، الَّذي كان معجبًا بابن حزم، متشــبِّعًا بآرائــه، ويُفتي بها الناس، ويقول لهــم: من أخذ الحبوب للدواء فــي رمضان، فليس ذلك يُفَطِّره؛ لأنَّه ليس أكلًا ولا شربًا!

كان أهل القرون الأولــى الَّذين هم خير قرون الأُمَّــة، كما جاء في الحديــث الصحيح: «**خيرُكــم قرني، ثــمَّ الَّذيــن يلونهم، ثــمَّ الَّذين يلونهم**»[1]، وكان من حسن فقههم أنَّهم يرون أنَّ الله لم يشرع حكمًا إلَّا وفيه مصلحة لخلقه في دينهم أو في دنياهم، مصلحة فرديَّة أو أسريَّة أو اجتماعيَّة، عامَّة أو خاصَّة أو دوليَّة.

ولذلك لم يحرم الله إلَّا الخبائث، ولم يُحِــلَّ إلَّا الطيبات، كما قال تعالــى: ﴿**يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ**﴾ [الأعراف: ١٥٧]

ولهذا قالــوا وحاولوا منذ إمام الحرمين وتلميــذه الإمام الغزالي أن يصلوا إلى أنَّ الله تعالى قد أصَّل للناس أصولًا، وحرَّر لهم مقاصد تحفظ عليهم ضروريَّات حياتهم في دينهم وفي دمائهم وأولادهم وفي أموالهم وفي أعراضهم (في أنسابهم)، وما يتفرَّع منها.

وضح ذلك الغزالي في كتابه الأصولي الكبير «المســتصفى»، وجاء القرافي فوضَّح فيها وقسَّم، وجاء الشــاطبي في موافقاته فأحكم ونظم، وقعَّد وصرف، وقاس وفرَّق، ووسَّع في التعريف والشرح والتوضيح.

---

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الشــهادات (٢٦٥١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٥)، عن عمران بن حصين.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كان تركيز الفقه وأصوله على الأفراد أكثر من تركيزهم على الجماعات، ولذا لم يركِّزوا على الأُمَّة والدولة والعلاقات الجماعيَّة الكبيرة بعضها ببعض، فإذا بحثوا عن المصالح بحثوا عن الدين والنفس والنسل والمال والعرض، وأكثر ما يتعرَّضون له: دين الشخص ونفسه ونسله وماله وعرضه، ولم يعطوا عناية كبيرة للجانب الاجتماعي، وإن كان واردًا وله أمثلة.

لذلك لما جاء الأصوليُّون المقاصديُّون مثل الشيخ الطاهر بن عاشور عالم تونس الأكبر، وكتابه «مقاصد الشريعة الإسلاميَّة» وما جاء به الشيخ رشيد رضا، ومثله مُحمَّد عبده، وبعده علماء الأزهر، ورجال الفتوى والجماعات في البلاد الإسلاميَّة، وسَّعوا الآفاق، ونهضوا بالعلم نهضة كبرى انتهت بمؤتمر لندن الَّذي دعا إليه الشيخ أحمد زكي يماني مجموعة كبيرة من علماء العالم الإسلامي وأنا منهم، للبحث في قضيَّة «المقاصد» وتثبيتها وتطويرها لتصبح لها مؤسَّسة علميَّة إسلاميَّة عالميَّة، وهو ما خرج منه هذا المؤتمر المبارك. وتكون هذا المجمع «مركز دراسات مقاصد الشريعة» الَّذي اجتمع حوله العلماء والمُفَكِّرون والمهتمُّون بهذا الأمر، وليجمع ما استطاع من بحوثهم وآرائهم، وخصوصًا الَّتي لا تتاح لها فرصة النشر الأوسع، وكُلِّف الأستاذ الدكتور مُحمَّد كمال إمام بموسوعة هذه الأبحاث المقاصديَّة وما يدور حولها وما يصبُّ فيها من خلال تراثنا الغنيِّ والكبير بمصادره المتعدِّدة، ومراجعه المتنوِّعة، ومفرداته المتفرِّقة، لتتجمع كلها في موسوعة واسعة تبلغ عشرة مجلدات أظنُّها اكتملت الآن، ويطالعها المختصُّون والباحثون عن هذه الكنوز في العالم كلِّه، وجزى الله خيرًا الدكتور إمامًا وكل من ساعده لإخراجها، وكل من نشرها، وكل من ساهم فيها.

QaradawiBooks.com

اهتم ابننا وأخونا الباحث فتحي أبو الورد بإحدى القضايا المهمة الَّتي لم يكن يهتمُّ لها النَّاس غالبًا، وكان كثيرون لا يحسبون أنَّ للدين عناية بمثل هذه الأمور، فكيف تصبح هذه النقطة وحدها رأس بحث وعنوان بحث كامل تهتم به الجامعات الكبرى، والكليات المختصة منها؟

إنَّها قضيَّة «الحرية» باعتبارها مقصدا تهدف إليه الشريعة، وتسعى إليه، وتجعله ضمن أجزائها وتراكيبها الَّتي بها تلتئم المجموعة، وتنتظم المركبة، وتسير السفينة إلى الإمام باسم الله مجراها ومرساها.

وقد هيَّأت الأقدار لابننا الباحث مشرفًا على رسالته عالمًا جليلًا من العلماء المعاصرين المهتمين بالمقاصد الشرعيَّة، والَّذي أسَّس معنا مركز دراسات مقاصد الشريعة بلندن، وهو أخونا وصديقنا الأستاذ الدكتور مُحمَّد سليم العوَّا، ليُسدد مسيرته العلميَّة، ممَّا كان لذلك الأثر النافع الطيِّب في هذا العمل العلمي المبارك.

وقد أيَّد الباحثُ في دراسته الجادَّة بالبراهين والأدلَّة أنَّ الحرية مقصد شرعي استخدمها الشارع بألفاظ مترادفة مثل الكرامة والعزة وتحريم القهر والنهر، وأن معناها منتشر في تصرفات الشريعة ممَّا لم يعد معه بمقدور منصف أن يرد هذا الفهم، أو يتغافل عنه.

ولم لا تكون حرية الإنسان كذلك؟ وهي مقدسة كحياته، وهي الصفة الطبيعيَّة الأولى الَّتي بها يولد الإنسان، وهي مُستصحَبة ومستمِرَّة، ليس لأحد أن يعتدي عليها.

انتهى إلى هذه النتيجة وهو يجيب عن السؤال الَّذي طرح نفسه وطرحه المقاصديُّون المعاصرون: هل كان حصر المقاصد في الكُلِّيَّات

QaradawiBooks.com

الخمس حصرًا تامًّا؟ أو بصورة أخرى هل يمكن إضافة مقاصد جديدة إلى ما سبق تقريره؟ وهل رعاية الضروريات الخمس تمثل كل مقاصد الشرع؟

وكان الجواب أنَّ المقاصد الشرعيَّة ليست محدودة، وأن هذه الخمسة ليست نهائيَّة، فمقاصد الشريعة قائمة مفتوحة ويمكن الإضافة إليها، وأنَّ هناك مقاصد أخرى أو مصالح ضروريَّة لم تستوعبها الكُلِّيَّات الخمس، من ذلك ما يتعلَّق بالقيم الاجتماعيَّة مثل الحُرِّيَّة والمساواة والإخاء والعدل والتكافل وحقوق الإنسان، ومن ذلك ما يتعلَّق بتكوين المجتمع والأمة والدولة، كما أنَّ السماحة واليسر ودوام الأخوة بين المسلمين، ونصرة المظلوم، ودفع الفساد مقاصد شرعيَّة، تنضاف إلى منظومة الضروريات.

وهذا التجديد القائم على الدليل في فهم الشريعة يجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ لأنَّ الارتباط بالأصل لا يعني الانقطاع عن العصر، وإنَّ الاتصال بالعصر أيضًا لا يعني الانسلاخ عن الأصل.

كما برهن بالأدلَّة العلميَّة أنَّ نطاق الحريات في الشريعة الإسلاميَّة واسع إلى أبعد مدى، فكل ما من شأنه أن يُعلي من كرامة الإنسان وإنسانيته وأن يحافظ على كيانه المادِّي والمعنوي، وصيانته من كل عبث ينال منه، فهو من الحُرِّيَّة الَّتي رحَّب بها الإسلام، وإن لم ينصَّ عليها بنصٍّ تفصيلي، والحريَّات في شريعتنا لا تنحصر، لأنَّ الحريَّات في جوهرها مصالح للأفراد وللأمَّة، ولم يقم دليل على حصر المصالح.

ولم يترك الأمر في شأن الحرية على الغارب، فالحرية لا تعني فقدان الضوابط، لأنَّ الحرية المطلقة مفسدة مطلقة، أو فوضى مطلقة، وقد وضعت الشريعة ضابطًا لممارسة الحرية وهو أن تتحرَّك في منطقة الإذن الشرعي.

QaradawiBooks.com

ثمَّ كانت له جولات وصولات لإبراز التطبيق العملي لمقصد الحرية لدى فقهائنا القدامى والمعاصرين، أظهر من خلالها اتِّساع رقعة الحرية في التطبيق الفقهي السياسي، وتجلَّت أبعادها في جوانب شتَّى تناول منها: الشروط المُتَعَلِّقة بالترشُّح لمنصب رئاسة الدولة، وطرق اختيار رئيس الدولة، وتحديد مدة الولاية، ومشاركة المرأة في الحياة السياسيَّة وتولِّي الولايات العامَّة، وكذا مشاركة غير المسلمين في تقلُّد المناصب وتولِّي الولايات في إطار مفهوم المواطنة المعاصر.

ففي شروط الإمام انتصر للآراء الاجتهادية الَّتي تشترط في المرشح لرئاسة الدولة والَّتي تؤثر بصورة جوهرية في أداء دوره، وتساهل فيما لم يكن على هذه الصفة، أو ما يمكن أن يتَّخذ مطعنًا على مبدأي المساواة والحرية الدستوريين في الفقه السياسي، متَّخِذًا في ذاك الكفاءة والأهليَّة معيارًا عامًّا في شخصِ من يقوم بعبء هذه الأمانة، وفى هذا توسعة لنطاق المشاركة السياسيَّة، واتِّساع لرقعة الحقوق للمواطنين، وإتاحة الفرصة لأكبر عددٍ ممكن من المرشحين ممَّن يرغبون في خدمة أوطانهم، وتحقيق مصالحها، وطمأنة للجميع على حفظ حقوقهم وحريَّاتهم، وتحقيق لمبدأ تكافؤ الفرص والمساواة، ويبقى الحكم الفصل في ذلك هو صندوق الاقتراع الذى يعبر عن إرادة الأُمَّة.

وفي ضوء ذلك استبعد شرط النسب القرشي والاجتهاد والذكورة، وتشدَّد في أن يكون المرشح مسلمًا، وأوضح أنَّه ليس في استبعاد غير المسلم من رئاسة الدولة الإسلاميَّة انتقاص له أو تضييق عليه، بل هذا هو المنطق والمعقول، وليس من الحرية في شيء أن يتولَّى القيام على دولة دين أغلب مواطنيها الإسلام واحد من غيرهم، كما أنَّ استبعاد غير

QaradawiBooks.com

المسلم من رئاسة الدولة الإسلاميَّة يُعَدُّ إعمالًا لمبدأ الحرية والديمقراطيَّة الَّذي يُقَرِّر أن تنصاع الأقلِّيَّة للأكثريَّة، مع حفظ حقوقهم فيما يمثل شخصيَّتهم الدينيَّة.

ثمَّ رأى وجوب تحديد مدَّة ولاية رئيس الدولة؛ لأنَّ ذلك هو المُحَقِّق للمصلحة، وأنَّ الَّذين يُرَدِّدون اليوم القول بإطلاق الولاية مدى الحياة باسم الفقه الإسلامي يعيشون في الماضي ويغفلون الواقع، كما أنَّ ترديد هذا القول اليوم لا يخدم إلَّا الطغاة والمُسْتَبِدِّين.

وانحيازًا لإرادة الأُمَّة فقد أيَّد ما قرَّره فقهاؤنا: أنَّ الأُمَّة هي المُنْشئ لعقد الإمامة، ولا تنعقد الإمامة إلَّا بالرضا والاختيار، وأنَّ كلَّ ما يُؤثِّر في حُرِّيَّة الإرادة يؤثِّر في صحَّة التعاقد، وأنَّ عقد الأُمَّة مع رئيس الدولة لا يصنع منه سلطة فوق القانون، ولذلك قرَّر الفقهاء مساءلته ومحاكمته، وعزله، وفي هذا تعظيم لحقِّ الأُمَّة وصيانة حُرِّيَّة إرادتها من عبث الحكام وأهوائهم.

كما أكَّد على أنَّه ليس لثبوت الإمامة طريق سوى الاختيار الحُرِّ، وإن تعدَّدت أشكال هذا الاختيار، ممَّا يعزز حقوق الأُمَّة، وينحاز إلى إرادتها، كما أنَّ فقهاءنا مجمعون على أنَّ الإمامة لا تُوَرَّث، فالتوريث والشورى نقيضان لا يجتمعان، وأنَّ التوريث مرفوض في فقهنا السياسي، سواء كان لذي قرابة أو نسب أو رفاق الحزب أو غير ذلك، ما دام بغير مشورة الأُمَّة.

وعن أبعاد الحرية في المشاركة السياسيَّة للمرأة؛ فقد أثبت لها الحقَّ في أن تكون نائبة، وناخبة، وقاضية، ووزيرة، ورئيسة للدولة القُطْرِيَّة، من خلال مناقشة عِلْمِيَّة هادئة، انتهى منها إلى أنَّ الفقه الإسلامي في مجموعه يبيح للمرأة أن تكون كُلَّ هذا بضوابطه، ورأى أنَّ الأساس الأكبر الَّذي ينبغي أن ترتكز عليه قاعدة شَغْل المناصب وتولِّي الولايات

QaradawiBooks.com

هو الكفاءة والقدرة بعيـدًا عن جنس من يشـغلها ويتولَّاها، وليس كلُّ رجل يصلح أن يتولَّاها ويشغلها، وليست كلُّ امرأة كذلك.

أمَّا عن أبعاد الحُرِّيَّة لغير المسـلمين في الفقه السياسي الإسلامي؛ فقد أثبت لهم من الحقوق السياسـيَّة تولِّي الوظائف العامَّة في الدولة، وتحمُّل أعبائها باسـتثناء بعض الوظائف القليلة جـدًّا الَّتي يغلب عليها الصبغة الدينيَّة، كالإمامة، ورئاسـة الدولة، وقيادة الجيوش. وكل الَّذي يشـترطه الفقهاء لتولِّي غير المسـلم للوظائف العامَّة في الدولة هو أن يكون أهـلًا لتولِّـي الوظيفة من حيـث: الكفـاءة، والثقـة، والأمانة، والإخلاص للدولة.

وبالجملة فقد انتهى إلى نتيجة مفادها أنَّ رقعة الحُرِّيَّة قد اتَّسَعَتْ في التطبيق الفقهي السياسـي لدى فقهائنا القدامى والمعاصرين؛ فأيَّدوا كل ما من شأنه أن يُعلي من قدر الإنسان أكرم مخلوق في دنيا الوجود.

أدعو الله تعالى أن ينفع بهـذا العمل العلمي الجـادِّ لابننا الدكتور فتحي أبو الورد، وأن يجعله مـن العلم النافع، الَّذي لا ينقطع أجرُه، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة: الأحد ٥ رجب ١٤٣٨هـ

٢ إبريل ٢٠١٧م

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «نظريَّة القضاء الشرعي خارج ديار الإسلام تأصيلًا وتنزيلًا»

للشيخ سالم الشيخي[1]

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(وبعد)

كثيرًا ما يتعرَّض المرء في حياته لمعرفة شخصيَّات مختلفة، من بلاد كثيرة، تتنوَّع غاياتهم، وتتعدَّد مذاهبهم، وتتلاحق أو تتضارب أفكارهم، وتعبر عنهم أقوالهم وأعمالهم. وتنطق بكلِّ ذلك أخلاقهم وتصوُّراتهم.

وكلُّ إنسان يهتمُّ بجانب معيَّن من النَّاس، حسَب واقعه وثقافته واهتماماته. فالأشخاص العمليُّون، الَّذين لا يعنون كثيرًا بالفكر ولا بالمنطق، ولا بالعلم وتخصُّصاته ومقتضياته من علميَّة وأدبيَّة، أو كما يقول المناطقة: من تصوراتيَّة وتصديقيَّة، أو كما يتصوَّر الفلاسفة من مادِّيَّة ومعنويَّة، أو كما يقول أهل الدِّين ـ أي دين ـ من دنيويَّة وأخرويَّة: لا يهتمُّون إلَّا بمن على شاكلتهم. وإنَّما يُقَدِّر هذه الأمور الأشخاص

(١) نشر دار الكلمة، القاهرة، ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.

QaradawiBooks.com

الَّذين يشـــاركون في صناعة الفكر، ويهتمُّون ببناء العقول، وينشـــغلون بصياغة المبادئ.

وهؤلاء النَّاس الَّذين تتعرَّف عليهم فـــي حياتك، تختلف صلاتك بهم. فمنهم من يمرُّ عليك مرَّ السحاب، يسقيك الغيثَ، وينبت الزرع، ويحيي المـــوات، ولكنَّه لا يطيـــل البقاء معك. فتظل تذكـــره بالخير، وتدعو الله بما يُحَقِّق له الآمال، ويزيل عنه الآلام، ويظلُّ محمود السِّيرة، مذكورًا بنقاء السَّرِيرة.

وهناك أناس يمرُّون بك أوَّل أمرهم، ظاهرُهم حسن، وقولهم معسول، وباطنهم غير واضح، حتَّى تأتي المجتمـــع نكبة من النكبات، أو محنة من المحن، فهنالك يظهـــر المرء على حقيقته، بلا لبـــس ولا غموض. فالحقُّ أبلج، والباطل لجلج. وينكشف أمره لأهل الحقِّ. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

ومن النَّاس من تعتبـــر معرفتهم والاقتراب منهـــم والتقارب معهم، والانتفاع بما لديهم فضلًا من الله إليك، ونعمة من الله عليك. وهؤلاء هم أصدقاء العمر، وأصفياء القلب، وأشـــقاء الروح. بمجرد أن تتعرف على أحدهم، وتستكشف شخصيَّته المخبوءة في التلافيف الظاهرة والباطنة. حينئذ تعلم أنَّـــك حصلت على كنز عظيـــم، لا يُقَدَّر بثمـــنٍ من المال، ولا بأعـــراض من الدنيا؛ بل هـــو هديَّة من الله لك، تفضَّـــل بها عليك، وســـاقها لتكون بجوارك، أو في دائرتك. إذا احتجـــت إليه وجدته، وإذا سألته أجابك، وإذا كلفته بأمر قال لك: سمعنا وأطعنا.

QaradawiBooks.com

يقول الشاعر في هذا الصديق:

حَسبِي مِنَ الدُّنيَا صَدِيقٌ صَادِقٌ فَرِدٌ، فَكُنهُ، وَلَا احتِيَاجَ لِثَانِ[1]!

وقال آخر:

وَإِنِّي لِمُحتَاجٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبٍ يَرُوقُ وَيَصفُو إِن كَدِرتُ عَلَيهِ[2]!

هذا الصديق تجتمع عدة شخصيَّات في إهابه، حين ترزق به، أو يصبح واحدا من أسرتك؛ بل يصبح أقرب إليك من أخيك وشقيقك. كما قيل: رب أخ لك لم تلده أمك، وهو ما وجدته، فيمن عرفت وصادقت من الإخوة الأحبة.

إنِّه رجل:

فأوَّل ما تلحظه فيه أنَّه «رجل». وكلمة رجل لها معنى معروف في اللغة، وهو الإنسان البالغ من الذكور. ولكن ليس هذا المعنى هو المراد من كلمة رجل. بل المراد منه ما نستشفه من قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ومن قول مؤمن آل فرعون دفاعًا عمَّا أراده فرعون من قتل موسى عليه السلام: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

(١) هو الشاعر حفني ناصف.

(٢) عزاه المقريزي إلى أبي العتاهية في المقفى الكبير (١٨٥/٤)، تحقيق محمد اليعلاوي، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

والرجال الَّذين نعرف رجولتهم ويُشهد لهم قليلون، كما قال الشاعر العربي في الجاهليَّة:

تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ الكِرَامَ قَلِيلُ[1]

رجل عالم:

فإذا كان الرجل عالما فقد ضم إلى الرجولة مزية أخرى، لها قيمتها عند الله، وقيمتها عند الناس. إنَّها قيمة «العلم». فهو رجل عالم. والعالم غير الأديب. الأديب هو الَّذي يعرف شيئًا عن كل شيء. والعالم هو الَّذي يعرف كل شيء عن شيء.

وفي تراثنا الإسلامي علوم نهضت بها أجيال من أبناء الأمة، بعضها لغوية، وبعضها دينيَّة، وبعضها عقليَّة. وهو ما يطلق عليه في عصرنا صيغة «العلوم»، وما عداها آداب أو فنون.

علوم التراث الإسلامي كثيرة، وكثير من الشباب يخوضها ويعاركها. ولكن الَّذي يخرج منها بالاعتراف بأنَّه عالم نادر. فهو يحتاج إلى إعداد هائل، يبدأ من الصغر، ويستمر مدى الدهر. يقول الإمام الشافعي:

وَمَن لَم يَذُق مُرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً تَجَرَّعَ ذُلَّ الجَهلِ طُولَ حَيَاتِهِ
وَمَن فَاتَهُ التَّعلِيمُ وَقتَ شَبَابِهِ فَكَبِّر عَلَيهِ أَربَعًا لِوَفَاتِهِ
حَيَاةُ الفَتَى وَاللهِ بِالعِلمِ وَالتُّقَى إِذَا لَم يَكُونَا لَا اعتِبَارَ لِذَاتِهِ[2]

(١) من شعر السموءل انظر: ديوانه صـ ٦٧، تحقيق د. واضح الصمد، نشر دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) ديوان الشافعي صـ ٥٢، تحقيق د. مجاهد مصطفى بهجت، نشر دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

ومن حسن ما يُهيِّئ الله للفتى: أن يُهيِّئ له من العلماء من ينفعونه، ولا يَضِنُّون عليه بما عندهم من علمٍ مهَّدوه ويسَّروه وهيَّؤوه لمن يتلقَّاه من أهله.

غير مرخصة للطباعة

عامل بما علم:

ومن مزايا هذه الشخصيَّة: أن يكون عاملًا بما علم. فالعلم عندنا ـ نحن المسلمين ـ لا يعني مجرد الثقافة والاطلاع، نستنير من داخلنا بالمعرفة، وإن لم نتخذها أداة لتغيرنا من الداخل.

العلم الحقيقي هو ما يعمل به من حمله. وأول من يطبقه على نفسه هو صاحبه. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣].

ولذلك قال أسلافنا: علم بلا عمل، كشجرة بلا ثمر، أو كسحاب بلا مطر.

وأول ثمرات العلم النافع: أن ينفع حامله، فيهديه للَّتي هي أقوم، ويوفقه للَّتي هي أرشد. ولا يكون كالذي ذم القرآن من علماء بني إسرائيل: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٧].

ومثل أهل التوراة عامَّة بمثل آخر، هو الحمار يحمل أسفارًا لها قيمتها في العلم، ولكن الَّذي يحملها حمار. ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾ [الجمعة: ٥].

QaradawiBooks.com

معلِّم لما يعلم:

وآخر ما تتميز به هذه الشـــخصيَّة الَّتي يهيئ الله سبحانه للعالم الَّذي يمتنَّ عليه: أن يكمل العلم بعد العمـــل به، بتعليمه والدعوة إليه. فعندنا من حملة العلم المتعبدين به ألوف مؤلفة. ولكن الَّذي نحتاجه من بين هؤلاء هم المعلمون الدعاة، فليس كل عالم يصلح أن يكون معلمًا. وقد رأينا من مشـــايخنا من يحفظون القاموس في اللغة، ولكنَّه لا يحسن أن يعطي درسًا في اللغة أو في النحو للطلبة.

وكم من مشـــايخنا من كان يحفظ المتون المعروفة، ويقول لنا: من حفظ المتون، حـــاز الفنون، ولكنَّه ضعيف الشـــخصيَّة أمـــام الطلاب، لا يستطيع أن يسيطر على فصل، ولذلك ذهب، ولم يستفد النَّاس بعلمه.

وهناك أناس قـــادرون على التعليم، قادرون علـــى الدعوة، وإن كان ما لديهم من العلم قليلًا، ولكن الله بـــارك فيما أعطاهم فبذلوه، ونقلوه، وأحسنوا توظيفه.

العالم الربَّاني:

ولكن أهم من هؤلاء من بســـط الله لهم من علمـــه، وآتاهم من فضله ما وصلوا به هذا العلم إلى الناس. فالعالم الحق هو الَّذي يسأل الله تعالى أن يكون معلمًا للناس، ينفعهم بعلمـــه، ويحل لهم حلاله، ويحرم عليهم حرامه، فهذا أوَّل دليل على الربَّانيَّة الَّتي ننشـــرها في الناس. قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

الداعية حقًّا هو من يســـتطيع أن يوصل العلم إلى العقول فتقنع، وإلى القلوب فتخشع، وإلى الأعين فتدمع، وإلى الأيدي فتصنع. وأهم هذا كله هو

QaradawiBooks.com

حركة القلوب الحية الَّتي يسوقها إلى الله تعالى الحب والمعرفة، والصبر واليقين. ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

لا بدَّ للعالم الداعية أن يتحرَّك ويحرك، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وهذا ما فهمه السلف من كلمة «الرباني» فمن هو الرباني؟ الرباني عندهم هو الَّذي عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ. فهو الَّذي جمع بين هذه الثلاثة المتصلة: العلم الَّذي يؤسّس، والعمل الَّذي يحرس، والتعليم الَّذي يبني ويربِّي.

اقتران الدعوة والتزكية والتعليم:

ولذا كان من أهم ما يقوم به مُحمَّد ﷺ هي مهمة التعليم والتزكية. كما دعا بذلك إبراهيم ربه من قديم: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة: ١٢٩]. وقال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١]. وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]. ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ركز القرآن في هذه الآيات الأربع، وكلها من القرآن المدني، على أمور ثلاثة:

QaradawiBooks.com

أولها: تلاوة الآيات. وهي الَّتي تعني إبلاغ آيات الله، الَّتي تنير الطريق.

ثانيها: الدعوة إلى التزكية. والتزكية تعني: طهارة الأنفس من ناحية، ويكملها بالإيمان والأخلاق من ناحية أخرى.

ثالثها: تعليم الكتاب والحكمة. ومهما توسَّعتَ أو فصَّلتَ في معنى الكتاب والحكمة فستجد أمامك من المعالم والبنيان ما يوسِّع سبل المعرفة، ويهدي للَّتي هي أقوم.

وكم كنَّا نودُّ أن يحافظ رجال التربية على المعنى القرآني الكبير، وهو «التزكية». ولكن جرى ما جرى، وترجمت اللفظة إلى «التربية».

أثر العمل في الخارج على التعرف على العاملين للإسلام:

ما ذكرته في هذه الصفحات ينطبق على شخصيَّة تعرَّفت عليها في أثناء العمل للإسلام في الخارج. لو بقينا في بلادنا أو في البلاد الَّتي انتقلنا إليها من بلادنا الأصليَّة ما تعرفنا على مثل هذه الشخصيَّات الَّتي هي أمداد الله تعالى للبشر في ظروفهم الصعبة الَّتي يعملون فيها للنهوض بأمة الإسلام في الديار المختلفة: في الشرق والغرب، في آسيا وأفريقيا.

هذه الشخصيَّة شخصيَّة ليبيَّة، تعرَّفت عليها في أثناء عملنا في جلسات المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، وهي مؤسَّسة دعا إليها إخواننا في اتِّحاد المنظمات الإسلاميَّة في أوربا، وقد اجتمعنا أوَّل اجتماع في لندن سنة (١٩٩٧م). وقررنا إنشاء هذا المجلس الَّذي أصررنا على أن نسميه «المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث». وكان الإصرار من أخينا العالم الداعية الشيخ راشد الغنوشي، العالم الزيتوني، الَّذي درس الفلسفة، وخاض غمار الحياة. وكان الداعي إلى هذا الاجتماع الأخ

QaradawiBooks.com

الأستاذ أحمد الراوي من العراق أصلًا، وهو متخصِّص في دراسة «العلوم». وقد كان المجلس يضمُّ فئتين أساسيتين: **الأولى**: العلماء الَّذين يعيشون في أوربا، مثل الشيخ عبد الله الجديع، والشيخ حسين حلاوة، والشيخ صهيب حسن.

والثانية: العلماء الَّذين لهم صلة طيبة بالإخوة في أوربا، ويعرفون ظروفهم ومشكلاتهم، وقد عاشوا معهم، أو تعرفوا عليهم، مثل الأخ الشيخ فيصل مولوي، والدكتور عصام البشير.

هذه الشخصيَّة هي شخصيَّة الأخ الحبيب العالم المجاهد الداعية المعلم: سالم الشيخي، الَّذي لم يشهد معنا جلسة التأسيس للمجلس الأوربي في لندن، لأنَّه كان يعمل في مانشيستر، ولكنَّه سرعان ما لحق بنا وانضم إلى مجلسنا، فكان قوَّة للمجلس، لما عنده من علم شرعي مؤسَّس على أهله من علماء ليبيا الأصائل، وعنده دراسة طيِّبة في علم الفقه والأصول. وعنده دراسات أصيلة في علوم التفسير والحديث والإسلاميَّات.

ثم هو مُتَمَرِّس بالعلم الشرعي مع الأقلِّيَّات الإسلاميَّة الَّتي تعيش في قلب إنجلترا، ويعرف حاجاتها ومتطلباتها، ومخارجها ومداخلها، والمؤثرات عليها، والمخففات عنها.

وهذا النوع من الإخوة الَّذين يفهمون الشرع، ويفهمون الناس، ويريدون أن يحلوا مشاكل الناس، وأن يخرجوهم ممَّا أوقعهم فيه بعض المشايخ المتعصبين لمذاهبهم، فيما قرروه من قديم. وهو خطر على الأسرة المسلمة، وخصوصًا في ديار الغرب.

QaradawiBooks.com

ولذلك فرحنا بالأخ الشيخ سالم، كما فرحنا من قبل بالإخوة «السالمين» الَّذين جمعوا مثل ما جمع الشيخ. حفظهم الله.

عرَّفني الأخ سالم على نفسه، فعرفت أنَّه يقوم على المجلس المسؤول عن ليبيا في الخارج. وكلُّ ما هو مسؤول عن ليبيا إنَّما هو في الخارج. فليس لأحدٍ أيُّ قدرة على إقامة أي شيء في الداخل. والله معهم حتَّى تهيَّأ لهم فجر جديد، وما هو من الظلام ببعيد.

جلست مرَّات مع الشيخ سالم، واستمعت إليه، واستمع إلي، وعرفت أنَّه متزوج من المغرب، ومن مدينة طنجة، وأنَّه من المُهْتَمِّين بكتبي وآرائي، واتِّجاهاتي الفكريَّة. وأن له فيها بحوثًا ودراسات، يتمنَّى أن يُعان عليها، لتجمع وتصدر في كتاب واحد، ذي أجزاء. واتَّفقنا على أن نعينه بما استطعنا، وهو محدودٌ للأسف، وإن كان الَّذين يعملون في الحقل الإسلامي يكفيهم القليل، بل الأقل من القليل.

ثورات الربيع العربي:

ثم قامت ثورات الربيع العربي، بما لم يخطر ببال أحد، ممَّن كان يرقب الأحداث، ويتمنَّى أن تتحرَّك، حتَّى شاء الله أن تبدأ من تونس، من البلاد المغاربيَّة، وتجاوب الشعب معها تجاوبًا فاق كلَّ توقُّع، ممَّا هزَّ الكيان الحاكم، وارتعدت فرائصه، فلم يملك إلَّا أن أقرَّ بأن يترك البلاد مسافرًا إلى السعوديَّة، بما يحمل من مليارات من الدولارات، الَّتي لم يعرف إلى اليوم: كم هي؟

وكان لا بدَّ أن تنتفض البلاد المجاورة لتونس، كما هي الثورة في ليبيا، والثورة في مصر، والثورة في اليمن، والثورة في سوريا.

QaradawiBooks.com

وقد نجحت الثورة في مصر، وفي ليبيا، وقام الشعب اليمني ثائرًا على الحاكم الطاغية علي عبد الله صالح ومؤيِّديه من الحوثيِّين وأمثالهم. وضرب الشعب المثل في التضحية والبذل والصبر، حتَّى ينتصر انتصارًا نهائيًّا.

كان الشيخ سالم الشيخي في طليعة أبناء ليبيا، الَّذين وصلوا إليها. ووقفوا مع أبناء الشعب المناضلين ضد أنصار الظلم والظلام والتخلف، وما زالوا يجاهدون حتَّى انتصروا على القذافي، وحكمه الطاغوتي، والقائمين على سلطانه.

وكان من البارزين في مواجهة الطاغية القذافي وحكمه المتجبر في الأرض: الشيخ سالم الشيخي، وإخوانه من علماء ليبيا، ومن أعضاء الاتِّحاد العالمي لعلماء المسلمين، مثل الدكتور علي الصلَّابي، والشيخ ونيس مبروك.

وقد أسفت أشدَّ الأسف لما حدَّثني به أخونا العلَّامة الشيخ سالم: أنَّ المجموعة الَّتي تخاصمهم ممَّن والوا القذافي واتِّجاهاته الضلاليَّة والإجراميَّة، قد دخلوا بيته في منطقة بني غازي، واستولوا على مجموعة من أوراقه وكتبه وملفَّاته، وكل ما يحرص على خزنه وحفظه. وما كان منه يحتاج إلى عناية وحفظ بادروا بإحراقه وإتلافه، ولم يرعوا الله فيما فيه من كنوز علميَّة، ودراسات أساسيَّة، وقراءات واعية. نسأل الله أن يعجل بنصر الأُمَّة عليهم، واستخراج ما بقي من أشياء نافعة تنفع الأمة في سبيلها.

لقد أراني الشيخ سالم بعض ما انتهى إليه، بالنسبة إلى كتبي، وأنَّه بدأ يطبع منها ما هو جاهز عنده. وقد رأيت من هذا الَّذي طبع جزءًا كبيرًا في غاية من الجودة والمنفعة، وشجَّعتُه على المضيِّ قُدُمًا في الطبع

QaradawiBooks.com

والإخراج. فإنِّي أرى في الظروف الحاليَّة أنَّ الأولى هو المسارعة في الإخراج للأشياء إلى المستوى العلمي والواقعي.

وبعد ذلك يمكن لنا أن نتقن ما بدأنا به، بعد أن نكون قد مضينا شوطًا لا بدَّ منه في مجال التنفيذ.

مع كتاب «نظريَّة القضاء الشرعي خارج ديار الإسلام»:

وأنا الآن أقدم لهذا الكتاب: «نظريَّة القضاء الشرعي خارج ديار الإسلام تأصيلًا وتنزيلًا: تطبيقات على بعض أحكام التفريق القضائي في بريطانيا» لأخينا الشيخ سالم الشيخي، أرى الكتاب يتناول بالشرح والتدليل قضيَّة فقهيَّة في غاية الأهميَّة فيما يتعلق بواقع «الأقليات الإسلاميَّة» في الواقع المعاصر، وهذا الموضوع من الموضوعات الَّتي تحتاج الكتابة عنها بصياغة شاملة، وبعقليَّة أصيلة عصريَّة، مُتَفَتِّحة متوازنة، يمكن أن تتشكل من خلالها نظريَّة متكاملة منضبطة، لمسألة التقاضي الشرعي خارج ديار الإسلام، وحاجة الأقلِّيَّات المسلمة لذلك.

بين النظريَّة والتطبيق:

لم يقف الشيخ سالم الشيخي عند الصياغة التأصيليَّة للنظريَّة القضائيَّة للمسلمين خارج ديار الإسلام؛ بل انتقل منها إلى نموذج تطبيقي عاشه الكاتب لأكثر من خمس عشرة سنة، عبر الممارسة العمليَّة في مجالس الشريعة في بريطانيا: تلك المجالس الَّتي تحاول قدر استطاعتها الاستفادة من مرونة بعض القوانين المُتَعَلِّقة بمجال الأحوال الشخصيَّة في بريطانيا، لتمكن المسلمين من الالتزام بالخصوصيَّة الدينيَّة المُتَعَلِّقة بشؤونهم الأسريَّة خاصَّة عند الخلاف والنزاع بين الزوجين.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

دور مجالس الشريعة في الغرب:

وقد تمكَّنت هذه المجالس أن تقضي في العديد من القضايا ذات الصلة بمجال الأحوال الشخصيَّة للمسلمين في بريطانيا، وكذلك في مجال التحكيم في النزاعات الماليَّة. كل ذلك وَفْق نظرة دقيقة، لا تصطدم مع القوانين الحاكمة في بريطانيا ولا تعرض أصحابها والقائمين عليها للمساءلة القانونيَّة؛ بل على العكس تمامًا، فإنَّ المحاكم البريطانيَّة تتعامل مع هذه المجالس بكل إيجابيَّة، وتنظر إليها على أنَّها وسيلة من وسائل تخفيف الأعباء القضائيَّة والماليَّة، المُتَرَتِّبة على كثير من الإجراءات الَّتي تتبعها المحاكم البريطانيَّة في هذا الصدد.

ولاية العلماء عند فقدان السلطان الشرعي:

انطلق ابننا وأخونا الشيخ سالم الشيخي في كتابه من منطلقات أساسيَّة، سماها: ولاية العلماء عند فقدان السلطان الشرعي، وتقوم هذه المسألة على إنزال العلماء منزلة السلطان الشرعي عند فقده حسًّا أو حكمًا، كل ذلك وفق القدرة والاستطاعة.

وخلاصة ما ذكره المؤلِّف في هذا الصدد ما يلي:

١ ـ أنَّ عجز المسلمين في أوربا عن التحاكم إلى شريعة الله في كثير من المجالات، لا يسقط عنهم التحاكم إلى هذه الشريعة المباركة في المجالات الَّتي يقدرون عليها، والممكنة لهم، وذلك كمجال التحاكم في النزاعات الماليَّة عبر التحكيم الشرعي المسموح به قانونًا، ومجال النزاعات الأسريَّة عبر لجان الإصلاح والتحكيم، وغير ذلك من المجالات الممكنة.

QaradawiBooks.com

٢ ـ الأصل المُتَّفَق عليه أنَّ الإمام الشرعي ينوب عن الأُمَّة في تنفيذ الواجبات الكفائيَّة، فإذا فقد الإمام الشـرعي أو فقدت أوصافه الشرعيَّة، والَّتي منها الإسـلام، عاد الأمر إلى مجموع الأُمَّة، ولا يسقط عنهم هذا الواجب إلَّا عند العجز وعدم القدرة على ذلك.

٣ ـ أنَّ العلماء رحمهم الله ألزموا أهل الحَلِّ والعَقْد إضافة إلى عموم المسلمين خارج ديار الإسلام، أن يتولَّوا أمر إيجاد الجهة القضائيَّة، الَّتي يلجأ إليها أهل الإسلام، **وذلك عبر طريقين:**

الطريق الأوَّل: أن يتولَّـى العلماء بمجموعهم هذا الأمر، ويَسْـعَوْا بكافَّة الأسـباب الممكنة لإيجاد الجهة القضائيَّة الشـرعيَّة الَّتي تتولَّى القضاء بين المسلمين.

الطريـق الثانـي: أن يختار العلمـاء من بينهـم من لديـه الكفاءة والاختصاص ليتولَّى هذا الأمر نيابة عنهم.

٤ ـ أنَّ أهل الحَلِّ والعَقْد هم أولوا الأمر ابتداء، وأنَّ الإمام نائب عن الأُمَّة، فإذا شغر منصب الإمام عاد السلطان إلى الأُمَّة، ممثَّلة في أهل الحَلِّ والعَقْـد منها، وعلـى رأس أهل الحَـلِّ والعَقْد العلماء وعدول الأُمَّة.

٥ ـ أن طرق استمداد المشـروعيَّة بالنسـبة للعاملين في المجالس الشرعيَّة، ولجان التحكيم والإصلاح في أوربا على النحو التالي:

أوَّلًا: أن تُعَيَّن الدولة الأوربيَّة قاضيًا من المسـلمين للقضاء بينهم، وقد بين ابننا الشـيخ سـالم أنَّ الراجح هو صحَّة هـذا التعيين للحاجة العامَّة الَّتي تنزل منزلة الضرورة.

QaradawiBooks.com

ثانيًا: اختيار أهل الحَلِّ والعَقْد لبعض العلماء ليقوموا ببعض واجبات القضاة.

ثالثا: الالتزام العَيْني لمن وجد في نفسه الأهليَّة.

التفريق للشقاق بين الزوجين نموذجًا عمليًّا:

ثم انتقل المؤلف بعد ذلك للحديث المفصل عن التجربة العمليَّة في بريطانيا، كمثال على التنزيل العملي التطبيقي للنظريَّة القضائيَّة خارج ديار الإسلام، واختار مسألة التفريق للشقاق بين الزوجين، وتعمق في تأصيل المسألة من الناحية الفقهيَّة بما يناسب الواقع الأوربي، ثمَّ فصل في الإجراءات العمليَّة المتبعة في مجالس الشريعة في بريطانيا لإجراء هذا التفريق، ومن أهم ما ذكره هنا:

١ ـ أن مجالس الشريعة مؤسَّسات مسجَّلة رسميًّا في الدوائر المعنيَّة بالمؤسَّسات الخيريَّة غير الربحيَّة، أعضاؤها من علماء الشريعة الإسلاميَّة، وأنَّها تقوم بالفصل في النزاعات الأسريَّة، وهي تصدر أحكامها على الأوراق الخاصَّة بها، وتتحمل كافة المسؤوليات أمام السلطات المعنيَّة، وأن هذه المجالس في بريطانيا ليست بدعًا من القول، بل قد سبقتها المجالس الشرعيَّة الخاصَّة بالأقلِّيَّة اليهوديَّة.

٢ ـ أنَّ الراجح هو صحَّة كلِّ التصرُّفات القضائيَّة الَّتي تقوم بها مجالس الشريعة الإسلاميَّة في بريطانيا، وذلك بشرطين:

الشرط الأوَّل: الأهليَّة العلميَّة للقائمين على مجالس الشريعة، وهذه الأهليَّة تتمثَّل في الحصول على القدر الكافي من العلوم الشرعيَّة، والحد الأدنى من الدراسات الشرعيَّة المتعلقة بأبواب

QaradawiBooks.com

القضاء الشـــرعي، مع دراســـة القوانين المدنيَّة في بريطانيا المتعلقة بقوانين الأحوال الشخصيَّة.

الشرط الثاني: استكمال واستيفاء جميع الإجراءات القضائيَّة المُتَعَلِّقة بالقضايا المطروحة على مجالس الشـــريعة، واتباع الخطوات المرحليَّة للنظر القضائي وذلك من بدء الاســـتماع إلى الطرفين إلى وقت إصدار الحكم النهائي في هذه القضايا.

٣ ـ أنَّ مراحل عمـــل مجالس الشـــريعة في دعوى الشـــقاق بين الزوجين هي:

البحث عن أسباب الشقاق بين الزوجين، ثمَّ النصيحة للزوجين، ثمَّ عرض الصلـــح بين الزوجين، ويتلو ذلك التســـريح بإحســـان، فعرض الخلع على الزوجيـــن، انتهاء ببعـــث الحكمين من خارج مجالس الشريعة.

٤ ـ أنَّ الإجراءات التنظيميَّة المطلوبة لســـير قضايا الشـــقاق بين الزوجين في مجالس الشـــريعة هي: اســـتقبال الدعـــوى في مجالس الشريعة، ثمَّ حضور الخصوم أو غيابهم، يعقب ذلك جلسات الاستماع لأطراف الدعـــوى، ويتلوه المهلة الشـــرعيَّة لإصدار القـــرار النهائي، وصولًا إلى إصدار القرار النهائي «الحكم القضائي بالتفريق للشِّقَاق»، ويتبعه التبليغ القضائي.

٥ ـ أنَّه يمكن الاستفادة من قرارات مجالس الشريعة في ظل القانون البريطاني، بحســـب طبيعة عقد الزواج، وهل هو مســـجل في المحاكم المدنيَّة أم غير مسجل.

QaradawiBooks.com

أثر قرارات مجالس الشريعة على العقود غير المسجلة:

٦ ـ أن أثر القرارات الصادرة عن مجالس الشريعة، إذا كان عقد الزواج الشرعي غير مسجَّل في المحاكم المدنيَّة مبني على قاعدة أنَّ عقد الزواج ما لم يسجل في دوائر الاختصاص القانوني التابعة للمحكمة المدنيَّة، فهو عقد لا تترتب عليه آثار الزواج المدني المسجَّل قانونًا، ويخضع صاحباه للقوانين المنظمة للعلاقات بين أي شريكين غير متزوجين مدنيًّا، وهذه القوانين لا تنظر في موضوع الطلاق أصلًا، وإنَّما تنظر في تسوية المسائل الماليَّة بين هؤلاء فحسب.

وبناء على هذه القاعدة، فإنَّ إجراء الطلاق الشرعي في مجالس الشريعة في بريطانيا سواء تمَّ برضا الزوج أم برضا الزوجين على فدية، وهو الخلع، أو بالتطليق للشقاق بالشروط المعروفة، هو إجراء نافذ ولا تعترض عليه المحاكم المدنيَّة، ولا تعتبره اعتداء على خصوصياتها، ذلك لأنَّها لم تعترف بالزواج الَّذي سبق هذا الطلاق في الأصل، ولا علاقة لها بالطلاق المبني على هذا الزواج.

٧ ـ أنَّه إذا تمَّ عقد الزواج في دوائر الاختصاص للمحاكم المدنيَّة، فلا يمكن فسخ هذا العقد إلَّا بطلاق صادر عن هذه المحاكم، وأن مدى الاستفادة من القرارات الصادرة عن مجالس الشريعة في بريطانيا في هذه الحالة يختلف بحسب طبيعة إيقاع الطلاق في مجالس الشريعة.

أثر قرارات مجالس الشريعة على العقود المسجلة:

٨ ـ أن أثر القرارات الصادرة عن مجالس الشريعة، إذا كان عقد الزواج الشرعي مسجلًا في إحدى الدول الإسلاميَّة، وغير مسجل في المحاكم المدنيَّة البريطانيَّة. ينقسم إلى قسمين:

QaradawiBooks.com

القســـم الأوَّل: إذا كان عقد الزواج الشرعي مســـجلًا في المكاتب المختصة لدى السفارات البريطانيَّة.

وفي هذه الحالة لا يمكن فســـخ هـــذا العقد إلَّا بطـــلاق صادر عن المحاكم المدنيَّة، وأنَّ مدى الاستفادة من القرارات الصادرة عن مجالس الشريعة في بريطانيا في هذه الحالة يختلف بحسب طبيعة إيقاع الطلاق في مجالس الشريعة.

القسم الثاني: إذا كان عقد الزواج الشرعي غير مسجَّل في المكاتب المختصَّة لدى السفارات البريطانيَّة في الدول الإسلاميَّة.

وعليه فإنَّ إجراء الطلاق الشرعي في مجالس الشريعة في بريطانيا سواء تمَّ برضا الزوج أم برضا الزوجين على فدية، وهو الخلع، أو بالتطليق للشقاق بالشـــروط المعروفة، هو إجراء نافذ ولا تعتـــرض عليه المحاكـــم المدنيَّة، ولا تعتبره اعتداء على خصوصياتها، ذلك لأنَّها لم تعترف بالزواج الَّذي سبق هذا الطلاق في الأصل، ولا علاقة لها بالطلاق المبني على هذا الزواج.

والَّذي ينبغي أن يعلم هنا أنَّه لا يمكن اعتبار العقود الَّتي أبرمت في المحاكم الشرعيَّة في الدول الإسلاميَّة ولم تسجل رسميًّا في السفارات البريطانيَّة أنَّها عقود زواج في نظر المحاكم المدنيَّة، وغاية ما يمكن أن يســـتفاد منها هو إثبات الحقوق الَّتي كفلها القانون لمن يعيشون تحت سقف واحد دون زواج، أو ما يسمى بشريك الحياة خارج إطار الزواج.

وهكذا كانت رحلتي مع كتاب الابن العزيز والأخ الكريم، والباحث المتمرس الشـــيخ/ ســـالم الشـــيخي، الَّذي أدعو الله تعالى أن يوفقه في أبحاثه وكتاباته، وأن يستمر في هذا الطرح العلمي العملي المتميز، فمن

QaradawiBooks.com

طلب شيئًا وجده، ومن سعى إلى شيء كبير بجد وإتقان وصبر حصله، ومن سار على الدرب وصل.

بِقَدرِ الكَدِّ تُكتَسَبُ المَعَالِي ومَن طَلَبَ العُلَا سَهِرَ اللَّيَالِي
ومَن رَامَ العُلَا مِن غَيرِ كَدٍّ أَضَاعَ العُمرَ فِي طَلَبِ المُحَالِ[1]

ومن المعروف أن كل عمل بشري، لا بدَّ لمن يبحث فيه أن يجد بعد العمل والجهد شيئًا يجب أن يزاد فيه أو ينقص منه، أو يكون أكمل ممَّا وصل إليه. وهكذا هو عمل البشر، يعود المرء إلى ما كتب بعد فترة من عمره، فيجد نفسه بحاجة إلى أن يضيف ويحذف، وقد تصقل التجارب والقراءات فكره، وتنضج الخبرات والممارسات رأيه. وهذا ما نوصي به أبدًا أبناءنا وإخواننا العلماء والباحثين.

أسأل الله تعالى لأخي الشيخ سالم أن يأجره، ويضاعف أجره، وأجر كل من عمل معه، على هذا الاجتهاد الواقعي التطبيقي، الَّذي يجب أن يسهم فيه كل من يهمه الأمر، وكل من لديه قدرة علميَّة وفكريَّة على الإسهام فيه، حتَّى يزداد الأمر وضوحًا ونضجًا. ونحن موعودون من قبل رسولنا الكريم ﷺ أن من أصاب فيما اجتهد فيه فله أجران، وأن من أخطأ فله أجر واحد، فهل نجد أفضل من هذا دلالة على الحث على الإنجاز؟

اللهمَّ باركْ يا ربّ في هذه الجهود، ووفِّقها، وثبِّتها، ووسِّعها، وزِدْها، بفضلك وعونك وتأييدك، إنَّك نعم المولى ونعم النصير.

الفقير إليه تعالى
يوسف القرضاوي
الدوحة في ١١ ذي القعدة ١٤٣٦هـ
الموافق ٢٦ أغسطس ٢٠١٥م

(١) ذكره من غير نسبة المناوي في فيض القدير (٥٠٥/٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفَ القَرَضَاوِيِّ

في القضايا الإسلاميَّة

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «المرأة المسلمة في تونس بين توجيهات القرآن وواقع المجتمع التونسي»

للشيخ راشد الغنوشي(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(أمَّا بعد)

فهذا الكتاب وإن لم يكن كبير الحجم، يتناول بالدراسة والبحث قضيَّة في غاية الأهميَّة في حياتنا، نظرًا لما يعكسه موقفنا منها من أثر إيجابي أو سلبي على تفكيرنا وسلوكنا، أفرادًا وأسرًا وجماعات. إنَّها قضيَّة «المرأة المسلمة» في عصرنا، وموقعها من الأسرة والمجتمع، بين ما تهدي إليه توجيهات القرآن الحكيم، وما يعج به الواقع الأليم.

صحيح أنَّه ينظر إلى القضيَّة من خلال وضع المرأة المسلمة في تونس، وواقع المجتمع التونسي، ولكن هذا ينطبق على أكثر مجتمعاتنا الَّتي غزتها الحضارة الغربيَّة فكريًّا وعمليًّا، فغدت المرأة فيها تعاني من الأفكار الغازية الوافدة، معاناتها من التقاليد البالية الراكدة.

والواجب أن تتحرر المسلمة من هذه وتلك، ولا تتقيد إلَّا بما قيدها به الله ورسوله من قيم وأخلاق وآداب، وأحكام، كلها ترفع من شأن

(١) نشر دار القلم، الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، قبل تقديمي له.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المرأة، وتحفظ كرامتها وإنسانيتها، وتجعل لها مكانًا في الحياة، جنبا إلى جنب مع الرجل.

إنَّ المرأة إنسان كالرجل، أوتيت من العقل والإرادة ما جعلها مكلفة مثله من أوَّل يوم، منذ صدر إليهما التكليف الإلٰهي الأوَّل معًا: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وهي مثابة ومعاقبة مثل الرجل تمامًا، لأنَّها منه، وهو منها: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وقد يوجد من النساء من تفوق الرجال عقلًا وحكمة وحسن تدبير، كما نجد ذلك في سيرة ملكة سبأ، الَّتي قصَّ علينا القرآن قصتها، وكيف واجهت الموقف مع سليمان عليه السلام، بشجاعة ونفاذ بصيرة، وكيف فرقت بذكائها وحسن فهمها بين الملك الفاتح، الَّذي لا يجلب وراءه إلَّا الإفساد والإذلال، وبين النبي صاحب الرسالة، وكيف نجت بقومها من حرب خاسرة، وانتهت بأن تركت عبادة الشمس، وأسلمت لله رب العالمين.

وقد سجَّل لها القرآن هذه الجملة الَّتي لخصت فيها ما يصنعه الاستعمار الفاتح في البلاد المفتوحة: إفساد البلاد، وإذلال العباد: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

كما سجَّل القرآن جملة أخرى لابنة الشيخ الكبير[1]، الَّذي آجر

(١) ذكرت بعض الروايات أنَّه شعيب عليه السلام، ولا يصح ذلك، وشعيب كان قبل موسى بزمن، كما يدلُّ عليه سياق القرآن لقصص الأنبياء.

QaradawiBooks.com

موسى عليه السلام وصاهره، فوضعت بها أساس اختيار الرجال للأعمال: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، فالقوة: الَّتي تمثل الكفاية والخبرة والقدرة على تحمل مسؤوليَّة العمل، والأمانة: الَّتي تمثل الجانب الأخلاقي، من مراقبة الله تعالى، والوقوف عند حدوده، والعدل مع جميع خلقه: هما المحور الَّذي تدور عليه جميع المؤهلات والصفات المطلوبة في الإنسان المنشود لعمل ما.

وجملة ثالثة سجلها القرآن لامرأة أخرى، هي قول امرأة العزيز في قصة يوسف: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، ومن المفسرين من اعتبر هذا القول من كلام يوسف عليه السلام، ولكن سياق القصَّة يرد على ذلك بوضوح، فالكلمة كلمة المرأة بعد أن اعترفت بخطئها صراحة، وأعلنت براءة يوسف، ونصاعة صفحته على رؤوس الأشهاد.

إنَّ المرأة قد ظلمت من كثير من المسلمين في عهود التخلف والانحراف عن نهج الإسلام الصحيح، الَّذي دلَّت عليه محكمات القرآن والسُّنَّة، ولا تزال بقية من ذلك إلى اليوم، حتَّى إن بعض النَّاس في بعض المناطق الإسلاميَّة يحرمون بناتهم ممَّا فرض الله لهنَّ من حق الميراث، مع تشديد القرآن في ذلك أبلغ التشديد، حيث اعتبر توزيع الميراث ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٢]، و﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١]، وعبر عنه بقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، وأنذر بأشد العقاب من يتعدى تلك الحدود: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

والزنى قد حرَّمه الله على الرجال والنساء جميعا: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، ولكن بعض المسلمين ما زالوا يعتبرون زنى

QaradawiBooks.com

الفتى لا يشكل عيبًا ذا بال، بل في بعض البيئات يعبرون عن نضج الشاب ورجولته، بأن كبر وبلغ مبلغ الرجال، وأصبح يزني!

على حين إذا وقعت المرأة في معصية الزنى لا ينظر إليها أي نظرة فيها شيء من الرحمة، ورعاية الضعف البشري، وتقدير الظروف المحيطة، إلخ. بل يصدر عليها الحكم من أهلها ـ أبيها أو أخيها أو أحد عصبتها ـ بالإعدام! لا فرق بين بكر وثيب، ولا بين مستترة ومجاهرة، وهكذا يجمع أحدهم في شخصه سلطة الاتهام والقضاء والشرطة، ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٩].

على أنَّه إذا جاز ظلم المرأة من الجهلة بالإسلام والبعيدين عن أحكامه وتعاليمه ـ وما هو بجائز على مسلم ـ فلا يجوز بحال أن تظلم المرأة في محيط الإسلاميِّين، والدعاة إلى العودة للحياة الإسلاميَّة المتكاملة، والمجتمع الإسلامي الحق.

فبعض هؤلاء ما برحوا ينظرون إلى المرأة بكثير من الحذر والتخوف وسوء الظن، ويغلب على نظرتهم اعتبار جانب الأنوثة فيها أكثر من جانب الإنسانيَّة.

فلا غرو أن وجدت بعض الشباب يعرضون عن الزواج من الشابات المسلمات الملتزمات الواعيات؛ لأنَّه لا يريد زوجة تناقشه الرأي، ويبادلها المشورة، وتقف معه جنبًا إلى جنب في مسيرة العمل الإسلامي، كل ما يريده (امرأة) للمتاع والمطبخ والكنس وتفريخ الأطفال! وإذا تزوج أحدهم أختًا ملتزمة، فكثيرا ما يفرض عليها العزلة؛ اتقاء للفتنة، ولأن عمل المرأة لا يتجاوز البيت كما زعموا!

QaradawiBooks.com

وكثيرًا ما شكا إلي بعض الأخوات الصالحات في مصر، وفي الجزائر، وفي غيرهما، من أزواجهن العاملين في الحقل الإسلامي، وفي ميادين الحركة الإسلاميَّة، فقد كان لهنَّ نشاط وتحرك ـ قبل الزواج ـ في مجال الدعوة والحركة، ففوجئن بعد الزواج بأنهن محبوسات في قفص الحياة الزوجية، محرومات من المشاركة في العمل الإسلامي، وأن سجانيهن ليسوا إلَّا الأزواج الَّذين عرفنهم عن طريق الدعوة، وقرب بين الطرفين الغيرة على الإسلام، والعمل لتمكينه في الأرض.

حتى أرسلت إلي فتاة جزائرية مسلمة من المشغولات بالدعوة إلى الله، تستفتيني: هل يجوز لها أن ترفض فكرة الزواج، وتعيش متبتلة للدعوة؟ فإنَّ الإخوة الملتزمين لا يميلون إلى الأخت إذا كانت ذات همة ونشاط في مَيدان العمل للإسلام، فهم لا يريدونها إلَّا زوجة فقط!

وجاءتني اليوم رسالة أخرى من أخت لها تقول: إنَّها طالبة جامعية، وإنها في حاجة إلى شهادتها الجامعيَّة لتعمل بها، فتكفي نفسها، وتساعد أهلها، وإنها سمعت من بعض الشباب المسلم أن دخول الفتاة الجامعة لا يجوز، وأن هذه خطة يهوديَّة!

ونسي هؤلاء أنَّ المرأة نصف المجتمع من ناحية العدد، وأكثر من النصف من ناحية التأثير، وخصوصًا في عصرنا، فلا بدَّ أن يكون لها دورها في العمل الإسلامي، ولا بدَّ أن يكون لها حظها من الثقافة والعلم، ليمكنها أن تواجه العلمانيات واللادينيات وهي على بصيرة وبينة.

إنَّ أوَّل صوت ارتفع بتأييد رسول الله ﷺ كان صوت امرأة، هو صوت زوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وأول شهيد في سبيل الإسلام

QaradawiBooks.com

كان امرأة هي سُمَيَّة زوج ياسر وأمُّ عمَّار رضي الله عنهم، وموقف أمهات المؤمنين، ونساء الصحابة في نصرة الإسلام لا يمكن أن يجهل أو ينسى.

وفي عصرنا استخدمت المرأة من قبل الماركسيِّين والعِلْمانيِّين لخدمة الشيوعيَّة والعِلْمانيَّة، وكان لهنَّ جمعيَّات وأحزابٌ تُغَذَّى وتؤيَّد من جهات عدَّة، لإبعاد المرأة المسلمة عن دينها.

وما زلنا نرى ونقرأ ونسمع عن دور المرأة اليهوديَّة والنصرانيَّة في نصرة الصهيونيَّة، وخدمة التنصير والصليبيَّة، فلماذا يراد للمسلمة وحدها أن تلزم البيت، وتُخلي المَيْدان لحملات الأفكار الوافدة، والدعوات الدخيلة على أُمَّة الإسلام؟

ولماذا يراد للمرأة المسلمة أن تظلَّ حبيسة الجدران الأربعة في دارها؟ وأن يكون العمل الإسلامي (رجاليًّا) ليس للمرأة فيه مكانٌ يذكر؟

لهذا سررتُ كثيرًا باتِّجاه الحركة الإسلاميَّة في تونس، وقبلها في السودان، لتوظيف المرأة في خدمة القضيَّة الإسلاميَّة، لتشُدَّ عضد أخيها، أو زوجها، أو أبيها، أو ابنها الرجل، والانتصار على بقايا التقاليد الموروثة، الَّتي ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها من الدين برهان، والوقوف في وجه القيادات اليسارية والعِلْمانيَّة الَّتي تريد أن تسلخ المسلمة من جلدها، وتحيلها إلى مسخٍ مُقَلِّد للغرب.

كما سُرِرْتُ بهذه الفصول الَّتي كتبها الأخ الداعية الناضج، الَّذي له من اسمه نصيب، وأي نصيب؟! الأستاذ راشد الغنوشي، الَّذي يقود الاتِّجاه الإسلامي في تونس، مع إخوانه الصادقين بوعيٍ وبصيرةٍ وحكمة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهو في هذه الفصول يستهدي بالفهم الصحيح لكتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله الكريم ﷺ، معرضًا عن الأفهام الَّتي فرضت على النصوص فرضًا، وألصقت بها بلا برهان من كتابٍ أو سُنَّة، كما وجدنا ذلك في فهمه لخَلْق المرأة من الرجل ومعناه، من قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، وقوله لآدم: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥، والأعراف: ١٩]، ومدلول قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، وقوله على لسان العزيز أو الشاهد من أهل زوجته: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ..﴾ [آل عمران: ١٤].

وهو يستعين في فهمه المستنير بأفهام المفسرين الأصلاء، الَّذين تحرَّروا من تأثير التراث الإسرائيلي الأسطوري في فهم القرآن والسُّنَّة، من القدامى أمثال ابن حزم والقرطبي، والمُحْدَثين أمثال الأستاذ الإمام[1]، وصاحب تفسير المنار العلَّامة المجدد السيِّد رشيد رضا، والعلَّامة التونسي الطاهر بن عاشور، صاحب «التحرير والتنوير» في تفسير القرآن.

ولقد أعجبني حقًّا اهتداؤه إلى ابن حزم (ت٤٥٥هـ) وموقفه من المرأة في فقهه وفكره، وهو جدير بأن يفرد بالدراسة في رسالة «ماجستير» أو «دكتوراه»، فلم أجد أحدًا من فقهائنا ومُفَكِّرينا القدامى أنصف المرأة وحامى عنها، وأعطاها مكانتها بقوَّة، مثل الإمام الظاهري أبي مُحمَّد بن حزم، صاحب «المحلى» و«الإحكام» و«الفصل» وغيرها.

(١) أي الشيخ محمد عبده.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهو الَّذي أجاز لها أن تسافر بلا مَحْرَم عند الأمن عليها[١]، اعتمادًا على حديث «الظعينة»، الَّتي أخبر عنها الرسول أنَّها تخرج وحدها من الحيرة إلى الكعبة، لا تخاف إلَّا الله والذئب على غنمها[٢].

ورأى في كتابه «الفصل في الملل والنحل»: أنَّ المرأة يمكن أن تكون نبية يوحى إليها، كما يوحى إلى الرجال، واستدلَّ على ذلك بالإيحاء إلى أم موسى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ...﴾ [القصص: ٧]، وإلى مريم عليها السلام: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣][٣].

وابن حزم ـ كما هو معروف ـ رجل ظاهري يقف عند ظاهر النص، ويقاتل دونه، ولا يحيد عنه، فإذا وصل إلى هذه الآراء في شأن المرأة، فمعناها أنَّه وجد ظواهر النصوص تؤيده، وتشد عضده.

ثم أنَّ دراسة الأستاذ راشد لا تقف عند تأمل النصوص وتفسيرها، إنَّما هي تحاول أن تحاكم الواقع إليها، وأن تنقد هذا الواقع الَّذي بعد عن هداية القرآن، سواء بما ورثه من رواسب عصور التخلُّف، أم بما وفد إليها من عكارة الحضارة الحديثة.

والداعية أو الفقيه، أو المفكر الحكيم؛ هو الَّذي يزاوج بين الواجب والواقع ـ كما قال الإمام ابن القيِّم في كتابه «إعلام

(١) انظر: المحلى (٢٤/٥) مسألة (٨١٣)، نشر دار الفكر، بيروت.

(٢) رواه البخاري قي المناقب (٣٥٩٥)، عن عدي بن حاتم.

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٣/٥)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

QaradawiBooks.com

المُوَقِّعين»[1] ـ ولا ينحصر فيما يجب أن يكون دون أن ينزل إلى ما هو كائن وواقع.

وهذا ما نجده واضحًا في الحلقات الَّتي تحدَّثت عن: «المرأة في تونس»، و«المرأة في الحركة الإسلاميَّة»، و«حوار حول المرأة في ثانوية تونس»، و«التمزُّق الأُسَري في تونس»، و«مجلَّة الأحوال الشخصيَّة». وكلُّها تدلُّ على معرفة واعية بالواقع وعِلَله، وأسبابها، وكيف يكون علاجها.

وهذه مَيْزة لمؤلِّف هذا الكتاب، فهو رجل يتمتَّع برؤية فكريَّة واضحة، وقدرة حركيَّة ناجحة، فجمع بين النظر والعمل، أو بين الفكر والحركة، ولم يعش في الكتب وحدها كأهل التجريد الفلسفي ـ وإن كان تخصُّصه الأصلي هو الفلسفة ـ ولا في العمل التطبيقي وحده، دون أن يربطه بأصوله الفكريَّة المستمدة من مُحْكَمات الشرع.

وهو هنا لا يلتزم ـ كما رأينا ـ إلَّا بالبيِّنات والمُحْكَمات من نصوص القرآن وصحيح السُّنَّة، أمَّا المتشابهات فلا يتبعها، ولا يركض وراءها، وإنَّما يردُّها إلى المحكَمات اللَّاتي هُنَّ أمُّ الكتاب، وإلى جمهرة السُّنَّة.

أرجو أن يكون في هذه الفصول الراشدة أو الراشديَّة شعاع من ضوء على الطريق إلى نهضة نسائية إسلاميَّة كبرى، تعيد للمرأة المسلمة مكانها، أو تعيدها إلى مكانها الصحيح في الحياة والمجتمع، وفي الدعوة والحركة، وهو ما نرى بشائر فجره، ونرتقب أن يمتد وينمو على

(١) انظر: إعلام الموقعين (٦٩/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بينة وبصيرة، وبذلك يتكون جيل الصحوة أو جيل النصر المنشـــود من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات.

ســـدَّد الله الخطا، وبارك في جهود العامليـــن والعاملات، وجزى الله المؤلِّف خيرًا، ووفَّقه للمزيد من العطاء.

الفقير إلى عفو ربِّه

يوسف القرضاوي

الموافق أكتوبر ١٩٨٩م

الدوحة: صفر١٤١٠هـ

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «تحرير المرأة في عصر الرسالة»

للأستاذ عبد الحليم أبو شُقَّة[١]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.[١]

(أمَّا بعد)

فإنَّ المرأة ـ بمنطق الإحصاء والتعداد ـ نصف المجتمع، ولكنَّها بحكم تأثيرها في زوجها وأولادها ومحيطها أكثر من النصف، ولهذا قال شاعر النيل:

الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدْتَهَا أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ[٢]**!**

وحتى نبوغ الرجال، نرى من الحكماء من يرجع الفضل فيه إلى معاونة النساء، فقالوا: وراء كل عظيم امرأة.

وفي الجانب الآخر، نرى من الفلاسفة من يحمل المرأة تبعة ما يحدث في العالم من الفتن والجرائم، حتَّى قال من قال، عندما تحدث مصيبة أو جريمة: فتِّشْ عن المرأة!

---

(١) نشر دار القلم، الكويت، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٢) ديوان حافظ صـ ٢٧٠، تصحيح أحمد أمين بك وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٤٨م.

QaradawiBooks.com

والناس ـ قديمًا وحديثًا ـ منقسمون بين نصيرٍ للمرأة، حَسَنِ الظنِّ بها، وبين عدو لها. فنجد من الشعراء من يقول:

إِنَّ النِّسَاءَ رَيَاحِينٌ خُلِقْنَ لَنَا وَكُلُّنَا يَشْتَهِي شَمَّ الرَّيَاحِينِ!

وآخر يقول:

إِنَّ النِّسَاءَ شَيَاطِينٌ خُلِقْنَ لَنَا نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ[1]**!**

ونجد من الفلاسفة من يشيد بالمرأة، ويتغنَّى بها، ويعدِّد فضائلها ومآثرها في الأسرة والمجتمع. ومنهم من ينظر إليها بمنظار أسود قاتم، يجعل منها جرثومة الشر في العالم. حتَّى إنَّ العلم الَّذي يهدي الضال، ويقوم المعوج، اعتبره المتشائمون رذيلة بالنسبة للمرأة. رأى بعضهم امرأة تتعلم الكتابة فقال: أفعى تسقى سمًّا[2]؟!

وأكثر من ذلك أنَّهم وضعوا على كاهل المرأة وحدها عبء الشقاء الَّذي عانته وتعانيه البشريَّة منذ خلق آدم إلى قيام الساعة؛ لأنَّها ـ في زعمهم ـ هي الَّتي أغرت آدم بالأكل من الشجرة وانتهاك ما نهى الله عنه، حتَّى أخرج هو وذريته من الجنَّة، وأهبط إلى هذه الأرض ليكدح ويشقى.

وقد وجدوا في أسفار العهد القديم المقدسة عند اليهود والنصارى ما يؤيد هذه التهمة، ويحمل المرأة هذه التبعة.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٨٩/١)، تحقيق د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣هـ.

(٢) انظر: صبح الأعشى (٩٦/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

وإذا جئنا إلى الإسلام وجدناه يرتفع بقيمة المرأة، وكرامة المرأة، باعتبارها ابنة وزوجة وأمًّا، وعضوًا في المجتمع، وقبل ذلك كله باعتبارها إنسانًا.

فالمرأة مكلفة كالرجل، مخاطبة بأمر الله ونهيه مثله، مثابة ومعاقبة كما يثاب هو ويعاقب. وأول تكليف إلٰهي صدر للبشر خوطب به الرجل والمرأة معا حين أسكنا الجنَّة، وقال الله لهما: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وليس في القرآن ـ كما في التوراة ـ ما يجعل المرأة مسؤولة عن خطيئة آدم، بل المسؤوليَّة الأولى مسؤوليَّة آدم، والمرأة إنَّما هي تبع له: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

إنَّ المرأة في نظر الإسلام ليست خصمًا للرجل، ولا منازعًا له، بل هي مكملة له، وهو مكمل لها، هي جزء منه وهو جزء منها، وفي هذا يقول القرآن: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ويقول الرسول ﷺ: «**إنَّما النساءُ شقائقُ الرجال**»[(١)].

ولا يتصور أن يكون في الإسلام أي انتقاص لحق المرأة، أو حيف عليها لحساب الرجل، فإن الإسلام هو شريعة الله سبحانه، وهو رب الرجل والمرأة جميعًا.

---

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن لغيره. وأبو داود في الطهارة (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، وقال: وإنَّما روى هذا الحديث عبد الله بن عمر، عن عبيد الله بن عمر، وعبد الله ضعَّفه يحيى بن سعيد من قبل حفظه. كلاهما في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

بيد أن ممَّا يؤسف له: أنَّ بعض الأفكار القاتمة عن المرأة قد تسربت إلى عقول طائفة من المسلمين، فساء تصورهم لشخصيَّة المرأة ولدورها، وساء ـ تبعًا لذلك ـ سلوكهم في معاملتها، وتعدوا حدود الله في ذلك، فظلموا أنفسهم، وظلموها، وخصوصًا في عصور التخلف الَّتي بعدت الأمة فيها ـ إلَّا من رحم ربك ـ عن هدي النبوة، ووسطية الإسلام، ومنهج السلف، الَّذي يتميز باليسر والاعتدال.

وإذا نظرنا إلى عصرنا هذا، نجد عندنا آفة غلبت على حياتنا الفكريَّة، طالما شكا منها أولو الألباب، وهي: أنَّنا في كثير من قضايانا ـ بل في أكثرها ـ لا نقف الموقف الوسط، الَّذي سماه القرآن: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، بل نقف ـ في الأعم الأغلب ـ في طرفي الغلو والتقصير، أو الإفراط والتفريط، مع أنَّنا نقرأ قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ونتداول الحكمة المأثورة: خير الأمور أوسطها. ونروي قول علي رضي الله عنه: عليكم بالنمط الأوسط، يرجع إليه الغالي، ويلحق به التالي[1].

وقضية المرأة في مجتمعاتنا الإسلاميَّة مثل بارز يجسد موقفي الغلو والتقصير، أو الإفراط والتفريط.

فهناك المقصرون في حق المرأة، الَّذين ينظرون إليها نظرة استهانة واستعلاء، فهي عندهم أحبولة الشيطان، وشبكة إبليس في الإغواء والإضلال، وناقصة العقل والدين.

وهم يرونها مخلوقًا ناقص الأهليَّة، وهي عند الرجل أمة أو كالأمة، يتزوجها لمتعة إن شاء، ويمتلك بضعها بما يدفع من مال، ويطلقها متى

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٣٩).

QaradawiBooks.com

أراد، دون أن تملك له دفعًا، ولا تستحق عن ذلك متاعًا ولا تعويضًا، حتَّى عبر بعضهم بأنَّها كالنعل، يلبسها متى أراد، ويخلعها متى أراد.

وهي إذا تزوَّجت الرجل فكرهته ولم تطِقْه بغضًا ونُفْرة، فليس لها إلَّا أن تصبر على مضض، وتتجرَّع مرارة الحياة على كره، حتَّى يرضى بطلاقها أو خلعها، وإلا فلا حيلة لها ولا وسيلة للخلاص من نِير عُبُودِيَّته.

وبعض هؤلاء رجع إلى عهد الجاهليَّة قبل الإسلام، فلا يجعل لِبَنَاته في الميراث حقًّا، ويكتب تركته بيعًا وشراء لأبنائه الذكور، أمَّا الإناث فما لهنَّ من نصيب.

لقد حبسوها في البيت، فلا تخرج لعلم ولا عمل، ولا تساهم في أي نشاط نافع يخدم مجتمعها، مهما يكن نوعه، حتَّى صور بعضهم المرأة الصالحة بأنَّها لا تخرج من بيتها إلَّا مرتين: مرَّة من بيت أبيها إلى بيت زوجها، ومرة من بيت زوجها إلى قبرها!

هذا مع أنَّ القرآن جعل حبس المرأة في البيت عقوبة لمن تأتي الفاحشة ويشهد عليها أربعة من المسلمين، وذلك قبل استقرار التشريع على حدِّ الزنى المعروف، يقول القرآن: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ١٥].

حرموها من الخروج لطلب العلم والتفقه في الدين، وقالوا: إنَّ على أبيها أو زوجها أنْ يُفَقِّهها ويُعَلِّمها، فحرموها من نور العلم، وحكموا عليها بالبقاء في ظلمة الجهل، ولم يُعَلِّمها أبٌ ولا زوج، لأنَّ الأب

QaradawiBooks.com

والزوج نفسه كان في حاجة إلى من يُعَلِّمه، وفاقد الشيء لا يُعطيه، وقد ضلَّ من كانت العميان تهديه!

هذا مع علمهم أنَّ طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة، وأنَّ من أمَّهات المؤمنين ونساء الصحابة والسلف من بلغْنَ مكانًا عظيمًا في العلم والفقه ورواية الحديث، بالإضافة إلى الشعر والأدب وفنون القول.

وقد وجد من علمائنا من يقول: حدَّثتني الشيخة المُسنِدَة الصالحة فلانة بنت فلان.

وقد كانت كريمة بنت أحمد المروزيَّة إحدى راويات صحيح البخاري، ونسختها إحدى النسخ المعتمدة، الَّتي نوه بها الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»[1].

حتَّى المساجد منعوها من الذهاب إليها لحضور صلاة أو موعظة، مع علمهم بأنَّ النساء في العصر النبوي كُنَّ يشهَدْن الجماعة، حتَّى في العشاء والفجر، وأنَّ النبي ﷺ قال بصريح العبارة: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»[2].

والعجيب أنَّ بعض النساء إلى اليوم محرومات من هذا الحق الَّذي تمارسه كل من تنتسب إلى دين آخر غير الإسلام.. فاليهوديَّة تذهب إلى البِيعَة، والنصرانيَّة تذهب إلى الكَنِيسة، والبوذيَّة أو الهندوسيَّة تذهب إلى المعبد. والمسلمة وحدها هي المحرومة من الذهاب إلى المسجد!

(١) فقد أشار إلى نسختها أكثر من مائتي مرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٠٠)، ومسلم في الصلاة (٤٤٢)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

حرموها من مشاركة الأب أو الزوج فيما تستطيع المشاركة فيه من أعمال الحياة المشروعة، كما صح ذلك عن بعض نساء الصحابة، مثل أسماء ذات النطاقين مع زوجها الزبير[١].

وأوضح من ذلك، ما حكاه القرآن الكريم عن ابنتي الشيخ الكبير في سورة القصص، حيث رعتا الغنم وسقتاها، وكلمتا موسى وكلمهما، وقالت إحداهما لأبيها بصراحة وشجاعة: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، فوضعت بكلماتها هذه الموجزة أسس اختيار الرجال للأعمال.

وكثيرًا ما استندوا في حبس المرأة إلى متشابهات من النصوص، تاركين المحكمات البينات، فنراهم يحتجون بالآيات الواردة في «نساء النبي» من سورة الأحزاب، مثل قوله تعالى لهن: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۞ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وحرموا المرأة كذلك في أحيان كثيرة من حقها في اختيار من يكون شريك حياتها، أو على الأقل حقها في الموافقة عليه أو رفضه، إذا عرضه عليها وليها، فوجد من الآباء من يزوج ابنته بغير رضاها، بل بغير استشارتها واستشفاف رأيها، مجرد استشفاف!

---

(١) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: تزوجني الزبير، وما له في الأرض من مال، ولا مملوك، ولا شيء، غير ناضح، وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه، وأستقي الماء، وأخرز غربه وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكُن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ. رواه البخاري في النكاح (٥٢٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٨٢).

QaradawiBooks.com

وهذا ـ للأسف ـ ما نصَّ عليه مذهب الشافعيَّة والمالكيَّة، وجمهور من الحنابلة، بناء على أدلَّة لا تقوى على المناقشة، ولا تصمد أمام حجج الخصوم، حتَّى رفضها رجل مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الإمام ابن القيم.

وكم استغلُّوا في هضم حقِّ المرأة وإعطائها دون مكانتها أحاديثَ صحيحة وضعوها في غير موضعها، واستدلوا بها في غير ما سيقت له، كالحديث الَّذي طالما اتخذوه عكازًا يتوكَّؤون عليه في تبرير نظرتهم إلى المرأة، وهو حديث وصفهن بأنهنَّ ناقصاتُ عقلٍ ودين[(١)]. وسنعود له بعدُ. وحديث: «**لو أمرتُ أحدًا أن يسجد لأحدٍ، لأمرتُ المرأة أن تسجدَ لزَوجِها**»[(٢)].

ولم يكتفوا بذلك فجاؤوا بأحاديث لا خطم لها ولا أزمَّة، ولا يعرف لها أصل ولا سند، أو أحاديث واهنة شديدة الوهن، أو موضوعة مكذوبة على رسول الله ﷺ.

مثل حديث سؤال النبي ﷺ لابنته فاطمة الزهراء: «أيُّ شيء أصلح للمرأة؟». فقالت: ألا ترى رجلا ولا يراها رجل! فقبلها ثمَّ قال: «ذرِّيَّة بعضُها من بعض»[(٣)]! وهو حديث لا يساوي المداد الَّذي كُتب به.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الحيض (٣٠٤)، ومسلم في الإيمان (٨٠)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه أحمد (١٢٦١٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وصحَّحه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٣٦)، عن أنس.

(٣) رواه البزار (٥٢٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢٠٠): رواه البزار وفيه من لم أعرفه. وضعَّف العراقي سنده في تخريج الإحياء صـ ٤٨٥.

QaradawiBooks.com

ومثل حديث «شاوروهنَّ وخالفوهنَّ»[١] وهو حديث لا أصل له. وهو مخالف لما جاء في القرآن من تشاور الوالدين: الأب والأم جميعًا، في فطام الطفل وفصاله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، كما أنَّه مخالف لما ثبت في صحيح السُّنَّة والسيرة من مشاورته ﷺ لزوجه أم سلمة في غزوة الحديبية، وأخذه برأيها، الَّذي كان فيه الخير والصواب.

ومثل روايتهم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قوله: «المرأة شرٌّ كلُّها، وشرُّ ما فيها أنَّه لا بدَّ منها»[٢]! وقد بينت بطلان هذا القول، في بعض ما كتبته من قبل[٣].

ومثل ما رواه الحاكم في مستدركه بسنده: «لا تسكنوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة»[٤]. وهو حديث حكم عليه النقاد بالوضع، قال الحاكم: صحيح الإسناد. ورده الذهبي بقوله: بل موضوع، وآفته عبد الوهاب.

---

(١) قال السخاوي المقاصد الحسنة: لم أره مرفوعا... وقد استشار النبي ﷺ، أم سلمة كما في قصة صلح الحديبية، وصار دليلًا لجواز استشارة المرأة الفاضلة لفضل أم سلمة ووفور عقلها (٥٨٥). وقال الألباني في الضعيفة: لا أصل له (٤٣٠).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٦٩/١٩)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.
ومن المعروف لدى النقاد والمحققين أنَّ نسبة بعض ما في نهج البلاغة إلى علي رضي الله عنه غير صحيحة، ولهم على ذلك دلائل وبراهين. ولا شك أنَّ في النهج خطبًا وأقوالًا يلمس الناقد، بل القارئ الواعي: أنَّها لا تمثل عصر الإمام لا في أفكارها، ولا في أسلوبها.

(٣) في كتابنا: فتاوى معاصرة (٤٢١/١ ـ ٤٢٦)، نشر دار القلم الكويت، ط ٩، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٤) رواه الحاكم في التفسير (٣٩٦/٢)، وصحح إسناده، وتعقَّبه الذهبي: بل موضوع. والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٢٧) قال: وهذا بهذا الإسناد منكر. عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ومنذ أيَّام كنت أقرأ في كتاب «محاضرات الأدباء» للراغب الأصفهاني، فوجدته عقد عن البنات فصلًا بعنوان: «فائدة موتها وتمنيه»، ابتدأه بقوله: قال رسولُ الله ﷺ: «نعم الختن القبر». وقال: «دفن البنات من المكرمات»[١]! والحديثان من الأحاديث الموضوعة المختلقة على رسول الإسلام.

وكتب الأدب لا يجوز أن تكون مصدرًا يؤخذ منه الحديث النبوي، ولكن بعض النَّاس لا يستطيع تقويم المصادر، وتمييز بعضها عن بعض، فهو يحسب أن كل ما في الكتب موثق، وخصوصًا إذا كان مؤلفها رجلًا له اسم وشهرة في دنيا العلم والفكر مثل الراغب الأصفهاني، صاحب «مفردات القرآن»، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة» وغيرهما. ونسوا أن بعض النَّاس قد يكون إمامًا في علم من العلوم، ولكنَّه في علم آخر عامي أو شبه عامي، لا ينظر إليه، ولا يعول عليه، كما نبَّه على ذلك الإمام الغزالي في كتابه: «المنقذ من الضلال»[٢].

ويكاد هؤلاء المتشددون يجعلون حياة المرأة سجنًا لا ينفذ إليه بصيص من نور، فخروجها من البيت لا يجوز، وذهابها إلى المسجد لا يشرع، وكلامها مع الرجال ـ ولو بالأدب والمعروف ـ لا يسوغ، فوجهها وكفاها عورة، وصوتها وكلامها عورة.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢٢٦٣)، والكبير (٣٦٦/١١) قال ابن الجوزي في الموضوعات (٢٣٦/٣): لا يصح عن رسول الله ﷺ. وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢٧٩٥): موضوع.

(٢) قال الغزالي: «وإذا قيل له: الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقًا في كل صناعة، فلا يلزم أنْ يكون الحاذق في الفقه والكلام حاذقًا في الطب، ولا أن يكون الجاهل بالعقليات جاهلًا بالنحو، بل لكل صناعة أهل بلغوا فيها رتبة البراعة والسبق، وإن كان الحمق والجهل يلزمهم في غيرها». المنقذ من الضلال صـ ١١٤، تعليق الشيخ عبد الحليم محمود، نشر دار الكتب الحديثة، مصر.

QaradawiBooks.com

حتى الثياب البيض الَّتي تلبسها بعض النساء في الحج والعمرة، وهي عادة متوارثة من قديم في مصر وغيرها من البلاد أنكر بعضهم لبسها على المرأة، ولما روجع في ذلك قال: إنَّه تشبه بالرجال!

هذا مع أنَّ الشارع في أمر اللباس والزينة وسع للنساء فيما ضيقه على الرجال، فأباح لهنَّ التحلي بالذهب، ولبس الحرير، على حين حرمهما على الرجال.

وفي مقابل هؤلاء الَّذين فرطوا وقصروا في حق المرأة وجاروا عليها، نجد الآخرين الَّذين أفرطوا في شأنها، وتجاوزوا حدود الله، وحدود الفطرة، وحدود الفضيلة في أمرها.

فإذا كان الأولون أسرى تقاليد شرقية موروثة، فهؤلاء أسرى تقاليد غربية وافدة.

ولقد رأيت من هذا الصنف الثاني من يريد أن يلغي الفوارق بين الرجل والمرأة، فهي إنسان كما أنَّ الرجل إنسان، وهما مولودان لذكر وأنثى، فلماذا يتفاوتان؟!

ونسي هؤلاء أن فطرة الله فرقت بينهما، حتَّى في التكوين الجسدي، لحكمة بالغة، وهي أن لكل منهما رسالة في الحياة تليق به وبطبيعته ومؤهلاته. فالأمومة بكل خصائصها وفضائلها ومتاعبها هي صميم رسالة المرأة، وهذا هو الَّذي جعل قرارها في البيت أكثر من الرجل.

وإذا كان هذا تفريق الفطرة، فلا ينبغي أن نهمله إذا خططنا لتعليم المرأة أو عملها. وهذا ما لاحظه العلم الحديث وأقطابه في هذا العصر.

QaradawiBooks.com

ورأينا من هؤلاء من يتعسف في رد النصوص الصحيحة المحكمة دون برهان. كما فعلت أديبة كبيرة يوما، حيث ردت في محاضرة لها في قطر، حديث: «**لن يُفْلِحَ قومٌ وَلَّوا أمرَهم امرأة**»[١]. وهو حديث صحيح، رواه البخاري في جامعه، وتلقَّته الأمة بالقبول، ولم يطعن فيه طاعن طوال القرون الماضية.

وذهب أحد أساتذة القانون في كتاب له أن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في الشؤون الدستورية، ولا بدَّ أن يكون الحديث متواترًا، أو مشهورًا على الأقل. وهو شرط لم يقل به أحد من فقهاء الأمة في أي مذهب من المذاهب طوال أربعة عشر قرنًا.

ومن العجب العجاب أنَّ أحدهم كتب يومًا يرد هذا الحديث ويعده مدسوسًا مكذوبًا، لأنَّه ـ في نظره ـ خالف الحديث الصحيح: «خُذوا نِصْفَ دِينِكم عن هذه الحميراء»[٢]! يعني عائشة رضي الله عنها.

فانظر كيف رد الحديث الصحيح المتلقى بالقبول، من أجل حديث مكذوب باطل، لا قيمة له في ميزان العلم!

---

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٤٢٥)، عن أبي بكرة.

(٢) هذا الحديث من الأحاديث الباطلة التي لا أصل لها، قال السخاوي: قال شيخنا ـ يعني ابن حجر ـ في تخريج أحاديث ابن الحاجب من إملائه: لا أعرف له إسنادًا، ولا رأيته في شيء من كتب الحديث، إلَّا في النهاية لابن الأثير، ذكره في مادة (ح. م. ر)، ولم يذكر من خرَّجه، ورأيته أيضًا في كتاب الفردوس، لكن بغير لفظه، وذكره من حديث أنس أيضًا بغير إسناد، ولفظه: «خذوا ثُلثَ دِينِكم من بيت الحُمَيْراء». وبيَّض له صاحب مسند الفردوس فلم يُخَرِّج له إسنادًا. وذكر الحافظ عماد الدين ابن كثير أنَّه سأل الحافظين الْمِزِّي والذهبي عنه، فلم يعرفاه. انظر: المقاصد الحسنة للسخاوي (٤٣٢)، تحقيق محمد عثمان الخشت، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م. والحُمَيْراء: تصغير الحمراء يريد بها البيضاء.

QaradawiBooks.com

ورأينا من هؤلاء من يريد أن يحرم ما أحل الله للرجل، من الزواج بأكثر من واحدة، لمن يحتاج إليه، ويقدر عليه، ويثق من نفسه بالعدل. مخالفين ما ثبت بنص القرآن الكريم، وعمل الرسول ﷺ، وعمل أصحابه وخلفائه من بعده، وعمل السلف في خير قرون هذه الأمة، وعمل خلف الأمة من بعدهم في شتَّى الأقطار، ومختلف الأعصار، وفي ظلِّ جميع مذاهب الأُمَّة إلى يومنا هذا.

بل رأينا من هؤلاء من يدعو إلى توريث البنات مثل ما يرث شقيقها، رافضًا أن يكون ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، مخالفًا لكتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله ﷺ، وإجماع الأُمَّة فقهًا وعملًا طوال أربعة عشر قرنًا، وما علم بالضرورة من دين الإسلام، ممَّا لا يجهله خاصٌّ ولا عامٌّ.

وأعجب من ذلك أن نجد هذا التيار يدفع بعض المنتسبين إلى العلم الديني، والذين جعلت منهم الأوضاع العوج متحدثين باسم الإسلام في الصحافة وأجهزة الإعلام، فيقولون على الله ما لا يعلمون.

رأينا من هؤلاء من يجهل أو يتجاهل أحاديث صحاحًا صراحًا، ليفتي بحل أشياء محرمة في شرع الله، يبرر بها الواقع القاتم، أو يبرر بها اتِّجاهات الحكام في تحريم الحلال وتحليل الحرام، فتراهم يسكتون على إباحة القانون للزنى، وينكرون على تعدد الزوجات.

رأينا من أفتى بحل لبس ما سمي «الباروكة»، مع ما صح عن النبيِّ ﷺ، من رواية ابن مسعود وابن عبَّاس وعائشة وأسماء وأنس ومعاوية رضي الله عنهم، أنَّه ﷺ قال: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**»[1]. كما سمى

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٩٣٧)، ومسلم (٢١٢٤)، كلاهما في اللباس، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الرسول الكريم هذا الوصل «زورا» ـ أي تزويرا على الواقع ـ وأشار إلى أنَّه من فعل اليهود[١].

ومثل ذلك من أفتى بأن لبس الثياب القصيرة الَّتي تكشف عن الذراعين والساقين، أو الشعر، والَّتي تشف وتصف ـ على ما نرى عليه ثياب الحضارة الوافدة على المجتمع الإسلامي ـ ليس أكثر من صغيرة من الصغائر، يكفرها أداء الصلوات ونحوها.

وجهل من قال ذلك: أنَّ النبي ﷺ جعل من أهل النار النساء (الكاسيات العاريات) وحكم بأنَّهنَّ «**لا يدخُلْنَ الجنَّة ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[٢]. والكاسيات العاريات هن اللائي لا تتوافر في ملابسهن الشروط الشرعيَّة، أي يلبسن ما يصف، أو يشف، أو لا يغطي ما يجب تغطيته من الجسم. فلو كان ما يفعلنه من الصغائر ما حكم عليهن بالنار، ولا أعلن حرمانهن من الجنَّة، بل من مجرد شم ريحها.

ولو سلمنا بأن لبس الثياب المذكورة من الصغائر، فلا أحسب هؤلاء يجهلون أنَّ الإصرار على الصغائر ينقلها إلى درجة الكبائر، كما هو مقرر عند العلماء، حتَّى قالوا: لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار.

ومن الحق أن يقال: إنَّ كثيرًا من تطرف المغالين المقلدين للغرب، كان رد فعل للتطرُّف من المغالين المقلدين للشرق. والتطرف لا ينتج إلَّا تطرفا مثله، والله لم يكلفنا أن نكون تبعا لغرب ولا لشرق، ولا أسرى

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٩٣٨)، ومسلم (٢١٢٧)، كلاهما في اللباس، عن معاوية بن أبي سفيان.

(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٩٦٨٠)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لقديم، أو حديث، إنَّما يجب أن يكون هوانا تبعًا لما جاء به مُحمَّد ﷺ، من الهدى ودين الحق.

لهذا كان لا بدَّ من موقف يمثل «الوسطيَّة» الإسلاميَّة، الَّتي لا غلو فيها ولا تفريط، ولا طغيان ولا إخسار، وهي الَّتي يشير إليها قول الله تعالى: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٨، ٩].

وأعتقد أنَّ الكتاب الَّذي أقدمه اليوم للقراء، يجلي هذه الوسطيَّة، ويبرز موقف الإسلام الحق من هذه القضيَّة الخطيرة، الَّتي اختلط فيه الحابل بالنابل، والتبس الحق بالباطل، قضيَّة المرأة ودورها في البيت والمجتمع والحياة.

وقد عُني الكاتب بقضية المرأة المسلمة من سنين طويلة، حينما وجد النصوص المتكاثرة تخالف ما عليه كثير من المسلمين من التشدد والتزمت في موقفهم من المرأة، وكلَّما ازداد للموضوع دراسة ازداد إيمانًا بما آمن به من سعة النظرة الإسلاميَّة للمرأة، ومنزلتها وعظم دورها في الحياة الأسريَّة والاجتماعيَّة.

وزاده اهتمامًا بهذه القضيَّة ما لاحظه من غلو بعض الفئات الإسلاميَّة، وبعض الدعاة المسلمين في النظر إلى المرأة. الأمر الَّذي ينفر الكثيرين والكثيرات من الالتزام بالإسلام، ويعطي سلاحًا للعلمانيين واللادينيين يشهرونه في وجه الدعاة إلى الحل الإسلامي لمشكلات الحياة.

وهو في دراسته هذه لا يعتمد على قول فلان أو علان من الناس، بل يدع النصوص وحدها تتكلم وتحكم، ولهذا أكثر من النصوص عمدًا وقصدًا، لتتولى التعبير عما يريد توضيحه وتأكيده وتثبيته من القيم

QaradawiBooks.com

والمفاهيم. وهو لا ينقل عن العلماء والشـراح إلَّا بالقدر اللازم للشرح والتوضيح، عند الغموض أو الاشتباه أو الخلاف.

نحن في الحق أمام دراسـة علميَّة موثقة بأصح النصوص، مستمدة من أوثق المصادر، توفر عليها كاتبهـا، وأعطاها من وقته وجهده وفكره وقلبه وعلمه وخبرته، حتَّى بلغت إلى هذا المستوى من النضج.

بل نحن فـي الواقع أمام موسـوعة حافلة تضم أهـم ما يتعلق بالمرأة المسلمة، من حيث شخصيتها ومكانتها، ولباسها وزينتها، ودورها في الأسرة والمجتمع، ولقائها الرجال، ومشاركتها في الحياة الاجتماعيَّة والسياسيَّة، في ضوء نصوص القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة، وفهم السلف الصالح لهما.

أمَّا مؤلف هذا الكتاب (الأسـتاذ عبد الحليم مُحمَّد أبو شقة)، فهو رجل قد لا يعرفه إلَّا القليل من النَّاس من أهل الفكر؛ لأنَّه لم ينتج من ثمار القلـم ما يعرف النَّاس به، وبعبارة أدق: لم ينشـر للناس ما يدلهم عليه، مع أنَّه الآن صاحب دار للنشر، بل دارين: دار القلم في الكويت، ودار آفاق الغد في القاهرة، ولكنَّه ينشر لغيره، ولا ينشر لنفسه.

هذا مع أنَّه يكتب كثيرًا، ويسـجل دائمًا خواطر في مجالات شتَّى، تحمل أفـكارًا نيرة، ونظرات إصلاحية سـباقة، ولكنَّهـا كثيرًا ما تكون كاللآلئ المنثـورة الَّتي لا ينتظمها عقد، فهو يؤخرها حتَّى يسـلكها في ذلك العقد المنشود.

وشـيء آخر، وهو أن خلق (الأناة) فيه ـ وهو خلق يحبه الله ورسوله كما جاء في الصحيح[1] ـ يجعله يراجع الفكرة مرَّة بعد مرَّة، ويناقشها مع

(١) إشارة إلى الحديث، المروي عن أبي سعيد الخدري:... وقال نبي الله ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة». رواه مسلم في الإيمان (١٨).

QaradawiBooks.com

صفوة صحبه، حتَّى يطمئن إلى سلامتها وسدادها، وقد يدخل عليها تعديلا بعد تعديل، حتَّى تستقيم في نظره.

وإذا كان الأستاذ عبد الحليم ـ وكنيته أبو عبد الرحمن ـ لا يعرفه الكثيرون؛ فإن القليل الَّذين عرفوه أعجبوا به، وقدروه، واعترفوا له بالقدرة على التفكير الهادئ العميق، إلى جوار النظرة النقديَّة الإصلاحية، إلى الشجاعة في إبداء ما يرى أنَّه الحق، إلى الصدق والاستقامة الَّتي جعلت ظاهره كباطنه.

وأشهد لقد عرفته عن كثب منذ ربع قرن من الزمان، حين جمعنا العمل في وزارة التربية والتعليم في قطر، فما عرفت فيه إلَّا لسانًا صادقًا، وقلبًا نقيًّا، وخلقًا رضيًّا، وحسًّا مرهفًا، وعقلًا ناقدًا.

لقد عرفته معرفة عشرة ومخالطة، فعرفت فيه مسلمًا شديد الالتزام بالإسلام، متحريًا لأحكامه وتعاليمه، ليطبقها على نفسه وأهله، فهو لا يدرس التعاليم ليتشدق بها، أو ليتطاول بمعرفتها منتفخًا مغرورًا، بل لينفذها ويهتدي بهداها.

ولكن الإسلام الَّذي يلتزم به ليس إسلام مذهب معين من المذاهب المتبوعة، ولا إسلام عصر من العصور التاريخيَّة السالفة، ولا إسلام قطر من الأقطار الإسلاميَّة المعروفة، إنَّه إسلام القرآن والسُّنَّة فحسب، ولذا حرص غاية الحرص ألا يكون استناده في بحثه إلى أقوال فلان أو علان من العلماء، فكل عالم يؤخذ من كلامه ويترك مهما علا كعبه في العلم أو الفتوى.

عرفته مربيًا بالموهبة والدراسة والخبرة، فقد عمل معلما بالمدارس الثانويَّة، كما عمل مديرًا (ناظرًا) لمدرسة الدوحة الثانويَّة، ولا غرو أن

QaradawiBooks.com

نجده دائمًا يحمل روح المربي الحريص على الإفادة، والتعليم بأحسن الوسائل وأفضل الأساليب.

وعرفته باحثا عن الحق، مخلصا في طلبه، لا يألو جهدًا، ولا يدخر وسعًا في البحث عنه في مظانه، قارئًا متمهلًا، ودارسًا متأملًا، فهاتان الخصلتان: الأناة والتمهل، والتفكر والتأمل، من أبرز مزاياه، وأظهر خصائصه في حياته كلها، فهو لا يتعجل الأحكام ولا النتائج، ولا يأخذها تقليدا، بل دراسة متأنية، وتدبرا طويلا، ثمَّ يسجلها خواطر وأفكارًا متناثرة حتَّى يجمعها ويصوغها.

وعرفته متواضعا، لا يكتفي بقبول النصح إذا نصح، بل يطلب النصح، ويلح في طلبه، ويبالغ في إلحاحه، من كل من يثق بعلمه ورأيه، حتَّى يطمئن إلى ما وصل إليه من نتائج، وهو واسع الصدر لمناقشة الرأي الآخر، ولا يبالي إذا استبان له وجه الحق، وأسفر أمامه صبحه أن يبدل رأيا برأي، وأن يحذف ويزيد، ويحور ويحسن، حتَّى ينتهي إلى ما يعتقد أنَّه الصواب.

وهو ـ كما عرفته ـ ينشد الإصلاح دائما، لا يقتصر على الوقوف عند تشخيص الداء، ولكنَّه يجتهد أن يصف الدواء، ويبين العلاج.

وهو يؤيد دائما روح التيسير والمرونة في الدعوة إلى الإسلام، وخصوصا في القضايا الَّتي تتعلق بالأسرة والمجتمع.. وهو لا يتكلف في البحث عن التيسير في شريعة الله، بل يجده حيثما اتجه، وأينما سار، ولا عجب، فالتيسير هو روح الشريعة ولحمتها وسداها.

لقد نشأ في حركة الإخوان المسلمين منذ شبابه المبكر، واقترب من مؤسسها ومرشدها الأوَّل الإمام الشهيد حسن البنَّا، واندمج في نظامها

QaradawiBooks.com

الخاص، الَّذي كان يضم صفوة الشباب في تلك الأيام، ودخل السجن متهما في إحدى قضايا الإخوان. وقد استفاد من هذا الاتصال وأفاد، وكان للدعوة تأثيرها البالغ على تفكيره وميوله وسلوكه، ولكنَّه بعد أن نضج ورشد، كان له على سير العمل ملاحظات بصيرة ناقدة، لم يجبن ولم يبخل بذكرها وإبدائها، ولا سيَّما على «النظام الخاصِّ»، وما تطور إليه.

وقد رأينا له منذ العدد الأوَّل من مجلَّة «المسلم المعاصر» ـ الَّتي كان له اليد الطولى في إخراجها إلى حيز الوجود، بل كان هو صاحب فكرتها والداعي إليها ـ حديثه المسهب الجريء عن «أزمة العقل المسلم المعاصر»، الَّذي كشف للكثيرين عن قدرته على الغوص والتحليل والنقد، وعمق الفهم للدين وللحياة معًا، والشجاعة في مواجهة ما يعتقد أنَّه خطأ، وإن اشتهر بين النَّاس خلافه.

كما جاء في العدد الَّذي يليه بحث له أيضًا عن «أزمة الخلق المسلم المعاصر».

وكلا البحثين يشهد له أنَّه صاحب عقل بصير، وفكر متألِّق، وحِسٍّ نقديٍّ مرهف، فهو يعيش عصره، ويعرف ما فيه، ويتعامل معه بقلب المؤمن، وفكر الباحث، ورغبة المصلح، بعيدًا عن الغوغائية والتقليد الأعمى.

وقد يخالفه من يقرأ له في بعض ما كتبه في بحثه هذا أو ذاك ـ وقد خالفته بالفعل، وسجلت ذلك في العدد التالي من المجلة ـ ولكنك لا تملك إلَّا أن تقدره وتحترم تفكيره وإخلاصه.

والكتاب يسير في اتجاه التيسير ورفع الحرج والإعنات عن المرأة المسلمة، وسبب ذلك أنَّ الاتِّجاه الَّذي ساد العالم الإسلامي قرونًا هو اتجاه التزمت والتشديد على المرأة، وسوء الظنِّ بها.

QaradawiBooks.com

وعلَّة ذلك الموقف المتشدِّد تتجلَّى في أمرين:

الأوَّل: جهل الأكثرين بالنصوص الشرعيَّة الَّتي تتضمن التيسير، وتقاوم التعسير، وبخاصَّة نصوص السُّنَّة النبويَّة الصحيحة؛ فإنَّ نصوص القرآن معلومة للجميع، أمَّا السُّنَّة فقد ظهرت في الكتب، ونسيت في الدواوين الكثيرة من الجوامع والمسانيد والمعاجم والأجزاء وغيرها، واشتغل النَّاس بكتب المذاهب وفقهها عن الكشف عن السُّنَّة وكنوزها.

وقد ترتب على هذا أن ترى كثيرًا من المسلمين يغفلون عن أحاديث صحيحة، ويستدلون بأحاديث ضعيفة أو موضوعة.

الثاني: سوء فهمهم للنصوص الَّتي عرفوها، بوضعها في غير موضعها، أو قسرها على استنباط أحكام منها، لا تدلُّ عليها إلَّا باعتساف، أو بترها عن سبب ورودها أو عن سباقها وسياقها، أو عزلها عن باقي أحكام الإسلام، ومقاصده الكُلِّيَّة، فلا يوفق بين بعضها وبعض.

ولهذا أمثلة كثيرة، لا يتسع المجال لذكرها.

وقد وفق الكاتب البصير إلى رؤية هاتين العلتين بوضوح، فجعل أكبر همه كذلك في أمرين:

أولهما: البحث عن النصوص المحكمة، وخصوصًا من الحديث الشريف، وحشد هذه النصوص المعبرة عن روح الإسلام، وموقفه من المرأة.

وهي غزيرة وفيرة ناصعة البيان. ويكفي أن تقرأ عناوين القضايا والجزئيات الَّتي حشد لها الأحاديث؛ لتدرك مدى وفرتها، ووضوح دلالتها.

QaradawiBooks.com

ولا بأس أن أضع أمامك عناوين هذه النماذج عن قوَّة شخصيَّة المرأة المسلمة وحسن إدراكها لمسئوليتها، من الجزء الخاص بشخصيَّة المرأة في الكتاب:

- النساء يطالبن الرسول ﷺ بمزيد من فرص التعليم.
- النساء يلبين الدعوة إلى اجتماع عام بالمسجد.
- زينب بنت جحش أم المؤمنين تعمل بيدها وتتصدق.
- زينب امرأة ابن مسعود تعمل بيدها وتنفق على زوجها وأيتام في حجرها.
- أم عطية تشارك زوجها في ست غزوات.
- أم حرام تطلب الشهادة مع غزاة البحر.
- أم هانئ تجير محاربًا وتشكو أخاها المعترض.
- حفصة بنت عمر تستدرك على عبد الله بن عمر.
- أسماء بنت شكل تغالب الحياء لتتفقه في الدين.
- عاتكة بنت زيد زوجة عمر بن الخطاب تتمسك بحقها في شهود الجماعة.
- أم كلثوم بنت عقبة ـ وهي شابة ـ تفارق أهلها وتهاجر فرارًا بدينها.
- المرأة تتمسَّك بحقِّها في مفارقة الزوج.
- سُبَيْعة بنت الحارث تعرف كيف تتحرى لتصل إلى اليقين.
- أم الدرداء تنكر على عبد الملك بن مروان.

QaradawiBooks.com

- المرأة الخثعمية ـ وهي شابة ـ يشغلها أمر حجها عن أبيها.
- هند بنت عتبة تحيي رسول الله إثر إسلامها.
- زينب بنت المهاجر تحاور أبا بكر.
- أم يعقوب تحاور عبد الله بن مسعود.

وقد كان اتجاه الكاتب في أوَّل الأمر أن يستوعب أكبر قدر من كتب السُّنَّة، وفيها كنوز لا يجوز إهمالها، فظل يقرأ طويلًا، ويتأمل كثيرًا، حتَّى جمع كمًّا هائلًا من النصوص، ثمَّ رأى أن يقتصر ما يقدمه للناس من هذه الكنوز ـ في هـذه المرحلة ـ على ما ورد فـي الصحيحين. فوضع أمام أعيننا هذه الجواهر النبويَّة، من القول والفعل والتقرير.

وهو يسوق هذه النصوص في كثير من الأحيان، دون أن يعلق عليها، فهي ناطقة بما يريد أن يقوله للناس، شارحة نفسها بنفسها.

ولكنَّه إذا علق على النصوص مستنبطًا أو شارحًا أو جامعًا، أو مرجحًا أو مطبقًا لها على واقع الحياة، وجدته طويل الباع في الإبانة عما يريد.

وحسبي أن أدل القارئ الكريم على نموذج من تعليقاته؛ ليقرأه بأناة وتبصر، وهو ما ختم به الباب الحافل الَّذي جمع فيه رصيدًا وافرًا من النصوص الدالة على مشاركة المرأة للرجال في الحياة الاجتماعيَّة، وقد تحدث فيه عن الظواهر الاجتماعيَّة الجديدة، الَّتي أصبحت تفرض هذا اللقاء في عصرنا، حديث الخبير المطلع على أحوال عصره، وتغيرات مجتمعه.

وأقول: إنَّ الَّذي يجهل هذه الظواهر الاجتماعيَّة الَّتي طرأت على مجتمعاتنا، لا يمكن أن يكون حكمه صحيحًا في قضايا المرأة، وإن

QaradawiBooks.com

حفظ النصوص عن ظهر قلب. فلا بدَّ للفقيه أن يزاوج بين الواجب والواقع. كما قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

أمَّا الأمر الثاني الَّذي وجه إليه الكاتب همه، فهو: رد الأفهام الخاطئة الَّتي حرفت النصوص عن موضعها بقصد حينًا، وبغير قصد أحيانًا، ومحاولة استنباط الحكم الصحيح منها. ومثال ذلك: نظره في قوله تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وفي حديث وصف النساء بأنهنَّ «**ناقصاتُ عقلٍ ودِين**»[٢].

قال الكاتب في حكم آية: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٣٣]:

«إنَّ الآية ـ مع الآيات السابقة واللاحقة ـ موجهة لنساء النبي ﷺ».

ومما يؤكد أن أمر القرار في البيوت خاص بنساء النبي ﷺ، أن عمر بن الخطاب ظل يمنعهن من الخروج للحج، ولم يأذن لهنَّ إلَّا في آخر حجة حجها.

قال الحافظ ابن حجر: «قوله تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فإنَّه أمر حقيقي خوطب به أزواج النبي ﷺ»[٣].

وقال الحافظ في موضع آخر: «... وفهمت عائشة ومن وافقها من الترغيب في الحج ـ أي قوله ﷺ: «**لَكُنَّ أحسن الجهادِ وأجملُه: الحجُّ**»[٤] ـ إباحة تكرير الحج، وخص به عموم قوله: «**هذه ثمَّ ظهور الحُصر**»[٥]،

(١) انظر: إعلام الوقعين (٦٩/١).

(٢) سبق تخريجه صـ٢٨٨.

(٣) انظر: فتح الباري (١٠٨/٧)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٤) رواه البخاري في جزاء الصيد (١٨٦١)، عن عائشة.

(٥) رواه أحمد (٢١٩١٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في المناسك (١٧٢٢)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٤٠١)، عن أبي واقد الليثي.

QaradawiBooks.com

وقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وكأن عمر كان متوقفًا في ذلك، ثمَّ ظهر له قوَّة دليلها، فأذن لهنَّ في آخر خلافته»[١].

وعلى فرض أنَّ الآية المقصود بها عامَّة المسلمات، فلننظر في نصوص السُّنَّة ـ وهي المبينة للكتاب ـ لنرى كيف طبق نساء المؤمنين على عهد النبي ﷺ، الأمر بالقرار في البيوت، وكيف لم يمنعهن هذا الأمر من الخروج للمشاركة في الحياة الاجتماعيَّة. وقد أوردنا مئات النصوص من صحيحي البخاري ومسلم، وهي تؤكد هذه المشاركة في كثير من المجالات»[٢].

وقال الكاتب في شرح حديث: «ناقصات عقل ودين»:

«عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ، في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء فقال: «**يا معشر النساء... ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للُبِّ الرجل الحازم من إحداكن...**»[٣].

سنعرض لهذا الحديث من ثلاث زوايا[٤]:

الزاوية الأولى: هي الدلالة العامَّة لقوله ﷺ: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين، أذهب للب الرجل الحازم من إحداكنَّ».

إنَّ النص يحتاج إلى دراسة وتأمل سواء من ناحية المناسبة الَّتي قيل فيها، أو من ناحية من وجه إليه الخطاب، أو من حيث الصياغة الَّتي صيغ بها الخطاب، وذلك حتَّى نتبين دلالته على معالم شخصيَّة المرأة.

---

(١) انظر: فتح الباري (٧٥/٤).

(٢) راجع: تحرير المرأة (١٦/٣).

(٣) سبق تخريجه صـ ٢٨٨.

(٤) سنكتفي نحن بأولاها، وعلى القارئ أنْ يستكمل قراءاتها كلَّها.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

فمن ناحية المناسبة، فقد قيل النص خلال عظة للنساء في يوم عيد، فهل نتوقع من الرسول الكريم صاحب الخلق العظيم أن يغض من شأن النساء، أو يحط من كرامتهن، أو ينقص من شخصيتهن في هذه المناسبة البهيجة!

ومن ناحية من وجه إليهن الخطاب، فقد كن جماعة من نساء المدينة ـ وأغلبهن من الأنصار ـ اللاتي قال فيهن عمر بن الخطاب: فلما قدمنا المدينة، إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب الأنصار[1]. وهذا يوضح لماذا قال الرسول الكريم: «**ما رأيتُ أذهبَ للُبِّ الرجل الحازم من إحداكنَّ**».

أمَّا من حيث صياغة النصِّ، فليست صيغة تقرير قاعدة عامَّة، أو حكم عامٍّ، وإنَّما هي أقرب إلى التعبير عن تعجب رسول الله ﷺ، من التناقض القائم في ظاهرة تغلب النساء ـ وفيهن ضعف ـ على الرجال ذوي الحزم. أي التعجب من حكمة الله، كيف وضع القوَّة حيث مظنة الضعف، وأخرج الضعف من مظنة القوَّة! لذلك نتساءل: هل تحمل الصياغة معنى من معاني الملاطفة العامَّة للنساء خلال العظة النبويَّة؟ وهل تحمل تمهيدا لطيفا لفقرة من فقرات العظة، وكأنها تقول: أيها النساء، إذا كان الله قد منحكن القدرة على الذهاب بلب الرجل الحازم برغم ضعفكن، فاتقين الله، ولا تستعملنها إلَّا في الخير والمعروف.

وهكذا كانت كلمة «**ناقصات عقل ودِين**»، إنَّما جاءت مرَّة واحدة، وفي مجال إثارة الانتباه والتمهيد اللطيف لعظة خاصَّة بالنساء، ولم تجئ قط مستقلة في صيغة تقريرية سواء أمام النساء أم أمام الرجال»[2].

---

(١) جزء من حديث متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٦٨)، ومسلم في الطلاق (١٤٧٩)، عن ابن عباس.

(٢) تحرير المرأة في عصر الرسالة (١/٢٧٥، ٢٧٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كما أنَّ الكاتب حرص على أن يناقش بعض القضايا الأصوليَّة المهمة، الَّتي لها علاقة بالموضوع، والَّتي اتكأ عليها كثيرون من العلماء في التضييق على المرأة، على خلاف ما أثبتته السنة المطردة. وذلك مثل قضيَّة سد الذرائع.

وفي الختام: أستطيع أن أذكر أن هذا الكتاب ـ بما احتوى من نصوص ثابتة، ونقول صادقة، وشواهد ناطقة، وأفهام نيرة، وتعليقات ناضجة ـ قد أضاف إلى المكتبة الإسلاميَّة، إضافة لها وزنها وأصالتها. وقد يخالف في بعض جزئيات الكتاب بعض النَّاس الَّذي تؤثر عليهم مواريثهم وبيئاتهم بحكم سنة الله في البشر، ولكن روح الكتاب وجوهره في بيان موقف الإسلام من المرأة، من خلال النصوص المحكمات، ومن خلال الهدي العام في عصر النبوة، لا يمكن أحد أن يماري فيه.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب كلَّ من قرأه، وأن يجزي مؤلفه خيرًا عما بذل من جهد موصول طوال سنوات عديدة، كان عمله فيه شغله الشاغل، وهدانا جميعًا سواء السبيل.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «تجفيف المنابع»

للشيخ عبد السلام البسيوني[1]

عرفت الأخ الشيخ عبد السلام البسيوني قبل أن ألقاه، عرفته من نفثات قلمه، في بعض ما كان يكتبه في الصحف القطرية، فوجدت في هذه النفثات عبق الأديب، ومهارة الصحفي، وغيرة المؤمن، وروح المقاتل، وأحببته قبل أن أراه، والأذن تعشق قبل العين أحيانا.

ثم لقيته بعد ذلك في جلسات علميَّة ودينيَّة، وفي حوارات فكريَّة وإسلاميَّة، وفي لقاءات قصيرة ومطولة، وقرأت بعض ما أخرجه من كتب «العقلانية هداية أم غواية»، و«فقه الواقع رسائل إلى الإسلاميِّين»، و«هل بالإسلام حرية للرأي؟» وقرأت ديوانه الشعري «الذئبة التائبة»، وغيرها من البحوث والدراسات والمقالات.

فوجدت وراء هذا الإنتاج ـ كما عرفت بالمعايشة والممارسة ـ في الشيخ عبد السلام رجلًا متعدد المواهب، متنوع القدرات والملكات؛ فهو خطاط يحسن الكتابة، رسام يحسن الصورة، خطيب يتقن الخطبة، مؤلف يتفنن في التأليف، شاعر يبدع في القصيدة، صحفي يصور بالكلمة، محاور يحكم توجيه السؤال، مسلم يحمل هموم الدين والأمة،

(١) لم يطبع الكتاب بعد، مع أن مؤلفه قدمه لي من فترة طويلة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مثقف يعيش عصره، ويأخذ منه ويعطيه، ولكن لا يسلم له قياده، بعد أن أسلم وجهه لله، واستمسك بالعروة الوثقى.

وباختصار، رأيته يحمل روح الفنان مع روحانية الداعية، وعقل الباحث مع قلب المؤمن، وريشة المصور مع سيف المجاهد.

ما لقيته إلَّا ألفيته يتمزق ألما وأسى لما يصيب الأمة من أعدائها حينًا، ومن أبنائها حينًا، وأراه يحترق من الداخل وهو يتابع الأقلام المسعورة، والأدوات المأجورة تنهش لحم الإسلام، وتنتهك حرماته، وتتطاول على دعاته، وتهزأ بشرعه، وتشوه ماضيه وحاضره، ولا تجد من يقف لها بالمرصاد؛ ليكشف عوارها، ويبرز بهرجها، ويبطل زيفها!

أمَّا هو، فقد وظف قلمه الرشيق لمتابعة هؤلاء، والتصدي لأباطيلهم وألاعيبهم المكشوفة والمقنعة من المنافقين والمنافقات، الَّذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧].

وهذا الكتاب الَّذي أقدمه لك اليوم ـ أيها القارئ العزيز ـ جزء من هذه المعركة الضارية والمستمرة بين البسيوني وهؤلاء، من سماسرة التنوير، وأدعياء التحرير؛ تحرير المرأة فيما يزعمون، وهم في الحقيقة دعاة التحليل لها: أن تتحلل من الدين والأخلاق، والقيم والتقاليد، وأن يجعلوا منها كرة تعبث بها الأيدي، وتتقاذفها الأقدام!

ونظرًا لأن هذا الكتاب كان ـ في أصله ـ مجموعة مقالات نشرت في الصحافة، وكانت هذه المقالات لها طبيعة المواجهة والمقاومة

QaradawiBooks.com

للهجمة الشرسة، والحملة المكثفة على الإسلام، في قضيَّة لعلها أخطر القضايا الاجتماعيَّة ـ وهي قضيَّة المرأة ـ نجد لهذا الكتاب خصائص معينة:

١ ـ فهو يستخدم أسلوب السخرية والتهكُّم بهؤلاء الساخرين من دينهم وتراثهم وحضارتهم وأمتهم، وهو أسلوب استخدمه القرآن واستعمله الرسل الكرام: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧٩]، ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴾ [هود: ٣٨]، ويقول القرآن: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩].

٢ ـ وهو يستخدم اللغة العامية في بعض الأحيان كما يستعملونها؛ لأنَّه يجدها أدل على ما يريد في هتك سترهم، وهدم باطلهم، وهو يحاربهم بمثل سلاحهم؛ كما قال أبو بكر لخالد رضي الله عنهما. هذا مع أن لغته الفصحى لغة راقية بإجماع كل من قرأ له. واقرأ مقالات: ملكات الجمال المسلمات، رجعيون سخفاء، عواطف، الوأد الحضاري، التعدد الحرام، الحج إلى سدوم وعمورة، وهل الرقص حرام يا متزمتون، ثقوب في الآدمية، وغيرها، تجد اللغة الحلوة الرفيعة، الَّتي كنت أود للشيخ البسيوني أن يلتزمها، ويتشبث بها مهما يكن الباعث الشريف عنده على استخدامه العامية المصرية، الَّتي يروج لها أعداء الإسلام؛ ممَّا لا يخفى على مثله، والَّتي لا تكاد تفهم إلَّا في مصر وحدها.

٣ ـ وهو كذلك يدخل بعض الكلمات الأجنبيَّة الَّتي تروج بين هؤلاء؛ ليعري زيفهم وتضليلهم بمصطلحاتهم وأساليبهم؛ أحيانا يكتبها

QaradawiBooks.com

بالحرف العربي مثل: الهوت شورت، والبير شست، والإستريتش، وأحيانًا يكتبها بالحرف اللاتيني.

٤ ـ وهو قد يستخدم أسلوب المبالغة على الطريقة الكاريكاتيرية في تجسيم بعض الملامح أو العيوب وتضخيمها، ولا حرج في ذلك؛ فالكتاب ليس دراسة شرعيَّة ـ وإن كان الشرع منطلقه وغايته ـ ولكنَّه مواجهة إعلامية عصرية. وإذا كانت الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والإنسان، فإن الإعلام وأدواته أولى بالتغير.

ومع هذا نجد له كلمات في غاية القوَّة والرصانة، اقرأ هذه الفقرة: «صلى الله عليك يا رسول الله: لقد أتى الزمان الَّذي أنذرتنا وأنبأتنا أنَّه سيظهر فيه قوم «**يستحلُّون الحِرَ** ـ أي الزنا والعلاقات المحرَّمة ـ **والحريرَ والخمرَ والمعازفَ**»[1]، والَّذي لا يصدق هذا، يمكنه أن يقرأ كتابات أمراء التنوير، الَّذين يملكون القدرة الفائقة على الإفتاء في معضلات المسائل الشرعيَّة الإسلاميَّة ـ بالذات ـ لأنَّهم قد فتح الله عليهم فصاروا يعرفون كل شيء؛ ابتداء من حكم حِلِّ الخمر والرقص الشرقي، وفكِّ عقد التخلُّف، وانتهاءً بنفي القرآن، وعزل النبي ﷺ من النبوَّة لانتهاء عمره الافتراضي، ولأنَّ دِينَه لم يَعُدْ مناسبًا للقرن العشرين». وأمثال هذه الكلمات يفيض بها الكتاب.

والحق أنَّها ليست مجرَّد كلمات كاتب؛ بل هي سهامُ محاربٍ يرمي بها في صدور المهاجمين الطغاة، أحسنت تصويبها يد صناع، طالما امتدت ضارعة إلى الله تعالى، واشتركت مع الأعضاء السبعة ساجدة لله!

(١) رواه البخاري في الأشربة (٥٥٩٠)، عن أبي مالك الأشعري. وانظر كتابنا: فقه الغناء والموسيقى صـ ٤٠ ـ ٤٤، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

لقد أعجبني في هـذا الكتاب إهداؤه إلى أم سـهيل ـ زوج الكاتب الأولى، الَّتي ماتت شهيدة الغرق، عليها رحمات الله ورضوانه ـ قطرة من بحر فضلها. كما يقول الزوج الوفي الأصيل.

وأعجبني فيـه تتبعه لمواقـع التغريـب، وأوكار التخريب، ومراتع الرؤوس المشـبوهة، والوجوه المكروهة، من أعـداء الدين والفضيلة، وأولياء الشيطان والرذيلة، الَّذين يريدون أن يجعلوا المرأة في أوطاننا بئرًا للقاذورات، ومزبلة يتجمع عليها الذباب من كل ناحية، وأن تكون بلادنا مثل تلك البلاد، الَّتي لم تعد فيها فتاة واحدة عذراء!

وأعجبني فيه اتجاهه إلى تبني التيسير والواقعيَّة فيما يتعلق بأحكام الطلاق والخلـع وحقوق المرأة، كما أعجبني كلامـه الجيد البصير عن التعدد الحرام.

وأعجبني نقده الإيجابي لخلو الساحة الإسلاميَّة من قيادات إسلاميَّة نسائية، تواجه القيادات العِلْمانيَّة واليسارية، وهو ما ذكرته وركزت عليه من قبل في كتابي «أولويات الحركة الإسلاميَّة».

وأعجبتني نظرته المتوازنة إلى مشاكل المرأة المسلمة، وعدم الاكتفاء بالنظرة السطحية إليها.

ولكنِّي أصارح أخي عبد السـلام، بأنِّي لم أسترح لوجهة نظره فيما يتعلق بالزينة والزي والاختلاط، كأنَّما لاحظت أنَّه يريد أن يفرض على المرأة زيـا لا يتأثر مطلقـا بالعرف، كمـا يفرض عليها عزلـة تصونها وتحميها من أنياب الرجال.

QaradawiBooks.com

والاختلاط بضوابطه الشـرعيَّة هو المطلوب، وهو الَّذي نستطيع أن نحارب به سماسـرة التنوير، وملاحيس التحرير ـ كما سمَّاهم الكاتب ـ وهو الَّذي يجمع كل التيارات والقوى الإسـلاميَّة في مواجهة التخريب الضخم، الَّذي تقوم به العِلْمانيَّة والماركسية.

لعل عذر الكاتب هو جنوح الآخرين أبدا إلى التسـيُّب بلا حدود، فالتطرُّف إنَّما يحارب بتطرُّف مثله، شـاء المـرء أم أبى، ثمَّ تعتدل كفتا الميزان، بالإضافة إلى حماس الشباب الغيور، وغيظ المسلم المقهور.

لا يُقَلِّـل هذا من القيمـة الكُلِّيَّة للكتاب في مقاومـة موجة التحلُّل والإباحيَّـة، وتعريـة دُعاتها المعاندين مـن الخارج، والمسـنودين من الداخل، الَّذين يعملون لحساب الصهيونيَّة العالميَّة، والصليبيَّة الغربيَّة.

ولعلَّ ممَّا يشفع للكاتب شدَّته وحدَّته: هذه الفقرة من خاتمة كتابه؛ حين قال معتذرًا عن نبرة الغضب الَّتي ربَّما برزت في بعض ثناياه:

«أختـي المسلمـة: أحمد إليك الله تعالى، الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

وأسـتميحك العذر إن علت نبرة الغضب ـ في أثناء هذه المقالات ـ إلى حدٍّ ما، فهي نفثات مصدور، وآهات متوجِّـع، ورائحة كبد تحترق ألمًا على حال المرأة المسـلمة، الَّتي يراد لها أن تضرب في تيه، تنسلخ فيه كينونتها الخَلقيَّة والخُلقيَّة، وتخسر دنياها وآخرتها.

لا أنكر أنَّ هناك إشـكاليَّات اجتماعيَّة نشـأت من سوء فهم أحكام الشريعة؛ وعلى أساسها حجبت المرأة أحيانًا عن اختيار شريك حياتها، وعن الارتقاء في مدارج العلم، والمساهمة المنضبطة في نسيج المجتمع المسلم، وحرمت أحيانًا من حقها في الميراث، أو حضانة الأبناء. لكن

QaradawiBooks.com

لا يشكُّ عاقل منصف ـ فضلًا عن مسلم ـ أنَّ هذا الخلل من المسلمين لا من الإسلام، ومن سوء فهم النصوص لا من إحسان تطبيقها.

إن هذا الكتاب قذيفة موجهة في المعركة بين الحق والباطل، بين الإسلام والجاهليَّة، بين الله والطاغوت.

ورغم ما يملك الباطل والجاهليَّة والطاغوت من أسلحة وفيرة ومتطوِّرة، ومهما ظنُّوا أنَّهم مانعتهم حصونهم من الله، فإنَّ قذيفتنا ستهزم أسلحتهم، وإن حقَّنا سيهزم باطلهم، وإن حصونهم المشيدة سيأتيها الله من حيث لم يحتسبوا، وسيخربونها بأيديهم وأيدي المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]».

تحيَّة لأخي عبد السلام على مواقفه في نصرة الحقِّ والصدق، وفي تقويض الباطل والزيف، ودعاء من الأعماق أن يُسَدِّد الله قلمه ولسانه، وأقلام إخوته المؤمنين الصادقين.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

الفقير إلى ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة: ١٤ محرم ١٤١٦هـ

١٢ يونيو ١٩٩٥م

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة «الإسلام في عيون السويسريِّين»
لكريستوف بيتر باومان وكريستيان ياجي
ترجمه عن الألمانيَّة وعرضه ولخصه وقدم له الأستاذ ثابت عيد[1]

الإسلام رسالة عالميَّة، فلا فرق عنده بين غرب وشرق، فالغرب جزء من مملكة الله الواسعة، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، والغربيُّون هم جزء من العالَمين، الَّذي أرسل الله رسوله محمَّدًا ﷺ رحمة لهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ولكن المشكلة تكمن في أنفس الغربيِّين ـ أو إذا أردنا الدقَّة في أنفس الكثيرين منهم ـ وموقفهم من الإسلام؛ فقد توارثوا عن الإسلام صورة شائهة المنظر دميمة الوجه، لا تمت إلى الإسلام من قريب أو بعيد، ولا ترجع إليه في ورد ولا صدر.

وهذه الصورة ورثوها منذ الحروب الصليبيَّة، الَّتي اصطدم فيها الغرب بالإسلام صدامًا مسلحًا عنيفًا، انتصرت فيه الصليبيَّة في أوَّل الأمر، ثمَّ هزمت هزيمة ساحقة في معارك حِطِّين، وفتح بيت المقدس، وأسر (لويس التاسع) في دار ابن لقمان الشهيرة.

(١) نشر دار بافاريا، ميونخ، ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

وهذه الحروب كان لها آثارها النفسيَّة والعقليَّة، وكانت من أسباب نهضة الغرب بعد ذلك، بما اقتبسه من الحضارة الإسلاميَّة، ولكن رجال الدين الغربيِّين صوروا الإسلام والمسلمين لعوام النَّاس بصورة كريهة منفرة، بعيدة كل البعد عن حقيقة الإسلام، ولكنَّها رسخت في الذهنية الغربيَّة، والنفسيَّة الغربيَّة، وتوارثها النَّاس جيلًا بعد جيل.

ولذلك ترى الغربي حين يتحدث عن الأديان الأخرى غير الإسلام وعن الأمم الأخرى غير أمة الإسلام يتحلى بكثير من الموضوعية والإنصاف. فإذا تحدث عن الإسلام وقف موقفا آخر، فيه كثير من التحيُّز والميل مع الهوى، وكان على من يريد الإنصاف منهم: أن يتحرَّر من العقد الخبيثة الموروثة، ويتقمص شخصيَّة أخرى، تُغَلِّب الموضوع على الذات، والحقَّ على العصبيَّة، وهذا ما اعترف به غوستاف لوبون، ومونتجومري وات، وغيرهما.

أمَّا نحن المسلمين، فنريد أن نتفتح على الغرب، ونجد من ديننا ما يحثنا على ذلك، ولا نحب أن ننغلق على أنفسنا، أو نعادى غيرنا.

والذي يدعونا إلى ذلك جملة أمور:

أوَّلها: أنَّنا أصحاب رسالة عالميَّة، جاءت لكلِّ الناس، في كلِّ أنحاء الأرض. صحيح أنَّ كتاب الإسلام عربي، وأنَّ رسول الإسلام ﷺ عربي، وأنَّ الإسلام نشأ في الشرق، ولكن لا يعني هذا أنَّ الإسلام لجنسٍ خاصٍّ، أو لجهة معيَّنة، بل الإسلام لأهل الأرض جميعًا. ولقد نشأت المسيحيَّة في الشرق، وانتشرت في أنحاء العالم.

QaradawiBooks.com

ثانيها: أنَّ أسباب اللقاء والتقارب والتفاهم كثيرة ووفيرة، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فالتعارف ـ لا التناكر ـ هو واجب شعوب الأرض جميعًا.

ولسنا مع الأديب الأوروبي الَّذي قال في القرن التاسع عشر: «الشرق شرقٌ، والغرب غرب، ولن يلتقيا»، فإنَّ اللقاء ممكن، بل واجب إذا صحَّت النيَّات، وصدقت العزائم.

ثالثها: أنَّ العالم تقارب جدًّا وخصوصًا بعد ثورة الاتصالات، والثورة الإلكترونيَّة، حتَّى قال بعض الكتاب: إنَّ العالم أصبح قريتنا الكبرى. وأنا أقول: إنَّ العالم أصبح قرية صغرى لا كبرى. فالقرية الكبرى لا يعرف النَّاس في شرقها ما يجري في غربها إلَّا بعد يوم أو يومين، أو على الأقلِّ ساعات من وقوع الحادث.

أمَّا العالم اليوم، فيعرف النَّاس ما يجرى في أي مكان فيه بعد لحظات، وقد يتابع النَّاس الحادث أثناء وقوعه.

وكل هذا يحتم على أصحاب الأديان السماوية أن يتحاوروا، وعلى أصحاب الحضارات أن يتفاهموا. والحوار والتفاهم أولى من الخصام والتنافر، ونحن المسلمين مأمورون ـ بنصوص قرآننا ـ أن نحاور المخالفين بالَّتي هي أحسن، وخصوصًا أهل الكتاب منهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. يأمرنا القرآن هنا أن نركز على الجوامع المشتركة، أي على نقاط الاتفاق، لا نقاط التمايز والاختلاف، سعيا إلى التفاهم، ما دمنا نؤمن جميعا بالألوهيَّة الواحدة، وبالرسالات السماوية المنزلة من عند الله.

QaradawiBooks.com

كلُّ ما نطلبه من الغرب يتلخَّص في هذه الكلمات:

١ ـ أن يتخلَّى عن الأحقاد القديمة، فنحن أبناء اليوم لا بقايا الأمس.

٢ ـ وأن يتخلَّى عن الأطماع الجديدة، والرغبة في السيطرة على بلادنا ومقدراتنا، فعصر الاستعمار قد ولى.

٣ ـ وأن يتبنى النظرة العالميَّة والإنسانيَّة الحقة، ويتخلى عن نظرة الاستعلاء الَّتي كانت عند الرومان، الَّذي يرون كل من عداهم برابرة.

٤ ـ وأن يتجرَّد من مخاوفه منَّا، فلسنا وحوشًا ولا أغوالًا، ولا سيَّما ونحن منذ قرون ضحايا ظلم الغرب.

٥ ـ أن يدَع لنا الحرية في أن ننظم حياتنا وفق عقيدتنا، إذا أرادت ذلك شعوبنا، ولا يتدخل في شؤوننا، بفرض فلسفته علينا بالقوة أو بالحيلة، فنحن أحرار في ديارنا.

لا داعي للغرب أن يتخذ منا عدوا يعبئ مشاعر أممه ضده بعد سقوط الاتِّحاد السوفيتي، وأن يُسَمِّينا «الخطر الأخضر»، بعد زوال الخطر الأحمر والتقارب مع «الخطر الأصفر».

إنَّ الإسلام ليس خطرًا إلَّا على الإباحيَّة والإلحاد، وعلى الظلم والاستعباد، وعلى الرذائل والفساد. وفيما عدا ذلك هو رحمة الله للعالمين، والمسلمون هم دعاة الخير والمحبة والسلام للعالم.

وإذا وجد في المسلمين أفراد أو فئات صغيرة تستخدم العنف في غير موضعه، فهؤلاء لا يمثلون كل المسلمين، ولا أغلب المسلمين، بل هم فئات صغيرة ضخمها الإعلام الغربي نفسه، وغالبهم دفعتهم إلى

QaradawiBooks.com

التطرُّف مظالم الغرب وعدوانيَّته وتحيُّزه ضدَّ المسلمين، ووقوفه أبدا مع إسرائيل الغاصبة لدياره، المشرِّدة لأهله. وشدَّة الضغط تولِّد الانفجار.

نحن المسلمين تقرُّ أعيننا، وتنشرح صدورنا إذا وجدنا في الغربيِّين من ينصفنا، ومن ينظر إلينا نظرة خالية من التعصُّب، وإذا وجدنا ذلك نوَّهنا به، ورحَّبنا بأهله، وفتحنا لهم قلوبنا وديارنا.

وهذا ما فعله الأخ البحاثة ثابت عيد، فهو ـ رغم شدته على المستشرقين المتحاملين على الإسلام وحضارته وأمته ـ يجند قلمه للثناء على جهود المنصفين من الغربيِّين.

ومن قريب أصدر كتابه عن المستشرقة الألمانيَّة المحترمة المعروفة أنا ماري شيمل، الَّتي قال عنها: إنَّها عميدة الاستشراق الألماني، والَّتي تُمثِّل الوجه المضيء للاستشراق.

واليوم يُقَدِّم لنا صورة مشرقة أخرى عن «الإسلام في عيون السويسريِّين».

وفي هذا الكتاب يُقدم عدَّة أعمال:

أوَّلها: كتاب «الإسلام في سويسرا»، تأليف كريستوف بيتر باومان، وكريستيان ياجي.

وثانيها: كتاب «الشرق الأوسط بؤرة الصراعات»، بقلم إريك جيسلينج وأرنولد هوتينجر.

ثمَّ عدَّة أبحاث أو مقالات لعدد من الباحثين عن الإسلام والمسلمين العرب، منها: «ما مدى خطورة الحركة الإسلاميَّة» لهوتينجر.

و«الشرق والغرب وأزمة سوء الفهم بينهما» لجيسلينج.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

و«الإسلام في مرآة الغرب، نموذج برنارد لويس ومكسيم رودينسون» بقلم جيسلينج أيضًا.

و«الفكر المتشدِّد في الإسلام» لإرنست تسبيندن.

و«كيف نتعامل مع التطرُّف الديني؟» لهانس كينج، أشهر شخصيَّة دينيَّة في سويسرا، وقد كتبه بطلب من كاتبنا الأستاذ ثابت عيد.

و«قضيَّة سلمان رشدي، خلفيَّات العلاقة المتوترة بين الشرق والغرب»، وهي محاضرة ألقاها الباحث المصري الأصل السويسري الجنسية الدكتور إسماعيل أمين.

و«ملحق خاصٌّ بالصورة السَّيِّئة للعرب في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة» بقلم الباحث السويسري رتوبيت.

والأستاذ ثابت عيد في كل هذه البحوث يترجم ويلخص، ويقدم ويعلق، ويعرف بالكاتب تعريفًا يميز شخصيته، ويبرز جهوده، ويبين مواقفه. وقد ترجمها كلها عن الألمانيَّة، إلَّا بحثًا واحدًا ترجمه عن الإنجليزية، ولغته في الترجمة لغة عربية سلسة جزلة، مفهومة للمثقف العادي، ناهيك بالمتخصص.

ومن خلال تمهيدات ثابت عيد للأبحاث وتعقيباته عليها، نجد أمامنا دارسًا متمكنًا، وباحثًا متعمقًا، وكاتبًا حرًّا شجاعًا، يحترم نفسه وقلمه، ويقدر أمانة الكلمة، ولا يتكلم إلَّا على بصيرة، ولا يصدر حكمًا إلَّا ببينة، يقول للمحسن: أحسنت. وللمسيء: أسأت.

وقد أضاف كاتبنا إلى هذه البحوث المترجمة حوارًا مع الداعيين الكبيرين: الشيخ مُحمَّد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ، والدكتور مُحمَّد عمارة حفظه الله،

QaradawiBooks.com

نظمه الكاتب الإسلامي الأستاذ فهمي هويدي، تتمة وتجلية لبعض القضايا الَّتي عرضت لها هذه البحوث.

ملاحظات على بعض الفقرات:

في هذا الكتاب نقرأ أقوالًا لعلماء سويسريين تغلب عليهم روح التفهم والتسامح والإنصاف، وإن كان بعضها يحتاج إلى تعقيب، وهذا لا بدَّ منه بطبيعة الحال، لاختلاف اللغة والنشأة والثقافة.

وبعضهم مثل الأستاذ هوتينجر يقول عنه المترجم: إنَّه متحامل على الإسلام، وإنَّه يساهم بكتاباته الواسعة الانتشار في سويسرا في رسم صورة مشوهة وقبيحة للإسلام والعرب، في عقول الغربيِّين. ولكن هذا لا يمنع أن نقرأ ما كتبه.

ومن هنا نجد بحث الأستاذ هوتينجر مليئًا بالثغرات، كقوله: «الشريعة بكل ما تحتويه من تفاصيل لا تناسب عصرنا هذا، فهي تقبل في الواقع الرق، على الرغم من أنَّها توصي بتحرير العبيد كعمل صالح، وهي تفرض على من يطبقها شكليات ضخمة، أي التنفيذ الشكلي لتفاصيل أحكام دقيقة عفا عليها الزمن. والأكثر من ذلك: أنَّ الإسلاميِّين يثيرون الانطباع بأنَّهم يريدون الاعتماد على معجزة إلهيَّة، يعتقدون أنَّها ستحدث لا محالة، إذا هم طبَّقوا الشريعة»[1].

وأقول للكاتب: إنَّه خلط بين الشريعة والفقه، فالشريعة وحي الله، والفقه عمل العقل المسلم في فهم الشريعة. ومن هنا نقول له: إنَّ الشريعة لم يصغها الفقهاء، كما قال، بل صاغها ـ في أسسها العريضة ـ الوحي

(١) بحث ما مدى خطورة الحركة الإسلامية صـ ٧٥.

QaradawiBooks.com

الإلٰهي المتمثل في القرآن والسُّنَّة. وجاء الفقهاء ـ منذ عصر الصحابة ـ فأصَّلوا وفرَّعوا وفصَّلوا، في ضوء الشريعة، والمقاصد المرعيَّة.

وقول الكاتب: «إنَّ الشريعة ـ بكلِّ ما تحتويه من تفاصيل ـ لا تناسب عصرنا». بهذا الإطلاق والتعميم: قول فيه مجازفة لا يجترئ عليها عالم.

وما ذكره عن الرقِّ، فإنَّ الإسلام لم ينشئ الرق، إنَّما أنشأ التحرير والعتق، وليس الرقُّ من فرائض الإسلام ولا من شعائره. بل سبق الإسلام العالم بتوسيع أبواب التحرير، حتَّى جعل من مصارف الزكاة مصرفًا لتحرير الرقاب.

ولم يقُل الإسلاميُّون: إنَّهم سيأخذون الكتب القديمة بكلِّ ما فيها، ليُطبِّقوها ـ كما هي بحذافيرها ـ على العصر الحاضر. والاجتهاد في الإسلام مشروع، إذا صدر من أهله في محلِّه، وهو قابل للتغيُّر بتغيُّر الزمان والمكان والإنسان.

ثم إنَّ الشريعة قد دخلت بلاد الحضارة القديمة ـ في العراق وفارس والشام ومصر والهند وغيرها ـ فلم تعجز عن إيجاد حلول مناسبة لما جدَّ من أحداث، وما طرأ من مشكلات.

والزعم بأنَّ الإسلاميِّين يعتمدون على معجزة إلهيَّة تحدث لتحقيق آمالهم، زعمٌ غير صحيح، فهم يعملون وَفْق سنن الله في الكون والمجتمع، وهي لا تحابي أحدًا. كل ما عندهم أنَّهم يعتقدون أنَّهم إذا نصروا الله نصرهم الله، وهذه عقيدة كل مسلم. وهو قانون إلٰهي سجله القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٧]، ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وهذا أمر مشترك في جميع الأديان، ولا يختص به الإسلام.

QaradawiBooks.com

كما أقول هنا للكاتب: إنَّ الإسلاميِّين ليس كل همهم التطبيق الشكلي للجانب القانوني في الرسالة الإسلاميَّة، إن دائرة الإسلام الحق أوسع من ذلك؛ إنَّه عقيدة وعبادة، وأخلاق وآداب، وأفكار ومشاعر، وعمل وإنتاج، وزواج وأسرة، ولهو وفن، وقانون وتشريع. فالقانون مقوم من نحو أحد عشر مقومًا من مقومات المجتمع المسلم، كما أوضحتها في كتابي «ملامح المجتمع المسلم الَّذي ننشده».

إنَّ الَّذي يعلنه الإسلاميون اليوم: أنَّهم يريدون لأمتهم أن تحيا حياة إسلاميَّة متكاملة، تحرسها العقيدة الإسلاميَّة، وتغذيها العبادات الإسلاميَّة، وتسودها القيم والمفاهيم الإسلاميَّة، وتضبطها الأخلاق الإسلاميَّة، وتجملها الآداب الإسلاميَّة، وأخيرًا تحكمها التشريعات الإسلاميَّة.

ونجد العالم السويسري أرنست تسبيندن، الَّذي قدمه الأخ ثابت عيد بأنَّه أحد كبار علماء الدين في سويسرا، ومن أكثرهم فهمًا للتاريخ الإسلامي، ومن الَّذين ينادون بقيم التسامح والحوار ونبذ العنف، إلخ ـ نجده يسلك الإخوان المسلمين في زمرة أصحاب الفكر المتشدد، حيث يقول في بحثه: «ثم تأسست في مصر جماعة الإخوان المسلمين سنة (١٩٢٨م)، ولم يكن الإخوان في البداية ضد منجزات المدنيَّة الحديثة على الإطلاق، بل اقتصر هدفهم على تربية المسلمين، المفترض أنَّهم نشؤوا على الأخلاق الإسلاميَّة، وتشكلوا بها».

ثم قال: «ولكن جماعة الإخوان المسلمين تطرفت فيما بعد، فقد أعلنت أنَّ الإسلام نظام شامل، قائم على القرآن والسُّنَّة، ولا ينبغي أن

QaradawiBooks.com

يراعي أو يقتبس أي عناصر أخرى؛ وأنَّه صالح للتطبيق والاستعمال في كل زمان ومكان، أي في عصرنا هذا أيضًا»[١] اهـ.

ولا أدري من أين استقى الباحث فكرته: أنَّ الإخوان أصبحوا اليوم ضد منجزات المدنيَّة الحديثة. فإن كان المقصود بها: المنجزات العلميَّة والتكنولوجية والإدارية والتنظيمية، فالإخوان يرحبون بهذه الإنجازات اليوم وغدًا، كما رحَّبوا بها بالأمس.

ودعوى أنَّ الإخوان تطرفوا فيما بعد، بإعلانهم أنَّ الإسلام نظام شامل قائم على القرآن والسُّنَّة، إلخ. دعوى خاطئة من عدة أوجه:

الأوَّل: أن شموليَّة الإسلام ليست من ابتداع الإخوان، فهذا ما قرَّره الفقهاء من قديم: أنَّ الشريعة الإسلاميَّة حاكمة على جميع أفعال المُكَلَّفين. وكل المصلحين الثقات نادوا بذلك من مُحمَّد عبده إلى رشيد رضا، إلى شيوخ الأزهر مثل المراغي ومحمود شلتوت وعبد الحليم محمود وغيرهم.

الثاني: أنَّ قيام النظام الإسلامي على القرآن والسُّنَّة أمر متَّفق عليه بين جميع الأمة الإسلاميَّة وطوائفها، وهو من المعلوم من الدين بالضرورة. وهو لا يمنع الاقتباس من الآخرين ما ينفع المسلمين، وما لا يناقض عقيدتهم أو شريعتهم. وهو ما فعله الصحابة ومن بعدهم.

الثالث: أن إعلان هذه الحقيقة (شمول الإسلام)، ليس من التطرُّف في شيء، وإلا اعتبر جميع علماء المسلمين متطرفين.

(١) بحث الفكر المتشدد في الإسلام صـ ١١٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الرابع: أنَّ الإخوان لم يعــرف عنهم أنَّهم قالوا في يوم من الأيام: إنَّ الإســلام مقصور على الجانب التعبدي أو الأخلاقــي وحده. ومقالات الأستاذ البنَّا المبكرة جدًّا خير دليل على ذلك.

ومما قاله الأستاذ تستيندن: «كذلك فهناك بعض المسائل في الشريعة تحتاج إلى تنقيح مثل مســألة الطلاق، ووضع المرأة على سبيل المثال؛ ولكن أيضًا بعض أحكام القانون الجنائي»[(١)].

وأقول للأســتاذ: إن كان يريد بـ «التنقيح» إلغاء الأحكام أو تغييرها كليًّا، فهذا مرفوض، ولا يملكه أحــد، وإن كان يريد «الاجتهاد» في هذه المسائل في ضوء أصول الشــريعة ونصوصها ومقاصدها، فهذا ما حدث بالفعل. فمنذ عهد الشيخ المراغي سنة (١٩٢٩م) وقضايا المرأة والطلاق وقوانين الأسرة والأحوال الشــخصيَّة تتطور تطورًا بليغًا، وخرج العلماء من أســر المذاهب الضيقة إلى باحة الشــريعة الواســعة. وظهرت كتب ودراســات عدة تتضمن اجتهادات جديدة، بعضها صيــغ في قوانين أو مشروعات قوانين، في شــؤون الأسرة والمرأة للأســاتذة: رشيد رضا، وشــلتوت، ومحمَّد يوسف موســى، وأبي زهرة، وأحمد شاكر، والبهي الخولي، وعبد الحليم أبو شقة، وغيرهم في مصر، ولمصطفى السباعي، ومصطفى الزرقا، وعبد الكريم زيدان، وغيرهم من خارج مصر.

وفي القانــون الجنائي ظهر كتاب عبد القادر عــودة الأصيل والهام: «التشريع الجنائي في الإسلام»، الَّذي تعد ـ اليوم ـ تعليقات إضافية عليه من الدكتور الشاوي[(٢)]، كما ظهرت دراسات عدة جيدة في هذا المجال.

(١) الفكر المتشدد في الإسلام صـ ١١٣.

(٢) (٢) لم يسعف المرض د. توفيق الشاوي، ليكمل شــرحه وتعليقاته على كتاب عبد القادر عودة، وتوفي قبل أن يكمله.

QaradawiBooks.com

ومن الكلمات الطيبة الَّتي ينبغي أن نُنوِّه بها هنا للأستاذ تسبيندن قوله: «وعلى المسلمين والمسيحيِّين أن يتعلموا أن يفهم بعضهم بعضا بصورة أفضل، وأن يكونوا جميعًا أكثر تسامحًا. ولا بدَّ أن يتحول التطرُّف (fundamentalismus) عند الفريقين، من الموقف المتشدد إلى الحب، والإخلاص للمبادئ والأصول الذاتية، ولكن بلا وصاية على الآخر المختلف دينيًّا وفكريًّا»[1].

الجهل بحقيقة الإسلام والمسلمين:

وعلينا أن نعلم أن من أسباب التوتر أو الصراع القائم بين الغرب والإسلام: جهل الغربيِّين بحقيقة الإسلام والمسلمين، وإصرار الكثيرين منهم على هذا الجهل، مع إمكان التصحيح.

خذ مثلًا ما ذكره صاحبا كتاب «الإسلام في سويسرا»، عن تسمية المسلمين «محمَّديِّين»، وهي تسمية يرفضها المسلمون؛ لأنَّ دينهم اسمه «الإسلام»، وليس المحمَّديَّة، ومحمَّد في الإسلام ليس إلهًا يعبد، ولكنَّه رسول مبلغ، قد خلت من قبله الرسل. فإذا كانت البوذية تقوم على عبادة بوذا، والمسيحيَّة تقوم على عبادة المسيح، فالإسلام لا يقوم على عبادة محمد.

ويذكر هذا الكتاب أنَّ السويسريين يعتقدون أنَّ المسلمين يعبدون إلهًا غير إلههم، فالمسلمون يعبدون «الله»، أمَّا هم، فيعبدون (جت Gott). ونسي هؤلاء أو جهلوا أنَّ اللفظَيْن متطابقان، وأنَّ المسيحيِّين العرب من كلِّ المذاهب المسيحيَّة، لا يستخدمون إلَّا لفظ «الله»، عند تحدُّثهم عن الخالق ﷻ.

(١) البحث السابق صـ ١١٣.

QaradawiBooks.com

ومثال آخر: ما ذكره الأستاذان (جيسلينج وهوتينجر) عن موقف الإسلام من البدع. وكأنَّهما يفهمان أنَّ البدع هي كلُّ جديد مُسْتَحْدَث، ولو كان في أمور الحياة.

فيقول جيسلينج: «إذا تمكَّن المرء عن طريق البدع تقوية نفسه، فيكون مسموحًا بها». ومثل لذلك بتكنولوجيا السلاح من الأعداء[١].

وقال هوتينجر: «إنَّ العرب لم يرفضوا البدع عندما ازدهرت حضارتهم، ولكنَّهم رفضوها عندما دخلوا في عصور الجمود والانحطاط»[٢].

جهل الكاتبان أنَّ البدعة الَّتي أنكرها الشرع واعتبرها ضلالة: هي إحداث أمر في جانب الدين، لم يشرعه الله، فلم يبح الإسلام للناس أن يشرعوا في الدين ما لم يأذن به الله. فإن هذا سبيل تحريف الدين وتغييره.

أمَّا أمور الدُّنْيا، فالأصل فيها: الابتكار والإبداع، وفيها جاء الحديث الصحيح: «**من سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة، فله أجرُها، وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة**»[٣].

ولهذا رأينا الصحابة يبتكرون أشياء لم تكن في زمن النبوة، استدل بها الفقهاء على مشروعيَّة المصلحة المرسلة، ورأينا المؤرخين يذكرون في مناقب عمر، «أوليات» لم يسبقه بها أحد، مثل التاريخ وتدوين الدواوين، وغيرهما.

(١) انظر: الإسلام في عيون السويسريين صـ ٣٦.

(٢) المصدر السابق صـ ٣٦.

(٣) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٧)، وأحمد (١٩١٥٦)، عن جرير بن عبد الله.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن هنا ذكرت في عدد من كتبي، وبخاصَّة كتاب «السنة مصدرا للمعرفة والحضارة»: أنَّ الأصل في أمور الدين الاتباع، وفي أمور الدُّنْيا الابتداع. والمسلمون في عصور ازدهارهم اتبعوا في أمور الدين، وابتكروا في أمور الدنيا. فلما تخلفوا عكسوا القضيَّة، فابتدعوا بدعا شتَّى في أمور الدين، وجمدوا أسوأ الجمود في أمور الدنيا[1].

فالواجب على الكتاب الغربيِّين الَّذين يكتبون عن الإسلام أن يعرفوا حقيقة ما يكتبون عنه، وأن يسألوا عنه علماء المسلمين.

وهذا يؤكد لنا ما قاله البروفيسور هانس كينج في كتابه الجديد «مشروع أخلاق عالميَّة»: «إنَّه لا سلام عالميًّا، بلا سلام بين الأديان، ولا سلام بين الأديان، بلا حوار بين الأديان، ولا حوار بين الأديان، بلا دراسات جادة، وأبحاث موضوعية».

ومما نقله الأستاذ ثابت عيد عن الأستاذ إسماعيل أمين قوله بحق: «لا يمكن للمرء أن يتجاهل أن علاقة الغرب بالإسلام مثقلة بتصورات مشوهة جدًّا، وأحكام متأصلة، غير موضوعية، وقد كتب عن ذلك المستشرق الألماني يوسف فان إس في كتابه المشترك مع عالم اللاهوت السويسري هانس كينج Hans Kung الصادر في سنة (١٩٨٧م) بعنوان: «المسيحيَّة والأديان العالميَّة» (Christentumund Weltreligionen)، حيث يقول: «إنَّ ما يسمعه المرء أو يقرؤه عن الإسلام في وسائل الإعلام الغربيَّة، والطريقة الَّتي يتحدَّث بها المثقفون في الغرب عموما عنه، لهو شيء مزعج جدًّا، مزعج بمعنى مزدوج.

(١) السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة صـ ٢٤٥، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

أوَّلًا: بسبب المعلومات غير الصحيحة، والآراء الخاطئة الَّتي تكشف عن نفسها من خلال حكم الأوربيين على الإسلام.

وثانيًا: بسبب النبرة الشيطانيَّة المخيفة الَّتي يتمُّ بها عرض هذه الأحكام عن الإسلام»[1].

الخوف من الإسلام:

ومن الأسباب المهمة لموقف الغربيِّين المتحامل على الإسلام: الخوف من الإسلام. الخوف منه أن ينتصر في داره ويقيم دولة، كما رأينا في موقف الغرب من إيران، ومن السودان مع أن في إمكانه أن يقيم علاقات طيِّبة بينه وبينهما.

والخوف من انتشاره في الغرب. ولذا رأينا بعضهم هنا يوصي باتخاذ العمال من البلاد المختلفة، والإعراض عن العمال المسلمين.

كما رأيناهم يتوجسون خيفة من تزايد موجة التدين بين المسلمين المقيمين في الغرب.

وهذا ما صرح به كتاب «الإسلام في سويسرا» حيث يقول: «أحسن مثال يوضح هذه الظاهرة، هو مثال منطقة بازل. ففي سنة (١٩٧١م) أدَّى المسلمون لأول مرَّة صلاة الجماعة، وكان عددهم في ذلك الوقت بين عشرة وثلاثين مسلمًا، كانوا يجتمعون في أيَّام الجمعة والسبت والأحد في مبنى متواضع في منطقة بازل.

أمَّا اليوم، فيوجد في بازل فقط خمسة مساجد، يجتمع فيها لصلاة الجمعة بين (٥٠٠، ٩٠٠) مسلم، وتتراوح نسبة المتدينين من مسلمي

(١) بحث قضية سلمان رشدي خلفيات العلاقة المتوترة بين الشرق والغرب صـ ١٤٩.

QaradawiBooks.com

سويسرا بين (٢٠٪، ٢٥٪)، وهي في تزايد مستمر، وإذا قارنا بين عدد المسلمين في سويسرا ونسبة المتدينين منهم، وموجة التدين المتزايدة بينهم، من ناحية، والأعداد المخيفة من مسيحيي سويسرا الَّذين يتخلفون عن الكنيسة، والنسبة الضئيلة منهم الَّتي تذهب إلى الكنائس أيَّام الآحاد، من ناحية أخرى، نستطيع أن نتفهم السؤال الوجيه الَّذي يطرحه السويسريون: هل سنسمع في المستقبل القريب، بدلًا من أجراس الكنيسة، صوت المؤذِّن ينادي للصلاة باللغة العربيَّة؟!»[1].

هذه الهواجس والتخوُّفات لا ينبغي أن تحكم علاقة الغرب بالإسلام. بل علاقة التفاهم والتسامح والتعاون في القضايا المشتركة، ولا سيَّما ما يتصل بالإيمان والأخلاق والعدل وحقوق المستضعفين في الأرض.

وآخر ما أختم به هذه المقدمة: هذه الكلمات العاقلة العادلة للأستاذ جيسلينج الَّذي ختم بحثه عن «الشرق والغرب وأزمة سوء الفهم الدائم بينهما» حيث يقول: «إنَّني شخصيًّا مقتنع اقتناعًا تامًّا بأن هناك أرضية مشتركة بين الغرب والعالم العربي، وبأنَّ العلاقات بين الطرفين يمكن أن تتطور بطريقة بناءة ومثمرة، هذا إذا اعترف كل فريق بالقيم والمبادئ الَّتي يؤمن بها الفريق الآخر. وعندما نصل إلى المرحلة الَّتي يحترم فيها كل معسكر معتقدات وقيم المعسكر الآخر، ويقبل حق الآخرين في الاختلاف معه، فمن الممكن أن يعني هذا بالنسبة للغربيِّين: إنَّه لا ينبغي عليهم أن يفرضوا قيمهم ونظرياتهم السياسيَّة على العالم العربي.

وسوف يرتكب الغرب خطأ فادحًا، إذا حاول أن يفرض «نظامًا عالميًّا جديدًا» على منطقة الشرق الأوسط؛ ذلك أنَّه إذا قدر لنظام عالمي جديد

(١) بحث الإسلام في سويسرا صـ ٣٠.

QaradawiBooks.com

أن يظهـــر، فينبغي أن يكـــون مبنيًّا علـــى التفاهم المتبـــادل بين الغرب والعرب. إنِّي آمل أن يتحقق ذلك فعلًا»[1] اهـ.

لقد أطلعنا الأخ ثابت عيد بعمله هذا علـــى صفحة مهمة من علاقة الغرب بالإســـلام، في حيدة وموضوعية، وبعيدًا عن الإثارة والعصبيَّة، وكانت تقديماته وتعقيباته تحمـــل فهمًا نيرًا، وقولًا ســـديدًا، يدل على اســـتنارة ونضج واعتدال، ونحن أحـــوج ما نكون إليها فـــي واقع أُمَّتنا العربيَّة الإسلاميَّة والارتقاء بها. وعســـى أن يكون كتابه هذا خطوة إلى الأمام؛ لتحقيق حسن التواصل بين الغرب والإسلام.

أســـأل الله تعالى أن يســـدد خطاه، وأن يثبت على الحق قدميه، وأن يجعلنا وإيَّاه من الهداة المهتدين.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م

(١) بحث الشرق والغرب وأزمة سوء الفهم الدائم بينهما صـ ٩٠، ضمن كتاب الإسلام في عيون السويسريين، نشر دار بافاريا، ميونخ، ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

مقدمة[١]
الإسلام والتيارات الفكرية العالمية وبحوث أخرى
للأستاذ محمد المبارك[٢]

نحمد الله ونستعينه ونستهديه، ونسأله تعالى أن يُتِمَّ علينا نعمته، وأن ينشر علينا رحمته، ونُصَلِّي ونُسَلِّم على الرحمة المُهداة، سيِّدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته إلى يوم الدين.

وأُحَيِّيكم أيُّها الإخوة بتحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(أما بعد)

فيُسعدني في هذه الليلة الطيِّبة أن أُقَدِّم إليكم، بالنيابة عن هذه الكُلِّية الفتيَّة، وعن اللجنة الثقافيَّة بها عَلَمًا من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر، ورجلًا من رجالات العلم والدعوة إلى الإسلام، ذلكم الأستاذ الكبير

(١) ان هذا التقديم في الأصل لمحاضرة المؤلف رحمه الله: «التنمية الصناعية في إطار الإسلام»، وهي البحث الرابع من أبحاث الكتاب المذكور، وقد ألقى الأستاذ محمد المبارك المحاضرة في جامعة قطر، وقد وكل إليَّ الدكتور محمد إبراهيم كاظم أنْ أتولَّى تقديمه، فقدمته بهذا التقديم المرتجل، وقامت أسرة الأستاذ المبارك رحمه الله بتفريغه، وقدَّمت به كتابه: «الإسلام والتيارات الفِكْرِيَّة العالميَّة».

(٢) نشر دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

محمد المبارك. والأستاذ محمد المبارك غنيٌّ عن التعريف، ولكن جرت العادة أن يُقَدِّم المُقَدِّم كلَّ محاضِر بنبذة عن حياته.

الأستاذ محمد المبارك عرفته صورة واسمًا - صورة شمسيَّة طبعًا - في سنة ١٩٤٨م، في سجل التعارف الإسلامي، في صفحة من صفحات مَجَلَّة عزيزة كانت تصدر في مصر اسمها «الشهاب»، صدر منها عدَّة أعداد فقط، ثمَّ ذهب صاحبُها ومؤسسها بيد الغدر، مؤسِّسُها هو الإمام الشهيد «حسن البنَّا»، مؤسِّس كبرى الحركات الإسلاميَّة في هذا الشرق العربي.

في مجلة الشهاب كان سجلُّ التعارفِ الإسلامي، وكانت صورة، وكان اسمٌ، بل كانت صورة وأسماء لعددٍ من الرجال العاملين في الحقل الإسلامي، وفي الفكر الإسلامي في العالم الإسلامي، كان منهم اسم محمد المبارك، ورسم محمد المبارك.

ثمَّ ظهرت بعضُ مؤلَّفات وبحوثٍ للأستاذ محمد المبارك، فازددنا تعرُّفًا عليه، وإعجابًا به، وحبًّا له، ثمَّ جمعتنا به الظروف فيما بعد في مصر، فازددنا إعجابًا به وتقديرًا وله، وعرفنا أنه من خيرة الرجال، نقول ذلك ولا نزكِّي على الله أحدًا.

هناك من الأشخاص مَن تسمع عنهم، فإذا لقيتَهم زهدتَ فيهم، لكن الأستاذ مبارك كان معنا كما قال الشاعر قديمًا[1]:

كانت مُحادَثَةُ الرُّكبانِ تُنْبِئُنَا عن جابرِ بنِ رَباحٍ أطيبَ الخَبَرِ
حتَّى التَقَيْنَا فَلَا وَاللهِ مَا سَمِعَتْ أُذْنِي بِأَحْسَنَ ممَّا قد رأى بَصَرِي

(١) من شعر الشريف ابن الشجري، كما في جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (٥٩/١)، نشر مؤسسة المعارف، بيروت.

QaradawiBooks.com

الأستاذ مبارك كان من الناس الَّذين جمعوا بين الثقافتَيْن، وهذا هو العنصر المفقود الَّذي نشكو من نُدرته، بل من فقدانه في حياتنا.

هناك أناسٌ درسوا دراسة مدنيَّة، وهناك أناس درسوا دراسة دينيَّة، وبين الطائفتين فَجْوة أو جَفْوة، ولكنْ قليلٌ من الناس من جَمَع بين الدراسة الدينيَّة وبين الدراسة المدنيَّة، مَن جمع بين القديم والحديث؛ أحد هؤلاء كان الأستاذ المبارك، فقد درس على الطريقة القديمة، درس تلقيًا على الشيوخ، في الحلقة، درس على والده رحمه الله، فهو والحمد لله من أسرة علميَّة دينيَّة، حيث كان والده، وكان جدُّه من علماء دمشق المعدودين.

ودرس على كبار الشيوخ في دمشق علومَ الدِّين واللغة، ثمَّ درس الدراسة النظاميَّة في المدارس الابتدائيَّة والثانويَّة، ثمَّ درس في الجامعة، حيث تخرَّج في كلية العلوم ومدرسة الآداب العليا في سنة ١٩٣٥م، ثمَّ ذهب إلى باريس حيث بقي هناك ثلاثَ سنوات، فعاد منها بعد أن تخرَّج في جامعة السوربون في الأدب والاجتماع، ومن يومها يعمل في حقل التربية والتعليم، مُدَرِّسًا في المدارس الثانويَّة، ومفتِّشًا، وعضوًا في اللجان الفنِّيَّة المُخْتَصَّة بالمناهج الخاصَّة بتدريس الدِّين واللغة العربيَّة.

ثمَّ انتقل بعد ذلك سنة ١٩٤٨م إلى الجامعة، حيث عمل مدرسًا وأستاذًا بها، وعمل في كُلِّيَّة الشريعة من يوم تأسيسها برتبة أستاذ في كُلِّيَّة الشريعة، ورئيسًا لقسم الأديان ومقارنة المذاهب، وعميدًا لكُلِّيَّة الشريعة.

ثمَّ انتقل من سوريا إلى بلاد عديدة، حيث عمل في جامعة أم درمان الإسلاميَّة في الدراسات الإسلاميَّة، كما عمل في جامعة الملك عبد العزيز أستاذًا ومستشارًا، وعمل في كُلِّيَّة الشريعة بمكَّة أيضًا رئيسًا لقسم الشريعة.

QaradawiBooks.com

وأسهم بنصيبٍ ملحوظٍ في التخطيط التربوي، وفي العمل في المناهج والخطط التربويَّة فيما يتعلَّق بالدين واللغة والأدب في الثانويَّات الشرعيَّة في سوريا، وفي الثانويَّات العامَّة، وفي كُلِّيَّة الشريعة، في الأزهر في عهد التطوير، وفي جامعة أمُّ درمان الإسلاميَّة، وفي كُلِّيَّة الشريعة بمكَّة، وفى الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة، وفي المعهد العالي بالرياض؛ في كلِّ هذه المواطِن كان الأستاذ مبارك أحد الَّذين شاركوا في التخطيط والتوجيه والتأثير.

وقد اختير عضوًا في المجلس الأعلى للجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنورة منذ إنشائها، كما أنَّه عضو بالمجمع العلمي العربي بدمشق.

لا أريد أن أُحَدِّثكم عن الأستاذ المبارك نائبًا لدمشقَ، أو وزيرًا تولَّى الوزارات المختلفة، فالجانب السياسي لا يُهِمُّنا كثيرًا في هذه الأمسية، إنَّما يُهِمُّنا الجانب العلمي، ويُهِمُّنا جانب النشاط الإسلامي.

الأستاذ المبارك منذ ريعان الشباب كان يعمل في حقل الدعوة الإسلاميَّة، وحينما ذهب سنة ١٩٣٥م إلى باريس كان مهتمًّا بالدعوة إلى الإسلام، وبالتيارات المعادية للإسلام، وخاصَّة الشيوعيَّة. كان يحضر مؤتمرات الشيوعيِّين، ويندسُّ فيهم على أنَّه واحدٌ منهم، وقد يُظْهِر الموافقة على مُقَرَّراتهم حتَّى يعرف ما لديهم، فالإنسان لا يستطيع أن يُحارب عدوًّا حتَّى يعرف ماذا عند عدوِّه.

اشترك بنشاطه في رابطة علماء دمشق، واشترك في تأسيس عددٍ من الجمعيَّات الإسلاميَّة، وكان له دورٌ ملحوظٌ في العمل الإسلامي، وفي الدعوة الإسلاميَّة في سوريا.

QaradawiBooks.com

هذا هو الأستاذ محمد المبارك كعالم وكداعية وسياسي.

وأحب أن أتحدَّث عن الأستاذ المبارك كمُفَكِّر. الحقيقة أنَّنا قد نجد كثيرًا من الناس وُعّاظًا أو دُعاة، لكنَّنا قلَّما نجد الداعية العالم المُفَكِّر، تجد الداعية العالم المُتَمَكِّن، وقد تجد الداعية العالم، ولكنك قلَّما تجد العالم المُفَكِّر الَّذي يُفَكِّر للإسلام، ويُفَكِّر بالإسلام. أي يُفَكِّر بمنطق الإسلام، وبمنطلق من أصوله ونصوصه ورُوحه العامَّة. لكنَّنا نحمد الله تعالى أن كان الأستاذ المبارك أحد الَّذين يفكرون بالإسلام، ويفكرون للإسلام. وهكذا عاش لهذا الدين، وعاش بهذا الدين.

هو أحد العقول القلائل في هذا العالم الإسلامي الَّتي تفكر بالإسلام، وتُفَكِّر للإسلام، ولو أحببنا أن نعُدَّ عشرة عقول في العالم الإسلامي تُفَكِّر للإسلام وبالإسلام، لكان الأستاذ المبارك من ألمعها.

إنَّ من خصائص تفكير الأستاذ المبارك النظرة الشموليَّة للإسلام. إنَّ عيبَ الكثيرين أنَّهم يأخذون الإسلام مُجَزّأً، يأخذون جانبًا وينسون جانبًا أو جوانب؛ ولكن الَّذين وفَّقهم الله هم الَّذين ينظرون إلى الإسلام من جميع جوانبه، لا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، إنَّما يؤمنون بالكتاب كلِّه، وبالإسلام كله. فالإسلام وحدة لا تتجزأ، الإسلام كلٌّ شامل. وهذه هي نظرة الأستاذ المبارك.

وعلى هذا الأساس كان يتبنَّى فكرة تدريس مادَّة اقترح أن تُسَمَّى (نظام الإسلام)، في كلِّ ما شارك فيه من مناهج التربية في الجامعات الإسلاميَّة والعربيَّة. مادَّة يدَرَّسُ فيها الإسلام كلُّه كوحدة لا تتجزأ؛ اقترح ذلك في جامعة الأزهر، وفي جامعة أمِّ دُرمان؛ وفي الجامعة الإسلاميَّة

QaradawiBooks.com

في المدينة المنورة، وفي جامعة الملك عبد العزيز، واقترح ذلك في كلِّ جامعة شارك فيها.

مادة (نظام الإسلام): أن يُنظر إلى الإسلام كلِّه شاملًا، ويُدْرَس على هذا الأساس.

وهو قد شارك في هذا، وألَّف في هذا بالفعل، وقد نال تأليفه في هذا الموضوع إعجاب الكثيرين من أهل الشرق والغرب، وحتَّى من المستشرقين أنفسِهم، على قلَّة المُنْصِفين منهم، هذه النظرة الشاملة يتميَّز بها تفكير الأستاذ المبارك، ومؤلَّفات الأستاذ المبارك.

كذلك يتميَّز الأستاذ المبارك بالاعتدال، بالتوازن، إنَّه لا يقف مُتَطَرِّفًا، ولا يقف على طرف ضد طرف آخر، إنَّه يحاول أن يقف الموقف الَّذي وصف الله به أُمَّة الإسلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

إنه في المعارك التي يقف الناس فيها عادة كلٌّ منهم في طرف يحارب الآخر؛ كمعارك الصوفيَّة والسلفيَّة، أو المذهبيَّة واللامذهبيَّة، أو غير ذلك، نجده يقف الموقف المعتدل الَّذي ينبع من رُوح الإسلام، ومن فلسفة الإسلام، فلسفة الوسطيَّة في الإسلام، وفلسفة التوازن في الإسلام.

ومن كلماته اللطيفة التي سمعتها منه مؤخرًا أنه يقول عن جماعة الصوفيِّين وجماعة السلفيِّين: «إنَّ منهجي هو تسليف الصوفيِّين وتصويف السلفيِّين». أي إنَّ هناك بعض السلفيِّين فيهم نوع من الجفاف الرُّوحي، وهناك كثير من الصوفيَّة أيضًا فيهم من التخريف والبعد عن العقائد

QaradawiBooks.com

الصحيحة، فلا بدَّ من قَدَر مشترك، لا بدَّ من أن تُطَعَّم الصوفيَّة بالسلفيَّة المعتدلة المستمدَّة من كتاب الله وسُنَّة رسوله، ولا بدَّ أن تطعَّم السلفيَّة بِقَدْر من الرُّوحانيَّة المُشْرِقة المعتدلة.

وهكذا كان منهج شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم، فهؤلاء لم يكونوا أناسًا مُجَرَّد مجادلين في العقائد، بل كانوا ربَّانيِّين، أهل روحانيَّة وإشراق.

على هذا المنهج سار الأستاذ المبارك، وأصدر بضعة عشر مؤلفًا، وما زال والحمد لله مستمرًّا في تأليفه.

ونسأل الله تعالى أن يُبارك في عمره، وأن يُؤَيِّده برُوح من لدنه، حتَّى نرى منه الكثير الطيِّب.

أيُّها الإخوة، إنَّها فرصة طيِّبة أن نستمتع ونسعد بالأستاذ المبارك أستاذًا زائرًا لهذه الكليَّة، ومحاضرًا في هذه الليلة الطيِّبة، ونافعًا دائمًا ومباركًا كاسمه، نسأل الله أن ينفع به وأن يُعِزّه ويعزَّ به.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «المُتَطَرِّفون خوارج العصر»

للدكتور عمر كامل[1]

الحمد لله، والصلاة على رسـول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(أمَّا بعد)

فإنَّ التطرُّف آفة خطيرة على الفرد، وعلى المجتمع، وعلى البشـريَّة كلِّها سواء كان تطرُّفًا في الدِّين، أم تطرفًا في الدُّنْيا، أم تطرفًا ضد الدين. وإن كان معظم الَّذين يتحدَّثون عن التطرُّف في عصرنا يكادون يخصُّونه بالتطرُّف الديني، في حين أن هناك تطرفًا لا دينيًّا أشدَّ منه خطرًا، وأبعد أثرًا، وأعظم شـررًا. وكثيرا ما يكون هذا التطـرُّف اللاديني هو المولد الأوَّل للتطرُّف الديني.

والإسلام أعظم دين رفض التطرُّف، وإن لم يسمه بهذا الاسم، ولكن الاعتبار ليس بالأسماء والعناوين، بل بالمسميات والمضامين.

والتطرف في الإسلام يقع تحت جملة عناوين:

(١) نشر دار بيسان، بيروت، ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

أولها: عنوان «الغلو»، وفيه جاء حديث ابن عبَّاس، عن النبيِّ ﷺ: «**إيَّاكم والغلوَّ في الدِّين، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلوِّ في الدِّين**»[(١)].

ثانيها: عنوان «التنطُّع»، وفيه جاء حديث ابن مسعود في صحيح مسلم، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ألا هلك المُتَنَطِّعون**» قالها ثلاثًا[(٢)]. والمتنطِّعون هم المتعمِّقون المبالغون، الخارجون عن حدِّ الوسط.

ثالثها: «التشديد»، كما جاء في حديث أنس مرفوعًا عند أبي داود: «**ولا تُشَدِّدوا على أنفسكم، فيُشَدَّد عليكم، فإنَّ قومًا شدَّدوا على أنفسهم، فشُدِّد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والدِّيارات، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾** [الحديد: ٢٧]»[(٣)]، وجاء هذا المعنى من حديث سهل بن حنيف أيضًا[(٤)]، وفي حديث أبي هُرَيرة عند البخاري: «**لن يُشَادَّ الدِّينَ أحدٌ إلَّا غلبه**»[(٥)].

ورابعها: «التعسير»، فقد روى الشيخان، عن أنس، أنَّه ﷺ قال: «**يَسِّروا ولا تُعسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا**»[(٦)]. ورويا أنَّه أرسل أبا موسى

---

(١) رواه أحمد (١٨٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، ثلاثتهم في الحج، والحاكم في الصوم (٤٦٦/١)، وصحَّحه على شرطهما، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٤٥٥)، عن ابن عباس.

(٢) سبق تخريجه صـ١٩٨.

(٣) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٤)، وأبو يعلى (٣٦٩٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٦/٦): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء، وهو ثقة. وقال الألباني في الضعيفة (٣٤٦٨): إسناده يحتمل التحسين. عن أنس.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٧٣/٦)، والأوسط (٣٠٧٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٠): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، وثقه جماعة، وضعفه آخرون.

(٥) رواه البخاري في الإيمان (٣٩)، عن أبي هريرة.

(٦) سبق تخريجه صـ١٩٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومعاذًا إلى اليمن، وأوصاهما بهذه الوصية الجامعة: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[١].

وخامسها: «التنفير»، كما جاء في الحديثين السابقين، والغالب أن يكون التعسير في مجال الفقه والفتوى، والتنفير في مجال التبليغ والدعوة.

والإسلام يريد للمسلم ـ كما يريد للأمة ـ أن ينهج المنهج الوسط، بعيدًا عن الإفراط والتفريط، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧ ـ ٩]، فهذا هو المطلوب: لا طغيان في الميزان، ولا إخسار في الميزان، بل توسط واعتدال.

وقال تعالى في الثناء على الأمة الإسلاميَّة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والوسطيَّة كما تعني الخيريَّة، تعني التوازن والاعتدال أيضًا.

وقال الإمام عليٌّ رضي الله عنه: عليكم بالنمط الأوسط، يلحق به التالي، ويرجع إليه الغالي[٢].

وقال الحسن البصري: يضيع هذا الدين بين الغالي فيه والجافي عنه.

وأصل التطرُّف أن يكون في الفكر، ولكنَّه كثيرًا ما يؤدي إلى العنف، واستحلال حرمات المخالفين له، ومن هنا ارتبط التطرُّف بالعنف في أذهان الكثيرين، مع أنَّه لا تلازم بينهما.

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٣٠.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٨٤.

QaradawiBooks.com

وقد ابتليت أمتنا من قديم بالغلاة من الخوارج، الَّذين استحلوا دماء المسلمين الآخرين وأموالهم، من كل من لا يرى رأيهم، حتَّى كفروا ابن الإسلام البكر: علي بن أبي طالب، وقاتلوه، ثمَّ قتلوه غيلة وغدرا، متقربين إلى الله بسفك دمه الطاهر رضي الله عنه، حتَّى قال شاعرهم في مدح قاتله، ويا لشناعة ما قال:

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا
إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسِبُهُ أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللهِ مِيزَانَا[1]

كان هؤلاء من المتعبدين المكثرين للصيام والقيام وتلاوة القرآن، حتَّى جاء فيهم الحديث الصحيح: «**يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يُجاوز تراقيَهم، يمرُقون من الدِّين كما يَمْرُق السهم من الرَّمِيَّة**». بين الحديث الشريف أنَّ آفة هؤلاء ليست في ضمائرهم، إنَّما آفتهم في عقولهم، فهم يقرؤون القرآن، ولكنَّها قراءة لا تتجاوز الحناجر، لا تدخل إلى العقول لتفهم، والقلوب لتستبصر، وفي آخر الحديث وصفهم بأنَّهم يَدَعون أهل الأوثان، ويقتلون أهل الإسلام[2]!

وفي عصرنا ابتُليت أمَّتُنا بأصنافٍ من الغلاة ورثوا غُلُوَّ الخوارج القديم، ربَّما كان لدى بعضهم إخلاص الخوارج، مع سوء فقههم، وربَّما لم يكن عند آخرين منهم إلَّا الدعاوى العريضة، لا فقه ولا إخلاص،

(١) من شعر عِمران بن حِطَّان، شاعر من الخوارج، كما في الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١١٢٨/٣)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

لا يحملون عقلا ذكيًّا، ولا قلبا نقيًّا، وإنَّما هم مغرورون، غرتهم أنفسهم، وغرتهم الأماني، وغرهم بالله الغرور، وإذا اجتمع الجهل والغرور كانت فتنة في الأرض وفسادٌ كبير.

ولقد تصدَّى صديقنا العزيز الدكتور عمر عبد الله كامل، لتعقب هؤلاء الغلاة أو المتطرفين، وتفنيد شبهاتهم، والرد على دعاويهم الباطلة.

وقد أوتي الدكتور عمر قلمًا سيالًا، جنده لنصرة الحق كما يراه، ولفضح الباطل وبيان زيفه، فقد رد على غلاة العِلْمانيِّين، مثل سعيد العشماوي، ونصر حامد أبو زيد، وأمثالهما.

ولقد شغلت منذ نحو ربع قرن، بما شغل به الدكتور عمر كامل الآن، أي بالوقوف في وجه التطرُّف والمتطرفين، لما رأيت خطره على الدين والدنيا، وعلى الفرد والمجتمع.

وأصدرت في ذلك رسالتي «ظاهرة الغلو في التكفير»؛ لمقاومة تلك الموجة العاتية الَّتي برزت أوَّل ما برزت في مصر، وسرت العدوى في غيرها بعد ذلك: موجة تكفير النَّاس بالجملة.

ثم أصدرت رسالة «صحوة الشباب المسلم: ظاهرة صحية يجب ترشيدها لا مقاومتها».

ثمَّ أصدرت سلسلة «كتاب الأُمَّة»، كتابي «الصحوة الإسلاميَّة بين الجحود والتطرُّف»، وهو يتحدَّث عن ظاهرة التطرُّف وعلاماته وأسبابه وعلاجه.

ثم ظهرت عدة كتب في ترشيد الصحوة، ومقاومة الغُلُوِّ والتنطُّع، ولا غرو فالموضوع في غاية الخطورة، ويجب أن تتصدى له الأقلام

QaradawiBooks.com

الواعية المقتدرة على التصدي له ببصيرة وقوة من ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [صٓ: ٤٥].

ولقد رأينا نتيجة الغلو فيما يجري في أرض الجزائر الحبيبة، من دماء تُسْفَك، وحرمات تُهْتَك، وأبكار تُغْتَصب، وأموال تُنْتَهب، ومنشآت تُدَمَّر، وينسب هذا ـ واأسفاه ـ إلى الإسلام!

ولهذا وقفت قلمي ولساني وفكري على الدعوة إلى الوسطيَّة والاعتدال، ورفض الغلو والتفريط، سواء في مجال الفقه والفتوى، أم في مجال التبليغ والدعوة.

وقد قال الإمام الشاطبي: «المفتي البالغ ذروة الدرجة، هو الَّذي يحمل النَّاس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدَّة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال»[(١)]. هذا في مجال الفتوى.

وفي مجال الدعوة، قال الإمام علي: ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ من لم يوئس عباد الله من روح الله، ولم يؤمنهم من مكره[(٢)]. أي يحملهم على الوسط، فلا يخوفهم حتَّى يقنطوا من رحمة الله، ولا يرجيهم حتَّى يأمنوا من مكر الله، وإنَّما يمزج الترغيب بالترهيب، والرجاء بالخوف، والوعد بالوعيد، حتَّى تتوازن في النفس كفتا الميزان: خوفًا وطمعًا، خشية ورجاء، كما وصف الله بعض عباده بأنَّهم ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

(١) الموافقات (٢٥٨/٤)، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

(٢) رواه الدارمي في المقدمة (٣٠٥)، وأبو داود في الزهد (١٠٤).

غير مرخصة للطباعة
نسخة دقيقة
QaradawiBooks.com

ولقد أحسن الدكتور عمر كامل في تحديد ما هو التطرُّف، فإن بعض الناس، يجعل من يصلي في المسجد متطرفا، ومن يطلق لحيته متطرفا، ومن تلتزم الحجاب ـ ناهيك بالنقاب ـ مُتَطَرِّفة!

والتطرُّف ظاهرة بشريَّة، فالإنسان إذا لم يعصمه منهج راشد من الله تعالى، مال إلى الإفراط أو التفريط، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ومن هنا رأينا التطرُّف في كل الأديان، وفي سائر القارَّات، وليس مقصورًا على المسلمين وحدهم، كما يزعم ذلك أعداء هذا الدِّين.

رأينا ذلك عند الأمريكان، كما تجلى ذلك في حادثة (أوكلاهما)[1].

ورأيناه في الهند، كما تمثل ذلك في اغتيال أنديرا غاندي، وابنها راجيف غاندي.

ورأينا ذلك في إنجلترا، كما تبين ذلك في أعمال الجيش الجمهوري الأيرلندي.

ورأينا ذلك في اليابان، كما في أحداث الأنفاق، الَّتي ارتكبها من يسمون «أنصار الحقيقة السامية».

ولسنا في حاجة إلى الحديث عن التطرُّف في إسرائيل، فهي أمُّ التطرُّف، منذ عهد العصابات وإلى اليوم.

في الختام أسأل الله تعالى للدكتور عمر التوفيق والسداد، والثبات على الحقِّ والخير، وأن يرزقنا وإيَّاه الوسطيَّة والاعتدال في مقاومة

(١) حادثة تفجير شاحنة متوقفة أمام مبنى ألفريد مورا الفيدرالي في ولاية أوكلاهوما في وسط المدينة، على يد أمريكي متطرف، في ١٩ أبريل ١٩٩٥، قدر عدد القتلى بـ ١٦٨ بينهم ١٥ طفلًا.

QaradawiBooks.com

التطرُّف، فلا نحارب التطرُّف بتطرُّف مثله، وأن يُجَنِّدنا وإيَّاه في نصرة دينه، وإعلاء كلمته في الأرض، حتَّى يُحَقِّق الله وعده لهذه الأُمَّة بالتمكين، ولهذا الدين بالظهور.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

٢٠٠١م

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة «خطب الشيخ مُحمَّد الغزالي الجزء السادس»

إعداد الدكتور قطب عبد الحميد قطب(١)

الحمد لله الَّذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلواته وتسليماته على خاتم رسله، الَّذي أرسله رحمة للعالمين، وحجة على النَّاس أجمعين، سيَّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فقد عرفت شيخنا الإمام مُحمَّد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ أوَّل ما عرفته قارئًا لمقالاته، الَّتي كان يدبجها قلمه البليغ في مجلَّة «الإخوان المسلمون» الأسبوعية، ثمَّ لكتابيه اللذين صدرا قبل محنة الإخوان في ديسمبر ١٩٤٨م، وهما: «الإسلام والأوضاع الاقتصاديَّة» و«الإسلام والمناهج الاشتراكيَّة».

عرفت فيما سطره الشيخ لونًا جديدًا من الكتابة، يجمع بين الدين والأدب، وبين العقل المتفتح والقلب المؤمن، وبين الفكر الثائر على الباطل والإيمان المستمسك بالحق. كان الشيخ في ذلك الوقت في العشرينيات من عمره، ولكن كان قلبه يمثل توقد الشباب، وعقله ينضح بحكمة الشيوخ.

(١) نشر دار الاعتصام، القاهرة.

QaradawiBooks.com

ثم قدر الله لي ـ وكان هذا من فضل الله علي ـ أن ألتقي بالشيخ في معتقل الطور، وأنا طالب في السنة الخامسة الثانويَّة بالمعهد الديني، وقد اختار المعتقلون الشيخ الغزالي قائدا لهم، ليتحدث باسمهم، ويقود سفينتهم، فقد تعلَّموا من سُنَّة نبيِّهم: «**إذا خرج ثلاثة في سفر، فليُؤَمِّروا أحدَهم**»[1].

كان المعتقل مقسمًا إلى حذاءات، وكل حذاء مقسم إلى عدد من العنابر، وكل حذاء له إمامه، الَّذي يؤم المعتقلين في الصلوات الخمس، ويخطبهم في الجمعة، ويلقي عليهم العظات بين الحين والحين. وكنا في الحذاء رقم (٢)، وكان إمامنا وخطيبنا فيه الشيخ الغزالي، فكان من حسن حظي أن أستمع في كل جمعة إلى خطبة الشيخ الغزالي، وإلى دروسه وعظاته في أوقات متناثرة، وخصوصًا بعد صلاة الصبح، وبعد صلاة العصر.

كنت أترقب يوم الجمعة ترقب الحبيب للقاء حبيبه، لأستمتع بخطبة الشيخ، فما كانت خطبته إلَّا قطعة أدبيَّة رائعة، كأنها سبيكة من الذهب الخالص، صاغتها يد صائغ ماهر، فجعلت منها تحفة فنية، ألفاظ منتقاة، وجمل متناسقة، وعبارات ليس فيها وعورة المتقعرين، ولا ابتذال المسفين، واستعارات وتشبيهات تجعل المعقول كأنَّه محسوس، والغريب كأنَّه مألوف مأنوس، واستحضار للقرآن الكريم كأنَّه مائدة مصفوفة بين يديه، يأخذ منها ما يشاء، وقلب يفيض خشوعًا وخشية من فرط حبه لله، وخوفه من الله، وتعظيمه لرسول الله، وروح علوي يحلق

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٨)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٧): إسناده حسن صحيح. عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

بك في آفاق السماء، مع الملائكة الأطهار، ونفس ثوريٍّ يؤجّجُ فيك شعلة الحماس للحق الَّذي يدعو إليه، وللرسالة الَّتي يريد تبليغها.

لا زلت أذكر أوَّل خطبة جمعة سمعتها من الشيخ الغزالي في معتقل الطور، وهو يتحدَّث عن «الفرعونيَّة» الحاكمة بأمرها في البلاد، و«القارونيَّة» الكانزة لمال الله عن العباد، و«الهامانيَّة» المتوسطة بينهما في مساندة الطغيان والفساد: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۞ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ۞ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ۞ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٣ ـ ٢٦].

وهكذا يظهر فرعون الطاغية المتأله المتجبر في صورة المشفق على الشعب وعلى مصالحه، الخائف عليه من موسى أن يبدل دينه، ويظهر في الأرض الفساد.

على حين يقول فرعون لقومه عن نفسه: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، فيا عجبا! موسى يبدد الدين، ويظهر في الأرض الفساد، وفرعون يرى السداد، ويهدي سبيل الرشاد!

وكذلك كانت خطب الشيخ كلُّها تثقيفًا وتنويرًا، وتوعية وتفقيهًا في الدين، و«**من يُرِد الله به خيرًا يفقِّهْه في الدِّين**»[1].

وعلى هذا النهج، وبهذه الروح استمرت خطب الشيخ بعد أن ازداد فكره نضجًا، وعلمه اتساعًا، وبصره بالدين والحياة قوَّة ومضاء، وبعد أن

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٧)، عن معاوية بن أبي سفيان.

QaradawiBooks.com

علا صيته، وغدا لسان الدعوة الإسلاميَّة الناطق، وعلمها الخافق، وممثلها الصادق في مشارق الأرض ومغاربها.

كان النَّاس يهرعون ـ ألوفًا ألوفًا ـ إلى المسجد الَّذي يخطب فيه؛ ليتعلموا منه، ويأخذوا عنه، ويستقوا من ينابيعه الصافية، ويعرفوا من حقائق الإسلام: عقائد تلائم الفطرة، وعبادات تزكي الأنفس، وأخلاقا تحيي الضمائر، ومعاملات تحقق العدل، وآدابًا تجمل الحياة، وشرائع ترقى بالمجتمع.

كان يخطب في جامع الزمالك بالقاهرة، ثمَّ انتقل إلى الجامع الأزهر، ثمَّ منع من الخطابة، حتَّى رأى وزير الأوقاف الشيخ عبد الحليم محمود سيِّدنا عمرو بن العاص في رؤيا، كأنَّما يشكو إليه من هجران مسجده، فأراد الشيخ أن يحيي المسجد بتكليف الشيخ الغزالي أن يخطب فيه، فإذا المسجد المهجور يعمر ويحيا ويمتلئ بالمصلين القادمين إليه من كل حدب وصوب من أبناء مصر المسلمة الوفية لدينها، المعتزة بربها وقرآنها ورسولها.

كانت خطب الشيخ الغزالي موصولة بالحياة، بواقع الناس، بهموم الأمة، بقضايا الإسلام الحية، كانت تمثل وعي العقل المؤمن، ونبض القلب الحي، وحس المسلم المعاصر، بما تدور به رحى الحياة من أحداث، وما يمور به العالم من تيارات، وما يحيق بالمسلمين من مصائب.

وكانت خطب الشيخ تُسَجَّل في أشرطة وتُعَمَّم في أنحاء مصر، بل خارج مصر، وكان النَّاس يتجاوبون معها من الإسكندرية إلى أسوان، حتَّى قال بعض كبار الصحفيِّين عن هذه الخطب: إنَّها أوسع الصحف انتشارًا.

QaradawiBooks.com

لقد أنشأ الشـــيخ بخطبه «مدرسة» إســـلاميَّة متميِّزة، لها منهجها، ولها تميُّزها، ولها مذاقها، ولها تلاميذها، بعضهم مباشرون يشهدون الجمعة، ويتلقَّون من الشـــيخ شـــفاهًا، وبعضهم يتتلمذون عن طريق الأشـــرطة، الَّتي هيَّأها العلـــم للناس في هذا العصـــر، فأصبحت من وسائل الدعوة إلى الإســـلام، وإن كان بعضهم اتَّخذها وسيلة لإشاعة الخلاعة والفساد.

مدرسة الشيخ الغزالي تقوم على مخاطبة العقل والقلب، ومزج الدين بالدنيا، وربط الدعوة بالواقع، وجعل الغاية رضوان الله تبارك تعالى.

كم كنت أتمنى أن تفرغ خطب الشـــيخ لتنشـــر مكتوبة، كما ألقيت مســـموعة، فينتفع النَّاس بها إلى آفاق العالم الإسلامي، وفي الجاليات والأقليات الإســـلاميَّة، حتَّى وفـــق الله أخانا الحبيب الداعيـــة الموفق، والعالم النابه، والخطيـــب الناجح، الدكتور قطب عبد الحميد قطب إلى تحقيق هذا الحلم، وإخراجه إلى حيز التنفيذ، بتشجيع وتأييد من الأسرة المباركة: آل عاشور، حفظ الله أحياءهم، ورحم أمواتهم.

بهذا أمست خطب الغزالي تراثًا مكتوبًا، يقرؤه من يحب أن يقرأه وينهل منه. ولا ريب في أنَّ قارئ خطب الغزالي ســـيجد فيها علمًا نافعًا، وفكـــرًا مضيئًا، وأدبًا رفيعًـــا، وإيمانًا دافقًا، وتفســـيرًا ناصعًا للقرآن، وفقهًا عميقًا للسُّـــنَّة، وقراءة مبصرة للتراث، واســـتفادة نيرة بالتاريخ، وفهمًـــا متوازنًا للواقع، وقبل ذلك كلـــه يحس القارئ ذو القلب الحي أن هذه الخطب ليســـت مجرد شقشـــقة لسان، بل هي خفقات قلب يذوب إخلاصًا لله، وحبًّا لرسول الله، وشفقة على عباد الله، وغيرة على دين الله.

QaradawiBooks.com

ولقد رجعت إلى ما كتبته عن خطب الشيخ في كتابي «الشيخ الغزالي كما عرفته ـ رحلة نصف قرن»، فوجدت فيه كلمات يحسن بي أن أسجلها في هذا السياق.

قلت عن خطبه: «إن خطبه دائمًا تخدم موضوعًا علميًّا محددًا، يوضح معالمه وعناصره، ويستدل له من القرآن الكريم، الَّذي يستحضر آياته في كل موضوع كأنها مصنفة بين يديه، ومن السُّنَّة المُطهَّرة، الَّتي قرأ كثيرًا منها فأحسن قراءته، والفهم له، والاحتجاج به.

وربما استدل بالضعيف منها ـ في بعض الأحيان ـ أخذا برأي جمهور العلماء في الاستدلال بالضعيف في الترغيب وفضائل الأعمال.

وهي دائمًا مرتبطة بالواقع، تقوم عوجه، وتعالج أمراضه، وتسدد مسيرته، في ضوء تعاليم الإسلام.

والشيخ داعية وناقد اجتماعي بصير، ينفذ ببصيرته إلى ما وراء الظواهر والأعراض، ليكشف عن حقائق العلل والأمراض، ولا يغره الزيف ولا التهويل، الَّذي يغطي العيوب بتمويهات لا تخفى على اللبيب، كما لا تخفى حقيقة الداء على الطبيب.

وهو في خطبه معلم موجه، أكثر منه خطيبًا محرضًا.

وهو يخطب كما يكتب، عذوبة ورشاقة وأناقة، فخطبه كلها، قطع أدبيَّة، لا تجد فيها حوشي الكلام، ولا سوقيه، كما لا تجد فيها التقعر والإغراب، الَّذي يحوجك إلى المعاجم لتبحث عن معاني ما سمعت.

وقارئ هذه الخطب يجد فيها أثر الثقافة المتنوعة، والتمكن الأزهري، وأصالة الدراسة اللُّغويَّة والأدبيَّة.

QaradawiBooks.com

وهــو متمكِّن من اللغــة، واعٍ لقواعــد النحو والصــرف، لا يلحن ولا يخطئ، كأنَّما يقرأ صحيفة مضبوطة بالشكل.

وهو حريص على أن يكون أداؤه صحيحًا مائة في المائة، ولا يسامح نفسه في زلة يسبق بها لســانه. وقد رأيته مرَّة تحمس في خطبة فسبقت إلى لسانه هفوة نحوية يسيرة، فأسف لذلك أسفًا شديدًا، وقال: هذا نتيجة الانفعال، وسأحاول ألا أكرر ذلك ما استطعت!

ويلحظ المهتم بالعربيَّة أنَّ الشيخ يراعي الدقائق النحوية الَّتي يغفل عنها كثيرون، مثل اجتماع الشــرط والقســم، وتقديم القسم أو ما يدل عليه، فلا يقع فيما يقع فيه من لا يعرف القواعد، ويقرن الجواب بالفاء. كقول بعضهم: لئن فعلتم كذا فســيعاقبكم الله. والصواب: لئن فعلتم كذا ليعاقبنكم الله. وفي هذا يقول ابن مالك:

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ، فَهْــوَ مُلْتَزَمْ[1]

ولقد حدث الشــيخ عن نفســه: أنَّه بعد تخرُّجه عُيِّــن إمامًا وخطيبًا بـ «مسجد عزبان» بالعتبة، وأنَّه بعد عدة أسابيع نفدت بضاعته ولم يجد ما يقوله للنــاس، فبدأ تكوين نفســه من جديد، يقرأ فــي علوم الدين، ومعارف الدُّنْيا، في الكتب القديمة والكتب الحديثة، في مصادر الشرق وما ترجم عن الغرب، حتَّى أمكنه أن يرضى عن نفسه، وأن يجد عندها ما يستطيع أن يمنحه لغيره. فالشهادة ليست هي نهاية العلم، بل مفتاحه، والداعية يجــب أن يظل قارئًا ما عاش، فالقراءة هــي حياته، والله تعالى يقول لرســوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، والسلف يقولون: لا يزال

(١) ألفية ابن مالك صـ ٥٩، نشر دار التعاون.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المرء عالمًا ما طلب العلم، فإذا ظن أنَّه علم فقد جهل[١]. ومن مأثوراتهم: اطلُب العلم من المهد إلى اللحد.

وقد شـدَّت خطب الغزالي جماهير المثقَّفين والشباب إليه، فكانوا يفـدون إليه من أنحاء شـتَّى، مسـتمعين ومسـتفيدين، وخصوصًا في المسـاجد الَّتي كان يخطب فيها بانتظام، مثل مسجد الزمالك، وجامع الأزهر، وجامع عمرو بن العاص، الَّذي أُحيته خطب الشيخ بعد أن كان شبه مهجور، وهو أوَّل مسجد أسس للإسلام في إفريقيا.

أنشأت هذه الخطب مدرسـة إسلاميَّة في فهم الإسـلام وإفهامه، وهي مدرسـة تقدم الدين من ينابيعه الصافية، موثقًا بالأدلَّـة، خالصًا من الزوائد والشوائب، بعيدًا عن التحريف والتزييف، لا تسـكت عن حق، ولا تتكلم بباطـل، ولا تبيع دينا بدنيا، ولكنَّها لا تعرض لأشـخاص بأسـمائهم على المنبر، ولا تعتمد الإثارة والتهييج في الموضوعات الحساسة، بل تعالج أدق القضايا بمبضع الجراح، متبعا ما أمر الدين به من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ومستأنسًا بما قاله السلف: من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف.

وبالرغم مـن أنَّ الغزالي الخطيـب كان هو المسـؤول عن الدعوة وشؤون المساجد في وزارة الأوقاف المصرية، نراه يقول الحقَّ وإن كان مُرًّا، لا يخشى في الله لومة لائم، وهذا ما أزعج السلطات، الَّتي تتوجَّس من هذا النوع مـن الخطب الَّتي تنيـر العقول بالحقائـق، قبل أن تثير المشاعر بالمبالغات.

وانتهى الأمر بمنع الشيخ من الخطابة بمسجد عمرو بن العاص»[٢].

---

(١) من كلام ابن المبارك، رواه الدينوري في المجالسة (٣٠٨)، تحقيق مشهور بن حسن، نشر دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

(٢) الشيخ الغزالي كما عرفته صـ ٦١ ـ ٦٣، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

هذا الجزء السادس:

وإنَّه ليسرني أن أكتب هذا التقديم للجزء السادس من خطب الشيخ، الَّتي يعدها ويعلق عليها أخونا الدكتور قطب، فقد أصدر خمسة أجزاء من خطب شيخنا، وكأنَّه توقف أو تكاسل.

فلما سعدت بلقائه في سنة (١٩٩٩م)، استحثثته على أن يكمل المسيرة الَّتي بدأها، ويقدم هذا الزاد العقلي والإيماني للأمة في وقت هي أفقر ما تكون إليه.

ولم يكن غريبًا أن يستجيب (ابننا النجيب وأخونا الحبيب) للرجاء، متممًا الشوط، ومخرجًا هذا الجزء السادس الَّذي أكتب له هذه المقدّمة.

وأشهد، لقد قرأت بعض نماذج هذا الجزء، فكنت أشعر بنشوة يكاد يرقص لها قلبي طربًا، واستشعرت شيخنا الغزالي حيا أمامي، يخرج هذه اللآلئ المكنونة ممَّا أفاء الله عليه من علم وإيمان.

انظر إلى هذه الخطبة الَّتي ألقاها الشيخ بجامع عمرو بن العاص في (١٦ فبراير ١٩٧٣م)، وما أخذت من معان جديدة، وأفكار فريدة، ونظرات ثاقبة، وتقديم للإسلام المتكامل الَّذي تنهض به الأمة، وتحيا به المجتمعات. ووقفات تفسيرية رائعة للقرآن، كتفسيره لكلمة «التمكين في الأرض»، فهي لا تعني أي لون من الحياة، أو أي نوع من العيش، بل تعني الحياة الراسخة، تعني: القدرة على استغلال قوى الأرض، واستثارة خيراتها، وإدراك قوانينها، والبصر بما أودع الله في جنباتها. ومن جهل أو عجز عن ذلك، لم يدخل في عداد الَّذين قال الله فيهم: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠].

QaradawiBooks.com

ومثل ذلك كلمة «ذلول» في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الملك: ١٥] يقول الشيخ: إنَّك لا تصف الدابة بأنَّها «ذلول»، إلَّا إذا كنت تستطيع ركوبها وتسييرها، وتملك قيادها وتسخيرها، وتصرفها كيف شئت، وهي طوع أمرك، أمَّا إذا جمحت بك، وصعب عليك قيادها، فلا تسمى ذلولًا. والأرض إنَّما تكون ذلولا للأمم العالمة، الَّتي عرفت أسرارها، واستكشفت قوى الله فيها، ونعم الله المبثوثة في ظواهرها وخوافيها، عندئذ تكون الأرض ذلولًا.

ويتحدَّث الشيخ عن معاني التفكر، والتعقل، والتذكر، في آيات سورة النحل وما تدلُّ عليه، وما توحي به، كما يتحدث عن فروض العين وفروض الكفاية، مثل فرض تعلم الكيمياء والفيزياء والفلك والطب والهندسة والتفوق فيها، على الأمة، وهو حديث ينبئ عن فقه وثيق، وفهم دقيق. وعن الحضارة الإسلاميَّة، وكيف قامت على العلم والإيمان ومكارم الأخلاق، وكيف صانت الحُرِّيَّات والحرمات وحقوق الإنسان، وأنَّه عندما كان الملوك يتحكَّمون في مصير الأمم باسم الحقِّ الإلٰهي، كان حاكم المسلمين في المدينة يقول للناس: إنِّي وُلِّيت عليكم ولستُ بخيركم، إن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقَوِّموني[1].

إنَّ العرب قادوا الدُّنْيا بعقل صنعته الآيات الَّتي جعلت القرآن كتاب العقل، فهو ذكرى لأولي الألباب، وآيات لقوم يعقلون.

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢١٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ. وصحَّح إسناده ابن كثير في البداية والنهاية (٤١٤/٩)، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، نشر دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م. عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

ويعجب الشـــيخ كيف تجد الشـــيوعيَّة رؤوسًـــا، أو تجد نفوسًا في أوطاننا، لولا التخريب العقلي في مناهج الدراسة على امتداد مراحلها.

وفي خطبة الشـــيخ الثانية، تحدث عن دور علماء الأزهر التاريخي، أيَّام المماليـــك، وأيام الثورة الفرنســـية، وكيف قادوا الشـــعب، وقادوا المقاومة، وقتل منهم من قتل حول القلعة، وكيف وقفوا مع ثورة عرابي ضد الإنجليز، وضد الخديوي نفسه.

وهكذا كلُّ خطب الشـــيخ، التأمل فيها، والعيـــش معها متعة للذهن، وسياحة للعقل، وسعادة للروح، وحياة لليقين، ومعايشة للواقع، ومعالجة لمشكلاته في ضوء الإسلام، الَّذي هو مبدأ الشيخ ومنتهاه، وسره ونجواه.

رحم الله الشيخ الإمام مُحمَّد الغزالي، وغفر له، وجزاه عن دينه وأمته خير ما يجزي به الأئمَّة الربانيين.

وشكر الله لأخينا وحبيبنا الشيخ قطب عبد الحميد، ما قام ويقوم به من إحياء هذا التراث، وتقريبه للناس، في هذه الصورة المشرقة الجنبات، الحافلة بالتعليقات. وأدعو الله أن يمـــدَّه بعونه وتوفيقه، حتَّى يخرج كل ما للشيخ من خطب ومحاضرات، تضيء السبيل للمسلمين.

والحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة
«الميثاق الإسلامي»(١)

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على من أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على النَّاس أجمعين، سيَّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا ومعلمنا مُحمَّد الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الغر الميامين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فقد كان من فضل الله تعالى ورحمته: أن هيَّأ نخبة من علماء الأمة الإسلاميَّة للدعوة إلى إقامة: «اتِّحاد عالمي لعلماء المسلمين»، يجمع شتاتهم، ويوحد كلمتهم في مواجهة المواقف الَّتي تمسُّ الأُمَّة المسلمة، في مشارق الأرض ومغاربها، ويقول كلمته الإسلاميَّة الخالصة، المعتمدة على محكمات القرآن والسُّنَّة، ورؤية الواقع المعيش، مقدرًا الظروف العالميَّة، والأوضاع الإقليميَّة، لا يخاف في الله لومة لائم، ينصح للسلطان بما يرضي الله، ويدفع طاقات الأمة في طريق التحرر والوحدة

(١) طبعة خاصة بالاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

QaradawiBooks.com

والبناء، ولذا جعل شعاره قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

والحمد لله أن قام هذا الاتحاد، وبدأ يباشر نشاطه، ويصدر بياناته، وفتاواه، ويستكمل سائر مكوناته.

وقد رأى مجلس الأمناء أن يكون للاتحاد «ميثاق» يوضح رؤيته الإسلاميَّة للقضايا الكبرى، وموقفه منها؛ ليكون هو الأساس والمحور الَّذي ينضم إليه المنضمون بناء عليه، وقد عكف الاتِّحاد خلال أكثر من سنة على دراسة الصيغة الأوليَّة، وبعد التشاور مع عدد كبير من الإخوة العلماء، هاهو ذا اليوم يقدم هذا الميثاق، آملًا أن يكون منطلقًا نحو فقه إسلامي أصيل ومعاصر، وأن يساهم في تسديد الفكر الإسلامي المعاصر، ليحافظ على دوره الرائد في حوار الأفكار والحضارات.

وإننا نتوجه بهذا الميثاق إلى المسلمين خاصَّة؛ ليجتمعوا حوله، وينبذوا كل دعوات التفرق والتطرف والجمود، كما نتوجه به إلى الرأي العام العالمي، نعرفهم بالخطوط العريضة للإسلام العظيم، خاتم الرسالات السماوية، وموقفه من القضايا المطروحة في هذا العصر.

أمَّا إخواننا العلماء في كل بقاع الأرض، فإننا نضع بين أيديهم هذه الأصول أو القواعد الَّتي تحدد موقعنا، وتميز رؤيتنا للقضايا العقديَّة والعمليَّة والفكريَّة والاجتماعيَّة الكبرى، آملين أن يجتمعوا حولها، وأن تكون المحور الَّذي يدورون حوله في خطبهم ودروسهم وتوجيهاتهم. لذلك فإننا نرجو دراستها بتأن، ولا بأس أن يكتبوا إلينا بموافقتهم الإجماليَّة، ورغبتهم في الانضمام للاتحاد، وكذلك بملاحظاتهم التفصيلية حتَّى نستفيد منها في تعديل الطبعات اللاحقة.

QaradawiBooks.com

ولا يضير العالم المسلم أن يخالف في بعض هذه القضايا، فبحسبه أن يوافق عليها في الجملة لا في التفصيل، وأن يكون متقبلًا لمعظمها، فإن اتفاق النَّاس على الجزئيات أمر عسير، بل يكاد يكون مستحيلًا.

المهم هو استقامة الاتجاه، ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، وخلوص النية، «**وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»[1].

نسأل الله تعالى أن يجعل نيتنا خالصة لوجهه وابتغاء مرضاته، وأن يجعل هدفنا هو نصرة دينه.

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٤، ٥].

يوسف القرضاوي

رئيس الاتِّحاد العالمي لعلماء المسلمين

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة
«ندوات الشيخ مُحمَّد الغزالي في مجلة لواء الإسلام»
جمعها ورتبها وعلق عليها مجد أحمد مكي[1]

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الَّذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، مُحمَّد وآله وصحبه مصابيح الهدى، ومن بهم اقتدى فاهتدى.

(أمَّا بعد)

فقد طلب إليَّ ابننا الحبيب العالم البحاثة الشيخ مجد مكي نفع الله به: أن أكتب مقدمة لهذه الندوات الَّتي عُنـي بجمعها وترتيبها والتعليق عليها وتخريج أحاديثها، ولم يسعني ـ برغم مشاغلي وضيق وقتي ـ إلَّا أن أستجيب له، وأكتب هذه السطور، لعدة أسباب:

أولها: أن أخانا وابننا العزيز الشيخ مجد له عناية خاصَّة بآثار العلماء الكبار الَّتي يخشى أن تندثر بمرور الزمن، فيرى من الوفاء لهم، ومن الوفاء للعلم: أن تخرج هذه الكنوز العلميَّة إلى النور، فيقرأها الناس، ويُنتفع بها.

ولذا عني منذ سنين بندوات مجلَّة «لواء الإسلام» الإسلاميَّة المصرية، الَّتي كان يصدرها الرجل الثري الصالح: أحمد باشا حمزة،

(١) نشر دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢٠م.

QaradawiBooks.com

الَّذي كان له في الخير قدم راسخة، وكان يكتب فيها عدد من علماء الإسلام المعروفين، على رأسهم الشيخ مُحمَّد الخضر الحسين.

وكان من سنتها بعد أن اشتهرت: عقد ندوة علميَّة كل شهر، يشارك فيها عدد من العلماء والدعاة المعروفين، منهم الشيخ أبو زهرة، والشيخ خلاف، والشيخ الغزالي، والشيخ مُحمَّد البنا، والشيخ عبد الحليم البسيوني، والدكتور أحمد الشرباصي وغيرهم، رحمهم الله تعالى.

وقد استمرت هذه الندوة ثلاثًا وعشرين سنة، منذ أوَّل ندوة عقدت ونشرت في العدد العاشر من السنة السادسة (١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م)، إلى آخر ندوة في العدد العاشر من السنة الثلاثين (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م)، والَّتي بلغ مجموعها (٢٤٣) ندوة.

عُني أخونا الكريم بجمع هذه الندوات وتصنيفها وتحقيقها وإخراجها للناس، وأعد منها للنشر: الندوات القرآنيَّة، والندوات الفقهيَّة، وندوات وفتاوى شيخنا الشيخ مُحمَّد أبو زهرة رحمه الله تعالى.

ثم أعد ندوات شيخنا الشيخ مُحمَّد الغزالي، الَّتي بلغت سبعًا وتسعين ندوة، من أوَّل ندوة شارك فيها في العدد الثالث من السنة السابعة عشرة (رمضان ١٣٨٢هـ ـ فبراير ١٩٦٣م)، وانتهاء بآخر ندوة حضرها في العدد السادس من السنة الثلاثين (محرم ١٣٩٦هـ ـ فبراير ١٩٧٦م).

وثانيها: أن هذه الندوات تتعلق بشيخنا وشيخ دعاة الأمة في وقته، الداعية الكبير الشيخ مُحمَّد الغزالي رحمه الله تعالى، قلب الدعوة الخافق، ولسان الأمة الناطق، الَّذي شارك مشاركة فعالة في هذه الندوات.

QaradawiBooks.com

والشيخ الغزالي لم يكن رجلًا هازلًا، ولا مهرجًا، بل إذا تحدث في موضوع متصل بالإسلام ودعوته وثقافته وأمته، كان له إبداعه وتميزه، وأفكاره الخصبة وآراؤه النيرة الصادرة عن عقل منفتح، وأفق واسع، وعلم راسخ، وقلب حي، وأسلوب رائع، وشجاعة أدبيَّة، ورأي ناضج، وتجربة ثرية في مَيدان الدعوة والفكر والتربية.

وهو من أئمَّة الإصلاح والتجديد الحقيقي، الَّذي يمثل مدرسة متكاملة، لها معالمها وخصائصها.

كما يبدو من هذه الندوات أنَّ الشيخ كان يتهيَّأ لها بالقراءة والاطلاع في موضوعها، إذ كان يعلن عنها من قبل عقدها بمدَّة؛ ليعد المشاركون أنفسهم للحديث فيها بأصالة وجدارة.

وقد قرأ عليَّ الأستاذ مجد مَكِّي نماذج متنوعة منها، فوجدتها تناولت وعالجت موضوعات متعددة: في العقيدة وما يتعلق بها، وفي القرآن وعلومه وتفسيره، وفي السُّنَّة وثبوتها وحُجِّيَّتها، والحديث وعلومه، وفي السِّيرة النبويَّة والعبر منها، وفي الفقه وأصوله وتاريخه، وفي الدفاع عن الإسلام في مواجهة خصومه، وفي تراجم أعلام الإسلام، إضافة إلى عدد من الندوات الفكريَّة والدعويَّة المتعلقة بقضايا الأمة.

وأعتقد ـ بحكم معرفتي بالشيخ الغزالي ـ أن لديه من الجديد والأصيل، ما يستحق أن يجمع وينشر، ليتعلم منه الناس.

وأشهد أنِّي صحبت الشيخ رحمه الله تعالى، نصف قرن أو يزيد، فما استمعت إليه مرَّة إلَّا وجدت عنده جديدًا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

QaradawiBooks.com

فلا غرو أن أرحِّب بهذا العمل العلمي من ابننا وأخينا مجد، لما أعلم من فائدته في تنوير أبناء الأمة في وقت غلب فيه الغث على السمين، وانتشرت الثقافة الَّتي تعنى بنشر الأباطيل والخرافات، كالذين يفتحون عيادات للعلاج بالقرآن، والذين يخرجون الجن من بدن الإنس، وغيرها من الدعاوى العريضة، الَّتي تجافي سنن الله في الكون والمجتمع.

وثالثها: أنِّي عرفت الأعمال العلميَّة الَّتي قام ويقوم بها أخونا مجد، فوجدته يخدمها خدمة بالغة، فيبذل طاقته، ويتعب ـ حقيقة ـ في إعطائها حقها، من فتاوى العلَّامة الزرقا ومن مقالاته وبحوثه الفقهيَّة الَّتي جمعها، ومن ندوات أبي زهرة وفتاويه، ومن مقالات الشيخ طه الساكت الَّتي شرح فيها مجموعة من الأحاديث النبويَّة، والَّتي أصدرها تحت عنوان: «من ذخائر السُّنَّة النبويَّة»، ومن تفسيره الموجز المركز: «المعين على تدبر الكتاب المبين»، إلى ندوات الشيخ الغزالي الَّتي جمعها وقرأها قراءة صحيحة، ورتبها حسب الأبواب، ورقم آياتها، وخرج أحاديثها، وعلق على كثير من المباحث العلميَّة فيها، مؤيدًا أو مخالفًا، ممَّا رأى أنَّها تحتاج إلى بيان أو تعقيب، ممَّا اجتهد فيه شيخنا من قضايا علميَّة، تتعدد فيها الاجتهادات ما بين مضيق وموسع، ممَّا يدرك الباحث والمجتهد فيها أجرين أو أجرًا واحدًا، إذا كان أهلًا للاجتهاد.

وقد أكون في بعض ما عقب به ابننا الأستاذ مجد، غير موافق عليه كليًّا أو جزئيًّا، ولكنِّي من أنصار البحث والمناقشة، وفتح الأبواب للآراء المختلفة، حتَّى تنضج الفكرة، وتتضح الحقيقة، وقد قالوا: الحقيقة بنت البحث، وليس في العلم كبير، وكل أحد يؤخذ منه ويرد عليه إلَّا المعصوم المؤيد بالوحي ﷺ.

QaradawiBooks.com

وللشـــيخ الغزالي رحمه الله، آراء جريئة جهر بها، ولـــم يخش أحدًا من الصدع بها، مثل آرائه أنَّه لا نسخ في القرآن الكريم، وهو ما يشاركه فيه عدد من علماء العصر، مثل: الشـــيخ مُحمَّد الخضري، والشيخ خلاف، وأبو زهرة، رحمهم الله تعالى، وأكاد أشاركهم في هذا.

ومثل إنكاره عقيدة المهدي المنتظر، وأنا أكاد أشاركه أيضًا في هذا، فأرى أنَّ الأمر لا يستحق أن يكون عقيدة يجب الإيمان بها ضمن عناصر الإيمان المعروفة، بل يرجح من مجموع الأحاديث: أنَّ الأمة سيظهر فيها في آخر الزمان حاكم عادل من آل بيت النبي ﷺ لعلَّه من ذريَّة الحسن بن علي ـ يملأ الأرض عدلًا كما ملئت ظلمًـــا وجورًا، وحين يظهر ويحقق هذا سيقول الناس: هذا هو المهدي الموعود.

أعتقد أنَّ القارئ المسلم المعاصر، سيجد في هذه الندوات الغزالية الَّتي حققها وخدمها ابننا النابه النابغ الأســـتاذ الشـــيخ مجد مكي: مادة غزيرة، وثقافة منيرة، وتصحيحًا لكثير من المفاهيم، وإبداء لآراء لا يجوز أن تطمر وتدفـــن، وإن كان منا من لا يوافـــق عليها. فإنَّمـــا ينمو العلم بالمراجعة والمشاورة والمناقشة، والأخذ والرد.

ولا شكَّ أنَّ الفضل في الاســـتفادة من هذه الندوات، يرجع إلى هذا الجهاز العجيب (المســـجل) الَّذي يحفظ لنا أقوال علمائنا، وإن رحلوا عن الدُّنْيا، ثمَّ تفريغ هذا المســـجل علـــى الورق، وتصحيحه ونشره على الناس.

وهذا ما قامت به مجلَّة «لواء الإسلام»، شكر الله لها، ولولا ما قامت به من جهد مقدور ومأجور، ما وجدنا أمامنا هذا التراث العلمي.

QaradawiBooks.com

فجزى الله مجلَّة «لواء الإسلام»، وصاحبها، والقائمين عليها خيرًا.

ورحم الله الشيخ الغزالي وتقبله في العلماء الربانيين، والدعاة الصادقين، والأئمَّة العاملين، على ما قدم لأمته ولدينه.

وجزى الله ابننا العالم الباحث المدقق الصبور مجد مكي، على خدمته للعلم الإسلامي، وللفكر الإسلامي، وللدعوة الإسلاميَّة، وللأمة الإسلاميَّة.

والحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

جدة: ٢٢ من ذي الحجة ١٤٢٩هـ

الموافق ٢٠ من ديسمبر ٢٠٠٨م

غير مرخصة للطباع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة «حتى تبحر السفينة»

للأستاذ مُحمَّد بن سالم السقطري(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(أمَّا بعد)

فلا شك أنَّ فكرة الدستور فكرة ملازمة لقيام أي دولة تريد لنفسها الرقي والتقدم، وهذا ما قام به النبي ﷺ بعد هجرته من مكَّة المكرمة إلى المدنيَّة المنورة، وهو ما عرف في السِّيرة النبويَّة بـ «الصحيفة».

وفي العصور الأخيرة كان السلطان عبد الحميد هو أوَّل من أنشأ دستورًا في البلاد الإسلاميَّة، وذلك في عام (١٩٠٧م)، ووجه بعدها بعامين سؤال إلى العلَّامة رشيد رضا، فأفتى بأن مثل هذه الدساتير يدخل في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وفي أبريل من عام (٢٠٠٤م) قام الشعب القطري بالموافقة على الدستور الجديد، وقد ذكرت في حينها رأيي في هذا الدستور، ونشرته الصحف القطرية، وأبديت ما لي من ملاحظات على بعض فقرات هذا

(١) نشر الشركة الحديثة للطباعة، الدوحة.

QaradawiBooks.com

الدستور. وإن كان الدستور في مجمله يقوم على احترام الشريعة الإسلاميَّة، ويوجب على الأمير والوزراء والمجلس النيابي أن يقسموا على احترامها.

وقد جاء إلينا الابن العزيز الأستاذ مُحمَّد بن سالم السقطري بكتاب أسماه «حتى تبحر السفينة بأمان»، يريد من خلاله أن يركز على الجوانب الإيجابيَّة والشرعيَّة في الدستور والقانون، ومن خلالها يقوم بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي طريقة جديرة بالتنويه والتقدير، لإدراكه أن أثر القانون في نفوس النَّاس أكبر وأقوى في كثير من الأحيان من غيره، وهذا ما أشار إليه عثمان بن عفان حين قال: إنَّ الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن[1].

وقد جاءت طريقة هذا الكتيب في شكل رسائل موجهة إلى طوائف مختلفة، يرسل إليها ما يخصها من الدستور، فهناك رسالة إلى الشباب، حتَّى يبتعدوا عن مظاهر الخنا، ويتجنبوا مواضع الفجور.

ورسالة إلى التجار، حتَّى يتجنبوا الغش والتدليس.

وثالثة إلى الصحافة ومكاتب الدعاية، حتَّى لا يساعدوا على نشر ما يسيء إلى تعاليم الإسلام أو ما علم من الدين بالضرورة، أو النيل منه.

ورابعة إلى ضيوف قطر، حتَّى يلتزموا بالنظام العام والآداب العامَّة، الَّتي يقوم عليها الدين الإسلامي.

(١) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤١٦/١١).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وخامسة إلى أعضاء مجلس الشـــورى والجهات المسؤولة عن تنفيذ القوانين، حتَّى لا يتوانوا في تنفيذ هذه القوانين، والجد في العمل بها... وهكذا.

وأخيرًا، فأهيب بكل غيور يعيش على أرض قطر: أن يلتزم بما جاء في هذا الدستور ممَّا يتماشى مع أحكام الشريعة الإسلاميَّة.

والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

أ. يوسف القرضاوي

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «التنصير الأمريكي خطَّة لغزو العالم الإسلامي»(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(وبعد)

عالمية الإسلام:

جاء الإسلام من أوَّل يوم دعوة عالميَّة، وهذا ما أعلنه القرآن بوضوح في سوره المكِّيَّة، مثل قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٠٧].

وفي الآية الأولى من سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [آية: ١].

وفي سورة الأعراف: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [آية: ١٥٨].

وتردد في عدد من سور القرآن المكي وصفه بأنَّه ذكر للعالمين، كما في سورة ص: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ [آية: ٨٧، ٨٨].

(١) نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ورسم القرآن منهجه العام للدعوة، بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة للموافقين، والجدال بالَّتي هي أحسن للمخالفين.

ولكن المشركين لم يدعوا الرسول الكريم يدعو إلى الله بالحكمة الَّتي تخاطب العقول، أو الموعظة الَّتي توقظ القلوب، وقابلوا حقه بالقوة، وصدوه بالعنف عن سبيل الله، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات بما صبوا عليهم من سوء العذاب، حتَّى اضطر أصحابه إلى أن يهاجروا مرتين إلى الحبشة، محتمين بعدل ملكها النصراني.

بل أُخْرِجَ النبيُّ وأصحابه والمؤمنون جميعًا من ديارهم بغير حقٍّ إلَّا أن يقولوا ربّنا الله، وكانت الهجرة إلى يثرب، الَّتي سُمِّيت «المدينة»، والَّتي أسَّس النبيُّ الكريم فيها مجتمعه الجديد، ودولته المثاليَّة.

أقام الرسول هذا المجتمع على الإيمان بالله، وعلى عبادة الله وحده، وعلى القيم الإيمانيَّة والأخلاقيَّة من العدل والرحمة، والتكافل والإخاء، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وعقد اتفاقية مكتوبة بينه وبين اليهود، فيما سمي «الصحيفة»، الَّتي كانت بمثابة «دستور» لكل أهل المدينة من مسلمين ويهود، وبقايا المشركين.

ولكن سرعان ما تعرض الرسول من الجبهات الَّتي تعاديه لحروب مستمرَّة: من الجبهة الوثنيَّة، وانضمَّت إليها الجبهة اليهوديَّة، ومن الجبهة المجوسيَّة في فارس ومن يواليها من العرب، ومن الجبهة النصرانيَّة الَّتي تتجسد في دولة الروم البيزنطيَّة ومن يواليها من قبائل العرب النصرانيَّة.

QaradawiBooks.com

صراع مع النصرانيَّة ينتهي إلى انتصار الإسلام:

ودخل الإسلام في معارك مريرة مضطرا، كما قال القرآن: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ومنها القتال مع الجبهة النصرانيَّة، وقد بدأ في حياة الرسول ﷺ، في معركتي مؤتة وتبوك، واستمر في عهد خلفائه، وانتهى بانتصار الإسلام على النصرانيَّة، الَّتي تمثلها أكبر قوَّة عسكريَّة إمبريالية في ذلك الزمن، وهي الدولة الروميَّة البيزنطيَّة، ودانت دول كانت نصرانيَّة للإسلام، وتحولت شعوبها في الجملة إلى شعوب إسلاميَّة، أصبحت تمثِّل قلب أُمَّة الإسلام، مثل بلاد الشام ومصر وشمالي أفريقيا وغيرها.

وهكذا بدأ الصراع، بدأ بالدعوة، وانتهى بالقتال، وختم بالنصر للإسلام، حتَّى دخل الإسلام أوربا من الجنوب، وفتح بلاد الأندلس في إسبانيا، وأقام فيها حضارة زاهرة استمرَّت نحو ثمانية قرون.

وفي تلك العصور أصاب المسلمين ما يصيب الدول حين يدخل عليها الاضطراب والضعف، ويصيبها الترف والفساد، وتتناقص عناصر القوَّة فيها، وهي عناصر الإيمان والاستقامة والتقوى، ويغلب عليها الوهن النفسي، الَّذي يتمثل في حب الدُّنْيا وكراهية الموت.

غزو الفرنجة (الصليبيِّين) للشرق الإسلامي:

فتفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات، ممَّا أغرى النصارى الأوربيِّين أن يستغلُّوا ضعفهم وفرقتهم لغزوهم في قلب ديارهم، فيما سماه مؤرخو المسلمين «حروب الفرنجة»، وسماه الأوربيون «الحروب الصليبيَّة».

QaradawiBooks.com

ولقد انتصروا في أوَّل الأمر على المسلمين بوساطة الخونة والمخذولين والضعفاء من أمراء المسلمين، وأقاموا لهم ممالك وإمارات في فلسطين، استمرت نحو قرنين من الزمان، واستولوا على بيت المقدس نحو تسعين سنة، عطلوا فيها الصلاة.

حتى هيَّأ الله رجالًا مثل عماد الدين زنكي (التركي)، وابنه نور الدين محمود الشهيد، وتلميذه صلاح الدين الأيوبي (الكردي)، فنصرهم على الفرنجة أو الصليبيين، فارتدوا مدحورين، وتبخر حلمهم إلى سراب.

بحث في تغيير نوع المواجهة:

بعد هذه الجولة من الصراع بين الإسلام والنصرانيَّة، اجتمع بعض قادة النصرانيَّة في أوربا ـ ومنهم: لويس التاسع ملك فرنسا، الَّذي كان يلقب بـ «القديس لويس»، والَّذي أسر في «دار ابن لقمان بالمنصورة» ـ عندما رأوا نتيجة الصراع العسكري، فقرروا أن يغيروا خطتهم من المواجهة العسكريَّة إلى المواجهة السلمية، وأن يكون سلاح هذه المواجهة القلم لا السيف، واللسان لا السنان، وأن يوجه هذا السلاح إلى العقل، لا إلى الجسد.

فهذه حرب جديدة غير الحرب القديمة، ولا بدَّ أن يهيأ لها رجالها وفرسانها، وهم ليسوا الجنود والعسكريين، بل هم فرسان من نوع آخر، مدربون على الدعوة والإقناع واستمالة الأفراد والجماهير.

مواجهة جديدة عن طريق التنصير والاستشراق:

ومن هنا كان الاتِّجاه إلى الإعداد العقلي والعلمي والفني لجيشين مهمين للمرحلة الخطيرة القادمة، وهما: جيش التنصير (أو التبشير)، وجيش الاستشراق.

QaradawiBooks.com

ولا فرق بين الاثنين ـ كما يقول أستاذنا الدكتور مُحمَّد البهي، في رسالة «المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام» ـ إلَّا أنَّ الاستشراق يلبس مسوح العلم، والتنصير يلبس مسوح الدين[1].

على أن بعض المستشرقين كانوا مخلصين للعلم، وتميزوا بالإنصاف، وإن كانوا هم الأقلين، ولكنَّا لم نر منصرًا منصفًا.

وقد بدأ التنصير جهوده من عدة قرون، ساهم فيه الغربيُّون بما يحملون من روح صليبيَّة جديدة، سواء منهم البروتستانتيون ـ ولا سيَّما الأمريكان منهم ـ ومن ورائهم مجلس الكنائس العالمي، أم الكاثوليك، ومن ورائهم البابا، ودولة الفاتيكان، برغم ما بينهم من عداوات وحروب تاريخيَّة، أباد بعضهم من بعض الملايين فيها، وأن كل مذهب منهما يعتبر نفسه دينا غير دين الآخر، وأنَّه هو الَّذي يمثل دين المسيح الصحيح، وأنَّ المذهب الآخر يمثل الكفر الصريح، ولكن ما دام العدو المشترك هو الإسلام فهنا يتفقان، ويوالي كلاهما الآخر، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين في العالم:

وحديثنا الآن عن أخطر مؤتمر للتنصير عقد في القرن العشرين، وفي الربع الأخير منه، بمناسبة صدور طبعة عربية ثانية من كتاب

(١) يقول د. محمد البهي: «والتبشير والاستشراق في ذلك سواء، والفرق بينهما هو أنَّ الاستشراق أخذ صورة البحث، وادعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمي، بينما بقيت دعوة التبشير في حدود مظاهر العقلية العامة، وهي العقلية الشعبية...». انظر: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام صـ ٢، نشر مطبعة الأزهر، الإدارة العامة للثقافة الإسلامية.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«التنصير»، الَّـذي يلخص أعمال المؤتمر، والَّذي تنشـره مكتبة وهبة، والَّذي أكتب له هذه المقدمة، وقد اقترح أخي المفكر المسـلم الدكتور مُحمَّد عمارة على مكتبـة وهبة: أن تجعل عنوانـه «التنصير الأمريكي للعالم الإسلامي»، وهي تسمية في محلها: فنحن اليوم في معركة دينيَّة مع الأمريكان، كما أنَّنا أيضًا في معركة سياسـيَّة مع الأمريكان، الَّذين أخذوا على عاتقهم حمايـة الدولة الصهيونيَّة (إسـرائيل)، يتولى ذلك اليمين المسـيحي الصهيوني، وقد أكَّد كتاب «الصهيونيَّة المسـيحيَّة: إنجيليُّون توراتيُّون متطرفُّون» تأليف القس سـتيفن سـايزر: أن حركة المسيحيِّين الصهاينة هي أكبر ـ على الأقلِّ ـ بعشرة أضعاف من الحركة اليهوديَّـة الصهيونيَّة، وأنَّها أصبحت اللوبي المسـيطر في السياسـات الأمريكيَّة المعاصرة[1]!

وقد نقل لنا مترجم كتاب «الصهيونيَّة المسـيحيَّة» د. نبيل صبحي، عن الكاتبة المعروفة، الراهبة السابقة (كارن أرمسترونغ)، الَّتي لخصت حقيقة المسيحيَّة الغربيَّة الصهيونيَّة بجملة واحدة، وبأصدق تعبير، حين قالت: داخل المسـيحيَّة الغربيَّة الصهيونيَّة ميـراث الصليبيين، وهؤلاء عادوا إلى صليبيَّة كلاسيكية دينيَّة متطرفة[2]!

ولا غـرو أن أطلق بوش الابن على الحرب الَّتي شـنها على العالم الإسـلامي: أنَّها «حرب صليبيَّة طويلة الأمد»! ولما نبهه مستشاروه إلى خطورة هذه الكلمة وأثرها على المسـلمين في العالم، اعتذر أنَّها (سبق لسـان)! وقد قيل: غش القلوب يظهر على صفحـات الوجوه، وفلتات

(١) انظر: الصهيونية المسيحية صـ ٥، ترجمة نبيل صبحي، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

(٢) المصدر السابق صـ ٥، ٦.

QaradawiBooks.com

الألسن[1]! كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

لقد تحمسنا لمقاومة مقررات مؤتمر التنصير المنعقد في كولورادو، دون أن نقرأها بالتفصيل، ولكن بناء على ما تناثر من أنباء محدودة، تناقلتها بعض أجهزة الإعلام في أمريكا والغرب، عن المؤتمر وتوجهاته وتوصياته وقراراته.

فلما طبعت أعمال المؤتمر كلها، وصدر في كتاب بالعربيَّة تحت عنوان «التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي» ـ وهو كتاب يقع في (٨٧٨) صفحة ـ اتضح لنا حجم المعركة الَّتي نواجهها.

لا بدَّ من تهيئة الأمة لمواجهة خطر التنصير الأمريكي:

اعتبر كثير من الدعاة والمفكرين والحراس الأيقاظ المرابطين على ثغور الإسلام، كتاب «التنصير» وما يحويه من مخططات منهجية مدروسة، بمثابة غارة جديدة على العالم الإسلامي.

كتاب «الغارة على العالم الإسلامي»:

كأنَّما يجدد كتاب «التنصير» الكتاب الَّذي أصدره العلَّامة محب الدين الخطيب، مع زميله المحرر في صحيفة «المؤيد» المصرية الشهيرة: مساعد اليافي، في الثلث الأوَّل من القرن الماضي (العشرين) حوالي سنة (١٩٣٠م)، والَّذي سمي «الغارة على العالم الإسلامي»، وهذه التسمية من مؤلف الكتاب ا. ل. شاتليه، فقد سمى كتابه: «الغارة على العالم الإسلامي» أو «فتح العالم الإسلامي»، وهو الكتاب الَّذي أعلن عن

(١) من قول سيدنا علي بن أبي طالب. انظر: صبح الأعشى (٢٦٧/٧).

QaradawiBooks.com

هدف «التنصير»، الَّذي كان يسمى في ذلك الوقت «التبشير»، وعن مخططه في فتح العالم الإسلامي.

هز هذا الكتاب كل من يهمه أمر الإسلام وأمته، وأيقظ النائمين بما أورده من حقائق ومعلومات، ومن أماني وتطلعات، ومن خطط وتدبيرات، ومن بيانات وتصريحات خطيرة، جديرة أن تزلزل الأمة زلزالًا.

من ذلك ما ذكره المؤلف، عن وليم جيفورد بلجراف حين قال، ويا لهول ما قال: «متى توارى القرآن الكريم، ومدينة مكَّة من بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة، الَّتي لم يبعده عنها إلَّا مُحمَّد وكتابه»[1]!

وقال صموئيل زويمر: «تبشير المسلمين يجب أن يكون بلسان رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم؛ لأنَّ الشجرة يجب أن يقطعها أحد أبنائها»[2]!

ولا غرو أن تنادى العلماء والدعاة والمصلحون في ذلك الوقت، بضرورة تعميم نشر هذا الكتاب على شعوب أمة الإسلام، وبلغاتهم المختلفة. وحسبنا هنا قول أمير البيان شكيب أرسلان، في ختام هذا الكتاب: «إنِّي أقترح أن يطبع منه ألوف من النسخ، وعشرات ألوف، ويوزع على جميع العالم الإسلامي بدون استثناء، ويقتنيه كل مسلم ذي حمية، ويقرأ منه الخطباء والمدرسون في الجوامع، ولا يبرح بين أيدي

(١) انظر: الغارة على العالم الإسلامي لألفريد لوشاتلييه صـ ٩٣ ـ ٩٤، ترجمة مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، نشر منشورات العصر الحديث، ط٢، ١٣٨٧هـ.

(٢) المصدر السابق صـ ٨٠.

QaradawiBooks.com

المسلمين، حتَّى يستظهروه غيبًا، لعلَّهم ينهضون أخيرًا لمقابلة الشيء بمثله، ويؤلفون الجمعيَّات، ويتبرعون لها بالأموال، ولو بعشر عشر معشار ما يتبرع به الإفرنج لجمعيَّاتهم التبشيرية، الَّتي شرحت لنا تقاريرها الطرق الَّتي هي سائرة عليها لهدم الإسلام في كل أقطار الأرض، ويجب أن يترجم هذا الكتاب إلى التركي والفارسي ولسان الأردو ولسان الملايو وجميع الشعوب الإسلاميَّة»[1] انتهى.

الغرب الصليبي يخطط لحرب إبادة دينيَّة للمسلمين:

كان هذا كيد الصليبيَّة منذ نحو سبعين عامًا، واليوم يتعرض الشرق الإسلامي، من الغرب الصليبي لحرب إبادة دينيَّة بقيادة أمريكا، تهدف إلى تنصير جميع المسلمين، وطي صفحة الإسلام من الوجود.

كان مؤتمر (كولورادو) خطًّا فاصلًا في الكيد الجديد للإسلام وأمته، وقد غيروا الخطط القديمة، باستخدام خطط أخبث وأمكر، ووضعوا كل خبرتهم، وثمرات علومهم الإنسانيَّة والمعرفيَّة والاجتماعيَّة واللسانية المتطورة، ليصنعوا (بروتوكولات) أشبه بما أشيع عن «بروتوكولات حكماء صهيون»، الَّتي يكذبها الصهاينة ـ وأنا ممَّن لم تثبت عنده ـ وإن كان الواقع يشهد بأنَّ هناك قوى تنفذها بالفعل.

تهدف هذه الحملة الأمريكيَّة البروتستانتيَّة الجديدة إلى غزو العالم الإسلامي، وإلى تغيير دينه وهويته وشخصيته، وتحويله من التوحيد إلى التثليث، ومن الإيمان بمحمد إلى الإيمان بيسوع، ومن الإيمان بالقرآن الَّذي لم يتغير منه حرف منذ عرف إلى اليوم، إلى الإيمان بالإنجيل،

(١) الغارة على الإسلام صـ ٢٨٥، ٢٨٦.

QaradawiBooks.com

الَّذي لا يعرف أين نسخته الأصليَّة، ومن الولاء للشرق منبت الحضارات، ومشرق الرسالات السماوية، إلى الولاء للغرب صاحب الحضارة المادِّيَّة النفعية، المناهضة في أسسها لتعاليم الأنبياء.

مكونات الخطة:

وتقوم الخطة التنصيرية باختصار على عدة بنود:

١ ـ الهرب من مقابلة الإسلام وجهًا لوجه، ومحاولة التسلل والاختراق له من الداخل في صبر وخبث ودهاء.

٢ ـ صب المضامين النصرانيَّة في مصطلحات قرآنية، وتقريب الإنجيل إلى نفسيَّة المسلمين، حتَّى قرروا طبع الإنجيل في صورة المصحف، وتسمية فصوله سورًا، وفقراته آيات، إلخ.

٣ ـ تنصير المسلمين من خلال الثقافة الإسلاميَّة، أي أنَّهم يريدون أن يتخذوا من الثقافة الإسلاميَّة الَّتي تمنح المسلم مناعة من تأثير الغزو العقائدي والفكري: أداة إلى إخراج المسلم من دينه.

٤ ـ توظيف الكنائس المحلية في تنصير المسلمين، فهم أقدر على مخاطبتهم بلسانهم. أي استخدام الكنائس الوطنية، لتكون عميلة لهم. وهو ما أوصى به زويمر من قديم.

٥ ـ الاستعانة بنشر العِلْمانيَّة، والفلسفات المادِّيَّة والمذاهب الإلحاديَّة، لتكسر الصلابة الإيمانيَّة ورسوخ العقيدة عند المسلمين.

٦ ـ صنع الكوارث والحروب والمجاعات في الأقطار الإسلاميَّة، لتحويل ضحاياها عن الإسلام إلى النصرانيَّة.

ولكن ماذا يكسب المُنَصِّرون من وراء ذلك؟ وبعبارة أخرى: ما الأهداف العمليَّة الَّتي يرجون تحقيقها من وراء هذه الخطة الجهنميَّة؟

QaradawiBooks.com

أهداف التنصير في ديار الإسلام:

إنَّ للتنصير من وراء خطته في ديار الإسلام أهدافًا معروفة:

١ ـ نشر النصرانيَّة بين المسلمين، والتنصير يُهِمِّه زيادة الأعداد، ولو على الورق، يكفي أن تعلن أنَّك آمنت بيسوع إلها أو ابن إلٰه، لتدخل ملكوت السماوات، ولو لم يتغير سلوكك.

الإيمان عند المُنَصِّرين لا يستلزم عملًا صالحًا، ولا تقوى لله، ولا خشية له، المهم أن تؤمن بالمسيح مخلصًا لك من الذنب الَّذي ورثته في عنقك عن أبيك آدم، ولم تشهده أنت ولا أجداد أجدادك. في حين يقرر القرآن: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، وهم لا يهمهم من المسلمين أن يؤمنوا بالمسيح، ولكن يكفيهم أن يزعزعوا ثقتهم بالإسلام.

٢ ـ الحيلولة دون انتشار الإسلام، الَّذي أكدت الإحصاءات أنَّه أوسع الأديان انتشارًا، بدون مؤسسات دعويَّة عالميَّة، ولا مليارات دولارية.

٣ ـ إضعاف المسلمين بإضعاف مقومات حياتهم الاجتماعيَّة مثل: الدين، واللغة، والأخلاق، والعلم، والتماسك، والتكافل.

٤ ـ تفتيت الوحدة الإسلاميَّة والقوميَّة، والسعي في تفريق المسلمين، تارة بإثارة النزعات والعصبيَّات: العرقيَّة والإقليميَّة والطائفيَّة، وتارة بتفريق المسلمين أيديولوجيا بغزوهم بالمذاهب والفلسفات المستوردة من يمين ويسار، ومحاولة إحياء التعلُّق بالحضارات الجاهليَّة القديمة: الفرعونيَّة، والفينيقيَّة، والآشوريَّة.

٥ ـ اكتساب مناطق للنفوذ الغربي باكتساب الموالين لحضارة الغرب وثقافته، بدل حضارة الإسلام وثقافته، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وبهذا يزيدون تفرقة المسلمين.

QaradawiBooks.com

٦ ـ إبقاء المسلمين في دائرة التخلُّف، حتَّى لا يمتلكوا القوَّة العلميَّة والتكنولوجيَّة والاقتصاديَّة والعسكريَّة والمعرفيَّة.

٧ ـ إدخال الفرد المسلم والجماعات المسلمة تحت ضغط الحاجة والضرورة، من الفقر والمرض والتشرُّد والأُمِّيَّة، ليتيحوا الفرصة للمُنَصِّرين ليأتوا إليهم بمعوناتهم باسم المسيح، كأنَّهم المنقذون، وإنَّما كانوا هم الَّذين صنعوا لهم هذه الظروف، الَّتي تدخلهم تحت الحاجة القاهرة.

(أ) العوامل المساعدة لحملة التنصير:

يرى المُنَصِّرون أنَّ هناك عوامل مساعدة لحملة التنصير الموجهة إلى المسلمين، ونحن معهم في ذلك.

وهذه العوامل بعضها من جهة المُنَصِّرين، وبعضها من جهة المسلمين.

عوامل من جهة المُنَصِّرين:

فأما العوامل الَّتي من جهة المُنَصِّرين، فهي:

١ ـ **تيسير التمويل**: توافر المال لديهم، بحيث لا يعجزهم تمويل أي مشروع لهم، فلديهم المليارات تأتي من المؤسسات والكنائس والتبرعات، ولا ريب في أنَّ المال له دوره وأهميَّته في تقريب الأماني البعيدة، وتحقيق الأهداف الكبيرة. وقد قال شوقي:

بِالعِلمِ وَالمَالِ يَبنِي النَّاسُ مُلكَهَمو لَم يُبنَ مُلكٌ عَلَى جَهلٍ وَإِقلَالِ[1]!

(١) البيتان لشوقي، انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٨٥/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

فقد رصد لمؤتمر كولورادو مليار دولار، جمعت في الحال، وهي دفعة أولى، وراءها دفعات بالدولارات واليوروات.

٢ ـ **معاونة الحكومات**: وهناك عامل آخر، هو مساعدة الحكومات الغربيَّة المختلفة في قضيَّة تنصير المسلمين، رغم أنَّ الحكومات الغربيَّة، معروفة بأنَّها عِلْمانيَّة لا دينيَّة، ولكنَّها جميعًا، تمارس تدينها في تأييد التنصير ومساندة المُنَصِّرين.

ومنذ عهد الاستعمار كان رجال الاستعمار هم الَّذين يؤيدون المُنَصِّرين، ويسهلون لهم الطريق، ويزيلون الصعوبات؛ لأنَّهم يعتبرون التنصير سلاحًا في يد الاستعمار لإخضاع المسلمين للاستعمار والإمبريالية.

وقد بين ذلك بجلاء كتاب «التبشير والاستعمار» الَّذي ألَّفه الدكتوران: عمر فروخ ومصطفى الخالدي، وهو من أهم الوثائق التاريخيَّة عن نشاط المُبَشِّرين والمستشرقين لخدمة الاستعمار.

وقد قال العلَّامة الدكتور مصطفى السباعي: هذا الكتاب يجب على كلِّ مُثَقَّف مسلم قراءته[1]!

٣ ـ **حماسة المُنَصِّرين**: ومن هذه العوامل: حماس المُنَصِّرين الَّذين يعملون ـ أو كثير منهم على الأقل ـ بجد وإخلاص في سبيل عقيدتهم، وهم عدة ملايين: يعدون إعدادًا خاصًّا فكريًّا وثقافيًّا ونفسيًّا، للتأثير في المسلمين، وقد يستخدمون الوسائل اللاأخلاقيَّة في ذلك، أخذا بالمبدأ (الميكافيللي)، الَّذي يرى أنَّ الغاية تبرر الوسيلة. هذا مع أن غايتهم غير أخلاقيَّة.

(١) انظر: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم للسباعي صـ ٣٥، نشر دار الوراق، بيروت، ط ٤، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

QaradawiBooks.com

ثم هم يدربونهم باستمرار، ويمدونهم بأحدث المستجدات، من بحوث ومعارف وآليات، وهم يستندون إلى جيش جرار فيه: (١٢٠,٠٠٠) مائة وعشرون ألف مؤسسة تنصيرية.

(٩٩,٢٠٠) تسعة وتسعون ألفا ومائتا معهد، لتأهيل المُنَصِّرين الرسميين وتدريبهم.

(٤,٢٠٨,٢٥٠) أربعة ملايين ومائتان وثمانية آلاف ومائتان وخمسون منصرًا رسميًّا محترفًا.

(٨٢,٠٠٠,٠٠٠) اثنان وثمانون مليونًا من أجهزة الكومبيوتر.

(٢٤,٩٠٠) أربعة وعشرون ألفًا وتسعمائة مجلَّة.

(٢,٣٤٠) ألفان وثلاثمائة وأربعون محطة للإذاعة والتلفاز.

ولقد أصدرت هذه المؤسسة التنصيرية ووزعت في عام واحد (٨٨,٦١٠) ثمانية وثمانين ألفًا وستمائة وعشرة كتب تنصيرية[1].

(ب) عوامل مساعدة من جهتنا:

وهناك عوامل مساعدة من جهتنا نحن المسلمين:

١ ـ كثرة ذوي الحاجات: من هذه العوامل: كثرة ذوي الحاجات من المسلمين، من الفقراء الَّذين لا يجدون القوت، ومن اليتامى والأرامل الَّذين لا يجدون الكافل، ومن المشردين الَّذين لا يجدون المسكن، ومن المرضى الَّذين لا يجدون الدواء ولا المستشفى، ومن الأميين الَّذين لا يجدون المدرسة، ولا الكراسة ولا القلم، إلى آخره.

(١) انظر: الفارق بين الدعوة والتنصير للدكتور محمد عمارة صـ ١٩، ٢٠، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

QaradawiBooks.com

وكثيرًا ما يعمل الغربيُّون لخلق هذه الظروف، أو يساعدون عليها في المجتمعات المسلمة؛ ليتيحوا الفرصة للمنصرين، ليتقدموا باسم يسوع المسيح على أنَّهم يحملون رسالة الإنقاذ للمسلمين.

وكثيرًا ما يأخذون الأطفال المُشَرَّدِين واليتامى؛ ليضمُّوهم إلى مدارسهم، ويُلَقِّنوهم فيها ما يشاؤون من معتقدات ومفاهيم، دون أن يدري أهلوهم ما يجري لأولادهم!

٢ ـ **كثرة الجهل وقلَّة الوعي بين المسلمين**: ومما يتيح الفرصة للمنصرين: كثرة الجهل، وانتشار الأُمِّيَّة بين المسلمين، وقلَّة الوعي الديني لدى كثير من المسلمين، حيث تكثر الخرافات والشركيَّات في عقائدهم وفي أفكارهم، والانحرافات والبدع في سلوكهم وعباداتهم. وليس لديهم من الثقافة الإسلاميَّة المستنيرة ما يحصنهم من تمويهات المُنَصِّرين المُدَرَّبين على التسلُّل إلى عقول العوام، واصطيادهم بالتدرُّج إلى ما يريدون.

٣ ـ **قلة العلماء والدعاة القادرين على المواجهة**: ومن ذلك: قلة العلماء المتبصرين، والدعاة الواعين المستنيرين، القادرين على مواجهة المعركة الحامية الوطيس مع التنصير، الَّذي أعد لها جنوده، وشحذ أسلحته، واتخذ أعوانه وعملاءه.

بل أحيانا نجد هؤلاء الدعاة الوعاة غائبين تماما.

٤ ـ **قلَّة المال**: وإذا كان المال هو أوَّل ما يحتاج إليه العلماء والدعاة، وهو عند المُنَصِّرين البروتستانت بالمليارات وعشرات المليارات، الَّتي تتدفق عليهم باستمرار، فكيف إذا أضفنا إمكانيات الكنيسة الكاثوليكية ودولة الفاتيكان؟

QaradawiBooks.com

ونحن قد دعونا منذ نحو خمس وعشرين سنة ـ عندما أسسنا الهيئة الخيريَّة الإسلاميَّة العالميَّة بالكويت ـ لجمع ألف مليون دولار من المسلمين، لمقاومة المليار الأوَّل، الَّذي رصده مؤتمر كولورادو، ولم نجمع إلَّا نحو سبعة!

٥ ـ عدم التجاوب الكامل من الحكومات: ومن ذلك: عدم التجاوب الكافي من الحكومات في كثير من البلاد الإسلاميَّة، الَّتي لا تقدر خطر التنصير، وما وراءه من شر مستطير، وأنَّه يحمل غزوًا أجنبيًّا للأمة دينيا وثقافيا وحضاريًّا، وأنَّ الحرص على استقلال الأمة وسيادتها وتحصينها من كل ما يهددها من قريب أو بعيد، هو واجب الحكومات الرشيدة. ولكن ابتلاء أكثر البلاد الإسلاميَّة بالحكم العلماني، وبحكام هم تلاميذ الفكر الغربي، بل ربَّما كانوا من عبيد الفكر الغربي، أو بحكام معبودهم الأوَّل الكرسي لا رب غيره: يمهد للتنصير أن يدخل إلى أوطاننا بسهولة، وألا يجد حذرا كافيا ضده، ولا يقظة متحركة في مقاومته، في حين وجدنا كل الحكومات الغربيَّة منذ عهد الاستعمار، تساند النشاط التنصيري، وتشد أزره ماديًّا وأدبيًّا وسياسيًّا.

عودة إلى مؤتمر كولورادو وما تقرر فيه:

لقد كان مؤتمر كولورادو من الأحداث المهمة والمثيرة لغزو الأمة الإسلاميَّة من داخلها، وقد كان له صدى كبير، وأثر خطير لدى المسلمين، وخصوصًا لدى الدعاة والمفكرين والمهتمين بالشأن الإسلامي. فقد عقد في ولاية كولورادو، وفي مدينة (جلن أيري) هذا المؤتمر لتنصير المسلمين في العالم، والَّذي استمر لمدة أسبوع كامل، وقد اجتمع فيه (١٥٠) مائة وخمسون مُنَصِّرًا، وهو تتمة للمؤتمر الَّذي عقد في (لوزان) بسويسرا عام (١٩٧٤م) لتنصير العالم، أو قل: هو بداية لتنفيذ ما اتفق عليه هناك.

QaradawiBooks.com

وصف مجمل للمؤتمر وأبحاثه:

وقد أعد للمؤتمر أربعون بحثا، تعين على توضيح الرؤية، وتمهيد الطريق لتنصير المسلمين، الَّذين أحزن المُنَصِّرين إخفاقهم إلى اليوم في هدايتهم! وعدم استجابتهم لدعوتهم، وإيمانهم بالمسيح إلهًا ومخلصًا!

معهد زويمر:

لقد كانت أيَّام المؤتمر السبعة مشحونة بالعمل والإنجاز، جلسات متتالية في تسلسل صارم، وفيها قرروا إنشاء معهد أو مركز للأبحاث والتدريب متخصص في تنصير المسلمين، أطلقوا عليه اسم أحد عتاة التبشير، وكبراء التنصير، وهو صمويل زويمر، منشئ مجلَّة «العالم الإسلامي» التنصيرية بالإنكليزية، فأرادوا إحياء ذكراه بهذا المعهد، الَّذي اعتبروه بمثابة «جهاز مركزي» لتنفيذ قرارات المؤتمر، تمَّ إنشاؤه بالفعل في جنوب كاليفورنيا، واختير (دون ماكري) رئيس مؤتمر كولورادو مديرًا له.

جاء في التعريف بهذا المعهد: «إنَّ الهدف الرئيسي لمعهد صمويل زويمر، هو مساعدة الرجل المسلم، والمرأة المسلمة، والطفل المسلم، في كل مكان، لتوفير الظروف الَّتي تجعلهم يقبلون المسيح إلهًا ومخلصًا لهم، وأن نرى الكنيسة مزروعة بين كل جماعة مسلمة».

وللمعهد شعار مكتوب على لوحة كبيرة خضراء اللون، وباللغتين العربيَّة والإنكليزية، ونص هذا الشعار: «لأنَّه ليس شيء غير ممكن لدى

QaradawiBooks.com

الله، فاذهبوا وتلمذوا ـ اجعلوهم تلاميذ ـ كل المسلمين، من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة».

وقد رصدوا لهذه الغاية مليار دولار ـ ألف مليون دولار ـ جمعت بسهولة، ووضعت في أحد البنوك.

مؤتمر لتغيير مجرى التاريخ:

لكي تعرف خطر مؤتمر كولورادو، يجب أن تقرأ ما كتبه عنه بعض منظميه. يقول السيِّد و. ستانلي في تصديره لكتاب «التنصير» الَّذي صدر عن مؤتمر كولورادو متفائلًا بل مغرورًا: يجتمع المؤتمرون في كثير من المؤتمرات فيتبادلون الرأي، ويعلنون بعض القرارات ثمَّ ينفضون، فتصبح مجهوداتهم حبرًا على ورق، ومداولاتهم مجرد صدى، لكن بعض المؤتمرات تغير مجرى التاريخ، ولا ريب في أنَّ المؤتمر الَّذي انعقد في أمريكا الشمالية عام (١٩٧٨م) قد أصبح واحدًا من هذه المؤتمرات القادرة على تغيير مجرى التاريخ.

ويرجع السبب في نجاح هذا المؤتمر إلى أن (١٥٠) مؤتمرا الَّذين وفدوا من شتَّى أنحاء المعمورة، والذين يمثلون العديد من الشعوب، والتقاليد الكنسية المختلفة، والتجارب الواسعة قد اجتمعوا على صعيد واحد، يربطهم هدف واحد، وهو البحث عن أنجع السبل لتنصير الـ (٧٢٠) مليون مسلم.

مشاعر رؤساء مؤتمر التنصير:

ويقول دون ماكري رئيس مؤتمر كولورادو، ومدير مركز زويمر بعد ذلك، وهو يشعر بالنشوة والفخر والعجب بما حقق، وما يتوقَّع أن يحقق:

QaradawiBooks.com

«دعوني أعبر بادئ ذي بدء عن أحاسيس عميقة تغمرني لوجودنا معا هذا الأسبوع:

أَوَّلًا: إنَّنِي أشعر بدقَّة التوقيت الصحيح لهذا المؤتمر، وأشعر أنَّه عقد في الوقت المناسب الَّذي اختاره الربُّ! إنَّ العالم الإسلامي يشغل اليوم حيِّزًا مهمًّا في الأخبار أكثر من أيِّ وقت مضى، فالمواجهة في الشرق الأوسط لا تزال بعد عقدين من الزمن تقلق العالم كلَّ لحظة، وكلُّ إنسان في العالم يتأثَّر في الواقع تأثرًا مباشرًا متى اجتمعت الأمم الإسلاميَّة المنتجة للنفط، لتقرر كم ستتقاضى على برميل النفط الخام، ويحبس العالم كله أنفاسه قلقا كلَّما اجتمعت منظمة الأوبك، والمظاهرات وأعمال الشغب الَّتي يقوم بها المسلمون المحافظون في مصر وإيران وباكستان، مطالبين بالرجوع إلى الطرق التقليدية، توضح لعالم القرن العشرين، الجانب الثوري للإسلام والَّذي نسينا وجوده، وإليكم ما استنتجته إحدى المجلَّات الأمريكيَّة في أحد أعدادها الأخيرة «تصارع الثروة النفطيَّة وحركة العلمنة في الشرق الأوسط طرق الحياة القديمة، ممَّا أوجد اندفاعًا إسلاميًّا للعودة إلى الجذور».

وتسترسل المجلة قائلة: «إنَّ التعصب الديني يتحرك باتِّجاه المواقع السياسيَّة الأمامية في أرجاء العالم الإسلامي من كازابلانكا (الدار البيضاء) وحتَّى مضيق خيبر (في أفغانستان)!

إن مؤشرات هذا الوضع بالنسبة لحركات التنصير ملحة وتشكل تحديًا خطيرًا لا يمكن تجاهله، وإذا لم يكن هناك ما هو أقوى من الفكرة الناضجة، فإنِّي أومن أيضًا أنَّه لا يوجد ما هو أكثر مدعاة للأمل في الحدث الَّذي تختار العناية الربَّانيَّة توقيته، وأومن أيضًا أن هذا المؤتمر يحمل هذه الخاصية.

QaradawiBooks.com

ثانيا: إنَّنِي أشــعر بأن هذا المؤتمر ســيكون تاريخيًّا، فهو واحد من سلسلة لقاءات يجري عقدها للتشاور في أماكن متعددة من أرجاء العالم، كما أنَّها المرَّة الأولى خلال جيلين يعقد فيها مؤتمر يضم هذا العدد من قادة النصارى، جاؤوا ليناقشــوا معًا حالة عمليَّة تنصير المسلمين، ففي بداية هذا القــرن قام صموئيل زويمــر عــام (١٩٠٦م) بتنظيم مؤتمر في القاهرة، وصف بأنَّه (يمثــل بداية عهد جديد لإرســاليات التنصير بين المسلمين)، وقد ضم ذلك المؤتمر (٦٠) ممثلا لثلاثين كنيسة وإرسالية للتنصيــر، وكان هذا المؤتمر هــو الَّذي هيأ المناخ لعقــد مؤتمر أدنبره للإرساليات العالميَّة عام (١٩١٠م)، ومؤتمر لكناو في الهند عام (١٩١١م)، واللذين ركزا على حاجات العالم الإسلامي.

ولكن هذا تمَّ قبل سبعين ســنة (حضارية)، حدثت خلالها تغيرات واسعة في شتَّى المجالات، ولهذا يدعو الوقت الحاضر إلى تفهم جديد وطرق جديدة. أنا لا أومن أنَّ الوقت مناسب تمامًا تاريخيًّا فحسب، بل إن من الضرورة الملحة أن نلتقي معا ونناقش ونصلي من أجل الواجب الملقى على عاتق الكنيسة النصرانيَّة تجاه (٧٢٠) مليونا من البشر يؤمنون بالإسلام، وهذه الضرورة الملحة هي الإحساس الَّذي أشعر به تجاه هذا المؤتمر. فلا يمكننا بعد اليوم أن نعتمد الأســاليب القديمة في مواجهة الإسلام، الَّذي يتغير بسرعة وبصورة جوهرية، فالحصاد الَّذي حان قطافه لا يسمح لنا بتأخير جني الثمار، بانتظار الوقت الَّذي يلائمنا».

من أسباب تفاؤل المُنَصِّرين:

يتفاءل السيِّد ماكري بما يمكن أن يتحقق في تنصير المسلمين فيقول: هنالك على الأقل حقيقتان معاصرتان عن الإسلام تؤيدان هذا التفاؤل:

QaradawiBooks.com

أوَّلًا: الخلافات والفرقة في داخله، والضغوط الَّتي تدعو إلى التغيير والَّتي تهاجمه. لاحظوا أنَّ الإسلام لم يعد ذلك الدين المتماسك كما كان عادة يوصف في السنوات الماضية، بل هو عالم من الخلافات الواسعة والتفرق، فمن هم أولئك الـ (٧٢٠) مليونا من المسلمين (أي واحد من كل ستَّة من البشر)[١] الَّذين يتوزعون فوق رقعة واسعة تمتد من الصحارى الجرداء في شمال إفريقيا والجزيرة العربيَّة إلى القاهرة وكابول المكتظتين بالسكان، وحتَّى غابات جاوا الاستوائية؟ إنَّهم قبائل الهوسا في شمال نيجيريا، والمهاجرون الباكستانيون في نيجيريا، وقبائل البربر في المغرب، والأرواحيون الجاويون، والنخبة الإيرانية والفلسطينية في المنفى، والمدراء العاملون في بيروت من خريجي جامعة أكسفورد، والمهاجرون الأتراك في ألمانيا. لقد عددت القليل منهم، والذين يمثلون اليوم جماعات متباينة إلى حد كبير. فلقد أصبحنا أكثر وعيا بعد لقاء (لوزان) على ضرورة النظر على العالم على أنَّه يتكون من مجموعات متميزة من البشر، وإن علينا التعامل مع كل مجموعة باستراتيجية تنصيرية خاصَّة، إن هناك أكثر من (٥٠) أمة تقول بأنَّها الإسلاميَّة، كما توجد جاليات إسلاميَّة في أكثر من (١٥٠) دولة، وأكد دكتور رالف ونتر وجود حوالي (٣٥٠٠) مجموعة فرعيَّة من المسلمين في أنحاء العالم.

ثانيا: كما أنَّ المسلمين ليسوا شعبًا واحدًا؛ فإن الإسلام ليس عقيدة موحدة، فهناك الإسلام الشعبي الَّذي يتبعه ملايين المسلمين، والَّذي هو خليط من الأرواحيَّة والتقاليد، وهنالك الإسلام الأسود الَّذي تدين به الأقلِّيَّات السوداء في أمريكا، كما يوجد أيضًا الدين الإسلامي (المدني)،

(١) بل واحد من كل خمسة، حيث ذكر أن عدد سكان العالم ثلاثة بلايين، وذكر في موضع آخر أنَّ المسلمين يمثلون (٢٤٪).

QaradawiBooks.com

الَّذي يمارسه ظاهريًّا المتعلمون والطبقات الراقية من المسلمين، الَّذين يفتقرون داخليًّا إلى «الإيمان الحقيقي»، وتطبق أقلية نسبية الإسلام المستند إلى تعاليم القرآن والسُّنَّة النبويَّة.

ويضاف إلى اختلاف المسلمين أنفسهم: أنَّ الإسلام كعقيدة يتعرض لضغوط عديدة، منها اندفاع المسلمين لتقليد الغرب، والأفكار العِلْمانيَّة، والتغييرات الاجتماعيَّة، فأولئك الَّذين كانوا يسكنون خياما مصنوعة من جلود الأغنام، ويركبون الجمال عبر كثبان الصحراء، في نمط للحياة لم يتغير منذ قرون عديدة، أصبحوا اليوم فجأة يقتنون سيارات المرسيدس، وأجهزة التلفاز، والساعات الإلكترونيَّة، والبنوك الأمريكيَّة، وتم افتتاح فروع (لدجاج كنتاكي المقلي) في الكويت، وأبو ظبي، حيث يتمكن العرب من مضغ قطع لحوم الدواجن المشحونة من ولاية كارولينا الشمالية[1] انتهى.

أيها المُنَصِّرون لا تسرفوا في تفاؤلكم:

أود أن أنبه السيِّد ماكري: ألا يسرف في تفاؤله إذا رأى المسلمين مختلفين، فإن كثيرًا من هذا الاختلاف بينهم إنَّما هو من بذر الغرب وصنعه، فهو صاحب فلسفة «فرِّق تسد». ولكن حقيقة الأمة الواحدة باقية، وكذلك عقيدة الأمة لا تزول، إنَّها باقية ما بقيت الأمة، والأمة الإسلاميَّة قد تنام أو تنوم، ولكنَّها لا تموت.

ولقد كتبت كتابًا أثبت فيه: أنَّ الأمة الإسلاميَّة حقيقة لا وهم، حقيقة دينيَّة، وحقيقة تاريخيَّة، وجغرافية، واجتماعيَّة، وثقافية، وسياسيَّة،

(١) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي صـ ١١٧ ـ ١١٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وخصوصا عندما تؤذى في مقدساتها، ولا سيَّما عندما تدرك أن هذا التفرق من عمل أعدائها.

أمَّا دعوى أنَّ الإسلام ليس واحدًا، وإنَّما هو إسلامات شتَّى، فهذا ما يتمناه المُنَصِّرون، ولكن الجميع يقرون بإسلام القرآن والسُّنَّة، ويسيرون وراء العلماء الثقات، ويرجعون إلى أحكام الشريعة، وإن تفاوتوا في ذلك، ولكن الإسلام يجمعهم ويضمهم في رحابه، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢].

وقال ماكري: إن مطبوعات الإرساليات التنصيرية الَّتي تعمل في صفوف المسلمين مليئة بإشارات وعبارات مثل «عدم الاستجابة» أو «منطقة صعبة» أو «نمو بطيء» أو «أرض وعرة»[1].

وأقول للسيد ماكري: إن هذه العبارات ستظل إن شاء الله، هي الَّتي سيرددها المُنَصِّرون في ديار المسلمين، ولن يجدوا مسلمًا هداه الله، وشرح صدره لنور التوحيد، يدع عبادة الله الواحد الأحد، ليعبد بشرًا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

إن أخبار هذا المؤتمر تناقلتها وكالات الأنباء، ونقلت إلى العالم الإسلامي، وأقضت مضاجع الغيورين من المسلمين هنا وهناك ـ وأنا منهم، إن لم أكن في مقدمتهم ـ لما يبيت للإسلام من مكايد، وما يرصد من أموال، وما ينشأ من معاهد، وما يعد من رجال مدربين، لتحويل المسلمين عن دينهم إلى المسيحيَّة، الَّتي لم تعد مسيحيَّة عيسى ابن

(١) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي صـ ١٢١.

QaradawiBooks.com

مريم، بل مسيحيَّة (سانت بولس)، ثمَّ مسيحيَّة قسطنطين الوثني! والَّتي لا يذهب من أهلها إلى الكنائس في أيَّام الآحاد إلَّا نحو (٥٪) خمسة في المائة، كما قالت الإحصاءات في أوربا.

توقيت المؤتمر:

قد كنت أتوهم أن دعاة التنصير بدؤوا حملتهم في الوقت الغلط، ففي هذا الوقت (١٩٧٨م) كانت (الصحوة الإسلاميَّة) الجديدة قد بزغ فجرها، وأشرقت شمسها، وبدأت أنوارها تمتد شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا، داخل العالم الإسلامي وخارجه، وهي صحوة انبثقت من ضمير الشعوب، وهي صحوة عميقة وشاملة، شملت إيقاظ العقول والمشاعر، وإحياء العزائم والضمائر، فهي صحوة علم وعمل، وفكر وحركة، وغيرة ودعوة، وكفاح وجهاد، ظهر أثرها في معارك التحرير من أعداء الأمة، وفي ميادين الاقتصاد، وميادين الثقافة والفكر، وفي ميادين الخلق والسلوك. وقد تجد أثرها في المدن والقرى، والشباب والشيوخ، والرجال والنساء.

وقد جاءني صحفيون وصحفيات من أمريكا وأوربا، يسألونني ـ كما سألوا غيري ـ عن سر هذه الصحوة، الَّتي جعلت الشباب يترددون إلى المساجد، ويرجعون إلى القرآن والسُّنَّة، ويتمسكون بآداب الإسلام، الفتى يلتحي، والفتاة تختمر (أو تتحجب)، والجميع يؤدون الفرائض، ويتجنبون المحرمات، بل يتقون الشبهات، ويقرؤون الكتب الإسلاميَّة، ويسمعون ويشهدون دروس ومحاضرات العلماء والدعاة المسلمين. في حين نرى الشباب الغربي أعرضوا عن الدين، وغرقوا في الشهوات، ولم يعد الدين من مطالب حياتهم؟

QaradawiBooks.com

ثم بدا لي أنَّ القوم قد وعوا بما يجري في عالم الإسلام من حولهم، بل بما يجري في بلدانهم ذاتها من حركة غير عادية للشباب المسلم، حتَّى في قلب أمريكا نفسها، فقد بدأ اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتَّحدة وكندا يثبت وجوده، ويعقد مؤتمراته، ويفتح فروعه، وينشئ مؤسساته المتنوعة، ومنها جمعيَّة العلماء والمهندسين، والجمعية الطبية الإسلاميَّة، وجمعية العلماء الاجتماعيِّين، ومؤسسة الوقف الإسلامي وغيرها.

أخذت هذه المؤسسات ترتبط بأهل الفكر والدعوة والتربية في البلاد العربيَّة والإسلاميَّة، تتأثر بهم، وتؤثر فيهم. ثمَّ انتهى بإنشاء مؤسسة الاتِّحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية المعبر عنه بـ «إسنا»، كما أنشئ في واشنطن «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» لخدمة فكرة «إسلاميَّة المعرفة»، وكذلك جامعة العلوم الاجتماعيَّة الإسلاميَّة، كما أنشئت عدة مؤسسات ومراكز تعليمية ودعويَّة وتربويَّة في أنحاء أمريكا، وأمست هذه كلها تجسد ظهور ما سمي «الصحوة الإسلاميَّة».

وبدأ الغرب بمؤسساته السياسيَّة والثقافية والدينيَّة، يرقب هذه التحركات عن كثب، ويخصص لها الدارسين، وتعد لها الحلقات، فلم يكن في عزلة ولا غفلة عن هذه الصحوة. وخصوصًا المسؤولين عن «التنصير» فيه.

قطع الطريق على الصحوة

ومن هنا كان حماسهم البالغ لعقد المؤتمر الأمريكي للمنصرين البروتستانت في ولاية كولورادو، بادرة منهم ليقطعوا الطريق على الصحوة الإسلاميَّة الواعدة الصاعدة.

QaradawiBooks.com

وفي أوَّل كلمة لرئيس المؤتمر (دون ماكـــري) قال في مفتتح خطابه: بلغت الصحوة الإسلاميَّة الَّتي تجيش في أعماق (٧٢٠) مليون مسلم شأوًا لم تبلغه لعدة قرون مضت. ثمَّ يتحدث عن البترول الَّذي يملك المسلمون معظمه: وهو يشـــكل شـــريان الصناعة في الغـــرب. وعن بـــروز القضايا الإســـلاميَّة في العالم، من تمرد جبهة مورو لتحرير المسلمين في الفلبين، إلى الصراع بين العِلْمانيِّين والإسلاميِّين الَّذي كاد أن يفرض تطبيق الشريعة الإسلاميَّة في مصر، كما ستقوم باكستان بتطبيق الدستور الإسلامي، لأول مرَّة في تاريخها، ابتداء من آذار (مارس) عام (١٩٧٨م)[1]. إلى غير ذلك من مظاهر الصحوة الإسلاميَّة، الَّتي تجلت أكثر ما تجلت في سلوك الشباب، الَّذي عمر المساجد، والشابات اللاتي التزمن طوعا بالحجاب.

في هذا الوقت الَّذي بدأ فيه رجال التنصير ينشطون، كانت الصحوة تشق طريقها بقوَّة، بغير مبشرين، وبغير مليارات ولا ملايين، وبغير معهد زويمر ولا غيره. وصـــدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

تأسيس الهيئة الخيريَّة الإسلاميَّة لمواجهة كيد المُنَصِّرين:

على كل حال لقد أقلقتني أخبار مؤتمر كولورادو، كما أقلقت غيري من العلمـــاء والدعاة وأهل الغيرة على الإســـلام وأمتـــه، وكل الحراس الأيقاظ الَّذين عدوا أنفسهم مسؤولين عن هوية الأمة وعن الحفاظ على عقيدتها ورسالتها، مرابطين على ثغورها.

(١) انظر: التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي صـ ١٠٥.

QaradawiBooks.com

وهذا ما حركني لعمل شيء لمقاومة التيار التنصيري، الَّذي يستغل فقر المسلمين وجهلهم ومرضهم ومشاكلهم، للتسلل منه إلى فتنتهم عن دينهم، بوسائل غير أخلاقيَّة، وأساليب لا يرضاها الله ولا رسله، ومنهم المسيح عليه السلام.

وهو ما انتهى إلى تأسيس «الهيئة الخيريَّة الإسلاميَّة العالميَّة» بالكويت.

تنصير إندونيسيا في خمسين عامًا:

يذكرني هـذا المؤتمر وطموحاته في تنصير أمة الإسـلام الكبرى، ما كان قد قرره المُنَصِّرون في إندونيسـيا في الستينيَّات أو السبيعنيَّات من القرن العشـرين: أن يحولوها من بلد مسـلم إلى بلد نصراني في حدود خمسين عامًا! وضاعفوا لذلك الإرساليات، واستعدوا بمضاعفة الميزانيات، وأسسوا عشـرات المطارات، ووفروا أعدادا من الطائرات، ينتقلون بها بين الجزر. مستغلين فقر الفقراء، وضعف المرضى، وضياع اليتامى والأرامل، وجهـل الأميين، وفراغ القبائل الهمجيـة، وعِلْمانيَّة الحكام، الَّذين لم يعد يهمهم أمر الدين، ولا الحفاظ على هوية الإسلام، فقرروا غزو هـذا البلد، الَّذي أصبـح بعد ذلك أكبر بلد إسـلامي في العالم، وتحويل مسـاجده إلى كنائس، وأبنائه من مؤمنين بالله الواحد الأحد إلـى مؤمنين بالآلهة الثلاثـة: الإلٰه الأب، والإلٰـه الابن، والإلٰه الروح القدس.

وزار أحد المثقفين أو الناشـرين الإسلاميِّين اللبنانيين إندونيسيا في ذلك الوقت ورأى هذا التخطيط والإعداد (وهو الأستاذ: عز الدين بليق صاحب دار الفتح في بيروت) فهاله ما رأى، وكتب كتابًا عنوانه «أنقذوا إندونيسيا يا مسلمون!».

QaradawiBooks.com

ولكن الله خيب ظنونهم، ورد كيدهم في نحورهم، وأعاد سهامهم المسمومة إلى صدورهم، وقام رجال مخلصون من أبناء إندونيسيا على رأسهم المجاهد الكبير د. مُحمَّد ناصر، فأنشؤوا المجلس الأعلى للدعوة الإسلاميَّة، وقاوموا بإمكاناتهم المحدودة، القدرات الهائلة الَّتي يملكها المُنَصِّرون. وكانت النتيجة ما قرره القرآن الكريم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، وسقطت الأنظمة الدكتاتورية في إندونيسيا، وقامت فيها صحوة إسلاميَّة، لمس النَّاس آثارها في كل مكان، حتَّى إنَّهم ترجموا من عدة سنين أكثر من مائة كتاب من كتبي. والآن أكثر وأكثر.

كلُّ سنن الله وآياته تنذر بإخفاق المُنَصِّرين في مُهِمَّتهم:

وإنَّ المرء ليعجب من غرور هؤلاء المُنَصِّرين، وكيف ختم الله على قلوبهم، وعلى أسماعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة، فباتوا يطمعون في أن يحولوا المسلمين ـ كل المسلمين ـ الموحدين إلى نصارى مثلثين، وكل سنن الله تضادهم، وتنذر بإخفاقهم.

أوَّلًا: لأن منطق الترقي أن ينتقل الإنسان من الشرك بمختلف مظاهره ـ ومنه الإيمان بآلهة ثلاثة ـ إلى التوحيد الخالص، الَّذي هو جوهر الإسلام ويتمثل في قول: لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له.

وثانيًا: لأن من يدخل في الإسلام يضيف إلى إيمانه، ولا ينتقص منه. فكما أنَّ اليهودي إذا تنصر، أضاف إلى إيمانه بموسى: الإيمان بالمسيح عيسى، وإلى إيمانه بالتوراة إيمانه بالإنجيل، فكذلك إذا دخل النصراني الإسلام أضاف إلى إيمانه المنقوص: إيمانه بمحمد وبالقرآن.

QaradawiBooks.com

كما أعلن القرآن: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ثالثًا: لأنَّ المسلم يؤمن بكتاب تكفل الله بحفظه، وهو القرآن، فلم تضع منه كلمة، ولم ينقص منه حرف، والمسلمون يقرؤونه كما كان يقرؤه النبي وأصحابه، ويكتبونه كما كتب في عهد الخليفة الثالث عثمان، فكيف ينتقلون من هذا إلى كتاب ثبت تحريفه لفظيًّا ومعنويًّا، وكتبت في ذلك كتب ودراسات من الغربيِّين أنفسهم، ومن غيرهم. وهل يستبدل الإنسان الَّذي هو أدنى بالذي هو خير؟ ورحم الله البُوصيري حين قال:

اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ وَكِتَابُهُ أَقْوَى وَأَقْوَمُ قِيلَا
لَا تَذْكُرُوا الْكُتُبَ السَّوَالِفَ عِنْدَهُ طَلَعَ الصَّبَاحُ، فَأَطْفِئِ الْقِنْدِيلَا[1]!

رابعًا: أنَّ التاريخ ينقل لنا بالوثائق والحقائق والأرقام: أنَّ النَّاس منذ أربعة عشر قرنا ينتقلون من النصرانيَّة إلى الإسلام، وليس العكس. وقد كانت مصر وبلاد الشام وشمالي أفريقيا والأناضول وغيرها نصرانيَّة ودخلت مختارة جميعا ـ إلَّا أقليات محدودة ـ في الإسلام.

خامسًا: أنَّ كثيرًا من البلاد النصرانيَّة الأصل، لم تعد نصرانيَّة في الحقيقة، بل هي لا دينيَّة تماما، في تفكيرها، وفي وجدانها، وفي سلوكها. فأولى بالمُنَصِّرين أن يعودوا إلى أقوامهم ليردوهم إلى دينهم، عملًا بالتوجيه الإسلامي: ابدأ بنفسك ثمَّ بمن تعول. بدل أن يذهبوا إلى أمة متمسكة بدينها، ولا تبيعه بملك المشرق والمغرب.

---

(١) انظر: المجموعة النبهانية في المدائح النبويَّة لإسماعيل النبهاني (١٨٣/٣)، نشر المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٢٠هـ.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

سادسًا: أن أي مسلم من عامَّة الناس، يعتقد أنَّه وحده يملك الحقيقة كاملة، وأنَّه يعلم عن حقيقة المسيح ما لا يعلمه المنصر عنه، وأن هذا المنصر ضال مضل، لأنَّه يعمل لحساب الغرب الاستعماري المادي الانحلالي، وليس لله وحده، فكيف يستجيب لمثله؟!

سابعًا: إنَّ المسلم يعتقد أنَّ المنصر إنسان لا أخلاقي، يلهث وراء المنفعة، ليس إنسان قيم روحية ولا أدبيَّة. الغاية عنده تبرر الوسيلة. على أنَّه لا يملك غاية رفيعة. فهو يعمل على نشر المبادئ الإلحادية، والمذاهب الانحلالية، بين المسلمين، ليفسح الطريق ليطرح هؤلاء شباكهم، يصطادوا الأطفال والفقراء وأمثالهم.

ولو كانوا أهل دين، ما رضوا تحويل فرد أو جماعة مؤمنة بالله واليوم الآخر، إلى ملاحدة أو شكاك أو إباحيين.

ثامنًا: ثمَّ العجب كيف يطمع هؤلاء في إضلال أُمَّة عن دِينها، بحيث تكفر بربها الواحد الأحد، وبقرآنها المُعْجِز الخالد، وبنبيها خاتم النبيِّين، وهي أُمَّة الخلود الَّتي جعلها الله خير أُمَّة أُخرجت للناس، وقد بلغت مليارًا وستمائة مليون نسمة؟!

من الأحمق المهووس الَّذي يحسب أنَّ هذه الأمة قطيع يساق بسوط الترهيب، أو بزمام الترغيب، عن طريق وجبة من الغذاء، أو حبات من الدواء. إننا نذكرهم بقول الشاعر:

يَا نَاطِحَ الجَبَلِ العَالِي لِتَكلِمَهُ أَشفِق عَلَى الرَّأسِ لَا تُشفِق عَلَى الجَبَلِ[1]!

(١) من شعر الحسين بن حُميد. انظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر (١١١٣/٢)، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

تاسعًا: كيف يدع المسلم دينا يقوم على العلم، واحترام العقل. حتَّى إنَّ أوَّل آية نزلت في قرآنه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وقرَّر المحققون من علمائه: أن إيمان المقلد غير مقبول، والقرآن يقول: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة: ١١١]، إلى دين يقول لأتباعه: اعتقد وأنت أعمى! أغمض عينيك ثمَّ اتبعني. وقد حفل تاريخه بمقاومة العلم، واضطهاد العلم، ومحاكم التفتيش. في حين أنَّ علماءنا يقولون: الدين عندنا علم، والعلم عندنا دين!

ونذكر هنا ما قاله إمام المُفَسِّرين والأصوليِّين والمُتَكَلِّمين في عصره، الفخر الرازي: إنَّ المتكلِّمين حكوا عن النصارى أنَّهم يقولون: جوهر واحد، وثلاثة أقانيم: أب، وابن، وروح القدس، وهذه الثلاثة إلٰه واحد... ثمَّ قال: واعلم أنَّ هذا معلوم البطلان ببديهة العقل، فإن الثلاثة لا تكون واحدًا، والواحد لا يكون ثلاثة، ولا يرى في الدُّنْيا مقالة أشد فسادًا وأظهر بطلانًا من مقالة النصارى[1].

عاشرًا: كيف يدع المسلم دينا عالميًّا خالدًا بطبيعته، إلى دين محلي إقليمي مؤقت بحكم طبيعته، ورسالته الأصليَّة، فالمسيح ـ كما ذكر القرآن ـ رسول إلى بني إسرائيل، والإنجيل نفسه يقول على لسان المسيح: «إنَّما بُعِثت إلى خراف بني إسرائيل الضالة» بهذا الأسلوب الحصري. أمَّا القرآن فقد نادى من أوَّل يوم برسالة عالميَّة: ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، كما أعلن نبي الإسلام أنَّه ختم النبيين فلا نبي بعده.

(١) تفسير الرازي (٤٠٩/١٢)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

والمسيحيَّة جاءت علاجًا لغلو اليهوديَّة ـ المحرَّفة ـ في المادِّيَّة والشكليَّة، فعالجت الغلو بشيء من الغلو حتَّى يعتدل الميزان، ويأتي الدين الخاتم الَّذي يؤكد المنهج الوسط للأمة الوسط، وهو الإسلام.

دعاة التنصير ليسوا حملة هداية دينيَّة:

كان «التنصير»، يسمى قديمًا «التبشير»، لأن كلمة التبشير كلمة محببة، ومن مهمة الرسل في القرآن أنَّهم «مبشرون ومنذرون». ولكن كلمة «التنصير» أحق بهم، فهؤلاء لا يبشرون، وإنَّما يُنصِّرون، أو هذا هو هدفهم وهذه رسالتهم. وهي في ظاهرها رسالة دينيَّة، لأنَّها تعلن أنَّها تعمل لنشر النصرانيَّة في العالم، ونقل هداية المسيح إلى المحرومين منها، حتَّى يذوقوا طعم الإيمان، ويرفضوا «المادِّيَّة» الَّتي تقول: ليس للكون إلٰه، وليس للإنسان روح، وليس مع الدُّنْيا آخرة، ويرفضوا كذلك النزعة الانحلالية، الَّتي لا تؤمن بالقيم الأخلاقيَّة، ولا بالعفة والإحصان. ويرفضوا كذلك الفلسفة (النفعية)، الَّتي تركض وراء المتعة والمصلحة الشخصيَّة المادِّيَّة الفرديَّة العاجلة.

هذا ما يعلنه التنصير ويشيعه عن نفسه وهدفه، ولكن الواقع يكذب دعواه، ويثبت أنَّه غزو جديد من الغرب ـ المتمسح بالنصرانيَّة ـ للشرق الإسلامي. لذا يعاونه الاستعمار أبدًا، ويوفر له الحماية والتأييد والمساندة. أو قل: هو لون جديد من الاستعمار، يتخذ (الدين) أداة له. فالدين ليس غاية تقصد، بل وسيلة تتخذ، ومطية تركب.

ومما يؤيد قولنا هذا: أنَّه بعد أن اجتمع ممثلو التنصير في «لوزان» بسويسرا سنة (١٩٧٤م) بهدف «تنصير العالم»، سرعان ما اجتمع ممثلوه

QaradawiBooks.com

في (كولورادو) بأمريكا سنة (١٩٧٨م)، بهدف تنصير المسلمين في العالم! كأن المسلمين هم أوَّل المحرومين من الإيمان، المحتاجين إلى هداية المسيح!

ولو كانوا دعاة هداية دينيَّة حقًّا، لذهبوا إلى الأمم الهمجية، الَّتي لا تعرف لها دينًا ينتسب إلى السماء، وإنَّما تعيش على أديان بدائيَّة، ووثنيات جاهليَّة.

أو يذهبوا إلى بلاد الملاحدة، الَّتي تدين بالإلحاد والمادِّيَّة، وتقول: ليس صوابًا أنَّ الله خلق الإنسان، بل الصواب أنَّ الإنسان هو الَّذي خلق الله!

أو تذهب إلى ديارها ذاتها وترد النَّاس إلى ديانتها الَّتي هجرها أهلها، حيث تقول الإحصائيات: أن (٥٪) خمسة في المائة فقط ـ أو أقل ـ من أهل أوربا، هم الَّذين يذهبون إلى الكنائس كل يوم أحد، مع أنَّ الذهاب إلى الكنيسة ليس ـ بالضرورة ـ دليل تديُّن.

وقد ذكرنا أنَّهم يسعون إلى نشر الإلحاد والمادِّيَّة والانحلال بين المسلمين، ليفتنوهم ويسلخوهم من دينهم. وهذا عمل لا يرضاه ذو دين حقيقي يؤمن بالله واليوم الآخر.

وقد استعان المُنَصِّرون في وقت من الأوقات بالشيوعيَّة، وساعدوا على انتشارها في بلاد المسلمين، وإن لم يستفيدوا هم من وراء ذلك شيئًا، إلَّا الهدم لبناء الإسلام. وهذا لا يدلُّ على أي نزعة إيمانيَّة أو دينيَّة، وإنَّما يدل على نزعة شريرة، تعمل للإفساد لا للإصلاح، وللفجور لا التقوى، ولتقوية حزب الشيطان لا حزب الرحمن!

QaradawiBooks.com

همسة في آذان الَّذين يريدون تنصير المسلمين:

وأود أن أهمس في أذن أعضاء مؤتمر كولورادو وجماعات المُنَصِّرين الَّذين أجهدوا أنفسهم في إعداد المؤتمر، وانتقاء أفراده وباحثيه، واقتناء بحوثه، والبراعة في تنظيمه وإدارة مناقشاته، والاجتهاد في إصدار توصياته وقراراته، وتأسيس «معهد زويمر» للإشراف على التنصير، وتوفير التمويل اللازم في الحال (مليار دولار وضعت في البنوك تحت تصرفهم)، أود أن أقول لهم: إن هذه الضجة الهائلة الَّتي افتعلوها؛ لإخافتنا نحن المسلمين، لن تخيفنا؛ لأننا نعتقد أنَّ الإسلام في أنفس أبناء المسلمين في قوَّة الجبال الشم ورسوخها. وهذه الجبال لا يزحزحها عصف الرياح، وإن اشتدت، وإن حق الإسلام الَّذي ختم الله به النبوَّات، ونسخ به سائر الديانات أرسخ وأبقى على مر الزمان. وسيحطم في طريقه كل باطل، وإن حاول أن يتزيا بزي الحق، كما قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، وقال ﷻ: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

وأنا أرثي لهؤلاء المُنَصِّرين المساكين، الَّذين يعيشون في وهم كبير: أنَّ المسيح عيسى ابن مريم هو الرب!

وهو إنسان مولود من رحم امرأة، عاش كما يعيش بنو آدم، يأكل ويشرب كما يأكلون ويشربون، ويحيا كما يحيون، ويموت كما يموتون، كما قال القرآن: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، وهو كما وصف القرآن: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]،

QaradawiBooks.com

وقد اجتهد في دعوة النَّاس إلى عبادة الله لا إلى عبادة نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١].

كلما قرأت ما يصنعه أولئك المُنَصِّرون، من محاولات مع المسلمين لإضلالهم، بعد أن هداهم الله، وأتم عليهم نعمته، وشرح صدورهم للإسلام، أقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وأنا أوصيهم أن يوفروا جهودهم ليبذلوها لشعوب أخر، بدل أن يبذلوها مع أمة تعتبر نفسها خير أمة أخرجت للناس، حيث يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله. وأنَّها «الأمة الوسط» الَّتي كلفها الله الشهادة على الأمم كافة. وأنَّها الأمة الَّتي ميزها الله بخير كتاب أنزل، وهو القرآن، وبخير نبي أرسل، وهو مُحمَّد ﷺ، وهي صاحبة الكتاب المحفوظ من الله، الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أنصح المُنَصِّرين أن يعودوا إلى أنفسهم ليصححوا عقيدتهم الَّتي أفسدوها من قديم حين أدخلوا عليهم «العقائد الوثنيَّة» الَّتي أخذوها من الدولة الرومانية الوثنيَّة، حين اعتنق الملك قسطنطين النصرانيَّة، فخسرت بوصفها دينا، وإن اكتسبت دولة. وكما قال أحد علمائنا: إن روما لم تتنصر، ولكن النصرانيَّة ترومت!

وكم أتمنى أن يفتحوا آذانهم وقلوبهم لنداء القرآن لهم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١]، وإلى قوله:

QaradawiBooks.com

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

إنَّ المُنَصِّرين إذا ناقشوا المسلمين، يهربون من الكلام في العقيدة؛ لأنَّهم يعبدون بشرًا، والمسلمون يعبدون إلهًا واحدًا وهو الله سبحانه، كما قال القرآن: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

يدع المُنَصِّرون الكلام في العقيدة، ويبدئون ويعيدون في فرعيات، أوسعها المسلمون بحثا، وأصبح ملايين المسلمين قادرين على الرد عليهم فيها.

أمَّا الإيمان بالمسيح نبيًّا ورسولًا من عند الله، وبأمه صديقة مصطفاة مطهرة من الله، فالمسلمون لا يحتاجون إلى من يعلمهم في هذا المجال، وهم يعلمون العالم منذ أربعة عشر قرنا أو يزيد، قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣].

وقد احتفى القرآن بمولد مريم ابنة عمران، ونذر أمها لها ـ وهي في بطنها ـ أن تخدم القرآن سورة سميت باسمها، كما احتفى بمولد المسيح عليه السلام. وذكر له من المعجزات ما لا يعرفه المعبد. وجعل لها المسيحيون، مثل نطقه في المهد صبيًّا، وخلقه من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، وإنزال مائدة من السماء بدعوته. ولكن هذا لا يخرجه عن بشريَّته وعن عبوديته لله.

QaradawiBooks.com

وقبله موسى قلب الله له العصا حيَّة تسعى، ولقفت كل حبال السحرة وعصيهم، وما أخرجه هذا عن بشريته!

وكان الإسلام طوال القرون الماضية أقوى حجة، وأنصع برهانًا، وكانت شبهات النصارى تتهاوى أبدًا أمام حجج الإسلام وبيناته، كما يدرك ذلك بلا عناء كل من يقرأ القرآن.

ومن يقرأ الكتب الَّتي جادلت النصارى، ويقرأ ما يقابلها من دفاعات أهل الإنجيل، يجد الكفة الإسلاميَّة راجحة. كما نرى ذلك في «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم (ت٤٥٦هـ)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، و«الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، و«هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» لابن القيِّم (ت٧٥٨هـ)، و«المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل» للمسعودي المتوفى في القرن العاشر الهجري.

وكذلك الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه «إظهار الحق»، إلى كتابات الكاتب المصري محيي الدين سعيد البغدادي وذلك في «مجلة الإسلام» الَّتي ظل يكتب فيها سنين طويلة، خلال الأربعينيات من القرن الماضي، وما قبلها وما بعدها.

إلى مناظرات أحمد ديدات الشهيرة الَّتي رآها الملايين من خلال شاشات التلفاز، حين أفحم الأمريكان المكابرين. إلى غيره من المعاصرين.

إلى كتابات الإمام مُحمَّد عبده «الإسلام والنصرانيَّة مع العلم والمدنيَّة»، وكتابات تلميذه الإمام مُحمَّد رشيد رضا «شبهات النصارى

QaradawiBooks.com

وحجج الإسلام»، وكتابات الإمام أبو زهرة «محاضرات في النصرانيَّة»، إلى كتابات د. أحمد شلبي عن المسيحيَّة، إلى كتابات شيخنا الغزالي «صيحة تحذير من دعاة التنصير»، إلى كتابات الدكتور مُحمَّد عمارة «الفارق بين الدعوة والتنصير» إلى كتابات الدكتور زغلول النجار.

استنفار قوى الأمة المسلمة لتدافع عن دينها وهويتها:

إنَّني أستنفر القوى المدافعة عن الأمة الإسلاميَّة في كل أنحاء الأرض لتقف صفا واحدا في مواجهة هذه الهجمة الصليبيَّة الغربيَّة الجديدة على الإسلام وأُمَّته، الَّتي تهدف إلى تنصير المسلمين، جميع المسلمين في العالم ـ انظر إلى الجرأة والوقاحة ـ جميع المسلمين، أي تعد لحرب إبادة، كأننا أمة من الصراصير يرش عليهم مبيد فيقتلهم، ولا يبقي لهم أثرًا.

المطلوب من الأُمَّة بكلِّ قواها وإمكاناتها، أن تكون كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

عند المعركة لا مجال للاختلاف، وبخاصَّة أن عدونا يقدر أنَّنا لم نعد أمة واحدة، بل أصبحنا ممزقين يجافي بعضنا بعضًا، بل يقاتل بعضنا بعضًا.

ننادي منظمة المؤتمر الإسلامي، والهيئات الإسلاميَّة والعلميَّة والدعويَّة الكبرى: الأزهر الشريف، ورابطة العالم الإسلامي، وجمعية الدعوة الإسلاميَّة في ليبيا، والجامعات الإسلاميَّة الكبرى، ومراكز الفكر الإسلامي، والمجامع الفقهيَّة والفكريَّة الإسلاميَّة، والقائمين

QaradawiBooks.com

بالإفتاء في الدول الإسلاميَّة، ووزارات الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة، والجمعيَّات الإسلاميَّة العلميَّة، والدعويَّة والسياسيَّة، في العالم الإسلامي: أن يعدوا عدتهم، ويأخذوا أهبتهم، ويجهزوا أنفسهم للمغيرين عليهم.

على الجميع أن يري هؤلاء أن لحمنا مسموم، وأن حمانا محروس، ولسنا كلأ مباحًا، وأن من اقترب من نارنا ستحرقه، ومن مياهنا ستغرقه.

نحن أصلب عودًا من أن تهزنا تهويلات المُنَصِّرين:

ومع هذا نحن نوقن أنَّ المستقبل لنا، وأنَّ الغد لهذا الدين العظيم: «دين القوَّة والرحمة، دين العدل والإحسان، دين العلم والإيمان، دين الدُّنْيا والآخرة».

نحن المسلمين أصلب أعوادًا، وأرسخ أقدامًا، من أن تهزنا تهويلات المُنَصِّرين، ومؤتمراتهم، ودراساتهم، وخططهم القديمة والحديثة، ومليارتهم المرصودة، ورجالهم المدربون والمهيؤون، فنحن نقف على أرض صلبة ثابتة، لا تتزعزع أقدامنا، ولا تتزلزل عزائمنا.

فنحن أصحاب الدين الخاتم، الَّذي نسخ كل الأديان. وأتباع النبي الَّذي ختم الله به النبيين. وعندنا القرآن الَّذي لم تحرف فيه كلمة واحدة، منذ نزل على مُحمَّد إلى اليوم، وإلى أن تقوم الساعة. ونحن أمة التوحيد والأخلاق، والقيم الربَّانيَّة، والمثل الإنسانيَّة. ولا تزال أمة الإسلام أقوى الأمم تمسكًا بدينها، وثباتًا على خصائصها ومقومتها، برغم الفتن الَّتي تتعرض لها.

QaradawiBooks.com

انظر إلى أكثر من ثلاثة ملايين ذهبوا إلى موسم الحج هذا العام، جاؤوا من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيَّام معلومات. وإلى مثلهم ذهبوا إلى بيت الله الحرام لأداء العمرة في رمضان الفائت.

وانظر إلى صلوات التراويح في أرجاء العالم الإسلامي: مشرقه ومغربه، وشماله وجنوبه، وانظر إلى صيام رمضان الَّذي يقوم به مئات الملايين من المسلمين في كل عام، رغم اعتبار المُنَصِّرين أنَّه عبادة شاقة جدًّا، ولو أمكن لمصور أن يصور هذه الأعداد الهائلة وهي تنتظم دوائر حول الكعبة المشرفة تنتظر المغرب، يعلن: الله أكبر. حتَّى تفطر على اسم الله قائلة: ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله، ثمَّ تصلي المغرب وما بعده من نافلة. ثمَّ تترقب وقت العشاء، لتذهب إلى مساجدها وتصلي العشاء والتراويح، مستمتعة بتلاوة القرآن أو استماعه، داعية خاشعة لله... لأيقنوا أن هذه أمة لا تهزم، وأنَّها أمة لا تموت. وأن دين هذه الأمة هو الدين الَّذي وعد الله أن يظهره على الأديان كلها، في آيات ثلاث من كتاب الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣، والفتح: ٢٨، والصف: ٩].

كما استفاضت الأحاديث الصحاح المبشرة بذلك، يكفينا منها: حديث تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليلُ والنهار، ولا يترك الله بيتَ مَدَرٍ ولا وبر إلَّا أدخله الله هذا الدِّين، بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليل، عزًّا يعز الله به الإسلام، وذلًّا يُذِلُّ الله به الكفر**».

QaradawiBooks.com

وكان تميمٌ الداري، يقول: «قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذلُّ والصغارُ والجزية»[1].

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة يناير ٢٠١١م

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطبراني (٥٨/٢)، والحاكم في الفتن (٤٣٠/٤)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٠٧): رجال أحمد رجال الصحيح.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

مقدمة «الانتخابات أحكام وضوابط»

للدكتور أكرم كسَّاب[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اتَّبع هُداه.

(أمَّا بعد)

فإن الفقه السياسي، أو فقه الدولة والحكومة، أو فقه السياسة الشرعيَّة، من أهم أنواع الفقه الَّذي يحتاج إلى عقول زكيَّة، وإلى أقلام حيَّة، وإلى ثقافة رحْبة، لتبدئ فيه وتعيد، في ظلِّ الأصول الإسلاميَّة، والمقاصد الشرعيَّة الكُلِّيَّة، الَّتي ترعى مصالح العباد، في المعاش والمعاد، وتحقق التوازن بين الفرد والمجتمع والدولة والعالم، وتحمي الإنسان من نفسه الَّتي بين جنبيه، ومن كل ما يعاديه ويحرص على إغوائه والتزيين له في الأرض، وإفساد دينه ودنياه.

والموفق من أهل الفقه ودارسيه من أعطى هذا الفقه حقه، وغاص في مراجعه الجمة، وعاد إلى نصوصه الأصليَّة من الكتاب والسُّنَّة، وراجع أقوال الصحابة، وتابعيهم بإحسان، ثمَّ أقوال الأئمَّة من بعدهم، ممَّن شرقوا وغربوا، وخصوصًا أقوال المحققين والراسخين من علماء

(١) نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأمة الكبار، ووازن بينها بإنصاف، وقام بالترجيح بينها، مقويًا ما يستحق التقوية، ومضعفًا ما يستحق التضعيف في نظره.

لا شك أن أئمتنا وفقهاءنا بذلوا جهودهم في الفقه السياسي، فألفوا فيه منفردًا، كما في كتب السياسة الشرعيَّة، و«الأحكام السلطانية» المعروفة للماوردي الشافعي (ت٤٥٠هـ)، وأبي يعلى الحنبلي (ت٤٥٨هـ)، و«الغياثي» لإمام الحرمين الجويني (ت٤٧٨هـ)، و«السياسة الشرعيَّة في إصلاح الراعي والرعية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، وغيرها من الكتب الَّتي عالجت موضوع الفقه السياسي على حدة.

وهناك من عالج الموضوع ضمن أبواب الفقه العام، في كل المذاهب المختلفة، منها ما انقرض، ومنها ما بقي، وخارج المذاهب في الفقه العام والمقارن، وهو كثير.

وفي فقه آيات الكتاب العزيز، من تفسير القرآن الكريم، كـ«أحكام القرآن» للجصاص (ت٣٧٠هـ)، وابن العربي (ت٥٤٣هـ)، وغيرهما.

وفقه أحاديث الرسول الكريم مثل ابن تيمية الجد (ت٦٥٢هـ) في كتابه «منتقى الأخبار»، وشرحه «نيل الأوطار» للإمام الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، ومثل «بلوغ المرام في أحاديث الأحكام» للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، الَّذي شرحه العلَّامة الإمام الصنعاني (ت١١٨٢هـ) في «سبل السلام».

ومع هذا؛ قدر الباحثون في علم الفقه بفروعه المختلفة: أن علم الفقه السياسي لم يأخذ حظَّه كاملًا من الدراسة الدقيقة الجامعة

QaradawiBooks.com

المستوعبة، كما أخذت الأنواع الأخرى من الفقه حظها، وأنَّه لا يزال في عصرنا يحتاج إلى أعمال علميَّة، وأبحاث فقهيَّة، ودراسات أكاديمية، يقوم بها أهلها، القادرون عليها، بانين على ما بُنِيَ من قديم، مستشفّين ما يتطلّبه الجديد، ممَّا تتطلع إليه الأمة الإسلاميَّة، وينشده أبناؤها وعلماؤها وقادتها وأمراؤها من فقه جديد، تقتضيه الحاجة، وينادي به التطور، وتطالب به موجبات التقدم في عالم اليوم.

وهذا ما دعا كثيرًا من علماء العصر وفقهائه إلى الاشتغال بدراسة هذا العلم، والاستفادة ممَّا كتبه القدماء، والتأسيس عليه، والانتفاع بما كتبه الغربيُّون على اختلاف اتِّجاهاتهم ما بين فرديين واجتماعيِّين، ورأسماليين واشتراكيين، موسعين ومضيقين.

وهو ما جعل ابننا النابه الدكتور أكرم كساب، يهتم بالأمر ويكتب فيه، وهو الَّذي يعمل منذ سنين في دولة قطر في مساجدها ووزارة أوقافها، وعمل عدة سنين معي باحثًا وسكرتيرًا علميًّا، وهو مشغول دائمًا بالبحث، وبالسؤال عما يشكل عليه، وبمصادر الموضوع الَّذي يبحث عنه، وبدراسته حيثما يتيسر له. وقد اختاره زملاؤه ليكون مسؤولًا عن «رابطة تلاميذ القرضاوي»، فقام بها على أفضل ما يستطيعه مثله في ظروفه وأحواله، متعاونًا مع المخلصين من أحبابه.

وقد اهتم من أوَّل حياته العلميَّة بالبحث في كتبي ودراساتي ومنهجي في الدعوة والفكر، ونشر في ذلك بعض الكتب النافعة للشباب والباحثين، وهذا فتح عليه أبوابًا كثيرة دفعته لطلب المزيد فيها. ومنها: مجال الفقه السياسي، فقد قرأه في كتبنا: «شمول الإسلام»، و«السياسة الشرعيَّة»، و«الدين والسياسة»، و«فقه الدولة في الإسلام»، و«سلسلة

QaradawiBooks.com

حتمية الحل الإسلامي»، و«أين الخلل؟»، و«غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، و«فقه الأقليات» وغيرها.

وقد عالجت ذلك في محاضرات مستقلة، وخطب مستقلة، وفتاوى مستقلة في كتابي «فتاوى معاصرة» بأجزائه الكبيرة الأربعة، فضلًا عن تناولي لذلك في مذكراتي الَّتي سميتها «ابن القرية والكُتَّاب: ملامح سيرة ومسيرة». كما اهتم بكتب العلماء المعاصرين الآخرين ودراساتهم المختلفة.

وفي هذا الكتاب: «الانتخابات أحكام وضوابط»، عُني أكرم ـ حفظه الله ـ بمسألة الانتخابات، الَّتي عنيت بها الأمم الحديثة كلها، كما عنيت بها أمتنا، وإن حرم معظمها من ثمراتها إلَّا قليلًا منهم. وحاول أن يوجد لها حكمًا شرعيًّا: هل هي شهادة يؤديها صاحب الصوت لمن يدلي له بصوته، قابلا أو رافضا؟ وهو الرأي الَّذي اخترته وأيدته من قديم دون أن أقرأه لأحد منذ سنة (١٩٥٦م)، أم هو وكالة من الفرد لأحد الأشخاص لينوب عنه؟ وقد اختار أكرم أن يجمع بين الرأيين.

ومضى أكرم في طريقه، فقسم الكتاب إلى مقدمة وثمانية مباحث وخاتمة، وضع فيها كل أفكاره ودراسته حول القضيَّة الكبيرة الَّتي حملها على عاتقه، وهي الفقه السياسي، حول الانتخابات وما يتعلق بها، وما يقرب فيها بين المتباعدين، من المانعين والمجوزين، وما بينهما في بعض الأحيان.

والمؤلف في أصله داعية موهوب، اشتغل بالخطابة والدعوة قبل أن يشتغل بالفقه، فليس هو خريج كُلِّيَّة الشريعة، بل خريج الدعوة، ولكنَّه مع اشتغاله بالدعوة ومتطلباتها، ونظره أساسا في كتبها، وما يعرض له

QaradawiBooks.com

في حياته الدعويَّة من أسئلة ومناقشات فقهيَّة، اقتضاه ذلك الاهتمام بالفقه ودراسته في مصادره وكتبه، وبين أهله، ولكن هذا لم يحرمه النظرة الدعويَّة الموضحة للفقه، والمبينة له، فلم يتخل ولم يحد عنها، ولهذا تجد فقهه بيانًا معبرًا عن نفسه، ليس فيه وعورة الموغل في الفقه، البعيد عن التعامل مع الناس.

لقد ناقش أمهات المسائل في مباحثه الثمانية مناقشة تفصيلية، مستمدًّا من آيات القرآن، وأحاديث الرسول، وأقوال المفسرين، وشروح المحدثين، وفقه المتفقهين، وتأويلات المؤولين ما يسند فكره، ويحمي ظهره، ويشد أزره، وكثيرًا ما وفق إلى الرأي الراجح الوسط، الَّذي تنشرح به الصدور، وتبتسم له الثغور، وتطمئن به القلوب.

لهذا اهتمَّ علماء الشريعة والدراسات الإسلاميَّة في عصرنا بعلم السياسة، ومقتضياته وموضوعاته، مع ما رأيناه في عالم اليوم من تغيرات هائلة، شاهدناها بأعين رؤوسنا، ولمسناها بأيدينا، لا يستطيع أحد أن ينكرها، أو يقلل منها، وهي توجب علينا، ولا سيَّما على علمائنا ومُفَكِّرينا ومُثَقَّفينا، كلٌّ في اختصاصه: أن يبذل جهده، ويستفرغ وسعه، ويتعاون مع أقرانه، ليلبي الحاجة، ويسد الثغرة، ويبدي رأيه في تجديد القديم، وتوسيع الضيق، وتوصيل المقطوع، وإعادة الاجتهاد، واستثارة مواهب الأمة، والاستفادة من كل جديد نافع، والانتفاع بكل قديم صالح، مؤمنين بأنَّ الله أتم النعمة علينا، بدين رحب الأفق، وسطي الوجهة، صالح لكل زمان ومكان، بل مصلح لكل زمان ومكان، جمع فيه من المقاصد والمبادئ والقواعد والمصالح ما يرقى بالأمة في مجال الدين والدنيا، والفرد والجماعة، وما يبوئها المقام العالي بين الأمم،

QaradawiBooks.com

ويجعلها خير أمة أخرجت للناس، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأخي وابني الحبيب أكرم كساب ـ كما قلت من قبل ـ من الَّذين عنوا بهذا الأمر، وأرجو الله تعالى وأدعوه أن يشرح له صدره، وييسر له أمره، ويذلل له الصعب، ويقرب له البعيد، وهو مؤهل لهذا بفطرته السليمة، وبدراسته القويمة، وبانخراطه من صغره في العمل الدعوي، والبحث العلمي. وقد عرض في مباحث كتابه الثمانية، الأقوال المختلفة للمجيزين والمانعين، وأدلة كل فريق، وناقشها، وبين ما يرجحه فيها، منذ المبحث الأوَّل: الانتخابات تعريفًا وأسسًا وأنواعًا.

والمبحث الثاني: الانتخابات بين المؤيدين والمعارضين.

والمبحث الثالث: ضوابط المرشح وآدابه.

ثم يبحث رابعًا: ضوابط الناخب وآدابه.

ثم يبحث خامسًا: ضوابط العمليَّة الانتخابية وآدابها.

ثم سادسًا: التحالفات الانتخابية بين المشروع والممنوع.

ثم سابعًا: تنافس المرشحين بين المشروع والممنوع كذلك.

وأخيرًا: انتخابات الرئاسة والمحليات.

وبعد الخاتمة والفهارس ينتهي الكتاب.

ومن قرأ الكتاب وجد فيه جهد الأخ أكرم، وفكره، وانتقاءه، وترجيحه، وهو في رأيي أقرب إلى الرشد والصواب فيما رجحه، على أن ما كان فيه من خطأ بعد جهد، فلن يحرم من أجر واحد، ممَّا يناله

QaradawiBooks.com

المجتهدون في العلم، كما في الحديث الصحيح: «**إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر**»[١].

ومما أحمده لابننا وأخينا أكرم: وقوفه بقوَّة مع كل رأي يعتقد أنَّه الحق، وأنَّ الأدلَّة تؤيده، وتفنيده رأي من يعارضه، وإن كان رأي الإمام الشهيد حسن البنَّا، أو رأي القادة الكبار من الإخوان مثل الشهيد سيِّد قُطْب رَحِمَهُ اللَّهُ، أو غيرهما، كما أنَّه أخذ بآرائي الأولى في انتخاب الرئيس، ولم يأخذ بما ذهبت إليه أخيرًا في بعض الحلقات التلفزيونية، وإن قلت له: أنا لا أذكر ذلك، ولم أكتبه، وطلبت إليه أن يسعفني بالحوارات الَّتي قلتها.

كما قرأنا ذلك بوضوح حين عرض علينا رأيه في التحالف مع القوميين والوطنيين من أبناء البلد، الَّذين يحملون حسًّا وطنيًّا.

اقرأ هذه الفقرة الأكرميَّة:

«أوَّلًا: التحالف مع القوميِّين والوطنيِّين من أبناء البلد، الَّذين يحملون حسًّا وطنيًّا، ويحرصون كل الحرص على مصلحة البلد، لتحررها من التبعية الخارجية، والتخلف السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فضلًا عن التخلُّف العلمي والحضاري، والعمل على نشر الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعيَّة بين أفراد المجتمع.

وكان حسن البنَّا قد ذهب إلى عدم جدوى هذا التحالف، واعتبر هذه التحالفات فكرة عقيمة، بسبب نقض أصحابها ما ذهبوا إليه.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٣٥٢)، ومسلم في الأقضية (١٧١٦)، عن عمرو بن العاص.

QaradawiBooks.com

يقول البنا: إنَّ الإخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب، ويعتقدون أنَّها مسكن لا علاج، وسرعان ما ينقض المؤتلفون بعضهم على بعض، فتعود الحرب بينهم جذعة، على أشد ما كانت عليه قبل الائتلاف. والعلاج الحاسم الناجح أن تزول هذه الأحزاب مشكورة؛ فقد أدَّت مهمتها، وانتهت الظروف الَّتي أوجدتها، ولكلِّ زمان دولة ورجال، كما يقولون[١].

وذهب إلى مثل هذا صاحب الظلال تماشيًا مع فكرة «المفاصلة»، وفكرة «الاستعلاء» المتمم لها[٢]. يقول صاحب الظلال: «هنا تتجلى حقيقة المعركة وطبيعتها بين الإسلام والجاهليَّة. إنَّ الجاهليَّة لا ترضى من الإسلام أن يكون له كيان مستقل عنها، ولا تطيق أن يكون له وجود خارج عن وجودها، وهي لا تسالم الإسلام حتَّى لو سالمها. فالإسلام لا بدَّ أن يبدو في صورة تجمع حركي مستقل، بقيادة مستقلة، وولاء مستقل، وهذا ما لا تطيقه الجاهليَّة»[٣].

وتابع مُحمَّد قطب أخاه سيِّدًا في ذلك فقال: «ومن ثمَّ فالجماعات الإسلاميَّة ـ الداخلة في التنظيمات السياسيَّة لأعداء الإسلام ـ هي الخاسرة في لعبة الدبلوماسية، والأعداء هم الكاسبون،

(١) رسالة المؤتمر الخامس ضمن مجموعة رسائل حسن البنا صـ ١٤٨. الإمام حسن البنا يرى عدم جدوى الأحزاب، ورؤيته مبنية على ظروف وقته، وليست رؤية مطلقة، وقد أشار إلى ذلك في نفس المرجع ونفس الصفحة بقوله: «ولكنهم يعتقدون أنَّ من قرارة نفوسهم أن مصر لا يصلحها ولا ينقذها إلَّا أن تنحل هذه الأحزاب كلها، وتتألف هيئة وطنية عاملة تقود الأمة إلى الفوز وفق تعاليم القرآن الكريم».

(٢) أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي لمحمد أحمد الراشد (٤/٢٨٠، ٢٨١)، نشر دار المحراب، كندا، ط ١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٣) في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب (٤/٢٠٩٢)، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢هـ.

QaradawiBooks.com

سواء بتنظيف سمعتهم أمام الجماهير، بتعاون الجماعات الإسلاميَّة معهم، أو تحالفها معهم، أو اشتراكها معهم في أي أمر من الأمور؛ أو بتمييع قضيَّة الإسلاميِّين في نظر الجماهير، وزوال تفردهم وتميزهم الَّذي كان لهم يوم أن كانوا يقفون متميِّزين في الساحة، لا يشاركون في جاهليَّة الساسة من حولهم، ويعرف النَّاس عنهم أنَّهم أصحاب قضيَّة أعلى وأشرف وأعظم من كل التشكيلات السياسيَّة الأخرى، الَّتي تريد الحياة الدُّنْيا وحدها، وتتصارع وتتكالب على متاع الأرض، ولا تعرف في سياستها الأخلاق الإسلاميَّة، ولا المعاني الإسلاميَّة، فضلًا عن مناداتها بالشعارات الجاهليَّة، وإعراضها عن تحكيم شريعة الله.

ولم يحدث مرَّة واحدة في لعبة الدبلوماسية أن استطاع المستضعفون أن يديروا دفة الأمور من داخل التنظيمات السياسيَّة الَّتي يديرها أعداؤهم، لأنَّ الترس الواحد لا يتحكم في دوران العجلة، ولكن العجلة الدائرة هي الَّتي تتحكم في التروس!»[1].

لكنَّ جماعة الإخوان المسلمين في مصر وفي غيرها من دول عالمنا العربي والإسلامي خالفت ما ذهب إليه مُفَكِّروها الكبار كالبنَّا وقطب، ورأت جواز مثل هذا التحالف، وممارسته بالفعل.. وقد ذهب يوسف القرضاوي إلى الجواز، وامتدح مواقف من قاموا بهذه التحالفات من إخوان مصر وغيرهم، ومما قاله: ومن العدل أن نسجل للحركة الإسلاميَّة تطورها الجديد في أفكارها وعلاقاتها، فقد رأينا الإخوان المسلمين في مصر يتعاونون مع حزب الوفد الجديد في خوض معركة الانتخابات،

(١) واقعنا المعاصر للأستاذ محمد قطب صـ ٤٦٥، نشر مؤسسة المدينة للصحافة، ط١، ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

والوصول إلى مجلس الشعب، لإسماع صوت الدعوة الإسلاميَّة لنواب الأمة، وإن أنكر ذلك بعض المتشددين.

ورأينا إخوة آخرين يتحالفون مع القوى الوطنية المعارضة للعمل على إسقاط نظام طاغوتي يقاوم الإسلام جهرة، رغم تشنج فئة من المخلصين، الَّذين يرفضون أي تحالف، وأي تفاهم، مع أي فرد أو فئة غير ملتزمة بالإسلام[1].

ورجَّح هذا أيضًا مُحمَّد أحمد الراشد[2].

وقد أعطاني أكرم الحق في أن أشطب أو أغير بعض الألفاظ، أو الجمل، الَّتي أراها أو أرى فيها غلطًا لغويًّا، أو نحويًّا، أو إملائيًّا، أو غير ذلك.

ولهذا غيرت صيغة المادة (ص. ف. هـ) إلى مادة (ص. ف. و)، في أصل قضيَّة الاصطفاء؛ لأنَّ المادة (واويَّة) بإجماع كل معاجم اللغة.

كما غيرت بعض الحروف في كتابة الكلمات، فقد كتب هو (الخطى) بالياء، كما كتبها «المعجم الوسيط» الَّذي أخرجه المجمع اللغوي، وهو خطأ من الكاتب أرجو أن يُستدرك، فحولتها إلى (الخطا)؛ لأنَّ المادة واوية، كما في كل المعاجم، وكتب (الرضى)، فجعلتها (الرضا)؛ لأنَّ المادة أيضًا واوية بالإجماع، ولهذا نقول في المفرد: خطوة، ونقول في الرضا: رضوان.

وإنَّما ذكرت ذلك؛ لأنبه عليه شبابنا الباحثين، حتَّى لا يتورطوا في الخطأ.

---

(١) أين الخلل صـ ٧٥، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٦، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٢) راجع: أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي (٤/٢٧٧ ـ ٢٨٨).

QaradawiBooks.com

وقد قام الأخ الباحث بتصويب هذه الأخطاء، فجزاهُ الله خيرًا.

ولا يسعني إلَّا أن أقدر لابننا الدكتور: أكرم كساب بحثه القيم، وأدعو له بالتوفيق في خدمة العلم، ونصرة الإســلام، سائلًا الله تعالى أن يشرح له صدره، وييسر له أمره، ويثبت على الحق قدميه. آمين.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

يوسف القرضاوي

رئيس الاتِّحاد العالمي لعلماء المسلمين

الدوحة في ٢٧ صفر ١٤٣٣م

الموافق ٢١ يناير ٢٠١٢م

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «تأملات»

مجموعة مقالات للأستاذ وليد أبو النجا[1]

هذه الكلمات الَّتي أكتبها اليوم، مقدمة لكتاب هو مجموعة مقالات صدرت من قريب، لكاتب أعتقد أنَّه سيكون كاتبًا مرموقًا في العالم العربي، ممَّن نعدهم من رجال الغد.

فليس كلُّ كاتب يقرأ له، وليس كلُّ من تقرأ له تخرج منه بطائل، ولكن الكاتب الحق هو الَّذي يجبرك أن تقرأ له، وأن تتابعه فيما يكتب، وأن تقرأ فقراته كلها، وأن يستوعبها عقلك، وأن يطمئن إليها قلبك.

وقد علمونا ونحن فتية صغار، هذه الحكمة: أخبرني: ماذا تقرأ؟ أخبرك: من أنت. وأنا أتخذ منها حكمة مقابلة: أخبرني ماذا تكتب؟ أخبرك: من أنت! بل إنَّ الكتابة أدل على صاحبها من القراءة.

قديمًا قرأنا في الأدب العربي أنَّ الكتابة ولدت بعبد الحميد، وانتهت بابن العميد! ولكن الكتابة لا يمكن أن تنتهي، إن لها مراحل وأدوارًا، تتقلب فيها وتتغير، ككل شيء في الحياة، تمضي به سنن الله، وتجري عليه قوانين الحياة، يصغر ويكبر، ويضعف ويقوى، ويشب ويشيب، ويزدهر ويذبل، وهو ينتقل من دورة إلى أخرى.

---

(١) تحت الطبع.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد بدأت الكتابة في مصر الحديثة ـ وربَّما في العالم العربي كله ـ بالإمام مُحمَّد عبده وتلاميذه وأبنائه، ثمَّ استمرت تنتج الكتاب والأدباء الَّذين ملؤوا العالم، وخاطبوا الشرق والغرب.

من الكتاب من يكتب بقلم، ومنهم من يكتب بفأس أو بمنشار أو بمبرد، أو بما يتراءى له، والكاتب هو صاحب القلم، القلم الَّذي ذكره الله تعالى في أوَّل آيات أنزلها في كتابه ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]، والَّذي أقسم به في أوائل إحدى السور المكِّيَّة: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

قلم صاحبي الَّذي أكتب عنه اليوم من النوع الَّذي أقسم الله به، إنَّه القلم الرشيق الأنيق العميق، الَّذي يفيض بما يسر اللب، وما يثير الوجدان، وما يوجه الإرادة، وما ينبض به القلب، وما يشرح الصدر، وما ينير العقل، وما تتفتح به آفاق الحياة.

ولم لا؟ ولصاحبي ثقافة متنوعة، يبحث فيها عن العلم والفكر حيثما توجه، وعنده مكتبة تزوده بما شاء من المراجع والمعارف، وعنده ملكة يقدر بها على صياغة ما يريد من أفكار ومعان وأساليب.

لقد قرأت هذه المقالات كلها حينما ظهرت، وكان صاحبها يعرضها عليَّ ـ لحسن أدبه ـ قبل أن ينشرها، فأقول له: أحسنت، شد الله عزمك، وشحذ قلمك، وأمدك بروح من لدنه. وأحيانا يوصل مقاله إليَّ دون توقيع عليه، فقد أصبح يعرف بغير توقيع.

إنَّها كتابة أديب، والأديب إنسان قرأ من كتب الأدب قديمها وحديثها، واقتبس أفضل ما فيها ممَّا يسطر وينشر، فهو كالنحلة الَّتي تلتمس رحيقها ممَّا اختلفت ألوانه من كل الثمرات، ثمَّ ألقته فيه شفاء للناس.

QaradawiBooks.com

وهي نفس عالم مسلم، حفظ كتاب الله تعالى، واتخذه زادًا له، وحفظ من سنة رسوله ما حفظ، وفقه من علم القرآن والسُّنَّة وفقههما ما فقه، وقرأ في علوم الإنسان ما قرأ، وقرأ في ثقافة الحياة والناس ما لا يستطيع أن يقرأه إلَّا ذو فكر نير وعقل يقظ.

وهي نفس داعية مسلم، جعل رسول الله أسوته، وكفى به أسوة في كل شيء، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

من هذا الكاتب الموعود الَّذي أبشر النَّاس به؟ إنَّه ابني وتلميذي وأخي الشيخ وليد أبو النجا، الَّذي عرفني قبل أن أعرفه، واتصل بي قبل أن أتصل به، وكتب عني وعن منهجي في الدعوة في رسالة ماجستير قدمها للأزهر قبل أن يلقاني، وهو اليوم يعد رسالة الدكتوراه في كليته.

وحين عرفت الأخ وليدًا ولقيته، فرحتُ به، واكتشفتُ (وليدًا) جديدًا صالحًا للصعود إلى القمم، ومفاضلة الأقوياء، بالفكر الهادئ، والعلم المنظَّم، والأدب المطوَّر، والبحث الأكاديمي الَّذي يحتاجه الكثيرون.

أرجو من الابن الحبيب ألَّا يدع قلمه من يده، وأن يستمر في كتابته، وأن يطورها ويزيدها من بحور العلم وزواخر المعارف، وقد قال الله لرسوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى يخاطب المسلمين: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وإذا كان كل كاتب وعالم يحتاج إلى أن ينتسب إلى جماعة أو فكرة أو جهة، كان أوَّل ما ينتمي إليه أخي وليد هو الأدب، كما قال الشاعر:

QaradawiBooks.com

كُن ابنَ مَن شِئتَ وَاكتَسِب أَدَبًا يُغنِيكَ مَحمُودَهُ عَنِ النَّسَبِ!
إنَّ الفَتَى مَن يَقُولُ: هَأَنَذَا لَيسَ الفَتَى مَن يَقُولُ: كَانَ أَبِي[1]!

وإذا كان من النَّاس من ينتمون إلى جهات كاليمين واليسار، أو إلى أفكار وأيديولوجيات، كالرأسماليَّة والاشتراكيَّة والوجودية، أو إلى فلاسفة كبار؛ مثل كانت أو ديكارت أو ماركس أو دوركايم أو سبنسر، فأنا لا أحب لوليد أن ينتمي إلَّا إلى الإسلام، وأن يقول كما قال العرب الأوَّلون:

أَبِي الإِسلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ إِنِ افتَخَرُوا بِقَيسٍ أَو تَمِيمِ[2]!

أو كما قال سيِّدنا سلمان الفارسي، وقد سألوه: ابن من أنت؟ فقال: أنا ابن الإسلام[3].

وصدق من قال:

لَعَمرُكَ مَا الإِنسَانُ إِلَّا ابنُ دِينِهِ فَلَا تَترُكِ التَّقوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَب
فَقَد رَفَعَ الإِسلَامُ سَلمَانَ فَارِسٍ وَقَد وَضَعَ الشِّركُ النَّسِيبَ أَبَا لَهَبْ[4]

وإنِّي لأدعو لوليد بما دعا به الإمام مُحمَّد عبده للكاتب الأديب مصطفى صادق الرافعي ابن طنطا، في أوائل نشأته، الَّذي قال له: أسأل الله أن يجعل من لسانك سيفًا للحق، يمحق به الباطل، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسان في الأوائل. آمين.

يوسف القرضاوي

(١) ينسب لسيدنا علي بن أبي طالب، كما في الديوان المنسوب إليه صـ ٣٧، جمع عبد المنعم الخفاجي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.
(٢) من شعر نهار بن توسعة اليشكري، كما في الكامل في الأدب (١٣٣/٣)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٥٤٤/١).
(٤) البيتان في ديوان الإمام علي بن أبي طالب صـ ٣١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِيِّ

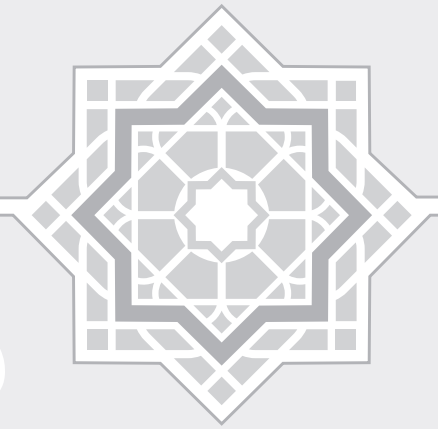

غير مرخصة للطباعة

في الكتب الإسلاميَّة المترجمة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «ترجمة معاني القرآن الكريم»

للدكتور أحمد زكي حمَّاد[١]

الحمد لله الَّذي نزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على رسوله وصفيه الَّذي أرسله رحمة للعالمين، وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فنحن المسلمين نؤمن إيمانًا يقينيًّا بأنَّ الإسلام الَّذي بعث الله به محمدًا ﷺ، وختم به رسالات السماء: دعوة للعالم كله، أحمره وأسوده، شرقيه وغربيه، لأنَّ الإسلام يؤمن أنَّ البشريَّة كلها أسرة واحدة، تنتمي من ناحية الخلق إلى رب واحد، هو الَّذي خلق النَّاس جميعا، وهو الله جل شأنه، كما تنتمي من ناحية النسب إلى أب واحد، هو آدم عليه السلام أبو البشر.

وفي هذا قال رسول الإسلام للجموع الحاشدة في حجة الوداع: «**أيُّها النَّاس، ألا إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد**»[٢].

---

(١) نشر (Lucent Interpretations LLC)، ٢٠٠٨م.

(٢) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فمهما تختلف أعراق البشر، أو ألوانهم، أو ألسنتهم أو أوطانهم، أو طبقاتهم الاجتماعيَّة، فهم متساوون في مخلوقيتهم لله، وفي بنوتهم لآدم؛ لذا ناداهم القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١].

ولا غرو أن أعلن القرآن منذ عهده المكي عن عالميَّة دعوته بعبارات صريحة لا تحتمل التأويل، كما قال تعالى لرسوله في سورة الأنبياء، وهي مكية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٠٧]، وقال في سورة سبأ، وهي مكية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [آية: ٢٨]، وقال في سورة الفرقان المكِّيَّة: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [آية: ١]، وقال في أكثر من سورة عن القرآن: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤، وصَ: ٨٧، والتكوير: ٢٧].

وقال يخاطب رسوله في سورة الأعراف المكِّيَّة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الآية: ١٥٨].

كل هذه الآيات تؤكد أنَّ عالميَّة الرسالة القرآنيَّة المحمَّديَّة مقررة من أوَّل يوم، كما تشير إلى ذلك أوَّل آية في القرآن من سورة الفاتحة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وأول الآيات في آخر سورة في القرآن: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٣]، ليس رب العرب وحدهم، ولا رب الشرقيين وحدهم، بل ولا رب المسلمين وحدهم، ولكنَّه رب العالمين، ورب النَّاس أجمعين.

وهنا يرد سؤال يحتاج إلى جواب، وهو كيف تكون الرسالة عالميَّة، وقد بعث بها رسول عربي، أنزل عليه كتاب بلسان عربي؟

والجواب: إنَّ سنة الله أن يرسل كل رسول إلى قومه بلسانهم؛ ليبين لهم ما أنزل الله إليه، وما أمره بتبليغه، ليفهموا عنه، ويبلغوا ذلك إلى

QaradawiBooks.com

غيرهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤].

ثم على قومه بعد ذلك أن يقوموا بنقل هذه الرسالة من لسانهم إلى الألسنة الأخرى، عن طريق الترجمة، كما فعل ذلك علماؤنا.

وقد بلغ الرسول ما أنزل إليه من ربه، كما أمره الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

ولا ريب في أنَّه ﷺ بلغ رسالة ربه بلاغًا هو ﴿ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]، كما وصفه الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢]، بلغه إلى عشيرته الأقربين أولا، ثمَّ إلى أم القرى ومن حولها، ثمَّ حين أتيحت له أوَّل فرصة بعد صلح الحديبية، بلغ الرسالة إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس، وغيرهم من الأمراء، ليقيم الحجة عليهم، ويحملهم تبعة شعوبهم، الَّذين حجبوا عنهم وصول الدعوة إليهم.

وعلى أمته من بعده أن تبلغ رسالته إلى العالم، فهي مخاطبة بما خوطب به من البلاغ والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة، الموعظة الحسنة، والجدال بالَّتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، فكل من اتبع محمدًا ﷺ، فهو داع إلى الله، وداع على بصيرة.

فالأمة إذن مبعوثة بما بعث به رسولها إلى العالم، وهي تحمل الرسالة من بعده إلى العالمين، وعليها أن تؤمن بأنَّها أمة مبعوثة، وأن رسالتها عالَمية، ولهذا قال لها الرسول: «**إنَّما بُعِثتم مُيسِّرين، ولم تُبعَثوا مُعسِّرين**»[1].

(١) سبق تخريجه صـ١٨٢.

QaradawiBooks.com

وقال رِبْعِي بن عامر لرُسْتُم قائد قوَّاد الفُرس: إنَّ الله ابتعثنا لنخرج النَّاس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده...[1].

وبهذا تستحق الأمة أن تكون شهيدة على الناس، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهذا يوجب على الأمة: أن تبلغ رسالة القرآن، ورسالة مُحمَّد ﷺ، إلى العالمين، وهذه مسؤوليَّة كبيرة، تقتضي من الأمة أن تعد لها العدة، وأن تتخذ لها الأسباب والوسائل والآليات الَّتي تناسب الزمان والمكان، وتتطور بتطور العصور.

وهذا يستوجب من الأمة: أن تكون لديها جيوش جرارة، لا من حَمَلَة السيوف والبنادق، ولكن من حَمَلَة الأقلام والأفكار، العارفين المتقنين للغات، القادرين على التحرير والخطاب المبين، وهذا للأسف ما ليس عندنا عشر معشاره، ولا واحد في ألف ممَّا هو مطلوب منا.

وأوَّل ما ينبغي نقله إلى العالم من رسالة الإسلام، ودعوة مُحمَّد عليه السلام، هو القرآن الكريم. الَّذي تتطلع الأمم المختلفة إلى أن تقرأه وتعرفه، ولا يغنيها عنه كتاب ولا رسالة ولا محاضرة.

وهذا ما قصرت فيه أمتنا كل التقصير، وهو ما نبهت عليه مرَّات كثيرة في مناسبات شتَّى، حتَّى قلت: إنَّ اللغة الإنجليزية الَّتي هي أكثر اللغات انتشارًا في العالم، والَّتي يتكلم بها مئات الملايين من المسلمين في آسيا وأفريقيا وغيرهما، لا يوجد فيها ترجمة لمعاني

(١) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

القرآن يرضى عنها المسلمون العارفون باللغات، عن سلامة مضمونها، وعن حسن تعبيرها.

وأنا أقول هذا نقلًا عن الَّذين يعرفون الإنجليزية والعربيَّة من المسلمين الثقات.

واليوم قد ظهر عالم أزهري متمكن، يجيد معرفة اللغتين العربيَّة والإنجليزية، وقد اطلع على الثقافتين: العربيَّة الإسلاميَّة، والغربيَّة الأوربيَّة الأمريكيَّة، وعاش في كليهما، وعرف خصائص كل منهما.

وقد أزعجه وأقلقه ألا يجد في الترجمات الكثيرة، وقد اجتهد في متابعتها ومعرفتها، والحكم عليها، فلم يسعه ـ بوصفه مسلمًا أولا، وبوصفه عالما ثانيا ـ أن يقف موقف المتفرج، بل دفعه إيمانه بعالمية القرآن، وعالمية الإسلام، وإيمانه بفرضية الدعوة على القادرين: أن يقدم شيئًا لأُمَّته، وللعالم المتعطش إلى أن يعرف عن هذا الإسلام ما غاب عنه، وما شوه صورته له المشوهون، وما شوش به المسلمون أنفسهم، نظرًا إلى سوء حالهم، وهوان أمرهم.

أراد هذا العالم الَّذي جمع الثقافتين، وتذوق اللغتين: أن يقوم بترجمة جديدة لمعاني القرآن، تتلافى نقص الترجمات القديمة، وتتحرى صحَّة المعاني، وتدقق في المضامين، ينقلها إلى أصحاب اللغة بلسان إنجليزي مبين، كما قال.

ولقد حرص هذا العالم ـ الَّذي اضطلع بهذه المهمة الكبيرة ـ ألا يتسرع في هذه الترجمة، وأن يتريَّث فيها ويتأنى، وأن يعرضها على العارفين، ليبدوا رأيهم فيها، وهو يستمع إليهم جيدًا ويأخذ بكل ملاحظة

QaradawiBooks.com

يبديها ذو رأي، ويصوب ما قد يكون وقع فيه من خطأ، ولو كان صغيرًا، بل يتطلع أبدًا إلى الَّتي هي أحسن، بغية الوصول إلى ما يمكن للبشر من الكمال البشري.

ولذا استشارني في كثير من الأمور القرآنيَّة، وأنا لا أعرف الإنجليزية، ولكنَّه يستشير كل عالم فيما يحسنه، ولا يمنعه كبر ولا حياء أن يستفيد منه، موقنًا أن ليس في العلم كبير، وفوق كلِّ ذي علم عليم.

هذا العالم الَّذي نهض بهذه المهمة الكبيرة هو صديقنا الأخ الجليل البحاثة الصبور الداعية الموفق، الَّذي أحسب أنَّه قد أسقط بعمله فرض الكفاية ـ إلى حد بعيد ـ عن الأمة بالنسبة للغة الإنجليزية، الشيخ الدكتور أحمد زكي حماد، الَّذي أسأل الله تعالى أن يجعل عمله عملًا علميًّا مباركًا نافعًا، وأن يجعله خالصًا لوجهه، وأن يثقل به ميزان حسناته يوم القيامة، وأن ينفع به كل من قرأه، وأن يثيب كل من أعانه على نشره وتعميم النفع به، وأن ينحيه الزلل والخطل، إنَّه سميع الدعاء.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة في غرة محرم ١٤٢٧هـ

٣١ يناير ٢٠٠٦م

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «ترجمة الكلم الطيِّب»
للدكتور عزِّ الدين إبراهيم(١)

الحمد لله وكفى، وسلام على رسوله المصطفى، وآله وصحبه أئمَّة الهدى.

(وبعد)

فقد عرفت أخي الدكتور عز الدين إبراهيم، منذ أكثر من نصف قرن، كان ذلك في أواخر سنة (١٩٤٧م) على ما أذكر. كنت في زيارة إلى القاهرة، وأنا طالب في السنة الرابعة بالمرحلة الثانويَّة بالمعهد الديني في طنطا، وكنت حريصا ـ عندما أزور القاهرة بأدنى درجات قطار السكة الحديد ـ على أن أستمع إلى خطباء الدعوة المعروفين، ما وجدت إلى ذلك سبيلًا.

ولقد قدر لي في هذه الزيارة: أن أستمع إلى خطيبين معروفين، أحدهما: فضيلة الشيخ عبد المُعِزّ عبد السَّتّار، وهو في شرخ الشباب.

والثاني: هو عز الدين إبراهيم، الطالب بقسم اللغة العربيَّة بكلية الآداب، بجامعة القاهرة.

---

(١) نشر دار الشروق.

نسخة مجانية

كان عز الدين يتحدث في أحد مراكز الدعوة في مناسبة دينيَّة، هي ذكرى «المولد النبوي الشريف»، والحق أنَّه جذبني إليه من أوَّل ما رأيته، بوجهه البشوش، وثقته بنفسه، وحديثه المرتب، وبيانه الَّذي يجمع بين الجزالة والسهولة، ولغته السليمة، الَّتي لم يشبها ما تعودته من كثير من الخطباء، الَّذين يوجعون الرأس من كثرة اللحن، والأخطاء اللُّغويَّة، والنحوية والصرفية.

تحدث عز الدين في تلك الليلة ـ الَّتي أظنُّ أنَّه نسيها تمامًا وإن لم أنسها أنا ـ عن السِّيرة النبويَّة وأثرها في حياتنا الإسلاميَّة، لما يلتمس فيها من هدي النبوة، ومن معاني الائتساء برسول الله ﷺ، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومن أهم ما نبَّه عليه: وجوب تنقية السيرة ممَّا شابها من الروايات والأقاصيص والغرائب، الَّتي لم تثبت صحتها، والَّتي تتلى على عوام المسلمين في هذه المناسبات، وتروج لديهم الأباطيل الَّتي تنفيها الحقائق، وهو يشير بهذا إلى «قصص المولد» الَّتي تنتشر بين جماهير المسلمين، وتقرأ عليهم كل عام في شهر ربيع الأوَّل، وفيها كثير من الخرافات حول حمل النبي ﷺ وولادته ونشأته، ممَّا لم يسنده دليل من كتاب ولا سنة صحيحة.

لقد شد هذا الكلام انتباهي إلى هذا الشاب الَّذي يحمل في رأسه عقلًا كعقول الشيوخ المصلحين، وإن لم يقدر لي أن أتعرف عليه وجهًا لوجه، وأقدم إليه نفسي، فلم يكن الوقت يسعفني، وأنا ضيف القاهرة، وغير معروف فيها.

QaradawiBooks.com

وجاء شهر ديسمبر سنة (١٩٤٨م)، وصدر قرار حل جماعة الإخوان المسلمين، الَّذين كان شبابهم يحمل السلاح للجهاد في أرض فلسطين، فأخذوا من المَيْدان إلى المعتقل، مع غيرهم من الشباب والشيوخ، من القاهرة والأقاليم، وكنت من هؤلاء المعتقلين، وأنا طالب بالسنة الخامسة الثانويَّة، وكان في ظني أنَّ المعتقل سيجمعني بـ(عز الدين)، الَّذي أكننت له في قلبي حبًّا وتقديرًا خاصًّا منذ سمعته، ثمَّ سمعت عنه ما أكَّد هذه العاطفة عندي.

ولكن الَّذي حدث هو أنِّي سمعت من الإخوة العارفين: أن عز الدين قد فرَّ من سلطات الأمن المصرية المتجبرة والمتسلطة، مع أخوين له، عن طريق اجتياز الصحراء الغربيَّة إلى «المملكة الليبية».. وقد انتهى بهم المسار إلى ساحة الملك إدريس السنوسي، الَّذي أجار عز الدين وأخويه، وآواهما إلى كنفه، وظلوا هناك حتَّى هدأت الأحوال، وعادوا إلى مصر.

والغريب في أنِّي لم يقدر لي أن أتعرف على عز الدين بعد عودته إلى مصر، إلَّا أنِّي سمعته مرَّة يحاضر في المركز العام للإخوان المسلمين، حول علوم القرآن، ولم أسمع محاضرته من أولها، ولكن الجزء الَّذي سمعته منها دلَّني على تمكن هذا الشاب، وحرصه على دقة المعلومات وتوثيقها، وحسن الاستنباط منها.

وإنَّما تعرفت على عز الدين حقًّا، والتقيت به، واقتربت منه واقترب مني، حين جمعتنا وزارة التربية والتعليم في قطر، حيث عاد من إنجلترا حاصلًا على الدكتوراه، وشاغلًا لوظيفة مساعد مدير المعارف في قطر، وكنت أنا مديرًا للمعهد الديني الثانوي بها. فكانت تجمعنا لقاءات رسمية عامَّة، مثل مؤتمرات المديرين، ولقاءات أخرى شخصيَّة خاصَّة،

QaradawiBooks.com

كانت تضم مجموعة من الإخوة الدعاة المشتغلين بالفكر الإسلامي، والهم الإسلامي، مثل أخينا عبد الحليم أبو شقة رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب كتاب «تحرير المرأة في عصر الرسالة»، ود. حسن المعايرجي حفظه الله صاحب مشروع «الهيئة العالميَّة للقرآن الكريم».

وكان يعجبني في عز الدين أبدًا: شخصيته المحببة، وخُلُقه السمح، ووجهه المبتسم، وعقله المنظم، وثقافته الرحبة، وحسن تأتيه للأمور، وقدرته على البناء والعمل في صمت وتجرد، بعيدًا عن الغرور والادعاء والانتفاخ بالباطل.

وقد تجلى أثر ذلك فيما تولاه من مناصب، وما قام به من أعمال كبيرة مشهودة: في وزارة المعارف في قطر، وفي تأسيسه للمجمع الثقافي في أبو ظبي، وفي إدارته لجامعة الإمارات لعدة سنوات، وفي إدارته لصندوق التضامن الإسلامي في منظمة المؤتمر الإسلامي، وفي مساعدته للمسلمين الأفارقة في أمريكا، وفي مساهمته في النهوض بهيئة الأعمال الخيريَّة للشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات المتَّحدة، وفي عدد من الأعمال الَّتي يشارك بجهده فيها، ولا أملك أن أحصرها.

وكنت أرى من قديم أنَّ عز الدين يملك من المؤهلات العلميَّة والفكريَّة والبيانية ما يجعله قادرًا على الدخول بجدارة في مَيدان الكتابة والتأليف، وأن لديه قلما يستطيع أن يسطر ما ينفع النَّاس ويمكث في الأرض، فكنت أقترح عليه كلَّما لقيته أن يكتب، ولا يدع قلمه يصدأ، ففي ذلك خسارة على المسلمين.

QaradawiBooks.com

ولكن عز الدين ـ لمزيد حرصه على الدقَّة، ونشدانه الكمال ما استطاع ـ كان يسوف ويؤجل، وأعتقد مخلصا أنَّه لو كتب من قديم لأفاد النَّاس بالكثير.

ولا غرو أن سرني كل السرور ما اتجه إليه الدكتور عز الدين في السنين الأخيرة، من ترجمة ما يراه من كتب نافعة إلى اللغة الإنجليزية، فمن المؤكد أنَّ رسالة الإسلام رسالة عالميَّة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وإذا كان الإسلام عالميًّا، فإن كتاب الإسلام ورسوله عربي اللسان، فكيف نحقق العالميَّة في هذه الحالة؟

والجواب: أنا نحقِّقها من خلال الترجمة. ولكن ليست أي ترجمة، فكم من ترجمات للقرآن الكريم حرفت معانيه، وشوهت جماله، بعضها عن عمد وقصد إلى التحريف والتشويه، وبعضها عن جهل؛ لفقدان أصحابها القدرة على فهم اللغة العربيَّة، ودلالات ألفاظها وتراكيبها، وتذوق جمالياتها.

لهذا كان عز الدين حريصًا على أن تجمع الترجمة المنشودة بين أمرين أساسيين: الدقَّة والأمانة من ناحية، والبلاغة والسلاسة ـ الَّتي تقترب من الأصل ما أمكن ذلك ـ من ناحية أخرى.

وقد تصدَّى الرجل ليحمل هذه المهمة، ويقوم ببعض فرض الكفاية عن الأمة المسلمة، الَّتي قصرت في هذا الجانب تقصيرًا شائنًا وبينًا.

QaradawiBooks.com

فهو لا شك يملك القدرة على الترجمة لأصالته وتميزه في العربيَّة، وتمكنه في الإنجليزية، كما يملك القدرة على حسن الاختيار لما ينبغي أن يبدأ بترجمته.

ولكن مع هذا اختار لترجمة ما يريد منهجًا فريدًا آثره وأصر عليه، فلم يرض أن يتفرد هو بالترجمة إلى الإنجليزية رغم تمكنه منها، فحرص أن يشاركه في الترجمة رجل إنجليزي الأصل، تكون الإنجليزية هي لغته الأصيلة، وأن يكون له من الأصالة والتميز في معرفته بالإنجليزية، ما لعز الدين من الأصالة والتميز في معرفته العربيَّة، وأن يكون متمكنًا من العربيَّة، تمكن عز الدين من الإنجليزية، وبهذا يكمل أحدهما الآخر، ويتشاوران ويتحاوران معًا، حتَّى يخرج العمل المترجم على أفضل وجه ممكن.

ومن حسن حظ عز الدين ـ أو قل من توفيق الله له ـ أن وجد ضالَّته في رجل إنجليزي كفء، يعتبر أديبًا في اللغة الإنجليزية، وهو الَّذي نقل أدب نجيب محفوظ إلى الإنجليزية، وعرف الغرب به، فهو يملك من معرفة اللغة العربيَّة، ومن لغة قومه، ومن البيان والقدرة على التعبير، ما يخاطب به العقل المعاصر بلسانه الَّذي يبين له، ذلكم هو الأديب الإنجليزي: (دينيس جونسون ديفيز)، الَّذي رحَّب بأن يشارك عز الدين في مشروعه.

اختار عز الدين أن يبدأ بالسُّنَّة النبويَّة؛ لأنَّ القرآن الكريم له ترجمات عدة من قديم، بعضها مقبول، أو قريب من المقبول.

أمَّا السُّنَّة، فهي الَّتي لم تجد من يقدمها إلى قراء الإنجليزية ـ اللغة الأكثر انتشارًا في العالم، وانتشارًا أيضًا بين المسلمين ـ بلغة العصر المفهومة لعموم الناس.

QaradawiBooks.com

والسُّنَّة أيضًا هي الَّتي يشوبها الكثير من الغموض والالتباس، وتروج حولها الأكاذيب من كثير من الكاتبين.

ولكن السُّنَّة بحر واسع زاخر، فماذا يختار ليترجم؟

قديمًا قالوا: اختيار الرجل جزء من عقله. ولهذا أثنوا على أبي تمام في شعره المتميز، كما أثنوا عليه في اختياراته، الَّتي تمثلت في «ديوان الحماسة» المعروف. وهذا ما تنبئ عنه اختيارات عز الدين.

فقد اختار أن يكون أوَّل كتاب يترجمه هو «الأربعين النووية» المعروفة، وهي مجموعة أحاديث اختارها الإمام النووي، ولقيت قبولًا عامًّا من المسلمين في المشارق والمغارب، طوال القرون الماضية وإلى اليوم.

وتعاون عز الدين مع صاحبه (دينس)، حتَّى أتما الكتاب، ونشر بين الناس، واستقبلوه في كل مكان بقبول حسن، وطبع منه أكثر من عشرين طبعة بالإنجليزية، وترجم إلى أكثر من عشرين لغة، بشرط عز الدين، وهو تعاون اثنين في الترجمة بكل لغة، بحيث يكمل كلاهما صاحبه.

ومما يذكر هنا ما أكَّده لي الدكتور عز الدين، أنَّه لم يكد يتم ترجمة الكتاب الأوَّل «الأربعين النووية»، حتَّى أعلن رفيقه دينس إسلامه راغبًا مختارًا، وسمى نفسه «عبد الودود»، وقد تمَّ هذا بمبادرة منه دون أن يعرض عز الدين عليه الإسلام بالكلام، ولكنَّه عاش معه في جو إسلامي خالص، انتهى به إلى الدخول في هذا الدين بفضل الله تعالى وتوفيقه.

وقديمًا قال العرب: لسان الحال أبلغ من لسان المقال. ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

QaradawiBooks.com

وبعد الأربعين النووية، اختار عز الدين مجموعة أخرى، سماها «الأربعين القدسية»، وهي من اختيار عز الدين، بحيث يمكن أن نسميها «الأربعين العزية»، وإنَّما اختارها من هذا النوع من الأحاديث لما تشمل عليه من روحانية خاصَّة، فهي من كلام الله تعالى، ولكن على لسان رسوله ﷺ، فلها خصائص الحديث النبوي وأحكامه، لا خصائص القرآن وأحكامه، وهي تتضمن معاني ربانية وإيمانيَّة، تقود الإنسان إلى حب الله وتعظيمه، والرجاء في رحمته والخشية من عذابه، ممَّا يحفزه إلى عمل الصالحات، واجتناب السيئات، وقلَّما تتضمن هذه الأحاديث أحكاما عمليَّة مباشرة.

ثم كان هذا الكتاب الثالث الَّذي شرفني بأن أكتب له هذه المقدمة، وهو اختصار «الكلم الطيب» لشيخ الإسلام ابن تيمية، مع شرح موجز له.

فقد لاحظ عز الدين بمعرفته وسعة خبرته: حاجة الإنسان الغربي المسلم إلى معرفة مجموعة من الأذكار والدعوات الَّتي يحتاج إليها الإنسان في يومه وليلته، وفي المواقف المختلفة الَّتي تعرض للإنسان في الحياة، مثل هبوب الرياح، ونزول الأمطار، وحدوث الأمراض، ووقوع مصيبة الموت، ليذكر بها ربه، ويدعوه منيبًا إليه، فـ «**الدعاء مخ العبادة**»[(١)]، بل «**الدعاء هو العبادة**»[(٢)]، كما علَّمنا رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٣٧١)، وقال: غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلَّا من حديث في الأوسط (٣١٩٦)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٠٠٣)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٨٣٥٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الوتر (١٤٨١)، والترمذي في تفسير القرآن (٢٩٦٩)، وقال: صحيح. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٢٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٢٩)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

وقد ورد في الشرع الكثير من الأذكار والأدعية، ألفت فيها الكتب المطولة والمختصرة، ومنها ما شرح في سبعة مجلدات[١]، ولهذا كان على الكاتب أن يتخير منها ما يراه أليق بالمقام، وأوفى بالمقصد المطلوب، فكان اختياره لـ «الكلم الطيب» لابن تيمية؛ لأنَّه أخصر من غيره، ولحسن انتقاء مؤلفه، ولأنَّ الشيخ الألباني قد خرج أحاديثه، فعرف منها الصحيح والحسن ـ وهو الأكثر ـ كما عرف الضعيف.

ولهذا كان اختيار مؤلفنا من الصحاح والحسان، وحذف ما لا حاجة إليه، كما شرح ما لا بدَّ منه من المفردات والتراكيب شرحًا موجزًا يبين المراد بالعربيَّة، ولكنَّه اتبع الشيخ الألباني في ذلك.

وكتب الدكتور في مقدمة الكتاب ـ وقع مع رفيقه عليها، وإن كان هو الَّذي يحمل تبعتها ـ حول أهميَّة الذكر والدعاء، وما ألف في ذلك من كتب ما بين مطول ومختصر ومتوسط، ولماذا اختار «الكلم الطيب»، وماذا كان عمله فيه؟

كما بين حكم الدعاء بغير المأثور، معتمدًا على الحديث الشريف، مؤيدًا بقول العلماء المعتبرين.

وكذلك بين الحاجة إلى ترجمة الأدعية والأذكار، ليتعبد النَّاس بها بلغاتهم، ودلل على ذلك بما يشير إلى حسن فقهه وفهمه.

ومما نبه عليه في ختام مقدمته: أنَّ المهم هو التعبد بالذكر والدعاء، بفهم المعنى، وحضور القلب، وخشوع الجوارح، وحسن التوجه إلى الله تعالى بالإلحاح عليه، والتيقن من حسن إجابته، والحذر من التلفظ

(١) مثل شرح ابن علان لكتاب الأذكار للنووي.

QaradawiBooks.com

بعبارات أعجمية، قد تحتوي على ما ينافي تعظيم الله تعالى من دون أن يعلم، وليجتهد المسلم في تحصيل هذه الشروط في دعائه وذكره، وليستعن على ذلك بالاقتراب من اللسان العربي ما وسعه ذلك، وليتيقن العاجز الَّذي يناجي ربه ـ بأي لغة مع الصحَّة والفهم ـ أنَّه يناجي ربا سميعا عليما، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وفي جعبة الدكتور عز الدين مشروعات أخرى مهمة في هذه السلسلة الذهبيَّة، الَّتي تهدف إلى تقريب فهم الأحاديث النبويَّة إلى القراء الَّذين لا يعرفون اللغة العربيَّة، أهمها كتابان نافعان، يحتاج إلى كليهما الناس، وهما:

١ ـ رياض الصالحين للنووي، وهو أشهر من أن يعرف، وهو قيد الإعداد أو الاستكمال إن شاء الله، وهو عمل كبير، نرجو له فيه التوفيق والسداد.

٢ ـ مختصر شعب الإيمان للقزويني، والكتاب مختصر للكتاب الكبير «الجامع لشعب الإيمان» للحافظ البيهقي، ويدور حول الحديث الصحيح: «**الإيمان بضعٌ وستُّون ـ** أو بضعٌ وسبعون ـ **شُعْبة أعلاها لا إله إلَّا الله، وأدناها إماطة الأذى من الطريق، والحياء شُعْبة من الإيمان**»[(١)].

وخلاصته: أنَّ الإيمان لا يتمثل في العقيدة وحدها، ولا في العبادة وحدها، ولكنَّه يشمل العقيدة والسلوك، والعبادة والمعاملة، سواء كانت معاملة مع الله، أم مع النفس، أم مع الأسرة، أم مع المجتمع، أم مع الأمة، أم مع البشر كافة، أم مع الكون كله من حوله.

(١) سبق تخريجه صـ ١٣٤.

QaradawiBooks.com

ولكن أهم عمل يرجوه عز الدين، ويسأل الله تعالى أن يوفقه إلى إتمامه ما سماه «قراءات من القرآن الكريم»، ولم يحب أن يسميها «مختارات»، إذ لا يراها مناسبة لجلال القرآن؛ لأنَّ المختار من شيء يوحي بأن ما ترك كأن فيه شيئًا جعله لا يصلح للاختيار، والقرآن كله كمال وجمال وجلال. وهذا من دقة عز الدين.

وأرجو الأخ الحبيب عز الدين: ألا يحرم قراء العربيَّة من نتاج فكره، وأن يمتعهم بثمرات قلمه، كما نفع قراء الإنجليزية، وإنَّه لذلك أهل.

أسأل الله تعالى أن يشرح له صدره، وييسر له أمره، ويفتح له أبواب فضله.

لا يسعنا في ختام هذا التقديم إلَّا أن نشكر للدكتور عز الدين جهده مع زميله الأخ المسلم عبد الودود، وأسأل الله تعالى أن يسدد خطاهما، وينير طريقهما، وينفع بهما المسلمين فيما أصدراه، وما ينويان إصداره، وأن يجعل عملهما خالصًا لوجهه، ويثيبهما على ذلك في الدُّنْيا والآخرة اللهمَّ آمين. والحمد لله أولًا وآخرًا.

وصلى الله على نبيه مُحمَّد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

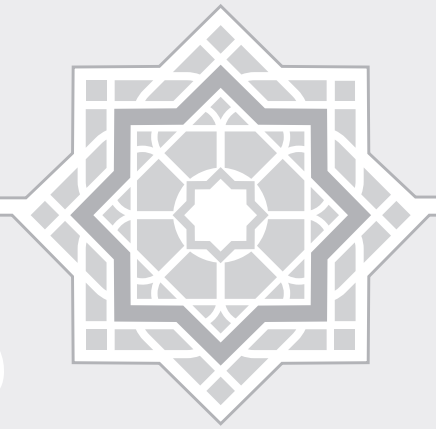

التحقيقات

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «أصول الشاشي
مختصر في أصول الفقه الإسلامي» للشاشي
حقَّقه وراجع نصوصه وعلَّق عليه الدكتور مُحمَّد أكرم الندوي[1]

الحمد لله الَّذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين، وحجته على النَّاس أجمعين، سيَّدنا وإمامنا ومعلمنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فإنَّ «علم أصول الفقه» يعد ـ بلا ريب ـ من مفاخر تراثنا العلمي الإسلامي، وهو علم إسلامي خالص، ابتكره المسلمون على غير مثال سابق، وأبدعوا فيه، ولا يعرف مثل هذا العلم عند أمة من أمم الحضارات.

وقد أراد المسلمون بهذا العلم الفريد أن يضبطوا الأدلَّة، الَّتي تستنبط منها الأحكام التكليفية والوضعيَّة، ويحددوا قواعد الاستدلال بها، فلا يقول من شاء ما شاء، وإنَّما ترد الفروع إلى أصولها، وترد الأصول إلى مصادرها المعصومة، الَّتي لا تضل ولا تنسى، وتفهم نصوص هذه المصادر وفق قواعد منضبطة.

---

(١) نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

ولا عجب أن يرى بعض أساتذة الفلسفة ومؤرخي الفكر الإسلامي: أن هذا العلم أدل على فلسفة المسلمين الحقة من «الفلسفة الإسلاميَّة» الرسمية الَّتي عرفت بهذا الاسم، وعرفت بها في تاريخنا «المدرسة المشائية» الإسلاميَّة المعروفة، والَّتي مثلها الفلاسفة الكبار: الكندي والفارابي، وابن سينا، ومن سار على دربهم.

وكان أوَّل من صنف في هذا العلم هو الإمام مُحمَّد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، أعني أنَّه هو الَّذي ألف فيه بطريقة علميَّة منهجية تأليفا مستقلا، تمثل في كتابه البديع «الرسالة»، وإن كان هناك قبله أفكار متناثرة في كل مذهب، تكون كثيرًا من المادة الأساسيَّة لهذا العلم، بل قيل: إن أبا يوسف أوَّل من صنف في «أصول الفقه»[1]. ولكن لم يصلنا ما كتبه.

وقد تبع الإمام الشافعي رضي الله عنه مؤلفون، اتخذوا طرقًا شتَّى، من أهل السنة، ومن المعتزلة.

فمنهم من اتَّخذ طريقة المتكلِّمين، الَّتي تؤصِّل الأصول، ثمَّ تبني عليها الفروع.

ومنهم من اتخذ طريقة الحنفيَّة، الَّتي تنطلق من الفروع لتؤصل الأصول، كما قيل: أنَّ التطبيق يسبق النظريَّة.

ومنهم من جمع بين الطريقتين، كما هو معلوم في تاريخ هذا العلم.

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٣٦٣/١٦)، تحقيق بشار عواد، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، من قول طلحة بن محمد بن جعفر.

QaradawiBooks.com

وكان من الَّذين ألفوا في الأصول من علماء الحنفيَّة: العلَّامة الشاشي، الَّذي نقدم كتابه هذا المختصر المفيد، الَّذي حقَّقه ابننا العالم الباحث المدقق الشيخ مُحمَّد أكرم الندوي سدد الله خطاه.

والشاشي ـ مصنف الكتاب ـ نسبة إلى «شاش»، وهي مدينة فيما وراء النهر، نسب إليها عدد من العلماء؛ من الفقهاء والأصوليِّين والمفسرين والمحدثين والمتكلمين.

وأحسب أن مكانها الآن مدينة «طشقند» في دولة «أوزبكستان»، من الجمهوريات الإسلاميَّة الَّتي استقلت عن الاتِّحاد السوفيتي.

ومن علمائها من ينتسبون إلى المذهب الحنفي، ومن ينتسبون إلى المذهب الشافعي، ومؤلفنا من الأحناف ولا شك.

ولكن من هو بالضبط؟ حاول المحقق أن يجد دليلا بينا يكشف عن هويته، فلم يعثر عليه، وإن كان الأغلب أنَّه (نظام الدين الشاشي)، الَّذي رجحه الحليمي، وإن لم يذكر لنا مصدر ذلك، ولا تفصيله.

وعلى أي حال، هو أحد الشاشيين الفضلاء، نسأل الله أن يجزيه خيرًا عما خلف من علم، وإن كنا لا نعرف اسمه، فالله تعالى يعلمه ويثيبه على عمله ونيته.

أمَّا الكتاب فإن من يقرؤه، يرى أنَّه مختصر نافع حقا، ويجد أنَّه يتميز بالإيجاز والتركيز، مع وضوح العبارة، وذكر الأمثلة من الفروع، والأدلة من النقل والعقل، وهو ما يتميز به علم أصول الفقه، كما قال الإمام الغزالي في مقدمة «المستصفى»[1].

(١) المستصفى صـ ١٠ ـ ٤٤، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

ولهذه المزايا عُني به إخواننا في المعاهد والكليات الدينيَّة في الهند وباكستان وبنجلاديش وأفغانستان وبلاد آسيا الوسطى، منذ عدة قرون، وتوارثوا تقريره على الطلاب في مدارسهم، كما تناوله علماؤهم بالشرح والتعليق.

ولكن هذا الكتاب على أهميته العلميَّة والعمليَّة، وطباعته عدة مرَّات في الهند وباكستان، لم يقدر له أن يطبع طبعة محققة تحقيقًا علميًّا عصريًّا يليق به، حتَّى هيأ الله له الأخ الفاضل البحاثة مُحمَّد أكرم حفظه الله، فقام على خدمة الكتاب تحقيقًا وتعليقًا وتفسيرًا وتخريجًا، وقد قيل: من حقَّق كتابًا فكأنما أحيا موءودة.

وإن هذا الجهد الَّذي بذله أخونا العزيز الشيخ مُحمَّد أكرم الندوي، لجهد مقدور ومشكور، عند الله وعند الناس، فقد أحيا الكتاب، وذلل صعابه، وفتح مغاليقه، ونور طريقه، وسهله على الدارسين، فجزاه الله خيرًا عما أنفق من وقت، وما بذل من جهد، وما قدم من نفع، وبارك في علمه وعمله، ونفع به المسلمين.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

مقدمة «المسالك في شرح موطأ مالك» لابن العربي

قرأه وعلق عليه الدكتور مُحمَّد بن الحسين السليماني والدكتورة عائشة بنت الحسين السليماني[1]

الحمد لله ربِّ العالَمِين، والصلاة والسلام على رحمته للعالمين، ومنته على المؤمنين، وحجته على النَّاس أجمعين، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فيسرني أن أقدم لهذا العمل العلمي الجليل، الَّذي قام به أخونا وصديقنا العالم الباحث المدقق الدؤوب الأستاذ مُحمَّد بن الحسين السليماني، الَّذي عرفته في ميادين العمل السياسي، رجلًا غيورًا على وطنه الجزائر، عاملًا لنصرة قضيته، حريصًا على تثبيت هويته العربيَّة والإسلاميَّة، صابرًا على الأذى والاغتراب من أجله.

كما عرفته في مَيدان السلوك الإنساني: شخصيَّة مهذبة محببة، تتمسك بالقيم العليا، ومكارم الأخلاق، وتحسن التعامل مع الناس، بكل دماثة وسماحة وبشاشة وأريحية وأصالة... لعلها تشير إلى «ميراثه

(١) نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحسني»[١] من الأخلاق، فقد عرفت كثيرًا من الحسنيين[٢] على هذا المستوى من السمو الخلقي، الموصول بجدهم سيِّدنا الحسن ابن علي رضي الله عنهما.

إلى جوار ذلك عرفت الأخ السليماني في مَيدان قد يستغرب القارئ وجوده فيه بقوَّة، وهو مَيدان الحوار الإسلامي المسيحي، حيث كان أحد العناصر المهمة الَّتي قامت بدور فعال في الجمع بين الفريقين: الإسلامي والمسيحي في روما (أكتوبر ٢٠٠١م)، في صورة «قمة إسلاميَّة مسيحيَّة» أولى، بالتعاون مع جمعيَّة «سانت جديو» المسيحيَّة الشهيرة، ثمَّ انعقدت بعدها قمة ثانية في برشلونة بإسبانيا، كان له جهد مقدور في انعقادها.

وهذا الدور العملي الَّذي يقوم به صديقنا السليماني: لم يشغله عن دوره العلمي الَّذي تأهل له بدراسته وخبرته وممارسته وترهبه في سبيل العلم، وقد تجلى لنا السليماني العالم الثبت في عمله المتميز في خدمة كتاب الإمام أبي بكر بن العربي «المسالك في شرح موطأ مالك»، الَّذي يسمى في العرف العلمي اليوم «تحقيقًا»، وهو لا يحب أن يلتزم بهذه التسمية المحدثة. وأنا معه في هذا التوجه، فقد كان علماؤنا الكبار من المحدثين والمفسرين والفقهاء والأصوليِّين وغيرهم، يقرؤون كتب من قبلهم، ويعتمدونها، ولا يسمون هذا «تحقيقًا»، بل قراءة وتصحيحًا واعتمادًا. وظل هذا سائدًا إلى عصر الطباعة، فكانت مطبعة «بولاق» الشهيرة تخرج كنوز كتب التراث، ويقرؤها علماء معتبرون ويصححونها، وقليلًا ما كانوا يذكرون اختلاف بعض النسخ عن بعض، إذا وجدوا في

(١) فهو محمد بن الحسين السليماني الحمودي الإدريسي الحسني.

(٢) منهم العلَّامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي وأسرته في الهند.

QaradawiBooks.com

ذلك فائدة علميَّة لها قيمة. وصدرت مئات الكتب ممهورة باعتماد هؤلاء (المصححين) الأعلام، الَّذين اكتسبوا ثقة سائر علماء الأمة، ممَّا شاهد الجميع من تحريهم وإتقانهم، وإشرافهم على طبعات لأعداد هائلة من الكتب الَّتي ظهرت مصونة من الأغلاط والتحريف والتصحيف، وكثيرا ما ظهر عملهم، واختفت أسماؤهم!

ثم ظهر هذا المصطلح الجديد «التحقيق» وشاع، وقبله جمهور العلماء، ولا بأس بذلك إذا عرف المصطلح على وجه الدقَّة، فقد قال علماؤنا: لا مشاحة في الاصطلاح.

المهم هنا أن يتولى هذا الأمر من يحسنه، ويملك مؤهلاته، وأن يعطيه حقه من الوقت والجهد والفكر، حتَّى يخرج على الوجه المرضي، فقد قال ﷺ: «**إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء**»[1]، وهذا ما لم يتوافر اليوم في كثير ممَّا يُسَمَّى «تحقيقًا»!

لقد امتلأت المكتبات ومعارض الكتب بكم غير قليل من كتب التراث المحقَّقة، ولكنك تجد التفاوت الشاسع بين هذه التحقيقات بعضها وبعض.

فبعض هذه الكتب المحققة أقرؤها، فيضيق بها صدري، لأنِّي لا أجد فيها قراءة صحيحة ونافعة ومستنيرة للنص، وبعضها أجد فيها مبالغة منكورة في تضخيم التحقيق في غير ضرورة، مثل ذكر كل المخالفات بين النسخ بعضها وبعض، وأكثرها اختلافات غير مؤثرة، وهي تأخذ حيزًا كبيرًا ولا يكاد يستفيد القارئ منه شيئًا.

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومثل الترجمة لكل علم يرد في النص، ولو كان من الوضوح بمكان، مثل الخلفاء الراشدين، والأئمَّة الأربعة، وأمثالهم.

ومثل التوسع في تخريج الأحاديث، بما لا لزوم له، وإن كان من الأحاديث الشهيرة المعروفة.

ومثل التعليق على البدهيات، مع إهمال التعليق في أماكن معينة تتطلب التعليق، لإزالة الاشتباه ورفع اللبس.

وإلى جوار هؤلاء «المحققين» الَّذين ملؤوا السوق، واتخذوا من التحقيق تجارة رابحة، ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]: أجد آخرين يحترمون أنفسهم، ويحترمون العلماء الَّذين يحققون تراثهم، ويحترمون قراءهم، فنجد أحدهم يعكف على النص فيعيد قراءته مرَّة بعد مرَّة، متفهما متأنيا، ويقابل نسخه بعضها ببعض، ويملك من الحس العلمي والنقدي ما يميز به نسخة على أخرى، وما يرجح به عبارة على أخرى.

وقد يقف عند جملة أو لفظة يعييه فهمها على وجهها، ويراجع فيها المصادر، ويشاور فيها من يعرف من أهل العلم والرسوخ، حتَّى يطمئن إلى قراءة يرجحها. كما رأيت صديقنا أ. د. عبد العظيم الديب يعمل في مواجهة بعض عبارات إمام الحرمين في «نهاية المطلب».

هؤلاء هم الَّذين إذا نشر أحدهم مخطوطة، فكأنما أحيا موءودة.

وقد عرفنا وعرف أهل العلم في عصرنا: مدرسة آل شاكر (أحمد ومحمود) في التحقيق، ومن سار على دربها، وما أرسته من قواعد احترمها كل العاملين في هذا الحقل من سائر البلاد العربيَّة: سوريا، ولبنان، والأردن، والعراق، وبلاد المغرب العربي.

QaradawiBooks.com

ومن هذا النمط الرفيع: أخونا وصديقنا الأســتاذ مُحمَّد بن الحسين الســليماني، الَّذي قرأنا له من قبل «قانون التأويل» لابن العربي، فكان تحقيقه وتعليقه موضع الترحيب والحفاوة والتقدير من كل الدارسين.

واليوم نقرأ له هذا الكتاب النفيس، وهو «المســالك في شرح موطأ مالك»، يحققه هو وشقيقته الدكتورة عائشة المدرسة في جامعة أم القرى. فهو لون جميــل من التعاون العائلي في خدمة العلم، وإن كان الشــقيق يحمل العبء الأكبر في هذا العمل.

ويبدو أنَّ السليماني معجب بشيخه ابن العربي، ومن حقِّه أن يعجب به، فالرجل من أعلام علماء الأمة تهيأ له من أسباب تحصيل العلم ما لم يتهيأ لغيره، واكتمل له من الخصائص ما لــم يكتمل لغيره، وأوتي من أدوات الفهم والتعبير ما لم يؤته إلَّا القليلون.

«فهو الفقيه البصير الَّــذي جانب التقليد والتزمــت والعكوف على ترديد كلمات بأعيانها.

وهو المحدث المستنير الَّذي يعمل عقله وفكره فيما يقرأ أو يسمع، ويغوص على المعاني الدقاق المستكنة في أطواء النص الحديثي.

وهو المفسر المقتدر الَّذي أعد العدة لعمله في التفسير، من تضلع من لغة العرب وأشعارها وروائع نثرها الَّذي يمتاز بإيجاز اللفظ وثراء المعنى.

وهو الأديــب الَّذي يغوص علــى المعنى، ويفتن فــي التعبير عنه، واستخراج العبرة من مطاويه.

وهو المؤرخ الَّذي يقــارن بين الروايات، ويميــز حقها من باطلها، ولا يكتفي بإيرادها كما هو شأن الكثيرين.

QaradawiBooks.com

وهو المثقف الواسع الثقافة الَّذي لا يقصر نفسه على فن أو فنون معدودة، وإنَّما يطوف بأرجائها، ويقطف من ثمارها ما طاب له التطواف والقطاف.

وهو المتكلم الَّذي درس عيون كتب الكلام، ونظر فيها نظرات فاحصة مستقلة، لا يعنيها إلَّا كشف الحق، ودحض الباطل الَّذي ران على كثير من أبحاث السابقين، واختيار الرأي الناضج الَّذي لا يتعارض مع حقائق الإسلام»[١].

وأضيف إلى ذلك: وهو الأصولي المتمكن الَّذي عرف الأدلَّة المتَّفق عليها والمختلف فيها، ورد الفروع إلى أصولها، وعرف الناسخ والمنسوخ.

وهو المربي الَّذي يعمل على وصل العقول بمعرفة الله، والقلوب بحب الله، والجوارح بطاعة الله، كما في كتابيه «سراج المريدين» و«سراج المهتدين».

وقد خلف ابن العربي مؤلفات عدة في شتَّى العلوم الإسلاميَّة، سردها السليماني في مقدمته[٢]، لا يزال أكثرها مخطوطًا. ومنها كتابه الكبير «أنوار الفجر» في تفسير القرآن، الَّذي قضى في تأليفه عشرين سنة، في ثمانين ألف ورقة، وهو شبه مفقود، وإن كان صاحبنا السليماني نقل عن بعضهم أنَّه موجود في بعض المكتبات!

هذا وقد كان السليماني حقَّق كتاب «قانون التأويل» لابن العربي من قبل، ونشرته دار الغرب الإسلامي، وكان أوَّل تجربة له في هذا المضمار،

(١) مقدمة قانون التأويل للسليماني صـ ١٧، ١٨، نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) صـ ١٣٩ ـ ١٥٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولم يبلغ بعد أشده، ولا غرو أن اعترف بشـيء من التقصير في عمله، وهذا ضرب من الشجاعة الأدبيَّة الَّتي لا يصل إليها إلَّا القليلون، فقد قال في مقدمة الطبعـة الثانية للكتاب: «وقد صححت بعـض الأخطاء الَّتي وقعتُ فيها فـي الطبعة الأولى، كمـا تبيَّن لي أنَّنـي تعثرت في بعض المسائل تعثرًا قبيحًا، لغرارتي يومئذ، وجهلي بوعورة التحقيق، وتشعب مسـالكه وأنا على يقين أنَّ هذا القصور سيزول إن شاء الله، بتعاون أهل الخبرة بتراثنا الإسـلامي العريق، وذلـك بإظهاري علـى أوهامي في التحقيق والتعليـق، وتبيين ما دق عن فهمي من معانـي الكتاب، حتَّى أتجافى عن مواطن الزلل»[1].

واستشهد بكلمات بليغة لصديقنا وبَلَدِيِّنا المُحَدِّث اللغوي المحقِّق الناقد الشيخ سيَّد أحمد صقر رَحِمَهُ اللَّهُ.

واليوم وقد صلب عوده، وارتفع عموده، وآتت شـجرته أكلها بإذن ربها، واستجمع عدته وآلته، فعكف على هذه الذخيرة النفيسة من ذخائر ابن العربي، بعد أن عاش معها ومعه سـنين عددًا، ليخرجها لنا محررة منورة، ميسرة معطرة.

يقول السليماني: «صحبنا ابن العربي وتراثه لأزيد من عشرين سنة دأبا، عكفت فيها على دراسـة ما وصلنا من تراثه المطبـوع والمخطوط، الَّذي تناثرت أسفاره بين خزائن الأرض، في بلاد الإسلام وديار الدعوة، وحصل لنا من الأنس والألفة بأسـلوب الرجل، وطبعه: ما نحسب أنَّه يعصم الرأي من الشطط في الحكم، والزلل في القول، والتعسف في الاستنتاج»[2].

(١) مقدمة الطبعة الثانية لقانون التأويل صـ ٢٢.

(٢) مقدمة المسالك صـ ١٢٠.

QaradawiBooks.com

أجل، أصبح السليماني اليوم يمتلك الأدوات اللازمة للتحقيق المنشود، من المعرفة الشرعيَّة الوثيقة، والمعرفة الأدبيَّة واللُّغويَّة المتينة، والمعرفة التاريخيَّة الرصينة، والثقافة العامَّة المعينة، والحس النقدي الضروري لكل محقق أصيل، والصبر على قراءة النص وفهمه ومراجعته، دون كلل ولا ملل ولا تبرم ولا استعجال، فإنَّ العجلةَ من الشيطان[1].

وساعده على هذا: تمرُّسه بالتحقيق من قبل، ومعايشته فكريًّا وعمليًّا لتراث الأُمَّة، وعشقه لمن يحقق تراثه، فهذه العاطفة الدافقة الَّتي يكنها لشيخه ابن العربي حبًّا وإعجابًا وإجلالًا: تجعله يعنى بكل ما يصدر عنه عناية بالغة.

ولقد عرفت عددًا من المحققين المعجبين بأئمتهم، ورأيت من آثارهم ما بهر الأبصار، منهم: الأستاذ الدكتور مُحمَّد رشاد سالم، المعجب والمحب والمتأثر بشيخ الإسلام ابن تيمية، وقد أخرج له جملة من الروائع، أهمها: «منهاج السنة» في تسعة مجلدات، و«درء تعارض العقل والنقل» في عشرة كاملة.

ومنهم: صديقنا الأستاذ الدكتور عبد العظيم محمود الديب، المعجب والمحب والمولع بإمام الحرمين الجويني، والَّذي تخصص في تراثه الفقهي والأصولي، فأخرج له: «البرهان في أصول الفقه»، و«الغياثي»، و«الدرة المضية»، وأخيرًا: كتابه الكبير «نهاية المطلب ودراية المذهب»، فهو من الأمهات في كتب الشافعيَّة.

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠١٢)، وقال: هذا حديث غريب. وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد المهيمن بن عباس بن سهل وضعَّفه من قبل حفظه. والطبراني (١٢٢/٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٣٠٣)، عن سهل بن سعد.

QaradawiBooks.com

وأخونا السليماني معجب بشيخه ابن العربي، وحق له أن يعجب به، فأنا معه من المعجبين به، فقد تميز الرجل بعدة فضائل، منها: الموسوعيَّة، والاستقلال، والقدرة على الترجيح، بل رأى بعضهم أنَّه بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق، وهو أهل لذلك، كما رزق الشجاعة في التعبير عما يعتقد.

ولقد أعجبني أنَّه ـ وهو رأس المالكيَّة في عصره ـ رجح رأي أبي حنيفة في إيجاب الزكاة في كل ما خرج من الأرض، فيقول في أحكام القرآن في تفسيره آية سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ...﴾ [الأنعام: ١٤١]: «فأما أبو حنيفة فجعل الآية مرآته فأبصر الحق، فأوجبها في كل ما أخرجت الأرض مأكولًا أو غير مأكول...»[(١)].

وكذلك في عارضة «الأحوذي» في شرح حديث: «**فيما سقت السماء العشر**». وقد ذكرت ذلك في كتابي «فقه الزكاة»[(٢)].

كتب السليماني مقدمة طويلة في التعريف بابن العربي تصلح أن تكون وحدها كتابًا، ناقش فيها أمورًا كثيرة تتصل بسيرة شيخه وأسرته وشيوخه وتلاميذه ورحلته إلى المشرق، وإنتاجه العلمي، وآراء النَّاس فيه، والمترجمين له في مختلف العصور.

كما تحدث عن الموطأ ومنزلته ورواياته ورواته ونسخه وشروحه، عن معرفة واطلاع واقتدار، ونقد كثيرًا من القدماء والمُحْدَثين

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢٨٣/٢)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، انظر: عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (١٠٤/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) فقه الزكاة (٣٦٦/١ ـ ٣٧٠)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٥، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

والمعاصرين، من أمثال: مُحمَّد فؤاد عبد الباقي، وبشـــار عواد معروف، ومحمَّد مصطفى الأعظمي، على ما لهم من فضل.

قد توافق الســـليماني أو تخالفه في بعض انتقاداته على القدامى أو المعاصرين، أو على ابن العربـــي ذاته، ولكنك تحتـــرم رأيه، الَّذي لم يصدر إلَّا عن دراســـة واقتناع واجتهاد، ولكل عالم رأيه، ولكل مجتهد نصيب من الأجر أو الأجرين، أخطأ أم أصاب.

فرغم إعجاب السليماني بشيخه ابن العربي: لم يستطع أن يخفي لومه ـ بل ربَّمـــا غضبه ـ على بعض مواقفه السياســـيَّة، وحرصه على القـــرب من أهل الســـلطان، وتنقله بالـــولاء من دولة إلـــى دولة، من المرابطين إلى الموحدين، حتَّى قال: «بـــل لا نبالغ إذا قلنا بأن خدمة الســـلطة، والســـعي لرضاها، كان يجري في دمه، وأنَّه وارثه من أبويه وأخواله من الهوازنة، وأسرته المعافريَّة، اللتين لعبتا الأدوار الأساسيَّة على عهد العبَّاديَّـــة والمرابطيَّة. فيصعب عليه أن يتخلص من شـــهوة الســـلطة والطموح والنفوذ والوجاهة، والعرق غلاب ودســـاس، وكلٌّ ميسَّر لما خُلِق له».

قال: «وكان الأجدر لصاحبنا ـ وهو في شيخوخته العالية ـ ألا يتجشم مشاق الرحلة إلى مراكش، ومتاعب الغربة عن الأهل في أشبيلية...».

إلى أن قال: «وربما كان رأي ابن العربي أن رئاسته لهذا الوفد: فرصة ســـانحة لربط الخيوط بالدولة الجديدة، والتنصل من أن يحســـب على العهد القديم، فتنفتح له قلوب الموحدين، ويحظى بالوجاهة والمكانة... ذلك ما نرجح ـ والله أعلم ـ أنَّه كان يلح على خاطر ابن العربي، ويناسب

QaradawiBooks.com

طموحه المعهود فيه، ونرجو ألا يكون فيما استنتجناه أو تأولناه شيء من القسوة أو التحامل...»[١].

ربما يؤخذ على الأخ السليماني هنا: أنَّه دخل في محيط النيات والسرائر، وهذه علمها عند الله، وقد أمرنا أن نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر، وقد نقول هنا ـ إذا استخدمنا طريقته في الاستنتاج ـ: إنَّ الطبع الجزائري الحار قد غلب على الميراث الحسني الهادئ.

أمَّا العمل الَّذي يقوم السليماني على خدمته، فهو شرح ابن العربي للموطأ، وإن للموطأ لمكانة كبيرة عند الأمة بمختلف مدارسها ومذاهبها، وهو أوَّل كتاب ألف في شرائع الإسلام، ألفه الإمام مالك على مهل، حتَّى نضج واكتمل، وقد أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يجعل منه قانونًا عامًّا للمسلمين في عهده، يحملهم عليه حملًا، فأبى عليه ذلك مالك رضي الله عنه. وهذا من إنصافه وإخلاصه وتواضعه وحسن فقهه.

والموطأ كتاب جامع، ففيه الحديث، وفيه الفقه، وفيه أصول الفقه، وفيه أصول الدين، وفيه الدعوة، وفيه التربية، وكل هذه الجوانب يبدع فيها قلم ابن العربي ويحسن الشرح والتوجيه.

فلا عجب أن تراه ـ بوصفه محدثًا ـ يرجح حديثًا على حديث، أو رواية على رواية، ويصحح ويضعف بثقة واطمئنان.

كما تراه ـ بوصفه فقيها ـ يناقش الآراء، ويوازن بين الأدلَّة، ويضعف ويقوي، ويرجح استنباطا على استنباط، ويختار ما يراه الأصوب والأرجح، فهو يقوم بعمل أساسي في صميم «الفقه المقارن».

(١) انظر: المقدمة صـ ١٢١، ١٢٢.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا يتسع المقام لضرب الأمثال، فالكتاب كله واضح لمن قرأه فأحسن قراءته.

وقد حاول الكثيرون أن يكون لهم نصيب من خدمة الموطأ، في كل الأعصار، وفي كل الأقطار، ولكن شارحي الموطأ ليسوا سواء. وقد كان ابن العربي من أبرزهم وأميزهم، ولا ريب في أنَّه استفاد من الأئمَّة الكبار الَّذين خدموا الموطأ من قبله، كما أقر هو بذلك، من أمثال الإمام الحافظ ابن عبد البر في كتابيه «التمهيد» و«الاستذكار»، ومثل أبي الوليد الباجي صاحب «المنتقى في شرح الموطأ».

وهناك شروح وتفسيرات أخرى لم يعرها ابن العربي اهتمامًا، وهو في شرحه تتجلى شخصيته الموسوعيَّة: شخصيَّة المحدث المفسر الفقيه الأصولي المتكلم الداعية المربي الأديب. وهو يقدم للأحكام بمقدمات تتضمن معاني وأسرارًا، قلما يلتفت إليها غيره.

انظر إلى كتاب القول في الدماء والقسامة، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدماء خطيرة القدر في الدين، عظيمة المرتبة عند رب العالمين، وهي وإن كانت محرمة بالحكم والأمر، فإنها مراقة بالقضاء والحكمة، وهو الَّذي ضجت منه الملائكة، ورفعت قولها إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فقالت: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠].

ثم علَّمنا الله تعالى معنى ذلك وحكمته، وهي ما بيَّناه في (الأسماء)، وذلك أنَّ الله سبحانه، له الصفات العلا والأسماء الحسنى، وكل أسمائه وصفاته لها متعلق لا بدَّ أن يكون ثابتا على حكم المتعلق، ومنها عامَّة التعلق، ومنها خاصَّة، فلما كان من صفاته

QaradawiBooks.com

الرحمة، أخذت جزءا من الخلق فكان لهم العفو والعافية في الدُّنْيا والآخرة. ولما كان من صفاته السخط، أخذت هذه الصفة جزءا من الخلق فوجب لهم العذاب، واستحقت عليهم النقمة، إلى آخر تحقيق هذا الفصل في الكتاب المذكور. فلما خلق الملائكة يفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، لم يكد ـ لما تقدم بيانه له ـ من أن يخلق من تجري عليه هذه الأحكام وهو الآدمي، تجري عليه المقادير من خير وشر، وتنفذ فيه هذه المقادير من نفع وضر، والحمد لله الَّذي بصرنا حكمته وأحكامه، وإيَّاه نسأل نورًا يتيسر به العمل.

ولعظيم حرمة الدماء حذر النبي ﷺ، أمته عنها، فقال في الحديث الصحيح: «**لا يزال الرجلُ في فُسْحَةٍ من دِينِه ما لم يسفك دمًا حرامًا**»[(١)]. فالفسحة في الدين: سعة الأعمال الصالحة، حتَّى إذا جاء القتل ضاقت لأنَّها لا تبقى به.

وثبت عن النبيِّ ﷺ، أنَّه قال: «**أوَّل ما يُقضى فيه يومَ القيامة الدماءُ**»[(٢)]. لأنَّ المهم أبدًا هو المقدم.

وفي الترمذي، أن رسول الله ﷺ قال: «**زوال الدُّنْيا أهونُ على الله من قتل رجل مسلم**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في الديات (٦٨٦٢)، عن ابن عمر.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥٣٣)، ومسلم في القسامة (١٦٧٨)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٥)، مرفوعًا وموقوفًا، ورجح الموقوف. والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٧)، وصحَّح الألباني في صحيح الجامع (٥٠٧٧)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هُرَيرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أنَّ أهل السماوات وأهل الأرض اشتركوا في دمِ رجلٍ مؤمنٍ لأكبَّهم الله في النار**»[(١)]»[(٢)] انتهى.

وقد استوقفني كثيرًا أوَّل الأمر: أن ابن العربي كتب شرحين للموطأ؛ أحدهما: «القبس شرح موطأ مالك بن أنس»، وقد نشرته دار الغرب الإسلامي، بتحقيق مُحمَّد عبد الله ولد كريم، والثاني: «المسالك شرح موطأ مالك»، الَّذي يعمل لخدمته أخونا السليماني وشقيقته، فما الفرق بين الشرحين؟

قد نبَّه على ذلك السليماني باختصار حين قال في المقدمة: «استوعب المؤلف رحمة الله عليه، في كتابه (المسالك) أغلب ما في كتابه (القبس)، وأضاف عليه إضافات كثيرة، والمتأمل في عنوان الكتابين يدرك هذا المعنى، فـ (القبس) عبارة عن لمحات دالة على المراد، جعله مؤلفه إملاء على أبواب (الموطأ)، وجمعا لما فيها من الأحاديث والآثار، فهو لم يعن بشرح كل الأحاديث والآثار الواردة في (الموطأ)؛ بل كان رَحِمَهُ اللَّهُ، يأتي إلى الباب الَّذي تعددت فيه الروايات، فإذا كان المآل فيها واحدًا، شرح منها حديثًا واحدًا، وكأنَّه بذلك شرح جميع الباب.

أمَّا (المسالك) فقد تتبع فيه المؤلف ألفاظ الأحاديث حديثًا حديثًا[(٣)]، مبينًا لمعانيها وموضحًا لأحكامها»[(٤)].

---

(١) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٨)، وقال: حديث غريب. وصحَّحه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٤٢).

(٢) المسالك صـ ٣٧٣ ـ ٣٥٧.

(٣) وكثيرًا ما كان يختصر أحاديثَ كثيرة؛ بل أبوابًا بأكملها. السليماني.

(٤) المقدمة صـ ٢٦٦، ٢٦٧.

QaradawiBooks.com

رضي الله عن إمامنا، إمام دار الهجرة مالك بن أنس، الَّذي اعتبره شيخنا مُحمَّد أبو زهرة من أئمَّة الرأي، وهو جدير أن يعتبر حلقة الوصل بين المدرستين: مدرسة الحديث والأثر، ومدرسة الرأي والنظر، ولهذا قال فيه من قال: لولا مالك لضاقت المسالك!

ورحم الله شيخنا الإمام أبا بكر ابن العربي على عنايته بالموطأ وشرحه له.

وجزى الله أخانا محمدًا السليماني وشقيقته خيرًا، على عنايتهما بهذا الكتاب، وبذل الجهد في إخراجه، وأعان الله محمدًا على ما ينتويه من خدمة تراث ابن العربي، الَّذي لا يزال كثير منه حبيس المكتبات، وقد علمت أنَّه يعمل في خدمة «العواصم من القواصم»، مع أحد إخوانه من علماء الهند. وفقهما الله، وسدَّد خطاهما، وهدانا جميعًا سواء السبيل.

وشكر الله لمن قام بنشر هذا الكتاب: «دار الغرب الإسلامي»، الَّتي يقوم عليها أخونا الحبيب، وصديقنا العزيز العالم الباحث الأستاذ الحبيب اللمسي، الَّذي نشر كثيرًا من روائع تراثنا العربي والإسلامي، وما ذلك إلَّا لخبرته ومعرفته بقيمة هذا التراث، وما فيه من كنوز نفيسة، وجواهر ثمينة، لا يقدر قدرها إلَّا العارفون، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وإذا كانت الحكمة المأثورة تقول: من أخرج مخطوطة فكأنما أحيا موءودة! فإن هذا يشترك فيه محقق المخطوطة بالدرجة الأولى، وناشرها

QaradawiBooks.com

بالدرجة الثانية. ولا سيَّما إذا كان الناشر من أهل العلم الَّذين لهم نظراتهم ولمساتهم في حسن الإخراج، وحسن التقسيم، وإبراز الكتاب في صورة مشرقة تسر الناظرين، وتشوق القارئين، وتعجب الباحثين، فإن الله جميل يحب الجمال.

وآخر دعوانا: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة في ذي الحجة ١٤٢٧هـ

الموافق ديسمبر ٢٠٠٦م

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «نهاية المطلب في دراية المذهب» للجويني

حقَّقه وصنع فهارسه الدكتور عبد العظيم الديب[1]

الحمد لله الَّذي أكمل لنا دينه، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام دينًا، والقرآن إمامًا، ومحمدًا نبيًّا ورسولًا، والصلاة والسلام على سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا ومعلمنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فيسرني أن أُصْدِرَ هذا الكتاب الكبير «نهاية المطلب في دراية المذهب» لإمام الحرمين الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بتحقيق أخينا البحاثة الأستاذ الدكتور عبد العظيم محمود الديب، حفظه الله، وسدَّد خطاه.

ولا سيَّما أنَّ كُلِّيَّة الشريعة بجامعة قطر تقيم ندوة علميَّة عالميَّة، بمناسبة مرور ألف سنة هجرية على ميلاد الجويني، فقد ولد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سنة (٤١٩) من الهجرة باتفاق المؤرخين.

ولي في هذا التصدير كلمات ثلاث:

- كلمة عن الكتاب، وموضوعه، وقيمته.

(١) نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

نسخة علمية
QaradawiBooks.com

- وكلمة عن مصنفه الكبير، ومنـزلته في علوم الإسلام.
- وكلمة عن محققه، ومستوى تحقيقه.

غير مرخصة للطباعة

١ ـ الكتاب

أمَّا الكتاب، فهو ذخيرة ثمينة من ذخائر تراثنا الفقهي الزاخر، يعرفه المشتغلون بفقه المذهب الشـافعي، ويدركون قيمته، فهو أحد الأعمدة الَّتي يسـتند إليها، ويعول عليها، وهو ينشـر لأول مرَّة؛ فقد كان كنـزًا مطمورًا، برغم شـهرته، ولكنَّه لم تكن منه نسـخة كاملة مجموعة في مكتبة واحدة، يسهل تناولها والعكوف عليها.

ومن المعروف: أن في كل مذهب من المذاهب المتبوعة كتبا متميزة تعد «أمهات» فيه. وليس السـبب في ذلك هو كمُّها، أو سـعتها وكثرة أوراقها وصفحاتها فحسب، بل العمدة فيها هو «الكيف» قبل «الكم»؛ لما تعتمده مـن تأصيل، وما تحتويه من تدليـل، وما تتخذه من نهج علمي يميزها عن غيرها.

ألف إمام الحرمين كتاب «النهاية» في سـنواته الأخيرة، أي بعد أن اكتمل نضجه، وأخرج زرعه شطأه، واسـتغلظ واستوى على سوقه. أراد أن ينهض بمهمة فـي المذهب لا يقوم بها غيره، مـن تهذيب المذهب بكتاب «يحوي تقريـر القواعد، وتحرير الضوابـط والمعاقد، في تعليل الأصول، وتبيين مآخـذ الفـروع، وترتيب المفصل منهـا والمجموع، ويشـتمل على حـل المشـكلات، وإبانـة المعضـلات، والتنبيه على المعاصات...»[1]. كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة الكتاب.

(١) نهاية المطلب (٣/١).

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

بل قال في مقدمته هذه الكلمة المعبرة عن نظرته إلى الكتاب وقيمته عنده: «وهو ـ على التحقيق ـ نتيجة عمري، وثمرة فكري في دهري»[١]!

ومن قرأ لفقهاء الشافعيَّة بعد إمام الحرمين، وجدهم مزهوين كل الزهو، فخورين كل الفخر، بكتاب إمامهم هذا، فطالما نوَّهوا به، وعظموا قدره، وأشاروا إلى تفرده وتميزه.

انظر إلى ما قاله ابن عساكر عنه في كتابه «تبيين كذب المفتري»: أنَّه ما صنف في الإسلام مثله[٢].

وقد اعتبره الإمام النووي في «المجموع» أحد كتب أربعة تعد أساسيَّة في المذهب[٣].

وقال عبد الغافر الفارسي فيما نقله تاج الدين السبكي: «وصار أكثر عنايته مصروفًا إلى تصنيف «المذهب الكبير» المُسَمَّى بـ «نهاية المطلب في دراية المذهب»، حتَّى حرَّره وأملاه، وأتى فيه من البحث والتقرير، والسبك والتنقير، والتدقيق والتحقيق، بما شفى الغليل، وأوضح السبيل، ونبه على قدره ومحله في علم الشريعة، ودرس ذلك للخواص من تلاميذه، وفرغ منه ومن إتمامه، فعقد مجلسا لتتمة الكتاب، حضره الأئمَّة الكبار، ودعوا له، وأثنوا عليه، وكان من المعتدين بإتمام ذلك، الشاكرين لله عليه.

فما صُنِّف في الإسلام قبله مثله، ولا اتَّفق لأحدٍ ما اتَّفق له، ومن قاس طريقته بطريقة المتقدِّمين في الأصول والفروع وأنصف: أقرَّ بعلوِّ

(١) اقتبسنا هذه الكلمة من مقدمة الكتاب للدكتور الديب.

(٢) انظر: تبيين كذب المفتري صـ ٢٨٢، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ.

(٣) انظر: المجموع للنووي (١٢/١).

QaradawiBooks.com

منصبه، ووفور تعبه ونصبه في الدِّين، وكثرة سهره في استنباط الغوامض، وتحقيق المسائل، وترتيب الدلائل»[١].

فانظر إلى هذه الجملة تعرف قيمة الكتاب عند العلماء، ولا سيَّما الشافعيَّة: «ما صنف في الإسلام قبله مثله»!

وقال تاج الدين السبكي: ومن تصانيفه «النهاية» في الفقه: لم يصنف في المذهب مثلها فيما أجزم به[٢].

وعلق علَّامة المتأخرين من الشافعيَّة ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٣هـ) صاحب «تحفة المحتاج في شرح المنهاج» وغيره من الكتب في أثناء كلام من «ذيل تحرير المقال» على قولهم: إنَّه منذ صنف الإمام كتابه «النهاية» لم يشتغل النَّاس إلَّا بكلام الإمام، فقال: «لأن تلميذه الغزالي اختصر النهاية المذكورة في مختصر مطول حافل، وسمَّاه «البَسِيط»، واختصره في أقل منه وسمَّاه «الوسيط»، واختصره في أقلَّ منه وسمَّاه «الوجيز».

فجاء الرافعي، فشرح الوجيز شرحا مختصرا، ثمَّ شرحا مبسوطا، ما صنف في مذهب الشافعي مثله.

ثم جاء النووي واختصر هذا الشرح ونقحه وحرره، واستدرك على كثير من كلامه... وسمَّاه «روضة الطالبين».

ثم جاء المتأخرون بعده فاختلفت أغراضهم»[٣].

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (١٧٧/٥، ١٧٨).

(٢) المصدر السابق (١٧١/٥).

(٣) انظر مثلاً: الفوائد المكية للسيد علوي بن أحمد السقاف صـ ٤١ وما بعدها، نشر مكتبة الهداية، سورا بايا، أندونيسيا.

QaradawiBooks.com

والعجيب أنِّي قرأت لابن حجر نفسه في كتابه «كفّ الرّعاعِ عن محرَّمات اللهو والسماع»، أن أعظم مؤلفات الشافعيَّة هو المجموع للنووي[١].

فلعلَّ كلَّ واحد من هذه الكتب الثلاثة كان أعظم بالنسبة لزمنه: النهاية للجويني (ت٤٧٨هـ)، وشرح الوجيز للرافعي (ت٦٢٣هـ)، والمجموع للنووي (ت٦٧٦هـ)، وكل منهم له قدره ووزنه وأثره، ولا حرج على فضل الله.

٢ ـ المصنف:

أمَّا مصنف الكتاب فهو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت٤٧٨هـ)، أحد عمالقة الفكر الإسلامي، والعلم الإسلامي، الَّذي شرق صيته وغرب، واعترف بفضله القاصي والداني، وأثنى عليه السابقون واللاحقون والمحدثون إلى يومنا هذا.

إمام وابن إمام، وفقيه وابن فقيه، أخذ العلم كابرًا عن كابر.

قال معاصره الإمام أبو إسحاق الشيرازي: تمتعوا بهذا الإمام، فإنَّه نزهة هذا الزمان!

وقال له مرَّة: يا مفيد أهل المشرق والمغرب، لقد استفاد من علمك الأولون والآخرون.

وقال الحافظ أبو مُحمَّد الجرجاني: هو إمام عصره، ونسيج وحده، ونادرة دهره.

---

(١) انظر: كف الرعاع المطبوع مع الزواجر صـ ٢٧٦، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

وقال قاضي القضاة أبو سعيد الطبري، وقد قيل له: إنَّه لقب إمام الحرمين. فقال: بل هو إمام خراسان والعراق، لفضله وتقدُّمه في أنواع العلوم[١].

وقال العلَّامة تاج الدين ابن السبكي في ترجمته في «طبقات الشافعيَّة»: «هو الإمام شيخ الإسلام، البحر الحبر، المدقق المحقق، النظار الأصولي المتكلم، البليغ الفصيح الأديب، العلم الفرد، زينة المحققين، إمام الأئمَّة على الإطلاق»[٢].

ونقل ابن السبكي عن الحافظ عبد الغافر الفارسي قوله فيه: «فخر الإسلام، إمام الأئمَّة على الإطلاق، حبر الشريعة، المجمع على إمامته... من لم تر العيون مثله قبله، ولا ترى بعده... رباه حجر الإمامة... وأرضعه ثدي العلم والورع، إلى أن ترعرع فيه ويفع»[٣] اهـ.

في فقه الشافعيَّة: إذا قيل: قال الإمام، أو اختاره الإمام، أو نحو ذلك، فلا إمام غيره، ولا تقال بهذا الإطلاق على أحد سواه.

وقد وصفه بعضهم وقد كان لا يزال في شبابه، فأضفى عليه من الفضائل والمناقب ما لا يجتمع في العادة مثلها لفرد، ولكن الله يختص بفضله من يشاء.

قال: «فالفقه فقه الشافعي، والأدب أدب الأصمعي، وحسن بصره بالوعظ للحسن البصري... وكيفما كان فهو إمام كل إمام، والمستعلي

(١) روى هذه الآثار ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد (٤٦/١٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

(٢) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (١٦٥/٥).

(٣) المصدر السابق (١٧٤/٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بهمته على كل همام... إذا تصدر للفقه فالمزني من مزنته قطرة، وإذا تكلَّم (من علم الكلام) فالأشعري من وَفْرته شَعْرة، وإذا خطب ألجم الفصحاء»[١]!

وقال ابن خلِّكان في ترجمته: «أعلمُ المتأخِّرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق، المجمع على إمامته، المتَّفق على غزارة مادته، وتفننه في العلوم، من الأصول والفروع والأدب، وغير ذلك. وتفقه في صباه على والده أبي محمد، وكان يعجب بطبعه وتحصيله وجودة قريحته، وما يظهر عليه من مخايل الإقبال. فأتى على جميع مصنفات والده، وتصرف فيها، حتَّى زاد عليه في التحقيق والتدقيق»[٢].

تكون إمام الحرمين تكونًا علميًّا قويًّا منذ صباه، وتفقه على والده الإمام أبي مُحمَّد الجويني، وأخذ علوم عصره عن أفذاذ رجالها المعروفين في وقتهم: من العربيَّة، والقراءات، والحديث، والتفسير، وأصول الدين، والفقه، وأصول الفقه.

وجمع كثيرًا من مصادر العلم في معارف عصره ـ بالإضافة إلى ما وجده عند والده ـ وأقبل على هذه المراجع ينهل منها ويعل في لهفة وشوق، وفي دأب وصبر، مواصلًا الليل بالنهار، يقرأ ويحصل، ويفهم ويهضم.

يقول معاصره عبد الغافر الفارسي: سمعته في أثناء كلام يقول: أنا لا أنام ولا آكل عادة، وإنَّما أنام إذا غلبني النوم، ليلًا كان أو نهارًا، وآكل إذا اشتهيت الطعام في أي وقت كان!

(١) طبقات الشافعية للسبكي (١٧٨/٥).

(٢) وفيات الأعيان (١٦٨/٣)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

وكان لذته ولهوه ونـزهته في مذاكرة العلـم، وطلب الفائدة من أي نوع كان.

قال عنه أحد شـيوخه في النحو والأدب، وقد قـرأ عليه بعض كتبه ـ وهو إمام الأئمَّة ـ مستزيدًا من العلم، وطالبًا له عند أهله، قال: ما رأيت عاشقًا للعلم ـ أي نوع كان ـ مثل هذا الإمام، فإنَّه يطلب العلم للعلم[١]!

ونقل عنه السـبكي قوله: ما تكلمـت في علم الـكلام كلمة حتَّى حفظت من كلام القاضي أبي بكر (يعني الباقلاني) وحده: اثني عشـر ألف ورقة[٢].

هذا من كلام شـخص واحد فـي علم واحد! فكيف بـكلام غيره، وبالعلوم الأخرى، الَّتي له فيها اليد الباسطة، والتصانيف المستكثرة: فقهًا وأصولًا وغيرها؟

ومراده بحفظ تلك الكتـب: فهمها والقدرة على اسـتحضارها عند الحاجة.

ويحكى أنَّه قال للغزالي يوما: يا فقيه. فـرأى في وجهه التغير، كأنَّه اسـتقل هذه اللفظة على نفسـه. فقال له: افتح هذا البيت، ففتح مكانًا وجده مملوءًا بالكتب، فقال له: ما قيل لي: يا فقيه، حتَّى أتيت على هذه الكتب كلها[٣]!

---

(١) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (١٧٩/٥، ١٨٠).

(٢) المصدر السابق (١٨٥/٥).

(٣) في نفسي شيء من هذه الحكاية، إذ لا معنى لتغير الغزالي من قوله له: يا فقيه! والسبكي قد ذكرها بصيغة التمريض (يحكى).

QaradawiBooks.com

وقد قال عن نفسه: (قرأت خمسين ألفًا في خمسين ألفا)[1].

فهل يقصد الضرب؟! (٥٠,٠٠٠×٥٠,٠٠٠=٢,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠) هذا مستحيل.

أو يقصد العطف؟ أي (٥٠,٠٠٠+٥٠,٠٠٠=١٠٠,٠٠٠) أظن هذا هو المقصود والمعقول. ولا أحسبه يقصد العدد حقيقة، إنَّما المقصود كثرة ما قرأ وحصل من العلوم العقليَّة والنقلية.

عبقرية متميزة:

كان إمام الحرمين عبقري زمانه ـ وما بعد زمانه ـ في العلوم الَّتي تجمع بين العقل والنقل، وهي: علم الكلام، وأصول الفقه، والفقه، والخلاف.

وربما يظن كثير من النَّاس أنَّ علم الفقه علم نقلي بحت، وهو كذلك عند كثيرين، ولكنَّه ـ عند إمام الحرمين ومن جرى مجراه ـ له ارتباط وثيق بالعقل، في التأصيل والتدليل، والتقرير والتعليل، وربط المسائل بجذورها، ورد الفروع إلى أصولها، وقياس الأشباه بأشباهها، ومراعاة الجوامع والفوارق، ورعاية العلل والمقاصد.

الاستقلال في التفكير والاستقلال في التعبير:

تميز إمام الحرمين بالاستقلال في التفكير، والاستقلال في التعبير؛ فهو في أصول الدين أشعري، ولكنَّه قد يخالف الأشعري، برغم تعظيمه لقدره، وتقديره لفضله.

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي (١٨٥/٥).

QaradawiBooks.com

وهو في فروع الفقه شافعي، ولكنَّه قد يستقل عن الشافعي بمسائل، وينفرد بنظرات، وأفكار واجتهادات فقهيَّة، لم يسبق بها أحد.

وهو واضع اللمسات الأولى في مقاصد الشريعة، حيث أشار إليها في «البرهان»، وتحدث عن المصالح الضروريَّة والحاجية والتكميلية، ثمَّ جاء تلميذه الغزالي وصاغها صياغة جديدة متكاملة، ووضع أسس البناء لهذه النظريَّة الَّتي توسع فيها الشاطبي فيما بعد.

وعبارات إمام الحرمين في أكثر من كتاب له، بل في كل ما عرف من كتبه: تدل على أنَّه شخصيَّة مستقلة الفكر، وإن انتسب إلى الأشعري اعتقادًا، وإلى الشافعي فقهًا. بل مع تعصبه للشافعي إلى الحد الَّذي جار على بعض المذاهب الأخرى، وبعض الأئمَّة مثل أبي حنيفة، كما تجلى ذلك في كتابه «مغيث الخلق في اختيار الأحق»، وفي حديثه ـ في بعض الأحيان ـ عن الإمام مالك، واسترساله في المصلحة المرسلة.

استمع إليه، وهو يقول في «الغياثي»: «ومعظم المتلقبين بالتصنيف في هذا الزمان السخيف، يكتفون بتبويب أبواب، وترتيب كتاب، متضمنة كلام من مضى، وعلوم من تصرم وانقضى»[(١)].

وفي موضع آخر يقول: «ولو ذهبت أذكر المقالات وأستقصيها، وأنسبها إلى قائليها... لخفت خصلتين: إحداهما: خصلة أحاذرها في مصنفاتي وأتقيها، وتعافها نفسي الأبية وتحتويها، وهي سرد فصل منقول، عن كلام للمتقدمين مقول. وهذا عندي بمنزلة الاختزال والانتحال، والتشيع لعلوم الأوائل، والإغارة على مصنفات الأفاضل»[(٢)]!

(١) الغياثي لإمام الحرمين صـ ٣٩، فقرة (٤٥)، تحقيق د. عبد العظيم الديب، نشر مكتبة إمام الحرمين، ط ٢، ١٤٠١هـ.

(٢) المصدر السابق صـ ١٦٤، فقرة (٢٤٢).

QaradawiBooks.com

فهو إذن يبحث عن الجديد، ويعاف تكرار القديم.

ثم يقول: «وحق على كلِّ من تتقاضاه قريحته تأليفًا وجمعًا وترصيفًا أن يجعل مضمون كتابه أمرًا لا يلفى في مجموع، وغرضًا لا يصادف في تصنيف»[١].

وفي مكان آخر من الكتاب نفسه يقول: «لستُ أحاذر إثبات حكم لم يدونه الفقهاء، ولم يتعرَّض له العلماء؛ فإنَّ معظم مضمون هذا الكتاب لا يُلفى مدوَّنًا في كتاب، ولا مضمنا لباب. ومتى انتهى مساق الكلام إلى أحكام نظمها أقوام، أحلتها إلى أربابها، وعزيتها إلى كتابها.

ولكنِّي لا أبتدع، ولا أخترع شيئًا، بل ألاحظ وضع الشرع، وأستثير معنى يناسب ما أراه وأتحراه. وهكذا سبيل التصرف في الوقائع المستجدة، الَّتي لا توجد فيها أجوبة العلماء مُعَدَّة»[٢].

وهذا شائع في كتبه كلها، وهو يعتد بذلك ويباهي به، إلى حد قد تصفه بالعجب أو الغرور، ولكنَّها ـ كما قال أخي عبد العظيم ـ الثقة الكاملة بالنفس، يقول في «البرهان» معقبًا على ما عرض فيه لأنواع الجموع: «ونحن من هذا المنتهى نفرع ذروة في التحقيق لم يبلغ حضيضها، ونفترع معنى بكرا، هو ـ على التحقيق ـ منشأ اختباط النَّاس في عماياتهم»[٣].

ولقد أقر الفقهاء، والأصوليُّون، والمتكلمون من بعده، بأصالته وتقدمه، واستقلاله في العلم والفكر، فهو نسيج وحده فيما يصنف ويكتب، غير مقلد لأحد قبله.

---

(١) الغياثي، نفس الفقرة.

(٢) الغياثي صـ ٢٦٦، فقرة (٣٧٨).

(٣) انظر: البرهان (٣٢٨/١) فقرة (٢٣٤) تحقيق د. عبد العظيم الديب، ط١، ١٣٩٩هـ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يقول التاج السبكي في «طبقاته» عن كتابه «البرهان»: «اعلم أنَّ هذا الكتاب وضعه الإمام في أصول الفقه على أسلوب غريب، لم يقتد فيه بأحد، وأنا أسميه «لغز الأمة»، لما فيه من مصاعب الأمور، وأنَّه لا يخلي مسألة عن إشكال، ولا يخرج إلَّا عن اختيار يخترعه لنفسه، وتحقيقات يستبد بها، وهذا الكتاب من مفتخرات الشافعيَّة»[١].

فانظر إلى هذه العبارات: «لم يقتد فيه بأحد»، وقوله: «عن اختيار يخترعه لنفسه، وتحقيقات يستبد بها». ممَّا يدلُّ على أنَّ الرجل من المبدعين وأصحاب العقول المبتكرة.

وفي موضع آخر يعلق السبكي على ما وصفه بتحامل الإمام المازري وغيره من علماء المالكيَّة، الَّذين شرحوا «البرهان»، مبينًا سبب هذا التحامل في رأيه، فقال: «إنَّهم يستصعبون مخالفة الإمام أبي الحسن الأشعري، ويرونها هجنة عظيمة، والإمام ـ إمام الحرمين ـ لا يتقيد لا بالأشعري، ولا بالشافعي، لا سيَّما في (البرهان)، وإنَّما يتكلم حسب تأدية نظره واجتهاده، وربَّما خالف الأشعري، وأتى بعبارة عالية، على عادة فصاحته، فلا تتحمل المغاربة أن يقال مثلها في حق الأشعري».

قال السبكي: وقد حكينا كثيرًا من ذلك في شرحنا على «مختصر ابن الحاجب»[٢].

وقد استدلَّ الحافظ السيوطي (ت٩١١هـ) في رسالته «الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أنَّ الاجتهاد في كل عصر فرض» بعبارة السبكي هذه: إن إمام الحرمين لا يتقيد بالأشعري، ولا بالشافعي، وإنَّما يتكلم

(١) الطبقات الكبرى للسبكي (١٩٢/٥).

(٢) الطبقات الكبرى للسبكي (١٩٢/٥).

QaradawiBooks.com

حسب ما يؤديه إليه نظره واجتهاده: أن هذا الإمام قد استقل بالاجتهاد، وتحرر من التقليد[١].

ونقل عن ابن المنير أنَّه قال في حق إمام الحرمين: له علو همة إلى مساواة المجتهدين.

ووصفه الحافظ القزويني بأنه: المجتهد ابن المجتهد[٢].

ومما يؤكد ذلك: ما ذكره الدكتور الديب في تحقيقه للبرهان من جملة فهارس لها دلالتها وأهميَّتها في آخر الكتاب، ومنها ثلاثة فهارس ننبه عليها هنا:

• فهرس المسائل الَّتي خالف فيها إمام الحرمين الشافعي، وقد أحصاها، فكانت أربعا وعشرين مسألة.

• فهرس المسائل الَّتي خالف فيها إمام الحرمين الأشعري، وقد حصرها في ثلاث مسائل.

• فهرس المسائل الَّتي خالف فيها إمام الحرمين القاضي أبا بكر الباقلاني، وهو الرجل الثاني بعد الأشعري، وقد أحصاها، فكانت إحدى وأربعين مسألة[٣].

وهو يتحدث عن الإمام الأشعري بكل احترام وتقدير، ولكن لا يمنعه هذا أن يقول في بعض المسائل: «ورأي الأشعري مختبط في

(١) الرد على مَن أخلد إلى الأرض للسيوطي صـ ١٩١، تحقيق خليل الميس، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) انظر: هذه المسائل في أواخر الجزء الثاني من البرهان صـ ١٤٤٣ ـ ١٤٤٩.

QaradawiBooks.com

هذه المسألة! وكيف لا وقد علق على قولة لوالده، الإمام المعروف، فقال: وهذه زلة من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ؟»[١]!

وأمَّا استقلاله في (التعبير)، فهو ظاهرة ملحوظة في كل ما يكتب، فمعجمه اللغوي رحب، ومفرداته كثيرة، وهو ينتقي منها ويتأنق فيها إلى حد الإغراب في بعض الأحيان، ولا يكاد يستخدم عبارات من قبله، وكثيرًا ما يلتزم السجع، كما هو نمط عصره، وأغلبه مستساغ، وقليل منه متكلف، وقد رأيناه يلتزم السجع في بعض كتبه مثل «غياث الأمم»، فهو مسجوع من أوله إلى آخره، إلَّا ما ندر، وأحيانًا أخرى يتحرر من السجع، ويمضي مسترسلًا، ككبار البلغاء. قال ابن خلكان: «ورزق من التوسع في العبارة ما لم يعهد من غيره»[٢].

عقل كبير وقلب كبير:

وكما تميز الإمام الجويني بعقله الكبير، تميز بقلبه الكبير، فقد اتفق مؤرخوه أنَّ الرجل كان من (أصحاب القلوب)، الَّذين لهم مع الله تعالى حال ومقام، وكان إذا ذكر النَّاس في مجلسه بكى وأبكى الحاضرين.

وهذا مع أنَّ الَّذين يشتغلون بالقضايا العقليَّة، والمجادلات الكلامية، يصابون بجفاف الروح، وقسوة القلوب، إلَّا من رحم ربك من القلائل الَّذين احتفظوا بقلوبهم حية لم تمت، سليمة لم تسقم، صافية لم تشب، ومنهم إمام الحرمين. وقد قال هو رَحِمَهُ اللَّهُ بحق: من ضري بالكلام صدي جنانه[٣]!

---

(١) انظر: شذرات الذهب لابن العماد (٣٤٠/٥)، تحقيق محمود الأرناؤوط، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان (١٦٨/٣).

(٣) انظر: مقدمة كتابه الغياثي صـ ٥.

QaradawiBooks.com

قال عبد الغافر الفارسي: «كان من رقة القلب بحيث يبكي إذا سمع بيتًا، أو تفكر في نفسه ساعة. وإذا شرع في حكاية الأحوال، وخاض في علوم الصوفيَّة في فصول مجالسه بالغدوات: أبكى الحاضرين ببكائه، وقطر الدماء من الجفون بزعقاته ونعراته وإشاراته، لاحتراقه في نفسه، وتحققه بما يجري من دقائق الأسرار»[1] اهـ.

وقد تجلى ذلك في خلقه وسلوكه مع من حوله، ومن ذلك خلق التواضع، فقد ذكروا أنَّه كان من التواضع لكل أحد بمحل يتخيل منه الاستهزاء، لمبالغته فيه.

ومن حميد سيرته: أنَّه ما كان يستصغر أحدًا حتَّى يسمع كلامه، شاديًا كان أو متناهيًا... صغيرًا كان أو كبيرًا، ولا يستنكف أن يعزي الفائدة المستفادة إلى قائلها، ويقول: إن هذه الفائدة ممَّا استفدته من فلان. وإن كان من تلاميذه.

وإذا لم يرض كلام أحد زيفه، ولو كان أباه أو أحد الأئمَّة المشهورين[2].

فهذا كلُّه ينطق بأن هذا الإمام قد رزق من نقاء القلب ما رزق من ذكاء العقل، والله يختص بفضله من يشاء.

الإخلاص والشجاعة:

ومن الفضائل الَّتي تميز بها إمام الحرمين، وتبدو واضحة لكل من درس حياته وتراثه بلا تعصب له ولا عليه: الإخلاص في طلب الحقيقة.

---

(١) المختصر من كتاب السياق لتاريخ نيسابور (٤٤٤/١)، تحقيق محمد كاظم المحمودي، نشر ميراث مكتوب، طهران، ط١، ١٣٨٦هـ.

(٢) طبقات الشافعية (١٨٠/٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عن طريق العقل الناقد، والشرع الضابط، فإذا كشفت له الحقيقة قناعها، ومدت له شعاعها، بادر إلى الإيمان بها واعتناقها، والإعلان عنها، بشجاعة لا نظير لها، وإن كانت مخالفة لما عليه الجمهور، أو ما عليه المذهب، وما مضى عليه دهرا من حياته، وقضى سنين عددا وهو يدرسه ويصنف فيه، ويذود عنه، ويحث على اتباعه.

وهذا واضح في مذهبه (العقدي) أكثر منه في مذهبه الفقهي. فمن المعروف والمشهور: أن إمام الحرمين كان من كبار متكلمي الأشاعرة، المؤولين لآيات الصفات وأحاديثها، المدافعين عن التأويل. وقد برز في «علم الكلام»، واشتهر به، وصنف فيه التصانيف الَّتي سارت بذكرها الركبان، مثل «الشامل» و«الإرشاد» و«اللمع» و«النظامية» وغيرها. وأخذ عنه هذا العلم كثيرون من تلاميذه النوابغ، وكان يتكلف في تأويله والدفاع عن مذهبه الأشعري إلى حد الاعتساف أحيانا، الَّذي لا يرضاه المنصفون. وهذا شأن البشر.

وقد ذكر مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي في «سير الأعلام» ما جرى بينه وبين أبي القاسم بن برهان من مناظرة في «أفعال العباد». ومن المعروف لدى المتمرسين بمسائل الكلام: أن مذهب الأشعري في أفعال العباد من أضعف المذاهب، حتَّى ضرب به المثل في الخفاء، فقيل: أخفى من كسب الأشعري. ومع هذا كان الجويني في أوَّل أمره يجادل عنه، ويرد على خصومه، ويتأول صريح القرآن. وهو ما نقله الذهبي عن العلَّامة الحنبلي ابن عقيل في «فنونه» قال: قال عميد الملك: قدم أبو المعالي، فكلم أبا القاسم ابن برهان في العباد: هل لهم أفعال؟

فقال أبو المعالي: إن وجدت آية تقتضي ذا، فالحجة لك.

QaradawiBooks.com

فتلا: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣]. ومد بها صوته، وكرر: ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢]. أي كانوا مستطيعين. فأخذ أبو المعالي يستروح إلى التأويل.

فقال (أي ابن برهان): والله إنَّك بارد، تتأول صريح كلام الله، لتصحح بتأويلك كلام الأشعري! وأكله ابن برهان (أي أعياه) بالحجة، فبهت[1].

هكذا كان أبو المعالي إمام الحرمين، دهرًا من حياته، ولا غرو أن اعتبره بعض الباحثين المؤسس الثاني للمذهب الأشعري. وكتب أستاذنا الشيخ علي جبر في كلية أصول الدين رسالة الأستاذيَّة له عن «إمام الحرمين باني الأشعريَّة الحديثة»، وإن لم نرها مطبوعة. ولكن الله شرح صدره للحق، فوجدناه في أواخر حياته قد غير نهجه، ورجع عن طريق التأويل ـ طريق الخلف ـ إلى طريق السلف في ترك الخوض، والانكفاف عن التأويل، كما أثبت أن للإنسان قدرة مؤثرة في أفعاله بأقدار الله تعالى وتمكينه، وليست مستقلة عن القدرة الإلٰهيَّة. ولم يستنكف عن إعلان ذلك بكل صراحة وجلاء. وهو ما ذكره في «الرسالة النظامية في الأركان الإسلاميَّة»[2].

(١) سير أعلام النبلاء (٤٦٩/١٨).

(٢) طبعت في القاهرة بتحقيق المحدث الفقيه الحنفي المعروف الشيخ محمد زاهد الكوثري. وقد طبعت تحت عنوان: العقيدة النظامية. ويبدو أنَّ الذي طبع منها فقط هو جانب العقيدة، وهو ما وجد منها، إذ لم يعثر على باقيها إلى الآن.

QaradawiBooks.com

قال إمام الحرمين: «اختلفت مسالك العلماء في الظواهر الَّتي وردت في الكتاب والسُّنَّة، وامتنع على أهل الحق فحواها وإجراؤها على موجب ما يبرزه أفهام أرباب اللسان فيها. فرأى بعضهم تأويلها، والتزام ذلك في القرآن، وما يصح من السنن، وذهب أئمَّة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب تعالى.

والذي نرتضيه رأيا، وندين الله به عقدا: اتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع، وترك الابتداع. والدليل السمعي القاطع في ذلك: أن إجماع الأمة حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة، وقد درج صحب الرسول ﷺ على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام المستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم النَّاس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغا أو محتوما؛ لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، فإذا تصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل؛ كان ذلك قاطعا بأنَّه الوجه المتبع، فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكل معناها إلى الرب.

وعند إمام القراء وسيدهم، الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] من العزائم، ثمَّ الابتداء بقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]. ومما استحسن من إمام دار الهجرة مالك بن أنس أنَّه سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والسؤال عنه بدعة.

QaradawiBooks.com

فليجر آية الاستواء، والمجيء[١]، وقوله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صَ: ٧٥]، وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤]، وما صح من أخبار الرسول، كخبر النزول وغيره، على ما ذكرناه، فهذا بيان ما يجب لله»[٢].

ونقل الحافظ الذهبي عن الفقيه غانم الموشيلي قال: سمعت الإمام أبا المعالي يقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما اشتغلت بالكلام[٣].

وقال الذهبي: قال الحافظ مُحمَّد بن طاهر: سمعت أبا الحسن القيرواني الأديب، وكان يختلف إلى درس الأستاذ أبي المعالي في الكلام، فقال: سمعت أبا المعالي اليوم يقول: يا أصحابنا: لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أنَّ الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به[٤].

وقد علق السبكي على هذا القول فقال: يشبه أن تكون هذه الحكاية مكذوبة على إمام الحرمين، وابن طاهر عنده تحامل على إمام الحرمين، والقيرواني المشار إليه: رجل مجهول.

ولكن يعكر على هذا ما نقله الموشيلي عنه، ولم يتعقبه السبكي، ثمَّ الأقوال الأخرى لإمام الحرمين في رجوعه إلى طريق السلف: تؤكد صحَّة هذه الرواية. كما أنَّ روايات الحفاظ لا تسقط بمثل التهم الَّتي

(١) آية المجيء قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

(٢) العقيدة النظامية صـ ٣٢ ـ ٣٤، تحقيق محمد زاهد الكوثري، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م. وقد نقل هذا النص الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤٧٣/١٨، ٤٧٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٧٣/١٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤٧٤/١٨)، وطبقات السبكي (١٨٦/٥).

QaradawiBooks.com

ذكرها السبكي، وأي تحامل على إمام الحرمين في هذه الرواية؟ بل فيها ما يرفع من قدره.

وحكى الفقيه أبو عبد الله الحسن بن العباس الرُّسْتُمي قال: حكى لنا أبو الفتح الطبري الفقيه قال: دخلت على أبي المعالي في مرضه، فقال: اشـــهدوا عليَّ أنِّي قد رجعت عن كل مقالة تخالف الســـنة، وأنِّي أموت على ما يموت عليه عجائز نيســـابور[١]. وهذه الرواية قد أقرها السبكي، ولم يعترض عليها.

قال الذهبي: «وقرأت بخط أبي جعفر (محمد بن أبي علي): سمعت أبا المعالي يقول: قرأت خمسين ألفًا في خمســـين ألفًا، ثمَّ خليت أهل الإســـلام بإســـلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبـــت البحر الخضم، وغصت فـــي الَّذي نهى أهل الإســـلام عنه، كل ذلك فـــي طلب الحق، وكنت أهرب في ســـالف الدهر من التقليد، والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائـــز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الإخلاص: لا إلٰه إلَّا الله، فالويل لابن الجويني»[٢]! يعني: نفسه.

يقصد بالذي نهى عنه أهل الإسلام: علم الكلام، فقد نهى عنه إمامه الشافعي، ونهى عنه مالك وأحمد، وغيرهما من الأئمَّة.

ويبدو أنَّه تأول نهي أهل الإسلام أنَّهم نهوا من يخاف عليه السباحة في هذا البحر الخضم، ويخشـــى عليه من الغرق، وهو يرى نفسه أقوى من ذلك.

(١) سير أعلام النبلاء (٤٧٤/١٨)، وطبقات السبكي (١٩١/٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤٧١/١٨)، وطبقات السبكي (١٨٥/٥).

QaradawiBooks.com

كما قصد بتخلية أهل الإسلام وعلومهم الظاهرة: أنَّه دخل في العلوم العقليَّة والفلسفية وتغلغل فيها، ولم يشتغل بالعلوم النقليَّة من الحديث والآثار ونحوها، كما اشتغل بها غيره.

وهذا القول من هذا الإمام الكبير الَّذي أنفق عمره في هذا اللون من الثقافة العقليَّة الَّتي امتزجت بفلسفة اليونان وجدلياتهم، الَّتي لا تنقع غليلًا، ولا تهدي سبيلًا. هذا القول يؤكد أن لا طريق أهدى ولا أجدى من طريقة القرآن في تأسيس العقيدة، وهي الأقرب إلى الفطرة، والألصق بالعقل والوجدان، وهو ما كان عليه الصحابة وتابعوهم بإحسان.

وإنَّما يستفاد من «علم الكلام» في الدفاع عن العقيدة في مواجهة المخالفين من أصحاب الأديان، والفلسفات الأخرى، والفرق المبتدعة.

وهو ما وضحه من بعد، تلميذه حجة الإسلام الغزالي، حين بين أن علم الكلام: علم محدث أريد به حراسة عقائد العوام من تشويش المبتدعة. وقال في «الإحياء»: «اعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلَّة الَّتي ينتفع بها، فالقرآن والأخبار (أي الأحاديث) مشتملة عليه، وما خرج عنهما، فهو إما مجادلة مذمومة وهي من البدع، وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها، وتطويل بنقل المقالات الَّتي أكثرها ترهات وهذيانات، تزدريها الطباع، وتمجها الأسماع، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين، ولم يكن شيء منه مألوفًا في العصر الأوَّل، وكان الخوض فيه بالكُلِّيَّة من البدع، ولكن تغير الآن حكمه، إذ حدثت البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن والسُّنَّة، ونبتت جماعة لفقوا لها شبها، ورتَّبوا فيها كلامًا مؤلفًا، فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونًا فيه،

QaradawiBooks.com

بل صار من فـــروض الكفايات. وهو القدر الَّذي يقابـــل به المبتدع، إذا قصد الدعوة إلى البدعة، وذلك إلى حد محدود»[١].

فلا غرو أن يروى عـــن إمام الحرمين ما روي مـــن البراءة من «علم الكلام»، والعودة إلى طريقة القرآن.

وقد اجتهد العلَّامة تاج الدين الســـبكي في طبقاته الكبرى: أن ينحو بهذا الكلام الجلي الواضح من إمام الحرمين، منحى آخر غير ما يتبادر منه، دفاعًـــا منه عن «علم الكلام» الموروث، ووجـــه كلمات هذا الإمام العظيم الشجاع المخلص، إلى معان متكلفة لا ينشرح لها الصدر.

وتحامل السبكي على شيخه الإمام الذهبي، تحاملًا لا يقبل من مثله في مثله؛ فالواقع أنِّي ما رأيت مؤرخًا منصفًا مثل الذهبي، حتَّى مع أعلام المعتزلة وأمثالهم.

على أن إمـــام الحرمين ليس هو وحده الَّذي انتهـــى إلى رفض التأويل، وترجيح مذهب السلف، وتفويض حقائق هذه الألفاظ ومعانيها إلى الله تعالى.

فقد رجع من قبله شيخه أبو الحسن الأشعري في كتابه «الإبانة» وفي «رســـالة إلى أهل الثغر» وغيرهما، ورجع من بعده تلميذه حجة الإسلام أبو حامد الغزالي وذلك في كتابه: «إلجام العوام عن علم الكلام».

ولكن موقف شيخه إمام الحرمين كان أصرح وأوضح، فإن الغزالي عد علم الكلام شـــأن الخواص، وجمهرة العلماء من الفقهاء والمفسرين والمحدثين والمتكلمين وغيرهم، يعتبرون من العوام في هذا الأمر عند الغزالي، أمَّا الخواص، فقد يوجد في كل عصر منهم واحد أو اثنان.

(١) إحياء علوم الدين (٢٢/١، ٢٣).

QaradawiBooks.com

ورجع بعد ذلك الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، الَّذي كان من أكبر المحامين المدافعين عن التأويل، وصنف فيه أكثر من كتاب، مثل «تأسيس التقديس» وغيره، ثمَّ قال في الطور الأخير من حياته العلميَّة: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن: أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١] ومن جرب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي»[(١)]!

وجاء في «طبقات الشافعيَّة» لابن قاضي شهبة: ما نصه: قال ابن الصلاح: أخبرني القطب الطوغاني مرتين: أنَّه سمع فخر الدين الرازي يقول: يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام! وبكى[(٢)].

قال الإمام الشوكاني في «إرشاد الفحول»: «وهؤلاء الثلاثة، أعني: الجويني والغزالي والرازي، هم الَّذين وسعوا دائرة التأويل، وطولوا ذيوله، وقد رجعوا آخرا إلى مذهب السلف، كما عرفت، فلله الحمد، كما هو أهله»[(٣)].

على أن إمام الحرمين لم يكتف بالرجوع إلى مذهب السلف نظريًّا، بل حث الأئمَّة والمسؤولين عن قيادة الأمة ـ والمحافظة على الدين أوَّل واجباتهم ـ أن يجعلوا مذهب السلف ونهجهم في تعلم التوحيد هو ما ينبغي أن يعلم للكافة.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥٠١/٢١).

(٢) طبقات الشافعية لابن قاضي شبة (٦٥/٢)، نشر عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

(٣) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني (٤٩/٢)، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، نشر دار الكتبي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

أكد في «الغياثي»: أنَّ الَّذي يحرص الإمـــام عليه: جمع عامَّة الخلق على مذهب الســـلف الســـابقين، قبل أن نبغت الأهواء، وزاغت الآراء، وكانوا ﷺ ينهون عن التعـــرض للغوامض، والتعمق في المشـــكلات، والإمعان في ملابســـة المعضلات، والاعتناء بجمع الشـــبهات، وتكلف الأجوبة عما لم يقع من السؤالات، ويرون صرف العناية إلى الاستحثاث على البر والتقوى، وكف الأذى، والقيام بالطاعة حســـب الاســـتطاعة، وما كانوا ينكفون ﷺ عما تعرض له المتأخرون عن عي وحصر، وتبلد في القرائح. هيهات!

قد كانوا أذكى الخلائق أذهانًا، وأرجحهم بيانًا، ولكنَّهم استيقنوا أن اقتحام الشبهات، داعية الغوايات، وســـبب الضلالات، فكانوا يحاذرون في حق عامَّة المسلمين ما هم الآن به مبتلون، إليه مدفوعون، فان أمكن حمل العوام على ذلك فهو الأسلم»[1]. ونعم ما أوصى به هذا الإمام.

فَكُلُّ خَيْـــرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَـــلَفْ وَكُلُّ شَـــرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفْ[2]

إمام الحرمين وعلم الحديث:

عرف إمام الحرمين بالتقدم والإمامة في عدد من العلوم الإسلاميَّة: مثل أصول الدين، وأصول الفقه، والفقـــه، والخلاف، ولكن لم يكن له قدم راسخة في الحديث وعلومه. وسبحان من وزع المواهب.

وقد عبر عن هذا الجانب مؤرخو الإمـــام والمعقبون عليه، بعبارات مختلفة، مغزاها كلها: أنَّه لم يكن من أهل هذا الشأن.

(١) انظر: الغياثي للجويني صـ ١٩٠، ١٩١، فقرة (٢٨٠).

(٢) البيت من جوهرة التوحيد للقاني، انظر: شرح الصاوي على جوهرة التوحيد صـ ٤٣٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال ذلك السمعاني في «أنسابه»: كان قليل الرواية للحديث معرضًا عنه[١].

وقال ياقوت في «معجم البلدان» نفس ما قاله السمعاني[٢].

وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص» في تعليقه على ما قاله إمام الحرمين حول ثبوت الطمأنينة في الاعتدال: وهو من المواضع العجيبة الَّتي تقضي على هذا الإمام بأنَّه كان قليل المراجعة لكتب الحديث المشهورة، فضلًا عن غيرها، فإن ذكر الطمأنينة في الجلوس ثابت في الصحيحين[٣].

وقال نحوه من قبله ابن الصلاح في «الفتاوى الحديثيَّة» وهو ـ كابن حجر ـ من الشافعيَّة المرموقين.

ولعلَّ أشد العبارات في ذلك هي عبارة الإمام الذهبي في «أعلام النبلاء»، حيث قال: «كان هذا الإمام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب، وقوة مناظرته: لا يدري الحديث كما يليق به، لا متنًا ولا إسنادًا.

ذكر في كتاب (البرهان) حديث معاذ في القياس، فقال: هذا مدون في الصحاح، متفق على صحته[٤].

قلت (والقائل الذهبي): بل مداره على الحارث بن عمرو، وفيه جهالة، عن رجال من أهل حمص عن معاذ، فإسناده صالح»[٥] اهـ.

---

(١) الأنساب (٤٣١/٣)، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م.

(٢) معجم البلدان (١٩٣/٢)، نشر دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

(٣) التلخيص الحبير (٤٦٢/١)، تحقيق حسن بن قطب، نشر مؤسسة قرطبة، مصر، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٤) البرهان في أصول الفقه (٧٧٢/٢)، فقرة (٧٢٠).

(٥) سير أعلام النبلاء (٤٧١/١٨، ٤٧٢).

QaradawiBooks.com

وقد أغضبت هذه العبارة أخانا الدكتور عبد العظيم الديب، محقق كتب الإمـــام، كما أغضبت من قبلـــه العلَّامة تاج الدين الســـبكي في طبقاته الكبرى.

والعبارة فيها شدَّة ولا ريب، ولكن لا إلى الحد الَّذي أغضب الشيخ السبكي والدكتور الديب، فقد قيد الذهبي قوله بأنه: (لا يدري الحديث كما يليق به). ســـواء كان هذا الضميـــر للحديث أم للإمام نفســـه، أي لا يدريه على الوجه اللائق بهذا العلم أو بهذا الإمام. وهذا حق لا أحسب أن إمام الحرمين نفسه ينكره.

وقوله عن حديث معاذ ما قال، لا يتفق مع ما قرَّره أهل الحديث إلَّا بتأويل وتكلف. وقد رأيناه في كثير من الأحيان يستدل بأحاديث ضعيفة، بل شديدة الضعف، حتَّى في الأصول[1]، وأحاديث لا يعرفها المحدثون أنفســـهم، وقد يعزو الحديث إلى غير من أخرجه، أو إلى غير صحابيه، إلى آخره.

وفي رأيي: أنَّ الرجل غني عن هـــذا كله، فهو ـ بلا نـــزاع ـ ليس من المدرســـة الحديثيَّة النقليَّة، بل هو من المدرســـة الَّتي تجمع بين العقل والنقل، وكلامه نفسه رضي الله عنه يدل على هذا بوضوح وصراحة.

(١) كاســـتدلاله بحديث: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم». البرهان (١٣٥٨/٢)، فقرة (١٥٤٨)، وقد ضعَّفه ابن حزم، وابن عبد البر، وغيرهما، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٨): موضوع. واستدلاله بحديث: «اختلاف أمتي رحمة». الغياثي صـ ١٨٩، فقرة (٢٧٧)، والحديث لم يعرف له ســـند. وقد افترض إمـــام الحرمين في الغياثي اندراس الشـــريعة، وانقـــراض حملتها تمامًا، وبنى على ذلـــك أحكامًا، وهو مخالف لأحاديـــث «بقاء الطائفة المنصورة» التي صحَّت واشتهرت واستفاضت عن عدد من الصحابة، وربما تواترت.

QaradawiBooks.com

وقد رد هو والباقلاني من قبله والغزالي من بعده: حديث: «**لأزيدنَّ على السبعين**»[١]. في الاستغفار لابن أبي، لاعتقادهم أنَّه ينافي الفهم الصحيح لآية: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠][٢].

لنقرأ له هذه العبارة في «البرهان» يقول وهو يناقش تحمل الرواية وجهة تلقيها: «ولو عرض ما ذكرناه على جملة المحدثين لأبوه... وهم عصبة لا مبالاة بهم في حقائق الأصول، وإذا نظر الناظر في تفاصيل هذه المسائل صادفها خارجة في الرد والقبول على ظهور الثقة وانخرامها، وهذا هو المعتمد الأصولي، فإذا صادفناه لزمناه، وتركنا وراءه المحدثين يتقطعون في وضع ألقاب، وترتيب أبواب»[٣].

فهذه نظرته إلى المحدثين عصبة لا مبالاة بهم في حقائق الأصول، وهو لا يعبأ أن يتركهم وراءه يتقطعون في وضع ألقاب، وترتيب أبواب!

على أن هذا ـ عدم دراية الحديث كما يليق به ـ ليس خاصًّا بإمام الحرمين، بل هو عام في فحول المدرسة الأشعرية كلها.

فهكذا كان الأشعري والباقلاني من قبل، وكذلك كان الغزالي والرازي والآمدي وغيرهم من بعد.

وربما أغناه عن العناية بالحديث رجال نذروا أنفسهم لخدمته، وهيَّأهم الله لذلك، وخصوصًا من الشافعيَّة، وكُلٌّ مُيسَّر لما خُلِق له.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٧٠)، مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٠)، عن ابن عمر.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣٣٧/٨، ٣٣٨).

(٣) البرهان (٦٤٨/١، ٦٤٩) فقرة (٥٩٢)، وفقرة (٥٩٣).

QaradawiBooks.com

وقد كان في عصر إمام الحرمين من هـؤلاء أمثال الحافظ المتقن الكبير أبي بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، صاحب «السنن الكبرى» و«معرفة السـنن والآثار» و«جامع شـعب الإيمان» وغيرها من الموسـوعات، والَّذي قال فيه إمام الحرمين نفسـه: «ما من شافعي إلَّا وللشافعي في عنقه منة، إلَّا البيهقي؛ فإنَّه له على الشـافعي منة، لتصانيفه في نصرته لمذهبه وأقاويله»[1].

إمام الحرمين ومعاصروه:

عاصر إمام الحرمين علماء كبار كثيرون من مختلف المذاهب، فقد كان القرن الخامس الهجري، حافلا بالنوابغ فـي مختلف أنواع العلوم والدراسات الإسلاميَّة، في المشرق والمغرب (الأندلس).

ففي المغرب كان ابن حزم الظاهري (٤٥٦هـ)، وابن عبد البر المالكي (٤٦٣هـ).

وفي المشـرق ظهر القاضي أبو الطيب الطبري في الفقه (٤٤٨هـ)، كما ظهر البيهقي في الحديـث (٤٥٨هـ)، والخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، وكلهم شافعية.

(١) طبقات الشافعية للسـبكي (١٠/٤، ١١). وقد وقع للبيهقي مع والد إمام الحرمين الشيخ أبو محمد حادثة معروفة، حين شـرع فـي تأليف كتاب المحيـط، الذي عزم فيـه ألا يتقيد بالمذهب، وإنَّما يعتمد على الأحاديث. وأصدر منه ثلاثة أجزاء اطلع عليها البيهقي. وكتب له رسالة يبين له فيها أوهامه وأغلاطه فيما استند إليه من حديث، فشكر له الشيخ وأعرض عن تكميل الكتاب وقد ذكر ذلك الأستاذ السيد أحمد صقر في مقدمته لكتاب البيهقي في: مناقب الشافعي. وكذلك د. أحمد بن عطية الغامدي في مقدمته لكتاب: البيهقي وموقفه من الإلٰهيات.

QaradawiBooks.com

ونبغ في الفقه والنظر: أبو إسحاق الشيرازي (٤٥٢هـ).

وأبرز من يقارن بإمام الحرمين في الفقه هو: أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي (ت٤٥٠هـ)، وهو شافعي كإمام الحرمين، وكلاهما له كتاب كبير في الفقه: ألف الماوردي كتاب «الحاوي» في فقه الشافعيَّة، كما ألف إمام الحرمين «النهاية»، وكلاهما له كتاب في السياسة الشرعيَّة: الماوردي له كتاب «الأحكام السلطانية» الشهير، وإمام الحرمين له كتاب «غياث الأمم» أو «الغياثي».

ولكن لكل من الرجلين شخصيته المتميزة فيما يكتب ويصنف، فإمام الحرمين أبعد وأعمق، والماوردي أقرب وأسهل؛ إمام الحرمين يعمل العقل أكثر من النقل، والماوردي يعمل النقل أكثر من العقل، وقد يعبر عن هذا فيقال: الأوَّل عقله أكبر من علمه، والثاني علمه أكبر من عقله. وكأن إمام الحرمين يصنف للمنتهين، والماوردي يصنف للمبتدئين والمتوسطين. الأوَّل مولع بالأصيل والجديد، والثاني مهتم بتقرير التليد. الأوَّل همه ماذا يقول؟ والثاني همه ـ مع هذا ـ ماذا قال السابقون؟ الأوَّل محسوب على أهل الإبداع، والثاني محسوب على أهل الاتباع. ولكل منهما فضله وأثره، وسوقه، ومحبوه، وأجره إن شاء الله، وإن جار الإمام الجويني على عصريه الماوردي، وأساء إليه، كما سنرى، غفر الله له.

كلمة عتاب لإمام الحرمين:

هذا هو إمام الحرمين: إمام علا القمة بجدارة، وأوفى على الغاية في فكره وفقهه، وفي إنتاجه وعطائه، وفي مكارمه وفضله، وفي غيرته على دينه ودفاعه عنه، ومع هذا، فالكمال لله تعالى وحده، والعصمة لرسوله ﷺ.

QaradawiBooks.com

وكم كنت أتمنى لهذا الإمام الكبير ألا يبالغ في مدح نظام الملك، كما هو ظاهر في أكثر من موضع في كتابه «الغياثي»، وفي مقدمته خاصَّة، حين قال في قصيدة له يمدحه بها:

وَمَا أَنَا إِلَّا دَوْحَةٌ قَدْ غَرَسْتَهَا وَأَسْقَيْتَهَا، حتَّى تَمَادَى بِهَا المَدَى
فَلَمَّا اقْشَعَرَّ العُودُ مِنْهَا وصَوَّحَتْ أَتَتْكَ بِأَغْصَانٍ لَهَا تَطْلُبُ النَّدَى

وقد قال التاج السبكي: إنَّه وجد بخطه رضي الله عنه في خطبته للغياثي ـ وهو عنده بخطه ـ أنَّه قد ضرب على البيتين الأخيرين، قال السبكي: وسررتُ بذلك، فإنِّي سمعت شيخ الإسلام ـ يعني والده التقي السبكي ـ رحمه الله يحكي عن شيخنا أبي حيان: أنَّه كان يتعاظمهما، ويقول: كيف يرضى الإمام أن يخاطب «النِّظَام»[1] بهذا الخطاب؟! ثمَّ يذم الدُّنْيا الَّتي تحوج مثل الإمام إلى مثل ذلك[2]!

وما يدرينا لعلَّ نيته في ذلك خير ينشده للدين أو للمسلمين، وإنَّما لكل امرئ ما نوى، أو لعلها لحظة ضعف ممَّا يعتري البشر، استدركها الإمام على نفسه، وإنَّما استعظمت منه لأنَّه عظيم حقًّا.

كما كنت أود ألا يغلو في نقده للمذهب الحنفي، إلى حد العنف الجارح، الَّذي لا يليق من أهل العلم بعضهم لبعض، كما بدا ذلك في كتابه «مغيث الخلق في اختيار الأحق». وقد أنكر بعضهم نسبة الكتاب إليه، ولعلَّ أخي عبد العظيم منهم، وكم أتمنى أن يصحَّ ذلك، ولكن وجدت في أواخر «البرهان»[3] ما يؤيِّد بعض ما في الكتاب، كما أنَّ

(١) يعني الوزير نظام الملك.
(٢) الطبقات الكبري (٢٠٩/٥)
(٣) البرهان (١٣٦٤/٢، ١٣٦٥) فقرة (١٥٥٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المؤرخين من بعده نسبوا الكتاب إليه. وقد وعد الدكتور الديب أن ينشر بحثًا موثقًا بالقرائن والأدلَّة: أن هذا الكتاب ـ أو بعضه على الأقل ـ مدسوس على إمام الحرمين. وأنِّي لأرجو مخلصًا أن يوفق إلى ذلك.

وكذلك لم أكن أحب له أن يشتد في نقد إمام دار الهجرة مالك بن أنس، لأمور لم تثبت عنه، كالقول بقتل الثلث لإبقاء الثلثين[1]، ونحو ذلك، وإن كان في بعض الأحيان قيدها بقوله: إذا صح ذلك عنه. وهذا هو الواجب، واللائق بمثله.

وأيضًا لم أكن أود من رجل كبير مثله أن يتحدَّث عن معاصره قاضي القضاة أبي الحسن الماوردي (ت٤٥٠هـ) بمثل تلك اللهجة الساخرة المهينة[2]، الَّتي قرأناها في أكثر من موقع، ولا سيَّما في كتابه «الغياثي»، واستقبلناها بالغرابة والإنكار، وهو ما جعل سلفنا رضي الله عنهم يحذرون من أخذ أقوال المتعاصرين بعضهم في بعض!

ويبدو أنَّ هذا الإمام الفذَّ ـ مع عقله الكبير ـ كان حارَّ العاطفة، حادَّ المزاج، فلا يبعد أن تغلبه ـ مثل كثير من العظماء ـ حدة الطبع، فتدفعه إلى المبالغة في المدح إذا مدح، وإلى الإسراف في النقد إذا نقد. وهذا

(١) البرهان للجويني (١٢٠٦/٢، ١٢٠٧) فقرة (١٢٥٦)، وقد قلت في كتابنا: الدين والسياسة صـ ٣٤ ـ ٣٥، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م: «لم يذكر لنا إمام الحرمين هنا ولا في كتابه الأصولي الشهير البرهان: أين نقل هذا عن مالك، فلم يذكره في الموطأ ولم يرد في المدونة، ولا في غيرها من كتب مذهبه، ولم ينقل هذا أحد من العلماء المعروفين، الذين عنوا بنقل أقوال الأئمة وفقهاء السلف، مثل: عبد الرزاق، وابن أبي شيبة في مصنفيهما، والطحاوي والبيهقي في كتبهما. وقد أنكر هذا القول علماء المالكية بشدة».

(٢) انظر: البرهان (٣٠١/١، ٣٠٣) فقرة (٤٣٢)، وانظر ما قاله عنه في الغياثي صـ ١٤٠، ١٥٥، ١٥٧، ٣٠١، فقرات: (٢٠٩، ٢٣٢، ٢٣٣، ٤٣٢).

QaradawiBooks.com

يؤكد أنَّ الإنسان هو الإنسان، وإن بلغ في العلم والفضل ما بلغ. وقد قال الشاعر قديمًا:

مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطّْ؟! وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطْ[1]؟!

ومهما يكن الأمر، فحسنات الرجل أكثر، وفضائله أغزر، ومكارمه أكبر، والله أعلم بالسرائر، وفي الحديث الَّذي استدلَّ به الشافعيَّة: «**إذا بلغ الماء قُلَّتَيْن لم يحمل الخبث**»[2]. وفي رواية: «**لم يُنَجِّسه شيء**»[3]. فكيف إذا كان بحرًا زاخرًا؟ غفر الله لإمام الحرمين وجزاه خيرًا عمَّا قدَّم لدينه وأُمَّته.

٣ ـ المُحقِّق:

وأمَّا المُحقِّق، فهو الأخ الصديق الصدوق: الأستاذ الدكتور عبد العظيم محمود الديب، الَّذي أعرفه منذ كان طالبًا في القسم الابتدائي بمعهد طنطا الديني[4]، وتربطني به منذ ذلك الزمن صلة وثيقة، لم تزدها الأيام إلَّا قوَّة، وإن كان يصغرني ببضع سنوات.

---

(١) البيت من مقامات الحريري صـ ٢٣٠، نشر مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣م.

(٢) رواه أحمد (٤٦٠٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود (٦٣)، والترمذي (٦٧)، والنسائي (٥٢) وابن ماجه (٥١٧)، أربعتهم في الطهارة، عن ابن عمر.

(٣) رواه أحمد (٤٧٥٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح.

(٤) عرفني به صديقي وصديقه وبلديه أخي الحبيب محمد الدمرداش سليمان مراد، رفيقي في المسكن والدراسة والدعوة والمعتقل، والذي وافته المنية في ريعان شبابه في صيف ١٩٦٢م عليه رحمة الله ورضوانه، وقد كنا مجموعة من الشباب الأزهري المسلم، تلاقت على الدعوة الإسلامية أفكارهم، وتحابت قلوبهم، واتحدت غاياتهم، واتضحت مناهجهم، منهم: أحمد العسال، ومحمد السيد الوزير، ومحمد الصفطاوي، وآخرون من المتميزين، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

QaradawiBooks.com

ولا تمنعني أخوتي وصداقتي له أن أوفيه حقه من التقدير، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وكما أنَّ العدل يوجب أن تقول فيمن تحب: ما هو عليه، فهو يوجب أن تقول فيه: ما هو له: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥].

عرفت الدكتور الديب ـ منذ يفاعته ـ رجل صدق: صدق مع نفسه، وصدق مع ربه، وصدق مع إخوانه، وصدق مع النَّاس أجمعين، مستمسكًا بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

وعرفته قوي الإيمان، عميق اليقين، نير البصيرة، نقي السريرة، يقظ الضمير، حي القلب، جياش العاطفة، طاهر المسلك، بعيدًا عن الريبة.

وعرفت فيه الحماسة والغيرة لما يؤمن به، لا يضن بجهد ولا وقت ولا نفس ولا نفيس في سبيل ما يؤمن به، مدافعًا عنه، وإن خالفه الناس، وقد يغلو في الدفاع عن بعض الفصائل الإسلاميَّة، حتَّى يكاد يحسبه سامعه من المتشددين، وما هو منهم.

تجسدت فيه الأخلاق العريقة للقرية المصرية ـ قبل أن تغزى بآفات الحضارة الحديثة ـ من الحياء والإباء، والشهامة والوفاء، والبر والصلة، كما يتجلى ذلك في إهداءاته لكتبه، وشكره لشيوخه وزملائه، وكل من عاونه بجهد. أحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا أزكيه على الله تعالى.

وقد تجلت هذه الفضائل الَّتي عرف بها الديب يافعًا وشابًّا، في حياته العلميَّة المباركة، كهلًا وشيخًا، ومن شب على شيء شاب عليه.

وَإِذَا رَأَيتَ مِنَ الهِلَالِ نُمُوَّهُ أَيقَنتَ أَن سَيَصِيرُ بَدرًا كَامِلًا[1]!

(١) من شعر أبي تمام، كما في شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي (٢/٢٣٠).

QaradawiBooks.com

فالدكتور الديب رجل عالم بحاثة دؤوب، طويل النفس، دقيق الحس، نافذ البصيرة، متمكن من مادته، قادر على الموازنة والتحليل، له ملكة علميَّة أصيلة يقتدر بها على الفهم والفحص، والنقد، صبور على متاعب العلم، وللعلم متاعب ومشقات لا يدركها إلَّا من مارسها وعايشها، كما قال الشاعر:

لَا يَعرِفُ الشَّوقَ إِلَّا مَن يُكَابِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَن يُعَانِيهَا[1]!

وقديمًا قالوا: إنَّ العلم لا يعطيك بعضه حتَّى تعطيه كلك. وقد أعطى الرجل العلم كل نفسه، وكل جهده، وكل وقته، وأعطاه العلم ما يستحق.

وأنا أعرف أنَّ الدكتور الديب رجل له قلم رشيق بليغ، كما تجلى ذلك في بعض ما كتب من مقالات ورسائل وكتب.

ومع هذا لم يشغل التأليف وقته، كما شغله التحقيق؛ فقد اختار الطريق الوعر، والمهمة الأصعب، وهو لها بتوفيق الله: بما لديه من مؤهلات عقليَّة وعلميَّة ونفسيَّة؛ فقد حفظ القرآن من صغره في الكتاب، وتكون في معاهد الأزهر الابتدائيَّة والثانويَّة، ثمَّ في كلية «دار العلوم» بالجامعة، وكان فيها فحول في علوم العربيَّة والشريعة، وملك مفاتيح العلم، وعاش يقرأ ويدرس ويناقش، ويتعلم من كبار الشيوخ، وأساتذة التحقيق، وقد اكتملت له الخصال أو المزايا الست، الَّتي أوصى بها شيخه الإمام الجويني طلاب العلم، فيما أنشدوا له من شعر، حيث قال:

(١) هو الأبله البغدادي أبو عبد الله محمد بن بختيار، كما في وفيات الأعيان (٤/٤٦٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أَخِي، لَن تَنَالَ العِلمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ سَأُنبِيكَ عَن تَفصِيلِهَا بِبَيَانِ
ذَكَاءٌ، وَحِرصٌ، وَافتِقَارٌ، وغُربَةٌ وتَلقِينُ أُستَاذٍ، وَطُولُ زَمَانِ[1]

وقد عكف الأخ عبد العظيم منذ دخل مَيدان التحقيق على تراث إمام الحرمين، فهو مولع بالرجل منذ عرفه في دراسته عنه بالماجستير والدكتوراه بدار العلوم.

بل هو في الحقيقة «عاشق» لإمام الحرمين، كما تحس بذلك إذا تحدث عنه أو كتب عنه. والعاشق تهون عليه الصعاب، ويجد البعيد قريبًا، والحزن سهلًا، في سبيل معشوقه.

ولقد بلغ من إعجاب الدكتور الديب بشيخه ـ بل من عشقه له ـ أنَّه لا يطيق أحدًا ينكر عليه بعض هفواته، ولو كان من الشافعيَّة أنفسهم، مثل ابن الصلاح، وابن حجر العسقلاني، وأمثالهما. وجل ما ينكرانه إنَّما يتعلق بالحديث، والإمام لا يزعم أنَّه من رجاله، فلا غرو أن يقع منه ما لا يرضاه المحدثون من أقوال وتأويلات.

ويذكرني الدكتور الديب هنا بالعلَّامة تاج الدين السبكي، الَّذي تحامل بعنف على العلَّامة الكبير شمس الدين الذهبي؛ لما ذكره عن إمام الحرمين في «سير أعلامه»، والرجال الكبار ـ وخصوصًا المستقلين بالفكر منهم ـ لا يعيبهم أن تقع منهم هفوات، فكما قال الشاعر:

كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهْ[2]

(١) الوافي بالوفيات للصفدي (١١٨/١٩)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م. وقد نُسِبَ البيتان إلى الإمام الشافعي، وهو في الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس صـ ١٣٨، إعداد محمد إبراهيم سليم، نشر مكتبة ابن سينا، القاهرة.

(٢) من شعر يزيد المهلبي، انظر: التمثيل والمحاضرة صـ ٩٣، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، نشر الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

وقديما قالوا: لكل جواد كبوة، ولكل سيف نبوة.

أخرج الدكتور الديب قبل ذلك من كتب إمام الحرمين «البرهان» في أصول الفقه، وهو كما قال التاج السبكي «لغز الأمة».

وقد أمضى في تحقيقه سبع سنوات كاملة، صحب فيها الإمام وبرهانه، لم يدخر فيها وسعا، ولم يضن بوقت ولا جهد، متنقلا بين القاهرة ودمياط، حيث توجد النسخة الأصليَّة الَّتي اعتمد عليها أساسًا، يعالج فيها المخطوط ويمازجه، والمخطوط عبارة عن أكثر من أربعمائه ورقة، لا رباط بينها إلَّا أنَّها في مظروف واحد، عليه أن يعيد ترتيبها وترقيمها، بعد أن غير فيها من غير، وما أشقها من مهمة، وما أعسره من واجب!

وقد وفقه الله ﷻ لتحقيقه، وتولت نشره «إدارة إحياء التراث الإسلامي» في دولة قطر بعناية مديرها أخينا وصديقنا الكبير الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجزاه خيرًا، وكتب لها المحقق مقدمة، وتوطئة تتضمن: تعريفًا موجزًا بإمام الحرمين، وتعريفًا بالبرهان، وإضاءة بين يدي التحقيق.

واستقبل الكتاب من العلماء والمهتمين بأصول الفقه خاصَّة في العالم العربي والإسلامي استقبالًا حسنًا، وقدروا للمحقق هذا الصنيع، الَّذي قرب إليهم هذا الكتاب، الَّذي طال انتظاره.

وأخرج بعد ذلك له أثرين مهمين:

١ ـ «الغياثي» أو «غياث الأمم» في السياسة الشرعيَّة، وهو نسيج

QaradawiBooks.com

وحده، وقد قدمه بدراسة رائعة كشفت عن مكنونه، وعرفت بحقيقة مقصوده، وبينت ما سبق به الإمام، وما أخذ عنه، وإن لم ينسب إليه.

٢ ـ و«الدرة المضية في الخلاف بين الشافعيَّة والحنفيَّة»، وقدم لها بدراسة مهمة ونافعة كذلك.

أمَّا تحقيق «النهاية» أو «نهاية المطلب»، فقد كان حلمًا وأمنية له، منذ عرف إمام الحرمين، ثمَّ غدا أملًا ورجاء، ثمَّ تحول إلى حقيقة منذ بدأ يبحث عن نسخه منذ سنة (١٩٧٥م).

ومنذ وصل إلى قطر سنة (١٩٧٦م)، وهو مشغول بالكتاب.

ومنذ نحو عشرين عامًا، وهو عاكف على «النهاية» أو «نهاية المطلب» أعظم آثار الإمام الفقهيَّة، وأبرز ما يعرف بقدره في الفقه، ومنزلته في التأصيل والاستنباط. عايشه هذه السنين ورافقه: يقرؤه على مهل، ويجتهد أن يفهمه على الصواب ما أمكن، وأن يفسر غامضه، ويفك طلاسمه.

وأنا أدرى النَّاس بما عاناه الدكتور الديب في تحقيقه لهذا المخطوط، من حيث جمع أصوله المبعثرة في شتَّى مكتبات العالم، فقد ظل يقرأ فهارس المخطوطات ويتتبعها، ويزور المكتبات هنا وهناك بنفسه، ويسأل العارفين، ويستعين بالأصدقاء، وأنا منهم، ليبحثوا له عن نسخ من الكتاب، حتَّى جمع أقصى ما يمكن الحصول عليه من أجزاء الكتاب من مظانه في العالم، عن طريق التصوير طبعًا.

جهد د. الديب جهده، حتَّى جمع من الكتاب عشرين نسخة صورها

QaradawiBooks.com

من مكتبات العالم: في القاهرة والإسكندرية وسوهاج من مصر، ودمشق وحلب من سـوريا، والسـلطان أحمد وآيا صوفيا من تركية. ولكن لم توجد منه نسـخة كاملة. وبلـغ عدد مجلداتهـا (٤٤)، وعـدد أوراقها (١٠٣٣٦)، ونسخت بخط اليد في (١٤٥٩٠) صفحة.

هذا، بالإضافة إلى المختصرات والنصوص المسـاعدة، وهي تسع نسخ، بلغ عدد مجلداتها (١٥)، وعدد أوراقها (٣٧٥٠) تقريبًا.

ليس هينًا ما قام به الدكتور الديب من تحضير وتهيئه للعمل الكبير الَّذي نهض لـه، وهو له أهل، ليخرج «النهاية» إلـى النور، ويحيلها من مقبور إلى منشور.

وقد قال بعض العلماء: من نشـر مخطوطة، فكأنمـا أحيا موءودة! فكيف إذا كانت هي «النهاية»؟!

ثم بدأ يقرأ النص قـراءة العارف الخبير، ولكنَّـه يقرأ نصا غير عادي، لرجل غير عـادي، فبعض المصنفات تكـون ترديدًا لكلام السابقين، أو تكرارًا وتأكيدًا له، فيستطيع قارئها أن يبحث عنها فيما نقلت عنه.

أمَّا إمام الحرمين فهو ـ كما ذكرنا ـ مسـتقل في تفكيره، مستقل في تعبيره، فيحتاج من محققه إلى فهـم دقيق، وتأمل عميق، وصبر جميل، ومراجعة طويلة، حتَّى يفهم ما يريد المصنف.

على أن إمـام الحرمين كثيـرًا ما يغرب في تعبيـره، فيظل المحقق يبحث طويلًا في المعنى المراد، حتَّى يجده باليقين أو بالظن، وقد يظل

QaradawiBooks.com

أسابيع أو شهورًا، يفتش عن المعنى، ويبحث عن المظان، ويشاور من يثق به، إلى أن يشرح الله صدره لما يختار.

أضف إلى ذلك ما تعانيه المخطوطات أبدًا من كلمات مطموسة، أو مخرومة، كلها أو بعضها، أو لعلها سقطت من المصنف نفسه أثناء الكتابة، كما يحدث لكل مؤلف، زيادة عما يصنعه النساخون بالكتب من تصحيف وتحريف، ومسخ وتغيير، وخصوصًا الجهلة منهم!

زد على ذلك ما يستشهد به المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أحاديث، بعضها لا يكون معروفًا عند الفقهاء، وفي كتب الفقه المألوفة، بحيث نجده في التلخيص الحبير، أو سنن البيهقي، أو غيرهما من الكتب الَّتي هي مظان هذا اللون من الأحاديث.

ينتمي الأخ الدكتور الديب إلى مدرسة في التحقيق متميزة، شيوخها الكبار: آل شاكر، أحمد ومحمود، وعبد السلام هارون، والسيِّد أحمد صقر رحمهم الله، وأمثالهم.

ومن أبنائها: الدكتور عبد الفتَّاح الحلو، والدكتور محمود الطناحي رحمهما الله، والدكتور الديب، حفظه الله، وأمثالهم، وهي مدرسة تعنى بخدمة النص ذاته، وتقديمه للقارئ بينا واضحا مفهوما، كما أراده مصنفه، بقدر الاستطاعة، ولا تثقل كاهل المتن المحقق بكثرة التعليقات الَّتي لا لزوم لها، وتوسيعها بغير حاجة، كما يفعل كثيرون؛ حتَّى رأيت بعضهم يترجم في تعليقاته لأبي بكر وعمر والخلفاء الأربعة، ولأبي حنيفة ومالك والأئمَّة الأربعة، وللبخاري ومسلم والأئمَّة الستَّة. وتتسع التعليقات حتَّى يصبح الكتاب أضعاف حجمه، وفي ذلك إرهاق للقارئ ماديًّا ونفسيًّا وعقليًّا، لا طائل تحته. وقد

QaradawiBooks.com

أصبحت أقرأ هذه الترجمات للأعلام في كل كتاب محقق، ولو كان رسالة صغيرة، فهي أعلام تتكرر دائمًا.

كما يهتم بعضهم بذكر كل الفروق بين النسخ بعضها وبعض، وإن لم يكن لها ضرورة ولا فائدة للقارئ بحال. كما هو شأن بعض المستشرقين ومن يتبعهم، وربَّما كان المستشرقون معذورين، لأنَّهم كانوا يخافون أن يكون أي فرق بين النسختين أو النسخ مؤثرا في المعنى، وهو لا يشعر، لعجمته، فما عذر العربي المتمرس بالعربيَّة؟!

ومن أصدق وأبلغ ما قرأت هنا ما قاله أخي عبد العظيم: «والتعليق على المخطوطات فن قائم بذاته، يحتاج إلى دربة، ومهارة، وحذق، وإحساس صادق بما يحتاج التعليق وبما لا يحتاج، وبما يحتاج الشرح وبما لا يحتاج، وكيف يكون الشرح، وكيف يكون التعليق، كما يحتاج إلى مهارة بارعة، وقدرة فائقة على الإيجاز، فالإطناب يحسنه كل أحد، أمَّا الإيجاز، فهو المحك والفيصل.. فمن الصفحات الكثيرة الَّتي يقرؤها المحقق عن علم من الأعلام، أو عن رجل من رجال السند، أو عن حديث من الأحاديث، أو حادثة من الحوادث، يحتاج إلى بضعة أسطر، بل بضعة جمل من هذه الصفحات، وهنا تكون المهارة، ويكون الحس الصادق، ومن قبل ومن بعد يكون توفيق الله سبحانه، فيما يختار وفيما يدع»[1].

ولقد زرت الدكتور الديب في «مخبئه العلمي» أو في «ورشة العمل» الَّتي يزاول فيها مهنته، ويمارس تحقيقه، وهي حجرة كبيرة فيها عدة مكاتب، مجهزة بما سماه الدكتور «حافظ عصرنا» الكمبيوتر،

(١) مقدمة الدرة المضية صـ ١١٥، نشر إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

وبالجهاز القارئ للمخطوطات، وبالمراجع المختلفة: من فقهيَّة وحديثيَّة ولغوية، وغيرها.

ورأيته يستعين بكتب الشافعيَّة، وخصوصًا «البسيط» للغزالي تلميذ إمام الحرمين، وهو مخطوط مصور عنده، وهو أوسع كتب الغزالي الفقهيَّة، ويعتبره الكثيرون مختصرًا أو كالمختصر «للنهاية»، ويستعين بـ «المجموع» و«الروضة» للنووي، وبـ «مختصر النهاية» لابن عبد السلام، ولابن أبي عصرون وغيرهما، حتَّى يطمئن إلى حسن فهمه للنص.

قدم الدكتور الديب من قبل دراسة عن إمام الحرمين: حياته وآثاره، حصل بها على درجة «الماجستير» من كلية دار العلوم، وأخرى عن «فقه إمام الحرمين» حصل بها على درجة «الدكتوراه» مع مرتبة الشرف، والتوصية بطباعة الرسالة وتبادلها مع الجامعات.

وهذا كله ساعده على فهم إمام الحرمين، وكتابه المتميز «نهاية المطلب».

كما قدم أكثر من دراسة، عن كل كتاب حققه من كتبه: من «البرهان» و«الغياثي» و«الدرة المضية»، إذ كتب لها مقدمات علميَّة مستفيضة، تلقي أضواء كاشفة عليها لمن يقرؤها.

فكتب للبرهان مقدمة من (٦٨) صفحة، وكتب للغياثي مقدمة من (١٥٥) صفحة، وكتب للدرة المضية مقدمة من (١٣٢) صفحة، هذا عدا الفهارس المفصلة في نهاية كل كتاب.

QaradawiBooks.com

وبين الأخ الديب وإمام الحرمين نسب جامع، وصفات مشتركة، جعلته ينجذب إليه، كما قال الشاعر:

شَبِيهُ الشَّيءِ مُنجَذِبٌ إِلَيهِ[١]

وصحَّ في الحديث: «**الأرواح جنودٌ مُجَنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[٢].

وما أجمل أن يرتبط المرء بمثل هؤلاء الأئمَّة أصحاب العقول الكبيرة، والقلوب المشرقة، ليعايشهم ويتأسى بهم. ونرجو أن يكون لأخينا الدكتور الديب نصيب أوفى من كل خير في شيخه وأستاذه وحبيبه إمام الحرمين.

لقد قدم الدكتور عبد العظيم الديب للمكتبة الإسلاميَّة خدمة جليلة، بتحقيق هذا الكتاب الفذ، ولا يسعنا، بل لا يسع أي مسلم يهتم بدينه وثقافته وحضارته إلَّا أن يشكر للدكتور الديب ما قام به من جهد وعناء طوال تلك السنين.

ومهما نشكره ونقدر فضله، فلا نملك أن نوفيه حقَّه، إنَّما الَّذي يوفيه جزاءه، ويشكر سعيه حقا، هو الله تبارك وتعالى، الَّذي لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

جزى الله أخانا الأستاذ الدكتور عبد العظيم الديب عن عمله ودأبه، ومعاناته في سبيل العلم، خير ما يجزي العلماء العاملين، والدعاة

(١) نسبه الزبيدي في التاج مادة (ق. ح. ف) إلى بعض المولدين، وقد ضمَّنه كثير من الشعراء في أشعارهم.

(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣٦)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

الصادقين، من ورثة النبيين، ونفع الأمة بما يقدمه من إحياء لتراثها، وخدمة لدينها، وجعل ذلك في ميزانه يوم القيامة حسنات ودرجات عنده تبارك وتعالى ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢].

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة ٢٠٠٧م

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة «الغياثي» للجويني

حقَّقه ووضع فهارسه الدكتور عبد العظيم الديب[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(وبعد)

قلت في كلمتي الَّتي ودعت بها أخي، وشقيق روحي، وصديق عمري في الشباب والكهولة والشيخوخة، العلَّامة المحقق، والداعية المربي، الدكتور عبد العظيم الديب، في شهر محرم الحرام من هذه السنة (١٤٣١هـ ـ يناير٢٠١٠م)، تحت عنوان «العناية بتراث الشيخ ونشره»:

«وأعتقد أنَّ عبد العظيم قد ترك وراءه أشياء كثيرة جديرة أن تنشر، سواء في باب التأليف أم في باب التحقيق، وإنِّي لأرجو من تلميذه القطري الوفي المخلص الَّذي كان ساعده الأيمن في تحقيقه، الأخ علي الحمادي حفظه الله: أن يحرص على كل ورقة تركها، وأن ينشر ما هو جاهز للنشر منها، وأن يبحث مع بعض إخوان الشيخ على ما وصل إلى مرحلة قابلة للإتمام، للعمل على إتمامه، وفاء بحق الرجل. ونرجو من جامعة قطر، ووزارة الأوقاف، أن تساهما في ذلك، بما للرجل من حق عليهما» اهـ.

(١) نشر دار المنهاج، بيروت، ط ٣، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وسرعان ما جاءني ابن أخي، بل ابني محمود عبد العظيم الديب، ومعه ابني الآخر، وتلميذي، وتلميذ أخي د. الديب: الأخ علي الحمادي، يبشرانني بأن كتاب «الغياثي» في طبعته الثالثة، الَّتي عكف عليها الشيخ الديب رحمه الله ورضي عنه، وأعطاها من جهده ووقته وفكره الكثير، وصبر عليها طويلًا، يقرأ ويطيل القراءة، ويتأمل، ويقارن بين النسخ، ويغير كثيرًا ممَّا بدا له في الطبعة الأولى والثانية، فيرجح غير ما رجحه من قبل، من تصحيح وتعديل، وتقديم وتأخير، حتَّى استقامت له، وأمسى راضيا عنها إلى حد استراح إليه عقله وضميره.. وعزم على تجهيزها للنشر، بل كتب لها بخطه مقدمتها. وهو يعطي كتاب «الغياثي» عناية خاصَّة، لما يعرف من أهميته في موضوعه، وعند مؤلفه، وفي تراثنا الفقهي، ولا سيَّما في «السياسة الشرعيَّة».

وقد تحدث التلميذ الوفي لشيخه عليّ الحمادي شكر الله له، وجزاه خيرًا عن شيخه، عن هذه الطبعة في رسالة لي حديث العارف الخبير فقال:

«أود الإشارة إلى أن ما قام به شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الطبعة، لم يكن مجرد تصحيح لما ورد في الطبعة السابقة من أغلاط وهنات، لا يخلو منها أي عمل مطبوع، بل نستطيع أن نقول دون مبالغة: إنَّه إعادة تحقيق، أو تحقيق جديد للكتاب.

لقد سمعنا من شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرارًا: إن ملاك الأمر في التحقيق هو قراءة النص. يقصد القراءة العلميَّة الَّتي تؤدي إلى تقديم نصٍّ مستقيم صحيح أقرب ما يكون إلى الصورة الَّتي كتبه بها مؤلفه.

فالتحقيق عنده إذن: هو حسن قراءة النص المحقق. وهذا ما قام به رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الطبعة الجديدة. فمع ما كان يعانيه من اشتداد وطأة

QaradawiBooks.com

المرض في شـــهوره الأخيرة، إلَّا أنَّه وجد نشـــاطًا نـــادرًا، فعكف على الكتاب عكوفًا تامًّا يعيد قراءة النـــص كاملًا، كلمة كلمة، وجملة جملة، وفقرة فقرة، قراءة معايشة وتدبر ومراجعة. وإن شئت فقل: قراءة تحقيق! وكأنَّه يحقق النص أوَّل مرَّة.

لقد أثمرت هذه القراءة الجديدة، والمعايشة للنص عن تغييرات ليست قليلة بالنسبة إلى الطبعة السابقة، منها ما هو في متن الكتاب: حيث تغير ترجيحه واختياره بين النسخ في بعض المواضع، وعدل في بعض علامات الترقيم، وفي بدايات بعض الفقرات، تبعًا لهذه القراءة الجديدة.

أمَّا تصحيح ما وقع في الطبعة السابقة من هنات، فأشير إلى أن هذه التصحيحات تجمعـــت لديه على مـــدى ثلاثين عامًـــا، أي منذ الطبعة الأولى، وهي مدونة على نسختين خصصهما لهذا الغرض، وكان يحتفظ بجميع الملاحظات المكتوبة الَّتي وردت إليه من بعض أهل العلم، ولم يهمل أي ملاحظة منها، وأعطاها حقها من النظر والمراجعة.

ومن الإضافات في متن الكتاب: أنَّه شكل بعض العبارات والألفاظ الَّتي تركها غفلا في الطبعة السابقة، تقديرًا منه أنَّها لا تحتاج إلى ضبط. وهذا الشكل ليس في الحركة الإعرابية فقط، بل الأكثر أن يكون في بنية الكلمة، ممَّا يقرأ خطأ.

أمَّا ما يتعلق بالحواشـــي: فقد راجع جميع التعليقات والحواشـــي، فعدل في بعضها بالنقص والزيادة.

لكن أهم تغيير في هذه الطبعة، كان في فروق النســـخ، فقد نظر في جميع الفروق، فحذف الكثير منها، وأبقى ما فيه تغيير في نسخة الأصل

QaradawiBooks.com

ـ احترامًا لمنهج الاعتماد على نسخة الأصل ـ وكذا ما رأى أن فيه وجها لقراءة أخرى، قد يكون لها أثر في المعنى.

تلك أبرز التغييرات، وهناك غيرها ممَّا ذكر في المقدمة» اهـ.

وأنا لن أقدم هذه الطبعة خيـرًا من تقديم محقِّقهـا لها، وهو أعلم وأخبر بصنيعه فيها، ومعاناته في إخراجها على الوجه الأرشـد والأمثل، بقدر ما يستطيعه البشر، ولكنِّي أود أن أشـير إلى المدرسة الَّتي ينتمي إليها أخي عبد العظيم في التحقيق، فهي مدرسـة تعتبر جوهر التحقيق: حسن قراءة النص، كما أراد مؤلفه، دون زيادة ولا نقصان، بقدر الإمكان؛ حتَّى لا نقول المؤلف ما لم يقلـه، أو نـزيد عليه فيما قاله، أو ننقص أو نحرف بعض ما قاله.

وليس من مـدارس اليوم، الَّذين يدعون النص، ويثقلون الحواشـي بكلام كثير لا ضرورة له فـي فهم النص أو توضيحه، وإنَّما هو من باب التكثير بمـا لا يفيد، فهو يترجـم لمن لا يحتاج إلى ترجمة، ويشـرح ويتوسع فيما لا يفتقر إلى شرح، ويسرف في الفضول بما لا حاجة إليه، ممَّا لا يسمن من شبع، ولا يغني من جوع!

ولذلك يخرجون الكتـاب الصغير في مجلـد أو مجلدات، وهو إهـدار للطاقـات والأمـوال والأوقات يسـتحق التأديـب والتعزير، لا المكافأة والتقدير.

من هو عبد العظيم الديب؟

وحسـبي هنا أن أنقل فقرة من تقديمي للعمل الكبيـر الَّذي قام به الدكتور الديب لخدمة تراث إمـام الحرمين، وهو تحقيق الكتاب الأوَّل

QaradawiBooks.com

والأكبر والأهم للإمام أعني «نهاية المطلب في دراية المذهب» في عشرين مجلدًا.

وقد تضمنت مقدمتي ثلاث كلمات: كلمة عن إمام الحرمين، وكلمة عن كتاب «نهاية المطلب»، وكلمة عن المحقق، ولا بأس أن أقتبس هنا فقرة ممَّا كتبته عن المحقق، قلت:

«وأمَّا المحقق، فهو الأخ الصديق الصدوق: الأستاذ الدكتور عبد العظيم محمود الديب، الَّذي أعرفه منذ كان طالبًا في القسم الابتدائي بمعهد طنطا الديني، وتربطني به منذ ذلك الزمن صلة وثيقة، لم تزدها الأيام إلَّا قوَّة، وإن كان يصغرني بثلاث سنوات.

عرفت الدكتور الديب ـ منذ يفاعته ـ رجل صدق: صدق مع نفسه، وصدق مع ربه، وصدق مع إخوانه، وصدق مع دعوته، وصدق مع أمته، وصدق مع النَّاس أجمعين، مستمسكًا بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

عرفته قوي الإيمان، عميق اليقين، نير البصيرة، نقي السريرة، يقظ الضمير، حي القلب، جياش العاطفة، طاهر المسلك، بعيدًا عن الريبة.

وعرفت فيه الحماسة والغيرة لما يؤمن به، لا يضن بجهد ولا وقت ولا نفس ولا نفيس في سبيل ما يؤمن به، مدافعًا عنه، وإن خالفه الناس. وقد يغلو في الدفاع عن بعض الفصائل الإسلاميَّة، حتَّى يكاد يحسبه سامعه من المتشددين، وما هو منهم.

تجسدت فيه الأخلاق العريقة للقرية المصرية ـ قبل أن تغزى بآفات الحضارة الحديثة ـ من الحياء والإباء، والشهامة والوفاء، والبر والصلة، كما يتجلى ذلك في إهداءاته لكتبه، وشكره لشيوخه وزملائه، وكل من عاونه بجهد. أحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا أزكيه على الله تعالى.

QaradawiBooks.com

وقد تجلت هذه الفضائل الَّتي عرف بها الديب يافعًا وشابًّا، في حياته العلميَّة المباركة، كهلًا وشيخًا، ومن شب على شيء شاب عليه.

وَإِذَا رَأَيتَ مِنَ الهِلَالِ نُمُوَّهُ أَيقَنتَ أَن سَيَصِيرُ بَدرًا كَامِلَا[1]!

المحقق المتميز:

فالدكتور الديب رجل عالم بحاثة دؤوب، طويل النفس، دقيق الحس، نافذ البصيرة، متمكن من مادته، قادر على الموازنة والتحليل، له ملكة علميَّة أصيلة يقتدر بها على الفهم والفحص، والنقد. صبور على متاعب العلم، وللعلم متاعب ومشقات لا يدركها إلَّا من مارسها وعايشها، كما قال الشاعر:

لَا يَعرِفُ الشَّوقَ إِلَّا مَن يُكَابِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَن يُعَانِيهَا[2]!

ونحن نعلم أنَّ الدكتور الديب رجل له قلم رشيق بليغ، كما تجلى ذلك في بعض ما كتب من مقالات ورسائل وكتب.

ومع هذا لم يشغل «التأليف» وقته، كما شغله «التحقيق» فقد اختار الطريق الوعر، والمهمة الأصعب، وهو لها بتوفيق الله: بما لديه من مؤهلات عقليَّة وعلميَّة ونفسيَّة؛ فقد حفظ القرآن من صغره في الكتاب، وتكون في معاهد الأزهر، الابتدائيَّة والثانويَّة، ثمَّ في كلية «دار العلوم» بالجامعة، وكان فيها فحول في علوم العربيَّة والشريعة، وملك مفاتيح العلم، وعاش يقرأ ويدرس ويناقش، ويتعلم من كبار الشيوخ، وأساتذة التحقيق، وقد اكتملت له الخصال أو المزايا الست،

(١) من شعر أبي تمام، كما في شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي (٢/٢٣٠).

(٢) من شعر الأبله البغدادي أبو عبد الله محمد بن بختيار، كما في وفيات الأعيان (٤/٤٦٤).

QaradawiBooks.com

الَّتي أوصى بها شيخه الإمام الجويني طلاب العلم، فيما أنشدوا له من شعر، حيث قال:

أَخِي، لَن تَنَالَ العِلمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ سَأُنبِيكَ عَن تَفصِيلِهَا بِبَيَانِ
ذَكَاءٌ، وَحِرصٌ، وَافتِقَارٌ، وَغُربَةٌ وَتَلقِينُ أُستَاذٍ، وَطُولُ زَمَانِ[1]

وقد عكف الأخ عبد العظيم منذ دخل مَيدان التحقيق على تراث إمام الحرمين، فهو مولع بالرجل منذ عرفه في دراسته عنه بالماجستير والدكتوراه بدار العلوم.

بل هو في الحقيقة (عاشق) لإمام الحرمين، كما تحس بذلك إذا تحدث أو كتب عنه. والعاشق تهون عليه الصعاب، ويجد البعيد قريبًا، والحزن سهلًا، في سبيل معشوقه.

أخرج الدكتور الديب قبل ذلك من كتب إمام الحرمين «البرهان» في أصول الفقه، وهو كما قال التاج السبكي «لغز الأمة». وقد أمضى في تحقيقه سبع سنوات كاملة.

وأخرج بعد ذلك له أثرين مهمين:

١ ـ «الغياثي» أو «غياث الأمم في التياث الظلم» في السياسة الشرعيَّة، وهو نسيج وحده، وقد قدمه بدراسة رائعة كشفت عن مكنونه، وعرفت بحقيقة مقصوده، وبينت ما سبق به الإمام، وما أخذ عنه، وإن لم ينسب إليه، ووضع له فهارس علميَّة سهلت الانتفاع به.

٢ ـ و«الدرة المضية في الخلاف بين الشافعيَّة والحنفيَّة»، وقدم لها بدراسة مهمة ونافعة كذلك.

---

(١) الوافي بالوفيات للصفدي (١١٨/١٩).

QaradawiBooks.com

أمَّا تحقيق «النهاية» أو نهاية المطلب، فقد كان حلمًا وأمنية له، منذ عرف إمام الحرمين، ثمَّ غدا أملًا ورجاء، ثمَّ تحول إلى حقيقة، منذ بدأ يبحث عن نسخه منذ سنة (١٩٧٥م)، ومنذ وصل إلى قطر سنه ١٩٧٦م، وهو مشغول بالكتاب.

وظل نحو عشرين عامًا، وهو عاكف على «النهاية» أو «نهاية المطلب»، عايشه هذه السنين ورافقه: يقرؤه على مهل، ويجتهد أن يفهمه على الصواب ما أمكن، وأن يفسر غامضه، ويفك طلاسمه.

وأنا أدرى النَّاس بما عاناه الدكتور الديب في تحقيقه لهذا المخطوط، من حيث جمع أصوله المبعثرة في شتَّى مكتبات العالم، فقد ظل يقرأ فهارس المخطوطات، ويتتبعها، ويزور المكتبات هنا وهناك بنفسه، ويسأل العارفين، ويستعين بالأصدقاء ـ وأنا منهم ـ ليبحثوا له عن نسخ من الكتاب، حتَّى جمع أقصى ما يمكن الحصول عليه من أجزاء الكتاب من مظانه في العالم، عن طريق التصوير طبعًا.

جهد د. الديب جهده، حتَّى جمع من الكتاب عشرين نسخة صورها من مكتبات العالم: في القاهرة والإسكندرية وسوهاج من مصر، ودمشق وحلب من سوريا، والسلطان أحمد وآيا صوفيا من تركية. ولكن لم توجد منه نسخة كاملة. وبلغ عدد مجلداتها (٤٤)، وعدد أوراقها (١٠٣٣٦) ونسخت بخط اليد في (١٤٥٩٠) صفحة.

هذا، بالإضافة إلى المختصرات والنصوص المساعدة، وهي تسع نسخ، بلغ عدد مجلداتها (١٥) وعدد أوراقها (٣٧٥٠) تقريبًا.

ثم بدأ يقرأ النص قراءة العارف الخبير، ولكنَّه يقرأ نصًّا غير عادي، لرجل غير عادي، فبعض المصنفات تكون ترديدًا لكلام

QaradawiBooks.com

السابقين، أو تكرارًا وتأكيدًا له، فيستطيع قارئها أن يبحث عنها فيما نقلت عنه.

أمَّا إمام الحرمين فهو مستقل في تفكيره، مستقل في تعبيره، فيحتاج من محققه إلى فهم دقيق، وتأمل عميق، وصبر جميل، ومراجعة طويلة، حتَّى يفهم ما يريد المصنف.

على أن إمـــام الحرمين كثيـــرًا ما يغرب في تعبيـــره، فيظل المحقق يبحث طويلًا في المعنى المراد، حتَّى يجده باليقين أو بالظن. وقد يظل أسابيع أو شـــهورًا، يفتش عن المعنى، ويبحث عن المظان، ويشاور من يثق به، إلى أن يشرح الله صدره لما يختار.

أضف إلى ذلك ما تعانيه المخطوطات أبدًا من كلمات مطموسة، أو مخرومة، كلهـــا أو بعضها، أو لعلها ســـقطت من المصنف نفســـه أثناء الكتابة، كما يحدث لكل مؤلف، زيادة عما يصنعه النساخون بالكتب من تصحيف وتحريف، ومسخ وتغيير، وخصوصًا الجهلة منهم!

زد على ذلك ما يستشـــهد به المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ مـــن أحاديث، بعضها لا يكون معروفًا عند الفقهاء، وفي كتب الفقه المألوفة، بحيث نجده، في التلخيص الحبير، أو سنن البيهقي، أو غيرهما من الكتب الَّتي هي مظان هذا اللون من الأحاديث.

ليس هينا ما قام به الدكتور الديب من تحضير وتهيئة للعمل الكبير الَّذي نهض لـــه، وهو له أهل، ليخرج «النهاية» إلـــى النور، ويحيلها من مقبور إلى منشور.

QaradawiBooks.com

وقد قال بعض العلماء: من نشر مخطوطة، فكأنما أحيا موءودة! فكيف إذا كانت هي «النهاية»؟!»[١] اهـ.

كلمة لجمهور المثقفين

هذا ما قلته عن بعض ما عاناه الدكتور الديب في تحقيق «نهاية المطلب»، وهو ما يعطينا نموذجًا لما عاناه في تحقيق «الغياثي»، وإن كان الغياثي أقل حجمًا بكثير.

ولا بد لي من كلمة هنا لجمهور المثقفين عن عبد العظيم الديب، ليعرفوا هذه الشخصيَّة النادرة الَّتي لا يعرفها إلَّا العلماء؛ لأنَّه لم يكن ممَّن يظهرون على الشاشات، ولا يتعرضون للأضواء، رغم إلحاحها عليه، وهو يرفض ويأبى، راضيا بالعمل في صومعته.

عالم عامل معلم:

إنَّه أحد العلماء (الربانيين) في هذه الأمة، والرباني ـ كما فسره السلف ـ هو الَّذي يعلم ويعمل ويُعلِّم، فهو يجمع بين الأمور الثلاثة: العلم والعمل والتعليم. وقد قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

عبد العظيم العالم:

أمَّا علمه، فقد شهد له به شيوخه، وشهد له به إخوانه، وشهد له به تلاميذه، وشهدت به آثاره الَّتي خلفها، تأليفًا وتحقيقًا.

---

(١) من مقدمتي لتحقيق نهاية المطلب، جزء المقدمات صـ ٥٨ ـ ٦٣.

QaradawiBooks.com

وفي شهادة أساتذته، نقل الأخ الدكتور علي السالوس زميل الديب في كلية دار العلوم: أنَّ المشرف على رسالة الديب للدكتوراه، الأستاذ الجليل الدكتور مصطفى زيد، قال بعد مناقشة الرسالة: إنَّ هذه أفضل رسالة قدمت إلى دار العلوم، لا أستثني رسالتي (رسالة الدكتور زيد نفسه).

وقد لقيت الدكتور زيدًا يومًا بالمدينة، وهو أستاذ معار إلى جامعتها، وكان أوَّل من سألني عنه، وحملني السلام إليه، هو عبد العظيم، الَّذي أصبح صديقًا من أقرب النَّاس إلى أستاذه.

ولثقتي بعلمه وفقهه وأصالته، كنت في كتبي المهمة، أعرضها عليه، وأطلب إليه أن يقرأها، ويبدي رأيه فيها، ويعمل قلمه في شطب ما يرى، أو إضافة ما يرى كذلك.

عبد العظيم العامل:

وأمَّا عمله، فقد شهد له كل من عرفه، وكل من عايشه ـ وأنا منهم ـ أنَّه كان طوال حياته رجلًا عاملًا لا عاطلًا، وجادًّا لا هازلًا، وبانيًا لا هادمًا، يعطي قبل أن يأخذ، ويضحي قبل أن يستفيد، وإذا عمل أتقن، وإذا قال أحسن، يقول ويفعل، ويعد وينجز، ويعاهد فيوفي، ويؤتمن فيؤدي.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ عف اللسان، لا يسيء إلى أحد في حضرته، ولا يذكر أحدًا بسوء في غيبته، فقد شغله الحق عن الباطل، وشغله العلم عن الجهل، وشغله الإيمان عن اللغو، وقد قال أبو الطيِّب:

وأُكبِرُ نَفسِي عَن جَزَاءٍ بِغِيبَةٍ وَكُلُّ اغتِيَابٍ جُهدُ مَن لَا لَهُ جُهدُ[1]

(١) ديوان المتنبي صـ ١٩٩، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣].

وكان إذا وكل إليه عمل استفرغ فيه جهده، ووفى له حقه، صغيرًا كان كالاشتراك في لجنة، أو كبيرًا كرئاسته لقسم الأصول والفقه، الَّذي رأسه عدة سنين، وقام به حق القيام، متعاونًا مع كل إخوانه.

كان لي نعم الظهير في كُلِّيَّة الشريعة، وأنا عميدها، وكان لي نعم الظهير في مركز بحوث السُّنَّة والسِّيرة وأنا مديره، وكان عضو مجلس إدارته معي، من أوَّل يوم، وكان هو مقرر اللجنة التحضيرية الَّتي حضرت بكل قوَّة وأمانة وإتقان لندوة «نحو موسوعة شاملة للسنة النبويَّة»، الَّتي عقدناها في جامعة قطر، تحت رعاية أمير البلاد السابق والرئيس الأعلى للجامعة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، حفظه الله. ودعونا فيها عددًا من الشخصيَّات والمراكز والجامعات والمؤسسات المهتمة بالسُّنَّة النبويَّة، من شرعيين وفنيين وحاسوبيين، وكان هو مقرر الندوة، بل عمودها الفقري رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وقد أصدرت توصيات مهمة.

كما أقام د. الديب ندوة علميَّة ناجحة باسم جامعة قطر وكلية الشريعة فيها، عن شيخه إمام الحرمين، دعا فيها عددا من رجال العلم والفكر والفقه والسياسة، ممَّن يهتمون بإمام الحرمين وفكره وفقهه، وما قدمه للأمة وللتراث من بحوث وآراء ومؤلفات ظلت مثمرة، رغم مرور الأعصار عليها، وقد طبعت آثار هذه الندوة.

ولما وكل إليه إنهاء الكتاب الَّذي تكفلت به «كلية الشريعة»،

QaradawiBooks.com

بمناسبة بلوغي السبعين: أخرجه خير إخراج، متعاونًا مع بعض المخلصين من زملائه[1].

وحين ضم إلى وزارة الأوقاف بعد تقاعده من الجامعة، كان يقوم بما يكلف به بكل دقة، رغم ما أصيب به من مرض القلب.

عبد العظيم المعلم:

وأمَّا تعليمه، فقد كان معلمًا بالفطرة، ومعلمًا بالدراسة، ومعلمًا بالخبرة والممارسة، وقد عمل أولًا في المدارس الثانويَّة، ثمَّ أمضى معظم حياته أستاذًا جامعيًّا. وقد استكمل كل مقومات الأستاذ أو المعلم الناجح، وهي: قوته في المادة الَّتي يعلمها، وتمكنه منها، ثمَّ حسن طريقته في تعليمها، ثمَّ أن تكون له شخصيَّة تجذب طلابه إليه، وهو ما توافر لعبد العظيم بجدارة، وعرف به في جامعة قطر، ولا سيَّما في قسم الدراسات الإسلاميَّة وكلية الشريعة.

والحقيقة أنِّي منذ أنشئت «كليتا التربية» في قطر نواة للجامعة المنشودة، وكلفت فيها بتأسيس قسم للدراسات الإسلاميَّة، حرصت على أن يكون عبد العظيم بجانبي، وكان أمامه عدة أشهر حتَّى يحصل على الدكتوراه من كلية دار العلوم، فلما حصل عليها استقدمته، فتحمل مسؤوليته من أوَّل يوم، وشد أزري، وقوَّى ظهري، كما قال الله تعالى لموسى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥].

(١) مثل الأستاذ الدكتور عدنان زرزور حفظه الله، وكان إذ ذاك أستاذًا في جامعة قطر، والأستاذ هاني طايع رَحِمَهُ اللَّهُ.

QaradawiBooks.com

كان أبًا وصديقًا لطلابه:

وقد كان نعم العضد لي، كما كان نعم الزميل لإخوانه، كما كان نعم المعلم لطلابه، وقد تخرجت على يديه أجيال بعضهم من النوابغ، كان لهم معلمًا وأبًا وصديقًا، وكانوا يحبونه حبًّا جمًّا، طلبة وطالبات، لغزارة علمه، وسعة أفقه، ورقة حسه، وحسن خلقه، وتفانيه في تدريس مادته، ونفع طلابه، والارتقاء بهم.

وقد عزاني بعض طلابه وطالباته من خريجي كُلِّيَّة الشريعة، ومنهم د. عائشة المنَّاعي عميدة الكُلِّيَّة الآن، فذكرت لي أن آثاره لا تزال مغروسة في فكرها ووجدانها، وأنَّه كان يدرس مادَّته في الفقه وأصوله، وهي مادة صعبة، لكنَّه يدرسها بـ «مزاج»! ويحببها إلى طلابه بما يضفي عليها من روحه، وهكذا كل من درسه لا زال موصولًا به فكريًّا وعاطفيًّا، فقد كان يمارس التدريس كأنَّه فنان يمارس هوايته.

وذلك لأنَّه لم يكن يعتبر التدريس مجرد وظيفة، بل يعتبره رسالة يؤمن بها، وعبادة يتقرب إلى الله بأدائها!

أستاذ جامعي متميز:

والحق أن عبد العظيم الديب يعد أستاذًا جامعيًّا متميزًا، بكل المقاييس، باعتراف كل من عايشوه من العمداء والزملاء.

وأشهد أن عبد العظيم منذ جاء إلى قطر، قد حمل العبء معي، وكان الساعد الأيمن لي، وقد هضم نظام الساعات المكتسبة، وأصول الإرشاد الأكاديمي، وساهم في تيسير ذلك للطلاب مساهمة فعالة. كما أنَّه رجل مخلص في تدريسه، يتعب على دروسه، ويعد محاضراته، ويقترب من

QaradawiBooks.com

تلاميذه، ويبتكر في طرائقه، حتَّى إنَّه كان يدرس كتاب «الحلال والحرام في الإسلام»، فاخترع له أسئلة على الطريقة الأمريكيَّة، بملء الفراغات، أو الإجابة بعلامة (✓) أو (✗)، أو بكلمة (نعم) أو (لا)، أو اختيار إحدى الإجابات، إلى غير ذلك.

ولهذا كان ـ كما ذكرنا ـ قريبا من الطلبة والطالبات، محببًا إليهم، محوطًا بعواطفهم، حتَّى بعد أن يتخرجوا، يظلون على صلة به، وقرب منه، وسؤال دائم عنه. وهذا ما لم أجده إلَّا عند القليلين من الأساتذة.

فمن الأساتذة من يحبه الطالب، ولا يحترمه، لأنَّه طيب القلب، دمث الأخلاق، جياش العاطفة، فمثله يحب، ولكن ليس عنده من العلم والموهبة والشخصيَّة ما يجعل الطالب يحترمه.

ومن الأساتذة: من يحترمه الطالب لقوة شخصيته، وسعة علمه، وضبطه لقاعة الدرس، ولكنَّه لا يحبه، لفظاظته أو كبريائه، أو جلافة طبعه، أو نحو ذلك، ممَّا لا يجذب القلوب إليه.

ومنهم: من لا يحترمه الطالب ولا يحبه، فليس عنده من العلم والشخصيَّة ما يحترمه الطالب ويقدره لأجله، ولا عنده من العاطفة، وحسن المعاملة، وانبساط الشخصيَّة: ما يحببه إلى الطالب.

ومنهم: من يجمع له الطلاب بين التقدير والحب معا، لما وهبه الله من علم، وما منحه من مواهب، وما يبذل من جهود: تفرض على كل من اتّصل به أن يقدّره ويحترمه، ويعطيه حقّهُ من الإكبار والتقدير، كما أنَّ لديه من الفضائل النفسيَّة، والمكارم الأخلاقيَّة، والسلاسة والعذوبة في الشخصيَّة: ما يجعله يَألف ويُؤْلَف، ويُحِبّ ويُحَبّ.

QaradawiBooks.com

وأحسب أن عبد العظيم كان ـ إلى حد كبير ـ مع طلابه من هذا الصنف. ليست هذه شهادة صديق لصديق، وإنَّما هي شهادة رئيس أو عميد لأستاذ. على أن شهادة الصديق لصديقه ليست دائمًا موضع تهمة، فالله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ومن الأصدقاء من يجور على صديقه، أو لا يعطيه حقَّه من الثناء إذا كان أهلًا لذلك، حتَّى لا يتهم بالتحيز، وهو بهذا قد ظلم صديقه، وظلم الحق معًا. كما قيل: إن بعض القضاة حكموا على بعض الأمراء ظلمًا ليشتهروا بالعدل! وقد شاهدت بنفسي بعض الأساتذة، وأنا عميد لكلية الشريعة ظلم ابني، ولم يعطه الدرجة الَّتي يستحقها، حتَّى لا يقال: إنَّه جامل ابن العميد!

لم يركض وراء الشهرة والمال:

لقد عاش عبد العظيم الديب حياته راهبًا ومتفرغًا للعلم، لم يركض وراء الشهرة، ولم يسع إلى الأضواء، مثل كثير من زملائه، وغير زملائه. بل الحقيقة أنَّ الأضواء سعت إليه، وركضت خلفه، ولكنَّه أبى أن يستجيب لإغرائها.

لقد كلَّمني كثير من أهل العلم أن تتاح لهم الفرصة ليظهروا في برنامج «الشريعة والحياة» الَّذي أقدمه في قناة الجزيرة، حين أغيب عنه لسبب أو لآخر. إلَّا عبد العظيم الَّذي ظلت الجزيرة تحاول أن تظفر به في حلقة من الحلقات، وهو العالم الكفء القدير على إيفاء أي موضوع يختاره حقه، فلم تصل إلى ما تريد، وقد وسطوني في ذلك لإقناعه، فلم أستطع، فقد كان موقفه مبدئيًّا.

QaradawiBooks.com

وظهرت المصارف (البنوك) الإسلاميَّة، وهيئات الرقابة الشرعيَّة فيها، وفيها مجال للإغراء، وهو من رجال الفقه المعدودين، فلم يقبل أن يدخل في هذا المَيْدان أيضًا، في حين نرى كثيرين من زملائنا قد أصبح هذا شغلهم الشاغل، الَّذي يستهلك كل وقتهم أو جله، ويشغلهم عن العطاء العلمي المنشود من مثلهم.

ولقد شغله الاستغراق في خدمة العلم عن مجاملة الناس، وزيارتهم في مجالسهم، والتعرف على كبار الشيوخ الَّذين لهم منزلة وتأثير في البلد، كما فعل كثيرون. ولا غرو أن أعطيت الجنسية القطرية لعدد من زملائه، وكلهم من أهل الفضل، وكان هو أحق بها وأهلها، فهو أقدم منهم في البلد، وأعظم كفاية، بشهادتهم أنفسهم، ولكن كثيرين لا يعرفونه.

رجل مشغول بهموم أمته:

ولا يفوتني أن أذكر هنا وأذكر: أن عبد العظيم العالم المحقق، الَّذي عاش راهبًا في صومعة العلم والبحث والتحقيق والتدقيق، لم يغط على عبد العظيم الداعية المهموم بدعوته، المتحرق على أوضاع أمته، فهو من داخل صومعته، يصعد الزفرات، ويفيض العبرات، بلهفة وغيرة وأسى على أمته.

اقرأ ما خطه قلمه البليغ في نهاية مقدمته لهذه الطبعة الَّتي نقدمها للغياثي، حيث ختمها بقوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ثمَّ أمَّا بعد، إلى الله ألجأ، وإليه أشكو، أشكو هذه الأمة اللاهية العابثة، فقد مضت ستُّ سنين على سقوط «بغداد» تحت أقدام تتار

QaradawiBooks.com

العصر، وأتلفت حولي فأرى اللهو والعبث، ومهرجانات السينما، والمسرح والموسيقى، ومسابقات الأغاني، والدورات الكروية، والأهازيج الأولومبية، يغرق المسؤولون شعوبهم في هذا المخدر اللذيذ، بدلًا من إعلان الحداد، إذا كان عزَّ عليهم إعلان الجهاد.

وها قد تمادى الأعداء.. ففي باكستان ـ دولة الإسلام النووية الوحيدة ـ تهدم المدارس الإسلاميَّة على رؤوس طلابها، وتحرق المساجد على رؤوس عمارها، وتمزق الدولة باسم محاربة الإرهاب، وكل ذلك بالتخطيط والتنسيق مع الحكام والقادة... وفي فلسطين يريدون اغتيال الانتصار الَّذي حققته غزة بصمودها الأسطوري، وذلك بتأديب أهلها بالحصار والتجويع والحيلولة دون إعمارها، ثمَّ بتشويه أبطالها وقادة نضالها، ومحاولة عزلهم وإقصائهم.

والعدو الصهيوني ماض في غطرسته، مستمر في تهويد القدس، وإفراغها من أهلها، وهدم منازلهم، ومصادرة أراضيهم، وأنظمتنا الحاكمة تقدم التنازل تلو التنازل، لعلَّه يرضى. ولكنَّه يقابل ذلك بالازدراء والاحتقار.

وشباب الأمة المجاهد المخلص يندفع لقتال العدو، ولكن بغير قيادة، وبدون سياسة، فتضطرب في يده البوصلة، فيضرب في غير الاتجاه، ويختلط الأمر حتَّى يضرب المجاهدون بعضهم بعضًا، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

هذا طرف من حال الأمة، نسجِّله هنا للتاريخ، وليعلم من يقرأ هذا الكتاب الآن أو مستقبلًا: أنَّ الفقه والفقيه يجب أن يكون في قلب

QaradawiBooks.com

الأحداث، عالمًا بواقع الأمة. وكذلك أئمتنا السابقون، وفقهاؤنا الأولون، عليهم سحائب الرحمة والرضوان» اهـ.

هذه أنة مكظوم، أو صرخة مكلوم، أرسلها إلى أمته قبل أن يرحل عن هذه الدُّنْيا، يحاول أن يوقظها من سباتها، وليعذر بها إلى الله، وينصح للناس، وإن كان كثير منهم لا يحبون الناصحين.

غفر الله لأخي أبي محمود عبد العظيم الديب، ورحمه، وأكرم نزله، ورفع درجاته في عليين، وأسكنه الفردوس الأعلى، مع الَّذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

الدوحة: السبت ١٦ شوال ١٤٣١هـ

الموافق ٢٥ سبتمبر ٢٠١٠م

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

الإنسانيات

في التاريخ والتراجم

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «المهندس يحيى عياش رمز الجهاد وقائد المقاومة في فلسطين»

للأستاذ غسَّان دوعر[١]

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الَّذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، مُحمَّد وآله وصحبه، مصابيح الدجى، ومنارات الهدى، وكل من اقتدى فاهتدى.

(أمَّا بعد)

فلا يوجد جنس من المخلوقات تتفاوت أفراده، كما يتفاوت بنو الإنسان، الواحد منهم قد يحسب بمائة، وقد يعتبر بألف.

وفي الحديث الصحيح: «**الناس كإبلٍ مائةٍ، لا تكاد تجدُ فيها راحلة**»[٢]. وفي حديث آخر: «**ليس شيءٌ خيرًا من ألف مثله إلَّا الإنسان**»[٣].

---

(١) نشر المركز الفلسطيني للإعلام.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٨)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٤٧)، عن ابن عمر.

(٣) رواه الطبراني (٢٣٨/٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٦١٨): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن يوسف وهو ثقة. وحسَّن إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ ٨٩٩، وقال الألباني في الصحيحة (٢١٨٣)، عن سلمان الفارسي.

QaradawiBooks.com

وقديمًا قال الشاعر:

وَالنَّـاسُ أَلـفٌ مِنهُمُـو كَوَاحِدٍ وَوَاحِـدٌ كَالأَلفِ إِن أَمـرٌ دَهَى[1]

وقد قيل: فرد ذو همَّة يُحيي أُمَّة.

وقال الشاعر:

وَلَيـسَ عَلَـى اللهِ بِمُسـتَنكَرٍ أَن يَجمَـعَ العَالَـمَ فِـي وَاحِدِ[2]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

وقال ابن مسعود في معاذ: إنَّ معاذا كان أُمَّة قانتًا لله حنيفًا، ولم يكن من المشركين[3].

وإنَّما يتفـاوت النَّـاس ويتفاضلون بما يعيشـون له مـن أهداف، فيصغرون أو يكبرون، ويعلون أو يهبطون حسب هذه الأهداف.

فمن النَّاس من يعيش لشهوة بطنه أو فرجه، وقد قال حكيم: من كان همه بطنه وفرجه فنتيجتـه ما يخرج منهما! وقـال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

---

(١) البيت من مقصورة ابـن دريد، كما في أمالـي المرزوقي صـ ٣٢٠، تحقيـق يحيى وهيب الجبوري، نشر دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط١. غير أن فيه (عنا) بدل (دهى).

(٢) البيت لأبي نُوَاس الحسـن بن هانئ، انظر: الشعر والشـعراء لابن قتيبة (٨١٣/٢)، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ..

(٣) رواه الطبراني (٥٩/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١١٢٢): رواه الطبراني بأسـانيد، ورجال بعضها رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

وينشدون لأبي نُوَاس قوله:

إِنَّمَا الدُّنيَا طَعَامٌ وشَـرَابٌ ومَنَام فَإِذَا فَاتَكَ هَذَا فَعَلَى الدُّنيَا السَّلَام[1]

ومن النَّاس من يعيش لهدف دنيوي فوق شهوة البطن والفرج، ولكن لشهوة أخرى، شهوة الاستعلاء على الخلق، والوصول إلى النفوذ والجاه والتحكم في عباد الله، ليعز من يحب، ويذل من يكره. وهذه لا تخرج عن كونها شهوة من شهوات النفس، بل هي شر من الأولى، وهذه هي آفة إبليس: الكبر والغرور، إذ أمره الله بالسجود لآدم: فـ ﴿ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [صٓ: ٧٤]، ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [صٓ: ٧٦].

ومن النَّاس من جعل أكبر همه المال، أو الغنى، يريد أن يجمعه من حلال أو من حرام، لا يبالي في سبيله أن يدوس كل القيم، وأن يتعدى كل الحدود، يذل لمن فوقه، ويطغى على من دونه، لأنَّ المال هو وسيلته لإشباع شهواته الظاهرة والباطنة، وأداته للحصول على المجد الزائف إن كان من هواته، وهيهات أن يسعده المال، بل هو أداة تعذيب له، كما قال تعالى في شأن قوم: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦].

ومن النَّاس من يعيش في الدُّنْيا ميتًا أشبه بالحي، وغائبًا أشبه بالحاضر، ومعدومًا أشبه بموجود، لم يعرف له هدفًا، ولم يحدد له غاية، يميل حيث تميل الريح، وتجري به الأمواج يمينًا وشمالًا، ولا يعرف له برًّا يرسو عليه، ولا منزلًا يأوي له، غافلًا عن نفسه وما حوله، كالذين

(١) بلفظ مقارب في العقد الفريد لابن عبد ربه (٢٤٦/٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

قال الله تعالى فيهم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ومن النَّاس صنف متميز، لم يجعل الدُّنْيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه، ولم تشغله نفسه ولا شهواته، ولا مصالحه الذاتية، بل هو يعيش لهدف كبير، ولرسالة عظيمة، نذر نفسه لها، ووهب حياته وجهوده وقدراته لتحقيقها، لا يضن عليها بنفس ولا نفيس، ولا يبخل عليها بغال ولا خسيس، هي شغل نهاره، وحلم ليله، فيها يفكر، وبها يهيم، وإليها يسعى، عليها يحرص، ومن أجلها يحب ويبغض، ويصل ويقطع، ويسالم ويحارب، وهو الَّذي قال الله تعالى في مثله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وقال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

وأحسب أن من هؤلاء الَّذين باعوا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه: المهندس الموهوب، المجاهد الشهيد يحيى عياش، الَّذي نذر نفسه ومواهبه ووقته وجهده، وكل ما يملك لقضية كبيرة خطيرة، هي قضيَّة المسلمين الأولى، قضيَّة أرض النبوَّات الَّتي بارك الله فيها للعالمين، أرض الإسراء والمعراج، أرض المسجد الأقصى الَّذي بارك الله حوله.

نذر ذلك، وهو في ريعان الشباب، ومقتبل العمر، في السن الَّتي يلهو فيها اللاهون، ويعبث فيها العابثون، ولكن أخانا الحبيب يحيى كان

QaradawiBooks.com

أمامه مثل أخرى: مصعب بن عمير، وأسامة بن زيد، وأمثالهما من شباب هذه الأمة.

لقد سماه إخوانه «مهندس الأجيال»؛ لأنَّه استغل مواهبه وخبراته في الهندسة والتخطيط للعمليات البطولية الاستشهادية، ضد بطش الكيان الصهيوني وجبروته، تلك العمليات الَّتي أرقت على إسرائيل ليلها، وكدرت عليها نهارها، وجعلتها تبيت مفزعة، وتصحو قلقة خائفة، من أولئك الشباب الَّذين باعوا أرواحهم لله ولم يبالوا بما يصيبهم في سبيل الله، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

ولقد عرفت إسرائيل العقل المدبر وراء هذه العمليات، فجندت كل القوى العسكريَّة والماديَّة والتآمرية للانتقام منه، حتَّى استطاعت أن تنال ما تريد منه، ونال هو ما أراد أيضًا، فقد كان يريد الشهادة، ويعرف أنَّها مصيره اليوم أو غدًا، ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤ ـ ٦].

لقد كان يحيى من ذلك الصنف الَّذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، وهو كان غيظا لليهود في حياته، وكان وسيظل دمه نقمة عليهم بعد مماته.

في هذا الكتاب عن سيرة الشهيد يحيى عياش، وقصص بطولاته الفذة، نلمس أثر النشأة الصالحة، والهداية المبكرة، في صناعة يحيى الشاب المؤمن، ومن ثمَّ المجاهد الصلب، والمتطلع بإخلاص عز نظيره لإحدى الحسنيين، النصر أو الشهادة، حتَّى إنَّ المتابع لفصول بطولاته

QaradawiBooks.com

المتلاحقة يحس بوضوح أن يحيى بلغ من إيمانه بالله ﷻ، وتوكله عليه حدودا أدرك معها، أنَّ الله معه، وهو إن شاء الله ناصره ومعزه.

ونود أن نقــول للصهاينة القتلة: إن يحيى لم يمــت، إنَّه موجود في إخوان له، يسيرون على خطه، ويعملون لهدفه، كل منهم يحيى عياش إن شاء الله.

إنَّ المصنع الَّذي صنــع البطل يحيى، ما زال يصنــع الأبطال، وإنَّ المعهد الَّذي خرجه ما بــرح يخرج كرام الرجال. إنَّه الإســلام بعقيدته وشريعته وقيمه العليا، إنَّه الإســلام بقرآنه وسنته وسيرة رجاله الأطهار، الَّذين كلَّما غاب منهم كوكب طلع كوكب آخر أو أكثر.

إِذَا مَــاتَ مِنَّــا سَــيِّدٌ قَامَ سَــيِّدٌ قَؤُولٌ لِمَــا قَالَ الكِــرَامُ فَعُولُ[1]!

رحم الله شــهيدنا الحبيب يحيى، وتقبله في عباده المرضيين، ونصر الله إخوانه السائرين على دربه من بعده. آمين.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

(١) البيت بلفظ مشابه في ديوان الســموءل بن عاديا، انظر: ديوانه صنعة نفطويه صـ ٧٠، ٧٨، وانظر: الممتع في صنعة الشــعر لعبد الكريم النهشــلي صـ ٣٣٨، تحقيق د. محمد زغلول سلام، نشر منشأة المعارف، الإسكندرية.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «يوسف القرضاوي كلمات في تكريمه وبحوث في فكره وفقهه»[1]

ربنا لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

وأزكى صلواتك وتسليماتك على عبدك ورسولك، وصفوة خلقك، وأمينك على وحيك، وخاتم أنبيائك ورسلك، الَّذي أرسلته رحمة للعالمين، ونعمة للمؤمنين، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا مُحمَّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فماذا أستطيع أن أقول، وأنا أطالع هذا السفر الضخم، وأقرأ عناوين البحوث وأسماء الأعلام من العلماء والدعاة والمفكرين المسلمين في المشرق والمغرب الَّذين أسهموا فيه؟

إنَّ اللسان ليتلعثم، وإنَّ القلم ليتعثر، وإنَّ الفكر ليرتبك في هذا المقام، فيعجز اللسان عن التعبير، ويعجز القلم عن التصوير.

(١) نشر مركز بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر، الدوحة ٢٠٠٣م، ودار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إنَّ المقام هنا مقام الحمد والشكر:

الحمد والشكر أوَّلًا: لواهب النعم، ومانح العطايا، وصاحب الفضل كله: الَّذي أنعم وأعطى، وأتم وأسدى، ووفق وهدى، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، فلولا إيجاده وإمداده تعالى لم أكن شيئًا مذكورًا؛ فهو الَّذي جعل لهذا اليتيم الفقير الضعيف، ابن القرية والكُتَّاب: صوتًا مسموعًا، ولواء مرفوعًا، وحبًّا في القلوب، وذكرًا في المجالس، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

إنَّ فضل الله تعالى عليَّ، وإحسانه إليَّ، ونعمه الَّتي تغمرني من قرني إلى قدمي، لا أستطيع الوفاء بشكرها أو ببعضه، ولو سجدت على الجمر طوال عمري!

لَكَ الحَمدُ مَولَانَا عَلَى كُلِّ نِعمَةٍ وَمِن جُملَةِ النَّعمَاءِ قَولِي لَكَ الحَمدُ[1]

والشكر ثانيًا: لجامعة قطر عامَّة، وكلية الشريعة فيها خاصَّة، في عهد عميدها الابن البار والتلميذ النجيب والأخ الحبيب الأستاذ الدكتور علي مُحمَّد يوسف المحمدي، الَّذي تبنى الفكرة، وكون لها لجنة للتخطيط للموضوعات والبحوث، واستكتاب الأساتذة والعلماء والمفكرين، ليكتب كل فيما هو أخبر فيه، وأليق به، ومتابعة هذا الأمر؛ وعلى رأس هذه اللجنة الأخ المنتج المعطاء، الَّذي كلف بمهمات كثيرة فأنجزها وأحسنها، الأستاذ الدكتور جمال الدين عطية، فلهم جميعا مني أجزل الشكر، وأجمل التقدير، وأوفر الثناء، وأسأل الله تعالى أن يجزيهم عني خيرا.

(١) من شعر محمود الوراق، كما في الفاضل للمبرد صـ ٩٥، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٤٢١هـ.

QaradawiBooks.com

كما أشكر أخي وصديق عمري، العالم المحقق الأديب الأستاذ الدكتور عبد العظيم محمود الديب، الَّذي تفرغ لمراجعة الكتاب مقالة مقالة، وسطرا سطرا، برغم مشاغله العلميَّة الجمة، حتَّى خرج على هذه الصورة المشرقة.. وقد ساعده في ذلك أخي العالم الباحث الداعية الأستاذ الدكتور عدنان مُحمَّد زرزور، ولا أملك أن أوفي أيا منهما ما يستحق، وأدع ذلك لمن يجزي الجزاء الأوفى، ويعطي العطاء الجزيل، وهو الله تبارك تعالى.

والشكر ثالثا: لصديقي الوجيه المستنير معالي الشيخ خالد بن حمد آل ثاني، أحد رجالات قطر المعدودين، الَّذي تحمس لنشر الكتاب على نفقته، وتعميم النفع به، بمجرد أن عرض أحد الأصدقاء الفكرة عليه، بعد أن ظل الكتاب حبيسا نحو ست سنوات، حتَّى إن عددا ممَّن شاركوا فيه انتقلوا إلى جوار ربهم ﷻ، ولا نملك إلَّا أن نقول له: شكر الله لك وجزاك عن العلم والعلماء خير ما يجزي به عباده العاملين.

ثم الشكر رابعا: لإخوتي ورفقاء دربي من كبار علماء الأمة، ومفكريها، ودعاتها، الَّذين جمعوا بين العلم والعمل، وبين الفكر والحركة، وبين الدعوة والجهاد، والذين أسهموا بجهودهم في إصدار هذا السفر المتميز، والذين أحسنوا الظن بي، وطوَّقوا عنقي بما أضفوا علي من صفات وفضائل لا أحسب أنِّي أستحقها، وألبسوني ثوبًا فضفاضًا، يبدو أكبر من حجمي، وأنا والله أعرف النَّاس بنفسي، وأعلمهم بقدري، ولن يخدعني إطراء النَّاس لي عن رؤية عيوبي، والتعرف على

QaradawiBooks.com

نقائصي، وقد قال ابن عطاء الله في حكمه: «الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكن أنت ذامًّا لنفسك لما تستيقنه منها. أجهل النَّاس من يترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس»[١].

وأنا لا يسعني إلَّا أن أشكر لهم حسن ظنهم بأخيهم، وأدعو الله بما كان يدعو به الصحابة رضي الله عنهم، حين يمدحون، فيقول قائلهم: اللهمَّ لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا ممَّا يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون[٢].

على أنِّي أقول هنا ما قلته يوم تسلمت جائزة الملك فيصل العالميَّة في الدراسات الإسلاميَّة: إنِّي أعتبر هذه الجائزة ليست مجرد تكريم لشخصي، بل هي تكريم (لتيار الوسطيَّة الإسلاميَّة)، الَّذي أتبنى الدفاع عنه، والدعوة إليه، وهو المعبر بصدق عن ضمير الأمة ووجهها الإسلامي.

وأخيرًا، أدعو الله تعالى بما علمناه رسولنا ﷺ: «**اللهمَّ اجعل خيرَ عمري أواخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك**»[٣].

---

(١) حكم ابن عطاء الله شرح العارف بالله الشيخ زروق صـ ٢٧٩ ـ ٢٨١، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار الشعب، القاهرة، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٦٨٥٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٦١)، وصحَّح إسناده الألباني في الأدب المفرد (٥٨٩)، عن عدي بن أرطاة.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٩٤١١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٢١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٩٧٤): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أبو مالك النخعي، وهو ضعيف. عن أنس.

QaradawiBooks.com

وأختم، بالدعاء الَّذي علَّمه لنـــا القرآن: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة في ربيع الآخر١٤٢٣هـ

مايو ٢٠٠٢م

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

مقدمة «الخلافات السياسيَّة بين الصحابة»

للأستاذ مُحمَّد المختار الشنقيطي(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(وبعد)

فقد أهدى إليَّ الأخ الكريم مُحمَّد بن المختار الشنقيطي، الباحث في مركز القرضاوي بالدوحة، كتابه «الخلافات السياسيَّة بين الصحابة» رضي الله عنهم، وقد بقي عندي مدة لم يتح لي أن أقرأه، ثمَّ هيَّأ الله لي فرصة لقراءته، فأعجبت به وبمنهجه، ووجدت فيه رشدًا وبصيرة في تناول هذا الأمر الحساس بل الشائك، وعبرت له عن ذلك، فقال مبادرا: أرجو أن تضع رأيك في مقدمة جديدة للكتاب.

فقلت له: لقد حظي الكتاب بمقدمة رائعة لأخينا وصديقنا المفكر المسلم راشد الغنوشي!

فقال: ومقدمتك هي الثانية، وزيادة الخير خيران، ولا سيَّما أن بعض الإخوة هاجموني وهاجموا الكتاب بشدَّة.

(١) نشر الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

فاستجبت له، وقلت: أكتب له ثلاث صفحات أو أربعا. فإذا مجال القول يتسع لي، حتَّى بلغت هذا الحد من الصفحات، ولا ريب في أنَّ الموضوع يستحق، ومن شأنه أن تختلف فيه الأنظار، ولكل مجتهد نصيب، وإنَّما لكل امرئ ما نوى.

من هم الصحابة؟

وأبدأ هذه المقدمة بهذا السؤال الأولي: من هم الصحابة؟

هم ذلك الجيل المتميز الَّذي اختاره القدر الأعلى، ليتتلمذ في مدرسة مُحمَّد ﷺ، ويتلقى القرآن منه غضًّا طريًّا، وليأخذ هذا القرآن على أنَّه منهاج يتبع، فهو يتلقاه للتنفيذ والاتباع، لا لمجرد الاستماع، وقد تحمل هذا الجيل القرآني الفريد ـ كما سماه سيِّد قُطْب ـ عبء الدعوة إلى الله، وما تفرضه على أصحابها من معاناة، ومس البأساء والضراء والزلزلة، وما يوجبه ذلك من تحمل ضريبة الجهاد بالنفس والمال؛ فهم أحق النَّاس بوصف المؤمنين، الَّذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وهم الَّذين أثنى عليهم الله تعالى ثناء عامًّا عاطرًا في ختام سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

QaradawiBooks.com

وأثنى ثناءً خاصًّا على السابقين الأولين منهم من المهاجرين والأنصار، فقال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وتحدث عن المهاجرين والأنصار بصفة عامَّة، فقال تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

كما تحدثت سورة الحشر عن فضل المهاجرين والأنصار، بما يبين رفيع مكانتهم عند الله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨، ٩].

وتحدَّث القرآن عن الَّذين شاركوا في غزوة بدر، ونصرهم الله وهم أذلَّة، وآواهم وأيَّدهم بنصره، ورزقهم من الطيبات لعلهم يشكرون، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۞ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۞ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٣ ـ ١٢٧]، وقال النبي ﷺ لعمر حين ارتكب بعض البدريين

QaradawiBooks.com

خطيئة كبيرة، فقال: دعني أضرب عنقه، يا رسول الله، فقد نافق! فقال: «**إنَّه قد شهد بدرًا، وما يُدريك لعلَّ الله أن يكون قد اطَّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**»(١).

وتحدَّث القرآن عن أهل أحد، ومخالفتهم لوصية رسول الله ﷺ، وفرار بعضهم ممَّن حوله، فأعلن عفوه عنهم، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال في نفس السورة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وتحدَّث عن غزوة الأحزاب، فقال: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۞ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٢، ٢٣].

وتحدَّث عن أهل بيعة الرضوان، الَّذين بايعوا النبي الكريم على الموت في سبيل الإسلام، فقال ﷻ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

صحيح أنَّ الصحابة مراتب ومستويات في بذلهم وجهادهم، ولكن الله تعالى وسعهم جميعًا بفضله، فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، فما أعظم هذا الوعد من ربنا: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٠٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٤)، عن علي.

QaradawiBooks.com

هذا الجيل الرباني القرآني المحمدي العظيم، الَّذي لم تكتحل عين الدُّنْيا برؤية مثله في الإيمان والاستقامة والصبر على البلاء، والبذل والتضحية في سبيل الله، والزهد في الدُّنْيا من أجل الدين، والأخوة في الله، والإيمان بالله تعالى وبنصره للمؤمنين، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

ابتلاء هذا الجيل بالفتنة المفرقة:

هذا الجيل العظيم قدَّر الله له أن يبتلى بفتنة عظيمة، لبست عليه الأمور، وغبشت عليه الرؤية، وضاعت البينات، وغلبت الشبهات، ونازع باعث الهوى باعث الدين، فاختصم الأخوان، وتقاتل الفريقان، وسفكت دماء معصومة، لم يسفك مثلها ولا نصفها ولا عشرها، طوال الغزوات السبعة والعشرين في عهد الرسول ﷺ، ولا السرايا الَّتي نيفت على الخمسين: أكثر من سبعين ألفًا قتلوا في هذه الفتنة.

وكانت هذه المعارك والخلافات السياسيَّة، الَّتي قسمت الأمة لأول مرَّة، إلى فريقين يختصمان: سبب الفتنة لفريقين من الناس:

١ ـ فريق نفض يده من هؤلاء الصحابة، وأضاع جهادهم وجهودهم من أجل الإسلام، وما بذلوه مع رسول الله ﷺ، ونظر إليهم نظرة فيها كثير من سوء الظن، فلم يلتمس لهم عذرًا، ولم يعتبر عملهم نوعًا من الاجتهاد المشروع في متغيرات أمور الدُّنْيا، الَّتي صح فيها الحديث: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[1]. وأن من اجتهد في أمر دنياه ـ أو حتَّى في

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣)، عن أنس، وعائشة.

QaradawiBooks.com

أمر دينه ـ فأخطأ فلن يحرم من الأجر، بل وعده رسول الله ﷺ بأجر واحد: هو أجر التحري والاجتهاد، أمَّا من أصاب وأدرك الحق في اجتهاده، فله أجران.

ولا شك أنَّ الصحابة منهم من أخطأ كما أنَّ منهم من أصاب، بل منهم من بغى على إخوانه، ولهذا قال النبيُّ ﷺ لعمَّار: «**تقتلك الفئة الباغية**»[1].

أضف إلى ذلك: الَّذين يكرهون الصحابة بصفة عامَّة، ويضمرون لهم السوء، وينسبون إليهم كل شر ورذيلة، ويصفونهم بالردة والنفاق، بناء على نظريَّة عندهم، مخالفة لقواطع القرآن، وقواطع السُّنَّة، وقواطع التاريخ.

٢ ـ والفريق الثاني لا يرى أحدًا أخطأ من الصحابة، ويتولى الدفاع عنهم، مبررًا كل تصرفاتهم، ولو كانت مكشوفة الغلط، مع اتفاق جميع أهل السُّنَّة والجماعة، على أنَّ الصحابة ليسوا بمعصومين من الخطأ أو الخطيئة، فلا معصوم عند أهل السنة إلَّا رسول الله ﷺ، الَّذي قال الله في شأنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]. أمَّا الصحابة فهم موصوفون ـ عند أهل السنة ـ بـ(العدالة) الَّتي تعني: أنَّهم لا يكذبون على رسول الله ﷺ.

حاجة هذه الفترة الحرجة إلى كتابة جادة موثقة:

لهذا كانت هذه الفترة التاريخيَّة الحساسة ـ فترة الخلافات السياسيَّة بين الصحابة ـ في حاجة إلى أقلام جادة مؤمنة، متصفة بالعلم والعدل، لا بالجهل والظلم واتباع الهوى، تضعها على مشرحة التحليل والبحث الموضوعي والمنهج العلمي، والَّتي تستخرج الحقائق من بين ركام

(١) رواه البخاري في الصلاة (٤٤٧)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

الأباطيل الكثيرة الَّتي دخلت فيما يروى عن هذه الفترة في كتب التاريخ، وأن تحاكم الروايات إلى «منهج المحدثين» في التوثيق والتضعيف، أو التعديل والتجريح، وهو منهج علمي محكم، لا إلى منطق الأخباريين، الَّذين يجمعون السمين والغث، والجديد والرث، ولا إلى إرضاء العواطف الشعبية الموالية أو المعادية لهذا الفريق أو ذاك.

إنَّ إمامًا معروفًا بموسوعيته مثل ابن جرير الطبري ـ وهو إمام في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ ـ يروي في تاريخه الكبير عن الثقات، كما يروي عن الضعفاء والمتروكين والهالكين، وذوي الأهواء، مثل سيف بن عمر التميمي والواقدي وأبي مخنف وأمثالهم. وعذره أنَّه لا يروي في الأحكام، ولا في الحلال والحرام، فهو يروي كل ما يصل إليه، دون نقد أو تمحيص، مكتفيًا أنَّه يروي الوقائع بسندها، ومن أسند لك فقد حملك تبعة البحث عن السند.

ولكن في العصور المتأخرة والعصور الحديثة، لم يعد لذكر السند معنى، إذ كل ما يعني أستاذ التاريخ اليوم: أن يسند الواقعة إلى كتاب الطبري جزء كذا، صفحة كذا، طبعة كذا، وانتهى الأمر.

لهذا كان التعويل على منهج المحدثين هو الأولى، بل هو الواجب.

تصدي الشنقيطي لهذه المهمة الكبيرة:

وهو ما تصدى له بجدارة: ابننا النجيب، وأخونا الحبيب مُحمَّد بن المختار الشنقيطي، الباحث في «مركز القرضاوي للوسطية الإسلاميَّة والتجديد» في قطر، ولديه من الأدوات العقليَّة والعلميَّة والمنهجية ما يؤهله لذلك، من الوعي التاريخي، والمعرفة الإنسانيَّة، والحس

QaradawiBooks.com

النقدي، والعلم الشرعي، الَّذي ورثه من المدرسة الشنقيطية، الَّتي عرف العلماء في أنحاء العالم العربي والإسلامي فضلها في خدمة تراث الأمة.

هذا الشاب الَّذي دخل هذه المعركة العلميَّة قبل أن يبلغ الأربعين من عمره، وخاض بحرًا غرق فيه الكثيرون، وتهيب كثيرون الاقتراب منه، لما يرون من فرط حساسية الموضوع، واتصاله بعواطف العامَّة، والنظر إليه باستمرار أنَّه موضوع شائك، يحتاج من يدخل فيه إلى شجاعة أدبيَّة، وإلى علم متمكن، وإلى رأي حسن.

وهو ما دعا ابننا وأخانا الشنقيطي إلى كتابة هذه الرسالة، الَّتي يراها خفيفة الوزن، كثيفة المادة، والَّتي هي في خلاصتها دعوة إلى كتابة التاريخ الإسلامي بمنهج جديد، يمنح قدسية المبادئ رجحانًا على مكانة الأشخاص، مع الاعتراف بفضل السابقين ومكانتهم، في حدود ما تسمح به المبادئ، الَّتي استمدوا منها ذلك الفضل وتلك المكانة.

وقد اعتبر المؤلف رسالته هذه تنتمي إلى الفقه السياسي، أكثر ممَّا تنتمي إلى علم التاريخ، والواقع أنَّ لها صلة بكل منهما، أو قل: هي مزيج منهما. وربَّما يراها البعض أقرب إلى فقه التاريخ منها إلى فقه السياسة الشرعيَّة، على أن فقه التاريخ في تلك الفترة بالذات يقربها إلى فقه السياسة الشرعيَّة.

رأى بعض العلماء وجوب الإمساك عمَّا شجر بين الصحابة:

وقد رأى جماعة من العلماء وجوب الإمساك عما شجر بين الصحابة من خلاف، وما سفك بينهم من دماء، اعتمادا على ما روي في هذا. فقد روى الطبراني وابن عدي، عن ابن مسعود، عن النبيِّ ﷺ

QaradawiBooks.com

أنَّه قال: «**إذا ذُكِرَ أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكِرَتِ النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكِرَ القدرُ فأمسكوا**»(١).

ومن هنا سئل عمر بن عبد العزيز عن ذلك، فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها، فلا أحب أن أخضب لساني فيها(٢).

وسئل الإمام أحمد أيضًا، فقال: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: ١٣٤](٣).

فهؤلاء يقولون: إن موضوع الصحابة لا يجوز أن يكون مجالًا للقيل والقال، والبحث والنقد، لما لهم من فضل عند الأمة، ومكان ومكانة في القرآن والسُّنَّة، وقد أمرنا بالإمساك عنهم.

وأنا أفسر الإمساك هنا ـ كما فسره الكثيرون ـ بمعنى الإمساك عن سبهم والتطاول عليهم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تسبُّوا أصحابي**»(٤). فضلاً عن النهي عن السبِّ بصفة عامَّة.

ولهذا اتفق الَّذين كتبوا في العقائد من أهل السنة على أن نكف عما شجر بين الصحابة، ونحسن الظن بهم، ونكلهم إلى نياتهم، وقد أفضوا إلى ما قدموا، وتشفع لهم سوابقهم ومواقفهم في نصرة رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه الطبراني (١٩٨/١٠)، وحسَّن إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ ٣٩. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٨٥١): رواه الطبراني، وفيه مسهر بن عبد الملك، وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١١٤/٩).

(٣) رواه الخلال في السنة (٧٦٨)، تحقيق د. عطية الزهراني، نشر دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠) كلاهما في فضائل الصحابة، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

وإنَّما ضموا هذه المسألة إلى العقائد؛ لأنَّ الشيعة جعلوا ذم الصحابة وسبهم من صلب عقائدهم.

فالسب والتطاول على الصحابة الكرام محظور، ولكن البحث العلمي الموضوعي، والتحليل لهذه الأحداث، والحكم لها أو عليها بهدوء وموضوعية، وأخذ العبرة منها، دون تحيز لفريق على الآخر بغير بينة، ما أمكن ذلك: لا حرج فيه، مع استصحاب فضل الجميع، وكرامتهم عند الله جميعا، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

على أنَّ الحديث الَّذي يستدل به القائلون بوجوب الإمساك عما وقع بينهم من فتن، ليس متفقًا على صحته ولا حسنه، فمن أئمَّة الحديث من ضعَّفوه.

قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه مسهر بن عبد الملك، وثقه ابن حبان وغيره، وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح[(١)].

قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير: (الطبراني: عن ابن مسعود وعن ثوبان) الهاشمي مولى المصطفى ﷺ (ابن عدي عن عمر) قال الحافظ العراقي: في سنده ضعيف. وقال الهيثمي فيه: يزيد بن ربيعة ضعيف، وقال ابن رجب: روي من وجوه في أسانيدها كلها مقال. وبه يعرف ما في رمز المؤلف لحسنه تبعًا لابن صصرى ولعلَّه اعتضد[(٢)].

ولعلَّ هذا الاعتضاد هو الَّذي من أجله صحَّحه الألباني في الصحيحة برقم (٣٤)، وفي صحيح الجامع الصغير (٥٤٥).

(١) مجمع الزوائد (٢٠٢/٧).

(٢) انظر: فيض القدير (٣٤٧/١، ٣٤٨) حديث رقم (٦١٥).

QaradawiBooks.com

مواقف علماء السنة ممَّا وقع بين الصحابة:

وقد عرض الأستاذ الشنقيطي لمواقف أهل السنة من الإمساك أو الخوض فيما وقع من فتن بين الصحابة، وانتهى بها إلى خمسة مواقف أو مذاهب:

١ ـ «مذهب الممسكين عن الخوض في الخلافات مطلقًا، وهذا الَّذي عليه متكلمو أهل السنة، فهم أقل النَّاس خوضًا وكتابة في الموضوع، رغم ولعهم بالجدل وتشقيق الكلام في مواطن أخرى.

٢ ـ مذهب الداعين إلى الإمساك عنه، مع خوضهم فيه، كالذهبي في «تاريخ الإسلام» و«سير أعلام النبلاء»، وابن كثير في «البداية والنهاية». ويحمل خوضهم على أنَّه ترخص لغرض تعليمي، أو أنَّ المراد بالخوض عندهم هو ما كان على سبيل القدح والذم.

٣ ـ مذهب الخائضين في الخلاف مع التأويل لكل الأطراف بأن كلًّا منهما مجتهد مأجور، وهذا مذهب مشهور ذائع، اتبعته جماهير الأمة عبر القرون، خصوصًا غير المتمكنين من خلفيات الأحداث ومراميها.

٤ ـ مذهب الخائضين دون تأول، وقد اشتهر من أهله بعض علماء التابعين أمثال الحسن البصري، والربيع بن نافع وغيرهما... وهذا الَّذي أشار إليه شيخ الإسلام بقوله: «فائدة: ومما ينبغي أن يعلم أنَّه وإن كان المختار الإمساك عما شجر بين الصحابة والاستغفار للطائفتين جميعًا وموالاتهم، فليس من الواجب اعتقاد أن كل واحد من العسكر لم يكن إلَّا مجتهدًا متأولًا كالعلماء، بل فيهم المذنب والمسيء، وفيهم المقصر في الاجتهاد لنوع من الهوى. لكن إذا كانت السيئة في حسنات كثيرة كانت مرجوحة مغفورة»[1].

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٣٤).

QaradawiBooks.com

٥ ـ مذهب المغاليـــن في الدفاع، المنفعلين بـــردة الفعل، المتأولين للصحابة وغيـــر الصحابة، بحق وبغير حق. وهذا الَّذي أدعوه «التشـــيع السني». ويمثله ابن العربي وتلامذته المعاصرون.

وهذا المذهب الأخير هو الأعلى صوتا اليوم، والأقوى نبرة، لأسباب سياســيَّة ومذهبيَّة كثيرة ليس هذا مكان عرضها، كمـــا يغذيه جهل أبناء الأمة بدقائق تاريخها في هذا العصر.

أمَّا شيخ الإسلام ابن تيمية، فلم يلزم نفسه بمذهب مخصوص، بل خاض في الأمر عن دراية، وتـــأول ـ من غير تكلف فـــي الغالب ـ في مواطن، وانتقد نقـــدًا صريحًا في مواطن أخـــرى، وعرف للرجال حقهم وللحق حقه. وتجنـــب التعميم والتهويل، وحرص علـــى ألَّا ينصر حقًّا بباطل، أو يرد بدعة ببدعة... وكذلك فليكن مذهب الباحثين عن الحق».

وقد كان الباحـــث موفقًا في اعتماده على دراســـات ابن تيمية حول ما وقع بين الصحابة، فهو الرجل الَّذي درس هذه الفترة، برؤية تاريخيَّة شـــرعيَّة متوازنة، وقد تميز ابن تيمية بالقدرة علـــى التأصيل الباهر في الشـــرعيات، فلا عجب أن يكون ذلك في التاريخيات، وقد أيدته ثقافته الواسعة، بمدد لا ينضب في القدرة على التقويم والتصحيح، والاعتدال في الحكم على الأمـــور، وكان منطلقه في الدخول فـــي هذه المعامع: الدفاع عن الصحابة ـ وخصوصًا السابقين منهم ـ في مقابلة اتهامهم بما هم براء منه، وتجريدهم من كل فضيلة.

ولست مع أخي الشـــيخ راشد الغنوشـــي حيث انتقد المؤلف ـ في مقدمته للطبعة الأولى ـ في اعتماده على ابن تيمية وحده.

QaradawiBooks.com

ومع هذا، أخذ الباحث على ابن تيمية ملاحظات منهجية، حيث اتهمه بالتناقض أو التردد في مواقفه أحيانًا من بعض القضايا، ولا سيَّما موقف معاوية وطمعه في الخلافة، وأن معاوية مر بمراحل، فموقفه قبل الحكمين، غير موقفه بعد الحكمين، وأن معاوية لم يعلن طمعه في الخلافة إلَّا بعد موقعة الحكمين. وقد ناقشه الباحث في هذا التحليل، بأن معاوية كان يطمع في ذلك من أوَّل الأمر، معتمدًا على بعض الوقائع. وأنا معه في أن هذا كان في نفس معاوية، وربَّما كان يعد له مع بعض أصحابه كعمرو، ولكن لم يعلن ذلك على النَّاس إلَّا بعد اجتماع الحكمين، فكلام ابن تيمية في ذلك لا شائبة فيه. وقد جعل الباحث من قواعده: الحكم بالظواهر، والله يتولى السرائر.

وهذا لا يعني: أن ابن تيمية معصوم من الخطأ، فهذا ما لا يدعيه لنفسه، ولا ندعيه له، وقد خالفته في عدد من القضايا برغم إعجابي به، ولكن حسب كل عالم باحث في الشرع أو التاريخ: أن يجعل نيته الوصول إلى الحق، وأن يتخذ لذلك منهجًا سليمًا، وأن يجتهد في ذلك ما استطاع، ولا يبعده عن العدل حب ولا بغض، وأن يدعو الله بدعاء الرسول الكريم: «**اهدني لما اختلف فيه من الحقِّ بإذنك، إنَّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[1].

لقد وضع أخونا اثنتين وعشرين قاعدة علميَّة، استنبطها من قراءته الواسعة، ودراسته المستفيضة للموضوع من جميع جوانبه، ومن تأملاته العميقة، ومن موازناته المحايدة، بين مختلف المواقف،

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧٠)، وأحمد (٢٥٢٢٥)، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومختلف الآراء والأحكام، مستفيدا ممَّا كتبه الراسخون في العلم من أئمَّة الأمة، الَّذين تميزوا بالاعتدال، وجمعوا بين صحيح المنقول، وصريح المعقول، وبخاصَّة شيخ الإسلام ابن تيمية الَّذي أكثر النقل عنه، والتعويل عليه، وهو محق في ذلك، وإن كان قد أبدى بعض الملاحظات القليلة عليه، وليس في العلم كبير، وهو على كل حال بشر غير معصوم.

لقد أولى ابن تيمية لهذه القضيَّة عناية كبيرة، في بحوثه ورسائله وفتاواه، كما يظهر ذلك في «مجموع الفتاوى»، الَّتي بلغت خمسة وثلاثين مجلدًا، كما تناوله بسعة وعمق في كتابه «منهاج السنة»، وهو يرد على الباحث الشيعي، الَّذي تناول الصحابة في كتابه «منهاج الكرامة» بما لا يليق.

ولم يتميز ابن تيمية بكثرة أو سعة ما كتبه فقط، بل بنوعيته وإتقانه، فقد استطاع أن يحافظ على فضل الأصحاب ومنزلتهم، وعلى قدسية الرسالة والمبادئ والقيم، الَّتي جاءت بها.

بالإضافة إلى ذلك ـ كما يقول الشنقيطي ـ أن كثيرًا ممَّن ينتسبون إلى مدرسة شيخ الإسلام ـ في هذه الأيام ـ ويعلنون تبني منهجه في هذا الشأن، لم يدرسوا ما كتبه في هذا الأمر دراسة استقرائية مستوعبة، ولم يدركوا خاصية الاتزان والاعتدال الَّتي اتسم بها منهجه. فاشتط بعضهم في مجادلاته مع الشيعة، ودافعوا عن الحق بباطل حينا، وقدَّموا صورة شوهاء للمبادئ السياسيَّة الإسلاميَّة أحيانا، حرصًا منهم على الدفاع عن أشخاص الصحب الكرام.

QaradawiBooks.com

وإنَّ شيخ الإسلام نفسه حذر من هذا الأسلوب في المناظرة، وانتقد الَّذين استفزتهم الخصومة مع الشيعة (فقابلوا باطلًا بباطل، وردوا بدعة ببدعة)[١]، وأدرك مخاطر هذا المنهج على الحق وأهله، من خلال متابعاته للجدل الدائر بين المسلمين وأهل الكتاب، فقال: «إن أهل الكتاب لبسوا الحق بالباطل بسبب الحق اليسير، الَّذي معهم... وكثيرًا ما يعارضهم من أهل الإسلام من لا يحسن التمييز بين الحق والباطل، ولا يقيم الحجة الَّتي تدحض باطلهم، ولا يبين حجة الله الَّتي أقامها برسله، فيحصل بسبب ذلك فتنة»[٢].

وإن ابن تيمية ميز بين الخلافة والملك بوضوح لم يسبقه إليه أحد، وأعلن أن «خبره ﷺ بانقضاء خلافة النبوة فيه الذم للملك والعيب له»[٣] وأنَّ الملك «متضمن ترك بعض الدين الواجب»[٤]، ورفض تفسير الاستخلاف الَّذي وقع من أبي بكر وعمر بما يخدم فكرة توريث السلطة... وذلك هو الفصل بين المبدأ والشخص، وبين الوحي والتاريخ.

وقد يختلف بعض النَّاس مع ابن تيمية في بعض قضايا العقائد، كالذين يجيزون التأويل في آيات الصفات وأحاديث الصفات، أو الَّذين يجيزون التوسل بالرسول والصالحين، أو الَّذين يوجبون التقليد للمذاهب، ولا يجيزون الخروج عنها لعالم أو غيره، ولكنَّهم في هذه القضيَّة العلميَّة القائمة على المنهجية والموضوعية والإنصاف، لا يسوغ لهم دينيًّا ولا أخلاقيًّا إلَّا أن يكونوا معه.

(١) مجموع الفتاوى (٥١٣/٤).
(٢) المصدر السابق (١٩٠/٣٥).
(٣) المصدر السابق (٢١/٣٥).
(٤) المصدر السابق (٢٤/٣٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قواعد الشنقيطي الاثنتان والعشرون:

فقد قرأت القواعد الَّتي استخرجها أخونا الشنقيطي من دراسات ابن تيمية وغيره، وكنت في الحقيقة أستمتع بقراءتها، وأدعو له بدوام التوفيق، فلا يستطيع أحد ذو علم وإنصاف أن يرى حذف قاعدة من هذه القواعد، بل هي أصابت المحز، وهي ثمرة قراءة مبصرة، ورؤية شاملة، وفكرة متوازنة، وضمير حي، يرى المعروف معروفًا، والمنكر منكرًا.

قواعد أربع أقترح إضافتها:

وإنِّي لمعجب بالقواعد المنهجية الَّتي التزم بها المؤلف في دراسته، وكانت له منارات هادية، لسلوك المنهج الوسط، الَّذي لا وكس فيه ولا شطط.

ولكنِّي كنت أحب أن يضيف إلى هذه القواعد قواعد أربعا أخرى، أراها مكملة لقواعده.

خيرية القرون الأولى:

القاعدة الأولى: الإيمان بخيرية القرون الثلاثة الأولى، الَّتي صحت بها الأحاديث واستفاضت، والَّتي أثبتت وقائع التاريخ الصحيح: أنَّها هي الَّتي قامت بعبء الفتوحات الإسلاميَّة، الَّتي كانت فتوح عدل ورحمة، ولم تكن فتوح قهر واستعمار، والَّتي أدخلت الأمم في الإسلام، من الصين والهند شرقًا، إلى الأندلس غربًا.

وقد التزم الأستاذ الشنقيطي بمنهج المحدثين في التوثيق والتضعيف، فعليه أن يلتزم بصحاح الأحاديث في خيرية هذه القرون، وهي تشمل عصر الراشدين وعصر بني أمية بصفة عامَّة. وهذا مهم في تقويم عهد بني أمية عامَّة، وعهد مؤسسها خاصَّة.

QaradawiBooks.com

الأمة الإسلاميَّة ليست هي الحكام فقط:

القاعدة الثانية: اعتبار «الأمة الإسلاميَّة» هي الجماهير والشعوب المسلمة، والحكام هم جزء من الأمة، وليسوا كل الأمة، وعيب «علم التاريخ» المدون: أنَّه يركز على الأمراء والحكام، وعلى الجانب السياسي، ولا يركز على الأمة في مجموعها، فقد ينحرف الحكام ويستبدون بالأمر، ولكن يبقى هذا محصورًا في حدود قصر الحاكم، وفي دائرة حاشيته ومن حوله، ولكن سائر الأمة بخير، ولم يكن للحكام في ذلك الزمان سلطان على التعليم والقضاء وسلوك الناس، بل كان سلطان العلماء في ذلك هو الأقوى، وسيطرة الدولة على كل مقدرات الشعوب من خصائص هذا العصر، كما قال الفيلسوف البريطاني الوضعي (برتراند راسل) بحق.

وقد أنصف علم تاريخ الأشخاص عندنا، حين لم يكتف بالترجمة للملوك والقواد العسكريين وحدهم، بل ترجم للعلماء من كل التخصصات، وللزهاد والصلحاء، وللأدباء والشعراء، والحكماء، والأطباء، وسائر الفئات والطبقات.

الإسلام هو المرجع الأعلى للأُمَّة:

القاعدة الثالثة: التأكيد على أنَّ الإسلام ظل هو المرجع الأعلى، والموجه الأوَّل للأمة كلها في هذه العصور، لا في عصور الصحابة والتابعين فحسب، بل فيما بعدها، والقول بأنَّ الإسلام قد غاب عن التشريع، وعن التوجيه بعد الخلفاء الراشدين، أو بعد عمر كما قيل، ليس بصحيح، فلم يكن هناك للأمة مرجع غير الإسلام، ولم يكن قانون

QaradawiBooks.com

غير شريعة الإسلام، يحكم به القضاة في كل مكان، ولم يكن التعليم إلَّا تحت سلطان علماء الإسلام، ولم تكن جماهير الأمة ترجع في شؤونها إلَّا إلى علماء الأمة.

والقول بانتهاء عهد «الخلافة»، وابتداء عهد «الملك» بمعاوية، لا يعني اختفاء الإسلام، ولا انطفاء جذوته.

وقد ألفت كتابي «تاريخنا المفترى عليه» ردًّا على سؤال كبير وجه إلي كما يوجه إلى غيري، وهو: هل انتهى الإسلام بوصفه شريعة، ومنهج أمة، ونظام للحياة، بعد عصر الخلفاء الراشدين؟ والجواب بالنفي قطعا، كما دللت عليه في الكتاب

تقييم الأحداث في إطارها الزمني:

القاعدة الرابعة: أن تقوم الأحداث أو تقيم في إطارها الزمني، الَّذي وقعت فيه، وفق ضوابطه ومعاييره السائدة في ذلك الوقت، ولا نقيمها بمعايير زماننا، فنجور على الحقيقة، ونضخم ما قد يكون صغيرًا في وقته، أو نهون ما يكون عظيمًا في وقته.

فإذا نظرنا إلى قضيَّة كقضية «الاستبداد» بمقاييس عصرنا، الَّذي انتشرت فيه فكرة «الديمقراطية»، وثورة الشعوب على الحكم المطلق، وانتزاع الشعوب حقها في اختيار حكامها وممثليها، اعتبرنا الاستبداد جريمة كبرى.

ولكن بمقياس العالم في تلك الأعصار، كان الغالب على حكام العالم هو القهر والاستبداد، بل البغي والتجبر والاستكبار في الأرض بغير الحق.

فلو نظرنا إلى معاوية بن أبي سفيان بمقياس حكام عصره، لوجدته

QaradawiBooks.com

من أعدل الحكام، حتَّى قال ابن خلدون: كان ينبغي أن يلحق معاوية بالخلفاء الراشدين لفضل صحبته وحسن سيرته.

ولكنا لو قسناه إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فإن ميزانه سيخف، ولهذا جعله ابن تيمية أفضل وأعدل ممَّن بعده من الملوك، وينبغي أن يستثنى من ذلك عمر بن عبد العزيز، فقد عدوه خامس الراشدين.

وهذه القاعدة قريبة من قاعدة «الأخذ بالنسبية الزمانية»، وإن لم تكن إياها.

انتقاد الإمام ابن العربي:

ولقد أعجبتني شجاعة المؤلف، حين انتقد الكبار من المتقدمين، ومن المحدثين، فانتقد الإمام العلَّامة أبا بكر بن العربي، على ما ورد في كتابه «العواصم من القواصم» في الفصل الَّذي عقده، فيما شجر بين الصحابة.

والحقُّ أنِّي من المعجبين بابن العربي لما يتميَّز به من القوَّة، والصراحة في اجتهاده وإبداء رأيه، في الأحكام والمسائل، فلا يبالي أن يعلن برأيه وإن صدم الآخرين، وقد رد أحاديث يقبلها غيره، واختار آراء تخالف مذهبه المالكي، كما رجح رأي أبي حنيفة في إيجاب الزكاة في كل ما أخرجت الأرض، فقال: وهو يفسر آية الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]. قال: وأمَّا أبو حنيفة فجعل الآية مرآته فأبصر الحق[١].

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/٢٨٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولكن المؤلف انتقده فيما أورده في كتابه «العواصم»، الَّذي علق حواشيه العلَّامة محب الدين الخطيب، وقد انتقد الشنقيطي منهج المؤلف والمعلق، واشتد عليهما في بعض الأحيان، فوقع فيما انتقده. وهو شأن البشر.

فقد أورد المؤلف قواعده العلميَّة الَّتي وضحت لنا منهجه الَّذي اختاره، معتمدًا على ابن تيمية ونقاد المحدثين، وأسس عليه رؤيته ورأيه، ثمَّ أدار حوارات مع من سماهم «مدرسة التشيع السني» الَّتي يعبر عنها القاضي ابن العربي، وتلاميذه المعاصرين «محب الدين الخطيب ومن وافقه».

بين الشنقيطي المآخذ المنهجية على ابن العربي، وحددها في ثمانية:

١ ـ السطوة والشدَّة.

٢ ـ التحامل على المخالفين.

٣ ـ التسرُّع في ردِّ الأحاديث الصحيحة.

٤ ـ التكلُّف والتعسُّف في إثبات الرأي الموافق، ونفي الرأي المخالف.

٥ ـ الإطلاق في نفي الأدلَّة الَّتي لم تصل إليه، أو إلى بلده.

٦ ـ التهويل والمبالغة.

٧ ـ نقل الإجماع في الأمور الخلافية.

٨ ـ حدة الطبع.

ورأيي أنَّ المأخذ الأوَّل: (السطوة والشدَّة)، والمأخذ الأخير (حدة الطبع) لا تدخل في المآخذ المنهجية، ولكن في الصفات النفسيَّة، وإن كان لها تأثيرها على المنهج.

QaradawiBooks.com

وقد ساق المؤلف أدلة على هذه المآخذ، قد لا يخلو بعضها من ملاحظات عليه.

كما ناقش المؤلف المعلق على الكتاب العلَّامة المحقق محب الدين الخطيب، الَّذي شغل بالدفاع عن الصحابة ﷺ، وكتب عن «الرعيل الأول» وأعطاهم حقهم، وعن «حملة رسالة الإسلام الأولون» وأنصفهم، ولكن مؤلفنا ناقشه في مبالغاته في الدفاع، حتَّى يمكن أن يدخل فيمن قال عنهم ابن تيمية: دفعوا بدعة ببدعة! وأبعد عن الموضوعية منه، من خرج أحاديث كتبه، وهو الشيخ مُحمَّد مهدي الإسلامبولي.

وأذكر أن شيخنا الداعية الإسلامي الكبير الشيخ مُحمَّد الغزالي، شارك في هذه المعركة حين انتقد الخطيب في تبنيه لرأي ابن العربي في أن أهل الحَلِّ والعَقْد يمكن أن يتمثلوا في شخص واحد، ورد السيِّد محب الدين على الشيخ الغزالي بأن هذا حكم شرعي، كيف للغزالي أن يرده؟ ورد الغزالي بقوله: من قال: إن هذا حكم شرعي؟!

كما نبَّه الباحث على ملاحظات على كتاب العواصم صنفها على ثلاثة أقسام: أحكام على النصوص، وأحكام على الوقائع، وأحكام على الأشخاص.

هذا مع أنَّ الباحث أنصف ابن العربي حين يتحدث بعقليَّة القاضي.

انتقادات الغضبان على الشنقيطي:

هذا، وقد قرأت بسرعة ما كتبه الأخ الباحث الداعية المربِّي د. منير الغضبان، من «جولات نقديَّة» حول كتاب الشنقيطي، ومع حُبِّي واحترامي للغضبان، وجدت منطق الأخ الشنقيطي أقرب إلى الاعتدال

QaradawiBooks.com

والموضوعيَّة، وربَّما كان مصيبًا في بعض ما أخذه عليه في بعض الأمثلة الَّتي أوردها واستدل بها، ولكنَّه لم ينازع في صحَّة أي قاعدة من قواعده.

وقد لاحظت أنَّ كثيرًا من إخواننا من أهل الشام كأنَّما توارثوا الدفاع عن بني أميـة، خلفًا عن سـلف، ولو كان ذلك بشـيء مـن التكلف والاعتسـاف، حتَّى إنَّ الدكتور الغضبان «غضب» على الإمام ابن تيمية، ووصفه بأنَّه غير أهل للحكم في هذه القضايـا التاريخيَّة! لأنَّه من أهل الفقه، وليس من أهل الحديث والتاريخ. ولا أدري إذا لم يكن ابن تيمية من أهل الحديث، فمن يكون مـن أهل الحديث؟ وقد قالوا: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث! وأهل الحديـث في عالمنا اليوم هم أتباع ابن تيمية!

صحيح أن ابن تيمية لم يؤلف كتابًا في التاريخ كما ألَّف الذهبي أو ابن كثير أو ابن حجر؛ لأنَّه كان مشـغولًا بتصحيـح العقائد والمفاهيم، ورد الأباطيل على كل صعيد، فلم يكن من أهل الفقه فقط، بل هو رجل موسوعي بكل معنى الكلمة.

ومما آخذه على الدكتور الغضبان: أنَّه خالف الأسـتاذ الشنقيطي في تحميله معاوية وبني أمية تحويل الخلافة الراشـدة إلي ملك عضوض، حين أسـس لنظام الوراثة، بأخذ البيعة لابنه يزيد بالترغيب والترهيب، مع أن في الأمة من الصحابة، مثل ابن عمر وابن الزبير، فهو يتحمل وزر هذا الأمر.

ولكن الغضبان قال: هذا اجتهاد خاطـئ ليس إلَّا! يريد أن يبرئه من تبعة هذا الأمر العظيم، الَّذي ألغى الخلافة الراشـدة والشورى، وجعلها كسروية أو قيصرية، فلم يحمله أيّ مسؤوليَّة في هذا، بل جعله من باب

QaradawiBooks.com

الاجتهاد الخاطئ أي أنَّــه مأجور أجرًا واحدًا على هذا العمل الســيئ، الَّذي خرَّب النظام السياسي للأمة، وجر عليها ما جر من آثار، لا زالت تعاني من ويلاتها إلى اليوم.

لقد ألَّفت كتابًا أدافع فيه عن تاريخنا الإســلامي، وسميته «تاريخنا المفترى عليه»، رددت فيه على الَّذين ضخمــوا ما وقع في تاريخنا من فتن وصراعات، فشوَّهوا الوقائع، وشوَّهوا الأشخاص، وشوَّهوا البواعث، واعتبروا الإسلام انتهى بعد عصر الراشدين، أو بعد عصر عمر. بل هناك من اعتبر الإسلام انتهى بموت الرسول ﷺ. حتَّى اتهمني من اتهمني أنِّي أدافع عن بني أمية، أو وكيل بني أمية! والحقيقــة أنِّي أدافع عن تاريخ أمة، وعن قرونها الخيرة، ولا أدافع عن خطأ أو خطيئة، وقع فيها معاوية، أو عمرو بن العاص، أو مروان بن الحكم، أو من هم أفضل منهم. ومع هذا لا ألغي ما لهم من تاريخ بســبب هذه الهفوات أو الذنوب، صغرت أم كبرت، وأعتقد أن هــذا كان منهج ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ونحن قد أمرنا أن نكون قوامين بالقسط شهداء لله، ولو على أنفسنا أو الوالدين والأقربين، وألا يجرمنا شــنآن قوم على ألا نعدل، ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

الدوحة في ذي الحجة ١٤٣١هـ

الموافق نوفمبر ٢٠١٠م

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة «الوفاء بأعلام النساء»

للدكتور أكرم الندوي[1]

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الَّذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، مُحمَّد وآله وصحبه أئمَّة الهدى، ومصابيح الدجى، ومن بهم اقتدى فاهتدى.

(أمَّا بعد)

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّما النساءُ شقائقُ الرجال**»[2].

فقد طلب مني الأخ الكريم، والباحث المدقق الشيخ الدكتور مُحمَّد أكرم الندوي، أن أنظر في موسوعته الضخمة، الَّتي سماها: «الوفاء في أسماء النساء»، على غرار «الكمال في أسماء الرجال» للإمام عبد الغني المقدسي (ت٦٠٠هـ). ورجاني أن أكتب لكتابه العلمي الكبير مقدمة تعرف بعمله الكبير، وإنجازه المتميز لهذه الموسوعة العلميَّة.

---

(١) نشر دار المنهاج، ودار طوق النجاة.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٨٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد استجبت لطلب أخينا العزيز الفاضل، رغم كثرة الأعباء الكثيرة، الَّتي تنوء بالعصبة أولي القوَّة، والمتطلبات اليومية الَّتي تلتهم الأوقات، وتتطلب عمرًا إضافيا للإنسان.

وإنَّما الَّذي دعاني للإسراع بتلبية طلبه، وكتابة هذه الكلمات: حقه عليَّ في التعريف بالجهد الكبير الَّذي بذله في إخراج موسوعته الشاملة، ودراسته التاريخيَّة المستوعبة، وهو يشمل التعريف بالمؤلِّف والمؤلَّف.

حبي للندويين وصلتي بأبي الحسن:

لا أنكر أنِّي أحب (الندويين) من كل قلبي، منذ رأيت ممثلهم في مصر لأول مرَّة، وأنا طالب بكلية أصول الدين سنة ١٩٥٠م، وكان ممثلهم في ذلك الوقت هو الشاب النابه، الَّذي لفت الأنظار، وسحر النَّاس بفصاحة لسانه، ونصاعة بيانه ـ وهو هندي ـ وبرسائله الجديدة في مضمونها، وفي أسلوبها، وبمحاضراته الَّتي ألقاها في القاهرة وضواحيها، ثمَّ في عدد من المدن والمحافظات في الأقاليم، ومنها مدينة المحلة الكبرى، الَّتي كنت أخطب في أحد مساجدها في ذلك الوقت.

هذا الشاب هو الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، الَّذي صار بعد ذلك شيخ الإسلام في عصره، وشيخ الهند، وشيخ ندوة العلماء، ورئيسها.

ولندوة العلماء ومديرها فضيلة الشيخ أبي الحسن الندوي مكانة كبيرة في نفسي، ومنزلة عظيمة، وصلتي بالشيخ وندوته وتلاميذه صلة وثيقة ممتدة، ومحبة راسخة متبادلة.

وازدادت صلتي توثقًا بالندوة حين زرتها عدة مرَّات في مقرها في لكهنو، وعرفت رسالتها الَّتي اضطلعت بها، وهي الجمع بين القديم النافع

QaradawiBooks.com

والجديد الصالح، وبين العلم الواسع والإيمان الصادق، والمحافظة على ثبات الأهداف وتغير الوسائل، وأن تأخذ من التراث ما صفا وتدع ما كدر. وهو ما ربوا عليه تلاميذهم وخريجيهم، وهم يجمعون في مناهجهم بين العلم والدعوة والتربية، وشيوخهم خير أسوة لتلاميذهم ومريديهم.

تعرفي على الأخ أكرم الندوي:

في ندوة العلماء، وفي جامعتها المتميزة «دار العلوم»، تعرفت على الطالب النابه المجدِّ (محمد أكرم النـدوي)، ورأيت إقباله على العلم، وحبه للعلماء، في زيارتي لندوة العلماء سـنة ١٩٨٠م، وقد دعاني شيخنا الندوي أسـتاذًا زائرًا، فأقمت نحو أسـبوعين، ألقي المحاضرات حول مواضيع متنوعة في علوم الشريعة، وكان الأخ مُحمَّد أكرم آنذاك طالبًا، فكان من خيـرة الطلاب الَّذين عرفتهم، ثمَّ لمـا تخرج أصبح من خيرة العلماء والباحثيـن الَّذين رأيت بعيني مسـيرتهم، وقد قدر لي أن أكون عضوًا بمجلس أمناء مركز أكسـفورد للدراسات الإسـلاميَّة، الَّذي كان يعمل به، فكنت ألتقي به في مناسبات شتَّى، وأسأل عنه، وأجده مشغولًا أبدًا بموضوعات علميَّة يعمل فيها، أو يعدلها.

الثبت الَّذي صنعه لي وسمَّاه «كفاية الراوي»:

وقد قام الأخ الكريم بصنع ثبت لي، إحياء لسنة علميَّة، في الرواية والإجازة، وسماه: «كفاية الراوي عن العلَّامة الشيخ القرضاوي».

واقتصر فيه على شـيخين أروي عنهمـا: الأوَّل: السـيِّد أحمد بن الصديق، الَّذي لقيتـه في القاهـرة، عندما زرته بصحبة شـيخنا البهي الخولي، وقدم لي ثبته «المعجم الوجيز»، وأجازني دون طلب مني.

QaradawiBooks.com

ثم طلبت الإجازة من أخينا الكبير العلَّامة المحدث المحقق الشيخ عبد الفتَّاح أبو غُدَّة رحمه الله، عندما طلبته أستاذًا زائرًا لمركز بحوث السُّنَّة والسيرة، في جامعة قطر، الَّذي كنت أرأسه، وقد طلبت منه الإجازة، وبعد إلحاح مني كتب لي إجازته[1].

وقد طلبت بعد ذلك إجازة من الأخ المحدث العلَّامة المحقق الشيخ مُحمَّد عوامة، فأبى في أوَّل الأمر أيضًا، ثمَّ تكرَّم بإجازتي حفظه الله.

وقد كثر من طلبة العلم استجازتي، فأجزت الكثير منهم، حرصًا على إحياء سنة الرواية، وإن كان ذلك لا يغني عن القراءة والسماع، والاجتهاد في الطلب، والحرص على دراسة علوم الحديث، والتمرس بتخريج الأحاديث، والحكم على الأسانيد، وأهم من ذلك كله حسن فهم الحديث والتفقه فيه، وهو ما عالجناه في كتابنا «كيف نتعامل مع السنة؟».

قراءة الأخ أكرم علي وتوسمي فيه:

وقد توسمت في الأخ أكرم منذ لقائي به، النباهة والجد والعطاء العلمي المرتقب، وتكررت لقاءاتي معه أثناء زيارتي للندن كلَّما زرت مركز أكسفورد للدراسات الإسلاميَّة.

فقرأ علي في زيارتي لأكسفورد فصلًا من كتابي: «الفتوى بين الانضباط والتسيب»، في سنة ١٤١٦هـ، وكتبت له الكلمات التالية:

(١) وقد ذكرتُ زيارة فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة لقطر، وألحقتُ صورة عن الإجازة في آخره بخطه في ذكرياتي. انظر: ابن القرية والكتاب (٥٨٧/٤ ـ ٥٩١)، نشر مكتبة الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.

QaradawiBooks.com

«الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه، أمَّا بعد،

فقد سعدت بزيارة الابن النجيب، والأخ الحبيب، الشيخ مُحمَّد أكرم الندوي، في فندق (راين دولف) في مدينة أوكسفورد، في اجتماع مجلس أمناء مركز أوكسفورد للدراسات الإسلاميَّة، وقد قرأ عليَّ فصلًا من كتابي (الفتوى بين الانضباط والتسيب)، وكانت قراءته في غاية الجودة، وأداؤه بالعربيَّة في غاية السلامة، وهو هندي أعجمي، ولكن هذا ليس بغريب على خريج ندوة العلماء، الَّتي أسَّسها علماء كبار مجددون، حتَّى انتهت إلى العلَّامة الداعية الكبير الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي.

وإنِّي لألمح في هذا الشاب البحاثة المتألق عالمًا متمكنًا، يملك أدوات العلم ومفاتيحه، ويملك القريحة والموهبة الَّتي تؤهله؛ لأن يكون له مكان بين أهل الدعوة والفقه، وأن يدعم تيار الوسطيَّة الإسلاميَّة، الَّذي هو المعبر بحق عن وسطية الأمة، ووسطية الإسلام، وخصوصًا مع رغبته الصادقة في التعلم والازدياد من العلم والانتفاع بالعلماء حيثما كانوا.

أسأل الله تعالى أن يبارك فيه وينفع به، ويجعله من الَّذين يتعلمون فيعلمون، ويعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيقبلون. اللهمَّ آمين.

وصلى الله على سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلم» اهـ.

وعندما زرت مركز أكسفورد في الحادي عشر من جمادى الأولى ١٤٢١هـ قرأ عليَّ جزءًا من مقدمة كتابي «المنتقى من الترغيب والترهيب للإمام المنذري»، وكتبت له إجازة في الحديث الشريف وعلومه، والفقه، وأصوله، وقواعده وسائر علوم الشريعة.

QaradawiBooks.com

اهتمامه بموسوعة النساء المحدثات:

وكان ممَّا حدثني به من قديم: اهتمامه بإخراج موسوعة عن «النساء المحدثات» في تراثنا الإسلامي القديم والحديث انصرف إليها، وعكف على تأليفها أكثر من عشر سنوات.

والحقيقة أنِّي شجعته على الاستمرار في هذا الاتجاه، لاعتقاد الأكثرين أنَّ المرأة في تاريخنا لم تكن إلَّا ربة بيت، ومنجبة أولاد، ولم يكن لها عناية بالعلم، وكان هذا ظلمًا وحكمًا قاسيًا على المرأة، لا يقوم على استقراء ولا بينة. وكنا من قراءتنا السريعة لعلوم التراث تطالعنا أسماء كثيرة لنساء كان لهنَّ إسهام مشكور في العلوم الشرعيَّة الإسلاميَّة، ولا سيَّما الحديث وعلومه، فكان من الضروري على العلماء والباحثين: أن يصححوا هذا الاعتقاد السائد، ويبرزوا دور المرأة على حقيقته، وأخونا الدكتور أكرم منهم، بل في طليعتهم.

جهده الكبير في إخراج الموسوعة:

ولقد أجهد أكرم نفسه، ورجع إلى المصادر المختلفة، في العصور الإسلاميَّة القديمة والحديثة، ليخرج لنا بهذا الجم الغفير، والعدد الهائل، من النسوة المسلمات، المشتغلات بعلم الحديث، والَّذي يمكن إصداره في خمسين مجلدًا.

وفي آخر زيارة له إلى قطر، حضر إلى مكتبي في الدوحة، بصحبة أخينا الشيخ مجد مكي، وأحضر معه مجلدا من كتابه، فيه المقدمة، وعدة نماذج من التراجم النسائية، وسمعت منه ما بذله من جهد في جمع الكتاب، وتحرير مادته العلميَّة الواسعة.

QaradawiBooks.com

وقد نظرت في عدد من التراجم الَّتي أوردها، كما نظرت في المقدمة الواسعة الَّتي كتبها، ووجدت أن عمله يعد بحق موسوعة شاملة، ترجم فيه للنساء المسلمات اللاتي عنين بالحديث النبوي الشريف سماعًا وقراءة، وإسماعًا ورواية، أو استجازة أو إجازة، منذ العهد النبوي إلى يومنا هذا.

وقد التقط تراجمه من كتب أسماء الرجال، والمشيخات، وأثبات العلماء، وفهارسهم، ومعاجم الشيوخ، والسماعات، المطبوعات منها والمخطوطات، والمحفوظات في بطون الكتب وصدور الرجال.

ترتيب الكتاب وصياغة الترجمة:

وقد رتب الكتاب على الطبقات: وبدأ بأهل بيت النبي ﷺ، وهن أزواجه أمهات المؤمنين، وبناته رضي الله عنهن، ثمَّ سائر الصحابيات، ثمَّ التابعيات، ثمَّ سائر نساء القرن الثاني، ثمَّ قسمه إلى القرون: نساء القرن الثالث، والقرن الرابع، إلى نساء قرننا الخامس عشر، مع ذكر للمؤلفات الحديثيَّة وطريقة روايتها وتداولها بين العلماء.

وتشتمل الترجمة على اسم صاحبة الترجمة، ونسبها، ومولدها، وشيوخها، ورحلاتها، ومن أخذ عنها، وحياتها العائلية، وتلاميذها، وتفاصيل روايتها، ووفاتها، مع الإحالة على مصادرها مفصلة.

وقد احتوى الكتاب على معلومات متنوعة، وأخبار ممتعة، وأظهر دور المرأة في المجتمع الإسلامي، ومشاركتها للرجل، ومزاحمتها له بالركب في طلب العلم.

QaradawiBooks.com

عوامل النجاح والتوفيق:

ولا شـــكَّ أن عمله الكبير هذا لم يكن ليوفق إليه لولا توفيق الله ﷻ أولا، وإخلاصـــه ثانيًا، ودأبـــه ومثابرته وانقطاعه إليـــه ثالثًا، وبعد ذلك اطلاعه على مكتبة ضخمة من كتب التراجم والسير والتاريخ، استطاع أن يلتقط منها تراجم النســـاء المســـلمات، اللاتي عنيـــن بالحديث النبوي الشريف، وصلاته العلميَّة الوثيقة بالمشـــتغلين بالحديث النبوي تحقيقًا ورواية، ورحلاته العلميَّة إلى عواصم العلم والثقافة في العالم الإسلامي.

مقدمة مهمة تعرف بالعمل الكبير:

وبين يدي الآن مقدمته الضخمة الَّتي تزيد على ستمائة صفحة، وهي تعد مدخلًا مهمًّا لكتابـــه الكبير، وقراءة هذا المدخـــل الهام يبين مدى الجهد الَّذي بذله، والنتائج المهمة الَّتي وصل إليها، والفوائد الجمة الَّتي يمكن أن تجتنى من عمله المبارك.

وحسبي أن أذكر في هذه المقدمة بعض العناوين الموجزة، الَّتي تدل على أهميَّة هـــذا العمل الكبيـــر، الَّذي تعجز عنه مؤسســـات وجامعات، والَّـــذي يفاخر به عصرنـــا عصورنا الســـابقة الزاهـــرة، إذ إنَّ القارئ غير المتخصص يرغب في الحصول على المعلومة في أقرب وقت، وبأيســـر جهد، ولا يستطيع أن يســـتقصي ما في الكتاب من فوائد منثورة، وعلوم لا يستطيع الإلمام بها إلَّا أهل العلم المختصين بالتاريخ والحديث النبوي.

بين الأخ مُحمَّد أكرم أثر الكتاب والسُّـــنَّة في صياغة المرأة صياغة إيمانيَّة، وإعدادها لتحيا حياة إسلاميَّة متكاملة، وبيان حقوقها وواجباتها، وكيف تظاهر القرآن والسُّـــنَّة على تقرير أهلية المرأة، واستقلاليتها عن

QaradawiBooks.com

الرجل فيما تتمتع به من حقوق مدنية. وقد أورد في هذا الموضوع الكثير الطيب من النصوص والشواهد المتكاثرة، وكنت أود أن يضع عناوين جانبية تعين القارئ على الوقوف على الشواهد الكثيرة، والمعاني الوفيرة الَّتي أوردها.

وفي المقدمة شواهد تاريخيَّة ناطقة في إثبات النساء لأهليتهن. وقد أكَّد الأخ أكرم على أنَّ دور النساء في مجال الحديث الشريف تلقيًا ونقلًا، وتحملًا وأداء، وفهمًا وتطبيقًا، لا يمثل إلَّا مجالًا واحدًا من المجالات العلميَّة الكثيرة للمرأة المسلمة.

وذكر نماذج من بلوغهن في علوم العربيَّة، والأدب، والإنشاء، والتاريخ، والطب، وعلم المنطق، والفلسفة، وعلم الكلام، والمواعظ والاعتبار، والتصوف.

تلقي المرأة للحديث ونقله:

وأمَّا الباب الأوَّل من هذا المدخل الكبير، فقد تكلم فيه عن مشروعيَّة تلقي المرأة للحديث ونقله، وأنَّه لا فرق بينها وبين الرجل في ذلك. وجعله في أربعة فصول:

في **الفصل الأوَّل**: تكلم عن الشهادة والرواية، وبين خطأ بعضهم في فهم حقيقة شهادة المرأة في الديون والأموال، وأوضح أنَّ الشروط الَّتي تراعى في الشهادة، تعود إلى عدالة الشاهد، وضبطه، ثمَّ ذكر الفرق بين الشهادة والرواية، وأوضح أنَّ باب الشهادة أضيق، وباب الرواية أوسع، وليس هناك فرق بين الرجل والمرأة في الرواية.

وفي **الفصل الثاني**: من هذا الباب تكلم عن تلقي المرأة للحديث النبوي.

QaradawiBooks.com

وفي **الفصل الثالث**: أوضح قَبول حديث المرأة، واتِّفاق العلماء على عدم اشتراط الذكورة، بل ذكر علماء المصطلح النساء في سلسلة الإسناد في أصح الأحاديث. وقد ذكروا حديث أمِّ المؤمنين عائشة، وأمِّ سلمة ضمن أصح الأسانيد.

وفي **الفصل الرابع**: ذكر أنَّ التعلم والتعليم من الحقوق الأساسيَّة للرجل والمرأة، وأورد نماذج من روايات نساء تخالف أقضية الخلفاء وجمهور الفقهاء، مثل: حديث فاطمة بنت قيس في أنَّ المطلقة لا سكنى لها، ولا نفقة في العدة[1]. وقد انتصر لها الإمام ابن القيم. وذلك يثبت ما للمرأة من حق في مخالفة أقضية الخلفاء، وجمهور العلماء.

طلب المرأة للحديث:

وعقد **الباب الثاني**: في طلب المرأة للحديث، وذكر فيه نماذج عناية النبي ﷺ بتعليم المرأة، وإحضار البنات إلى المساجد، وتحريضهن على حضور المجامع، وتخصيصه ﷺ يومًا لتعليم النساء، ومنهجه في تعليمهن.

وتكلم فيه أيضًا عن عناية أولياء الأمر بتعليم المرأة، وحث الآباء وأولياء الأمور على اعتبار البنت نعمة، وعدم تفضيل الأبناء على البنات، وتنشئة الصغيرات على الخير، وتأديب الآباء للبنات، وأورد نماذج من تعليم الآباء بناتهم الحديث، وتزويج بناتهم من العلماء، كما ذكر شواهد في عناية الرجال بتعليم زوجاتهم.

---

(١) إشارة إلى الحديث الذي رواه مسلم في الطلاق (١٤٨٠)، عن فاطمة بنت قيس، أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة، وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير، فسخطته، فقال: والله ما لك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال: «ليس لك عليه نفقة».

QaradawiBooks.com

ثم أورد نماذج من حرص النساء على أخذ الحديث، ومدى محبتهن للحديث النبوي وأهله، وعدم استحيائهن في سـبيل الطلب، وسؤالهن استزادة للعلم.

ثم تكلم عن ضبط المرأة للحديـث: ضبط الصدر، وضبط الكتاب. وأورد عددًا من النسـاء اللاتي عرفن بالكتابة في عصر النبي ﷺ، وفشو الكتابة في القرن الأوَّل، وأورد أمثلة عمن عرفن بجودة الخط، ونماذج ممَّن كن يعلقن على حواشي الكتب ما يحتجن إليه من العلم: وقيامهن بالمقابلة وتصحيح الكتاب.

فرص التلقي وأمكنته وطرقه:

وعقد **الباب الثالث**: في فرص التلقي وأمكنته وطرقه، أوضح ما تمتعت به النساء من فرص التلقي والتحمل، وأمكنته في المساجد والمدارس.

ومهد لهذا الباب الهـام بالحديث عن أحكام عـورة المرأة، وصوت المرأة، وخروج المرأة من البيت وغيرها. وحذر ممَّن بالغ في جانب الحذر بدعوى سد الذرائع، ونقل عن شـيخنا الغزالي في كتابه: «دستور الوحدة الثقافية» كلامًـا هامًّا، ونقل من مقدمتي الواسـعة لكتاب صديقنا الباحث المفكر المسلم الأستاذ عبد الحليم أبو شقة كلامًا في موقف بعض الغلاة من حبس المرأة في البيت، وحرمانها من الخروج لطلب العلم.

وأورد بعد هـذا التمهيد النافع فرص التلقـي المتاحة للمرأة، وذكر شـهود الصحابيات مجالس النبي ﷺ، ودخولهن عليه في بيته، وزيارة النبي لبعض النساء، وأن حضور النساء مجالس المسلمين وتجمعاتهم لم يقتصر على عصر دون آخر، وأورد الشـواهد الكثيرة على زيارة النساء

غير مرخصة للطباعة

للعلماء في بيوتهم، وسؤالهم عن أمور دينهن، بل كان العلماء يزورون النساء ويستفدن منهن.

وبيَّن أنَّ النساء سلكن طريق الرحلة، وأخذن العلم من علماء البلدان الأخرى، ولا سيَّما في رحلات الحج، حيث أمكنهن لقاء عدد كبير من العلماء من البلدان النائية والأصقاع البعيدة.

وتكلم عن دور الحج في نقل العلوم، ولقاء العلماء، وتوفير فرص الاجتماع، على أنَّ النساء قمن برحلات غير الحج لاكتساب العلم، ورواية الحديث.

وبعد حديثه عن فرص التلقي ذكر أمكنة الأخذ والتلقي في البيوت والمساجد، والمدارس والزوايا، وأورد نماذج رائعة عن حضور النساء في تلك الأماكن.

وذكر طرق التلقي الثمانية: السماع، والعرض، والإجازة، والمناولة، والمكاتبة، والإعلام، والوصية، والوجادة. وذكر نماذج نادرة من توثيق السماعات والقراءات والإجازات. وناقش بعض الإجازات.

الشيوخ المروي عنهم:

والباب الرابع: في الشيوخ المروي عنهم، وذكر توسع النساء في الطلب وأخذ العلم، وفصل أنواع الشيوخ الَّذين أخذت عنهم النساء العلم في أربعة أنواع:

الأوَّل: شيوخ البيت، فمنهن من أخذن الحديث عن أمهاتهن وآبائهن، وأجدادهن وجداتهن، وأزواجهن، وإخوانهن، وأقاربهن بل مواليهن.

والثاني: شيوخ البلدة.

QaradawiBooks.com

والنوع الثالث: الشيوخ الزائرون لبلادهن.

والنوع الرابع: الشيوخ في شتَّى البلدان، ممَّا يدل على حرصهن على الطلب، وعلومهن، وسمو مقاصدهن، وأورد نماذج كثيرة من استكثار النساء من الاستجازة في القرون المتأخرة، فكانت لهنَّ إجازات من البلدان النائية. وساق عشرات الأمثلة من كتاب ابن رشيد السبتي «ملء العيبة». وختم هذا الباب بمن عرفت بالإكثار من الشيوخ.

المواد الدراسية:

والباب الخامس: في المواد الدراسية، استعرض فيه الكتب الحديثيَّة الَّتي عنيت النساء بقراءتها على الشيوخ، وابتدأ بعرض المقررات الدراسية العامَّة، ثمَّ عرض لعنايتهن بكبار المصادر الحديثيَّة، والأجزاء، والأربعينيات، والمسلسلات، فتكلم في صورة إجمالية عن ثقافتهن في القرون الثلاثة الأولى، ثمَّ عن مقرراتهن في القرنين الرابع والخامس بعد تنظيم المدارس وتطورها في عهد الوزير الكبير نظام الملك، المتوفى سنة ٤٨٥هـ رَحِمَهُ اللَّهُ، ثمَّ عن مقرراتهن من القرن السادس إلى القرن التاسع، والاهتمام بدراسة السيرة والمغازي والفتوح المتأخرة.

ثم مقرراتهن من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر، إذ بدأ الانحطاط في عدد المحدثات ومسموعاتهن ومقروءاتهن، ثمَّ مقرراتهن في القرن الرابع عشر.

ذكر تحملهن لأنواع المصنفات في الحديث من الجوامع، والسنن، والمسانيد، والمعاجم، والمشيخات، والأربعينيات، والأجزاء، ثمَّ المسلسلات.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

دور النساء في الرواية ونشر العلم:

وقام في الباب السادس: بعرض دور النساء في الرواية، ونشر العلم، وذكر تلامذتهنّ، ورواية الأئمَّة عنهن، ورواية أزواجهن عنهن، ورواية أولادهن عنهن، وذكر نماذج رائعة في تدريب الأولاد على السنن، وتنشئتهم على الآداب، وتنفيرهم من البدع، وحثهم على اكتساب العلم، وأورد أمثلة نادرة في رواية الأولاد عن أمهاتهم، ومعاملتهن لطلابهن، وكثرة الآخذين عنهن، وقراءة الطلبة عليهن، وكتابة العلماء إليهن، وإجازتهن للطلبة. ثمَّ ذكر مجالسهن للرواية والتدريس في المنازل، والمساجد، والمدارس، وأمكنة أخرى، كالرباطات والبساتين.

أحاديث النساء وروايتهن:

وأمَّا الباب السابع: فتحدث فيه عن أحاديث النساء وروايتهن، ذكر فيه الأحاديث الَّتي روتها الصحابيات عن النبيِّ ﷺ، وحجم أحاديثهن في أصول الإسلام الستَّة: البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وبلغ عددهن (١٣٠) صحابية، وبلغ مجموع أحاديث النساء في الكتب الستَّة (٢٧٦٤) حديثا، منها (٢٥٣٩) للصحابيات، و(٢٢٥) حديثًا لغير الصحابيات.

وبين مضامين أحاديثهن المدونة في هذه الكتب: من الإيمان، والطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج والعمرة، والنكاح، والطلاق، والأطعمة، واللباس، والتجارات، والإمارة، والجهاد، والفرائض، والفتن، والطب، والشمائل، والفضائل، والدعوات، والأدب. وأبان ما عرف عن كثير منهن من البلاغة، ودقة الوصف والتعبير، ثمَّ تحدث عن الأحاديث الَّتي تفردت بها النساء، وتعد عمدة في بابها، وقد اعتمد عليها الفقهاء، مثل حديث بريرة الَّذي استخرج منه الفقهاء مسائل

QaradawiBooks.com

كثيرة، وحديث سبيعة الأسلمية في شأن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها، وحديث انتقاض الوضوء بمس الذكر، وحديث غسل الميت، وإحلال المطلقة ثلاثًا للزوج الأوَّل، وختم بذكر حديث أسماء بنت عميس في حديث الهجرة إلى الحبشة.

ثم ذكر مدى عناية النساء برواية المصنفات الحديثيَّة من الجوامع والسنن والمسانيد والمعاجم والمشيخات والأربعينيات والأجزاء والمسلسلات، وكثرة مروياتهن من الكتب.

وخصَّ جزء مسند عائشة لابن أبي داود، وما استدركته عائشة على الأصحاب، ثمَّ تكلَّم عن مسند فاطمة للسيوطي، وجزء بيبى الهرثميَّة وعناية العلماء به.

ثم استعرض أهم المجاميع الَّتي خصصت لمرويات النساء، وختم هذا الباب باهتمام العلماء بأحاديث النساء ومروياتهن.

النقد الحديثي عند المحدثات:

وأمَّا الباب الثامن: فقد خصصه للحديث عن النساء والنقد، ومهد لهذا الباب بذكر معنى التعديل والجرح ومشروعيتهما، ومراتب ألفاظ التعديل والجرح، وأورد أمثلة في الأحاديث الَّتي تفردت بروايتها النساء، وعمل بها الفقهاء، وتقديم بعض أحاديث النساء على أحاديث الرجال، وبين دور النساء في الجرح والتعديل ونقد الرواة، وذكر أمثلة في تعديل النساء وجرحهن، ودور النساء في نقد الحديث وخص منهج السيدة عائشة رضي الله عنها في نقد الحديث، بعرضه على القرآن الكريم، وبعرضه على حديث آخر، وعلى فعل النبي ﷺ، وعلى سبب وروده، وعلى مقياس الجرح وتحقيق المصلحة، وصرفه عن ظاهر معناه.

QaradawiBooks.com

المساحة الزمانية والمكانية للمحدثات:

واستعرض في الباب التاسع: المساحة الزمانية والمكانية للمحدثات الراويات، وبين أن نشاطهن لم يختص بمرحلة معينة، بل استمر عبر التاريخ الإسلامي، كما أنَّه لم ينحصر في بقعة خاصَّة من بقاع الأرض، وإن اختلف نشاطهن من مرحلة تاريخيَّة إلى أخرى، ومن منطقة إلى غيرها. وأظهرت دراسته لتاريخ المحدثات أن لهنَّ بروزا في عهد الإسلام الأوَّل، وانحط ذلك قليلا حتَّى القرن الخامس، ثمَّ بدأ نشاطهن ينمو في القرن السادس، وازداد نموه في القرون السابع والثامن والتاسع نموًّا أكيدًا، ثمَّ انحط النشاط العلمي والحديثي انحطاطًا كبيرًا في القرن العاشر واستمرَّ إلى يومنا هذا.

وقد درس هذه المراحل التاريخيَّة بدءًا من العهد الأوَّل إلى يومنا، واستعرض مراكز الرواية في أقطار الإسلام، في الحرمين الشريفين والعراق وبلاد الشام، ومصر والمغرب الأقصى، والأندلس وبلاد خراسان، وما وراء النهر والهند.

فقه النساء للحديث وتطبيقهن له:

وختم هذا المدخل الحافل في الباب العاشر والأخير: في فقه النساء للحديث، وتطبيقهن له، وكيف أنهن شاركن الرجال في فقه الحديث وفهمه، وشرح معانيه وتطبيقه على أنفسهن وأسرهن، والمجتمع كله، أظهر فيه فقه النساء في فهم القرآن وحفظهن له، وفهم الحديث النبوي الشريف، ووقف عند حديث بريرة مولاة أم المؤمنين عائشة، وبين ما استخرجه العلماء من فوائد جمَّة، وذكر النساء الفقيهات اللاتي اعتمد العلماء على فقههن، كأم المؤمنين عائشة، وأم سلمة، والربيع بنت معوذ، رضي الله عنهن، وأورد

QaradawiBooks.com

نماذج من فقههن، وذكر من اشتهر بالفقه في القرون المتأخرة، ومن اشتهر بالإفتاء من النساء، وما وقع من مناظرات بين الرجال والنساء، ثمَّ ساق أمثلة في اعتماد الأئمَّة على فقه النساء، وانتهى إلى عمل النساء بالحديث، واستعرض صورًا في تعبدهن وذكرهن الله كثيرًا، ومحبتهن رسول الله ﷺ، وتقواهن، وصبرهن، وشجاعتهن، وزهدهن، وجودهن، وحيائهن، وحشمتهن، وتواضعهن، وحسن خلقهن، واتباعهن السنن، واجتنابهن البدع، وصلتهن الرحم، وساق نماذج من حياتهن الزوجية السعيدة، وتربيتهن أولادهن، ووعظهن، وإسهامهن في الإصلاح الاجتماعي.

والمتصفح لهذا الكتاب الحافل، والمطالع لمقدمته الواسعة، يجد شهادة عمليَّة في إكرام الإسلام للمرأة، وتحريرها التحرير الحق.

منزلة بعض المحدثات عند العلماء:

وكانت لبعض هؤلاء النسوة منزلة عند العلماء في ارتقاء معارج الفقه والإيمان والسلوك، ما جعل بعضهم يقول، كما نقل الحافظ عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس حيث قال: «ومن اللطائف: أنَّ الشيخ فالحًا الظاهري لما تكلم على إمامة المرأة قال: ولو حضرت قريش الطبرية أو عائشة المقدسية أو كريمة المروزية، وهن من النسوة المسندات، لصليت وراءهن غير مرتاب ولا متشكك»[1].

ونحو هذه العبارة له في «أنجع المساعي» أيضًا، وزاد عجيبة الباقدارية، حيث ذكر أنَّه عليه السلام أمر أم ورقة الأنصارية أن تؤم

(١) ذكره الكتاني في فهرس الفهارس والأثبات (٩٤٢/٢)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

QaradawiBooks.com

أهل دارها[١]، فاستظهر جواز الائتمام بمن كان مثلها في الفضل والديانة.

وقد علق أخونا الحبيب الدكتور مُحمَّد أكرم على هذا الكلام بقوله: هذا رأي شاذ. ونقل ما نقل ممَّا يعارضه من أقوال الفقهاء.

وكنت أود أن يقف عند هذه الكلمة الرائعة، وهذا الموقف الشجاع من هذا العالم الحافظ، وينوه بما وصلت إليه المرأة من مكانة قيمة رفيعة عند علماء الحديث، الَّذين يتقيدون بالنصوص، وأن هذا الرأي يؤيده الطبري والمزني وأبو ثور. ذلك لأننا لسنا في مقام تمحيص الأقوال الفقهيَّة والموازنة بينها، بل نحن في مقام بيان ما وصلت إليه نساء الأمة من مقام سامق في العلم والعمل[٢].

ظاهرة تدهور وضع المرأة المسلمة:

إن ظاهرة تدهور وضع المرأة العلمي والاجتماعي في العصور المتأخرة، جعلت كثيرًا من النَّاس يظنون أن هذا الوضع بسبب القيود الَّتي وضعها الإسلام على المرأة، وهي تهمة باطلة عارية عن أي دليل، يكذبها القرآن والحديث والتاريخ.

---

(١) رواه أحمد (٢٧٢٨٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الصلاة (٥٩٢)، وابن خزيمة (١٦٧٦)، والحاكم في الصلاة (٢٠٣/١)، وقال: قد احتج مسلم، بالوليد بن جميع وهذه سنة غريبة لا أعرف في الباب حديثا مسندًا غير هذا، وقد روينا عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنَّها كانت تؤذن وتقيم وتؤم النساء. وقال الذهبي: احتج مسلم بالوليد بن جميع. وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٥٣).

(٢) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (٥٧٤/٤ ـ ٥٨١)، فتوى إمامة المرأة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

وهذا الكتاب بشواهده التاريخيَّة الغزيرة، يعد رديفًا لما كتبه أخونا العالم المدقق الأستاذ عبد الحليم أبو شقة رَحِمَهُ اللَّهُ «تحرير المرأة في عصر الرسالة»، وإن استعراض تلك الروايات التاريخيَّة، وتحليلها يدلُّ على مدى التخلف الَّذي آلت إليه المرأة في القرون الأخيرة، فمنعت من التعليم، وحضور مجالس العلم في المساجد. واعتبرت العلوم الإسلاميَّة المختلفة (علوما ذكورية)، وهو ما يبرز هذا العمل الكبير الرائع، والجهد الضخم، الَّذي قام به أكرم الندوي حفظه الله ونفع به.

بشائر النهضة العلميَّة النسوية الإسلاميَّة:

وإن كنا نشهد بشائر نهضة علميَّة نسوية إسلاميَّة في بلاد إسلاميَّة مختلفة، نرجو أن تنمو وتتسع آفاقها، وتؤتي ثمارها بإذن ربها: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨].

ولن تنهض الأمة المسلمة حقًّا، وتقوم بمهمتها في هداية البشريَّة إلى الَّتي هي أقوم إلَّا إذا نهضت بعنصرين: الرجل والمرأة معا، وطارت بجناحيها، لا بجناح واحد.

ملاحظاتي على بعض التراجم:

ومما لاحظته ـ في نظرتي العابرة ـ على التراجم القليلة الَّتي قدَّم لي الأخ أكرم نماذج منها، إطالته في الترجمة، وخروجه أحيانًا عن الموضوع، واستطراداته الكثيرة، ممَّا كبر حجم الكتاب، ففي ترجمة أم الدرداء الصغرى مثلًا (وهي هجيمة الوصابيَّة)، أطال في النقول الَّتي تثبت الفرق بينها وبين أم الدرداء الكبرى (خيرة بنت أبي حدرد)، واستطرد في ترجمة زوجها أبي الدرداء (عويمر بن مالك)، ونقل مادة طويلة من «تهذيب الكمال» فيمن روى عنهم ورووا عنه.

QaradawiBooks.com

ثم ساق بأسانيده بعض الروايات والأخبار عن أم الدرداء. وهذا ممَّا يزيد في حجم الكتاب.

وفي ترجمة مريم الأذرعية ذكر في الرواة عنها الحافظ الكبير ابن حجر، واستطرد إلى الإفاضة في ترجمته، ممَّا هو بعيد عن أصل الترجمة، ثمَّ ساق الكتب الَّتي روتها بأسانيدها إلى مؤلفها، وذكر نيفًا وستِّين كتابًا، وليته اقتصر على تسمية تلك الكتب فقط، وأحال إلى المصادر الَّتي تذكر أسانيدها، كما قام بعد ذلك بتخريج بعض أحاديثها بأسانيده.

وأتمنى على الأخ أكرم ألا يتوسع في الترجمة، وسياق الأسانيد والإجازات، وتخريج بعض الأحاديث بسنده عن المترجم لهن، فذلك ممَّا أطال من حجم الكتاب، حتَّى بلغ خمسين مجلدًا!

كما أتمنى على الأخ أكرم أيضًا ألا يتوسع كذلك في الترجمة خصوصًا في القرون الأخيرة، لكل من روت بالإجازة، دون سماع أو اشتغال بالحديث وروايته وفهمه.

ولو اقتصر على شرط الرواية بالسماع، والممارسة لعلم الحديث والتخريج والدراسة لأصبح كتابه في نحو خمسة مجلدات، ولكن الأخ الكريم أحب التوسع في ذلك لحبه للرواية والإجازة، وأراد أن يعلي من شأن النساء اللاتي نسبن لرواية الحديث عن طريق الإجازة.

ومما كنت أتمناه أن يذكر الأخ أكرم تحت كل ترجمة المولد والوفاة، على طريقة الزركلي في «الأعلام».

ومما لاحظته أيضًا فيما اطلعت عليه: وجود بعض الأخطاء المطبعية، وعدم ضبط كثير من الأسماء، ممَّا يشكل عبئًا على القارئ المعاصر، ولعلَّ أخانا الكريم يستدركها قبل الطباعة.

QaradawiBooks.com

وأمَّا عنوان الكتاب فهو لا يعرف القارئ بمضمونه من أوَّل نظرة، وليته أضاف إليه «المحدثات»، فيسميه: «الوفاء في أسماء المحدثات من النساء». وهو في اقتصاره على «الوفاء في أسماء النساء» يضاهي تسمية المقدسي لكتابه «الكمال في أسماء الرجال».

وهذه الملاحظات اليسيرة لا تغض من جهد الأخ الكريم، الَّذي بذله، وأنفق فيه شطرا من عمره، ولا تقلل من قيمته العلميَّة الكبيرة، والَّتي تستحق الإشادة والثناء والدعاء.

ولا شك في أنَّ عمله الكبير ومزاياه أكبر من هذه المقدمة الَّتي تعرف ببعض ما قدمه من جهد لا يقوم به إلَّا من اعتكف في محراب العلم، وانقطع إلى عمله بدأب وصمت حتَّى استطاع أن يقدم هذه الموسوعة العلميَّة الضخمة.

شكر الله لكلِّ من يبني لبنة في هذا الصرح، صرح الأمة الإسلاميَّة الوسط، الَّتي جعلها الله شهيدة على الناس، وشكر الله لأخينا الدكتور أكرم الندوي، وجزاه الله عن دينه وأمته خير ما يجزي به العلماء الربانيين الَّذين يعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيقبلون. آمين.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

الدوحة في ذي الحجة ١٤٣١هـ

الموافق نوفمبر ٢٠١٠م

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام»

للشيخ مُحمَّد بن عبد الله الرشيد[1]

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الَّذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، مُحمَّد وآله وصحبه أئمَّة الهدى، ومصابيح الدجى، ومن بهم اقتدى فاهتدى.

(أمَّا بعد)

فإن من مزايا هذه الأمة عناية علمائها بتدوين التاريخ، وكتابة التراجم، في كل قرن من القرون، وفي كلِّ فن من الفنون، وكلِّ شأن من الشؤون، وكل علم من العلوم، ممَّا حفظ لنا تاريخًا حافلًا، استوعب كل الشرائح والأصناف والطبقات، تزخر به المكتبة الإسلاميَّة، وتباهي به الأمم الأخرى، ولم يقتصر على الملوك والعسكريين وحدهم.

ومن العلماء الَّذين عنوا في عصرنا بجمع تراجم الأعلام المشهورين، في سائر القرون ومختلف النواحي والفنون، حتَّى أواخر القرن الرابع عشر الهجري، ورتبهم على حروف المعجم، وتفنن في صياغة الترجمة، وأورد نماذج من خطوط المترجمين وصورهم: الأستاذ الشاعر الأديب المؤرخ خير الدين الزركلي الدمشقي (ت١٩٧٦م) رحمه الله تعالى.

(١) نشر دار الفتح، الأردن، ط١، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويعد كتابه الموسوعي ـ بحق ـ من الأعمال العلميَّة الهامة في القرن الفائت، ولا غنى لباحث ولا لطالب علم عنه، يصل من خلاله إلى الترجمة المنشودة في أقرب وقت وأيسر طريق.

وقد قام بهذا العمل الكبير خلال سنوات طويلة، واستمر ينظر فيه وينقحه حتَّى آخر حياته، وقد جمع فيه نحو خمسة عشر ألف ترجمة، ونحو ألفي خط وصورة للمترجمين، ويعد من أوائل كتب التراجم الَّتي ضمت الخطوط والصور للمترجمين.

وقد أعانه على إنجاز موسوعته أسفاره المتواصلة، وصلاته العلميَّة بكثير من الأعلام المعاصرين الَّذين يترجم لهم، واطلاعه الواسع على كتب التاريخ والتراجم، ومعرفته العميقة بالمخطوطات.

وكنت أرجع إلى هذا الكتاب في فترات متباعدة، ولم أتابع ما جد من طبعاته وما ألحق به من تتمات وذيول ونظرات واستدراكات وتصحيحات.

ولما زرت الرياض في أوَّل شهر المحرم من السنة الفائتة ١٤٣١هـ لحضور جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز حفظه الله، لخدمة الحديث النبوي، تعرفت بواسطة الأخ الحبيب الشيخ مجد مكي وفقه الله، على الأخ الكريم الأستاذ الباحث الشيخ مُحمَّد بن عبد الله الرشيد، وقد دعاني إلى بيته العامر في مدينة الرياض يوم الأربعاء السادس من المحرم ١٤٣١هـ، وكانت جلسة ممتعة، تكاملت فيها الفائدة العلميَّة النادرة، والنكتة الأدبيَّة المحببة، والكرم العربي الأصيل.

وقد أعجبت بالأخ الكريم محمد، واطلعت على مكتبته الضخمة، الحافلة بنوادر المطبوعات، ولا سيَّما فيما يتصل بالتراجم والأنساب.

QaradawiBooks.com

وأطلعني على بعض كتبه الَّتي أنجزها، وعلى مشروعاته المرتقبة. وكان ممَّا أطلعني عليه كتابه «الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام» في طبعته الأولى، وحدثني عن إعداده الكتاب لطبعة ثانية موسعة.

وبعد مدة أكرمني بزيارته لي في الدوحة في يوم الأربعاء الرابع من ذي الحجة ١٤٣١هـ، بصحبة ابنه الشاب المهذب الأديب، المرجى لخدمة العلم والدين، الأستاذ نواف حفظه الله، وكان الأخ مُحمَّد الرشيد يحمل بيده مجلدًا ضخمًا من كتابه «الإعلام» وطلب مني أن أنظر فيه وأقدم له.

وأنا أعلم أنَّه ما من عالم يؤلف كتابًا، وينشره على الناس، إلَّا ويستدرك قارئوه عليه، ويستدرك على نفسه، ولكنني ما كنت أحسب أن أقف على هذا العدد من الأخطاء الَّتي وقع فيها العلَّامة الزركلي، وهو من هو في دقته وتتبعه، ولكن أبى الله العصمة إلَّا لكتابه.

كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وهذه الأخطاء مغمورة في بحر حسناته وفوائده، كما أنَّ هذه التصحيحات الَّتي قام بها الرشيد يثري بها الكتاب، وتعلي من شأنه، وترفع من قدره. ولو أنَّ المؤلف اطلع عليها لأخذ بها، واستفاد منها، وأثنى على صاحبها.

* وإحياء سنة النقد العلمي والتمرس عليه، مع الإنصاف والأدب، من أوجب ما ينبغي أن يتصف به أهل العلم وطلبته.

وكم في المكتبة الإسلاميَّة من كتب تُبيِّن الأوهام، وتكشف الأخطاء لبعض المحدثين والفقهاء والمفسرين واللغويين، وكل ذلك بأدب وإنصاف، ككتاب «الرد على سير الأوزاعي» لأبي يوسف صاحب

QaradawiBooks.com

أبي حنيفة، وكتاب «إصلاح خطأ المحدثين» للخطابي، وكتاب «الإعلام بما في مشتبه النسبة للذهبي من الأوهام» للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، وغيرها كثير. لا كما انتشر اليوم من ردود مجحفة متعصبة لمدرسة على أخرى، ترى القذاة في أعين الآخرين، وتتجاهل الجذع في أعينها، وتخلو من أدب الخلاف العلمي والإنصاف.

ولقد قام الأخ الباحث النابه الأستاذ الرشيد بهذا الجهد الكبير، والعمل المتميز، واستطاع أن يكشف هذه الأوهام الَّتي لا يكشفها إلَّا من أوتي صبرًا ودأبًا وحرثًا مستمرًّا في كتب التراجم، وصلة واسعة بأهل العلم والاختصاص.

ولا عجب أن يقدم الأخ الرشيد هذا العلم النافع والعمل الأصيل، فهو تلميذ نجيب من تلاميذ العلَّامة الرباني رجل العلم والدعوة، صديقنا المحدث المحقق فضيلة الشيخ عبد الفتَّاح أبو غُدَّة رحمه الله تعالى، فقد حظي بصحبته وخدمته وملازمته أكثر من اثني عشر عامًا، ومصاحبة مثل هذا العالم الكبير توقد الذهن، وتعلم النقد والإنصاف، وتحرك العزيمة والهمة.

وقد قام الأستاذ الرشيد بطباعة ثبت كبير لشيخه العالم الجليل عبد الفتَّاح أبو غُدَّة سماه «إمداد الفتَّاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبد الفتاح»، وبدأه في حياة الشيخ وطبعه بعد وفاته، وقد قرظ عمله أعلام من علماء العالم الإسلامي، منهم مولانا علَّامة الهند الشيخ أبو الحسن الندوي، وشيخنا العلَّامة الفقيه مصطفى الزرقا، والشيخ الفقيه المحقق الشاذلي النيفر، والشيخ المؤرخ مُحمَّد عبد الهادي المنوني، والشيخ المحدث عبد الله التليدي، ممَّا يدلُّ على واسع صلاته العلميَّة

QaradawiBooks.com

الوثيقة بكبار العلماء. وقد نظرت منذ مدة قريبة بهذا الثبت فوجدته عملًا علميًّا كبيرًا يليق بمقام شيخه الكبير عبد الفتَّاح أبو غُدَّة رحمه الله تعالى.

وكنت استجزته عند استقدامي له إلى قطر أستاذًا زائرًا، فامتنع تواضعًا منه، ثمَّ تكرم بإجازتي بخطه، وأنا أعتز بروايتي عنه، لاشتغاله بالحديث، واتِّصال سلسلة أسانيده بكبار محدثي العالم الإسلامي.

إنَّ هذا العمل الَّذي أقدم له يؤكد أنَّ النبوغ بالعلم والتفوق فيه، لا يتحقق بالحصول على الشهادات وحيازة الألقاب، فكم من نائل لشهادة جعلها وسيلة للكسب وطريقة للشهرة دون أن يحرص على الازدياد من العلم وملازمة العلماء، وتقديم شيء نافع يخدم العلم وينهض بالأمة.

والعلم لا ينال براحة الجسد وضعف الهمة وخور العزيمة والركون إلى الشهادة أو الوظيفة، بل لا ينال إلَّا بالذكاء والحرص والاجتهاد وصحبة أستاذ وطول زمان. وهو ما ذكره الإمام الجويني في تلك الأبيات الَّتي ترسم منهج طلب العلم وطريق التفوُّق فيه:

أَخِي لَنْ تَنَالَ العِلمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ ... سَأُنبِيكَ عَن تَفصِيلِهَا بِبَيَانِ
ذَكَاءٌ وَحِرصٌ وَاجتِهَادٌ وَغُربَةٌ ... وَصُحبَةُ أُستَاذٍ وَطُولُ زَمَانِ[1]

وحسب الأخ الكريم أن صحب أستاذه الجليل صديقنا وأخانا الحبيب الشيخ عبد الفتَّاح رحمه الله تعالى، ولازمه وخدمه، كما صحب عددًا كبيرًا من العلماء واستجازهم.

(١) الوافي بالوفيات للصفدي (١١٨/١٩).

QaradawiBooks.com

وما كان للرشيد أن يخرج هذه الكنوز العلميَّة إلَّا بذكائه وحرصه ورحلاته العلميَّة وصلاته الوثيقة بالعلماء على تنوع مشاربهم واختلاف مذاهبهم، ممَّا أكسبه أفقًا واسعًا وصدرًا رحبًا.

والناظر في عمله الكبير يجد مدى دأبه وتتبعه الدقيق للأخطاء وكشفها، واستعانته بعدد كبير من علماء العالم الإسلامي في الشام ومصر والعراق والمغرب واليمن وتركيا وباكستان وإيران.

ويلحظ المطالع للكتاب: الأمانة العلميَّة في عزو كل فائدة إلى صاحبها، وتوثيق النقول عن الكتب، ويلمس الأدب العلمي العالي في النقد، والإشادة بجهد الأستاذ الزركلي، والتماس العذر له فيما ند عنه، أو سها فيه، ممَّا لا يخلو منه عمل بشري، لا سيَّما مثل هذه الموسوعة الضخمة الَّتي تنوء بإنجازها المجامع والمؤسسات العلميَّة.

وإن استعراض عمل الأخ الرشيد، وذكر الفوائد الَّتي نثرها في كتابه، ومزايا هذه الطبعة الجديدة لا تتحقق إلَّا بقراءة ذلك الكتاب والوقوف على تلك النقدات العلميَّة الرائعة الَّتي تنبئ عن علم واطلاع وخبرة عميقة بالكتاب.

وقد كشف في تلك التعقبات عن كثير من التراجم المكررة، وعن تراجم وقعت في غير مواضعها، كما نبَّه على أخطاء في الولادات والوفيات، وحدد ولادات ووفيات لم يستطع الزركلي الوقوف عليها، كما كشف عن أخطاء في أسماء المترجمين وألقابهم وكناهم، وفي أسماء آبائهم وأجدادهم وأوطانهم، وعن أماكن وأوطان لا تصح نسبتهم إليها، أو إقامتهم فيها، وعن أخطاء في الضبط، وعن إغفال أسماء الآباء والأجداد، أو صلات القرابة ضمن الترجمة، وعن أسماء كتب مطبوعة

QaradawiBooks.com

ظنَّها المؤلف مخطوطة، وعن أوهام في نسبة كتب إلى غير أصحابها، أو تكرارها، أو وهم في تسميتها، ونسبة أقوال إلى غير قائليها بل نبه على أشخاص يعدون أساطير لا وجود لهم، مثل خليل العاملي!

ومن أهم ما قام به: استدراكاته المفيدة في مصادر الترجمة الَّتي فاتت الزركلي، ممَّا ينبئ على اطلاع واسع على المكتبة التاريخيَّة ومصادرها النادرة، بل استدرك على المؤلف بعض نماذج من الخطوط الَّتي كان ينبغي أن يوردها والصور الَّتي تجمعت له لبعض المترجمين، ووعد بإلحاق تلك الخطوط والصور في طبعة لاحقة، ولعلَّه ـ وفَّقه الله ـ يحقق ذلك الوعد الَّذي يزيد كتاب «الأعلام» للزركلي ارتقاء وكمالًا.

ومن أهم ما قام به أيضًا: استدراك ما سقط من تراجم في الطبعة الأخيرة، بالمقارنة بالطبعات السابقة للكتاب، وما كشفه كذلك من تراجم أقحمت في الكتاب بعد وفاة مؤلفه رحمه الله تعالى. ولم يقتصر على بيان الأوهام مجردة، بل كشف كذلك عن سبب سريان تلك الأوهام إلى الزركلي في بعض ما تعقبه فيه.

كما أنَّ المطالع للكتاب يجد عددًا من الفوائد المنثورة في الحواشي ممَّا يبعث الفرح والسرور، مثل تنبيهه إلى أهميَّة بعض الكتب، مثل كتاب «معجم المطبوعات المغربية» للعلَّامة إدريس بن الماحي القيطوني[1]، الَّذي استفاد منه الزركلي كثيرًا، وفاته أن يترجم لمؤلفه، واستدراكه على نفسه ما وقع منه من وهم في الطبعة الأولى[2]، ونقله عن بلديي العلَّامة المحقق سيد أحمد صقر وتحديد وفاته[3]، وعن عمله

(١) صـ ٥٠.
(٢) صـ ٥١.
(٣) صـ ٥٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

في تحقيق «فهرس الفهارس» للكتاني على نسخة المؤلف ونسخة الكوثري[١]، وتعقباته على «إتمام الأعلام»[٢]، وكلامه عن الطبعة الأولى لكتاب «مراجع تاريخ اليمن» للحبشي، ومتابعة الزركلي له[٣]، وخدمته لمعجم مجيزنا الشيخ أحمد بن الصديق الغماري، وإشارته إلى من نقد «المعجم الوجيز»[٤]، وتحديد وفاة صديقه الأستاذ المؤرخ النسابة كاظم الفتلاوي مع ذكر ترجمة موجزة مفيدة له[٥]، وتوسعه في ترجمة جعفر بن أحمد الحلي وبين ما بينه وبين أسرته آل الرشيد من صداقة ومودة، وتكلم عن ديوانه، وأضاف مصادر كثيرة فاتت الزركلي في ترجمته[٦].

وكذلك إحالته إلى عدد من كتبه الَّتي يعدها ويجتهد في إتمامها وتقديمها للقراء في أحسن صورة مثل «معجم النسابين»[٧]، وتنبيهه إلى عدم صحَّة «المراجعات» لشيخ الأزهر سليم البشري، الَّذي ردَّ عليه زميلنا وصديقنا الدكتور علي السالوس ردًّا مفصلًا، وذكر الأخ الرشيد أنَّ له بحثًا خاصًّا في نقد عبد الحسين شرف الدين، وصل فيه إلى دليل لم يسبق إليه في إبطال نسبة «المراجعات»[٨]، وتنبيهه إلى الكلام في صحَّة نسبة عائلة كنون للأدارسة[٩]. وإفادته في بعض اللطائف الَّتي تذكر في

(١) صـ ٦١.
(٢) صـ ٦٣.
(٣) صـ ٧٩.
(٤) صـ ٩٤.
(٥) صـ ١٠٣.
(٦) صـ ١١٨.
(٧) صـ ١١٩.
(٨) صـ ١٧١.
(٩) صـ ٤٠١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التحول المذهبي[١]. وذكره للكتب الَّتي يعرف من عنوانها تاريخ تأليفها بحساب الجمل[٢]. وغير ذلك من الفوائد المنثورة.

وإن نظرة عابرة إلى المصادر والمراجع الَّتـي رجع إليها لتنبئ عن مدى اطلاعه الكبير علـى كتب التراجم والتاريخ والأنسـاب والأثبات والرحلات، وتدلُّ على عظيم الجهد الَّذي بذله في إخراج هذا الكتاب.

وأقترح على الأخ الكريم (الرشيد)، وقد خبر كتاب «الأعلام» خبرة تامة: أن يسـتقل بتأليف كتاب جديد ينسبه لنفسـه، أو أن يقوم بتأليف كتاب آخر، يسميه «فوات الأعلام»، يسـتدرك فيه على الزركلي، ما فاته من تراجم لمشاهير الأعلام، ممَّن هم على شرطه ولم يترجم لهم، أو أن يترجم لأعلام القرن الرابع عشر، والثلث الأوَّل من القرن الخامس عشر.

وإنَّني أهنيء الأخ الباحث الفاضل على هذا العمل الكبير، الَّذي وفَّقه الله تعالى إليه، وأبارك له فـي ابنه النجيب نواف، الَّذي يتابع خُطا أبيه في العناية بالعلم والحرص على التحقيق، ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ٣٤].

وقد أطلعني الابن نواف في زيارته الأخيرة على بحثه النافع في ضبط اسم كتاب «هدي الساري» لابن حجر، وبيَّن أنَّ الصواب «هدى الساري» كما وقف عليه بخط الحافظ ابن حجر، وأيَّدته على ذلك وشجَّعته، وإنَّني أتوقع له مستقبلًا واعدًا تقر به عين أبيه. كما قال أبو تمام:

وَإِذَا رَأَيْـتَ مِـنَ الْهِـلَالِ نُمُوَّهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَـيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلَا[٣]

(١) صـ ٢٣٨.

(٢) صـ ٣٢٠.

(٣) من شعر أبي تمام، كما في شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي (٢/٢٣٠).

QaradawiBooks.com

شــكر الله لكل من يبني لبنة في صرح المكتبة الإسلاميَّة العظيمة، وشكر الله لأخينا الرشيد، ورزقه الله العمر المديد، والعيش الرغيد، وأيَّده بروح منه في خدمة دينه وأمته وعلمائها وتراثها.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

الفقير إلى الله تعالى

يوسف القرضاوي

الدوحة في محرم ١٤٣٢هـ

الموافق ديسمبر ٢٠١٠م

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية

مقدمة «د. موسى أبو مرزوق مشوار حياة: ذكريات اللجوء والغربة وسنوات النضال»

إعداد شاكر الجوهري[1]

باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(وبعد)

فقد أرسل إليَّ أخي الكريم الدكتور موسى أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي الأسبق لحركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، نسخة من كتاب «د. موسى أبو مرزوق.. مشوار حياة» لكاتبه الأستاذ شاكر الجوهري حفظه الله، طالبًا أن أكتب مقدمة لهذا الكتاب.

وإن كان ضيق الوقت، وكثرة الأعباء، ودوام الانشغال، وتوزع الاهتمامات، مع ما ألمَّ بي مؤخرًا من تدهور في حالتي الصحيَّة: يحول بيني وبين تقديمي للعديد من البحوث المقدمة إليَّ، وما أكثرها! غير أنَّ العمل الَّذي طلب مني أن أقدِّم له أخي الدكتور موسى: يستحق الاهتمام به. كيف لا، وهو عن رجل من رجالات فلسطين الحبيبة، وقائد من قادة حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، بل رئيس من رؤساء مكتبها السياسي؟!

(١) نشر مؤسسة بيت الحكمة، غزة، ٢٠١٨م.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وكثيرًا ما يتعرض المرء في حياته لمعرفة شخصيَّات مختلفة، من بلاد كثيرة، تتنوع غاياتهم، وتتعدد أفكارهم وتصوراتهم. فمنهم من يمر عليك مر السحاب، يسقيك الغيث، وينبت الزرع، ويحيي الموات، فتظل تذكره بالخير، ويظل محمود السيرة، مذكورًا بنقاء السريرة. ومن هؤلاء أخي الدكتور موسى أبو مرزوق.

وقد أخذ الأستاذ شاكر الجوهري يعبر بقلمه الرشيق، وأسلوبه البليغ، عن حياة الدكتور موسى أبو مرزوق، وهي حياة حافلة، أجاد المؤلف صياغتها، وأبدع في الحديث عنها؛ مسجلًا طفولة بالغة الشقاء، كغالب حال أبناء الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال الإسرائيلي، وممارسات عصاباته الممنهجة، ثمَّ شابًّا يافعًا منخرطًا في العمل العام، وعضوًا في التيار القومي الناصري، قبل أن ينتقل إلى صفوف الحركة الإسلاميَّة، وصولًا إلى رئاسة المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، منتقلًا خلال ذلك بين أقطار متعددة، وبلدان شتَّى، فمن فلسطين إلى الأردن، ثمَّ مصر فالإمارات، ثمَّ الولايات المتَّحدة، الَّتي سجن فيها ظلمًا وعدوانًا، ثمَّ عودة إلى الأردن فسوريا، فقطر ومصر!

في رحلة من الكفاح والنضال.. لم يبحث فيها د. موسى عن الأضواء والظهور، ولم يكن يكرس وقته وجهده لإظهار ذاته، وإنَّما لخدمة قضيته، فكان الرجل يعمل في صمت، حتَّى إن أجهزة مخابرات عديدة لم تكن تعرف أنَّه على رأس المكتب السياسي لحركة حماس، إلَّا بعد سنوات عديدة من قيادته لهذا المكتب. ولعلَّ ذلك نوع من مقتضيات المرحلة، مع ما عرف عن الرجل من العمل دون تطلع لشهرة أو بحث عن بريق!

QaradawiBooks.com

تعرض الدكتور موسى أبو مرزوق للسجن في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة دون جريرة، وعامله ضباط السجن معاملة لا تليق برجل في قامته وعلمه وثقافته، ولا بمبادئ حقوق الإنسان الَّتي تدعي الولايات المتَّحدة أنَّها الراعية لها! كما كان تعصب المحققين، وعنصرية القضاة سببا أطال أمد سجنه الَّذي قارب العامين، دون إجراءات قانونيَّة معتبرة!

لقد تحمل أخونا الدكتور موسى أبو مرزوق ما تحمل، وبذل ما بذل، في سبيل عقيدة خالدة، وقضية عادلة: في سبيل وطن سلب، ومقدسات دنست، وأعراض انتهكت، ودماء أريقت، وأرواح أزهقت!

وما أصدق ما قال الشاعر:

بِقَدْرِ الجِدِّ تُكْتَسَبُ المَعَالِي ومَنْ طَلَبَ العُلَا سَهِرَ اللَّيَالِي
ومَنْ رَامَ العُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ العُمْرَ فِي طَلَبِ المُحَالِ[1]

ثمَّ سلَّم قيادة الحركة إلى أخيه ونائبه: الأستاذ خالد مشعل حفظه الله، الَّذي قام بالمسؤوليَّة خير قيام، والَّذي ترك المسؤوليَّة بدوره لأخيه إسماعيل هنيَّة، فليت المسؤولين، وكذا قادة الحركات الإسلاميَّة في بلادنا يتعلمون من تجربة حماس، ويعون كيف تنتقل السلطة والمسؤوليَّة بلا أثرة أو تشبث!

ومما يذكر في هذا المقام، أهميَّة التأريخ للحركة الإسلاميَّة، وللمقاومة الفلسطينية للاحتلال، فمما يؤسف له أنَّ التاريخ المعاصر لم يكتب كتابة علميَّة مستوعبة موثقة، فلم يبق إلَّا مثل هذه المذكرات تعطينا صورة مقربة لذلك التاريخ، الَّذي نخشى أن تضيع أحداثه مع الأيام.

(١) ذكره من غير نسبة المناوي في فيض القدير (٥٠٥/٤).

QaradawiBooks.com

كما أنَّها فترة مهمة في تاريخ القضيَّة الفلسطينيَّة، قضيَّة العرب والمسلمين الأولى، الَّتي يراد إهالة التراب عليها هذه الأيام، وعقد الصفقات لتصفيتها نهائيًّا، وتسليمها على طبق من ذهب لإسرائيل، بمباركة ومشاركة أنظمة عربية مسلمة، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

وفي المواقف الَّتي تضمنتها هذه المذكرات صورة حية يتعلم منها النشء المسلم، أن يكون صاحب قضيَّة يعيش من أجلها، ويبذل لها وقته وجهده، ويستعد للتضحية بحياته وكل ما يملك في سبيلها، ولا شك أنَّ ذلك أبلغ في التأثير من الخطب الرنانة، والمحاضرات المطولة، وكما قيل: عمل رجل في ألف رجل، أبلغ من قول ألف رجل في رجل.

أسأل الله تعالى لأخي الدكتور موسى أن يضاعف أجره، وأجر كل من عمل معه، اللهمَّ بارك يا رب في هذه الجهود، ووفقها، وثبتها، ووسعها، وزدها، بفضلك وعونك وتأييدك، إنَّك نعم المولى ونعم النصير.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

الدوحة ٣ شوال ١٤٤٠هـ

الموافق ٢٦ يونيو ٢٠١٩م

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

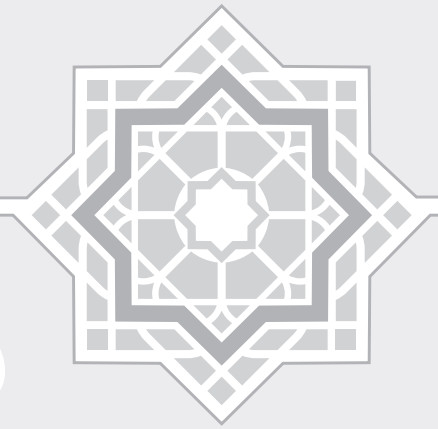

غير مرخصة للطباعة

في التربية والتنمية وعلم النفس

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مقدمة «برنامج مقترح لتنمية القيم الخاصَّة بمادة التربية الإسلاميَّة لدى تلميذات المرحلة الإعداديَّة بدولة قطر»

للدكتورة وضحى السويدي[1]

الحمد لله ربِّ العالَمِين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

(وبعد)

فقد عرفت الابنة العزيزة وضحى علي السويدي، منذ الفصل الدراسي الأوَّل لجامعة قطر، وبعبارة أدق، لكلية التربية الَّتي كانت نواة لجامعة قطر.

فقد كنت أدرس لها مادة «الثقافة الإسلاميَّة» مع زميلاتها وزملائها من الطالبات والطلاب. وقد عرفتها أوَّل ما عرفتها من ورقتها في الامتحان النصفي للفصل، فقد كان خطها جميلًا واضحًا كاسمها، وكانت كتابتها منسقة، وفكرها مرتبًا، فلفت نظري إليها، وجعلني أسأل عنها، وأتعرَّف عليها.

وفي الفصل الثاني من حياة الكُلِّيَّة، درست لها مقررا آخر هو: دراسات في السنة والسيرة، والَّذي يدرسه طلاب وطالبات الأدبي العام، فازدادت شخصيتها لدي تميزًا ووضوحًا.

(١) نشر دار الثقافة، الدوحة، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، وهو في الأصل بحث قدمته الكاتبة، لنيل درجة الدكتوراه، كما هو ملحوظ في هذه المقدمة.

QaradawiBooks.com

وفي الفصل الثالث اختـــارت ابنتنا «وضحى» الانضمام إلى قســـم الدراســـات الإســـلاميَّة في كلية التربية، فكانت إحـــدى زهراته اليانعة، وطلائعه الرائعة، وكنت في ذلك الوقت أدرس لطلاب القســـم وطالباته معظم المواد، فكنت أدرس العقيدة، والفقه وأصوله، والتفســـير وأصول التفســـير، والحديث وعلومه إلخ، وكانت وضحى وأخواتها من طالبات الفوج الأوَّل هن تلميذاتي الدائمات، وبناتي المقربات، لا يكاد يوم يمر إلَّا وأنا بينهن، بل ربَّما في اليوم الواحد أكثر من مرَّة.

حتـــى حين تقرَّر أن يمارســـن التربيـــة العمليَّة في مـــدارس البنات بالدوحة، كنت أنا المكلف بالإشـــراف عليهن خلال السنتين الأخيرتين من الكُلِّيَّة.

كل ذلك جعلني قريبًـــا كل القرب من هذه المجموعة، الَّتي أشـــعر معها أكثر من غيرها أنَّها جزء مني، وقطعة من حياتي.

وأشهد أنَّ الطالبة «وضحى» كانت دائمًا متفوقة، حريصة على التعلم والفهم، طموحة للترقي في مدارج المعرفة إلـــى ما يمكنها من الكمال المنشود، مع أدب ووفاء، وحســـن خلق، وقوة شخصيَّة، حتَّى تخرجت في قســـم الدراسات الإســـلاميَّة بكلية التربية، ثمَّ اســـتكملت مقرراتها وتخرجت في كُلِّيَّة الشريعة والدراسات الإسلاميَّة أيضًا.

وبدأ طموحها يتجه إلى الدراســـات العليا، فوجدت المجال مفتوحًا أمامها لتتخصص في التربية، ومضت فـــي طريقها، ولكنَّها لم تبعد عن دراســـتها الأصليَّة كثيرًا، فقد اختارت «التربية الإسلاميَّة» مجالًا لعملها وبحثها، حتَّى إنِّي شخصيًّا لا أكاد أشعر أنَّها تركت كليتها الأساسيَّة.

QaradawiBooks.com

لا غرو أن كانت رسالتها للماجستير عن «منهج مقترح في التربية الإسلاميَّة» للصف السادس الابتدائي في المدارس القطرية.

وكانت أطروحتها للدكتوراه حول «برنامج مقترح لتنمية القيم الخاصَّة بمادة التربية الإسلاميَّة لدى تلميذات المرحلة الإعداديَّة بدولة قطر».

لقد أدركت بحكم ثقافتها ودراستها الأصيلة للإسلام عقيدة وشريعة، وأخلاقًا وحضارة: أنَّ إنساننا أحوج ما يكون إلى «القيم الدينيَّة الأصيلة»، لتكون نبراسًا له في حياته وسلوكه، وتحديد علاقته مع ربه، ومع نفسه، ومع أهله، ومع مجتمعه، ومع كل من حوله، وما حوله، وأنَّ فتاتنا القطرية ـ في الإعداديَّة خاصَّة ـ أشد حاجة إلى ذلك؛ لأنَّها زوجة الغد، وأم المستقبل، ومربية الأجيال.

كما أدركت بحكم دراستها التربويَّة: أنَّ المدرسة قادرة على أن يكون لها دور أساسي في هذا الميدان، بجوار البيت والأسرة، وربَّما أهم من البيت والأسرة، وأنَّ مادة التربية الإسلاميَّة يجب أن تقوم بنصيبها في تنمية هذه القيم وتأصيلها، ونقلها من مجرد كلام نظري تُحشى به الذاكرة، إلى نور يهدي العقل، وباعث يحرك الإرادة، وقوة تحيي الضمير، وممارسة تهذب السلوك.

وقد استعانت الباحثة بما تملك من أدوات البحث والتحليل والرصد والقياس والتجريب، حتَّى وصلت إلى النتائج الَّتي وصلت إليها، واستحقت بها مرتبة الشرف الأولى في التربية.

وإنِّي لأحمد الله تعالى أن أكرمني حتَّى رأيت بناتي في هذا المستوى من العلم والمعرفة، وأن أرى طالبة الأمس زميلة اليوم، وأن أكتب اليوم هذه الكلمات تقديمًا لرسالة (الدكتورة وضحى السويدي).

QaradawiBooks.com

وليس أروح للنفس، ولا أشرح للصدر، من أن يجد المرء غرسه قد آتى أكله، وأن يرى أبناءه وبناته قد أصبحوا معه في مَيدان العمل شركاء أكفاء، ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨].

وإذا كان العربي قديمًا يفخر بآبائه، وهو لـم يخترهم، ولم يكن له يد فيما كانوا عليه من فضل، فإن من حقِّنا أن نعتز ونفخر بأبنائنا وبناتنا، الَّذين ساروا في درب الخير حتَّى وصلوا، والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

وأود أن أذكر ابنتي وضحى وأخواتهـا، أنَّ الحصول على الدكتوراه ليس خاتمة المطاف، بل هي بداية لمرحلة جديدة من العمل، فقد مضى زمن الأخذ، وبدأ زمن العطاء والبذل المتواصل؛ لتنشئة جيل مؤمن بربه، معتز بدينه، محب لوطنه، نافع لأمته، موصـول بماضيه، واعٍ لحاضره، عامل لمستقبله.

إنَّ لكل نعمـة زكاة، وزكاة العلم هو العمل بـه، وتعليمه للآخرين، فمن علـم وعمل وعلم، فهذا هـو الرباني حقًّا، وهذا هـو الَّذي يدعى عظيمًا في ملكوت السماء. فضلًا عن تقدير النَّاس في الأرض.

أسـأل الله لابنتنا (وضحى) وجميع زميلاتها مـن بناتنا المزيد من التوفيق في خدمة العلم والإسلام، وتسـديد الخطى على طريق الهدى والنور. اللهمَّ آمين.

وصلى الله على سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

أ. د. **يوسف القرضاوي**

عميد كُلِّيَّة الشريعة والدراسات الإسلاميَّة بجامعة قطر

QaradawiBooks.com

مقدمة «التفكر من المشاهدة إلى الشهود»

للدكتور مالك بدري[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(أمَّا بعد)

فآفتنا ـ نحن العرب والمسلمين ـ اليوم: أنَّنا غدونا عالة على غيرنا في علوم العصر كلها؛ الطبيعية منها والإنسانيَّة، فهم ينشئون ونحن نتلقى.

وسبب ذلك هو نحن، لا ديننا ولا قيمنا، كما يتوهم بعض الَّذين يحكمون على الدين من خلال أهله اليوم، ولو عادوا بأنفسهم إلى الوراء لوجدنا أنَّنا كنا في يوم من الأيام قادة الحضارة في العالم، وكانت جامعاتنا موئل العلم للطلاب من الشرق والغرب، وكانت أسماء علمائنا أشهر الأسماء على وجه الأرض، وكانت كتبهم مراجع علميَّة عالميَّة لعدة قرون، وكانت لغتنا العربيَّة هي لغة العلم الأولى ـ بل الوحيدة ـ في تلك العصور. وقد اعترف بذلك مؤرخو العلم والحضارة، أمثال بريفولت، وجورج سارتون، وغوستاف لوبون، وول ديورانت، وغيرهم.

(١) نشر دار الوفاء، المنصورة، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، والدار العالمية للكتاب الإسلامي، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ٤، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

القصور فينا إذن، والتقصير منا، في المجالين العلميين: الطبيعي الكوني والإنساني الاجتماعي.

بيد أنَّ العلوم الكونية هي علوم محايدة في الأصل، لا يؤثر فيها اختلاف الأجناس ولا الأوطان ولا الأديان ولا الثقافات، إلَّا من جهة فلسفتها، وطريقة تدريسها.

أمَّا العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، فهي الأشد خطرًا، والأبعد أثرًا، لأنَّها تتَّصل بحياة الإنسان وسلوكه وعلاقاته، ولأنَّها تختلف باختلاف عقائد الأمم وفلسفاتها وقيمها السائدة، ونظرتها إلى الدين والدنيا، وإلى الكون والإنسان، وإلى المادة والروح، وإلى التاريخ والواقع.

وهذه العلوم اليوم غربية الفكرة والنظرة، بل التطبيق أيضًا، فالأمثلة كلها منتزعة من الغرب.

والذين يزعمون أنَّ هذه العلوم عالميَّة، وإن نشأت في الغرب، يكذبهم الواقع، ويكذبهم النقاد الأمناء من مفكري الغرب أنفسهم.

لهذا كان اتباعنا للغرب في هذا المجال شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، يمثل خطرًا على ثقافتنا، وعلى قيمنا، وعلى تميزنا الروحي والأخلاقي والإنساني.

وكان على أهل الاختصاص من علمائنا ومفكرينا أن تكون لهم شخصيتهم المستقلة في دراستهم لهذه العلوم، وفي بحثهم لمختلف جوانبها، فيقفوا منها موقف الفاحص الناقد، لا موقف المستسلم التابع، وأن يجهدوا أنفسهم بعض الشيء بالرجوع إلى تراثنا الرحب، وسيجدون فيه الكثير ممَّا يضيء لهم الطريق، ويكشف لهم الغامض. وكلَّما ازدادوا بصرا بمواريثنا الثقافية الصحيحة، وبالينابيع الصافية من بينات القرآن،

QaradawiBooks.com

وهدي النبوة، وسير الأفذاذ من أبناء هذه الأمة، استطاعوا أن يحلوا كثيرًا من العقد في هذه العلوم، وأن يضيفوا إليها الجديد النافع، وأن يخلصوها من النزعات المادِّيَّة، والنظرات الَّتي تتسم بالتعصب وضيق الأفق.

وبهذا تكون لنا «مدارس إسلاميَّة» في هذه العلوم: المدرسة الإسلاميَّة في علم النفس، والمدرسة الإسلاميَّة في علم الاجتماع، وهكذا. وهذا هو الاصطلاح الَّذي أرجحه، بدلًا من اصطلاح «علم النفس الإسلامي» و«علم الاجتماع الإسلامي» ونحوهما.

وأنا لا أريد بهذا أن نطرح كل ما أنجزه الغرب في هذه العلوم، ونبدأ من الصفر وحدنا، فالعلم حلقات متصلة يأخذ بعضها ببعض، كما يصحح بعضها بعضًا، وتراثنا يعلمنا: أنَّ الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها، فهو أحق بها. فهناك مثلا (دور كايم) في علم الاجتماع، و(فرويد) في علم النفس، فليس كل ما كتبوه باطلًا، وأيضًا ليس كل ما كتبوه معصومًا.

المهم أن يكون لنا حق النقد، وحق الاختيار، وأن نأخذ وندع من الفكر الغربي وفق معاييرنا نحن، وأن نخرج عقولنا وأنفسنا من «جحر الضب» الَّذي وقع فيه عبيد الفكر الغربي بشقيه: الليبرالي والاشتراكي.

و«علم النفس الحديث» بعد أن تغير موضوعه على يد المدرسة السلوكية وتطورت مناهجه، ودخلت فيه التجربة والإحصاء والاختبار والقياس، وغدت له معامل ومختبرات ومقاييس مادية ـ أحد العلوم الإنسانيَّة الهامة، الَّتي تحتاج إلى «عقول مسلمة» متخصصة تعالجه من منظور إسلامي، تدرس النفس الإنسانيَّة، وبواطن طاقاتها، وظواهر سلوكها، وفق معطيات القرآن والسُّنَّة، والفلسفة الكُلِّيَّة للإسلام، دون

QaradawiBooks.com

اعتساف ولا التواء في الفهم والتفسير، مستهدية بتراث أئمتنا الأفذاذ الَّذين جمعوا بين علم الظاهر وعلم القلوب والبصائر.

وقد وفق الله في هذا المجال روادًا قاموا بدور ملحوظ فيما نطلق عليه اليوم: «أسلمة المعرفة»، إن صحَّ لفظ «الأسلمة»، وأجازه أهل اللغة.

من هؤلاء في مصر الأستاذ الدكتور مُحمَّد عثمان نجاتي، الَّذي اشتغل بعلم النفس تدريسًا وتأليفًا وعلاجًا، وكان له من ثقافته الإسلاميَّة، ومن إيمانه بقيم الإسلام، ومواهب الإنسان، ما جعله رائد مدرسة لها أنصارها وتلاميذها في النظر إلى النفس الإنسانيَّة وسلوكها من منطلق إسلامي بصير، يجمع بين فقه التراث ومعرفة العصر.

وقد استطاع أن يعالج كثيرًا من المشكلات والأمراض النفسيَّة بما يصفه من أدوية ناجعة مأخوذة من صيدلية الإسلام الخالص، بما فيه من لمسات إيمانيَّة، ومعان ربانية، وشعائر تعبدية، وآداب وأخلاق إنسانيَّة، وأحكام شرعيَّة، مؤمنًا بالحديث النبوي الَّذي يؤكد: أنَّ الله ما أنزل داء إلَّا وأنزل له شفاء، عَلِمه من عَلِمه، وجَهِلَه من جَهِلَه[1]. وهذا ينطبق على الأدواء النفسيَّة، كما ينطبق على الأدواء العضوية.

والكتاب الَّذي بين أيدينا اليوم: «التفكر من المشاهدة إلى الشهود» للدكتور بدري، يقدم ـ على قلة صفحاته ـ دراسة نموذجية من خلال المنظور الإسلامي، ومن وجهة نظر علم النفس الحديث، لموضوع في غاية الأهميَّة.

(١) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره، والنسائي في الكبرى في الأشربة المحظورة (٦٨٣٦)، وابن حبان (٦٠٦٢)، والحاكم (٣٩٩/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، كلاهما في الطب. عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

ويعني بقوله (من المشاهدة إلى الشهود): أي ابتداء من الإدراك الحسي الَّذي يقوم عليه العلم التجريبي، إلى منزلة المراقبة والبصيرة الثاقبة الَّتي ترى الله في كل شيء، وهو ما يسميه ابن تيمية: (الشهود الصحيح)[1]: أي وليس المشوش الَّذي اختلط به الحلول والاتحاد، وهو الشهود الَّذي يشير إليه التفسير النبوي لمرتبة الإحسان، وهو: «**أن تعبدَ الله كأنَّك تراه**»[2].

فهو يدرس هذه «العبادة» أو «الفريضة الإسلاميَّة» كما سماها العقاد رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب له[3]، والَّتي لم يطالب الرسول الممارين في نبوته بشيء أكثر منها: أن يتفكروا ويحكموا وفق ما يهديهم إليه الفكر الهادئ المخلص: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، ومعنى أن يقوموا لله: أي أن يخلصوا في طلب الحقيقة، ومعنى مثنى وفرادى: أي بعيدًا عن تأثير العقل الجمعي وضغوطه.

ويركز الكاتب هنا على معنى «العبادة» في التفكر، الَّتي نوه بها المسلمون من قديم، حتَّى قال حبر الأُمَّة ابن عبَّاس: تفكر ساعة خير من قيام ليلة[4]!

---

(١) انظر: مجموع الفتاوي (٢/٣٧٠).

(٢) جزء من حديث متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٣) راجع: التفكير فريضة إسلامية، نشر المكتبة العصرية، بيروت.

(٤) رواه أبو الشيخ في العظمة (٤٢)، تحقيق رضاء الله المباركفوري، نشر دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

QaradawiBooks.com

بل قال بعضهم: تفكُّر ساعة خير من عبادة سنة[١]!

والمؤلف يركز على التفكر باعتباره عبادة حرة طليقة، لا يحدها ـ فيما عدا التفكر في ذات الله تعالى ـ عائق، ولا قيد مكان أو زمان أو غيب أو شهادة، مقارنًا بين التفكر والتفكير، وبين التفكر والتأمل الارتقائي ـ الَّذي عرفه الغرب أخيرًا نقلًا عن الشرق ـ وبين المفكر المسلم إذا تفكر في الآفاق وفي الأنفس وسنن الله فيها، وغيره من الباحثين والمفكرين، لأنَّ لديه من الحوافز ما ليس عند غيره، فهو يرجو من الله ما لا يرجو الآخرون.

وقد انعكس هذا على المسلمين في عصورهم الذهبيَّة، وأنشؤوا تلك الحضارة المدهشة الَّتي قامت على العلم والإيمان، كما يتجلى ذلك فيما اقتبسه د. بدري من روائع تراثنا، ممَّا كتبه أمثال الغزالي وابن الجوزي وابن القيم.

وقد تحرر كاتبنا في هذا البحث من ضغط «المدرسة السلوكية» في علم النفس بفكرها المعروف، الَّذي قاده (واطسن)، والَّذي احتكرته الجامعات ومراكز البحث لحسابها، وهي المدرسة الَّتي بالغت في محاولة تبسيط كل نشاطات الإنسان الفكريَّة المعقدة إلى سلسلة من المثيرات والاستجابات، حتَّى يصبح علم النفس علما تجريبيا دقيقا... ووصل الأمر بالسلوكيين إلى أن أصبح تصورهم المثالي البسيط للإنسان بأنَّه آلة صماء، نعرضها لمثيرات بيئية محدودة، لتقوم باستجابات يتوقعها الباحث ويتنبأ بها.

(١) رواه أبو الشيخ في العظمة (٣٨)، من قول وهب بن منبه.

QaradawiBooks.com

ولقد نقد الكاتب البصير هذه المبالغة الَّتي كانت رد فعل للمدارس والاتِّجاهات السابقة لعلم النفس، ونقل في ذلك الكلمة الساخرة للعالم البريطاني الشهير سيرل بيرت: إن علم النفس الحديث قد فقد روحه، ثمَّ فقد شعوره، ثمَّ فقد عقله!

فلكي يكون علم النفس علما تجريبيا ـ كما يتصور السلوكيون ـ فقد أفرغ الإنسان من شعوره ومحتواه العقلي والفكري المعقد، كما أفرغوه من قبل من محتواه الروحي.

كذلك ناقش المؤلف محاولة جعل علم النفس كالفيزياء والكيمياء، ونحوهما من علوم المادة، فإن المادة يمكن ضبطها، بخلاف الإنسان.

كما ناقش الماديين في موضوع صلة العقل بالدماغ، ودعواهم أنَّ ما نسميه بالعقل المفكر ما هو إلَّا انعكاسات للمتغيرات الدفينة في كيمياء الدماغ ومنصاته الدفينة الكيموكهربائيَّة.

وقد انتفع المؤلِّف بما توصل إليه علماء «علم النفس المعرفي» بعد سنين طويلة من البحث العلمي الَّذي تخطى جميع المدارس، الَّتي حاولت حصر السلوك الإنساني بمفهومه العام في قمقم نظري محدود.

فالنشاط الفكري الداخلي للإنسان ـ سواء شعر به الفرد أم لم يشعر ـ هو الَّذي يوجه سلوكه وتصرفاته الخارجية.. وليست البيئة ـ بمثيراتها المختلفة والاستجابات المباشرة لها ـ هي الموجه الأوَّل للإنسان وأساس تفسير سلوكه، كما تقول المدرسة السلوكية.

وما وصل إليه علم النفس المعرفي يؤكد صدق ما قرره الإسلام من أنَّ التفكر في آيات الله في النفس والآفاق، هو العمود الفقري للإيمان، الَّذي ينبثق عنه كل عمل خير.

QaradawiBooks.com

إنَّ الكتاب بفصوله الثمانية نموذج لما يمكن أن تقدمه العلوم الإنسانيَّة من خدمة للإيمان وللقيم الروحية العليا، وبالتالي: للإنسان، إذا تناولها بالبحث والدرس عقل مسلم متخصص، قد تحرر من كل تعصب لفكر قديم، ومن كل عبوديَّة لفكر جديد، جعل القرآن والسُّنَّة نبراسه، فاجتمع له نور الإيمان والوحي، ونور العقل والفطرة، فكأنا كما قال تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥].

وأعتقد أنَّ الموضوع قابل لأن ينمو ويتوسع، والكاتب قادر على ذلك، ولعلَّه يفعل ذلك في طبعات لاحقة إن شاء الله، زاده الله توفيقًا، ونفع به، وجزاه خيرًا عن أمته ودينه.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

أ. د. يوسف القرضاوي

الدوحة في ربيع الأول١٤١٠هـ

الموافق أكتوبر١٩٨٩م

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة «تنمية الموارد البشريَّة والماليَّة في المنظمات الخيريَّة»

للأستاذ سليمان بن علي العلي[1]

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الَّذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، وآله وصحبه مصابيح الدجى، ومن بهم اقتدى فاهتدى.[1]

(أمَّا بعد)

فإن فعل الخير والرحمة بخلق الله، ومساعدة الضعفاء منهم شعبة أساسيَّة من شعب الإسلام، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨]، ففي هذا النداء الإلٰهي للجماعة المؤمنة بيان لشعب ثلاث يجب عليها أن تقوم بها:

الأولى: تحدد علاقتها بالله، وهو الركوع والسجود وعبادة الله تعالى.

الثانية: تحدد علاقتها بالمجتمع، وهي فعل الخير بإطلاق.

الثالثة: تحدد علاقتها بقوى الشر والفساد، وهو الجهاد في الله حق جهاده.

(١) نشر مؤسسة أمانة، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ويكفي أنَّ الإسلام جعل أحد أركانه الخمسة الأساسيَّة الَّتي قام عليها بنيانه: إيتاء الزكاة. ولم يجعل للمسلم حق الانتساب إلى الأمة واستحقاق أخوتها الدينيَّة، إلَّا بإقامة الفريضتين؛ الروحية وهي الصلاة، والاجتماعيَّة وهي الزكاة. قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

وأقام على هذه الفريضة حراسا ثلاثة: حارس من داخل ضمير المسلم، وهو وازع الإيمان.

وحارس من داخل المجتمع، وهو الضمير الاجتماعي للأمة، الآمر بالمعروف، الناهي عن المنكر.

وحارس من قبل الدولة، وهو سلطان قانون الشرع، الَّذي جعل الزكاة نظامًا تشرف عليه الدولة تحصيلًا وتوزيعًا، بواسطة جهاز «العاملين عليها»، والَّتي أمرت أن تأخذها ممَّن وجبت عليه كرهًا، إن لم يؤدها طوعًا.

ولم يكتف الإسلام بهذه الزكاة المفروضة، بل عن كل مفصل من مفاصل جسمه، بما يستطيع من مال يبذله، أو طعام يطعمه، أو ماء يسقيه أو حاجة يقضيها، أو أذى يميطه عن الطريق، أو إغاثة لهفان، أو هداية حيران، أو تعليم لجاهل، أو تشغيل لعاطل، أو تدريب لعامل، أو إيواء لمشرد، أو كفالة ليتيم، أو تقديم مساعدة وإن صغرت، كحمل الإنسان الضعيف ليركب دابته، أو إعانته على حمل متاعه عليها، فإن لم يستطع ذلك فيكفيه منه بسمة حنان، أو كلمة طيبة، فكل هذه صدقة، والأحاديث النبويَّة في هذا المعنى كثيرة ووفيرة وناصعة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة من
QaradawiBooks.com

ولم يطالب الإسلام الأغنياء والموسرين وحدهم بالبذل والعطاء، بل حث المعسرين على بذل ما يحتاجون إليه على سبيل الإيثار، كما قال تعالى في وصف الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وقال ﷺ: «**أفضل الصدقة جهد المُقِلِّ**»(١).

ومن أجل هذا أوجب صدقة الفطر في العيد على كل من يملك مقدارها، فاضلًا عن قوت يوم العيد وليلته، ولم يشترط لها ملك النصاب في قول جمهور فقهاء المسلمين، وجاء في ذلك الحديث النبوي يقول: «**أمَّا غَنِيُّكم فيُزَكِّيه الله تعالى، وأمَّا فقيرُكم فيردُّ اللهُ عليه أكثرَ ممَّا أعطى**»(٢).

وأعظم من ذلك دعوة الإسلام إلى الصدقة الجارية، وهي الَّتي يدوم نفعها بعد موت صاحبها، وعلى أساسها قام «الوقف» في الإسلام، حيث يحبس الأصل، فلا يباع ولا يتصرف فيه، وتسبل الثمرة، وقد ضرب المسلمون في عصورهم المختلفة أروع الأمثال، فوقفوا أموالهم لتحقيق أهداف إنسانيَّة شملت جميع نواحي البر، وغطت كل جوانب الخير، ولم تقتصر على الإنسان، حتَّى شملت الحيوان، وهذا ما تميزت به حضارة الإسلام.

---

(١) رواه أحمد (٨٧٠٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (١٦٧٧)، وابن خزيمة (٢٤٤٤)، والحاكم (٤١٤/١)، وصحَّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الزكاة. عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٣٦٦٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الزكاة (١٦١٩)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٤٦٨)، عن عبد الله بن ثعلبة.

QaradawiBooks.com

ولا عجب بعد ذلك أن يهتم المسلمون ـ أفرادا وجماعات ـ بعمل الخير، وأن تقوم له الجمعيَّات والمؤسسات في كل مكان، امتثالًا لأمر الله تعالى، وابتغاء المثوبة عنده، بعضه له صفة محلية، وبعضه له صفة إقليميَّة، وبعضه له صفة عالميَّة.

وقام في السنوات الأخيرة «المجلس الأعلى للدعوة والإغاثة» برئاسة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، ويضم عددا لا بأس به من الهيئات الكبرى وما دونها، مثل «الهيئة الخيريَّة الإسلاميَّة العالميَّة» بالكويت، و«هيئة الإغاثة الإسلاميَّة العالميَّة» بالمملكة العربيَّة السعودية، و«منظمة الدعوة الإسلاميَّة» بالخرطوم، و«جمعية زايد الخيريَّة»، و«جمعية قطر الخيريَّة»، وغيرها من المؤسسات.

ومع اتساع العمل الخيري وجماعاته، كان لا بدَّ من عمل علمي يتحدَّث عن هذا الجانب، وفق معطيات الواقع الميداني، ووفق الدراسات العلميَّة الحديثة، الَّتي قام بها الغربيُّون، ولم يشارك فيها المسلمون للأسف.

وقد لاحظ أخونا المسلم الغيور الأستاذ سليمان بن علي العلي، خلو الجانب الإسلامي من بحث متخصص في هذا المجال، فقام بهذه الدراسة العلميَّة الَّتي تعتبر الأولى من نوعها، مستفيدًا من موقعه على رأس هيئة الإغاثة بأمريكا، وممارسته العلميَّة، وتجاربه الميدانية، ومنتفعًا بما قرأه في ذلك ممَّا كتبه الدارسون الأمريكان وغيرهم.

وهو عمل مقدور نشكره للأخ سليمان، ويعد خطوة رائدة في موضوعه، وقد سماه «تنمية الموارد البشريَّة والماليَّة في المنظمات الخيريَّة».

QaradawiBooks.com

ولا ريب في أن هذه الخطوة ستتبعها إن شاء الله خطوات، وهذا العمل سيعقبه أعمال تنميه وتطوره وتحسنه، كما هو شأن الأعمال البشريَّة، حتَّى يبلغ الغاية المرجوة.

وإنا لنسأل الله تعالى أن يجزي أخانا الأستاذ سليمان خيرًا على عمله، وعلى نيته، وأن ينفع به العاملين في هذا الحقل الهام، وأن يوفق الجميع إلى ما يحب ويرضى.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «معًا نربي أولادنا»

من إصدارات موقع إسلام أون لاين[1]

الحمد لله الَّذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهيَّأ له من الأسباب ما يرفعه في مدارج الكمال، والصلاة والسلام على سيِّدنا مُحمَّد الَّذي بعثه الله معلمًا مُيسِّرًا، ولم يبعثه معنتًا ولا متعنتًا، وعلى آله وصبحه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فإن الأولاد ـ بنين كانوا أو بنات ـ أمانة أو وديعة من الله استودعها آباءهم وأمهاتهم، فعليهم أن يحفظوها ويرعوها حق رعايتها، فإن الله تعالى سائلهم عنهم، فـ «**كل راعٍ مسؤولٌ عن رعيَّته**»[2]، والوالد راعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيَّته أمام ربِّه، وأمام ضميره، وأمام مجتمعه.

والأولاد من جهة أخرى: نعمة من الله تعالى على آبائهم وأمهاتهم، ومن واجبهم أن يشكروا الله على هذه النعمة، فيحسنوا تربيتهم وتأديبهم، حتَّى ينشؤوا نشأة سوية، فيسعدوا بحياتهم، ويسعدوا المجتمع من حولهم، ويكونوا قرة أعين لأهليهم، ومصدر خير لجماعتهم، كما قال

(١) نشر الدار العربية للعلوم، بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

تعالى على لسان عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

فكل أب صالح أو أم صالحة يتمنيان أن يكون أولادهما صالحين، كما قال سيِّدنا إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وكما ذكر الله لنا الرجل الصالح حين يبلغ أشده مبلغ أربعين سنة، فيتوجَّه إلى الله بالدعاء قائلًا: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيَ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وتربية الأولاد ليست مجرد أوامر عسكريَّة تفرض، ولا محفوظات معرفيَّة تلقن، ولكنَّها علم وفن، وأدب وذوق، ومصاحبة ومعايشة، وقلب حان، وصدر حنون، وحضن دافئ، وعاطفة فياضة، وملاحظة دائبة، وصبر ومصابرة، ويقظة للحركة والسكنة، وانتباه للضحكة والآهة.

إنَّ التربية الصحيحة قد يقوم بها الأب الأمي بالفطرة، وقد يفشل فيها الأب المتعلم؛ لأنَّ التربية تحتاج إلى عقل يلاحظ ويدرك، وإلى قلب يحب ويعطف، وإلى إرادة قوية تحسم عند الحاجة إلى الحسم.

إنَّ التربية قد تكون بالبسمة الناعمة، وبالكلمة الحلوة، وبالقبلة على الخدين، وبالضمة والمعانقة، وبالمكافأة على الفعل الجميل، والسلوك الطيب، وبالثناء والتشجيع، كما تكون بالنظرة الغاضبة عند اللزوم، وبالكلمة الحسنة عند الضرورة، وباللوم المناسب عند الخطأ المقصود.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

إنَّ بعض الآباء والأمهات كثيـرًا ما يخطئون، فيضعون اللين موضع الشدَّة، أو الشدَّة موضع اللين، فيفسدون من حيث يريدون أن يصلحوا، وقد قال أبو الطيِّب:

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلَا مُضِرٌّ، كوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى[1]

إن كثيرًا من الوالدين يضعون أولادهم بين إفراط القسـوة، وتفريط التدليل، والتربية المنشودة بين هذه الطرفين، وخير الأمور الوسط.

وأحبُّ أن أبيِّن أنَّ «التربية الإسلاميَّة» الَّتي ننشدها هي أكبر وأوسع أفقا من مجرد «التربية الدينيَّة» الَّتي قد يتصورها بعض الناس.. إنَّ التربية الدينيَّة شعبة من التربية الإسلاميَّة.

التربية الإسـلاميَّة تشـمل: التربية العقليَّة، والتربيـة الخُلقيَّة، والتربية البدنيَّة، والتربية العلميَّة، والتربية الأدبيَّة، والتربية المهنيَّة، والتربية الاجتماعيَّة، والتربية الفنيَّة (الجماليَّة)، والتربية الجنسـيَّة، والتربية العسـكريَّة، وغيرها من شـعب التربية، إلى جـوار التربية الدينيَّة أو الرُّوحيَّة.

وتربية الإنسان المسلم تمتاز بأنَّها تعد الإنسان ليكون صالحًا في الدُّنْيا، سـعيدًا في الآخرة، محمودًا عند الناس، مرضيًّا عند الله، كما قـال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

فليس المطلـوب أن توفر لولدك احتياجاتـه الدنيوية، وتهيئ له من التعليم ما يبوئه أرقى المناصب، دون أن يتعلـم واجبه نحو ربه، ونحو

(١) في ديوانه صـ ٣٧٢، نشر دار بيروت، ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

آخرته وحياته الباقية، فيكون مصيره إلى النار، ومن ذا الَّذي يرضى أن يكون مصير ولده وفلذة كبده النار؟!

إنَّ التربية مهمة صعبة، وهي في هذا الزمن أشد ما تكون صعوبة، فلم يعد الأب والأم وحدهما اللذين يقومان بالتربية، بل تشاركهما قوى كبيرة، ومؤسسات خطيرة: تؤثر في توجيه الأولاد أكثر من الأبوين، من المدرسة والتلفاز والإذاعة والصحافة والشارع والأصدقاء والبيئة الاجتماعيَّة كلها. وهنا تتصادم الاتِّجاهات، وتتنازع الإرادات والرغبات.

وهنا تحدث المشكلات الَّتي تحتاج إلى حلول، والتساؤلات الَّتي تفتقر إلى أجوبة، والمطبات الَّتي يقع فيها الأبناء والبنات، والَّتي يقف آباؤهم وأمهاتهم حيارى حيالها، ويحتاجون إلى المرشد الَّذي يوجههم إلى السلوك الأمثل، والمنار الَّذي يهدي للَّتي هي أقوم.

وهنا يتدخل إخواننا في هذا القسم في موقعنا الإسلامي المبارك «إسلام أون لاين» بما يقدِّمونه من إرشادات وحلول، مستعينين فيها بالمختصين من التربويين، والأطباء، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع وغيرهم. وهو ما أرشدنا إليه القرآن حين قال: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

خذ مثلًا طفلًا يبول على نفسه، وقد كبرت سنه، وأبوانه ينهرانه ويقسوان عليه من أجل أنَّه لا ينظف نفسه، ويمسك بوله كبقية الأطفال. وربَّما كان سبب ذلك عيبًا عضويًّا يحتاج إلى الطبيب المختص، وقد يكون سببًا نفسيًّا يحتاج إلى المعالج النفسي. وهكذا بالتفاهم والمصارحة والتعاون يمكن الوصول إلى علاج للمشكلة.

QaradawiBooks.com

جزى الله إخواننا المسؤولين عن باب «تربية الأبناء» في «إسلام أون لاين» خيرًا عما قدَّموه لإخوانهم وأبنائهم من المسلمين والمسلمات.

وقد رأينا من الخير أن نطبع هذه الحصيلة من الإجابات والإرشادات، لينتفع بها المسلمون بالقراءة، كما انتفع بها من تابعها في الموقع، فالحمد لله الَّذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة «سلسلة مشاكل وحلول للشباب»

من إصدارات موقع إسلام أون لاين[١]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هُداه.

(وبعد)

فإن الشباب هو مرحلة القوَّة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، كما أشار إلى ذلك القرآن، في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

وهو من الحيوية الدافقة، والنشاط والتوثب، والأحلام والتخيلات، والعواطف والانفعالات، حتَّى عبر النَّاس عن ذلك قديمًا بقولهم: الشباب شعلة من الجنون!

ومِن الشباب مَن هيَّأ الله له التربية الصالحة، والبيئة الصالحة، فنشأ نشأة سوية، لا عقد فيها ولا متاعب ولا مشكلات. فكان من السبعة الَّذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلَّا ظله، ومنهم: «**شابٌّ نشأ في عبادة ربِّه**»[٢].

---

(١) نشر الدار العربية للعلوم، بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) كلاهما في الزكاة عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومنهم لم يتح له ذلك، فنشأ في بيئة منحرفة ساعدته على الانحراف، فمشى في طريق الغواية، حتَّى يقيض له من يرده إلى الحق، ويوقظ فيه الفطرة السليمة، ودواعي الخير، فيعود إلى الله بعد شرود، ويتوب بعد عصيان.

ومنهم من ينشأ في بيئة دينيَّة ملتزمة بشعائر الدين، ولكنَّها مليئة بالعقد والأمراض النفسيَّة، والمشكلات السلوكية والاجتماعيَّة، فتورثه خللًا في السلوك، وتناقضًا في الفكر، وحيرة أمام كثير من صعوبات الحياة.

ومثله من ينشأ نشأة مترفة، نشأ في الحلية، أو ولد وفي فمه ملعقة من ذهب، كما يقولون، فلما واجه الحياة وجد فيها وردا وشوكا، وحلوا ومرا، وهو لم يجرب لمس الشوك، بل هو كما قال الشاعر:

خَطَرَاتُ النَّسِيمِ تَجْرَحُ خَدَّيْـ ـهِ وَلَمْسُ الْحَرِيرِ يُدْمِي بَنَانَهْ[1]!

فماذا يفعل أمام خضم الحياة الزاخرة بالأمواج والتيارات المتلاطمة؟

وشباب آخرون كثيرون حائرون: بين ما ورثوه من قيم وأفكار وتقاليد تنتمي إلى الإسلام، وما غزاه به الغرب المنتصر من قيم وأفكار وتقاليد أخرى تنتمي إلى حضارة أخرى: أي النجدين يختار؟

وإذا اختار طريق الإسلام ـ كما هو الطبيعي والمنطقي لمثله ـ فماذا يفعل أمام هذه المغريات المتواصلة، ممَّا يقرأ وما يسمع وما يشاهد، الَّتي تهيج الغريزة، وتثير الشهوة، وتدفع إلى الفتنة؟

(١) من شعر شهاب الدين الإعزازي، انظر: نفح الأزهار في منتخبات الأشعار لشاكر شقير البتلوني صـ ٩، تحقيق إبراهيم اليازجي، نشر المطبعة الأدبية، بيروت، ط ٣، ١٨٨٦م.

QaradawiBooks.com

ومشكلات الحياة الَّتي لا تنتهي: الدراسة، والوظيفة، والزواج، والأسرة، والمجتمع، والسلطة... والعلاقة بهذا كله، وما فيه من عقد تطلب الحل، ومشاكل تطلب العلاج، وأسئلة قلقة تنتظر الإجابة الشافية.

كل هذه الأمور هي الَّتي جعلت إخواننا في «إسلام أون لاين» ينشئون هذا الباب تحت عنوان «الشباب: مشاكل وحلول»؛ ليعقدوا صلة مع الشباب، ويفسحوا لهم المجال، ليفتحوا لهم الآذان لتسمع، والعقول لترصد وتعي، وتوازن وتحلل، وتضع لهم في ضوء الواقع وإمكاناته ما يعينهم على النهوض من عثرتهم، أو الجواب عن سؤالهم، أو المساهمة في حل مشكلاتهم، في ضوء معطيات العلم، ورصيد التجربة البشري.

وهم في هذا يستعينون بكل ذي خبرة، من أهل الذكر على تنوع تخصصاتهم، من علماء النفس، أو علماء التربية، أو علماء الاجتماع، أو علماء الدين، أو المجربين والخبراء في شؤون الحياة، كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وأود أن أذكر هنا أمرًا، ربَّما يكون له حساسية خاصَّة لدى كثير من الناس، وهو ما يتعلق بالجنس، فقد تعود النَّاس أن يعالجوا هذا الأمر بالكتمان والتغطية عليه، واعتباره أمرًا لا يجوز الحديث عنه، أو الخوض فيه، لما فيه من خدش الحياء، ومنافاة الأدب العام.

وأود أن أقول: إنَّ هذا لم يكن هو السائد في ثقافتنا الإسلاميَّة، فالفقهاء يعرضون لهذه الأمور في كتاب الطهارة في نواقض الوضوء، وموجبات الغسل، والحيض والنفاس والاستحاضة، ويتعرضون لها في

QaradawiBooks.com

فقه الأسـرة: في حقوق الزوجية، وفي العيوب الَّتي يفسخ بها النكاح، وفي غير ذلك من الأبواب.

كما يتعرض لها المفسرون في تفسير آيات القرآن، كما في عدة آيات في سـورة البقرة، ويعرض لها المحدثون في شرح الأحاديث الصحيحة الكثيرة الَّتي تتعلق بهذا المجال.

وكانت هذه الأشـياء معروفة في المجتمع، وتمضي بيسر وسهولة، دون أن يشعر أحد بحرج منها.

وقد خصص أخونا الفاضل عبد الحليم أبو شـقة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موسوعته «تحرير المرأة في عصر الرسـالة»: الجزء السـادس للثقافة الجنسـية، والتربية الجنسية، فأحسن وأفاد.

المهم أن تعرض المشـاكل الجنسـية وحلولها في جـو من الجدية والموضوعية العلميَّة، بعيدا عن جو الإثـارة والفتنة. وهذا ما أعتقد أن إخواننا في «إسـلام أون لاين» قـد حرصوا عليه. وهـو الموقف الَّذي يفرضه الإسلام، كما يفرضه العلم.

وقد رأى إخواننا: أنَّ نشر هذه الحلول والإرشادات نافع للقراء، ليتاح لأعداد أخرى ممَّن لا يتابعون الإنترنت أن يقرؤوها، كما يتاح للجميع أن يقتنوها في كتب، فما زال للكتاب موقعه وأثره.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

الأدبيـات

في الشعـر

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة ديوان «الشعاع»
للشاعر وليد الأعظمي[١]

إنَّ المعركة بين الحق والباطل معركة طويلة الأمد، عريضة الجبهة، وهي في حاجة إلى حراس أيقاظ أقوياء، وأسلحة ماضية متنوعة، والباطل يستخدم كل الأسلحة المادِّيَّة والأدبيَّة في حربه الأبدية الضروس ضد الحق، والشعر سلاح من هذه الأسلحة، كالمقالة والقصة والمسرحية، وسائر ألوان الأدب والفن.

ومما يأسى له القلب، ويندى له الجبين، أن نرى كثرة من الشعراء في دنيا العرب يدورون في فلك الباطل، يستوحون شيطانه، فيوحي إليهم زخرف القول غرورًا، ويقولون منكرًا من الشعر وزورًا، ما بين غارق في لذة الحس، سكران لا يعرف يومه من أمسه، ولا جسده من رأسه[٢]، وبين حبيس في قفص التقليد للغرب الأشقر، أو الشرق الأحمر، مستعبد لفكر أجنبي، صنعته اليهوديَّة العالميَّة، أو الصليبيَّة الغربيَّة، أو الشيوعيَّة الدولية، فهو يردده ترديد الببغاوات، ويُقلِّده تقليد القرود، ويزعم هذا التقليد تجديدًا ما بعده تجديد!

(١) نشر الدار الكويتية للطباعة والنشر، الكويت، ط ٢، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

(٢) حتى رأينا ديوانًا كاملاً بعنوان: طفولة نهد.

QaradawiBooks.com

بيد أن حكمة الله قد قضت أن لا تخلــو الأرض من قائم لله بالحجة في كل مجال من مجالات الحياة.

ورحم الله شوقي إذ قال:

إِنَّ الَّذِي خَلَــقَ الحَقِيقَــةَ عَلقَمًا لَم يُخلِ مِن أَهلِ الحَقِيقَةِ جِيلَا[1]

فلا غرو أن وجد ـ بإزاء هؤلاء العبيــد للفكر الأجنبي والأدب الدخيل ـ شــعراء أصلاء، لــم يرضــوا لأنفســهــم أن يكونــوا عبيدًا وقـــد ولدتهم أمهاتهم أحــرارًا، وأبوا أن يبيعــوا عقولهم وقلوبهم لشــرق أو غرب.

من هؤلاء الأحرار الأصلاء الأخ الشــاعر الأســتاذ وليد الأعظمي، الَّذي أقدم اليوم الطبعة الثانية لديوانه «الشعاع».

ولهذا الديوان من اســمه نصيب، فله من الشعاع وضوحه وإشراقه، وله منه ضوءه وحرارته، وله منه طهره واستقامته.

ويوم تدلهم الدُّنْيا بظلمات الباطل، يتراكم بعضها فوق بعض، تصبح في حاجة إلى «أشعة» هادية تنير الطريق، وتبدد الدياجير. وهذا الديوان شعاع من هذه الأشعة الَّتي تبعث الهدى والحرارة والنور.

وربما استبعد كثير من النَّاس أن يكون للشــعر حظ ممَّا ذكرت من الأوصاف، فالشــعر في أذهان النَّاس ـ وخاصــة المتدينين منهم ـ خيال يجافي الواقع، وغلو يبعد عن الحقيقة، وأعذبه أكذبه كما يقال، والشعراء في كل واد يهيمون، وديدنهم أنَّهم يقولون ما لا يفعلون.

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٨١/١).

QaradawiBooks.com

وهذا صحيح في جملته بالنظر إلى غير المؤمنين! أمَّا المؤمنون فلهم شأن آخر. إنَّ الإيمان إذا امتزجت حلاوته بقلب الشاعر جعله يستمد من ملاك إذا استمد غيره من شيطان، إنَّ الإيمان هو الَّذي يصحح الاتِّجاه ويقومه، فإذا استقام اتجاه المرء استقام شعره ونثره، وقوله وعمله وخلقه وسلوكه، ولهذا قال القرآن الكريم: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧].

وهذه الآيات تُبيِّن لنا أنَّ منهج الأدب الإسلامي ليس منهج الهيمان في أودية الخيال، ولا منهج التلبيس والتزوير الَّذي يجعل الأكاذيب حقائق، ويجعل من الذرة مجرة، وإنَّما هو المنهج الواقعي الحي، الَّذي يواجه الحياة، ويعالج الواقع في ضوء الإيمان، وتحت راية الله.

وهكذا كان شاعرنا، إنَّه لم يعش في برج من الأبراج العاجية الَّتي يعيش فيها المترفون، ولا في صومعة من الصوامع الخلوية، الَّتي يستريح فيها المتصوفون.

إنَّه شاعر الواقع، شاعر الحياة، وولعه بالواقع والحياة جعله بحق شاعر الشعب، وشاعر الإسلام.

شاعر الشعب، يشدو له حين يفرح، ويبكي له حين يأسى، ويزأر من أجله حين يظلم، ويصرخ صراخ الحارس اليقظ، إذا أهدرت حقوقه، أو ديس حماه.

والشعب عنده لا تحصره أرض ضيقة، ولا تحده حواجز مصطنعة،

QaradawiBooks.com

إن شعبه هم المسلمون في كل مكان، عربًا كانوا أو عجمًا، بيضًا كانوا أو سودا، رجالا كانوا أو نساء.

وهو أيضًا شاعر الإسلام؛ وكل شاعر حقيقي للشعب لا بدَّ أن يكون شاعرًا للإسلام، فالإسلام هو دين الشعب ومنهجه الَّذي ارتضاه الله له، وارتضاه هو لنفسه بمقتضى عقد الإيمان، وكل من زعم نفسه شاعرًا للشعب، أو أديبًا للشعب، أو فنانًا للشعب، وهو في الوقت نفسه يجافي الإسلام ودعوته، فهو كاذب في دعواه، خائن للشعب، مزور عليه، بل عدو له.

والإسلام الَّذي آمن به شاعرنا هو الإسلام الحق، الإسلام الأصيل لا المغشوش، الإسلام القوي لا الضعيف، الإسلام الَّذي لا يعرف اليأس ولا الهزيمة ولا الاستسلام.

ولهذا تراه يتغنى بدستور الإسلام (القرآن) في أكثر من قصيدة، وبنبي الإسلام في أكثر من مناسبة، وبدعاة الإسلام في أكثر من موقف.

و«الشعاع» هو باكورة دواوين شاعرنا، الَّذي يتمتع بطاقة شعرية ثرة سخية، وقد ظهر له بعده «الزوابع» و«أغاني المعركة».

ولا شك أنهما أدل على شاعريته من هذا الديوان، وأحفل بالمعاني والأخيلة والصور الشعرية، ومع هذا يظل لهذا «الشعاع» قيمته الخاصَّة، وفيه تتجلى من أوَّل يوم خصائص الشاعر الأصيلة في شعره، من التدفق، والسلاسة، والصدق، وحرارة العاطفة، ووضوح الفكرة، وسهولة التعبير.

QaradawiBooks.com

وإذا كان لا بدَّ من أمثلة على هذه الخصائص، فلنستمع إليه يقول في قصيدة «صرخة»:

شكونا إلى الأعداء ألف شكايةٍ وقد كلَّ مِنْ نقل الشكاوى بريدُها
وألف احتجاجٍ قد بعثنا بشدَّةٍ فلم يُجْدِ نفعا سهلها وشديدها
وكانت مواثيقُ الأعادي خرافةً وأقوالها كذبًا وزورًا عهودها
مجالسها للغدر والظلم أُسِّست فحكّامها منهم، ومنهم شهودها
وأوراق شكوانا على الرَّفِّ كُدِّست وبين زواياها ليشبعَ دودها

وفي مقطوعة عن «شهداء الدعوة الإسلاميَّة» يقول:

ما ذنبهم؟ ماذا جنته أكفّهم وهم الدّعاة لكلِّ خُلقٍ راق؟
أَلأنَّهم قالوا ـ بكلِّ صراحةٍ ـ لسْنا نريد حياة الاسترقاق؟
يتراكضون إلى المشانق مثلما تجري الضّوامر في مجال سباق
باعوا النُّفوس لربِّها وتذوَّقوا طعم الشَّهادة وهو حلو مذاق
فازوا بها، فكأنَّها وكأنَّهم (مشتاقةٌ تسعى إلى مشتاق)

بقي شيء قد يأخذه بعض النَّاس على الشاعر، وهو عنفه في مهاجمة الأوضاع الجائرة ورجالها، وصبه سياطا من لهب، على جباههم وجنوبهم وظهورهم، وربَّما استعمل في أحيان نادرة ألفاظًا جارحة، أو غير مألوفة، ولكن عذره ما يرى ويلمس من مظالم فادحة، ومساخر فاضحة، ومآسي صارخة، من شأنها أن تثير الهادئ، وتغضب الحليم. فما بالك بشاعر دافق العاطفة، ملتهب الإحساس، كان يومها في عنفوان الشباب؟

وهو يعبر عن طابع شعره في أبيات صدر بها ديوانه، يقول فيها:

QaradawiBooks.com

ولـسْـتُ الـشّـاعـر الـرَّخـو الَّـذي يـقـنـعُ بـالـهـمـسِ
وخـيـرُ الـشِّـعـرِ مـا كـانَ صـريـح الـغـاي كـالـشَّـمـسِ

سدد الله شـاعرنا، وأيده بروح القدس من بعد، كما أيَّد (حسانا) من قبل، حتَّى يكون وقع شـعره على الظلام، أشـد من وقع الحسـام في غبس[1] الظلام.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة في ذي الحجة ١٣٨٧هـ

الموافق مارس ١٩٦٨م

غير مرخصة للطباعة

(١) الغَبَس والغَبَش: السواد.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة ديوان «نداء الحق»
للشاعر أحمد مُحمَّد الصديق(١)

منذ سنوات سعدت بكتابة مقدمة لديوان «الشعاع» للشاعر العراقي المسلم الأستاذ وليد الأعظمي، واليوم يسعدني أن أَكتب مقدمة ديوان «نداء الحق» للشاعر الفلسطيني المسلم الأستاذ أحمد مُحمَّد الصديق.

وكأن الإخوة ـ حفظهم الله ـ يرون بهذه المقدمات أن يشدوني أو يردوني إلى عهد الشعر، بعد أن هجرته أو هجرني، وقلَّما يلتقي عقل العالم ووجدان الشاعر حتَّى يغلب أحدهما الآخر.

أمَّا شاعرنا فقد عرفته منذ أكثر من خمسة عشر عامًا، حين أقبل يريد الالتحاق بالمعهد الديني الثانوي في قطر، ليصل أسبابه بالعلم بعد أن قطعت حين آثر الرحيل من بلدته ومسقط رأسه «شفا عمرو» في الأرض المحتلة، متجشمًا وعثاء السفر، ووعورة الطريق، ومخاطر الحدود، بين دولة الكيان الصهيوني ولبنان، والغربة عن الوطن والأهل، بنفس راضية، وثغر باسم، فرارًا من ذل الرضوخ لسلطان الصهاينة.

عرفته وعرفت قصته، فوجدت فيه شابا متألق الفكر، متوثب الروح، متوقد العزم، صادق الرغبة في طلب العلم، فلم آل جهدًا في معاونته،

(١) نشر مطابع الدوحة الحديثة، قطر.

نسخة مجانية

حتَّى التحق بالمعهد، وبرز فيه، وأنهى به دراسته الثانويَّة، بتفوق ظاهر، ليكمل دراسته العالية بجامعة أم درمان الإسلاميَّة بالسودان، ثمَّ يعود إلى قطر مرَّة أخرى، معلمًا ومربيًا.

وفي تلك المرحلة، استمعت إلى أحمد الصديق شاعرًا، كما قرأت نماذج من شعره، فوجدت فيه موهبة تشق طريقها بثبات، وتثبت وجودها بقوَّة، فهو يتمتع بطبع سخي، وشاعرية فياضة، وقدرة على التحليق الروحي والإبداع الفني، مستخدمًا أجمل الصور الشعرية في إطار من العبارات والألفاظ، ليست من الحوشي الغريب، ولا السوقي المبتذل، أحسن سبكها، وجود نظمها، كأنها حبات عقد لؤلؤي نظمها جوهري خبير، أو قلادة ذهبية أجاد صنعها صائغ قدير.

وشعر (الصديق) يدور حول محورين أساسيين: (دينه، ووطنه)، ودينه هو الإسلام، ووطنه هو فلسطين، فحولهما يدندن، ولهما أو عليهما يغني أو يبكي.

فهو شادي الأفراح، و(ندابة) الأحزان، ولكنَّه استطاع أن يحول الحزن من سكب الدموع، وإطلاق العويل، إلى ثورة على الباطل، ودعوة إلى الحق، يجتمع فيها الشتات، ويحيا الموات، وتعلو راية الله، يحملها رجال مؤمنون، يعيدون من جديد (صلاح الدين)، ويحيون ذكرى «حطين».

إنَّ إسلاميات الصديق في ديوانه تستغرق معظم قصائده، فقد آمن بالإسلام، عقيدة وشريعة، عبادة وقيادة، دينًا ودولة، حضارة وأمة، مصحفًا وسيفًا، أخلاقًا وجهادًا. وهذا الإيمان الواعي الشامل، نجد صورته ماثلة في شعره، من قصائد تتغلغل في أعماق النفس، أو تسبح في آفاق الوجود، إلى أخرى تبين محاسن الشريعة أو تذود عنها، إلى

QaradawiBooks.com

ثالثة تتحدث عن قضايا الإسلام من المحيط إلى المحيط، إلى رابعة تحيي ذكريات الإسلام وبطولاته وأمجاده على امتداد أربعة عشر قرنًا.

استمع معي إليه يقول في إلهياته مناجيًا ربه من قصيدة «ابتهال»:

بقربكَ تزدهي منِّي الرّغاب ... ويعذبُ في محبَّتكَ العذاب
وقلبي جنَّة ما دمْتَ فيهِ ... وإلَّا فهوَ محرومٌ يباب
رضاكَ هوَ المرادُ فلا تدعْني ... بعيدًا دونَ أشواقي الحجاب

ومن قصيدة «العودة إلى الله» يتحدث عن غفلة أمسه، ويقظة يومه، ورجعته إلى ربه:

ويح نفسي إذا تقطّعت الأسبا ... ب دوني وخيَّبَت آمالي
أينَ يرسو الشراعُ إن عدْتُ يوما ... شاحِبَ الوجهِ من بحارِ الضَّلالِ؟
وإلى أينَ ـ حينَ أغسلُ بالدّمـ ... ـعِ الخطايا ـ ترى أشدّ رحالي؟
يا إلٰهي إليكَ وجَّهْتُ وجهي ... خالصَ القلبِ طاهرَ الأذيالِ
كنْتُ يا ربّ عن حماكَ بعيدًا ... غافلًا تائهًا بعيدَ المنالِ
شاردًا عن حظيرةِ القدسِ مفتو ... نًا كأنِّي في سكرةٍ وخبالِ
وأنا اليوم قد رجعْتُ وقد ... وثقت في عروةِ السَّماء حبالي

ويصور لنا ما جاء به الحديث النبوي من دعوة المظلوم:

تفلَّتَتْ من شرورِ الأرضِ وانطلقَتْ ... كالسَّهمِ يحدو بها صدق وإيمان
حتَّى إذا غرقت في النُّورِ وانقشعت ... في حضرةِ القدسِ آلام وأحزان
ألقَتْ إلى حَكَمٍ عدل ظلامتها ... فقامَ للحقِّ عندَ الله ميزان
لأستجيبنَّ للمظلومِ دعوته ... ولو تطاولَ أزمان وأزمان
فلا تكونَنَّ مكتوف اليديْنِ على ... عجزٍ وعندكَ من ذي العرشِ سلطان

QaradawiBooks.com

وهو لا يكتفي بالشعر العمودي المعتاد في إسلامياته، بل رأيناه يقفز بجدارة ومهارة إلى ما يسمى «الشعر الحديث» فيستخدمه في مجال ربَّما ظن الكثيرون أنَّه أبعد ما يكون عن طبيعته، وذلك هو الشعر «الإلٰهي» أو الشعر الروحي. لنستمع معا إليه في قصيدة «ركعتان»:

ركعتان
في سكونِ اللَّيلِ عَنِّي تجلوان
ظلمة اليأسِ وأكدار الزّمان
وتشيعانِ الرِّضا في أفقِ نفسي
فإذا النجوى تعالَتْ كالشَّذا تملأُ حسِّي
وأصاخَ اللَّيلُ في محرابِ أشواقي وأنسي
وتهاوَتْ دمعتان
شهقَ القلبُ وألقى العبْء في ظلِّ الأمان
وبدَتْ للرّوحِ آفاقُ ابتهالاتٍ وتسبيح وقدس
فتعرى كلّ شيءٍ دونَ تمويهٍ ولبس
فإذا الدُّنْيا متاعٌ ذاهبٌ يلهي ويُنسي
وإذا أسمى المعاني من مسرّاتٍ وأنس
جمعتها في سكونِ اللَّيلِ.. في ظلِّ الأمان
ركعتان!

وينتهز شاعرنا كل فرصة ليستفز أمته الإسلاميَّة، لتصل يومها بأمسها، فهو يناديها:

QaradawiBooks.com

عــودي إلــى الإســلامِ عــودي وتنسَّــمي عــرشَ الوجــود
عــودي إلــى النَّبــعِ الأصيــ ـل إلــى نبوغِــكِ مــن جديد
عــودي إلــى الأمجــادِ بعــ ـــد مَتاهــةِ الفكــرِ الشّــرود
بعــد ارتحــالٍ لاهــثٍ خلــفَ السّــرابِ بــلا ورود
لَــكِ صبغــةُ الرَّحمٰــنِ أشــ ـــرف ما اكتســيْتِ مــن البرود
وشــريعةٌ غــراءُ وا ضحــةُ المعالــمِ والحــدود
هــلّا اهتديْــتِ بهدْيهــا إنْ شــئْتِ حقًّــا أنْ تســودي؟!

ومن منظوره الإسلامي يطل على المجتمع مصورا أو ناقدا أو داعية. استمع إليه في قصيدته عن «الصحافة»:

وتنبــري صحافــةٌ لســانها أجيــر
تؤلِّهُ المسخَ القميء.. تحرقُ البخور
فتزكم الأنوف.. تــؤذي الله والضمير
روائــع النفاق مــن أرجاســها تفور
تنــزّه الحرف البريء عن مواطنِ الفجور
هــم الَّذينَ أرغموهُ أنْ يمــوِّه الأمور
وأن يردّدَ النباح حيثُ تضحكُ القبور
صحافةٌ موبوءةٌ.. مســمومةُ الجذور
محرومةُ الأقــلامِ من ترفّع النســور
صحافة تبصقُ طعمَ الموتِ في السّطور
نرفضُها.. نرفضُها.. حليفة الشّــرور
نرفضُها كافــرةً.. مذمومــةَ المصير

QaradawiBooks.com

أمَّا المحور الثاني لشعر الصديق فهو فلسطين، فلسطين الوطن، والأهل.

فلسطين النكبة، والمأساة، والتشرد، والخيام.

فلسطين الانتفاضات، والثورات، والجهاد.

فلسطين المؤامرات، والمتاجرات، والمزايدات.

أجل إنَّه ابن النكبة.. عايشها، وعاينها، صبيًّا ويافعًا، فتركت آثارها في عقله وقلبه مرارة وأسى، وبغضا مقدسًا، وإصرارًا على الثأر والكفاح.

وله في أحداث النكبة وذكرياته شعر مبكر بلغ حد الروعة، لما اجتمع فيه من الصدق والجمال، بعضه من الشعر العمودي، وبعضه من الشعر الحديث.

اقرأ معي قصيدته «ما زلت أذكر يا أبي»، الَّتي يخاطب فيها أباه عن ذكريات المأساة:

ما زلْتُ أذكرُ يا أبي والذكريات بلا حدود
يوم ارتحلْنا عن مغانينا وخلْفنا الدّيار
طلا.. تخيمُ فيه أشباح الدَّمار..
ما زلْتُ أذكرُ يوم أنْ هجمَ التتار
وصرخْتُ من أعماقِ صوتي في الظَّلام
وابلدتي!
هجموا علينا يا أبي مثلَ الجرادِ بلا عدد
بينَ الكروم.. على البيادرِ يزحفون..

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

واللَّيلُ معتكر.. وصوتُ البومِ ينعقُ من بعيد
في حائطٍ خربٍ عتيق..
والرِّيحُ تعول.. والنِّساءُ مولولات في الطَّريق
ودويُّ قنبلة.. وأشلاء تناثر في العراء
ويضجُّ صوت شارد النبرات.. يخنقُه البكاء:
ويلاه! ماتَ أخي.. تحطَّمَ بيتُنا.. حرق الأثاث
وتطلُّ أحداقُ النُّجوم بلا اكتراث..
وتفرُّ أسرابُ الحمامِ عن السُّطوح..
وروائحُ البارودِ في الأجواءِ خانقةٌ تفوح!
ويخرُّ جنديّ على الأنقاض.. وا لهفي عليه!
غدرَتْ قذيفَتُهُ.. فعادَتْ عندما انطلقَتْ إليه!

ويمضي على هذا المستوى من الصدق والروعة في التصوير والتعبير إلى نهاية القصيدة.

ومن عجب أن هذه القصيدة أنشأها في فجر شبابه سنة ١٩٥٩م، ممَّا يدلُّ على أصالة مبكرة.

وعلى منوال هذه القصيدة نجد أمثالها نظمها سنة ١٣٨٧هـ، عن ليل النازحين في مخيمات الغربة والشتاء:

اللَّيلُ أوغلَ في الخيامِ السّودِ يزرعها هموم
والرِّيحُ تجأرُ كالسّياطِ تسوقُ أسرابَ الغيوم
سوداء في لونِ الرَّدى ترغي فتنطفئُ النجوم
وهزيمُ رعد صالَ في عرضِ السَّماء

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهطول أمطارٍ.. وأشباح تخيمُ في العراء
وعواء كلبٍ منزوٍ عندَ الجدار
ومواء قطٍّ جائع يعدو ويلتمسُ الفرار
وهنا.. هنا في الخيمةِ السَّوداء.. خيمتُنا الحزينة
طرحت على الأسمالِ أكباد ممزقة طعينة
وتكومت في كلِّ زاوية كآلامٍ دفينة
أوصال إخوتيَ الصِّغار
يتضوَّرونَ مِنَ الطَّوى.. يتقلَّبونَ على انتظار..
واللَّيلُ يعصِفُ
يَستبدُّ
ولا يقرُّ لَهُ قرار!

لقد حفرت المأساة في ذاكرته ووجدانه هوة لم يسدها اختلاف الليالي والأيام، ولم تزل جراحها في قلبه تتنزى، ونيرانها تكوي، تزيدها الغربة ألما على ألم، وحرقة على حرقة.. لا سيَّما أنَّ غربته لم تكن عن الدار فحسب، كغيره من أبناء فلسطين، بل عن الدار والأهل جميعًا، عن الأم والأب، والإخوة والأخوات.

نجد آثار هذه الحرقة واللوعة في قصيدته الَّتي يبكي فيها أمه، وقد بلغه النبأ الفاجع بوفاتها، أن يبكيها بحرارة مضاعفة، كأنَّما يبكي فيها الأم والوطن معًا، وكأنما جمع حزنه على موتها، وحزنها وحرقة قلبها على فراقه، محرومة من قبلة وداع. فهو يبكيها، ويعتذر إليها، ويسألها العفو والسماح:

QaradawiBooks.com

ذكراك ينــكَأُ جرحًا ليسَ يندمـل ... لولا مصابـرتــي هيهات يحتْمَل
أمّاهُ.. هذا مقــامُ العفوِ إنْ كلمت ... يدي فــؤادًا رقيـقًــا خطبه جلل
إنِّي جهلْــتُ وما جهلي بمُغتفـر ... إذ رحت في التيهِ عن مغناي أرتحل
خلفْتُ فيــهِ الصِّبا والأمنيات وما ... يضمُّ من ذكرياتي السَّـهل والجبـل
ومهجتي منحتنــي كلَّ ما ملكت ... لَــمْ يثْنِها تعبٌ يومــا ولا كَلـل

ولكنَّه هنا لا يقف عند البكاء على الأطــلال، والنواح على ما فات، ومن مات، بل يحول الصدور الحزينة إلى مراجل تغلي بالغضب، والأعين الباكية إلى مواقف تقدح بالشرر، يرسل صيحاته مدوية تنادي بالجهاد:

بغيرِ الكفاحِ المرِّ لن نبلـغَ المنى ... من غيرِ بَــذلٍ لن نحــرِّرَ موطنا
وما يســتردُّ الحــقُّ إلَّا بحقِّــه ... وكانَ قبيحًــا أنْ نــذلَّ ونذعنــا

وفي نكبة ١٩٦٧م يقول:

من رعشةِ الجرحِ بلْ من وَطْأَةِ الألمِ ... يَجيشُ بالشِّعرِ في ليلِ الأسى قلمي
وَيُرسلُ الصَّيحةَ النَّكراءَ.. محتدمًا ... يصبُّ بيــنَ ضلوعي ثائر النّقـم!
عجبْتُ من أمّةٍ قد أسلَمَتْ يدها ... للقَيدِ، مذلولةً، منكوســة العلم!
ألا بقيَّــة إيمــانٍ تُحرِّكــهــا؟! ... ونفحــةٌ من إباءِ الرُّوحِ والشَّــمم

بيد أنَّ الشاعر لا يستســلم لليأس، وإن توالت النكبات والنكسات، فهو يطل بخياله على الأرض المقدســة وقد دخلهــا الأبطال المؤمنون ظافرين منتصرين، وعلى شفة أحدهم هذه الأنشودة:

لا شيءَ يطربُني ويشجي مسمعــي ... كَأزيْزِ رشّاشــي وصولــة مِدْفعي
من عزمتي أحشو القَذيفةَ.. من لظى ... روحي أُعبِّئ نارها.. من أضلعي
أتقحَّمُ الأهوال.. لا أخشى الـرَّدى ... إنَّ المَخاطــرَ لا تعجل مصرعي

QaradawiBooks.com

والشـــاعر الصديق حين يتكلم عن قضيَّة فلسطين في شعره، ويصور مأساة شعبها، وتشـــرد أبنائها.. ونسيج الأمل الَّذي يســـتمده من إيمانه بحتمية العودة الظافرة، والتحرير المرتقب.. حين يتحدث عن ذلك إنَّما يتحرك من منطلق إسلامي، حيث يعتقد اعتقادًا جازمًا بأن قضيَّة فلسطين هي إحدى قضايا الإســـلام الكبرى في هذا العصر، الَّتي تشـــكل تحديًا ســـافرًا بين الإســـلام والقوى المعادية جميعها، على اختلاف نـزعاتها وهوياتها، فالكفر ملة واحدة، والإسلام حرب عليها جميعًا، كما أنَّها هي أيضًا لا تهادن الإسلام ولا تســـالمه، فهي حرب عليه كذلك، وهذا أمر طبيعي؛ فإنَّ المعركة بين الحـــق والباطل دائمة أبدًا، لا تنتهي إلَّا بانتهاء الحياة على هذا الكوكب الأرضي.

إنَّ شاعرنا يؤكد هذا المعنى بشـــكل قاطع، ويهيب بالمسلمين كافة إلى ضرورة العمل الجاد، والنهوض بواجب الجهاد.

ففي قصيدته «يا مسلمون»، الَّتي نظمها إثر نكبة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧م يحفزهم ويستثيرهم بقوله:

يا مسلمونَ، ومَنْ سواكم للحِمى ... إن كشَّـــرَتْ عن نابـهـــا الأخطارُ
يدعوكُمُ الوطنُ الذَّبيحُ ومسْـــجدٌ ... أُســـري إلـــى ســـاحاتِهِ المُختـارُ
يجترُّ فـــي القيدِ العـــذابَ مـردِّدًا ... شـــكواهُ: أيْـــنَ الأمَّـــةُ الأخْيارُ؟
أينَ الَّذينَ همُ الرِّجـــالُ إذا دُعوا ... هَبُّـــوا، وإنْ دوّى النَّفيـــرُ أغاروا!

وهو لا يشـــك لحظـــة أن تحرير فلســـطين لن يأتـــي إلَّا على أيدي المسلمين الصادقين، الَّذين يرفعون شـــعار الإسلام والعبوديَّة لله وحده، وفي هذا يقول مناجيا بلاده:

QaradawiBooks.com

إليْكَ سننهضُ يومًا قريبا وتزحَفُ بالحقِّ منَّا الحشود
همُ المؤمنونَ.. همُ الصَّادقونَ همُ الصَّفوةُ الرَّاكعونَ السّجود
وهمْ قدرُ اللهِ يومَ النِّزال إذا وَقَّعوا بالدِّماءِ العهود

وينظر إلى تلك المعركة المقبلة فيرى فيها المسلمين وقد توحدت صفوفهم، واشتدت عزائمهم، وتمثلت فيهم صولة الحق على الباطل، واستعلت بهم راية الإسلام، وأقيمت الموازين القسط مع الباغين والمعتدين. فهي وثبة مباركة يستشفها من وراء الغيب:

يشدُّ فيها بنو الإسْلامِ أيديهم يحيونَ بدرًا وجالوتا وحطينا

ويبلغ إيمانه بهذا المستقبل درجة اليقين الَّذي لا يداخله ريب فيقول:

لا بدَّ من صَولةٍ للحقِّ آتية نقيمُ فيها معَ الباغي الموازينا
ونستردُّ ببذْلِ الرُّوحِ ما سَلَبَتْ منّا.. وما دنَّسَتْ ظلما أعادينا

وشيء آخر نلحظه بصفة عامَّة في هذا الديوان، هو أنَّ الشاعر لا يفتأ يذكر بقضية فلسطين الإسلاميَّة في شتَّى المواقف والمناسبات. ولعلَّه يقصد من ذلك أن تسري أنفاس فلسطين، ولهيب جراحها في كل نفس، وأن تخالط كل وجدان، وأن تمتزج مع كل روح، بحيث لا تغفل عنها لحظة من زمان، حتَّى يظل واجب الجهاد المقدس، وفرضية التحرير أمانة معلقة في عنق كل مسلم. لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار حتَّى يعود الحق إلى نصابه، والوطن إلى أصحابه.

كثيرًا ما نجده يخاطب صلاح الدين الأيوبي، وكأنَّه يجعل منه رمزًا بطوليًّا إسلاميًّا يستلزم بعثه في أمتنا من جديد. وهذا يقتضي التزام الخط

QaradawiBooks.com

الإســلامي الواضح في معركة التحرير، كما التــزم صلاح الدين يوم أن طهر بيت المقدس من عدوان الصليبيين. يقول:

سلامًا صلاح الدين يا خير قـائدٍ ... بأمجــادِهِ تــاج الفتــوحِ تزيَّنــا
ســلامًا صلاح الدين إنَّا بحاجةٍ ... لمثلِكَ من يعلي على الحَقِّ صرحنا
أَلَمْ ترَ بيتَ المقدسِ اليوم قد غـدا ... أسيرًا.. فجرِّدْ دونَهُ السَّيف والقنا
وَوَحِّدْ بني الإسلامِ في الحربِ معلنا ... جهادَكَ.. واجعَلْ منْهجَ الحقِّ ديدنا

ويقبل أوَّل عيد بعد نكبة ١٩٦٧م فيقف الشــاعر منه موقفًا مأساويًّا، يناجيه بمرارة، ويقول:

للهِ كَــمْ عادنــي هــمٌّ وتَســهيدُ ... فأعول الجــرح إذ أقبلْتَ يا عيدُ
أينَ الرّبوع الَّتي شــعَّت منائرها ... طهرا فدنَّســها رجْسٌ وتهويدُ؟!
والآمنونَ صغارُ الحيِّ ـ وا لهفي ـ ... أنحى على عشِّهم بؤسٌ وتنكيدُ
ترى بأيِّ خيامٍ ســوْفَ يشملـهم ... يا عيد منْكَ ومِــنْ آلائِكَ الجودُ

وإذا جلس الشــاعر منفردا.. اضطربت أشجانه، وثارت كوامن حزنة وذكرياته، فأنشد:

الــرّيـــحُ تـــزأَرُ خـلْـفَ نا ... فـذتـي فـيـرتـجـفُ الـجـدار
وأنـــا وأحـــلامـــي وحـيـــ ... ـــدٌ حـيـثُ شـطَّ بـيَ المـزار
وتَـــلـــوحُ لـي خـلـفَ الـرِّمـا ... ل الـسّـمـر أشـرعـةٌ ودار
حـلـمٌ يـعـيـشُ بِـــهِ الـغـريـ ... ـــبُ إذا نَـأَتْ عـنْـهُ الدِّيـار
وأحـــسُّ فـــي أعْـــمـــاقِ نفـ ... ـــسـي ألـــف عـاصـفـةٍ تُـثـار

ويذهب الشــاعر إلى الديار المقدســة لأداء فريضــة الحج، فيؤدي المناسك خاشــعًا لله، متعبدًا لجلاله، وتســتوقفه هناك حمامات الحرم

QaradawiBooks.com

الشريف فيناجيها ويذكرها بأخت لها في القدس، مهيضة، طاوية الجناح، أصمتها رمايات العدو فسقطت على الأرض، ولم تجد إلفا يداوي جرحها، ولا أذنا تصيخ لشدوها وعويلها، فلا تملك حينئذ إلَّا الدمع الثائر تطفئ به نيران لوعتها:

يا أخت طاوية الجناحِ مهيضة ... في القُدسِ، تَمضغُ في الأسى أنغاما
أصْمَت رمايَاتُ العدوِّ فؤادَها ... ظلما.. فباتَتْ تلعَقُ الآلاما
ورنَتْ.. فلا إلف يداوي جرحَها ... في القيدِ.. أو يرعى هناكَ ذماما
وشَدَتْ فلا أذن تصيخُ وأجهشَتْ ... أسفا.. لِتطفئَ لوعَةً وضراما

ويوجه حديثه بعد ذلك إلى وفد الحجيج في قصيدة أخرى، فيقول:

وفد الحجيْجِ متى تمضي مسيْرتُنا؟ ... وحقّنا بالكفاحِ المرِّ ننزعه؟!
لا تتركوا القبلةَ الأولى ومسجِدَها ... يشكو وكَم طالَ في البلوى تفجُّعه!
من هاهنا من ظلالِ البَيتِ طاهرة ... أذيالنا.. مبدأ التَّحريرِ نزمعه

وحين يذهب إلى السودان للدراسة في جامعة أم درمان الإسلاميَّة، ينتهز إحدى المناسبات الوطنية هناك ليلقى قصيدة في دار اتحاد الطلاب بالجامعة مهنئًا ومذكرًا، فيقول:

هَل تذكرونَ القدسَ حاضرةَ الهُدى ... والقبلة الأولى غَدَتْ أشلاء
مأساتُها تجري لهيبا في دمي ... وتذوبُ في شفَةِ القريضِ نداء
يدعو لتحريرِ الدِّيارِ مجلجلا ... واحرَّ قلب بالفجيعة ناء!
هيهات يجدينا الكلام، وإنَّما ... يجدي بأنْ نتقحمَ الهيجاء
وندكَّ أسوارَ الظَّلامِ بوقعةٍ ... للحقِّ.. وارية اللَّظى.. غرّاء

QaradawiBooks.com

وختم القصيدة قائلًا:

ما ماتَ حــقٌّ للشُّــعوبِ وراءَهُ سـيفٌ يجالِـدُ دونَـهُ الأعـداء

وهكذا يمضي شــاعرنا في معظم قصائده، مذكرًا بقضيته المقدسة، قضيَّة فلسطين الإسلاميَّة، مســتنهضًا الهمم ومستثيرًا العزائم... من أجل تحرير الديار، وتطهيــر المقدســات، وإعلاء كلمــة الله، والأمل الحي المتوثب يحدوه من خلال ذلك إلى التأكيد على حتمية العودة المظفرة إلى الأرض السليبة والبلاد الحبيبة، وشــرط هذه العودة: الاعتصام بالله أولًا، والاحتكام إلى شرعه، ثمَّ الأخذ بأسباب القوَّة الممكنة.. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤، ٥].

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

١٧ شوال ١٣٩٧هـ

١ أكتوبر ١٩٧٧م

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة أرجوزة «إلى ولدي»

للأستاذ مُحمَّد عبد الله الأنصاري[1]

أحمد الله تعالى، وأصلي وأسلم على رسوله وآله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان.

(أمَّا بعد)

فإنَّ الرجز فن من فنون الشعر العربي، يقال: إنَّه أوَّل ما طرقه العرب من بحور الشعر، عندما كان العربي يحدو إبله، ويشدو لها ولنفسه من ذلك الشعر السهل ما يطربها ويحركها، فتقطع المسافات ويقطعها معها، دون شعور بوعثاء السفر، وطول الطريق.

ويمتاز فن الرجز بسهولة نظمه، وقابليته التوسع وتطويل الباع، والاتساع لأغراض شتَّى، ربَّما لا تسعها البحور الأخرى.

وهو من حيث القافية جملة أنواع:

١ ـ نوع يلتزم قافية واحدة في العجز الثاني من كل بيت، مثل مقصورة ابن دريد، وهو قليل فيما رأيت.

٢ ـ ونوع يلتزم قافية واحدة في القصيدة كلها، في صدرها

(١) نشر مطابع قطر الوطنية، الدوحة.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

وعجزها، مثل قصيدة عروة بن سالم الخزاعي، الَّتي استنصر فيها رسول الله ﷺ على بكر وحلفائها من قريش، وكانت من أسباب غزوة الفتح، وفيها يقول:

يا رب إنِّي ناشدٌ محمدَا حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا
إنَّ قريشًا أخلفوكَ المَوْعِدَا ونقضوا ميثاقك المؤكَّدَا
هم بيَّتونا بالوتير هُجَّدَا وقتلونا رُكَّعًا وسُجَّدَا

إلى آخر هذه القصيدة المعروفة المذكورة في سيرة ابن هشام[1] وغيرها.

ومن هذا النوع ما لا يكون قصيدة كاملة، بل مجموعة من عدة شطرات.

ومن ذلك ما روي عن عدد من أبطال المسلمين من أبيات كانوا يتغنون بها عند لقائهم لأعدائهم في الحرب، ويلحنونها (أناشيد) عسكريَّة إيمانيَّة على صليل السيوف، ووقع النبال، وصهيل الخيل. من ذلك ما ورد عن عُمَير بن الحُمَام الأنصاري في غزوة بدر، بعد أن هبَّت عليه رياح الجنَّة، وألقى التمرات الَّتي كان يأكل منها وأنشد:

ركضًا إلى الله بغَيْرِ زادِ إلَّا التُّقَى وعمل المعادِ
والصبر في الله على الجِهَادِ وكلُّ زادٍ عُرضةُ النَّفَادِ
غير التُّقى والبرِّ والرشادِ[2]

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣٩٤/٢، ٣٩٥)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٤٤٧/٢، ٤٤٨).

QaradawiBooks.com

ومثله ما روي عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، في معركة مؤتة، وهو ثالث القادة الشهداء فيها، إذ يقول:

يا حبَّذا الجنَّةَ واقْتِرَابُهَا طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا
والرُّوم رومٌ قد دنا عذابُها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عليَّ إذ لاقيتُها ضِرَابُها[1]

٣ ـ ونوع آخر كل بيت فيه قافية واحدة، صدره وعجزه، وهذا هو النمط المشهور من الأراجيز، وهو أساسها وأخفها، ونظرا لسلاسته وسهولته طوع لأغراض كثيرة، كما أشرت، منها نظم «العلوم» المختلفة، ليسهل حفظها واسترجاعها.

وقد شاع ذلك في بعض العصور، عندما اشتهرت «المتون» في العلوم المختلفة، وغدا حفظها وتحصيلها أمرًا مطلوبًا من طلبة العلم، حتَّى قيل: من حفظ المتون حاز الفنون. وقيل: حفظ المتون يشد المتون. أي الظهور.

وقد عرفنا من ذلك منظومات اشتهرت في علوم عدة، عرفناها منذ أيَّام الطلب الأولى، وحفظنا منها ما حفظنا، مثل «تحفة الأطفال» و«الجزرية» في التجويد، و«الرحبية» في علم الميراث، و«الجوهرة» في التوحيد، و«السلم» في المنطق، و«الألفية» في النحو والصرف، وهي في الحقيقة أكثر من ألفية. فأشهرها «ألفية» ابن مالك، وقد سبقه ابن مُعْطي، وفيه يقول:

حَائِزَة رِضًا بِغَيْرِ سُخْطِ فائقة ألفيَّةَ ابْنِ مُعْطِي

وجاء بعده السيوطي، فأنشأ ألفيَّة أخرى، قال فيها:

فائقة ألفية ابن مالك

(١) سيرة ابن هشام (٢/٣٧٨).

QaradawiBooks.com

وجاء بعده الأجهوري فأنشأ أخرى قال أيضًا:

فائقة ألفية السيوطي

وسبحان من له الكمال وحده، كما علق الشيخ الخضري في حاشيته على ابن عقيل.

وانتقلت «الألفيَّات» من النحو والصرف إلى الحديث وعلومه، فعرفنا «ألفية العراقي» وبعدها «ألفية السيوطي» في مصطلح الحديث.

ومن الحديث إلى الفقه، فوجدنا منظومة «صفوة الزبد» لابن رسلان في فقه الشافعيَّة، وهي ألف بيت.

ولا يكاد يوجد علم إلَّا دخله النظم؛ لتسهيل حفظه وتقريبه. وأكثر النظم كان من الرجز، ولكن قد يوجد ما يخرج من هذه القاعدة، مثل «الشاطبية» في القراءات، وقصيدة «غرامي صحيح» في مصطلح الحديث، فكلتاهما من بحر «الطويل».

ومن الأراجيز ما بلغ طوله حدًّا كبيرًا مثل الأرجوزة الَّتي نظمها الشيخ حسن رضوان (ت١٣١٠هـ) في التصوف وأحواله ومقاماته، وكل ما يتعلق به، وقد قاربت اثني عشر ألف بيت من الرجز، حدثنا عنها ونقل شيئًا منها الدكتور زكي مبارك في كتابه عن «التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق».

ومن الأغراض الَّتي اتسع لها فن الرجز: «الحكم والوصايا»، ومن أشهرها أرجوزة أبي العتاهية، البليغة، وممَّا اشتهر منها قوله:

إنَّ الشَّبَابَ وَالفَرَاغَ وَالجِدَة مَفسَدَةٌ لِلمَرءِ أَيّ مَفسَدَة[1]

(١) وهي أرجوزة ذات الأمثال التي جمع فيها الأمثال السائرة، انظر: ديوانه صـ ٤٩٣ ـ ٤٩٦، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

ومنها:

حَسبُكَ مَمَّا تَبتَغِيهِ القُوتُ مَا أَكثَرَ القُوتَ لِمَن يَمُوتُ!

ومن أراجيز الحكم، الأرجوزة الَّتي حفظنا منها قديمًا:

لَا تَحتَقِر شَيئًا صَغِيرًا مُحتَقَر فَرُبَّمَا أَسَالَتِ الدَّمَ الإِبَر
وَانتَهِزِ الفُرصَةَ إِنَّ الفُرصَة تَصِيرُ إِن لَم تَنتَهِزهَا غُصَّة
فَإِنَّمَا الرِّجَالَ بِالإِخوَانِ وَاليَدُ بِالسَّاعِدِ وَالبَنَانِ[1]

والأرجوزة الَّتي أقدمها اليوم للأستاذ مُحمَّد عبد الله الأنصاري، من هذا النمط المتعلق بشعر الوصايا والحكم، مقدمة من أب لابنه، بعد ما شب عن الطوق، وانتظم في عقد الجامعة.

وحرص الأب على ابنه عاطفة فطرية، فهو يرى فيه فلذة كبده، ومهجة قلبه، وقرة عينه، وامتداد وجوده، وهو من عمله الَّذي لا ينقطع بعد موته إذا أحسن تربيته، ورحم الله الشاعر الَّذي قال:

وَإِنَّمَا أَولَادُنَا بَينَنَا أَكبَادُنَا تَمشِي عَلَى الأَرضِ[2]

وحاجة الابن إلى نصيحة أبيه حاجة أكيدة، وخصوصًا في أوائل الشباب، سن الحيوية الدافقة، والإقبال على الحياة، والغرور بالقوة والفتوة، ولا سيَّما مع قلة التجربة وكثرة الفتن ما ظهر منها وما بطن،

---

(١) وهي أبيات متفرقة من ديوان الصادح والباغم لابن الهبارية، وهو مجموعة أراجيز قصصية على أسلوب كليلة ودمنة، وقد استلها ابن حجة الحموي وقدم لها بمقدمة شعرية في كتابه: خزانة الأدب وغاية الأرب.

(٢) هو حِطَّان بن المُعَلَّى، كما في الحماسة لأبي تمام (١٦٧/١)، تحقيق د. عبد الله بن عبد الرحيم العسيلان، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

وخصوصًا في عصرنا الحاضر، لما فيه من انتشار المغريات بالرذيلة والمعوقات عن الفضيلة، وكثرة أعوان السوء، وقلَّة أعوان الخير.

لهذا تكون نصيحة الأب هنا لها قيمتها وتأثيرها، فهو يعطيه خبرة عمره، وثمرة تجربته، وحصاد فكره ومعاناته، وهو يريد أن يستكمل فيه ما نقص عنده، ويعوض فيه ما فاته، وليس هناك أحد يتمنى لإنسان أن يكون أفضل منه وأسعد وأعلى إلَّا ولده.

وهذا ما صنعه هنا أبو عمر الأخ مُحمَّد الأنصاري مع ابنه البكر عمر، فقد أراد أن يضع أمامه نبراسًا ينير له الطريق، حتَّى يأمن العثار، ولا تشتبه عليه المسالك، أو يضل به السبيل.

وقد رأى أن يسكب تجربته أو نصيحته في قالب شعري سهل، يسهل عليه أن يطالعه ويراجعه، حتَّى يتخذ منه زادا على طريقه في رحلة الحياة.

وقد تخيل الأب المحب المشفق الغيور، ولده يتخرج ويتزوج وينجب بنين وبنات، ويزوج هؤلاء وأولئك، إلخ.

ووضع له في هذا كله وصايا تهديه السبيل، وتكون له خير دليل؛ لأنَّها صادرة من أحب النَّاس إليه، وأحرصهم عليه، وهو أبوه، وليس مجرد أب فحسب، بل هو أب ومعلم معا، نشأ في بيت علم ودين وأدب، نهل من معينه منذ نعومة أظافره، كما نهل من العلوم الشرعيَّة، والمعارف الدينيَّة والأدبيَّة من المعهد الديني في قطر، والجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنورة، ثمَّ حمله الله جزءًا من المسؤوليَّة الكبرى عن رعاية أبناء البلد، وحسن تربيتهم وتوجيههم، من خلال منصبه بوزارة التربية والتعليم.

QaradawiBooks.com

فمثله أهل لأن يوصي ولده، بما اجتمع لديه من شفقة الأب، وغيرة المسلم، وحكمة المعلم، وخبرة المجرب، وحرص المسؤول.

ربما قال بعض الناس: إنَّ الأولى ألا نقيد أولادنا بتصوراتنا ومفاهيمنا عن الحياة، فربما كان زمانهم غير زماننا، وأوضاعهم غير أوضاعنا، ولكل مقام مقال، ولكل عصر رجال، وكما أنَّ الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال. فالنصيحة كذلك، وقد رووا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: لا تكرهوا أولادكم على أخلاقكم، فإنهم خُلِقوا لزمن غير زمنكم[1].

ربما قال بعض النَّاس ذلك، وهو صحيح في جملته، ولكن هناك قدرا من القيم والمفاهيم الأساسيَّة لا يختلف باختلاف الزمان والمكان والإنسان، وهذا هو الَّذي ركز عليه الأستاذ الأنصاري، وإن لم تخل وصيته من بعض التفصيلات.

ومن أجل هذا عرف تراثنا وصايا كثيرة من الآباء للأبناء، وأعظم وصايا الآباء للأبناء ما سجله كتاب الخلود (القرآن الكريم)، من وصية «لقمان» الحكيم لابنه، في سورة سميت باسمه، وهي جديرة أن يتخذها الآباء نموذجًا يحتذى، فيما ينبغي التركيز عليه، والاهتمام به في موعظة الأبناء، مع روعة البيان، الَّذي يقنع العقول بحسن التعليل، ويحرك المشاعر للامتثال والتنفيذ، ولا غرابة، فهي وصية من أب آتاه الله الحكمة، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

(١) انظر: إغاثة اللهفان (٢/٢٦٥)، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

QaradawiBooks.com

انظر إلى قوله فيما أورده القرآن: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ۞ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ۞ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۞ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ۞ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۞ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ۞ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٣ ـ ١٩].

ومن الوصايا المأثورة هنا: وصية الإمام علي رضي الله عنه لابنه الحسن أو الحسين: يا بني اجعل نفسك ميزانًا فيما بينك وبين غيرك، فعامل النَّاس بما تحب أن يعاملوك به. وفيها: لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حرًّا، وإياك والاتكال على المنى، فإنها تصنع التواكل[1].

والأستاذ مُحمَّد الأنصاري عرفته منذ كان طالبًا بالمعهد الديني الثانوي، فعرفت فيه الجد والاستقامة والحرص على طلب العلم، والأدب الجم مع أساتذته، والتعاون مع إخوانه وزملائه، والمشاركة في مختلف ألوان النشاط الثقافي والرياضي والاجتماعي.

ولكنِّي لم أكن أعرف أنَّ له اهتمامًا بنظم الشعر، ولو كان من الرجز، وإن كنت عرفته مشاركًا في المطارحات الشعرية الَّتي كنا نقيمها في فترات غير متباعدة، بين طلاب المعهد الديني بعضهم وبعض، شحذًا للهمم، وإذكاء لروح المنافسة الأدبيَّة.

(١) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (١٠٢/٣).

QaradawiBooks.com

والشيء من معدنه لا يستغرب، فقد ورث الأخ أبو عمر حب الشعر وروايته من والده الجليل الحبيب الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ﴾ [آل عمران: ٣٤].

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِّيَّ إِلَّا وَشِيجُهُ وتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ؟!(١)

وقد أعجبني في هذه الأرجوزة الطويلة ـ الَّتي بلغت نحو (٦٠٠) بيت من رجز الشعر ـ سلاستها وخلوها من التكلف والتقعر، ومسحة الصدق فيها، ولا عجب فهي قطعة من قلب الأب وعقله، يهديها إلى أعز مخلوق عليه، إلى ابنه الحبيب اللبيب.

كما أنَّها تمثل ثقافة ناظمها وروحه والتزامه بمنهج الإسلام الَّذي تعلمه وعاشه، ولا عجب أن ترى فيه المسحة الإسلاميَّة واضحة في كل فقراتها، آمرة أو ناهية، مرغبة أو محذرة.

استمع إليه ينصح ولده بما هو مقرر في ديننا وتراثنا، من وجوب توقير المعلم وإكرامه، فيقول:

أكرم بُنَيَّ ما استطعتَ شيخَكا وكن له مُقَدِّرًا مُبارِكَا
شكر الشيوخ واجب مُحَتَّمُ وذاك حقٌّ دائمًا يُقَدَّمُ
ضل الَّذي يعاند الدكاترةْ لأنَّه يخوض حربًا خاسرةْ

ثم استمع إلى قوله لابنه عند إرادة الزواج:

إيَّاكَ أن تخطب فوق الخِطْبةْ فمَنْ أتى ذلكَ يعصى ربَّه

وقوله له عندما يرزقه الله طفلًا:

---

(١) البيت لزهير. انظر: المعاني الكبير لابن قتيبة (١١٠١/٢)، نشر مطبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط١، ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م.

QaradawiBooks.com

وعندما يبلغُ سنَّ السابعةْ وجّهه بالحسنى وكُنْ متابعهْ
فأمرْهُ بالطَّاعةِ والصلاةِ وفعلِ ما عليهِ مِنْ صلاتِ
وأوصِهِ بطاعةِ الجليلِ بفعلِ ما قدْ جاءَ في التنزيلِ
ثمَّ انهَهُ عن فعل كلِّ ما نهى عنْهُ الإلٰهُ فانتهى أولو النُّهَى

ومن ذلك تحذيره من خطر ما قد تبثه وسائل الإعلام، ممَّا ينافي تعاليم الإسلام، ويؤثر في اعتقاد الطفل أو تفكيره أو سلوكه تأثيرًا ضارًّا مباشرًا، أو غير مباشر، وهو الأكثر والأخطر، يقول:

ثمَّ انهَهُ عن رُؤْيةِ الأفلام ما كانَ مدسوسًا على الإسلام
وكلُّ فلمٍ قد يحلُّ حرمة ويرفَعُ الفاسِقَ فوقَ القمَّة
كذاكَ ما يعرضُ في التِّلفاز من قصصِ الرُّعبِ بلا احتراز
وكلُّ ما يهدِمُ للأخلاق كقُبلةِ المُشتاقِ للمشتاق
لا سيَّما إنْ كانَ في الغرام سفالة كمُعْظمِ الأفلام

ومثل ذلك قوله:

وعندما يبلغُ سنَّ العاشرةْ خصِّصْ لَهُ غرفةَ نومٍ فاخرةْ
وأخته تنام عنه نائيةْ هيِّئ لها غرفة نومٍ ثانيةْ
قول الرَّسولِ الهاشميِّ المتَّبعْ وفرِّقوا بينهما في المضجعْ

وهكذا تجد أثر ثقافته الإسلاميَّة واضحًا بينًا، ومن قرأ القصيدة كلها وجدها تنطق بذلك بجلاء.

والقصيدة وإن كانت من أبي عمر إلى عمر، فهي في النهاية من كل الآباء إلى كل الأبناء، وقد صرح بذلك حين قال في الإهداء:

QaradawiBooks.com

وكلُّ سطرٍ جاءَ في أنشودتي ... وكلّ حرفٍ جاءَ في قصيدتي
هداية لمهجتي الحبيبِ ... وباقة لنجليَ اللبيبِ
وكلُّ من يحيا على أرض قطرْ ... مِنَ الشَّباب، فهو ابني كعُمَرْ
بل كلُّ من أراهُ يستفيدُ ... مِنْ بعد ما يقرأُ أو يعيدُ

ونظرًا لأنَّه يستحضر كل أب وكل ابن، وهو يوصي ابنه، ينسى أنَّه في الأصل يوصي عمر بن محمد، ولهذا نراه يقول له عندما يعثر على بنت الحلال:

فإن رأيتَ أنَّها موافقةْ ... تسعدُ أن تحظى بها مرافقةْ
أكِّد على والدكَ المبجَّلِ ... بدَفْعِه لكاملِ المعَجَّلِ
ولا تكن مُبَالِغًا في الكُلْفَةْ ... مجاوِزًا فيها حدودَ الأُلْفَةْ

وهنا أحسب المؤلف في قوله: «والدك المبجَّل» لم يقصد نفسه، وإنَّما قصد أي والد مع ابنه.

ولكنَّه في موقف آخر يذكر نفسه تمامًا، وينصح ابنه ألا يقلده في موقفه ذاك، حيث يستهلكه العمل ويستغرق أوقاته، ويطغى على حق الزوجة والبيت، وهو ما يشكو منه كثيرون ممَّن يشعرون أن واجباتهم أكثر من أوقاتهم.

وهنا يقول في شأن «علاقته بزوجته» ناصحًا موجهًا:

ولا تُطِلْ إذا خرجتَ للعملْ ... وارجعْ إليها قد تراها في مَلَلْ
لا تتَّخذْ أباك في ذا مَوْئِلَا ... واحذرْ فإنِّي يا بُنَيَّ مُبْتَلَى
لا تَتَّبِعْ أباك في المعاملةْ ... لزَوْجِه يَسْتَنْكِرُ المجاملةْ

QaradawiBooks.com

ولا تكــنْ في ذلك مثــل والـدكْ ولْتتبــعْ نهــجَ الرســولِ قـائدِكْ
فالزوجــةُ المخلصــةُ الجليلــةْ إن غبــت عنها أصبحــتْ عليلةْ

وتراه يرســم بعض الصور التفصيلية لملاعبة الطفــل، يبدو منها أنَّه مارسها هو مع ابنه من قبل، يقول لابنه في تربية ولده:

شــاركْه في ألعابِه كي تُســعدَهْ واصحَبْــه في أفعاله كي تُرْشِــدَهْ
قــرِّبْ إليــه الظَّهْرَ حتَّــى يركبا واركُضْ به فــي الدار حتَّى تتعبا
فــإن تعبتَ ضعْــفُ فــوقَ عاتِقِكْ واسجدْ به شــكرًا لفضلِ رازِقِكْ
واضرِبْــه فــوقَ رأسِــه مُخَــاتَلَةْ واعمــلْ كأنَّ غيـرَكم قــد خَاتَلَهْ

ويتابع المسيرة مع حفيده المرتقب، حتَّى يدخل المدرسة، ويرتقي من مرحلة إلى مرحلة، مشددًا على والده في وجوب ملاحظته، وتوطيد الصلة بين البيت والمدرســة، معترفا بالنظريَّة القديمة في جواز الضرب للتلميذ من معلميه، أو كما يقول:

بَلْ قُلْ لَهُــمْ: لِلْأَبِ مِنْــهُ الْعَظْمُ وِلِلَّذِيــنَ عَلَّمُــوهُ اللَّحْــمُ

ومسألة ضرب التلاميذ مسألة شائكة، ولا زالت تتأرجح بين المثاليَّة والواقعيَّة، وقد عقدها ســوء أدب كثير من التلاميــذ، وضعف كثير من المعلميــن، الَّذين يغطون ضعفهــم وإخفاقهم في مادتهــم أو طريقتهم بالضرب الَّذي كثيرًا ما يفســد ولا يصلح ويجعــل التلاميذ يبغضونهم ويحتقرونهم، وإن كانوا يخافونهم.

ولا أدري ما موقف الأستاذ الأنصاري ـ وهو المسؤول المباشر عن الشؤون التعليمية ـ من قضيَّة الضرب هذه؟

ومن اللفتات المعبرة عن مشــكلات البيئة: ما ذكره عن تهاون كثير من

QaradawiBooks.com

الآباء بتسليم أولادهم سياراتهم يركبونها، وهم في سن الطيش والغرور، ممَّا أدَّى ويؤدِّي إلى عواقب وخيمة، غير مجهولة ولا منكورة، وفي هذا يقول:

إيَّاكَ أن يرجوكَ أن تبتاعا ... ما يجلبُ الآلامَ والأوجاعا
سيَّارة يرى بها المسرَّةْ ... والحقُّ فيها أنَّها المَضَرَّةْ
تصرفه عن كلِّ ما يُفِيدُ ... تجعله عن عِلْمِهِ يَحِيدُ
يَقْضِي جَمِيعَ وَقْتِهِ في السُّوقِ ... مُحَفِّصًا وضَارِبًا للبُوقِ
ورُبَّما قَضَتْ عَلَى حَيَاتِهِ ... ويهلكُ الوالدُ من مأساتِهِ

وكما تحدث عن حق البنين، تحدث عن حق البنات وأكد ما قرره الشرع من وجوب رضا البنت عمَّن تتزوَّجه، فيقول:

وإن أتاها راغبٌ أو خاطبٌ ... فخُذْ رِضاها ذاك أمرٌ واجبُ
تُزَفّ إن وافقها ووافقتْ ... إن رَضِيَ الأهلُ ومن قد رافقتْ
فإن أبتْ إكراهُها حرامُ ... من حقِّها الرفضُ ولا تُلَامُ

وهكذا تمضي الأرجوزة موجهة ناصحة في شأن الأبناء والبنات، والأزواج والزوجات، والآباء والأمهات، متسمة بالجد والصراحة والصرامة، وإن لم تخل في بعض الأحيان من السخرية ببعض المواقف والتصرفات، كتصويره لمعاملة بعض الأزواج لزوجته حين تحمل، متمثِّلة في قوله:

إيَّاكَ أن تمشي بلا مُساعَدَةْ ... ووَجِّهي الكلَّ وأنتِ قاعدةْ
إذا أردتِ الجسم أن تحُكِّي ... فزعفرانٌ خُصِّصتْ للحَكِّ
وكلثم تُطْعِمُكِ الطعاما ... وزهرة تُدْخِلُكِ الحمَّاما
لا تشغلي بالَكِ بالأواني ... فواجبي ذا بلا امتنانِ
لا تحملي الكأسَ ولا الفنجانا ... من أجلكم أحمله مجَّانا

QaradawiBooks.com

ولا ريب في أنَّ المبالغين في الخوف على المرأة الحامل يستحقون هذه السخرية اللاذعة.

بقيت هناك بعض هنات هيِّنات ربَّما أخذت على المؤلف، منها: ما ذكره عن «ليلة الزفاف»، وما ينبغي للزوج أن يفعله قبل (الدخول في الموضوع) أو (التنفيذ في المشروع) على حد تعبيره، وأن يتفق معها قبل كل شيء على (برنامج) حياته معها وحياتها معه، مثل قوله:

طَبْعُكَ وَضِّحْهُ لَهَا تَوْضِيحَا صَرَاحَةً وأبْعِدِ التَّلْمِيحا
بَيِّن لها جميعَ ما تُريدُ واشرحْ لها بالقولِ ما يفيدُ
لا تنسَ أن تُرْشِدَها مُصَرِّحَا واذكر لها أمثلةً مَوَضِّحَا

إلى آخر النصائح المذكورة.

وأعتقد أن هذا كان مقبولًا في وقت لم يكن يرى الزوج زوجته إلَّا ليلة تزف إليه، ولا يعرف عنها ولا تعرف عنه شيئًا.

أمَّا إذا نفذنا ما أمر به الشرع، من الرؤية من كليهما للآخر، كما قال الناظم نفسه:

فَإِنِّي أُوصِيكَ أَنْ تَرَاهَا بِحَضْرَةِ الْوَلِيِّ فِي مَثْوَاهَا
كَذَاكَ مِنْ حَقِّ الفَتَاةِ أَنْ تَرَى خَطِيبَهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقَدَّرَا

ولقاء الخاطب لمخطوبته في غير خلوة ولا تبرج جائز، وهو أحرى أن يزرع بينهما الائتدام والألفة، وخصوصًا بين عقد العقد والزفاف، كما يفعل كثير من الحريصين على دينهم، وهذا يتيح لهما أن يتعارفا ويتفاهما على مستقبلهما قبل الزفاف في غير إثم ولا حرج.

QaradawiBooks.com

ومثل ذلك قوله في عمل المرأة:

لا ضيـر أن تعملَ فـي الحكومةْ ... فـي عمـلٍ يليـقُ بالأمومـةْ
مؤكِّـدًا للصـونِ والعفـافِ ... معارضًـا لـكلِّ ما ينـافـي
هـذا إذا كنـتَ بحاجـةٍ لمـا ... تكسـبُه أو كنـتَ يومًـا مُعدمَا
أمَّـا إذا كنـتَ غنيًّـا قـادرَا ... وتسـتطيع منحهـا المفاخِـرَا
عندئـذ أولـى لهـا وأجمـلُ ... رعايـةُ الأسـرة حتمًـا أفضـلُ

وهنا أقول: إنَّ الحاجة المادِّيَّة ليست وحدها العامل المؤثر في عمل المرأة، فهناك عوامل نفسيَّة واجتماعيَّة وحضارية أخرى، تدفع المرأة إلى العمل، وهـي ذات مال وثراء. ربَّمـا لأن لديها فراغًا كبيـرًا من الوقت والجهد، تريد أن تملأه، حيث لا أولاد لها، وربَّما لأنَّها معلمة أو موجهة موهوبة، أو داعية بليغة أو أديبة مرموقـة، أو نابغة في علم من العلوم، قادرة على العطاء فيه.

وربما لأنَّ المجتمع نفسـه في حاجة إلى عملها، مثل عمل المرأة في تعليم البنات، وتطبيب النساء والأطفال، وتمريضهن. إلى غير ذلك من الاعتبارات.

وهناك بعض كلمات أعتقد أنَّ القافيـة حكمت بها، لو وضع غيرها بدلًا منها لكانت أمثل، مثل قوله عن الزوجة:

لا بـدَّ أنْ تكـونَ كلّ حيـن ... مزدانـة بالملْبَـسِ (الثميـن)

وأرى أنَّ المهم أن يكون جميلًا، لا أن يكون ثمينًا.

ومثل قوله عن الابن عندما يَكْبَر:

وعندمـا يَبْلُـغُ سـنَّ العاشـرةْ ... خصِّصْ لـه غرفة نـومٍ (فاخرةْ)

QaradawiBooks.com

وأعتقد أنَّ المقصود غرفة طيبة نظيفة لا فاخرة، ولا سيَّما أنَّ المؤلف أنكر الإســراف والتبذير والإغراق في المظاهر الخادعــة، في كثير من فقرات وصيته.

وأهون من ذلك قطع بعض همزات الوصل، مثل اسم وابن، خضوعًا لضرورة الوزن.

وأخيرًا أسأل الله تعالى أن يبارك لأبي عمر في ابنه، ويحقق آماله فيه، وأن يبارك للابن في أبيه ويكون له قرة عين، وأن ينفع بهذه الوصية كل من قرأها، وأن يحمي أبناءنا وأجيالنا الصاعدة من كل سوء.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

أ. د. يوسف القرضاوي
عميد كُلِّيَّة الشريعة بجامعة قطر
٢٠ جمادى الثاني ١٤٠٦هـ
الموافق ١ مارس ١٩٨٦م

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة ديوان «ميراث الأرض لمن؟»

للشاعر محمود خليل[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(وبعد)

فإن تأصيل الأدب إسلاميًّا من خلال تنظير فكري قائم على أصول الإسلام الثابتة، والتصور الإسلامي الصحيح، للكون والإنسان والحياة: واجب من الواجبات الَّتي يقع عبء تحقيقها على جيل الصحوة الإسلاميَّة الراشدة الواعدة.

وأعتقد أنَّ ما قامت به بعض الندوات والمؤتمرات الَّتي عقدت حول قضيَّة «الأدب الإسلامي» قد قدمت الكثير في هذا الطريق، كما أعتقد أن «رابطة الأدب الإسلامي»، الَّتي يرعاها سماحة شيخنا العلَّامة المجاهد أبو الحسن الندوي ـ أطال الله عمره ـ كانت لها أياد بيضاء في هذا الطريق أيضًا، وإن كنا ننتظر منها الكثير، بعون الله، ثمَّ بمساعدة المسلمين العاملين القادرين بكل جوانب القدرة لهذه الرابطة المباركة.

(١) نشر دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

بيد أن قضيَّة شيوع أدب إسلامي ـ والشـعر من أبرز أجناسه ـ على مسـتوى التطبيق هي قضيَّة أدبـاء الصحوة ومفكريها أنفسـهم، فعليهم ـ شعراء كانوا أو قصاصين أو روائيين أو مسرحيين ـ أن يعالجوا شؤون الحياة، وجوانب معاناتها، ووسائل صراع الخير مع الشر فيها، من منظور الإسلام، ووفق قواعد الأدب والفن، الَّتي تنسجم مع الأصول الجمالية والفنيَّة، والَّتي تلتزم بخصائص التصور الإسلامي ومقوماته.

وبعض النَّاس يظنُّ أن مصطلح الأدب الإسلامي، أو مصطلح الإعلام الإسلامي، أو الفن الإسلامي: يعني نوعًا من الخطابة المنبرية، أو التربية المباشرة، الَّتي تفتقد الأصول الفنيَّة، وتتجاوز الأطر الجمالية المطلوبة في كل فن. وهذا لغو لا مجال لمناقشـته. فالأدب الإسـلامي لا بدَّ أن يكون أدبًا أولا، وشعره لا بدَّ أن يكون شـعرًا، ومسرحه لا بدَّ أن يكون مسـرحًا، وقصته لا بدَّ أن تكون قصة. فما هو مشـترك بين الأدباء من أصول فنية وجماليـة، وما يصل إلى مرحلة القواعـد في كل جنس من الأجناس الأدبيَّـة، هو كذلك أصل في الأدب الإسـلامي، ويجب على الأديب المسلم أن يلتزم به.

ويضاف إلى الأصـول والقواعد: أن يكـون الأديب ملتزمًـا بالتصور الإسلامي، والغايات الإسلاميَّة العليا، تلك الَّتي تعطي الأديب أبعادا رائعة، وتزوده بـأدوات يتعامل بها مع مجالات الإبـداع ومناطق الإلهام، وتعطيه حرية أعمق، وانطلاقًا أرحب، وشعورًا بالمسؤوليَّة الكونية أسمى وأسمق، والتزامًا أمـام خالق الكون الأجل الأعلى، وأخلاقيَّة فـي التعامل مع أخيه الإنسان ومع الطبيعة أصفى وأنضر، وعاطفة صادقة تأخذ بيد الإنسان الحائر إلى سواء السبيل، فترد عليه ذاته المضيعة، وتحيي فيه إنسانيَّته المنتكسة.

QaradawiBooks.com

والحقيقة أنني رأيت هذه الجوانب الجمالية، وشقيقتها الإسلاميَّة، واضحة في شعر الأخ الشاعر: (محمود خليل) ورأيته ـ في ديوانه الَّذي بين أيدينا ـ قد ملك الناحيتين: الناحية الفنيَّة المطلوبة، وناحية التصور الإسلامي الصحيح. وحمدت الله أنِّي وجدت الأدب الإسلامي ـ على يديه هو وأمثاله من الشباب المؤمن الواعي الَّذي يملك الموهبة الأدبيَّة ـ قد أصبح «أدبا»، بكل معنى الكلمة، و«إسلاميًّا» بالمعنى الرحب والجميل والمسؤول والشمولي للإسلاميَّة.

ولقد سمعت من الأخ محمود شعرًا آخر خارج هذا الديوان، يحمل الهم الإسلامي كاملًا، ويعبر عنه بقدرة وموهبة عالية، ويصوره بخيال إسلامي نظيف.

لكنني لست مع الشاعر في تلك التشاؤمية الَّتي تناثرت تفرض ظلالها القاتمة على قصائده هنا وهناك، ناسيًا أنَّ الصراع دائم بين الحق والباطل، وأنَّ عصرًا يخلو من هذه الملحمة بين الطواغيت عملاء الباطل وبين دعاة الحق: هو عصر لم يوجد، وهو ليس من عصور التاريخ. وقرآننا دستورنا الَّذي أنزله الله ﷻ، يبين لنا هذا ويقول: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ويقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

فما يجري اليوم من ملحمة بين الإسلام والجاهليَّة في داخل الأمة الإسلاميَّة وخارجها، هو من سنن الله، ومن معالم التصور الإسلامي الثابتة، بل لقد بلغ من تشاؤم الشاعر أنَّه يخاطب ابنه الَّذي لم يأت بعد، فيصادر (الأمل) في مستقبله، ويفترض أنَّ الطغاة الجبارين خونة الأمة سيستمرون حتَّى بلوغ ابنه، وأن على ابنه الَّذي لم يأت بعد أن

QaradawiBooks.com

يرقب هذا المستقبل المظلم! كلا يا أخي، فأنت قاب قوسين من النور أو أدنى.

يقول الشاعر:

ولـــــدي إلـــيـــكَ قـصـاصـة مـن عـالـمـي قـبـلَ المجيء
فـهـنـا الـمـشـانِـقُ والـمـذا بِـــحُ فـي انـتـظـارِكَ يا بريء

ثم يقدم لابنه هدية:

وهديتي لَكَ في ضميرِ الغَيْب.. عرقوب وأصبع
وشـــعاعة كلَّتْ من التِّرحـالِ تحبو فوقَ أربـع!

ونحن ننصح ابنه المسكين أن يرفض هذه الهدية!

ومن ثمَّ يحذر ابنه من تحميله لمسؤوليَّة قدومه لعالمنا الموبوء:

ولأَنَّـــنـــي أَهْـــــواكَ نبـ ـــعًا رائـقًـا فـاسـمَـعْ إلـــيَّ
أنـــا بـــاعِـــثٌ لَـــكَ بـالـفـؤ ادِ وكـــلّ مـــالٍ فـي يـديَّ
فـــإذا أتـــيْـــتَ فـلا تـقـلْ هـــذا جـــنـــاهُ أبـــي عـلـيَّ
هـــذا جـــنـــاهُ الآثـمـــو نَ عـلـيَّ قـبـلـكَ يـــا بـنـيَّ!

وهذه مخالفة للتصور الإسلامي، يغفر الله للشاعر وقوعه فيها.

وفي النهاية ـ بل وفي بعض ثنايا القصيدة ـ يلتمس الشاعر العفو من ابنه القادم (إن شاء الله)؛ لأنَّه ظلمه. وفيم ظلمه؟ ظلمه بالطبع لأنَّه شارك في تقديمه إلى معركة غير متكافئة، ووضعه في حاضر مشوب بالمظالم الكلوح، حيث يوشك إخوة يوسف أن يسيطروا على بلاد الإسلام، بدءًا من فلسطين ولبنان ومصر، ومرورًا بأحزان إسلاميَّة أخرى، فيقول لولده:

QaradawiBooks.com

إخوان يوسفَ يمرحون.. ويملؤونَ هنا الدُّروب
الكاذبونَ على الإلٰه.. على الضَّمير... على الشُّعوب
أنا لستُ آمن أنْ تجيء إلى الحياة.. وكلّ ما فيها رخيص
والكيد للصِّدِّيقِ يوسف يشتكي منّهُ القميص
وغيابة الجبِّ الَّتي آوتْهُ ها هيَ في انتظارك
ومخالب امرأةِ العزيْزِ تشبُّ في أرجاءِ دارك
أنا إنْ ظلمْتُكَ فالتمِسْ لي الصَّفْحَ.. إنَّ الله يمحو..

والقصيدة ـ بيقين ـ مشبعة بالعناصر الفنيَّة، والتعبير الجميل، والشعور المتدفق. لكننا كنا نأمل أن يرقب الشاعر (الأمل) من خلال هذا الظلام، فالشمس لا بدَّ أن تشرق في يوم قريب على دار الإسلام، ولا بدَّ أن يزول الطواغيت، وأن يظهر جيل يحقق وعد الله بأن ينتصر الإسلام، ويسود الحق، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، فمهما طال يوم الباطل، فهو ساعة وتزول.

ولقد أطل صباح المستضعفين هادرا بالتكبير والتهليل والتحميد، ولسوف يمضي إلى مداه بإذن ربه وعزته[1].

هذا ولشاعرنا الأخ (محمود خليل) قول مكين أمين في إبداعاته المختلفة خلال هذا الديوان وخارجه، نسأل الله أن يجعلها في ميزانه، وأن يُؤيِّده بروح القدس.

(١) الحمد لله أنْ أقر أعيننا وأعين الأمة الإسلامية بهذه الثورات المباركة، التي أزالت الطواغيت، وحرَّرت البلاد منهم، وردت أمر الأمة إليها، بثورات الربيع العربي، ولا سيما الثورة المصرية، ثورة (٢٥) يناير.

QaradawiBooks.com

لكننا مع هذا الملمح العابر نجدنا ـ بيقين ـ أمام شاعر واعد، وأمام شاعر يمثل بحق ما نريده من شعر، لا يختلف الشعراء على أنَّه «الشعر»، ولا يختلف رواد الأدب الإسلامي على أنَّه من «الأدب الإسلامي»، ولا يختلف الملتزمون بدينهم فكرًا وتطبيقًا على أنَّه تعبير فني راق عن التصور الإسلامي الصحيح، للكون والحياة والإنسان، وإنِّي لأهيب بشباب الصحوة الإسلاميَّة المباركة أن يتخذ منه ومن مثله حداءه ونشيده.

وإلى لقاء آخر قريب مع عطاء آخر لشاعرنا الشاب المسلم (محمود خليل).

ونرجو أن يكون ابنه قد وصل من عالمه المنشود، وأن يستقبله وجود آخر كريم عزيز للمسلمين وللإسلام. وجود بعيد كل البعد عن العالم الَّذي يتوقعه شاعرنا المسلم الموهوب.

ثبَّتنا الله وإيَّاه بالقول الثابت في الحياة الدُّنْيا وفي الآخرة، وهدانا لما يحب ويرضى. اللهمَّ آمين.

د. يوسف القرضاوي

القاهرة في ٢٠ ذو القعدة ١٤١٠هـ

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة ديوان «أنات قلب»
للشاعر علي أحمد العثمان(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(وبعد)

فإن الشعر تعبير عما تجيش به نفس الشاعر، وتصوير فني لما يؤمن به ويفكر فيه، فإن كانت نفسه مؤمنة فاض شعره إيمانًا ويقينًا، وإن كانت جاحدة تفجر شعره إلحادًا وكفرًا، وإن كانت إباحيَّة نضحت بالتحلل والفجور.

وكل إناء بالذي فيه ينضح.

والشعر كذلك سلاح في يد صاحبه، يدافع به عن حماه، ويهاجم به خصومه، ولا غرو أن يستخدمه كل شاعر بحسب هدفه في الحياة، ورسالته في الوجود، وفكرته عن الدين والدنيا، والمجتمع والتاريخ.

ولهذا وجدنا أصحاب النزعة العِلْمانيَّة أو الإلحادية يجندون الشعر بكل ألوانه ـ ملتزمًا وحرًّا ـ في معركتهم الدائبة، لجعل الأمة تابعة

(١) نشر دار البشير، ط١، ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

للشرق أو للغرب، دائرة في فلك الفلسفة المادِّيَّة الَّتي لا ترجو لله وقارًا، ولا تجعل لوحيه اعتبارًا، ولا تحسب للآخرة حسابًا.

وهؤلاء هم أكثر من يعرف من الشعراء اليوم، وهم الَّذين تنشر لهم المجلات، وتنوه بهم الصحف، ويهتم بهم النقاد، ويروج بعضهم لبعض بشتَّى الأساليب، على نحو ما قال الشاعر قديمًا:

وَبَقِيتُ فِي خَلَفٍ يُزَيِّنُ بَعضَهُم بَعضًا لِيَدفَعَ مُعوِرٌ عَن مُعوِرِ[1]

وبإزاء هؤلاء يوجد شعراء يعبرون عن روح الأمة الحق، وعن ضميرها الأصيل، وعن قيمها الخالدة، ويذودون عن عقيدتها وشريعتها وأخلاقها، وعن حركتها ومقدساتها، فهم جنود في معركة الدفاع عن الإسلام وأمته، وهم في الأواخر، مكان (حسَّان) في الأوائل، الَّذي كان شعره أشد على المشركين من وقع الحسام في غبش الظلام.

هؤلاء هم المستثنون في قول الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧].

والأخ الفاضل علي أحمد العثمان يهفو إلى أن يكون واحدًا من هؤلاء المرابطين، الَّذين اتخذوا من القصيد أداة للدعوة إلى الله، وهداية الخلق إليه، وحشدهم في ساحته، والوقوف في وجه القوى الجاحدة به، والصادة عن سبيله.

---

(١) البيت في ديوان أبي الأسود الدؤلي صـ ٣٩٧، تحقيق محمد حسن آل ياسين، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م. ونسبت لبشر بن الْحَارِث، ولمرة بن عَمْرو الخزاعيّ في الحماسة البصرية (٢٩٨/٢)، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت.

QaradawiBooks.com

وقد قرأت له مجموعة من القصائد الَّتي تنحو هذا المنحى الرباني، والتشبه بشعراء الحب الإلٰهي، وشعراء الدعوة الإسلاميَّة.

أسأل الله ﷻ أن يسدد خطاه، ويعز به، ويتقبله في جنده الصادقين، وحزبه الغالبين.

وصلى الله على مُحمَّد وآله وصحبه.

الفقير إلى ربه

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة ديوان «مشاعل ومشاعر»
للشاعر مُحمَّد قطبة[1]

أحمد الله تعالى، وأصلي وأسلم على رسوله محمد، وعلى آله وصحبه.

(وبعد)

هذه السطور ليست مقدمة لديوان، بل هي تحية لشاعر مسلم، جعل من قصيده سلاحًا في معركة المواجهة مع أعداء دينه ووطنه وأمته، وهو لا ينسج خيوط شعره من حروف وكلمات، بل من قطرات الدم في الوريد، أو الدمع في المآقي.

إنَّه الشاعر مُحمَّد قطبة، الَّذي يصدر اليوم مجموعته الشعرية الأولى، لا ليتغنى فيها بهوى ليلى، وجنون قيس، فقد شغلته عن ليلى وسعدى شؤون وشجون حلت بساحة أمته الكبرى، ابتداء من مأساة فلسطين، إلى مأساة البوسنة والهرسك.

وليس أصدق من الشاعر نفسه يحدثنا عن غاية شعره ورسالته في قصيدته «لماذا أقول الشعر»، فيقول:

(١) نشر مطابع الدوحة الحديثة، ط١، ١٩٩٤م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ورأيتُ القصيدَ أمسى سلاحي ... في زمانٍ يَعَافُ قولَ القصيدِ
أزرعُ النورَ في القلوبِ لَعَلِّي ... أنزعُ الشوكَ من جنانِ الورودِ
وأصوغُ الأبياتَ من نبض قلبي ... علَّ صوتي يفلُّ صمتَ الحَدِيدِ

إنَّه صاحب قضيَّة، وقضيته هي الإسلام، وهو وإن كان ابن قطر انتماء وولاء ونشأة وتعلمًا، تطوف مشاعره مشرقة ومغربة في ديار المسلمين حيثما كانوا، فهو منهم وهم منه، أينما ارتفع الأذان بالتهليل والتكبير.

تجده حينًا وقد غلت مراجل الغضب في صدره على الأوضاع العوج في عالمنا الإسلامي، فصب شعره حممًا على الاستبداد المتسلط، أو التسلط المستبد، والفساد السافر والمقنع، والأكاذيب الَّتي تزين للناس كأنها حقائق، والصغار الَّذين يلبسون أردية الكبار، يقول في قصيدته «إليك أيها الوطن الإسلامي»، متحدثًا عن الزعامات الزائفة، والبطولات المصطنعة، الَّتي تروج لها الأبواق الآثمة:

تعيسٌ أنتَ يا وطني تَعِيسُ ... وفيك عَمِيل أعدائي يَسُوسُ
فهذا فارسُ الهَيْجَا مُشِيرٌ ... وهذا فاتحُ القُدْسِ الرَّئِيسُ
وأسماءٌ وألقابٌ ضِخَامٌ ... ثيابُ الزَّيْفِ تعشقُها النُّفُوسُ
جموعُ الشعب أرخصُ من ترابٍ ... وكرسيُّ الزعيمِ هُوَ النَّفِيسُ
ورُغْم الشَّعْبِ نشهدُ كلَّ شَعْبٍ ... يُصَفِّق دائمًا: يحيا الرئيسُ!

ونرى شاعرنا حينًا آخر، وقد غلبه الحماس لقضايانا العادلة المظلومة، فقام محرِّضًا على الجهاد، مشيدًا بالكفاح وأبطاله، وأكثر ما همَّه وأرقه قضيَّة فلسطين، قضيَّة المسجد الأقصى.. ولا غرو أن نجد

QaradawiBooks.com

أوَّل قصيدة أنشـأها حين طفق يخطو الخطوة الأولى في مدارج الشعر، كانت عن فلسطين، وأواخر قصائده أيضًا عن فلسطين.

فهو يحاور «الفارس الملثَّم»:

هـبَّ يرمـي الحجـارةَ نـارًا ... يرفعُ المصحفَ الشـريفَ شِعارًا
ليـس طفـلًا ولا صغيـرًا ولكنْ ... فـارسٌ صامـتٌ أُثِيـرَ فَثَـارًا
مَـلَّ قَيْدَ الوعـودِ فـي مِعْصَمَيْهِ ... والسياسـات ما صنعْـنَ قَـرَارًا

ويقول في قصيدته «حنين إلى الأقصى»:

مِنْ مِدَادِ الأسـى سأكتبُ شِعْري ... يا أسـيرًا ملكتَ قلبـي وفكري
فشُـجُوني أبتْ لنَفْسـي قـرارًا ... واشـتياقي إليك يُلْهِـبُ صَدْرِي
كدتُ أنسـاكَ، فالهمـومُ تداعتْ ... وجـراحُ الإسـلامِ فـي كلِّ قُطْرِ

وهو كأي شاعر صادق مع نفسـه، مرهف في حسه، لا يملك إلَّا أن يحيا في أحزان أمته، أو تحيا فيه، وأن نراه نواحا في كل مأساة من مآسي المسلمين، وما أكثرها! وما أثقلها!

فلا عجب في أن يبكي شاعرنا «جراح الإسلام» هنا وهناك في حماة وفي حلبجة[1] وفي غيرها، فيرسل عبراته شعرا، يصرخ ويقول:

في كلِّ جـزءٍ من بـلادي قصَّةٌ ... تَـرْوِي ضَيَـاعَ كرامةِ الإنسـانِ
هـي قصَّةُ الإسـلامِ فـي أوطانِهِ ... أمسـى غريبًا كالطريـدِ الجاني

(١) مذبحة حماة الشـهيرة عام ١٩٨٢م، والتي اسـتمرت (٢٧) يومًا، حيث قام النظام السـوري بتطويق مدينة حماة وقصفها بالمدفعية، ومن ثَمَّ اجتياحها عسكريًّا، وارتكاب مجزرة مروعة كان ضحيتها عشرات الآلاف من المدنيين من أهالي المدينة.
وحلبجة مدينة كردية، قُصِفت في أثناء الحرب العراقية الإيرانية بغاز السيانيد سنة ١٩٨٨م، ممَّا أدى إلى مقتل أكثر من (٥٥٠٠) من الأكراد العراقيين من أهالي المدينة.

QaradawiBooks.com

من أين أبدؤها؟ وكيف أصوغها؟ وبأيِّ شِعْر يستفيضُ لِسَاني؟
فالبغيُ يحصِدُ كلَّ يومٍ فِتْيَةً كرهوا الحياةَ بذِلَّةٍ وهَوَانِ

وهو لا يبكي الكوارث السياسيَّة وحدها، بل يبكي الكوارث الطبيعية أيضًا، فهو يناجي «مصر» بعد الزلزال الشهير[1]:

قالوا: أصابكِ زلزالٌ، فما فَتِئتْ مرارةُ الحزنِ في الأعماقِ تَكْوِيني
فأنتِ حِصْنٌ لأهلِ الشرقِ قاطبةً يا مَوْئِلَ الضادِ والإسلامِ والدِّينِ
يا مصرُ أُعطيكِ قَلْبِي شِئْتِ أَمْ قَلَمِي أم اللِّسَانَ؟ بربِّي لا تَرُدِّيني

وهو كما يعيش الجراح، يعيش الأفراح، وإن كانت الجراح والأحزان هي الأصل، والأفراح من قبيل الاستثناء، فهو يغني لانتصار «الأفغان»، وينشد لفتح «كابول»:

فتحُ «كابول» كان يومًا خَيَالَا حوَّلته شُمُّ الرجالِ فِعَالَا
ليس عند المجاهدِ الحقِّ أمرٌ مستحيلٌ إذا تبنَّى المُحَالَا

تحيَّة لشاعرنا الدكتور مُحمَّد قطبة، في مجموعة قصائده الأولى، وننتظر منه قصائد وقصائد، تكون روحا وريحانا للمؤمنين، وعدة وعتادا للمجاهدين، ونارا وسعيرا على الطغاة والمنافقين.

الفقير إلى عفو ربه
يوسف القرضاوي
الدوحة في ذي الحجة ١٤١٣هـ
الموافق ديسمبر ١٩٩٣م

(١) الزلزال الذي أصاب القاهرة وما حولها، يوم ١٢ أكتوبر ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

مقدمة
«ديوان قطبة: الأعمال الشعرية الكاملة»
للشاعر محمد قطبة[1]

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الَّذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، مُحمَّد وآله وصحبه مصابيح الدجى، ومن بهم اقتدى فاهتدى.

(أمَّا بعد)

فمن النَّاس من يعيشون في الدُّنْيا دون أن يحس بعيشهم أحد، وإذا ماتوا لم يخسر بموتهم أحد، كذلك الَّذي قال فيه الشاعر:

فَهَذَا الَّذِي إِن عَاشَ لَم يُحتَفَل بِهِ وَإِن مَاتَ لَم تَحزَن عَلَيهِ أَقَارِبُه!

ومنهم من يعيش في الدُّنْيا ظاهرا اسمه، مدويا صوته، ولكن في الشر لا في الخير، وفي الإثم والعدوان لا في البر والتقوى، فلم يترك وراءه إلَّا أثرا سيئا، وذكرا سيئا، وهذا بموته يستريح النَّاس من شره، وفي مثله قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩].

ومنهم من يعيش في الدُّنْيا لرسالة عليا، ولهدف رفيع، أن يكون لله لا للطاغوت، وأن يعيش للناس لا لنفسه، وأن يحيا مع الحق

(١) نشر مطابع الدوحة الحديثة، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة وصلية
QaradawiBooks.com

لا مع الهوى، وأن يجعل حياته كالشمعة تذوب وتحترق ليستضيء بها الآخرون.

ومن هذا الصنف الأخير كان ابننا وأخونا الحبيب، الشاعر الأديب، الداعية المربي الدكتور مُحمَّد عبد الله قطبة، الَّذي كانت حياته عطاء موصولًا لدينه ومجتمعه وأمته، عطاء بالكلمة، وعطاء بالعلم، وعطاء بالعمل، وعطاء بالأسوة.

ثم شاء الله أن يفجع الجميع بفقده، وكأنما خطف من بينهم خطفًا، فترك في كل عين عبرة، وفي كل صدر زفرة، وفي كل نفس حسرة، وعلى كل لسان ثناء ودعاء. وكل واحد يعرفه يذكر له موقفًا من مواقف الخير، وقصة من قصص البطولة الإنسانيَّة والمثاليَّة الرفيعة، الَّتي تؤثر على نفسها، وتتحمل المتاعب لإراحة خلق الله.

كان مُحمَّد قطبة مربيًا مؤثرًا بالفطرة والدراسة والممارسة، وكان داعيًا موفقًا يدعو بالكلمة والأسوة الحسنة، وكان رجل خير وعطاء موصول لكل الناس، وكان قبل ذلك شاعرا مطبوعا، خصب الإنتاج، فياض الشاعرية، لا يكاد حدث يمر إلَّا تأثر به وانفعل ـ فرحًا أو حزنًا، رضًا أو غضبًا ـ وقال فيه شعرًا، قد يكون عدة أبيات، وقد يطول إلى عشرات الأبيات.

وكان أخي الحبيب وتلميذي النجيب مُحمَّد قطبة قد أخرج ديوانه الأوَّل «مشاعر ومشاعل»، وطلب مني أن أكتب له مقدمة، ولم يسعني إلَّا أن استجيب له، وفاء بحقه، وتقديرًا لفضله، وتنويهًا بجهده ودوره، ومنزلته في الأدب والشعر والدعوة والإصلاح.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

وهاأنذا اليوم أقدم كامل شعره للقراء، بعد أن اجتهد بعض إخوانه وأحبائه في جمعه، ولا سيَّما أنَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان قد أعد بنفسه ديوانه الثاني للنشر، فضموه إلى ديوانه الأوَّل «مشاعر ومشاعل»، وضموا إليه قصائد منثورة وجدوها هنا وهناك، وإن كنت أحسب أن هذا الجمع غير مستوعب، وينبغي لأحباء مُحمَّد قطبة وأصدقائه ـ وهم كثر ـ أن ينبهوا على من وجد أي قصيدة له منشورة في صحيفة أو مجلَّة، أو عند صديق أو نحو ذلك: أن يتقدم بها إلى جامعي ديوانه، لتضم إليه في طبعة لاحقة.

ولقد رثيت مُحمَّد قطبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما فجعنا بموته، وقد نشر هذا الرثاء في كتابي «في وداع الأعلام»، وكان ممَّا قلته في هذا الرثاء، ممَّا يتصل بموضوعنا هذه العبارات:

كان مُحمَّد قطبة شاعرًا مطبوعًا، لا يتكلف الشعر، كأنَّما ينحته من صخر، بل يصدر عنه الشعر كما يصدر الشذا من الزهر، وكما يصدر العسل من النحل، مختلفًا ألوانه، فيه غذاء وشفاء للناس.

وقد رصد شعره لهموم الإسلام والمسلمين، يغني لهم إذا فرحوا، ويبكي لهم إذا حزنوا، ويصرخ فيهم إذا استناموا، ويحمسهم إذا استيقظوا، ويشد من أزرهم إذا أقدموا، ويرثي أبطالهم إذا رحلوا. فمن يرثيه اليوم من شعرائنا؟

إن من حق مُحمَّد قطبة على الشعراء ـ وخصوصًا الإسلاميِّين منهم ـ أن يبكوه ويرثوه، ويعرفوا به الشباب الواعد، والجيل الصاعد.

هكذا رأينا شاعرنا الرقيق في ديوانه «مشاعر ومشاعل»، الَّذي أسعدني بتقديمه للقراء، ورأيناه في غيره من القصائد الَّتي يواكب بها آلام الأمة وآهاتها، وآمالها وطموحاتها، ولا سيَّما في قضيَّة المسلمين

QaradawiBooks.com

الأولى، قضيَّة فلسطين، وصراعها مع الصهيونيَّة العالميَّة والصليبيَّة الغربيَّة، فقد خصص لها جانبًا كبيرًا من شعره.

ومن قرأ عناوين القصائد في ديوانه تبين له ذلك بوضوح، اقرأ هذه العناوين: «يا قدس»، «واقدساه»، «القدس حسناء العصور»، «زهرة فلسطين»، «وعد بلفور»، «قتل رابين»، «المهرولون»، «القدس ليست للمزاد»، «حنين إلى الأقصى»، «زلزليهم يا قدس»، «جراح النكسة»، «بطاقة إلى دعاة الاستسلام»، «حوار مع الفارس الملثم»، وغيرها.

وإذا كان لنا أن نختار، استطعنا أن نختار من ذلك قصيدة الشاعر «يا قدس»! ويبدو أنَّه أنشأها بعد انعقاد (قمة) من قمم العرب، الَّتي شهدها النَّاس تجتمع وتنفض، ولا تنجز شيئًا يشفي الغليل.

يا قُدْسُ إنَّ شعاراتي مُزَيَّفةٌ ... ولستُ أملكُ لا سيفًا ولا قلمَا
أنكرتُ بالقلب ما صاغته قِمَّتُهم ... وبَعْدَما أذِنوا أحرقتُ لي عَلَمَا
وجُبْتُ شَرْقًا وغربًا صارخًا وَجِلًا ... كأنَّما زفراتي أصبحتْ حِمَمَا
وقلتُ: علَّ صدَى صوتي سيبلغُهم ... فيمنحوني سلاحًا جَدَّ أو قَدُمَا
يُحَطِّمونَ حُدُودًا لا حدودَ لَهَا ... ويرفعونَ لواءً طالما اقتحما
فأسمعوني بيانًا لا بيانَ له ... أيقنتُ بعدُ بأنِّي لم أعُدْ رَقَمَا
وأنَّ كُلَّ مَسيرَاتي مُصَيَّرة ... بما يزيد عدوي إن بها عَلِمَا
يا قدسُ عذرًا فليس اليومَ في سَعَتي ... إلَّا الدعاءُ وقد أعلنتُها قسَمَا
ثأري لكلِّ شهيدٍ سوف آخذه ... فالعينُ بالعينِ هذا ما به حَكَمَا
دربي جهادٌ وعزمي لا حدودَ له ... وسوف أنسف قيدًا كان أو صَنَمَا
أنا العروبةُ للإسلامِ حربتُه ... ومهجتي تفتدي أقصاي والحَرَمَا

QaradawiBooks.com

ومن هذه القصائد: قصيدته الَّتي يحيي فيها حركة المقاومة الإسلاميَّة (حماس)، ويعلق عليها أمل الأمة في التحرير والإنقاذ:

فَجِّري يا حماسُ فيهم وسيري ... فوقَ أجسادِهم بَمرْجِ الزُّهُورِ
أحرقي السَّامِرِيَّ فيهم إلهًا ... صنع العِجْلَ من جحيم الشّرُورِ
ازرعي الذُّعْرَ في قلوبٍ غِلَاظٍ ... هتكتْ في الخَلِيلِ فَجْرَ السُّرورِ
حَطِّمي هيكلًا بنتْهُ قُرُودٌ ... فوقَ محرابنا بظُلْمٍ وجُورِ
واثأري للمجاهدين (فتحي ويحيى)[1] ... وأُسُود بكلِّ شِبْرٍ طَهُورِ
عَلِّمينا معنى الكرامةِ إنَّا ... أُمَّةٌ تمَّ وأدُها في الضميرِ
باعت الدِّينَ والهُوِيَّةَ حتَّى ... أنكرت ما يجولُ بين الصُدُورِ
كلُّ آمالِها سلامٌ هَزِيلٌ ... بين غربٍ باغٍ وشرقٍ أسيرِ
ورؤوس على الخداعِ تَرَبَّتْ ... وعبيد رداؤهم من حريرِ
أنتِ فجرُ آمالِنا فيه تصحو ... فانسِفي يا حماسُ كلَّ الجُسورِ

ولكنَّه لم يقف عند فلسطين وحدها، بل جند قلمه وشعره لكل قضيَّة إسلاميَّة، يذكر أمَّتَه بها، ويذود عن حماها، ويصد المعتدين عليها بقصائده وأبياته، كأن كل بيت منها قذيفة توجه إلى صدور الطغاة.

واكتفي هنا بقصيدة تغنى بها من أجل «كوسوفو»، يقول فيها، بعد أن سكت عن الشعر فترة:

(١) فتحي الشقاقي ويحيى عياش رحمهما الله.

QaradawiBooks.com

عـــائـــدٌ لـلـشـــعـر عـائـــدْ
يا كوسوفو أشعلي جمرَ القصائدْ
أيـقـظـي (حـسَّـــان) ولْـيَـرْفـعْ
لـــــواءَ الـفـــتـــحِ (خـالـــدْ)
هـــــذه لـيـســت شـجـــارًا
بـــل ضـيـاعـًـا لـلـعـــقـــائـــدْ
هـــــذه حـــرب ضَـــــرُوسٌ
بـيـن رومـــــا والـمـــساجـــدْ
أحـمـل الـقـرآن دسـتـورا ورمـــزًا
لـمـقـيـم الـلـيـلِ سـاجـدْ
أحـــمـــلُ الـــنـــورَ بـيـمُـنـايَ
وأرمـــــــــي بـــيـــســـاري
كـــلَّ زِنْـــديـــقٍ وحـــاقـــدْ
لـــم أكـــنْ يـــومًـــا يـــؤوسًـــا
وحـــديـــثُ الـفـتـح شـاهـدْ
عـــائـــدٌ لـلـشـعـر عـائـــدْ
بـــبـــيـــانٍ يَـــعْـــرُبِـــيٍّ
فـــي رُبـــا الـــقـــرآن خـالـدْ

ومن جميل قصائده أو مقطوعاته هذه الأبيات الخمسة، الَّتي يشكو فيها همه، ويبث فيه أساه على قومه، فيقول:

QaradawiBooks.com

ما جئتُ أُنْشِدُ بعضَ الشِّعْرِ والأدبِ فقد كبا بي جَوَادي وانتهتْ خُطَبِي
وملَّ من شِعْرِيَ الرُّوَّادُ حين غَدَتْ قصائدي تشتكي من غَيْرَةِ العَرَبِ
تمضي السُّنونَ وأشعاري تُنَاشِدُهم وتستغيثُ بمن فيهم من النُّخَبِ
فلم تُحَرِّكْ من الأقــوامِ نَخْوَتُهُم ولم أعُدْ مدركًا للصمتِ من تَعَبِ
طويــتُ مُعْجَمَ أشــعاري لأدفِنَه وفي فؤادي نداءٌ صاح: واعجبي!

وفي ديوان مُحمَّد قطبة أشــعار تتعلق بالجانب الشخصي والجانب الأسري في حياته، وإن كانت قليلة بالنســبة لمجموع شعره، ومن ذلك قصيدته الطويلة إلى والدته وعائلته حين كان يدرس بلندن، وفيها يقول تحت عنوان «رسالة بالشعر»:

رســالتي هذه طــالَ انتظارُكُمُو لها، فعُذْرًا، ويا بؤس اعتذاراتي!
كتبتُهــا عــلَّ أشــجاني تهادِنُني ولكنِّني شــاعرٌ، والشوقُ أبياتي!
إلــى الحبيبــةِ أُمِّ الخَيْرِ أُرْسِــلُها أُقَبِّلُ الرأسَ في حــبٍّ وطاعاتِ
فكم كرهــتُ فِرَاقًا بيننــا عَجِلًا لكنَّــه قَــدَرٌ فــي لَوْحِ ســاعاتي
فصابري البُعْدَ، وادعِي اللهَ مَغْفِرَةً وجَمْعَ شَــمْلٍ قريبًا دون أَشْتَاتِ

وهي قصيدة جميلة فيها لمسات إنسانيَّة رقيقة، تحدث فيها عن الأم والأب، والجدة، والزوجة، والإخوة والأخوات، والأصهار، حديث امرئ ذي قلب دافق بمشاعر الحب والحنان والإيثار.

وله قصيدة قصيــرة تحدَّث فيــهــا عن زوجــــه خاصَّة بعنوان «رفيقة عمري»:

رفيقةَ عمــري إنَّ شِــعْرِي قَلَائِدٌ أَزِينُ فِيهَا جِيدَ مَــنْ كنتُ أَمْدَحُ
رَوَيْت ربيــعَ العُمْر مِنِّــي بِغُرْبَةٍ فأمســيتُ في لقيــاكِ أهنا وأفرحُ

QaradawiBooks.com

تُقَاسِينَ أيَّامًا بصبرٍ يمدُّ لي ... شُعَاعًا من الآمالِ يسمو فأطْمَحُ
وإن زاد بي وَجْدٌ وأرَّقني الجَوَى ... أزلت عن القَلْبِ الهمومَ فأمرحُ
وإن قصَّرَتْ يومًا عن العلم هِمَّةٌ ... سكبتُ بقلبي ماءَ صَبْرٍ فأكدحُ
تمرُّ ليالينا فنتلو مع الدُّجَى ... كتابًا بكنز الخير يربو ويَطْفَحُ

ومن تلك القصائد، قصيدته عن ابنته ـ وأول من ولد له ـ جميلة، وفيها يقول:

قالوا: جميلةَ تَهْوَى؟ قلتُ: فاتنةٌ ... سبت فؤادي بسَهْمِ اللَّحْظِ والمُقَلِ
تقول: بابا! فيسري صوتُها بِدَمِي ... شريانَ حبٍّ، وتُحْيِي شمعةَ الأمَلِ
إذا رأتني تجلَّى وجهها فَرَحًا ... وأرسلت خَطْوَها نحوي على عَجَلِ

ومثلها: حديث مع ابن أخته الصغير، حيث يخاطبه في قصيدته:

فديتُكَ يا بدرُ ما أجْمَلَكْ! ... وهل فيكَ إلَّا صفاءُ المَلَكْ؟
براءةُ وجْهِكَ أَوْحَتْ إِلَيَّ ... قوافيَ شِعْرِي فأنشدتُ لَكْ

وربَّما يتساءل كثيرون ممَّن قرؤوا شعر قطبة: أين شعر الغزل والعواطف الَّتي لا تخلو من شِعْر شاعر؟ ألم تكن له «ليلى» من ليالي الشعراء يَهيم بها، ويصوغ القصائد في حبِّها، والوجد بها، والشوق إليها، ويشكو مرارة الفراق، ويتغنى بحلاوة اللقاء، والوصل بعد الهجر، إلى آخر ما عرف به الشعراء؟

ويبدو أنَّ شاعرنا رَحِمَهُ اللَّهُ كان نوعا آخر من الشعراء، من حملة الرسالات، فقد شغله هموم الأمة، وقضايا الأوطان، وعبء الدعوة إلى الإسلام، ومواجهة أعداء الدين والأمة، عن ليلى وسعدى ودعد وهند، وقد سجل ذلك في إحدى قصائده الَّتي سمَّاها «معنى الحب» فقال:

QaradawiBooks.com

يقولونَ: إنَّ الحُبَّ عنـدَكَ ضَائِعٌ ... فشِعْرُكَ يَخْلُو من هُيَامٍ ومن وَجْدِ
فقلتُ: معاني الحبِّ عندي عَزِيزَةٌ ... يَعِزُّ على شِعْرِي التغزُّلُ في دَعْدِ
رأيتُ شبابَ الجِيلِ في العِشْقِ غَارِقًا ... يُكَابِدُ آهـاتٍ تزيدُ عـن الحَدِّ
فهذا ينـام الليـل فوقَ وسـادةٍ ... يُناجي بها ليلى ويشكو إلى هِنْدِ
وآخـرُ تَكْويه الصبابـةُ والْجَوَى ... يعدُّ نجـومَ الليلِ عَـدًّا على عَدِّ
وثالـثٌ أعيتْـهُ الرسـالةُ ردُّهـا ... فأمسك بالقاموس يحتال في الرَّدِّ

وبعد أن ينعي على شـباب وطنه ضيـاع حياته في الهـوى واللهو والتسكُّع في الطرقات لمغازلة الفتيات، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ:

نريـدُ شـبابًا صالحًـا ذا رجولةٍ ... ينالُ المعانـي بالتفاني وبالجَهْدِ
يسـيرُ على شَـرْعِ الإِلَـهِ وهَدْيِهِ ... ويأبى الدَّنَايَا، صادق العَزْمِ والعهد
فلا هو مِضْيَـاعٌ لوَقْتٍ، ولا الَّذي ... يُقَضِّي الليالي عند طاولـةِ النَّرْدِ
بهذا سنبني الصَّرْحَ إن صحَّ عزْمُنا ... وبالعِلْمِ والإيمانِ نرقى إلى المَجْدِ

ويتبيَّن لقارئ شعر قطبة أنَّه شعر يتميَّز بالسلاسة والعذوبة والتلقائيَّة، وعدم التكلُّف، فهو يتجاوب مع الفطرة، ويخاطب الوجدان، ويسـتثير الضمير، ويحفـز العزيمة؛ ولعدم تكلفه في إنشـاء الشـعر رأيناه رَحِمَهُ اللَّهُ يستخدم الضرورات الشعرية في كثير من الأحيان، ومنها ضرورات جائزة شائعة، وقليل منها من الضرورات الَّتي لا تستساغ. ولكن هذا في القليل النـادر، ولعلَّه كان ينـوي أن يعود إلـى مثل هذه الضـرورات بالتغيير والتهذيب، ولكن الأجل لم يسعفه.

رحم الله شـاعرنا المطبـوع مُحمَّد قطبة، شـاعر الأمـة وهمومها، والرسـالة وأعبائها، وجزاه خير ما يجزي عباده المؤمنيـن، من الأدباء

QaradawiBooks.com

والصالحين، والشعراء الصادقين، الَّذين نافحوا عن الحق والخير والعدل والحرية، وجعلوا من أقلامهم سيوفًا لمقاتلة الباطل، ومدافعة الطاغوت، وكانوا من الَّذين استثناهم الله تعالى من الشعراء في قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة في محرم ١٤٢٧هـ

الموافق فبراير ٢٠٠٦م

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

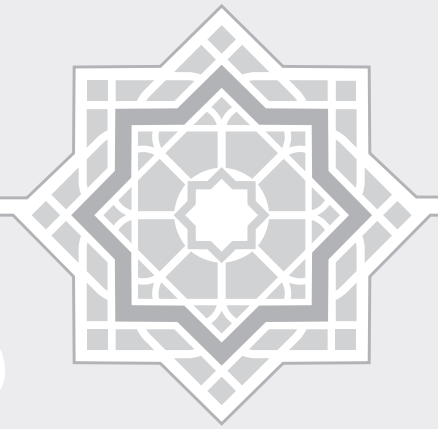

غير مرخصة للطباعة

في النثـر

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مقدمة
«العقد الفريد عشر سنوات مع الإمام حسن البنَّا»
للدكتور حسَّان حتحوت[1]

بداية صلتي بحسَّان:

في الحديث المتَّفق عليه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**الأرواح جنودٌ مُجَنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[2].

تعارف رُوحي:

ويبدو أنَّ رُوحي قد تعارفت مع روح أخي حسَّان حتحوت في «عالم الذرِّ» كما يُسَمُّونه، فأتلفتُ معها؛ فقد أحببتُ حسَّانًا قبل أن ألقاه، وعرفته قبل أن يعرفني.

فقد كُنَّا نحن ـ طلَّاب الإخوان المسلمين في المرحلة الثانويَّة ـ نتابع نشاط إخواننا «الكبار» من طلَّاب الجامعة، نعتزُّ بمواقفهم، ونتغنَّى بأمجادهم، ونطرب لأفراحهم، ونأسى لفواجعهم، ونزهى بنوابغهم.

وكان من هؤلاء النوابغ: مصطفى مؤمن بكُلِّيَّة الهندسة، وسعيد رمضان بكُلِّيَّة الحقوق، وحسَّان حتحوت بكُلِّيَّة الطبِّ، وكلُّهم اشتهر بفصاحة اللسان، وبلاغة اليراع. وكانت تأتينا أعداد من مجلَّة أصدرها

(١) نشر دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣٦)، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إخواننا طلاب القاهرة، اسمها «الطالب العربي»، وهذا العنوان دليل قديمٌ على عمق الحس العروبي، والحسِّ الإسلامي، والحسِّ الوطني لدى الإخوان.

وكانت المجلة تشتمل على أخبار وأنشطة الطلاب، وعلى بعض كلمات ومقالات وقصائد للنابهين منهم.

ومنها لحسان، الَّذي يبدو أن والده سماه بهذا الاسم، ليقوم في الأواخر مقام (حسان) شاعر الرسول ﷺ في الأوائل، فقد عرفت من مذكرات حسان أنَّ والده كان شاعرًا مطبوعًا، كما تجلى ذلك في قصيدته الَّتي بعث بها إليه حين ذهب إلى أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م لخدمة المجاهدين في الميدان، وفيها يقول:

اهبطْ على أرضِ السَّلاَ ... مِ جُعِلْتُ يَا وَلَدِي فِدَاكْ
ضمِّدْ جِرَاحَاتِ العُرو ... بَةِ سَدَّدَ المولى خُطَاكْ
وَامْسَحْ دُمُوعَ الثَّاكِلاَ ... تِ عَسَاكَ تُسْعِدُهَا عَسَاكْ
واذكرْ فِلَسْطِينَ الجَرِيـ ... ـحَةَ وانْسَ أُمَّكَ أَوْ أَبَاكْ
إِنِّي وَهَبْتُكَ لِلْجِهَا ... دِ وَأَيْنَ لِي سَيْفٌ سِوَاكْ؟

وممَّا أذكره ممَّا قرأته من قديم لحسَّان في عنفوان شبابه يتحدَّث عن القرآن:

هَذَا الْكِتَابُ، وإنَّ فيه سياسةً ... أتُرَاهُ أمرًا في الكِتَابِ عجيبا؟
إنْ كان تُزْعِجُكُمْ سِيَاسَتُهُ دعو ... ه وَنَقِّبوا عن غَيْره تنقيبًا!
أو فاعْرِضُوه على الرَّقِيبِ فرُبَّما ... أفتى، فغادَر نِصْفَهُ مَشْطُوبَا!
يا قومُ سُحْقًا للرقيبِ وأمْرِه ... فكفى بربِّ العالمين رَقِيبَا!

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وحينما اقتادونا إلى الاعتقال في أوائل يناير١٩٤٩م، ووضعنا في سجن قسم الشرطة (قسم أول) بمدينة طنطا، وظللنا فيه نحو أربعين يومًا، كان من رفقائنا في السجن المهندس حكمت بكير، الَّذي جيء به من مقر عمله بمدينة كفر الزيات، وكان من نشطاء طلبة الإخوان في الجامعة، ويحمل ذكريات طيبة حدثنا بها عن إخوانه، وعلى رأسهم حسان، فزادني ذلك حبًّا له، وشوقًا إليه.

لقاء في المعتقل:

ثم شاء الله أن ننتقل من سجن طنطا إلى معتقل الطور، وبعد فترة نقلونا ـ نحن طلبة الثانوي ـ من معتقل الطور إلى معتقل هايكستب، وفيه جاءنا حسان، من مَيدان الجهاد في فلسطين إلى المعتقل، وهو ما استغربه حسان من قومه: أن يكون الاعتقال والحبس وراء القضبان جزاءه وجزاء أشباهه، ممَّن خدموا أوطانهم بإخلاص، وعرضوا أنفسهم لخطر الهلاك من أجل أمتهم، وأنشد في ذلك قول طرفة:

وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ[1]!

وفي هايكستب عرفته عن كثب، ولقيته وجها لوجه، وجلست إليه، واستمعت إليه، وإلى شعره الرقيق، وإلى نوادره وفكاهاته، الَّتي تصدر دون تكلف. ورغم أنَّه كان طبيبًا نابهًا، وكنت طالبًا في نهاية المرحلة الثانويَّة، فلم أشعر فيه قط بتعال أو صلف، بل كان قريبًا من الجميع، حبيبًا إلى الجميع، بزكاة نفسه، وطهارة قلبه، ورجاحة عقله، وحسن خلقه، وحبه لإخوانه، ومسارعته لنفعهم.

(١) انظر: ديوانه صـ ٢٤، شرح مهدي محمد ناصر الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

ورغم أنَّه كان في استقامته كشعاع الشمس، وفي نقائه كماء المزن، وفي صرامته كحد السيف، فقد شعر كل من عاشره أو اقترب منه: أنَّه نعم الجليس، ونعم الأنيس، لخفة ظله، ومرح روحه، وملاحة نكاته، وقفشاته الَّتي تصدر منه على البديهة، في غير إسفاف ولا ابتذال، ولا جرح لأحد.

وبعد أن خرجنا من المعتقل التقينا في ساحة الدعوة بالقاهرة، ثمَّ فرقت بيننا الأيام، وعافاه الله سنة ١٩٥٤م من «السجن الحربي»، الَّذي جمع الله به ـ رغم قسوته وما فيه من آلام وعذاب ـ بين كثيرين باعد بينهم الزمن، فقد كان خارج مصر. حتَّى هيَّأ الله لنا لقاءات ولقاءات في مرحلة النضج، في ندوات علميَّة، ومؤتمرات إسلاميَّة، وخصوصًا ندوات «المنظمة الإسلاميَّة للعلوم الطبية» بالكويت، الَّتي سنت سنة حسنة في الجمع بين علماء الفقه وعلماء الطب، للتباحث المشترك في القضايا الفقهيَّة المتعلقة بالطب. وكان حسان من أبرز الأعضاء المؤسسين والمشاركين في هذه الحلقات، بخلفيته الإسلاميَّة، وثقافته الشرعيَّة، وبراعته الطبية، وقدرته الأدبيَّة.

وأهم ما عرفته في حسان خلال تلك المراحل كلها، خصال ثلاث، لم تتغير في شباب ولا هرم، وهي: الصدق الَّذي لا يعرف الكذب، والثبات الَّذي لا يعرف التلون ولا التراجع، والحب الَّذي يسع الموافق والمخالف. كما وصف ذلك هو بقوله: الصفاء بالمحبة لكل الَّذين لقوني في حياتي ظالمين أو مظلومين.

ومما ذكره عن الإمام البنَّا فيما كان يكتبه في مجلَّة «العربي» أنَّه قال: سنقاتل النَّاس بالحب!

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وإذا كانت هذه صلتي بحسَّان، فإنَّه ليسعدني كل السعادة أن أكتب هذه السطور، تقديمًا لمذكراته الَّتي كتبها عن حياته، وذكرياته في حركة الإخوان المسلمين في فترة معينة، من سنة ١٩٤٢م إلى ١٩٥٢م، وصلته بمرشدها ومؤسسها الإمام حسن البنَّا.

وقد كتبها أولا لنفسه لا للنشر، ثمَّ أصر عليه من قرأها من إخوانه أن ينشرها لتعميم النفع بها. وأنا أضم صوتي إلى صوت هؤلاء الَّذين أعتقد أنَّهم لم يجاملوا حسانًا بطلبهم لنشرها.

ضرورة نشر هذه المذكرات:

والذي يؤكد ضرورة نشر هذه المذكرات جملة أمور:

أوَّلًا: أنَّ الإخوان للأسف لم يكتبوا تاريخهم كتابة علميَّة مستوعبة موثقة، فلم يبق إلَّا مثل هذه المذكرات تعطينا صورة مقربة لذلك التاريخ.

ثانيًا: أن هذه المذكرات «شهادة صدق» من شاهد غير مغموز في شهادته، ولا في حسن معرفته، وهو لا يشهد إلَّا بما علم، بل بما لمس وأحس وعايش. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وتتأكد هذه الشهادة خصوصًا إذا ظلمت الجماعة ومؤسسها ظلمًا مبينًا، وشوهت صورتها عمدًا.

ثالثًا: أن هذه الشهادة ليست مهمة ومفيدة لخصوم الإخوان وحدهم؛ حتَّى يصححوا فكرتهم عنها، وينصفوها إذا حكموا لها أو عليها فقط، بل هي مهمة أيضًا للإخوان أنفسهم، فإن بعض هؤلاء ـ كما لا حظ د. حسان بحق ـ يكادون يقدسون الإمام الشهيد، ولكن أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم ونفسياتهم، ومنهج تفكيرهم، على النقيض ممَّا كان عليه الرجل.

QaradawiBooks.com

رابعًا: أنَّ هذه المواقف الحية، والصور الواقعيَّة، والسيرة الملموسة تحتاج إليها الأجيال المسلمة الجديدة، لتتعلم منها، وتتأسى بها، وتتربى عليها، فالتعليم والتربية لا يكون بمجرد الكلام العذب، ولا بسرد النظريات التربويَّة، ولكن بهذه المواقف العمليَّة، الَّتي تؤثر في العقول والقلوب أكثر بكثير ممَّا تؤثر الخطب والمحاضرات.

خامسًا: أن هذه الصور والمواقف هي جزء من تاريخ مصر، وتاريخ العروبة، وتاريخ الإسلام، ومن حق هؤلاء الثلاثة علينا ألا نهيل التراب على شيء من تاريخ نعرفه، وبخاصَّة ما يكشف عن حقائق، وما يدحض أباطيل، وما يصحح مفاهيم، فالإخوان ليسوا مستوردين من خارج الوطن والأمة، بل هم جزء منهما، وتاريخهم تاريخ لهما بلا ريب.

على أن لهذه الشهادة ـ أو لهذه المذكرات ـ مزايا قلَّما تتوافر لغيرها.

مذكرات رجل قيم وأخلاق:

ومن عرف حسانا عرف أنَّه رجل تميز بشعور رقيق، وحس دقيق، وفهم عميق. ولأنَّه رجل أخلاقي من الطراز الأوَّل، يقدر القيم الأخلاقيَّة حق قدرها، ويعترف لأهلها بفضلهم، وينوه بشأنهم، لتتخذ الأجيال منهم خير أسوة.

انظر حديثه عن أبيه وأمه رحمهما الله، في مطلع كتابه المؤثر «بهذا ألقى الله»، وهو يقول عن أمه: أنَّها كانت أمة. وهو يذكرها أكثر ممَّا يذكر أباه، وهذا يشير إلى أنَّه لا يحمل عقدة ضد جنس المرأة، كما وضح ذلك في حديثه عن زوجه د. سلوناس، الَّتي يقول: إنَّ قصته معها وقصتها معه، جديرة أن تنشر في كتاب، وقد حاول ذلك، ولكنَّ زوجته هي الَّتي تأبى.

QaradawiBooks.com

وانظر حديثه ـ في مذكراته عن السنوات العشر الَّتي سماها «العقد الفريد» ـ عن أستاذه الدكتور سليم صبري، الَّذي اعتبره أستاذه في الطب، كما كان الأستاذ البنَّا أستاذه في الدعوة.

وانظر حديثه عن الأستاذ مُحمَّد فريد عبد الخالق، الَّذي قال عنه: إنَّه كان مخلصًا، وكان مثقفًا، وكان مفكرًا، وهو ثالوث نفيس ومفيد.

وحديثه عن الأستاذ صالح أبو رقيق، وموقفه يوم «العلقة السخنة» في معتقل الهايكتسب، فقد وقف أمام العسكر ومد ذراعيه يتلقى الضربات عمن وراءه من الإخوان، وخصوصًا من صغار الطلبة، (مثل محيي الدين عطية).

وحديثه عن الشيخ عبد المُعِزّ عبد السَّتّار، وهو يقول للجنود، وهم يضربونه بعصيهم الغليظة: اضربوا يا كلاب، اضربوا يا أنذال.

وحديثه عن الشيخ فرغلي، ومصطفى مؤمن، وسعيد رمضان، وحسن دوح، وغيرهم وغيرهم.

أمَّا حديثه عن الأستاذ البنَّا فهو حديث المعجب المحب، حديث التلميذ عن أستاذه، والمريد عن شيخه، والجندي عن قائده، والابن عن أبيه، دون غلو ولا تقديس.

مواقف مُعَلِّمة:

وهو يلتقط المواقف الهادية المعلمة بحاسته المرهفة، ويختزنها في ذاكرته طوال تلك العقود، ليخرجها للناس حتَّى يلتمسوا فيها العظة، ويأخذوا منها العبرة، سواء كانت مواقف تنبئ عن عقل كبير، أو عن قلب كبير.

QaradawiBooks.com

فمن المواقف الَّتـي تدل على كبر عقل الرجل: حسـن تخلصه من المآزق والمواقف الحرجة بلباقة منقطعة النظير، بكلمات بليغة معبرة.

كما سئل عن السـينما: أحلال هي أم حرام؟ فقال: السينما الحلال حلال، والسينما الحرام حرام.

وحين اعترض العالم التقي الورع الشـيخ مُحمَّـد الحامد الحموي على استخدام الأستاذ البنَّا لكلمة «الكأس» في مجال الكرة، حيث حصل فريق من الإخوان على «الكأس»، فقال الشـيخ الحامد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ الكأس تسـتعمل في الخمـر، فلا ينبغي أن تتخذ لـدى الإخوان. فقـال البنا: لا تغضب، يا شيخ محمد، لقد حصل الإخوان على «القدح»!

ويذكر هنا موقفه حين اعتقل في سجن الخليفة يومين في الشتاء، وجاء وقت صلاة العشاء، فقام الأسـتاذ البنَّا ومن معه للصلاة، وكان معهم مهندس شـيوعي، فقال له: سامحني يا أسـتاذ، البرودة قارصة ولا يمكنني أن أتوضأ. ثمَّ أضاف ساخرًا: إلَّا إذا سمحت لي أن أُصَلِّي معك بغير وضوء! وكانت المفاجأة أن قال له الأستاذ: نعم أسمح لك، ما دمت أنت اقترحته. واقترح عليه أن يتيمم! وكانت هذه «الشبكة»، وخلال اليومين تحوَّل المهندس الشـيوعي إلى رجلٍ مسلم، وأصبح بعد ذلك من الصالحين.

ومن المواقف الَّتي تدل على كبر قلب الرجل، وسمو خلقه، وطهارة نفسه: أنَّه كان يتقبل النقد بصدر رحب، فحين تأخر عن حفل شاي لعشر دقائق، وكان حسـان عريف الحفل، فقام وقال: أعتـذر إليكم عن تأخر المرشد العام، وكان أولى به وهو المرشد أن يكون أحرص على الموعد، ولكن لعلَّ له عذرًا، فنستغفر الله لنا وله.

QaradawiBooks.com

وفي إحدى الكتائب الَّتي يقيمها الإخوان لإحياء الليل بالصلاة والذكر والتلاوة والدرس، ويتعودون فيها الخشونة والنظام، وكان المقرر للعشاء فيها «سندوتشات» الفول المدمس، ولكن أحد الإخوة قدر أنَّ المرشد سيأتي متعبًا من محاضرة كان يلقيها فاشترى له سندوتشين كبدة من العتبة. وحينما مد المرشد يده، وثب إليه حسان وقال له: ما الَّذي تأكله يا فضيلة المرشد؟ قال: ما رأيته موضوعا أمامي! قال: إنَّ المقرر هو ساندوتش الفول. أمَّا هذا فيوزع على الجميع بالتساوي!

ومن المواقف المؤثرة الَّتي حكاها حسان في إحدى الكتائب الَّتي أقامها قسم الطلاب، والَّتي كان يشهدها ويشارك فيها الأستاذ بنفسه: أنَّه استأذنهم لمدة ساعة، ثمَّ عاد ليكمل برنامج ما قبل الفجر إلى نهاية الكتيبة. وبعد انصرافهم قال حسان لبعض رفقائه: كأنِّي لحظت على وجه الأستاذ مسحة من حزن! فأنكروا ذلك.

وفي الساعة العاشرة اتصل الإخوان بهم ليدعوهم إلى جنازة ابن الإمام الشهيد حسام، فقد استأذن الإمام تلك الساعة ليودعه ويغطيه ويعود لاستكمال ما بدأه.

وهذا ما لا يقدر عليه إلَّا الصديقون. نرجو الله أن يكون منهم.

رجل الاعتزاز والتسامح:

وهو كذلك رجل مسلم شديد الاعتزاز بدينه، مستمسك بعروته الوثقى، ملتزم بمثله العليا، يؤمن به، ويدعو إليه، عقيدة وشريعة، ودينًا ودنيا، ودعوة ودولة، وحقًّا وقوة، ويقف عند حدوده، وينزل على أحكامه، ولا يجد في نفسه حرجًا منها، بل يسلم تسليمًا.

QaradawiBooks.com

وهو يؤمن بأنَّ هذا الدين هو سفينة الإنقاذ للبشريَّة، وفيه خلاصها ممَّا تعانيه من الفلسفات المادِّيَّة والإباحيَّة، ومن أخطار الأيدلوجيَّات والأنظمة الوضعيَّة الَّتي أشقت البشر، ومن طغيان الأقوياء على الضعفاء الَّذي يهدد العالم. ومع هذا لا يدفعه هذا الاعتزاز والالتزام إلى التعصب ضد الآخرين، أو التنكر لحقوقهم، أو الإزراء عليهم، بل نجد موقفه مع الأقباط ـ نصارى مصر ـ في غاية العدل والإنصاف، منطلقًا من القرآن الكريم الَّذي أمر ببرهم والإقساط إليهم: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، ومن السُّنَّة النبويَّة الَّتي أوصت بأقباط مصر خاصَّة، في عدد من الأحاديث.

حتى إنَّ بعض إخوانه أطلقوا عليه من باب المزاح «الأب» حسان! وقد كتب في مجلَّة الإخوان الأسبوعية مقالًا بعنوان «أخي جرجس»، ورد عليه القمص سرجيوس الكاتب القبطي الشهير في مجلَّة الأقباط، يبادله تحية بتحية، وودًّا بود، وهو في هذا ينطلق من حيث انطلق شيخه ومرشده الإمام البنَّا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما وضح ذلك بما كتبه حسان في مذكراته، في فصل «نحن والأقباط».

وأكثر من ذلك: موقفه من اليهود، ودفاعه عن أسراهم في مواجهة بعض المتشددين، الَّذين أرادوا أن ينتقموا من مجرمي الحرب في إسرائيل، وصناع المجازر الَّتي سارت بذكرها الركبان ـ دير ياسين وغيرها ـ في أشخاص هؤلاء الأسرى. ولكن حسانا وقف ضد هؤلاء الإخوة، وأبى عليهم أن ينفذوا ما دار في رأس بعضهم قائلًا: على جثتي! ولقد كان لهذا الموقف أثره في معاملتهم للدكتور حسان، وتسهيل أموره، وإطلاق طبيب زميل له من الأسرى لأجله، إلخ.

QaradawiBooks.com

رجل طابعه الاعتدال:

ومن الدلائل على أن حسانا رجل معتدل حقًّا، وليس من أهل الغلو ولا التقصير، أنَّه يجتهد أن يعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، لا يغمط أحدًا ما قدمه من فضل، ولا يضفي على أحد هالة لا يستحقها. لا يبالغ في المدح إذا احتاج إليه، ولا يذم أحدًا إلَّا إذا ألجأته الضرورة، وفرضت عليه الحقائق المرَّة ذلك، وقد يذكر الشخص بالوصف لا بالاسم، أو بحروف اسمه الأولى عند اللزوم أو نحو ذلك.

وقد ينتقد نفسه في بعض الأحيان، كما فعل حين كان طبيبًا في قرية بهوت، ودعاه البدراوي باشا إلى العشاء مع مهندس الري والمفتش الزراعي، ولكنَّه اعتذر، وبقي في محبسه. قال: لكنني كنت حساسًا أكثر من اللازم في موضع حفظ الكرامة، ويخيل لي بالنظرة الخلفية: أنَّه لم يكن علي غبار أن أذهب وأتعرف بالناس.

وقد تعرض في كثير من المواقف في مذكراته لإعطاء الرأي في كثير من المواقف والشخصيَّات والأحزاب. فقد تحدث عن «الملك» الَّذي كان أحب النَّاس إلى شعبه، فأمسى ـ بسوء سلوكه ـ أبغضهم إليه.

وتحدث عن حزب الأغلبيَّة (الوفد)، وموقفه من الإنجليز والسراي والدستور، وعن أحزاب الأقلِّيَّة، الَّتي تحكم مصر بالانتخابات المزوَّرة، كلَّما أراد الملك أن يتخلَّص من الوفد، لكثرة الفساد والمحسوبيَّة.

وتحدث عن قضيَّة فلسطين، وعن دخول الجيوش العربيَّة السبعة فيها، وقال: يا ليتها لم تفعل. وتحدث عن الأسلحة الفاسدة، وتحدث عن بطولة المتطوعين من الإخوان.

QaradawiBooks.com

وتحدث عن الإخوان، وعن نظام «الكتائب» التربوي الفريد، وقال: وما زلت أعتقد اعتقادًا راسخًا بأنَّ الحركة الإسلاميَّة لن تحرز النجاح إلَّا إن بدأت من هذه البداية: تكوين اللبنات الصالحة، أمَّا البداية من النشاط السياسي، أو العسكري، أو المذهبي، فهو بداية المرحلة من منتصف الطريق، وشروع في البناء من غير حفر أساس.

وفي فصل «السؤال الأخير» الَّذي ختم به هذه المذكرات، تحدث عن رأيه في «النظام الخاص»، وفي الديمقراطية، وفي الحضارة الغربيَّة، وحديثه هنا ـ وإن كان خارج نطاق الذكريات ـ حديث المهموم بشؤون أمته، وهموم دعوته، وأنا معه فيما ذهب إليه من جملة الأفكار، وقد سجلت ذلك في أكثر من كتاب لي: «فتاوى معاصرة»، «أولويات الحركة الإسلاميَّة»، «من فقه الدولة في الإسلام»، وفي مذكرات «ابن القرية والكُتَّاب»، وغيرها.

(وبعد)، فهذه المذكرات نابضة بالحياة، حافلة بالذكريات، صادقة في التعبير، نافعة للأجيال، هي قطعة من نفس كاتبها، جديرة بأن تقرأ، وأن تلتمس منها العبرة، ومن خالف كاتبها في رأي فلا يعني هذا أن يهملها كلها. فلم يدع صاحبها أنَّه معصوم من الخطأ، وكل يؤخذ من كلامه ويرد عليه، إلَّا المعصوم ﷺ.

جزى الله حسانا خيرًا عما قدم لدعوته وأمته، وأثابه عما خطه قلمه في مذكراته، ونفع الله بها كل من قرأها. آمين.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

مقدمة «هؤلاء يحبهم الله»

للدكتور عارف الشيخ[1]

أحمد الله ربنا الأكرم، الَّذي علَّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، معلم النَّاس الخير، وقائد الخلق إلى الحق، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه، إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فقد عرفت الأخ الدكتور عارف الشيخ شاعرًا وكاتبًا، وهو في شعره ونثره يصدر عن نبع فياض، غير متكلف ولا متصنع.

وشأنه ـ إذا شعر أو نثر ـ شأن حملة الرسالات، يوظف الكلمة في خدمة الرسالة الكبرى الَّتي يحيا لها ويموت عليها، ويجاهد في سبيلها، وهي رسالة الإسلام، الَّتي جعلها الله رحمة للعالمين، وأخرج بها البشريَّة من الظلمات إلى النور.

فإذا كان بعض الأدباء أو الشعراء قد وظفوا أدبهم وشعرهم ومواهبهم في نصرة الباطل، أو كسب الدُّنْيا، أو التطبيل في موكب النفاق، أو التسويق لدعاوى الفساد، فإن أخانا الدكتور عارفًا قد حماه الله تعالى من

(١) ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لوثات تلك الفتن، ومـــن أعراض تلك الأمراض، الَّتي شـــكا منها أحد الشعراء قديمًا فقال:

ذَهَبَ الَّـذِيـــنَ يُعَاشُ فِي أَكنَافِهِم الـمُنكِـــرُونَ لِـــكُلِّ أَمـــرٍ مُنكَرِ
وَبَقِيتُ فِي خَلَـــفٍ يُزَيِّنُ بَعضُهُم بَعضًا، لِيَدفَعَ مُعـورٌ عَن مُعورِ[1]!

وكُلَّما قرأت له مقالًا في صحيفة، أو كتابًـــا في قضيَّة، وجدته على هذا النهج القويم، الَّذي اختطه لنفسه، لا يحيد عنه، ولا يرضى به بدلًا، ولا يبغي عنه حولًا، لأنَّه نهج يبدأ بالدعوة إلى الله، وينتهي إلى مرضاة الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وهذه المجموعة الَّتي يســـعدني أن أقدمها اليوم للقراء: باقة زهر في حديقة ذات بهجة، تتضمن نماذج بشـــريَّة شـــامخة في الإيمان واليقين، وفي البذل والعطاء، وفي الحب والإيثـــار، وفي الصبر والمصابرة، وفي تقوى الله ومكارم الأخلاق.

نماذج رباها الإســـلام في أحضانه، وغذاها من ألبانه، وســـقاها من طاهر حياضه، فنمت وترعرعت على عشـــق الفضائل والمعالي، ورنت أعينها إلى القمم ترتقي إليها، لا إلـــى القيعان تهبط إليها، فكانوا نجومًا يقتدى بهم فيهتدى.

جل هؤلاء مـــن الصحابة الكرام، الَّذين اختارهـــم الله تبارك وتعالى لصحبة رسوله، ونصرة دعوته، فكانوا أعمق النَّاس علمًا، وأقلهم تكلفًا، وأفقههم في دين، وأزهدهم في دنيا، يكثرون عنـــد الفزع، ويقلون عند

(١) البيتان في ديوان أبي الأسود الدؤلي صـ ٣٩٧.

QaradawiBooks.com

الطمع، كما وصفهم الله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

ولقد أحسن الكاتب باختيار نماذجه من غير المعروفين، المشاهير من الصحابة رضي الله عنهم جميعًا، فلم يخترهم من الخلفاء الراشدين، ولا من العشرة المبشرين بالجنة، ولا من الفاتحين البارزين، مثل: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص. لكنَّه اختار نماذج لا يعرفها العامَّة، عرفت بمواقف بطولية وأخلاقيَّة مميزة، فأراد أن يبرزها بقلمه للناس في صورة أدبيَّة مشرقة، ليتعرف عليها القراء، ويتخذوا منها المثل والأسوة، بدل أن يبحث النَّاس عن مثل لهم من خارج تراثنا وحضارتنا، ممَّن لا يبلغون مبلغ هؤلاء الغر الميامين، ولا يدانونهم، ولا يقارنون بهم، فأين الثريا وأين الثرى؟

ولله دَرُّ الشاعر الَّذي قال:

إِذَا أَنتَ فَضَّلتَ امرَأً ذَا مَكَارِمٍ عَلَى نَاقِصٍ كَانَ المَدِيحُ مُنَقَّصَا
أَلَم تَرَ أَنَّ السَّيفَ يُزرَى بِقَدرِهِ إِذَا قِيلَ: هَذَا السَّيفُ أَمضَى مِنَ العَصَا[1]!

وممَّا يحمد لكاتبنا الفاضل في عرضه لسير أبطاله: ما يذكره من فوائد لغوية نافعة، قصد بها أن يصل القراء بلغتهم العربيَّة، وبمعاجمهم الَّتي أغفلوها، لهذا يبحث في كل اسم يعرضه عن معناه وأصله اللغوي،

(١) من غير نسبة في الدر الفريد لابن أيدمر المستعصمي (٣٥٨/٢، ٣٥٩)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م، ونسب البيت الثاني للكميت بن زيد (١٥٧/٤)، مع تغيير في البيت الأول.

QaradawiBooks.com

كما فعل في حديثه عن عياش بن أبي ربيعة، وأبـــي خَيْثمة، وجُلَيْبِيب، وجَرِير البَجَلي، ومِرْثَد الغَنَوي، وعُكَّاشة بن مِحْصَن وغيرهم. وهي لفتة تربويَّة لها دلالتها من رجل يعمل في حقل التربية.

وممَّا ينبغي أن ننوه به في اختيارات كاتبنا لنماذجه الســـامقة: أنَّه لم يقصرها علـــى الرجال وحدهم، بـــل جعل للمرأة نصيبًـــا في مجموعته المختارة، فتحدث عن نسيبة بنت كعب، وخولة بنت مالك، وأروى بنت عبد المُطَّلِب، وأم ســـلمة رضي الله عنهن. وهذا توجه حسن من الكاتب حفظه الله، وهو يدلُّ على مبلغ وعيه، وســـعة أفقه، وسداد رؤيته لموقع المرأة في الحياة الإسلاميَّة، وفي الدعوة الإسلاميَّة.

وربما يغفل كتاب آخرون عن مثل هذه الرؤية الرحبة، ناسين قول الله تعالـــى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

شكر الله لأخينا الحبيب الدكتور عارف الشيخ جهده، وجزاه عن دينه وأمته خير ما يجزي به أصحاب الأقلام المؤمنين الواعين الصادقين، إنَّه سميع مجيب.

الفقير إلى رحمة ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة في ١٠ محرم سنة ١٤٢٢هـ

الموافق ٤ أبريل سنة ٢٠٠١م

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة «زاد المسلم من الدين والحياة»
للعلَّامة مُحمَّد عبد الله دراز
جمع وإعداد الشيخ أحمد مصطفى فضلية[1]

بعد حمد الله تعالى، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ.

كنا نقرأ على الكتب القديمة: تأليف العالم العلَّامة، الحبر البحر الفهامة، العالم النوراني، والمعلم الرباني، ناصر الحق، ومرشد الخلق، وحيد دهره، وفريد عصره، فلان بن فلان.

وكنا نعتبر هذه الكلمات من باب المبالغة في المدح، والإسراف في حب المشايخ الكبار، ولكنِّي ـ في الواقع ـ عذرت هؤلاء الَّذين وصفوا مشايخهم بما وصفوهم به، حين وجدت أحد شيوخي أهلًا لأن يوصف بكل هذه الأوصاف، وأن تكال له هذه المدائح، ذلكم هو شيخنا الأستاذ الدكتور مُحمَّد عبد الله دراز، الَّذي كان في عصره ـ بحق ـ العالم العلَّامة، والحبر البحر الفهامة، إلى آخر تلك الأوصاف.

فهذه الأوصاف كلها تطابق حياته وواقعه العلمي والعملي تمام المطابقة، وإن كانت تنطبق على غيره بصورة جزئية.

كان الشيخ مُحمَّد عبد الله دراز من العلماء الموسوعيين، الَّذين جمعوا بين علوم الشريعة، وثقافة العصر، وأجاد الفرنسية إجادته لعلوم

(١) نشر دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العربيَّة، فهو ابن الأزهر، وابن السوربون. ولكن دراسته في السوربون لم تخرجه عن أزهريته العريقة، حتَّى إنَّه من القليلين الَّذين بقوا على زيهم الأزهري ـ الجبة والعمامة ـ بعد عودتهم من بعثتهم إلى الخارج.

كان أحد العلماء الراسخين في علوم العقيدة والفلسفة، وقد ترك لنا جملة آثار مهمة، تدلُّ على شخصيته الفلسفية، وهما: كتاب «الدين»، الَّذي ألقاه محاضرات على طلبة كلية الآداب، بوصفه بحوثا ممهدة لتاريخ الأديان.

ورسالته الَّتي نال بها درجة الدكتوراه من السوربون، والَّتي ترجمها أخونا الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين بعنوان «دستور الأخلاق في القرآن الكريم»، وهي أدل على شخصيَّة الشيخ الفكريَّة.

والأثر الثالث: رسالته الموجزة والمركزة، الَّتي سماها «كلمات في مبادئ علم الأخلاق»، والَّتي سعدنا بتدريسه لنا في تخصص التدريس.

وهناك بحوث ومقالات أخرى تؤكد هذا الاتِّجاه الكلامي والفلسفي في شخصيَّة الشيخ العلميَّة، حتَّى نجد ذلك بوضوح في شرحه لبعض الأحاديث النبويَّة.

وكان الشيخ أيضًا أحد العلماء الراسخين في التفسير وعلوم القرآن، وقد ترك لنا من دلائل ذلك: كتابه الرائع «النبأ العظيم»، وهو كتاب متفرد، ويحتوي نظرات جديدة ومتميزة في الإعجاز البياني أو الأدبي للقرآن، لم ينسجه على منوال أحد قبله في مضمونه وأسلوبه.

كما ترك كتابه «مدخل لدراسة القرآن الكريم»، وقد كتبه بالفرنسية، ثمَّ ترجم إلى العربيَّة.

QaradawiBooks.com

وترك الشيخ كذلك «تفسير الفاتحة»، و«مقدمة التلاوة» لعدد من سور القرآن الكريم، وكلها تدلُّ على عمق نظرات الشيخ إلى كتاب الله، وتذوقه لمعانيه، وغوصه في أسراره.

وكان الشيخ كذلك من الراسخين في علوم السنة، ولا سيَّما في فقه الحديث، وشرحه، كما تبين ذلك من كتابه القيم «المختار من كنوز السنة».

وقد قام بتخريج أحاديث «الموافقات»، الَّذي حققه والده تخريجًا موجزًا يدلُّ على مدى اهتمامه بالحديث.

وكان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلِّ ما يكتبه متميزًا في منهجيته، متميزًا في عمقه، متميزًا في أسلوبه.

وقد شرع في بعض البحوث، ولكن لم يمهله القدر حتَّى يكملها، مثل كتابه «الميزان بين السنة والبدعة»، أراد به أن يحدث كتاب «الاعتصام» للشاطبي، وأن يعرضه بلسان العصر، وكما أن مؤلف الأصل ـ وهو «الاعتصام» ـ لم يكمله، فكذلك مؤلف «الميزان».

وكان الشيخ عضوًا في جماعة كبار العلماء، كما كان موضع ثقة مشيخة الأزهر في عهوده المختلفة، وكان يكلف بتمثيل الأزهر في المؤتمرات العالميَّة.

مثل الأزهر في «مؤتمر الحقوق الدولية» المنعقد في باريس سنة ١٩٥١م، وفيه كتب بحثه عن «الربا».

وكذلك مثل الأزهر في «مؤتمر العلاقات الدولية»، وكتب رسالته «الإسلام والعلاقات الدولية».

QaradawiBooks.com

وآخر ما مثل فيه الأزهر «مؤتمر الأديان»، الَّذي أقيم بمدينة لاهور باكستان، وفيه وافاه أجل الله، الَّذي إذا جاء لا يؤخر.

كان شيخنا دراز من العلماء الربانيين، الموصولين بالله تبارك وتعالى، وإن لم يعرف عنه الانتساب إلى التصوف مثل الشيخ عبد الحليم محمود. وما ذهبنا إليه في بيته إلَّا وجدناه يتلو القرآن استظهارًا، لقوة حفظه له، يتعبد بتلاوته، فقد كان وقته معمورًا بذكر الله، أو بفعل الخير، أو بخدمة العلم.

وما حدثناه وجلسنا إليه إلَّا وجدناه مشغولًا بأمر الإسلام وهموم المسلمين.

وقد عرض عليه رجال الثورة بواسطة مندوبين منهم: منصب مشيخة الأزهر، وحسبوا أنَّ الرجل سيسارع بالقبول والتلبية، ولكنَّهم فوجئوا به يشترط شروطًا لقبول المنصب، ومنها: أن تطلق يده في إصلاح الأزهر. فخرجوا من عنده ولم يعودوا إليه. إنَّهم لا يريدون من يشترط عليهم شرطًا، بل من يقبل بلا قيد ولا شرط، ويقدم إليهم الحمد والشكر.

ولم يكن هذا شأن الشيخ، الَّذي يرى في المنصب تكليفًا لا تشريفًا، وفرصة للإصلاح والبناء، لا للظهور والأضواء.

عرفت الشيخ وأنا طالب بكلية أصول الدين، وزرناه ـ أنا وبعض إخواني ـ طالبين معونته لكتيبة الأزهر الَّتي نعدها لتذهب إلى القناة؛ لمقاومة الاحتلال البريطاني، فشجعنا وشد أزرنا، ولم يبخل علينا بمادة ولا نصيحة.

وفي تخصص التدريس، كان يدرس لنا علم الأخلاق، فكان آية في شرحه، وآية في عمقه، وآية في أسلوبه، وحسن بيانه، وكنا ننتظر

QaradawiBooks.com

محاضرته في لهف وشوق، كشوق الظمآن إلى الماء العذب البارد؛ لا لنتعلم منه العلم فقط، ولكن لنتعلم أيضًا طريقة التعليم.

وبعد خروجنا من السجن الحربي سنة ١٩٥٦م، زرته أنا والأخَوَان: أحمد العسال، وأحمد حمد، أكثر من مرَّة في بيته في شارع أبو بكر الصديق في مصر الجديدة، والحق أنَّه هش لنا، ورحَّب بنا، وفتح لنا صدره، كما فتح لنا بيته.

وكنا نرى أنَّ وجود مثل هذا الشيخ العلَّامة، الَّذي يتميز بالموسوعيَّة وبالمنهجية، وبالتحقيق والتعميق والتدقيق، وبحسن تناول المسائل الصعبة والعويصة بطريقة تجعلها سهلة سلسة، وباستخدام البيان الأدبي في أسلوبه الَّذي يجمع بين إقناع العقول، وإمتاع العواطف، ويضم إلى رصانة الأصالة رونق المعاصرة. كنا نرى أنَّ وجوده نعمة من الله للأمة، وفرصة يجب أن يستفيد منها طلاب العلم، وعشاق الفكر الأصيل المجدد، فطلبنا إليه ـ نحن الثلاثة ـ أن يتيح لنا فرصة زيارته دوريًّا: كل أسبوع، أو كل أسبوعين، لنتتلمذ عليه، ونتلقى عنه العلم والعمل، ونقتبس منهجه، ونشرب روحه.

ولقي هذا الاقتراح منه رضًا وترحيبًا، وكان يعد العدة للسفر إلى لاهور لحضور مؤتمر الأديان، الَّذي سيذهب إليه ممثلًا للأزهر، فوعدنا أن نرجئ ترتيب هذا اللقاء وتحديد مواعيده ومنهجه وموضوعاته إلى ما بعد عودته من المؤتمر، وشاء الله تعالى ألا يعود الشيخ من المؤتمر، وأن يوافيه الأجل المحتوم هناك، وأن يعود الشيخ جثمانًا محمولًا، ليصلى عليه في الجامع الأزهر، ويدفن في مصر.

لم يقدر لنا أن نستفيد من علم الشيخ كما فكرنا، وهذا حظنا: أن نستقبل الشيخ لنصلي عليه مع ألوف المصلين من أبناء الأزهر، ونبكيه

QaradawiBooks.com

مع الباكين من أبناء الأمة، وندعو أن يتقبله الله في الأئمَّة الصادقين، وأن يعوض الأُمَّة منه خيرًا.

هذا، وقد قام ابننا الشاب الأزهري النابه أحمد مصطفى فضلية (وهو من قرية الشـــيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: محلة دياي مركز دســـوق) بالعكوف على تراث الشيخ، وجمع ما تفرق منه، وتحقيقه والتعليق عليه بما يراه لازمًا لإفادة القارئ، ونشره على النَّاس نشرًا علميًّا منظمًا مفهرسًا.

وقد فعل ذلك في عدة كتب نافعة لشيخنا العلَّامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مثل «الميزان بين السنة والبدعة»، و«مقدمة التلاوة»، وغيرهما.

ومنها: الكتاب الَّذي نقدمه اليوم للقراء، وهو «زاد المسلم من الدين والحياة»، وهو جملة من المقـــالات المضيئة في موضوعات حية، بقلم عالم مفكر، لا يفيض قلمه إلَّا بما ينير العقول، ويحيي الضمائر، ويزكي السرائر، ويحرك العزائم.

فجـــزى الله أخانا الشـــيخ فضلية عن شـــيخه وشـــيخنا، وعن العلم والإسلام خيرًا.

وجزى الله «دار القلم» كذلك خيرًا، لعنايتها البالغة بنشر تراث الشيخ، وكل ما خطه قلمه من علم، فهو ممَّا ينفع النَّاس ويمكث في الأرض.

يوسف القرضاوي

الدوحة ـ قطر

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «علمني أبي: مع آدم من الطين إلى الطين»

للدكتور سلمان العودة[1]

سلمان العودة؟ من هو؟ وما هو؟

أهو نجدي قصيمي من أعماق نجد، صعيد المملكة العربيَّة الجوَّاني، عنيزة أو بريدة، أم هو من دمشق أو بغداد أو القاهرة؟

أهو شيخ مُعَمَّم من هواة الكتب الصفراء، وما لها من شروح، وما على الشروح من حواشٍ، وما على الحواشي من تقارير، يعيش بين دهاليزها، ويموت في أحشائها؟ أم هو أفندي له طربوش أو حاسر الرأس؟ وبماذا يناديه الناس: يا فضيلة الشيخ أم يا سيادة الدكتور؟

وماذا يحمل رأس هذ الشيخ الَّذي ظهر لنا في هذا العصر، وملأ العالم بكتب يؤلفها، ومقالات يسطرها، وقصص يدونها، وشعر يتغنى به أو يستخدمه للإلهاب والإثارة، أو أحاديث للإذاعة والتلفاز، أو خطب ينثرها من فوق المنبر؛ فتطير في النَّاس مبشرة ومنذرة، أو محاضرات يعدها في موضوعات هامة، يقرؤها على الخاصَّة والمهتمين لها؟

أفي رأسه عقل عالم شرعي حفظ القرآن وجوده وصلى به في الناس، وكثيرا ما فسره لهم، ووصلهم به، أوصله بنوره الَّذي يهدي، ومائه الَّذي

(١) نشر الإسلام اليوم.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

يحيي، وقوته الَّتي تحرك، وحفظ السُّنَّة النبويَّة المبينة للقرآن، والمطبقة له، فهي تفسيره العلمي، وتطبيقه العملي.

أم هو فقيه انتقل من القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة إلى أرض النَّاس من حوله من آمنوا بالكتاب المنزل، وبالنبي المرسل، يسألونه فيجيب، ويتعلمون منه فيعلم، عنده لكل مشكلة حل من الفقه الواسع، ولكل مسألة إجابة من البحر الزخار. له مذهب درسه وفهمه وهضمه، هو المذهب الحنبلي، أقرب المذاهب إلى النصوص، فهو يختار منه، وقد يتسع الترجيح، وقد يرجع إلى مراجعه، حين يسأله إخوانه وطلابه وسائلوه، وقد يخرج من المذهب إلى الساحة الإسلاميَّة العامَّة، فيجد فيها ما قد لا يجده في المذهب. ويتسع لكل ذي بصر واجتهاد.

أم هو داعية لا يكتفي بدروس الفقه، ولكنَّه مبشر ومنذر كما كان الرسول الكريم والرسل من قبله، فهو يدعو ويخطب ويحاضر ويكتب، ويذيع وينشر، يدعو الفرد إذا لقيه، ويدعو الأسرة إذا زارها، ويدعو طلاب المدرسة أو طلاب الجامعة أو أبناء المدينة أو أبناء القطر، أو أبناء الرسالة حيثما كانوا.

أم هو أديب من أدباء العربيَّة، الَّذين لا يقتلونها باللغة الميتة أو الثقيلة، أو الخشنة، الَّتي لا تحبها الآذان، ولا تهواها القلوب، ولا تحتاج إليها الحكمة، ولا تطلبها المعرفة. إنَّه الأديب الحقيقي الَّذي درس الشعر والنثر والأدب العربي في تواريخه وأطواره، واكتسب أصل ما عند العرب من بيان ومعان، وعبر عنها بأفضل ما عنده، وأعذب ما لديه، وأروق ما يملكه، ممَّا يشفي الصدور، ويثلج القلوب، ويروي الأرواح، وينير الضمائر، ويشد العزائم، ويحيي الهمم، ويخاطب الرجال والنساء، ويحرك الشباب والشيوخ.

QaradawiBooks.com

أم هو عالم أو محاور من رجال الشاشات، الَّتي أطلت على الناس، فدخلت عليهم بيوتهم، وخالطتهم في مجالسهم، وأجابت عن أسئلتهم، وشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم، وملأت حياتهم جدًّا وهزلًا، وحقائق وخيالات، واستخدمت أساليب لم يكن يعرفها النَّاس من قبل، فمثلوا وصوروا، وأحيوا التاريخ، وصنعوا تاريخًا جديدًا، أو تواريخ جددًا. وهو في هذه الشاشات علم شامخ، وتاجر رابح، ونجم هاد، وسراج وهاج. وله في هذه الشاشات أكثر من موقع، يطل عليك فيها داعية، أو فقيهًا، أو مفسرًا، أو أديبًا، أو شاعرًا، أو مؤلفًا. أو ما شئت ممَّا تعلم وما لا تعلم!

أم هو عالم من علماء الكونيات أو الإنسانيات أو الاجتماعيات، الَّذين يفسرون ظواهر الكون والحياة والإنسان، ويشرحون غوامضها للناس، ويكشفون ما لا بدَّ من سرائرها للعقول المتطلعة إلى الحكمة، المتعطشة إلى المعرفة، الموصولة بأسرار الكون ومعايش الناس، فلا يستعصى عليه شيء منها، ولا يند عن فكره أشياء يصعب فهمها، فقد سهل الله له كل صعب، ويسر عليه كل عسير.

أم هو يا ترى فيلسوف متأمل في الكون وأعماقه، والإنسان وباطنه، والوجود وما فيه، والعلم وما وراءه، والدنيا وما بعدها، انفتح عقله ولم يغلق، وانفتح قلبه غير غافل، وانفتح ضميره ليستقبل درر مسك، وعرف أن لكل داء دواء، ولكلِّ مشكلة حلًّا، ولكل قفل مفتاحًا، فالخطأ كل الخطأ أن يضرب الأشياء بعضها ببعض، ويضرب الحقائق بعضها ببعض، ويضرب القواعد بعضها ببعض، والأولى أن يوفق بينها لتعمل معًا، وتسير معًا، وتتعاون معًا، وهذا هو ما عليه الوجود كله إذا تأملنا بعين العدل، وقدرنا لكل ذي حقٍّ حقَّه، وتمسكنا بكل شيء في

QaradawiBooks.com

حدوده من دون أن يتجاوز ما ليس أهلًا له، وبهذا نسير مع الحق ولا نعاديه، وينادينا ونناديه.

هذا هو سلمان العودة، الَّذي أعتبره أحيانا أخي، وأحيانا ابني، بحكم السن، هو في الحقيقة أخ عزيز، وابن حبيب، وصديق كريم، ولا مانع أن تجتمع هذه كلها في شخص واحد، كل منها باعتبار.

وكل الأشياء والتشقيقات الَّتي ذكرتها عن سلمان وشخصيته، لا أرى مانعًا أن يتصف بها كلها، فهو يأخذ بكل منها بقسط مناسب.

فهو ابن العروبة المتحضرة الَّذي لا ينسى أصالته النجدية القصيمية البردية.

هو ابن الجامع والجامعة، فهو العالم القرآني السني المستكمل لمعارف القرآن والحديث، الفقيه في أحكامها، المتمذهب بالمذهب الحنبلي، والَّذي لا مانع لديه أن يخرج عنه إذا ضاق به، ليسعى في آفاق الشريعة ومذاهبها المعروفة، وخارج مذاهبها.

وهو مع تفقهه المعتدل، داعية موهوب، يحدث العقول والقلوب، ويخاطب كل الفئات بلسانها ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وهو أديب لا يتكلف الأدب، ولا يقحم نفسه فيه وهو لا يحسنه، بل هو بطل من أبطاله نثرًا وشعرًا، كما يشهد بذلك كل ذي نظرة أدبيَّة.

وهو عالم إنساني واجتماعي بحكم اتساع ثقافته، ودوام قراءته، وتواصله مع العالم، فأصبح مشاركًا في الثقافة العامَّة، عربية وغير عربية، لا يسعه أن يتخلف عنها.

QaradawiBooks.com

وهو في النهاية من أولي الألباب، وذوي العقل والحكمة، له فلسفته الإسلاميَّة الَّتي يفسر بها كل ما حوله وما فوقه، وما تحته، وما قبله وما بعده. ألهمه الإسلام هذه الفلسفة المعبرة عن الكون وخالقه والحياة وما بعدها، والإنسان ورسالته الَّتي كلَّفه الله بها.

ما طلب مِنِّي الشيخ سلمان:

كنتُ أكتب قبل هذه المقالة في تقديم كتاب من كتب السُّنَّة يشرحه شاب دخل إليه المشيب من علماء الندوة بالهند، واسمه أيضًا سلمان، وهو حُسَيْني النسب، من أقارب أبي الحسن، ومن الشراح النادرين للسنة، شرحًا عصريًّا علميًّا أدبيًّا، يشرح مِشكاة المصابيح، ولم أكد أنتهي منه، حتَّى جاءني سلمان آخر، اللهمَّ زد وبارك في كل هؤلاء «السلامين» الصالحين المُصْلحين.

وقد طلب الشيخ سلمان مِنِّي بأدبٍ بالغ أن أكتب له سطرًا أو بعض سطر، إذا لم يزعجني ذلك، وأضعه في مقدمة كتابه.

يا لله! متى كان بين المشايخ بعضهم وبعض مثل هذا التخوف أو هذا التوتر؟ ومتى كان بين الشيوخ وتلاميذهم ـ أو من يعتبرون في مثل تلاميذهم ـ مثل هذا الشعور؟

إنِّي لأعتبر هذا عيبًا في ذاتي أنا، وليس في إخواني. لا بدَّ أنِّي أشعرهم بما بيني وبينهم من فرق السنين الَّتي بيننا، ولا بدَّ أن تراعى هذه الفروق!

وأنا والله لا أحس بهذه الفروق أو الفوارق بيني وبين إخواني، فكلنا طلاب علم، وكلنا من أبناء الكتاتيب، وكلنا من أبناء القرآن، وكلنا من تلاميذ الرسول ﷺ، وتلاميذ أصحابه رضي الله عنهم.

QaradawiBooks.com

يا أخي سلمان، ارفع هذه الحواجز الوهمية، واهجم عليَّ متى شئت، فليس بيني وبينك حجاب، واطلب مني ما شـــئت، وخذ مني ما شئت، ما دمت قادرًا عليه، ولا حرج علي فيه.

يا إخواني، أنا والله واحد منكم، غير أنِّي أحوجكم إلى عفو الله تعالى ومغفرته، لكثرة سيئاتي، وقلَّة حسناتي، وتوالي نقائصي، وما أريد إلَّا أن تشفعوا لي عند ربي، وأنتم أهل للشفاعة.

ماذا أكتب عن كتب الشيخ ســـلمان؟ وقد ملأت كتبه المكتبات في بلاد العرب والإســـلام، وملأت أحاديثه الإذاعية والتلفازية والإلكترونيَّة المكتبات الإلكترونيَّة في القنوات والأســـواق، والمدارس والجامعات، والبيوت وممتلكات الأفراد في بلاد العرب وأنحاء العالم.

كتب الشيخ ســـلمان بما لها من حلاوة، وما عليها من طلاوة، وما فيها من عذوبة، وما تمتاز بـــه من تنوع، يخاطب كل فئة من الرجال والنســـاء، ومن الشيوخ والشباب، ومن رجال المدن والقرى، ومن أهل الحضر البدو، ومن الأســـاتذة الكبار، ومن الأميين الَّذين لا يستطيعون القراءة، كل هؤلاء يتتلمذون على الشيخ سلمان وإخوانه، من الأفذاذ المعروفين، الَّذين يقولون الحق، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

ولا أســـتطيع الآن في زحمة أعمالي، وما ينوء بـــه ظهري، أن أتتبع بعض كتبك الَّتي كثرت وانتشرت، كما ينتشر النور، وأنت يا أخي وراءها تنشرها بكل سبيل، وتفتح لها كل باب، والله يؤيدك بروح منه.

كتاب الشيخ سلمان، الَّذي أرســـله إليَّ أخيرًا «علَّمني أبي.. مع آدم من الطين إلى الطين» كتاب فريد في بابه، وفي موضوعه. كتبه في صورة مقالات، والشـــيخ ســـلمان من كتاب المقالات المعدودين، كالعقاد في

QaradawiBooks.com

مقالاته السياسيَّة، والغزالي في مقالاته الإسلاميَّة، كتب سلمان هذه المقالات في عدد من السنوات، وفي عدد من البلدان في آسيا وأفريقيا وأوربا، في بريدة من نجد، وفي إستانبول من أوربا.

لم أعرف ما يقصد الشيخ سلمان بقوله: «من الطين إلى الطين» أي الطين الَّذي ينقل ويورث إلى الطين الَّذي يأخذ ويرث، أو من الطين الَّذي يحمل العلم إلى الطين الَّذي يتلقاه منه؛ كل ما يقوله هنا وارد.

وهل الإنسان هو الطين وحده أم الَّذي حلت فيه نفخة الروح من الله، فانقلب من الطين اللازب أو الحمأ أو الصلصال الَّذي هو كالفخار إلى ذلك الَّذي قال الله فيه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩، صَ: ٧٢] قبلها كان مجرد تمثال، حتَّى تمَّت نفخة الله فيه، أصبح شيئًا آخر، استحق أن تسجد له الملائكة كلهم أجمعون إلَّا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين.

قرأت بعض هذه المقالات، واستمتعت بها، كما أستمتع بكل ما يكتبه سلمان. وربَّما لا يؤخذ هذا دليلًا على جودة سلمان فيما يكتب؛ لأنَّ شهادة المحب لمن يحبه، قد يعتريها الكلام، ولكنِّي أشهد الله تعالى أنِّي قبل أن أحب الشيخ سلمان أحببت إنتاجه وأدبه، وشعره ونثره، وفهمه للقرآن والحديث، وتعبيره عنهما، فهذه شهادة المحب العارف بمن يحب، الَّذي يعجبه الجمال البارع، والحسن الفائق، الَّذي لا يسع كل من يراه إلَّا أن يقول: سبحان من خلق فصور.

أرجو أن تقرؤوا هذه المقالات، كما أصدرها صاحبها، وتعتبروا بها، وتتفهموها معه، وتأخذوا منها عبرة، وتأخذوا منها زادا، ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

QaradawiBooks.com

أمَّا هذه المجموعة الكبيرة من المقالات الَّتي كتبها حول الموضوع، واستغرقت نحو ثلاث سنوات، من سنة ١٣٣٥هـ إلى ١٣٣٧هـ، ففيها نجد الشيخ أو الدكتور سلمان العالم الأديب الداعية الشاعر، الفقيه المحدث المفسر المتكلم المتصوف الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والنفسي، الخ.

إنَّه رجل مثقف حقًّا بالثقافة الدينيَّة الَّتي لا بدَّ لمثله منها، وبالثقافة اللُّغويَّة والأدبيَّة والواقعيَّة، وبالثقافة العلميَّة الضروريَّة لمن يخاطب النَّاس الَّذين تعلموا هذه العلوم، وأصبحت أساس ثقافتهم، ولا تستطيع أن تفهمهم ما عندك إلَّا إذا فهمت ما عندهم، وأنا أكتفي هنا بالوقوف على مقالته تحت عنوان «أنت قبيلي أو هبيلي؟» من كتابه: «علمني أبي».

وهو هنا يتحدِّث في هذه المقالة حديث المفسر للقرآن، وقد وجدته والله، دقيق الفهم لكتاب الله، رقيق الإحساس بأنَّه كلام الله، واعيًا بما قال القدماء والمحدثون من المفسرين من الأقوال المقبولة وغير المقبولة.

انظر بعض ما كتبه في هذه القصَّة المشهورة: قتل ابن آدم لأخيه، اللذين اشتُهِر عند المفسرين وفي التوراة وملحقاتها: أن اسميهما: قابيل وهابيل، ولا مانع من اتخاذ هذين الاسمين، فلا يستفيد منهما أحد، ولا يتضرَّر أحد.

وقد ذكرت القصَّة في سورة المائدة، وبعد قصة موسى، فقال من قال: إنهما من بني إسرائيل، ولا يمكن أن يكونا من بني إسرائيل، هما كما قال القرآن ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: ٢٧] وكلمة «ابني آدم» تدل على ذلك، وليس مثل كلمة: «بني آدم»؛ بدليل أن هذا أوَّل ميت يموت، ولم يعرف قاتله: ماذا يفعل فيه؟ فلم ير حادثة موت قبل

QaradawiBooks.com

هذا. ولذا كان اختيار الشيخ سلمان في موضعه تمامًا. وجاء الحديث الصحيح يؤكد مسؤوليته عن كل قتل في العالم؛ لأنَّه أوَّل من سنَّه «**ما من نفْسٍ تُقْتَل ظلمًا إلَّا كان على ابن آدم الأوَّل كِفْلٌ منها**»[1].

ثم قالت الآيات بعدها: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٣٠].

قالوا: كان هابيل راعي غنم، فلما أراد أن يتقرب إلى الله قدم أفضل ما عنده من الأغنام وهو فرح طيب النفس، وكان قابيل زارعًا، فاختار أسوأ ما عنده من الثمار، وقدمها وهو غير مسرور بما قدم ولا طيب النفس به، ولذلك كان الابتلاء الأوَّل بقبول قربان هابيل، ولم يتقبَّل الله قربان قابيل، ما ذنب هابيل حتَّى ينتقم منه الشقيق الظالم؟ ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ارجع إلى نفسك فابحث فيها ماذا عندك، أصلح نفسك أوَّلًا، سوِّ ما بينك وبين الله، ولا تدخلني في أمرك!

وهدَّده هابيل بما هدده به، يخوفه من هذه الفعلة القبيحة الآثمة، بكلمات نيرة، تقتلع الجبال، وتخلع القلوب. ولكن قلبه كان مغلقًا. لم يستجب لذلك، متحملًا المسؤوليَّة بكل برود، وكأنَّه يرد على فلاسفة الاجتماعيِّين الَّذين زعموا أنَّ الجريمة لا تتم إلَّا في مجتمع، وأنَّ الفرد

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣٥)، ومسلم في القسامة والمحاربين (١٦٧٧)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

خريج المجتمع، هنا لا يوجد مجتمع يتعلم منه الفرد. الواقع أنَّ الفرد ابن نفسه كما قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾ [المائدة: ٣٠].

فالنفس أمارة بالسوء، وخصوصًا إذا لم تتعلم آداب المؤمنين. قال يعقوب عليه السلام لأولاده حين جاؤوه بقميص يوسف، وصبغوه بدم كذب: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، وكذلك قال غريم موسى (السامري) الَّذي ضلَّل بني إسرائيل بعبادة العجل، حين ذهب للقاء ربه، قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ [طه: ٩٦].

إنَّ قصَّة «ابني آدم» أو قابيل وهابيل، المعروفة في القرآن وكتب أهل الأديان الكتابيَّة، لترد بقوَّة على الغُلاة من الاجتماعيِّين الَّذين أهملوا طبيعة الفرد، ولم يجعلوا له إرادة في الجريمة بدون المجتمع، والواقع لا ينفي خطأهم في غلوهم. والحقيقة أنَّ الإنسان فيه جزء انفرادي، وجزء اجتماعي، ولكل منهما تأثيره، لأنَّه جزء أساسي في تكوينه، الخير والشر غريزة، كما قال الله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣]، وكما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨].

خطر العلماء هو الوقوع بين الطغيان والإخسار، والبعد عن الوسطيَّة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ ـ ٩].

عرض الدكتور سلمان القصَّة عرضًا رائعًا، بعيدًا عن كثير من التفاصيل الَّتي اهتمَّ بها كثير من المُفَسِّرين، وليس لها أصل في النص المُنَزَّل، ولا عليها دليل من الوحي النبوي. صحيح أنَّه نوَّه ببعض

QaradawiBooks.com

ما قالوا: إنَّ أخاه سيأخذ البنت الأجمل، قد نوَّه بهذا وإن لم يطل فيه، وأرى أنَّ إدخال هذا في الآيات غير وارد. وكل ما أشارت إليه الآية هو الحسد من الأخ لأخيه أن تقبَّل الله قربانه، ولم يقبل قربان نفسه، وهذا يرجع إلى الطبع أن تحسد من لم يظلمك، ولم يمسسك بسوء، لا بفعل ولا بقول، ولا بنية يدل عليها شيء، إنَّما الحسد جمرة نارية تشب في باطن الحاسد، وتغلي فيه على صاحبٍ لم يسئ إليه بكلمة ولا إشارة.

اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحَسُو ... دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ
فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا ... إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ[1]

ومما نبَّه عليه الشيخ سلمان ما ذكره القاتل من أنَّ المقتول أخوه ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِي﴾ [المائدة: ٣١] قال: التعبير بالأخوة تذكير بالمشترك الإنساني بين البشر من بني آدم، وتعظيم لحرمته وحقه، وتحذير قوي من التجاوز والعدوان عليه.

وإن كانت الأخوة أعمق وأكثر من المشترك الإنساني العام بين البشر جميعا، فالأخوة صلة خاصَّة، معناها أنهما من أب واحد، وأم واحدة. هذه هي الأخوة العامَّة إذا أطلقت. المفروض أن يحمي أخاه، ويحرس أخاه، ويعرض حياته للخطر دفاعا عن أخيه. هذا ما تقتضيه الأخوة بالفطرة، فكيف نسي هذا كله عندما غاظه داء الحسد؟!

وقال الشيخ سلمان: سجَّل القرآن ندم قابيل بعد أن رأى أخاه جثة هامدة، وتعبير القرآن: ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١]؛ يدلُّ على شدَّة الندم وتمكنه، فهو أبلغ ممَّا لو قال: فأصبح نادمًا!

(١) من شعر عبد الله بن المعتزّ، كما في الدر الفريد وبيت القصيد (٣/٤٠٠، ٤٠١)، وانظر: ديوانه صـ ٣٨٩، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

قال: وهذا يشبه قول الله تعالى لآدم وحواء: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وهذه نظرة أصيلة، يؤكدها قول موسى للعبد الصالح (الخضر): ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩] ولكنَّه لم يصبر عليه إلَّا ثلاث مرات، وانتهى بينهما الأمر، قال: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨].

ولذلك كان قول إسماعيل لأبيه إبراهيم حين قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] وقد صبر وصابر حتَّى جاءه الفرج من الله تعالى، وبهذا تبيَّن الفرق بين (صابرا) و(من الصابرين).

كل ما قاله أخونا الحبيب الدكتور سلمان في صميم التفسير، ومعرفة القرآن، ومعرفة الوقائع، وهداية القلوب، وإيقاظ الضمائر. كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

ولعلِّي أرجع مرَّة أخرى إلى كتب الشيخ سلمان أو بعض كتبه لنتحدث عنها وننوِّه بها، ونحث النَّاس في المشارق والمغارب على قراءتها، وعلى طباعتها، وعلى توسيع نطاق الانتفاع بها. فهذا واجب الأمة الإسلاميَّة ـ أمتنا ـ في هذا العصر.

لا أملك يا أخي سلمان إلَّا أن أدعو الله لك في الصباح والمساء أن يغفر لك ويرحمك، ويهديك للَّتي هي أقوم، ويجعلك من الَّذين

QaradawiBooks.com

يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه، ومن الَّذين يدعون إلى الله على بصيرة، ويؤمنون بالإسلام عن بيِّنة، ويدعون إلى الحقِّ والخير والرشد، على هدى، مع الَّذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا. اللهمَّ آمين.

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

الدوحة في ٢٦ ذي الحجة ١٤٣٧هـ

الموافق ٢٧ سبتمبر ٢٠١٦م

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

الدوريَّـات

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسِّيرة» العدد الأول[1]

الحمد لله ربِّ العالَمِين، والصلاة والسلام على سيِّدنا مُحمَّد عبده ورسوله، خاتم النبيين، وإمام المتقين، ورحمة الله المهداة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وأتباعه إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فقد استقبلت الأمة الإسلاميَّة القرن الخامس عشر الهجري باحتفاء واحتفال بالغين، وكان باكورة ذلك انعقاد «المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبويَّة والسُّنَّة المطهرة» في الدوحة عاصمة دولة قطر، أوائل المحرم سنة ١٤٠٠هـ، والَّذي جسد اهتمام الأمة بسيرة نبيها الكريم، وسنته الَّتي هي المصدر الثاني بعد كتاب الله للتشريع والهداية والتوجيه للحياة الإسلاميَّة.

وكان من أبرز التوصيات الَّتي انعقد عليها إجماع المؤتمرين: وجوب إنشاء مركز علمي عالمي لبحوث السيرة والسُّنَّة، يحقق آمال المسلمين في العالم، في تجلية حقيقة السيرة والسُّنَّة والدفاع عنها، وإخراجها في صورة تليق بالإسلام وبرسوله وأمته، مستعينًا في ذلك بمعارف السلف، وعلوم العصر، وإمكانات الأمة المسلمة.

(١) نشر مركز بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

ورجا المؤتمر في بيانه الختامي أن تتبنى دولة قطر هذا المركز المنشود. وكانت قطر عند حسن الظن بها، فصدر القرار الأميري الكريم بإنشاء «مركز بحوث السُّنَّة والسيرة النبويَّة»، محددًا أهدافه ومهمته الجليلة، وبذلك أدت دولة قطر العربيَّة المسلمة عن أمة الإسلام في كل مكان واجبًا كفائيًّا، هي أهل له بما قدمت وتقدم دائمًا من خدمة الإسلام ورسالته وتراثه العظيم.

حدد القرار الأميري هدف المركز ومهامه في خدمة الدراسات والبحوث الإسلاميَّة عامَّة، والمتعلق منها بالسُّنَّة الشريفة والسِّيرة النبويَّة المطهرة خاصَّة، والعمل على تحقيقها وتجليتها للمسلمين وغيرهم، باعتبار أنَّها مفتاح الكتاب الكريم، وبيانه النظري والعملي، والمصدر الثاني للتشريع الإسلامي وللحياة الإسلاميَّة، وذكر من مهام المركز بصفة خاصَّة الأمور التالية:

أوَّلًا: إعداد موسوعة للحديث النبوي تضم صحاح الأحاديث، محققة تحقيقًا علميًّا، مبوبة تبويبًا جديدًا، مفهرسة فهرسة حديثة، مخرجة إخراجًا عصريًّا مشوقًا، معلقًا عليها بما يوضح المفاهيم، ويدفع الشبهات والمفتريات، مع الاستفادة بأحدث الأساليب العلميَّة، وخصوصًا في مجال الحاسبات الآلية.

ثانيًا: الإسهام في تحقيق المصادر المهمة للسيرة والسنة، ونشرها بما يلائم العصر، ويقربها لمن يريد أن يستفيد منها.

ثالثًا: إصدار دراسات عصرية عن السيرة والسُّنَّة، تجلي مقاصدها، وتسهم في تكوين وعي إسلامي صحيح.

QaradawiBooks.com

رابعًا: متابعة ما ينشر عن السيرة والسُّنَّة بأقلام المستشرقين وغيرهم، للتنويه بالجيد منها، والرد على ما فيه تحامل وافتراء.

خامسًا: إخراج دراسات مرجعيَّة «ببليوجرافيَّة» مُفَصَّلة، وأخرى جغرافيَّة وأثريَّة، وخرائط لأرض الرسالة، ومواقع الغزوات، وأحداث فترة النبوَّة.

سادسًا: دراسة الأحكام الشرعيَّة المستمدَّة من السُّنَّة بشكل متكامل؛ للاستفادة منها عند وضع القوانين والتشريعات.

سابعًا: إصدار مجلَّة علميَّة متخصصة، تتابع حركة التأليف والنشر في حقل الفكر الإسلامي، وبخاصَّة المتعلق بالسيرة والسنة، وإصدار دليل دوري بالمراجع والكتب والمقالات المنشورة في هذا الشأن.

ثامنًا: إنشاء مكتبة إسلاميَّة لبحوث السيرة والسُّنَّة، ومؤلفاتها ومراجعها ومخطوطاتها.

وها هو ذا العدد الأوَّل من «مجلة المركز»، يصدر بحمد الله حاويًا لعدد من البحوث الجادة، المتعلقة بالسُّنَّة والسيرة، تصحح المفاهيم، وترد على الشبهات والمفتريات، وتنوه بكل عمل جاد في خدمة السيرة والسُّنَّة، وإن جاء من غير المسلمين.

كما يتضمن العدد مشروع المنهج المقترح لموسوعة الحديث النبوي، وهو العمل الكبير الَّذي اضطلع المركز بالقيام به بعون الله تعالى وتأييده، ثمَّ بمساعدة أهل الذكر والاختصاص في أقطار الإسلام كلها بالرأي والمشورة.

وفي العدد دراسة عن حافظ هذا العصر (الكمبيوتر)، ومدى ما يمكن أن يساهم به في جمع السُّنَّة وتصنيفها.

QaradawiBooks.com

وإنا لنرجو أن يكون هذا الوليـــد (العدد الأوَّل من مجلَّة المركز) قد ولد في إبانه، وأن يكون باكورة لأعداد تتلوه، نامية صاعدة ومستمرة في خدمة السنة والســـيرة، وتجلية حقائق الإسلام، وكشف أباطيل خصومه، الَّذين تكاثروا في هذا العصر، يناوشـــونه من كل جانب، حتَّى استطاعوا أن يكســـبوا بعض الأقلام الَّتي ينتســـب أصحابها إلى الإسلام بالعنوان والوراثة، وأكثر ما وجهوا إليه حملاتهم المسعورة والمسمومة هو: السنة المطهرة، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم.

ولكن الله تعالى الَّذي كتب الخلود لهذا الدين، وختم به الرســـالات السماوية، ونسخ بشريعته كل الشرائع، قد قيض له من يذود عن حياضه، ويدافع عن ســـنة نبيه، ويقوم لله بالحجة، ويدفع بحقـــه الباطل، فإذا هو زاهق: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

هؤلاء الموكلون برســـالات الله، هم أمة الحق القوامة على أمر الله، الَّذين نوَّه بهم القرآن والحديث: في القرآن جاء قول الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

وفي الحديث الَّذي رواه الإمام أحمد والشيخان من حديث معاوية: «**لا تزال طائفة من أُمَّتي قائمة بأمـــر الله، لا يضرُّهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتَّى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»[(١)].

وروى مســـلم من حديث عقبة بن عامر: «**لا تـــزال عصابة من أُمَّتي يقاتلون على الحـــقِّ، لا يضرُّهم من خالفهم، حتَّى تأتيهم الســـاعة وهم على ذلك**»[(٢)].

(١) سبق تخريجه صـ٤٦.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٩٢٤).

QaradawiBooks.com

وروى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث عمران بن حصين: «**لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي يقاتلون على الحقِّ، ظاهرين على من ناوأهم، حتَّى يُقاتل آخِرُهم المسيح الدجَّال**»[١].

وقد روي هذا الحديث عن عدد من الصحابة منهم عمر[٢] والمغيرة بن شعبة[٣]، وثوبان[٤] وجابر[٥] وأبو هُرَيرة[٦]، وقرة بن إياس[٧] رضي الله عنهم.

هذه الطائفة تتميز بالاستمرار على المقاومة حتَّى تقوم الساعة، تقاتل على حقها، وتذود عن رسالتها، حتَّى يأتي أمر الله.

وقال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: أمَّا هذه الطائفة فقال البخاري: هم أهل العلم.

وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث، فلا أدري من هم؟!

قال القاضي عياض: إنَّما أراد أحمد أهل السُّنَّة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.

---

(١) رواه أحمد (١٩٩٢٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الجهاد (٢٤٨٤)، والحاكم في الجهاد (٧١/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الطيالسي (٣٨)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤٤٩/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٣١١)، ومسلم في الإمارة (١٩٢١).

(٤) رواه مسلم في الإمارة (١٩٢٠).

(٥) رواه مسلم في الإمارة (١٩٢٣).

(٦) رواه أحمد (٨٩٣٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي.

(٧) رواه أحمد (١٥٥٩٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات. والترمذي في الفتن (٢١٩٢)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٦)، وابن حبان في العلم (٦١).

QaradawiBooks.com

قلت ـ والقائل النووي ـ: يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين؛ بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض.

قال النووي: وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة، فإن هذا الوصف ما زال ـ بحمد الله تعالى ـ من زمن النبي ﷺ إلى الآن، ولا يزال حتَّى يأتي أمر الله المذكور في الحديث[1] اهـ.

وهذه الطائفة هي الَّتي حدد الأثر المشهور مهمتها مع العلم النبوي، وهو ما روي من طرق ووجوه متعددة ذكرها ابن القيِّم في «مفتاح دار السعادة» وقوَّاه بها. قال: «**يحمل هذا العلم من كلِّ خَلَفٍ عُدُوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المُبْطِلين، وتأويل الجاهلين**»[2].

فهذه مهمتهم الَّتي تتجلى أوَّلًا: في الاحتفاظ بجوهر الميراث النبوي سليمًا من تحريف الغلاة المتنطعين، الَّذين يريدون أن يخرجوا به عن وسطيته وتوازنه، ويميلوا به عن «الصراط المستقيم» إلى سبل المغضوب عليهم والضالين. وهم الَّذين برئ منهم النبي ﷺ حين شرح منهجه، ثمَّ قال: «**فمن رغب عن سُنَّتي فليس مِنِّي**»[3].

فهم أحرص النَّاس على الاعتدال في فهمهم للدين، وفي علمهم به، وفي دعوتهم إليه، ييسرون ولا يعسرون، ويبشرون ولا ينفرون، ويرفقون ولا يعنفون.

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (٦٧/١٣)، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

(٢) سبق تخريجه صـ٧١.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وتتجلى ثانيًا: في الموقف الصلب في وجه المبطلين، وانتحالاتهم الزائفة، الَّتي يريدون أن يلصقوها بهذا الدين، وهو منها براء، سواء كان هذا الانتحال يتصل بالعقائد والمفاهيم، أم بالعبادات والشعائر، أم بالأخلاق والآداب، أم بالنظم والمعاملات.

فهم في أمر دينهم متبعون لا مبتدعون، فقد أكمل الله لهم الدين، وأتم عليهم النعمة، فمن أحدث فيه ما ليس منه فهو رد[1].

يرفضون أي جسم غريب على هذا الدين، ولا يقبلونه إلَّا نقيًّا صافيًا، كما أنزله الله على رسوله ﷺ، ومعهم الدليل الَّذي لا يخطئ، والهادي الَّذي لا يضل: كتاب الله وسُنَّة رسوله، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وهم في أمر دنياهم مبتكرون مبتدعون، يلتمسون الحكمة من أي وعاء، ويطلبون العلم من كل أفق، ويستخدمون كل طاقة ممكنة للارتقاء بحياتهم، دون حجر عليهم، ولا إعنات لهم، شعارهم الحديث الشريف «**أنتم أعلم بأمر دُنْياكم**»[2].

وتتجلى مهمتهم ثالثًا: في مقاومة تأويلات الجاهلين الضالين للدين، الَّذي يريدون أن يفهموه على غير حقيقته، وأن يجعلوا منه عجينة لينة يصوغها من يشاء كيف شاء، دون تفرقة بين القطعيات والمحتملات، ولا بين المحكمات والمتشابهات، فهم يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وهم يريدون أن يحولوا المحكم إلى متشابه، والمجتمع

(١) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد». رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣)، عن أنس وعائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عليه إلى مختلف فيه، والمسلمات القطعية إلى مسائل ظنية، تحريفًا للكلم عن مواضعه، واتباعًا للهوى، وشذوذًا عن جماعة أهل الحق والراسخين في العلم.

وهذا ما يجب أن يقوم عليه المركز، وتقوم عليه مجلته: أن تنفي عن ميراث النبوة الخاتمة وعلمها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وبالتالي تبين وسطية أهل الاعتدال، وصدق أهل الحق، وفقه أهل العلم، و«**من يُرِد الله به خيرًا يُفَقِّهه في الدِّين**»[1].

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا.

﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

أ. د. **يوسف القرضاوي**

مدير المركز ورئيس التحرير

(١) سبق تخريجه صـ ٣٤٨.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسِّيرة»
العدد الثالث(١)

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، الَّذي ختم الله به النبيين والمرسلين، وأرسله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(أمَّا بعد)

فإنَّ السُّنَّة النبويَّة هي المنهاج التفصيلي لحياة الفرد المسلم، والمجتمع المسلم وهي تمثل القرآن مفسرًا، والإسلام مجسدًا.

فقد كان الرسول ﷺ، هو المبين للقرآن، والمجسد للإسلام، بقوله وعمله، وسيرته كلها، في الخلوة والجلوة، والحضر والسفر، واليقظة والنوم، والحياة الخاصَّة والعامَّة، والعلاقة مع الله ومع الناس، ومع الأقارب والأباعد، والأولياء والأعداء، في السلم وفي الحرب، وفي العافية والبلاء.

ومن واجب المسلمين أن يعرفوا هذا المنهاج النبوي المفصل، بما فيه من خصائص الشمول والتكامل والتوازن والتيسير، وما يتجلى فيه من معاني الربَّانيَّة الراسخة، والإنسانيَّة الفارعة، والأخلاقيَّة الأصيلة.

(١) نشر مركز بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهذا يوجب عليهم أن يعرفوا كيف يحسنون فهم هذه السُّنَّة الشريفة، وكيف يتعاملون معها فقهًا وسلوكًا، كما تعامل معها خير أجيال هذه الأمة: الصحابة ومن اتبعهم بإحسان.

إنَّ أزمة المسلمين الأولى في هذا العصر هي أزمة فكر، وهي في رأيي تسبق أزمة الضمير.

وأوضح ما تتمثل فيه أزمة الفكر هي أزمة فهم السُّنَّة والتعامل معها، وخصوصًا من بعض تيارات الصحوة الإسلاميَّة، الَّتي ترنو إليها الأبصار، وتناط بها الآمال، وتشرئب إليها أعناق الأمة في المشارق والمغارب، فكثيرًا ما أتي هؤلاء من جهة سوء فهمهم للسُّنَّة المطهرة.

التحذير من آفات ثلاث:

وقد روي عن الرسول ﷺ ما يشير إلى ما يتعرض له علم النبوة وميراث الرسالة على أيدي الغلاة، والمبطلين، والجهال.

وذلك فيما رواه تمام في فوائده، وابن عدي وغيرهما، عن النبيِّ ﷺ قال: «**يحمل هذا العلم من كلِّ خَلَفٍ عُدُولُه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[1]. إنَّها معاول ثلاثة، كل واحد منها يمثل خطرًا على الميراث النبوي.

أ ـ تحريف أهل الغلو: فهناك «التحريف»، الَّذي يأتي عن طريق الغلو والتنطع، والتنكب عن «الوسطيَّة» الَّتي تميز بها هذا الدين، وعن «السماحة» الَّتي وصفت بها هذه الملة الحنيفية، وعن «اليسر» الَّذي اتسمت به التكاليف في هذه الشريعة.

(١) سبق تخريجه صـ٧١.

QaradawiBooks.com

إنَّه الغلو الَّذي هلك به من قبلنا من أهل الكتاب، ممَّن غلا في العقيدة، أو غلا في العبادة، أو غلا في السلوك.

وقد سجَّل القرآن عليهم ذلك حين قال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

ولهذا روى ابن عبَّاس، عن النبيِّ ﷺ: «**إيَّاكم والغلوَّ في الدِّين، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلوِّ في الدِّين**»(١).

وروى ابن مسعود رضي الله عنه عنه: «**هلك المُتَنَطِّعون**» قالها ثلاثًا(٢).

ب ـ انتحال أهل الباطل: وهناك «الانتحال»، الَّذي يحاول به أهل الباطل أن يدخلوا على هذا المنهج النبوي ما ليس منه، وأن يلصقوا به من المحدثات والمبتدعات ما تأباه طبيعته، وترفضه عقيدته وشريعته، وتنفر منه أصوله وفروعه.

ولما عجزوا عن إضافة شيء إلى القرآن المحفوظ في الصدور، المسطور في المصاحف، المتلو بالألسنة، حسبوا أنَّ طريقهم إلى الانتحال في السُّنَّة ممهد، وأن بإمكانهم أن يقولوا: قال رسولُ الله ﷺ دون بينة.

ولكن جهابذة الأمة، وحفظة السنة، قعدوا لهم كل مرصد، وسدوا عليهم كل منافذ الانتحال، فلم يقبلوا حديثًا بغير سند، ولم يقبلوا سندًا دون أن يشرحوا رواته واحدًا واحدًا، حتَّى تعرف عينه، ويعرف حاله، من

(١) سبق تخريجه صـ٣٣٩.

(٢) سبق تخريجه صـ١٩٨.

QaradawiBooks.com

مولده إلى وفاته، ومن أي حلقة هو؟ ومن شـيوخه؟ ومن رفاقه؟ ومن تلاميذه؟ وما مدى أمانته وتقواه، ومـدى حفظه وضبطه، ومدى موافقته للثقات المشاهير أو انفراده بالغرائب.

ولهذا قالوا: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[١]!

طالب علم بلا حجة كحاطب ليل[٢]!

ولم يقبلوا من الحديث إلَّا ما كان متصل السند من مبدئه إلى منتهاه، بالثقات من الرواة العدول الضابطين، من غير فجوة ظاهرة أو خفية، ومع ضرورة السلامة من كل شذوذ أو علة قادحة.

وهذا التدقيق في طلب الإسـناد بشروطه وقيوده من خصائص الأمة الإسـلاميَّة، ومما سـبقوا به أمم الحضارة المعاصرة، في وضع أسـس المنهج العلمي التاريخي.

ج ـ تأويل أهل الجهل: وهناك «سوء التأويل» الَّذي به تشوه حقيقة الإسلام، ويحرف فيه الكلم عن مواضعه، وتنتقص فيه أطراف الإسلام، فيخرج من أحكامه وتعاليمه ما هو من صلبه، كما حاول أهل الباطل أن يدخلوا فيه ما ليس منـه، أو يؤخروا ما حقه أن يقدم، أو يقدموا ما حقه أن يؤخر.

وهذا التأويل السيئ والفهم الرديء من شأن الجاهلين بهذا الدين، الَّذين لم يشربوا روحه، ولم ينفذوا ببصائرهم إلى حقائقه، فليس لهم من الرسـوخ في العلم، ولا من التجرد للحق ما يعصمهم من الزيغ

(١) رواه مسلم في المقدمة (١٥/١)، من قول عبد الله بن المبارك

(٢) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن (٢٦٣)، من قول الشافعي.

QaradawiBooks.com

والانحراف في الفهم، والإعراض عن المحكمات، واتباع المتشابهات، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويلها تبعا للهوى المضل عن سبيل الله.

إنَّه «تأويل الجاهلين» وإن لبسوا لبوس العلماء، وتظاهروا بألقاب الحكماء.

وهذا ما يجب التنبه له، والتحذير منه، ووضع الضوابط الضروريَّة للوقاية من الوقوع فيه.

ومعظم الفرق الهالكة، والطوائف المنشقة عن الأمة، وعن عقيدتها، وشريعتها، والفئات الضالة عن سواء الصراط، إنَّما أهلكها سوء التأويل.

وللإمام ابن القيِّم هنا كلمة مضيئة ننقلها عنه من كتاب «الروح» قال فيها:

«ينبغي أن يفهم عن الرسول مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده، وما قصده من الهدى والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال، والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلَّا الله.

بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع، ولا سيَّما إن أضيف إليه سوء القصد فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده، وسوء القصد من التابع، فيا محنة الدين وأهله والله المستعان.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهميَّة والرافضة وسائر طوائف أهل البدع إلَّا سوء الفهم عن الله ورسوله، حتَّى صار الدين بأيدي أكثر النَّاس هو موجب هذه الأفهـام، والَّذي فهمه الصحابة ومن تبعهم عن الله ورسـوله فمهجور لا يلتفت إليه ولا يرفع هؤلاء به رأسًا. ولكثرة أمثلة هذه القاعـدة تركناها، فإنا لو ذكرناها لزادت على عشـرة ألوف، حتَّى أنَّك لتمر على الكتـاب من أوله إلى آخره فلا تجد صاحبه فهم عن الله ورسوله ومراده كما ينبغي في موضع واحد.

وهذا إنَّما يعرفـه من عرف ما عند الناس، وعرضـه على ما جاء به الرسـول ﷺ، وأمَّا من عكس الأمر بعرض ما جاء به الرسول ﷺ على ما اعتقده أو انتحله وقلد فيه من أحسـن به الظن، فليس يجدي الكلام معه شيئًا، فدعه وما اختاره لنفسـه، ووَلِّه ما تولَّى، واحمد الَّذي عافاك ممَّا ابتلاه به»[1] اهـ.

ومن هنا كان واجبًا على العاملين لخدمة الإسـلام عمومًا، وخدمة السُّـنَّة خصوصًا: التنبه لتلك المعاول الثلاثة، الَّتـي تتمثل في تحريف الغالين أو غلو المحرفين، وفي انتحال المبطليـن أو باطل المنتحلين، وفي تأويـل الجاهلين أو جهل المؤولين. وتجليـة الأصول والضوابط، الَّتي تفهم في ضوئها السُّنَّة المشـرفة ـ الَّتي تمثل المنهج الإسلامي في شموله ووسـطيته وتيسـيره ـ كما فهمها خير قرون هذه الأمة، وأفضلها علمًا وعملًا.

وفي هذا الإطار ظهر العدد الثالث من «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسيرة»، يحوي مجموعة طيبة من الدراسات العلميَّة الأصيلة، الَّتي

(١) الروح لابن القيم صـ ٢٣٧، ٢٣٨، تحقيق صالح الشامي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

QaradawiBooks.com

تتناول السنة المطهرة، أو السيرة العاطرة، من زوايا مختلفة؛ لتقدم للدارس والقارئ المسلم الزاد الَّذي يبحث عنه المتخصص المتمكن، ويستطيع أن يستفيد منه، وينهل من ورده المثقف المعاصر؛ لتصحيح المفاهيم، وترشيد الصحوة، وتسديد المسيرة، وكشف الزيف، ورد الأباطيل. فالحمد لله الَّذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

أ. د. يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسِّيرة» العدد الرابع[1]

الحمد لله الَّـذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبتوفيقـه تتحقق المقاصد والغايات، والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين، وحجة على النَّاس أجمعين، سـيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبـه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فهذا هو العدد الرابع من «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسيرة»، يصدر بفضل الله تعالـى، حافلًا بعدد من البحوث المتنوعـة، الَّتي تدور حول خدمة السُّنَّة المشـرفة، والسِّـيرة النبويَّة المطهرة، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ومما نحمد الله تعالى عليه، أن يصدر هذا العدد بعد أن عقد المركز ندوته العلميَّة العالميَّة الناجحة، الَّتي اشترك فيها عدد من علماء الحديث وعلوم الشريعة، وعدد آخر من خبراء الحاسوب (الكمبيوتر)، المهتمين باستعماله في خدمة الحديث الشريف.

(١) نشر مركز بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

QaradawiBooks.com

وكان موضوع الندوة «نحو موسوعة شاملة للحديث النبوي»، وقد شملها صاحب السمو أمير البلاد المفدى الرئيس الأعلى للجامعة ـ حفظه الله ـ برعايته، كما تفضل باستقبال الأعضاء المدعوين، ومعهم مدير الجامعة، ومدير المركز، وكان اللقاء طيبًا ومثمرًا ومجددًا ومؤكدًا للثقة بالمركز وطموحاته.

وقد استمرت الندوة أربعة أيام، كانت في غاية الخصوبة والإفادة، انتهت فيها ـ بعد حوار علمي بناء، وجلسات صباحية ومسائية متتابعة، ولجان متنوعة متخصصة ـ إلى مجموعة من التوصيات والمقترحات العلميَّة، استراح إليها كل المشاركين، ونوَّهت بها كل الجهات المعنيَّة بخدمة السُّنَّة النبويَّة، وأبرزها مشروع اتحاد مراكز خدمة السُّنَّة والسيرة.

ويستطيع القارئ الكريم، أن يقرأ في هذا العدد البيان الختامي للندوة، ليلمس حقيقة ما أقول.

كل ما نرجوه أن يحقِّق الله الأمل، وتغدو توصيات الندوة حقيقة واقعة، وتتحد جهود العاملين في هذا الحقل المبارك من حقول خدمة الإسلام، عسى أن يبرز بهذا التعاون ذلك المشروع الكبير المرجو، وهو ديوان السُّنَّة النبويَّة، ثمَّ موسوعة الصحاح والحسان، الَّتي هي الزبدة من وراء هذا العمل الكبير.

أرجو الله أن يوفق العاملين في هذا المَيْدان إلى التنسيق والتعاون،

QaradawiBooks.com

والعمل على مستوى الإســـلام الَّذي نؤمن به، والعصر الَّذي نعيش فيه، وأن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وغدَنا خيرًا من يومنا. اللهمَّ آمين.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أ. يوسف القرضاوي

رئيس تحرير المجلة ومدير مركز بحوث السُّنَّة والسيرة

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسيرة» العدد السادس[1]

ربنا لك الحمد ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد.

ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

ربنا لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وصلاة وسلامًا زاكيين دائمين على خيرة خلقك، وخاتم رسلك، ورحمتك المهداة للعالمين، سيِّدنا وحبيبنا وإمامنا وأسوتنا مُحمَّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فهذا هو العدد السادس من «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسيرة»، يصدر بتوفيق الله تعالى وعونه، بعد أن تأخر بعض الوقت لظروف طارئة، ممَّا جعل كثيرًا من القراء والمتابعين والمكتبات الجامعيَّة وغيرها في أكثر من بلد، يسألون عنه، ويترقبون ظهوره، فمعذرة للجميع، ونرجو ألا يتكرَّر ذلك إن شاء الله.

(١) نشر مركز بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يحفل العدد بجملة من البحوث الرصينة، حول السُّنَّة النبويَّة المشرفة، والسيرة المحمَّديَّة العاطرة، بأقلام عدد من أهل العلم والاختصاص، الَّذين أكرمهم الله تعالى بالوقوف على هذه الثغرة: خدمة السُّنَّة وتجليتها والدفاع عنها، بلسان أهل العصر، حتَّى يبيِّنوا لهم، عسى أن يكونوا «الخلف العدول» الَّذين يحملون إلى الأجيال علم النبوة، وميراث الرسالة، «**ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[1].

وقد استحدثنا بابًا جديدًا في هذا العدد، نأمل أن ينفع الله به، وهو: إلقاء أضواء على «أحاديث أسيء فهمها»، لننفي عنها «تأويل الجاهلين»، الَّذي أشار إليه الحديث الشريف.

وذلك أنَّ السُّنَّة لم تؤت من الأحاديث الموضوعة، فهذه قد عاش لها الجهابذة، وكشفوا عوارها، إنَّما أتيت في كثير من الأحيان من سوء الفهم والتفسير، الَّذي قد ينشأ من الجهل، أو من اتباع الهوى، أو منهما معًا.

ومهمتنا أن نصحِّح الأفهام، ونزيل الشبهات، ونرد على الأغاليط ما استطعنا، فإذا أصبنا فلله الفضل والمنة، ومنه العون والتوفيق، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، ومن الشيطان.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

أ. د. **يوسف القرضاوي**

رئيس تحرير المجلة ومدير مركز بحوث السُّنَّة والسيرة

(١) سبق تخريجه صـ٧١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسيرة» العدد السابع[1]

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، سيَّدنا وإمامنا، وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه الَّذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الَّذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، وعلى من دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فهذا هو العدد السابع من «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسيرة»، يظهر كعادته، حاملًا مجموعة من البحوث الأصيلة في موضوعاتها المختلفة، من خدمة السُّنَّة والسيرة خاصَّة، وخدمة الثقافة الإسلاميَّة بصفة عامَّة.

اشتمل هذا العدد على اثني عشر بحثًا، منها ما يتعلق بما تتضمَّنه السُّنَّة من «فقه حضاري»، ويعنى به: الفقه الَّذي ينقل الإنسان من فقه سطحي بدائي، إلى فقه أعمق للكون والحياة والإنسان.

(١) نشر مركز بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

ومنها ما يتعلق بملامح «الجانب البلاغي أو الفني» في الحديث النبوي.

ومنها ما يتعلق بقضية التأويل ـ للنص القرآني أو النبوي ـ عند شيخ الإسلام ابن تيمية، في سياقه التاريخي، وعلاقته بمسألة الظاهر والباطن.

ومنها ما يتعلق بالجانب العسكري في السِّيرة النبويَّة، وهو تأمين المدينة المنورة بعد الهجرة النبويَّة الشريفة.

ومنها ما يتعلق بعلوم الحديث، مثل بحث التحليل والتأسيس في أسباب ورود الحديث، وبحث منهج المحدثين في نقد متون الحديث، والبحث في حديث أبي سفيان[1].

ومنها ما يتعلق بصلة الحديث بالعقيدة، وموقف المعتزلة من السُّنَّة في بعض قضايا العقيدة.

إلى غير ذلك من القضايا المتصلة بالسنة والسيرة، وتسليط الضوء على أحاديث أساء المسلمون فهمها، والذنب ليس ذنب الأحاديث، إنَّما هو ذنب المسلمين:

وكم من عائب قولًا صحيحًا وآفته من الفهم السقيم

إنَّها مجموعة نيرة من البحوث المتنوعة المخدومة، أرجو أن ينفع الله بها قارئها، وأن يثبت كاتبها وناشرها.

---

(١) وهو الحديث الذي رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٠١)، عن ابن عباس: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي ﷺ: يا نبي الله ثلاث أعطنيهن...

QaradawiBooks.com

أســأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنــا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

أ. د. يوسف القرضاوي

رئيس التحرير ومدير مركز بحوث السنة والسيرة

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسيرة» العدد الثامن[1]

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات، وبتوفيقه تتحقق الغايات، وصلوات الله وتسليماته على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، البشير النذير والسراج المنير، معلم البشريَّة وهادي الإنسانيَّة، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه الَّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتبعوا النور الَّذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فهذا هو العدد الثامن من «مجلة مركز بحوث السنة والسيرة»، يظهر كالعهد به، حاملًا ثمار الأقلام المؤمنة بكتاب ربها، وسنة نبيها، حاويًا للبحوث العلميَّة الأصيلة، الَّتي تدور حول محور السُّنَّة والسيرة خصوصًا، وحول الإسلام والقرآن عمومًا، مجتهدة في أن تقدم السُّنَّة النبويَّة الجامعة، والسِّيرة النبويَّة الفارعة للأمة الإسلاميَّة في مشارق

(١) نشر مركز بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

الأرض ومغاربها، في الصورة المشرقة الَّتي تجسد الإسلام حيًّا، وتبرزه عملًا وتطبيقًا، وتبينه قولًا وفعلًا وتقريرًا.

كما أنَّ من رسالة هذه المجلة الدائمة: أن تذود عن ميراث النبوة، وتحمله بأمانة وإخلاص حمل الخلف العدول، الَّذين ينفون عنه: تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وفي هذا العدد أُنبِّه على أمرين جديدين تميز بهما:

الأوَّل: أنَّنا ننشر بحثًا قام به باحثاتنا المتدربات بالمركز، عن الأحاديث الصحاح والحسان المتعلقة بصحَّة الإنسان، ورعاية الأبدان. وهو جهد مقدور، قمن به كله تبويبًا للموضوع، وترتيبًا لمادته، واختيارًا للأحاديث، ورجوعًا للمصادر، وتوثيقًا للأحاديث بالتصحيح والتحسين، اعتمادًا على الأئمَّة من أهل هذا الشأن، وترك بعض الأحاديث الَّتي يثبت ضعفها. ولم يكن مني إلَّا الإرشاد وإنارة المصباح أمامهن، ليمضين في الطريق ببصيرة وثقة، ثمَّ المراجعة لهذا العمل بعد تمام أجزائه أولا بأول، ثمَّ المراجعة النهائية. فكان بحمد الله عملًا علميًا جديرًا أن ينشر وينتفع به.

والثاني: أنَّنا ابتكرنا هنا بابًا ننشر فيه مختارات مهمة ممَّا نشر من قبل، على نطاق غير واسع، ليتسع النفع به في دائرة أرحب.

وقد اخترنا في هذا العدد، رد الأستاذ ماهر المنجد على الكتاب المشبوه الَّذي روج له مروجون لأغراض معروفة، ولحساب جهات معلومة، وهو المسمى «الكتاب والقرآن». والحق أنَّها دراسة قيمة يجب أن يطلع عليها في مجلتنا من لم يطلع عليها في المجلة الَّتي نشرتها أولا، وهي مجلَّة «عالم الفكر» بالكويت.

QaradawiBooks.com

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العدد كما نفع بما سبقه من أعداد، وأن يُسدِّد خطانا في خدمة دينه، وأن يهيئ لأمتنا من أمرها رشدًا، وأن يجعل لها من ضيقها فرجًا، ومن محنتها منحة، ومن عسرها يسرًا. آمين.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

أ. د. يوسف القرضاوي

رئيس التحرير ومدير مركز بحوث السنة والسيرة

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسيرة» العدد التاسع[1]

الحمد لله وكفى، وسلامًا على رسله الَّذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، مُحمَّد وآله وصحبه مصابيح الدجى، ومنارات الهدى، وكل من اقتدى فاهتدى.

(أمَّا بعد)

فهذا هو العدد التاسع من «مجلة مركز بحوث السنة والسيرة»، يظهر اليوم بعد أن طال انتظاره، وتأخر عن موعده، لأسباب خارجة عن إرادتنا، حتَّى برز اليوم كالعهد به، حافلًا بالبحوث الأصيلة، والموضوعات الرصينة، وكلها تصب في مجرى واحد، هو الإسلام العظيم، وإلقاء مزيد من الضوء على مصادره المحفوظة من القرآن الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن السُّنَّة النبويَّة الَّتي هي بيان القرآن النظري، وتطبيقه العملي.

وقد بيَّن الإمام الشاطبي أن حفظ الله تعالى للقرآن الكريم يتضمن حفظ السُّنَّة المشرفة؛ لأنَّ حفظ المبين يستلزم حفظ بيانه. وهي نظرة صحيحة بلا ريب.

(١) نشر جامعة قطر، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

عنيت هذه البحوث بخدمة علومنا الإسلاميَّة الأصيلة، وتصحيح المفاهيم المغلوطة عنها، وبيان حقائقها، والرد على أباطيل خصومها، ودفع الشبهات المثارة حولها، بمنطق علمي ناصع، وأسلوب موضوعي مقنع، وأدب في الخطاب حتَّى مع المخالفين، وهذا هو منهج العلماء الثقات أبدًا.

ومن كتاب هذا العدد: صديقنا الحبيب المحدث الثبت الفقيه الداعية العلَّامة المتمكن الشيخ عبد الفتَّاح أبو غدَّة، الَّذي وافاه الأجل في مدينة الرياض، ودفن في البقيع بالمدينة المنورة، والعدد في المطبعة، وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حريصًا كل الحرص على أن يتولى تصحيح بحثه بنفسه، خشية أن يصيبه في الطباعة ما يصيب كثيرًا من المنشورات العلميَّة، من التصحيف والتحريف والسقط والتبديل.

ونرجو أن يكون تصحيحنا قد حقق له أمنيته، وإن كانت غلطات الطباعة لا تؤمن، وكلنا عانى منها ما عانى[1].

رحم الله الشيخ أبا غدة، وتقبله في الصالحين المرضيين من عباده، وجزاه عن دينه وأمته وسنة نبيه خير ما يجزي به العلماء العاملين، والدعاة الصادقين، ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

---

(١) وقد كتبتُ في مقدمة هذا البحث: هذا البحث له أهمية خاصة من ناحية موضوعه، ومن ناحية كاتبه. أمَّا الموضوع فهو قضية أثارها العلَّامة ناصر الدين الألباني، وخالف فيها جماهير علماء الأمة من السلف والخلف، وأحدث بلبلة في الأفكار، حين قال باستحباب البدء بخطبة الحاجة في الكتب والمقالات، كاستحبابها في الخطب والمحاضرات. وأمَّا صاحب البحث فهو العلَّامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، الذي عُرف بسَعَة اطلاعه، كما عُرف بالميل إلى الاعتدال والأناة، وشدَّة التحرِّي، فيما يصدر عنه، من أحكام وآراء. ويسرُّ مجلة مركز بحوث السنة والسيرة أنْ تنشر هذا البحث القيم، تعميمًا للنفع به، وليس في العلم كبير، وفوق كلِّ ذي علم عليم.

QaradawiBooks.com

ولقد ودَّعت الأُمَّة في هذه الفترة عددًا من كبار العلماء والدعاة إلى الله، في مقدمتهم: حبيبنا الداعية الإسلامي الكبير الشيخ مُحمَّد الغزالي، والإمام الأكبر الشيخ جاد الحق عليّ جاد الحق شيخ الأزهر، والفقيه الكبير عبد الله بن زيد المحمود رئيس المحاكم الشرعيَّة في دولة قطر، وغيرهم من الدعاة والعلماء الأعلام.

ولا شك في أن موت العلماء الكبار مصيبة تصاب بها الأمة، فكما تصاب الأسرة بموت عائلها، تصاب الأمة بموت علمائها، وعدم وجود من يخلفهم ويسد فراغهم.

وقد روي عن علي رضي الله عنه: إذا مات العالم انثلمت في الإسلام ثلمة، لا يسدها إلَّا خلف منه[1].

وقد روى الشيخان، عن عبد الله بن عمرو، أنَّ النبي ﷺ، قال: «**إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتَّى إذا لم يُبْقِ عالمًا، اتَّخذ النَّاس رؤوسًا جهالًا، فسُئلوا، فأفتَوْا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا**»[2].

اللهمَّ عَوِّض أُمَّتنا خيرًا عمَّن فقدته من العلماء، وهيِّئ لها من أمرها رشدًا. آمين.

أ. د. **يوسف القرضاوي**

رئيس التحرير ومدير مركز بحوث السُّنَّة والسِّيرة

---

(١) إحياء علوم الدين (٧/١).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، كلاهما في العلم.

QaradawiBooks.com

مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسِّيرة» العدد العاشر[1]

أحمد الله تعالى حمد أهل الجنَّة، الَّذين نـزع الله ما في صدورهم من غل، ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وأزكى صلوات الله وتسليماته على معلم النَّاس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرشد، وهادي الخلق إلى الحق، وإلى صراط مستقيم، ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

ورضي الله عن آله وصحبه، الَّذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الَّذي أنـزل معه أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فهذا هو العدد العاشر من «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسِّيرة»، يظهر كعادته حافلًا بالبحوث العلميَّة المتخصصة، الَّتي تخدم السُّنَّة والسِّيرة النبويَّة، عن طريق البحوث المعمقة، الَّتي جهد فيها كاتبوها كلٌّ في مجاله.

(١) نشر مركز بحوث السُّنَّة والسِّيرة، جامعة قطر، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا يخدم العلم ويرتقي إلَّا بهذا النوع من البحوث، وليس بمجرد الخطاب الجماهيري، الَّذي يحشد العواطف، ويلهب المشاعر، ويحرك العوام، وإن كان هذا قد يحتاج إليه بقدر في بعض الأوقات.

ولكن الَّذي تفتقر إليه الأمة دائمًا هو البحث العلمي الأصيل، الَّذي لا يكتفي بالنظر إلى السطوح، ولكنَّه يغوص في الأعماق، ليلتقط اللآلئ والجواهر، ويخرج بها بعد ذلك للناس لينتفعوا بها.

إنَّ أمتنا أمة صاحبة رسالة حضارية متميزة بربانيتها الأصيلة، وإنسانيتها الجميلة، وأخلاقيتها النبيلة، وعالميتها الفاضلة، ووسطيتها المتكاملة، وقد قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فليست هذه الأمة نباتا بريا ـ أو شيطانيا حسب تعبير بعضهم ـ خرج وحده في البرية، دون أن يزرعه زارع، أو يغرسه غارس، بل هذه أمة (مجعولة) أو (مخرجة)، جعلها الله أمة وسطا، وأخرجها للناس؛ لهداية الناس، ونفع الناس، وإسعاد الناس.

ولكي تؤدِّي هذه الأمة رسالتها في الحياة، حدَّد الله لها مرجعيتها العليا، ولم يدعها لأهوائها ولا لأهواء غيرها، تعبث بها عبث الرياح بأوراق الشجر، فقيدها بشريعة ربانية، ثابتة الأصول، مرنة الفروع، ثابتة

QaradawiBooks.com

الأهداف، متطورة الوسائل. فقال تعالى لرسوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ١٨ ـ ٢٠].

إنَّه القرآن الَّذي يجسد هذه البصائر والهدى والرحمة، وهو المرجع الأوَّل لهذه الشريعة، والسُّـنَّة النبويَّة هي المرجع الثاني لها، وهي الَّتي تتولى بيان القرآن، تفصل مجمله، وتفسر مبهمه، وتقيد مطلقه، وتخصص عمومه، وتضع له الصور التطبيقيَّة النموذجية، فهي التفسير النظري والتطبيق العملي للقرآن الكريم، وقد أحسنت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، إذ سُئِلت عن خُلُق رسول الله ﷺ، فقالت، وما أبلغ ما قالت: كان خُلُقه القرآن[1].

ولهذا كان علينا أن نجلي معالم السنة، ونذود عن حياضها، ونزيح غبار الشبهات والجهالات عن جوهرها، خدمة للإسلام وللقرآن نفسه، كما قال تعالى لرسوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وأن يكون لنا حظ من جهاد أولئك «الخلف العدول»، الَّذين يحملون علم النبوة، وميراث الرسالة: «**ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[2]. جعلنا الله منهم، وممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، ومن

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١).

(٢) سبق تخريجه صـ٧١.

QaradawiBooks.com

الطائفة المنصورة، الَّتي استفاضت الأحاديث النبويَّة في الإخبار عنها، بأنَّها ستظل قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتَّى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون[1].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

يوسف القرضاوي

رئيس التحرير

(١) إشارة إلى عدة أحاديث، منها: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنَّما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرُّهم من خالفهم». رواه البخاري في العلم (٧١)، عن معاوية. وما رواه مسلم في الإمارة (١٩٢٠)، عن ثوبان: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك». وما رواه البخاري في المناقب (٣٦٤٠)، ومسلم في الإمارة (١٩٢١)، عن المغيرة بن شعبة: «لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون».

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة «المجلة العلميَّة للمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث»[1]

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الَّذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، وآله وصحبه مصابيح الدجى، ومن بهم اقتدى فاهتدى.

(أمَّا بعد)

فمن فضل الله على المسلمين، ومن تمام نعمته عليهم: ظهور هذه الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة، الَّتي عمت المشارق والمغارب، والَّتي نلمس على كل صعيد آثارها، ونرى في كل المجتمعات أنوارها، ونقطف ما بين الحين والحين ثمارها.

ولقد تجلت هذه الصحوة في داخل العالم الإسلامي، وخارج العالم الإسلامي، حيث تعيش التجمعات الإسلاميَّة المختلفة، الَّتي يعبر عنها بـ «الأقليات المسلمة». وبعض هذه الأقلِّيَّات يكون عشرات الملايين، وبعضها يكون الألوف، وكلهم تداركتهم الصحوة، وعمتهم اليقظة، فبدؤوا يشعرون بهويتهم، ويحسون بتميزهم وذاتيتهم، ويؤمنون برسالتهم وأمتهم، وأن عليهم دورًا يجب أن يؤدوه لأنفسهم وذراريهم وإخوانهم، وللمجتمع الَّذي يعيشون فيه وأصبحوا جزءًا منه، لهم حقوقه

(١) العدد الأول، ربيع الثاني ١٤٢٣هـ ـ حزيران (يونيو) ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

وعليهم واجباتــه، وكذلك لأمتهم الكبــرى الَّتي ينتمــون إليها عقديًّا، وتتصل بها جذورهم الدينيَّة والروحية.

وكان من هذه الأقلِّيَّات المســلمة؛ المســلمون الَّذين يعيشون في أوربا، الَّتي كانت صلتها بالعالم الإســلامي طوال القرنين الماضين؛ صلة صدام عســكري وسياســي وفكري وديني، انتصــر فيه الغرب الاســتعماري إلى حد كبير في أوَّل الأمر، وســيطر الغرب على ديار الإســلام، ثمَّ بدأ المســلمون يتحررون من نير الاســتعمار الغربي، ويحصلون على اســتقلالهم، وبدأ نوع من التعايش بين العالم الغربي والعالم الإسلامي، والهجرة من بلاد المسلمين إلى الغرب، وخصوصا من المغرب العربي إلى فرنســا، ومــن تركيا إلى ألمانيــا، ومن بلاد الكومنولــث (الهند الكبرى) إلــى بريطانيا، وهجــرات أخرى عربية وإسلاميَّة إلى بلدان أوربية شتَّى.

وقد انضم هــؤلاء إلى المســلمين من أصل أوربــي، وكون هؤلاء وأولئك جميعًا «الأقلِّيَّة المسلمة» في أوربا.

وبعد أن أدركت الصحوة المســلمين فــي أوربة، طفقــوا يكونون المؤسســات الَّتي تحفظ عليهم هويتهم، وتســاعدهم على أن يعيشــوا بإســلامهم في وســط المجتمع الكبير من حولهم، غيــر مفرطين في أصولهــم، ولا منعزلين عن مجتمعاتهــم، وهذه هــي المعادلة الصعبة المطلوبــة مــن كل الأقلِّيَّات المســلمة: محافظة بلا انغــلاق، واندماج بلا ذوبان.

وكان من المؤسسات المهمة والفاعلة الَّتي أنشأتها الأقلِّيَّات المسلمة

QaradawiBooks.com

في أوربــة: المجلس الأوربي للإفتاء والبحــوث، والَّذي يضم عددًا من العلماء الَّذين يعيشــون في الغرب، وهم الأكثرية، كمــا يضم عددًا من علماء الشــرق، ممَّن يهتمون بالشأن الإســلامي في الغرب، ليكون هذا المجلــس مرجعية دينيَّة للمســلمين، تعمل على توحيــد الفتوى بينهم ما أمكن ذلك، وتبحث في المشــكلات العويصة الَّتي تعترض حياتهم، وتحتاج إلى علاج من صيدلية الشريعة الغراء، بعيدًا عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وقد اجتمع هذا المجلس ثماني دورات، وبحث في مشــكلات مختلفــة، ووضع لها حلولًا من الفقه الإســلامي الخصــب، أحيانًا بالإجماع، وهــو الأكثــر، وأحيانًا بالأغلبيَّة، كما هو شــأن ســائر المجامع، وكما أجاب عن كثير من أسئلة الإخوة المسلمين في أوربا الَّتي تشغل بالهم.

وقد كان جهد المجلس في الســنوات الماضيــة منصبا على جانب «الإفتــاء»، مرجئًــا جانب «البحــوث»، وهي جزء لا يتجــزأ من مهمته المزدوجة: الإفتاء والبحوث معًا.

وقد اختار المجلــس الأخ الفاضل العالم الباحث الأســتاذ الدكتور عبد المجيد النجار؛ لينهض بهذا العبء، فكان عند حسن الظن به، وبدأ يؤصل العمل البحثي، ويشيد له أركانه الأساسيَّة، ومنها هذه «المجلة»، الَّتي يصدر منها هذا العدد الأوَّل، ليســد هذه الثغرة، ويعبر عن أهداف المجلس، ويسهم في تنشيط العمل العلمي، وتعميق الفكر الإسلامي في هذا المجال.

QaradawiBooks.com

وإنِّي لأرجو أن يكون هذا العدد باكورة طيبة مباركة في هذا المجال، كما أرجو من الإخوة العلماء والباحثين في المجلس وخارجه أن يتعاونوا معه في تحقيق الهدف المنشود، سائلًا الله تعالى أن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وغدنا خيرًا من يومنا، إنَّه سميع مجيب.

يوسف القرضاوي

رئيس المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث

غير مخصص للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

مقدمة
«تقرير الأُمَّة في عام»[١]

يقول الإمام الراغب الأصفهاني في «مفردات القرآن»: الأمة: كل جماعة يجمعهم أمر ما، إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرًا أو اختيارًا. وجمعها: أمم. وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]. أي كل نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها بالطبع، فهي من بين ناسجة كالعنكبوت، وبانية كالسرفة[٢]، ومدخرة كالنمل، ومعتمدة على قوت وقته كالعصفور والحمام. وإلى غير ذلك من الطبائع الَّتي تخصص بها كل نوع[٣] اهـ.

وفي الحديث: «**لولا أنَّ الكلاب أُمَّة من الأمم؛ لأمرتُ بقتلها**»[٤]. وفيه دلالة على وجوب المحافظة على الأجناس من الانقراض.

---

(١) نشر مركز الدراسات الحضارية، تقرير حولي عن الشؤون السياسية والاقتصادية الإسلامية، سنة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢، ١٩٩٣م.

(٢) السُّرْفَة: دويبة غبراء تبني بيتا تكون فيه، وهي التي يضرب بها المثل، فيقال: أصنع من سُرْفَة.

(٣) مفردات القرآن صـ ٨٦، تحقيق عدنان صفوان داودي، نشر دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.

(٤) رواه أحمد (١٦٧٨٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الصيد (٢٨٤٥)، والترمذي في الأحكام (١٤٨٦)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الصيد (٣٢٠٥)، عن عبد الله بن مغفل.

QaradawiBooks.com

وقد وردت كلمة «أمة» في القرآن بمعنى الجماعة من النَّاس في (٤٤) أربعة وأربعين موضعًا، منها قوله تعالى على لسان إبراهيم وإسماعيل: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

ويقول صاحب «تاج العروس»: «الأُمَّة: كل جماعة أرسل إليهم رسول، سواء آمنوا أو كفروا»[١].

وينقل «اللسان» و«التاج» عن الليث: كل قوم نسبوا إلى نبي فأضيفوا إليه فهم أمته[٢]. ولهذا قيل: أمة مُحمَّد ﷺ. وبهذا اعتبروا عنصر الدين في تكوين الأمة وتمييزها أمرًا أساسيًّا.

بل قال بعض اللغويين: الأمة هي الدين، وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، أي كانوا على دين واحد. ويقال: فلان لا أمة له. أي لا دين له، ولا نِحْلة. قال الشاعر:

هَلْ يَسْتَوِي ذو أُمَّةٍ وكَفُورُ؟!

وقال الأخفش في قول الله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، أي خير أهل دين[٣].

وإذا صحَّ قول من قال: كل من بعث إليهم رسول من الرسل فهم أُمَّة له، وكان مُحمَّد ﷺ إلى النَّاس كافة: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، كان العالم كله بشرقه وغربه، وعجمه وعربه أمة مُحمَّد ﷺ. وهذا صحيح بالنظر إلى أمة الدعوة، فالمسلمون متفقون على أن أمة

(١) انظر: تاج العروس مادة (أ. م. م).
(٢) انظر: لسان العرب وتاج العروس مادة (أ. م. م).
(٣) انظر: تاج العروس شرح القاموس مادة (أ. م. م).

QaradawiBooks.com

مُحمَّد تشمل النَّاس جميعًا، ولكنَّهم اتفقوا كذلك على تصنيف هذه الأمة أو تقسيمها إلى قسمين:

الأوَّل: أمة إجابة، والمقصود بها كل من استجاب لدعوة مُحمَّد ﷺ، وآمن به، ودخل دينه.

والثاني: أمة الدعوة، وتشمل سائر العالم بعد ذلك.

وأمة الإجابة هي المقصودة إذا قيل: الأمة المسلمة، أو الإسلاميَّة، أو أمة محمد، أو ما شابه ذلك من العبارات، بل هي المقصودة بكلمة «الأمة» عند الإطلاق.

والمهم الآن أن نبيِّن بوضوح: هل توجد أمة مسلمة حقًّا؟ أو أن هذا وهم اخترعه علماء الإسلام ودعاته، ولا ظل له في الواقع؟

ومما لا نزاع فيه: أنَّ المسلمين ـ الَّذين رضوا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن كتابًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا ـ موجودون، ويزيدون على البليون عَدًّا، وإنَّما النزاع والخلاف: هل يكونون أمة أو لا؟

والحق الَّذي لا ريب فيه: أن هذا السؤال لم يدر بخلد مسلم طوال القرون الماضية، قبل عصر الاستعمار الثقافي أو الغزو الفكري لعالم الإسلام.

فقد كان من البديهيات، والمسلمات الأوليَّة عند المسلمين، خاصتهم وعامتهم، عربهم وعجمهم، في كل بقاع الأرض: أنَّهم أبناء أمة واحدة هي أمة الإسلام، حتَّى غزتهم فكرة العصبيات الإقليميَّة والقومية، وهي فكرة مستوردة من أرض غير أرضهم، وتراث غير تراثهم، فأرادت أن تجعل الأمة الواحدة أممًا، تتنافس، بل تتجافى، بل تتعادى، بل تتقاتل.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الأُمَّة الإسلاميَّة حقيقة بكل المعايير:

ومع هذه المحاولات الغازية نستطيع أن نقول: إن «الأمة» باقية ولم تمت، ولن تموت، وهي حقيقة لا وهم، وهي حقيقة بمنطق الدين، حقيقة بمنطق التاريخ، حقيقة بمنطق الجغرافيا، حقيقة بمنطق الواقع، حقيقة بمنطق المصلحة، حقيقة بمنطق الآخرين.

هي حقيقة بمنطق الدين:

الأُمَّة الإسلاميَّة حقيقة بمنطق الدين، فالقرآن الكريم هو الَّذي اعتبر المسلمين «أُمَّة»، بل «أمة واحدة»، ولم يعتبرها «أمما»، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وفي السُّنَّة النبويَّة أحاديث جمَّة تتحدث عن الأمة، مضافة إلى النبي ﷺ، أو معرفة بالألف واللام، ومنها قوله: «**مثل أُمَّتي كالمطر، لا يُدْرى أوَّله خيرٌ أم آخره**»[(١)].

«**ولا تزال طائفةٌ من أُمَّتي قائمين على الحقِّ...**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (١٢٣٢٧)، وقال مخرِّجوه: حديث قوي بطرقه وشواهده. والترمذي في الأمثال (٢٨٦٩)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٢٨٦)، عن أنس بن مالك.

(٢) سبق تخريجه صـ ٧٦٣.

QaradawiBooks.com

«فُضِّلت هذه الأُمَّة على سائر الأمم بثلاثٍ: جعلت لها الأرض طهورًا ومسجدًا...»[(١)].

«كلُّ أُمَّتي يدخلون الجنَّة إلَّا من أبى»[(٢)].

«ليس من أُمَّتي من لم يُجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا»[(٣)].

«لا يجمع الله هذه الأُمَّة على ضلالة»[(٤)]، ومن تتبع ما ورد في «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» وجد الكثير الكثير.

هي حقيقة بمنطق التاريخ:

والأمة الإسلاميَّة حقيقة كذلك بمنطق التاريخ، فقد ولدت هذه الأمة مع الإسلام، ونمت بنموه واتسعت بانتشاره. وحملت مواريث رسالات السماء، وقيم حضارات الأرض، وظلت هي الأمة الأولى في العالم قرابة

---

(١) رواه مسلم في المساجد (٥٢٢)، وأحمد (٢٣٢٥١)، عن حذيفة.

(٢) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٠)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٢٢٧٥٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والحاكم في العلم (١٢٢/١)، وقال: ومالك بن خير الزيادي مصري ثقة، وأبو قبيل تابعي كبير. وقال الذهبي: مالك ثقة مصري. عن عبادة بن الصامت.

(٤) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٧)، وقال: غريب من هذا الوجه. وضعفه النووي في شرح مسلم (٦٧/١٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٨). ورواه الحاكم في العلم (١١٥/١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧/٣)، وقال: غريب من حديث سليمان عن عبد الله بن دينار، لم نكتبه إلَّا من هذا الوجه. وقال المناوي في فيض القدير (٣٤٤/٢): قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: في تخريج المختصر، حديث غريب خرجه أبو نعيم في الحلية واللالكائي في السنة، ورجاله رجال الصحيح لكنَّه معلول، فقد قال الحاكم: لو كان محفوظًا حكمت بصحته على شرط الصحيح، لكن اختلف فيه على معتمر بن سليمان على سبعة أقوال، فذكرها وذلك مقتضى للاضطراب والمضطرب من أقسام الضعيف. وقال السخاوي في المقاصد صـ ٧١٦: بالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة وشواهد متعددة في المرفوع وغيره. عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الألف عام، وامتدت فيها إلى الصين شرقًا، والأندلس غربًا، يحكمها خليفة واحد في معظم الأحيان، أو أكثر من واحد في بعض الأحيان، أو ينشق عنها بعض أصحاب النزعات الانفصالية، اتباعًا لهوى، أو تحقيقًا لكسب خاص، أو استجابة لكيد عدو ماكر.

ولكن برغم هذه النتوءات لم يزايل أبناءها الشعور العام بأنَّهم أمة واحدة، وأن مصيرهم واحد، وأن عدوهم واحد، وأن مصلحتهم واحدة، وأن خلاصهم في الاتِّحاد والتضامن، وهلاكهم في الاختلاف والتفرق والتنازع، وهو ما حذر منه كتابهم وسنة نبيهم، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وفي الصحيح: «**ولا تختلفوا؛ فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[1].

وهكذا عاش المسلمون لا يعرفون جنسية إلَّا الانتماء إلى الإسلام، وقانون «الجنسية» الحديث لم يعرفه المسلمون إلَّا منذ نحو سبعين عامًا.

إنَّ الَّذي ثأر لمصر وكرامتها من جيش نابليون الَّذي اقتحم بخيله الأزهر، كان طالبًا أزهريًّا من حلب، هو سليمان الحلبي.

والذي أيقظ الشرق العربي، وأوقد فيه الشرارة ضد الاستعمار رجل قدم من أفغانستان.

وقبل ذلك الَّذين قادوا معارك التحرير لطرد الصليبيين وإنقاذ القدس الشريف، لم يكونوا عربًا، بل منهم التركي مثل عماد الدين زنكي وابنه نور الدين، أو الكردي مثل صلاح الدين الأيوبي.

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

هي حقيقة بمنطق الجغرافيا:

وهي حقيقة بمنطق الجغرافيا، فالأمة الإسلاميَّة تعيش في أقطار متصلة متشابكة، بعضها موصول ببعض، من «جاكرتا» شرقًا، إلى «رباط الفتح» غربًا، أو من المحيط إلى المحيط، أي من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي.

ومن رأى خارطة للعالم الإسلامي وجد «اللون الأخضر» الَّذي يرمز إلى العالم الإسلامي ـ أي البلاد ذات الأغلبيَّة المسلمة ـ متصلًا متماسك الحلقات، وذلك أن امتداد الإسلام كان امتدادا طبيعيًّا، يدخل البلد فيؤثر فيما حوله، ومن حوله يمنة ويسرة، ثمَّ ينتشر انتشار نور الفجر في الغسق، ما شاء الله له أن ينتشر فيما يحيط به وما يجاوره، شيئًا فشيئًا، حتَّى يعوقه عائق ما فيتوقف حتَّى تتاح له فرصة أخرى.

إنَّ دار الإسلام على سعتها، وتعدد أقطارها، تمثل وطنًا واحدًا مترابط الأجزاء، وتكاد الحدود السياسيَّة بين بلدانه كلها تكون مصطنعة، وجلها من صنع الاستعمار الَّذي فرض التجزئة والتشرذم على دار الإسلام منذ احتلاله لها، وكان ذلك أكبر همه، ورأس طموحاته، ومن هنا كان وجود إسرائيل جسمًا غريبًا في كيان الأمة، وحاجزًا مصنوعًا بين شرقها وغربها.

هي حقيقة بمنطق الواقع:

وهذه الأمة حقيقة بمنطق الواقع، فالَّذي يقرأ واقع المسلمين بعمق يدرك ـ إن كان منصفا ـ أنَّ الشعور بوجود الأمة ووحدتها، والإحساس بآلامها وأفراحها، شعور سائد ومتغلغل في كيان أبنائها وأعماق

QaradawiBooks.com

وجدانهم، وخصوصًا في أوقات الشدائد والمحن، فهي الَّتي تكشف الدفين، وتبرز المكنون.

لا أتحدث عن الحكام والمتسلطين وعبيد الفكر الغربي، ممَّن انفصلوا عن ضمير أمتهم، وغرب الاستعمار الثقافي مشاعرهم، كما غرب أفكارهم. إنَّما أتحدث عن جمهور الأمة العريض، من المثقفين وغير المثقفين، الَّذين يخفون لنجدة كل منكوب، ومساندة كل مستضعف، ومعاونة كل ذي فاقة من أبناء الإسلام حيثما كانوا.

رأيناهم يتحرقون من أجل المسجد الأقصى، ويفرحون ويمرحون إذا حققت الانتفاضة نصرا، ويحزنون ويبكون إذا مس رجالها قرح، رأيناهم يتجاوبون مع أبناء البوسنة والهرسك، يتبرع الرجال بالمال، والنساء بالحلي، ويطالب الشباب بالسماح له بالذهاب إلى أرض المعركة للمشاركة في الجهاد، وتشتعل القلوب نارًا كلَّما سمعت باغتصاب المسلمات، أو قتل المدنيين العزل.

وقد حكى لي بعض الإخوة في هيئة الإغاثة بأوربا: أنَّ بعض المسلمين جاؤوهم بتبرعات عينية ونقديَّة للبوسنة، ثمَّ طلبوا منهم أن يعلموهم الوضوء والصلاة، فلم يسبق لهم أن دخلوا مسجدا قط، إنَّما حركهم ما شاهدوه في التلفاز من عدوان على حرمات إخوانهم!

في يونيو أو حزيران سنة ١٩٦٧م عقب النكبة الشهيرة، فتح في قطر باب التطوع من أجل فلسطين، فكان أكثر النَّاس حماسًا، وأسرعهم إلى الاكتتاب هم الإخوة الباكستانيين. وفي مقابل هذه وجدنا الإخوة العرب يشاركون إخوانهم في أفغانستان، حين دعا داعي الجهاد باسم الإسلام، بل شارك معهم أفارقة وأوربيون وأمريكيون، ممَّن شرح الله صدورهم بنور الإسلام.

QaradawiBooks.com

إنَّ الخطباء في كل جمعة يدعون الله تعالى ويسألونه النصر والتمكين وصلاح الحال لبلادهم وبلاد الإسلام كلها. ومن الأدعية المتوارثة: اللهمَّ اجعل بلدنا هذا آمنًا مطمئنًّا، سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين. ومنها: اللهمَّ انصر الإسلام وأعز المسلمين.

هي حقيقة بمنطق الآخرين:

بل نقول: إنَّ الأمة الإسلاميَّة حقيقة واقعة بمنطق أعداء المسلمين أنفسهم. فإذا كان من أبناء المسلمين، والمسمين بأسمائهم: من يجهل هذه الحقيقة، أو يتجاهلها، أو يحاول طمسها وجحودها لهوى في نفسه، فإن خصوم هذه الأمة يعرفون هذه الحقيقة حق المعرفة، وينظرون إلى المسلمين باعتبارهم أمة ذات عقيدة واحدة، وفلسفة كلية واحدة، وقيم أساسيَّة مشتركة، وأصول فكريَّة وخلقية جامعة، وتطلُّعات طموحة متلاقية.

ولهذا لا يلتفتون كثيرًا إلى التقسيمات السياسيَّة الَّتي صنعوها هم، ولا إلى الخصومات القومية، والاختلافات الإقليميَّة، والصراعات السياسيَّة، والنزاعات الحدوديَّة، وغيرها، ممَّا يعلمون أن لهم في تأجيجه، بل في تكوينه في الأصل، يدا لا تنكر، إنَّهم يعلمون أن «روح الأمة» شيء أعمق من هذه القشرة الظاهريَّة.

إنَّه شعور عميق بوجودها وخلودها ووحدتها ورسالتها، وهم يدركون جيدًا وجود هذا الشعور وتناميه يومًا بعد يوم، كلَّما عمت اليقظة، وعمقت الصحوة، وارتفعت راية الدعوة، إنَّهم لهذا يكيدون للصحوة في الشرق، ويعوقون مسيرتها في الغرب، حتَّى إن تمسك بعض التلميذات في مدرسة ما بالتزام الحجاب ليزلزل كيانهم، ويؤرق أجفانهم، وإنَّ إنشاء «كلية للدراسات الإسلاميَّة» ليزعج كبارهم، ويروع صغارهم، وإن

QaradawiBooks.com

استقلال بلد مسلم صغير مثل «البوسنة»، لم يكن أكثره يعرف من الإسلام إلَّا الشهادتين، ليفزعهم ويخلع قلوبهم. حتَّى أجمعوا أن يتعاونوا على إبادته، كي لا يرتفع علم للإسلام في أوربا، بعد أن طرد منها مرتين: مرَّة من الأندلس، ومرة من البلقان. حتَّى صرح زعيم روسي يميني في هذه الأيام هو «جرينوفسكي» بأن ما يقوم به الصرب «حرب مقدسة»!

من أجل هذا تنادوا بالوقوف في وجه ما سموه «الخطر الأخضر» يعنون به الإسلام، بعد أن انزاح «الخطر الأحمر» بانهيار الاتِّحاد السوفيتي، وسقوط الشيوعيَّة الماركسية في دولتها الأم، وفي أوربا الشرقيَّة، وبعد زوال «الخطر الأصفر» بالتقارب مع الصين. وليس هذا الأمر بجديد، فقد حذروا من هذا الخطر من قديم.

ومن أوضح الكلمات المعبرة عن هذه الروح المتوجسة من قوَّة الإسلام، ما نقله مؤلفا كتاب «التبشير والاستعمار» عن بعض الأوربيين: «لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة، ولكنَّا ـ بعد اختبار ـ لم نجد مبررًا لهذا الخوف. لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي، وبالخطر الأصفر، وبالخطر البلشفي (الشيوعي). إلَّا أن هذا التخويف كله لم يتفق كما تخيلناه. إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثمَّ رأينا أنَّ البلاشفة حلفاء لنا. أمَّا الشعوب الصفراء، فهناك دول ديمقراطية كبرى تقاومها. ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قوته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته. إنَّه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي»[1].

(١) التبشير والاستعمار للدكتور عمر فروخ والدكتور مصطفى الخالدي صـ ١٨٤، نشر المكتبة العصرية، بيروت، ط ٥، ١٩٧٣م.

QaradawiBooks.com

إنَّهم لا ينظرون إلى واقع المسلمين المجزأ بالفعل، بل إلى الكيان الواحد القائم بالقوة، الكامن في أعماق القلب والوجدان.

منطق المصلحة والعصر:

على أنَّه لو لم يفرض علينا منطق الدين والتاريخ والجغرافيا والواقع ونظرة الآخرين إلينا: أن نكون أُمَّة بالفعل؛ لوجب علينا ـ تبعًا لمنطق المصلحة، ومنطق عصرنا نفسه ـ أن نخترع لنا أمة كبرى، نتكثر بها، وننضم إليها، ونحتمي بحماها، فمصلحتنا العليا توجب أن نبحث لنا عن تكتل كبير، نستكثر به من قلة، ونعتز به من ذلة، ونقوى به من ضعف، ونأمن به من خوف، كما قيل:

أَلَمْ تَرَ أنَّ جَمْعَ القَوْمِ يُخْشَى وأنَّ حَرِيمَ واحدِهم مُبَاحُ[1]؟

إنَّ التكتل ضرورة عسكريَّة، حتَّى لا يؤكل المسلمون بلدًا بلدًا، كما يلتهم الرغيف لقمة لقمة.

تَأْبَى الرِّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكَسُّرًا وإذا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ أَفْرَادَا[2]

وهو ضرورة اقتصاديَّة؛ لأنَّ الإنتاج الصغير لا يستطيع أن ينافس أو يصمد أمام الإنتاج الكبير، ومن المستحيل أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطورة فرادى مبعثرين، فإنَّ تكلفتها هائلة، ولا يتحملها قُطر واحد، وقد رأينا الدول الصناعيَّة تتعاون فيما بينها لإنتاج طائرة متطورة ذات إمكانات خاصَّة، ولهذا قلنا: إن منطق عصرنا يفرض على المتشابهين أن

(١) القائل: يامض الكلابي، كما في محاضرات الأدباء (٣٣٣/١)، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢) ذكره من غير نسبة ابن عرب شاه في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء صـ ٧٩، تحقيق أيمن عبد الجابر البحيري، نشر دار الآفاق العربية، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

يتحدوا ويتكتلوا، وإلا سحقتهم الكتل الكبيرة من حولهم. فلا مكان في عالم اليوم للصغار والضعفاء.

إنَّ العالم يتكتل اليوم في أشكال مختلفة، يكمل بعضها بعضًا: في شكل تجمعات اقتصاديَّة كبرى، وكثيرًا ما تتحول هذه التجمعات الاقتصاديَّة إلى تجمعات سياسيَّة، فقلما ينفصل الاقتصاد عن السياسة.

لقد قيل قديمًا: من لم يكن له أهل فليصطنع أهلًا. أي عن طريق المصاهرة أو الحلف ونحوه، ونحن لنا أهل والحمد لله، أهلنا هم أمة الإسلام، فلا مناص لنا من أن نتكتل، حتَّى نحافظ على وجودنا ونعمل على تطوير أنفسنا، وهذا التكتل لم يعد نافلة، تأكد أنَّه فريضة، بل هو كما أقول دائمًا: فريضة وضرورة، فريضة يحتمها الدين، وضرورة يحتمها الواقع.

لقد أثبتت محنة الخليج وما صحبها من آثار مدمرة لمادياتنا ومعنوياتنا، أنَّنا ـ نحن العرب والمسلمين ـ نعاني في حياتنا خللًا قاتلًا، ونشكو فراغًا هائلًا، وأن هذا الخلل يجب أن يسد، وأنَّ هذا الفراغ يجب أن يملأ، وإلا واجهتنا الأزمات الكبرى الَّتي لا نجد لها حلًّا.

ذلك أن أساس المشروعيَّة لدولنا الإقليميَّة والقومية، الحديثة والمعاصرة، الَّتي تضمها جامعتنا العربيَّة أو ينتظمها ما سمي «منظمة المؤتمر الإسلامي» أساس واه ضعيف، من وجهة النظر الإسلاميَّة الخالصة. وفي أوَّل تجربة أو امتحان اهتز هذا الأساس، بل أوشك أن ينهار؛ لأنَّه يفتقد المشروعيَّة العقائدية العليا الَّتي تسنده، وتمنحه مبرر الوجود والبقاء.

QaradawiBooks.com

لقد كان للمسلمين خليفة يناديهم في الأزمات أن هبوا، وكان يستنصر به المستضعفون إذا أغير عليهم، ويحسب حسابه الخصوم إذا فكروا في اقتحام حماهم، واليوم لم يعد لهم خليفة يمثلهم، ولا لهم (بابا) كبابا النصارى، فلا قيادة سياسيَّة، ولا قيادة دينيَّة. لقد ضيع المسلمون الخلافة، ولم يستطيعوا أن يوجدوا نظامًا بديلًا. والعيب هنا عيب المسلمين، لا عيب الإسلام، فالإسلام قد وحد الأمة، وشرع لها ما يحقق وحدتها ويصونها.

أمة ذات شعوب متعددة:

فالمسلمون ـ في نظر الدين ـ أمة واحدة، ذات شعوب متعددة بتعدد الأجناس واللغات والأوطان، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وتعدد الشعوب في الأمة المسلمة لا يجعل منها مشكلة إذا كان الإسلام هو الموجه لها، والحاكم لتصرفاتها، فالإسلام يذيب الفوارق بين هذه الشعوب، بعقائده وقيمه، وأحكامه وآدابه، ويصهر الجميع في بوتقته، ويكون اختلافهم في هذا الحال اختلاف تنوع وإثراء، لا اختلاف تضاد وتصارع، فإن ولاء الجميع لله ولرسوله ولجماعة المؤمنين، واعتزاز الجميع بالدين الَّذي أكرمهم الله به، وارتضاه لهم منهاجا، وارتضاهم له جنودا، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ولا ينبغي أن يضيق الوطنيون والقوميون المخلصون بالانتماء إلى الأمة الإسلاميَّة، فإن الانتماء إلى الأمة الكبرى لا يلغي الانتماء إلى الأوطان أو الأقوام، ولا ينكر الإسلام حب الإنسان لوطنه، أو قومه، فهذا

QaradawiBooks.com

أمر فطري، والإنسان ينتمي إلى دوائر متعددة تتداخل وتتكامل ولا تتناقض. وقد كان الصحابة ينتمون إلى أقوامهم وقبائلهم بلا حرج، فسلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وآخرون قرشي، وأوسي، وخزرجي، وغفاري ودوسي، إلخ.

وقد قلت في ندوة «الصحوة الإسلاميَّة وهموم الوطن العربي» في عام ١٩٨٧م: إنَّني أنتمي في وقت واحد إلى عدة دوائر، لا أجد بينها أي تضاد، فأنا أنتمي إلى أسرتي «القرضاوي»، وإلى قريتي الصغيرة «صفط تراب»، وإلى محافظتي «الغربيَّة»، وإلى وطني الصغير «مصر»، وإلى وطني الكبير «بلاد العرب»، وإلى وطني الأكبر «دار الإسلام». فأنا قرضاوي صفطاوي غرباوي مصري عربي مسلم.

وأنا كذلك أزهري بحكم دراستي، جامعي بحكم مهنتي، أفريقي بحكم قارتي، إسلامي بحكم وجهتي، عالمي بحكم رسالتي. ولا تنافي بين هذا كله، ولا تناقض بين الوطنية والقومية والإسلاميَّة والعالميَّة، إذا وضع كل منها في موضعه الصحيح، إنَّما تُرفَض الوطنية والقومية إذا جعلناها بديلًا عن الإسلام، أو طعمناها بعناصر غربية عنها معادية للإسلام، أو مناقضة لعقيدته أو شريعته، مثل «العِلْمانيَّة» و«الماركسية»، وهذه وتلك ليست عنصرًا من عناصر تركيب الوطنية ولا القومية، فإن كلتيهما لا تتضمّن محتوى أيديولوجيًّا معينًا.

والانتماء إلى الأمة الإسلاميَّة يستوعب المسلمين وغير المسلمين، فهم جميعًا من أهل دار الإسلام، كما يقرر الفقهاء، وهذا ما فهمه الوطنيون المخلصون من أهل الكتاب، مثل الوطني المعروف مكرم عبيد في مصر، الَّذي قال: أنا نصراني دينا، مسلم وطنا. وهذا ما قلته للدكتور

QaradawiBooks.com

لويس عوض، حين طلب مني التعقيب على كلمته عندما زار قطر منذ سنوات، قلت له: أنت مسلم بحكم الثقافة والحضارة، وإن لم تكن مسلمًا بحكم الدين والعقيدة.

إنَّ الإسلامي الحق: وطني مخلص، وقومي مناضل، وعالمي أصيل، وأبطال الوطنية الأوائل في بلادنا كانوا إسلاميِّين، مثل الأمير عبد القادر في الجزائر، وأحمد عرابي ومصطفى كامل ومحمَّد فريد في مصر، وعمر المختار في ليبيا، وعبد الكريم الخطابي في المغرب، وأمين الحُسَيْني في فلسطين، ومحمَّد ناصر في إندونيسيا، وأبو الكلام آزاد في الهند وغيرهم وغيرهم.

صلة العروبة بالإسلام:

وللعروبة ـ خاصَّة ـ صلة وثيقة بالإسلام، فهي وعاء حضارته، ولسان ثقافته، ولغة عبادته، ودار مقدساته، ومثوى نبيه، ومنطلق دعوته إلى العالم، والعرب هم عصبة الإسلام، وحملة رسالته الأولون، ونقلة قرآنه، ورواة سنته، ومعلمو الأمم الَّتي دخلت مختارة في دين الله.

وفي مصر وبلاد المغرب العربي كله، لا يفرق النَّاس بين العروبة والإسلام، ولا بين العرب والمسلمين، وإذا قال الخطيب في المسجد: اللهمَّ انصر العرب. فهي تساوي: اللهمَّ انصر المسلمين. والعكس كذلك. وقد عبر عن هذا الشاعر المصري محمود غنيم رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله:

إِنَّ العُرُوبَةَ لَفْظٌ إِنْ نَطَقْتَ بِهِ فالشَّرْقُ والضَّادُ والإسلامُ مَعْنَاهُ[1]

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم (٨٠/١)، نشر دار الغد العربي، ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

كلمات مضيئة لحسن البنَّا:

ولم أجد في المُجَدِّدين الإسلاميِّين من فقه هذا المعنى، وعبر عنه بغاية الوضوح في بيان مقنع ورائع مثل الإمام حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ.

وحسبي هنا أن أنقل فقرة من كلامه في «رسالة المؤتمر الخامس»، حيث يتحدث عن موقف الإخوان من الوحدة الوطنية ـ وكانت تسمى حينذاك «الوحدة القومية» ـ والوحدة العربيَّة، والوحدة الإسلاميَّة، وبدأ الحديث عن الوحدة الوطنية، حيث يظن كثير من النَّاس أن تمسك الإخوان بالفكرة الإسلاميَّة يمنعهم من الإخلاص للناحية الوطنية، فيقول:

«إنَّ الإسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص منها: أن يعمل كل إنسان لخير بلده، وأن يتفانى في خدمته، وأن يقدم أكثر ما يستطيع من الخير للأمة الَّتي يعيش فيها، وأن يقدم في ذلك الأقرب فالأقرب رحمًا وجوارًا، حتَّى إنَّه لم يجز أن تنقل الزكوات أبعد من مسافة القصر ـ إلَّا لضرورة ـ إيثارًا للأقربين بالمعروف. فكل مسلم مفروض عليه أن يسد الثغرة الَّتي هو عليها، وأن يخدم الوطن الَّذي نشأ فيه، ومن هنا كان المسلم أعمق النَّاس وطنية؛ لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين.

وكان الإخوان المسلمون بالتالي أشد النَّاس حرصًا على خير وطنهم، وتفانيًا في خدمة قومهم، وهم يتمنون لهذه البلاد العزيزة المجيدة كل عزة ومجد، وكل تقدم ورقي، وكل فلاح ونجاح، وقد انتهت إليها رياسة الأمم الإسلاميَّة بحكم ظروف كثيرة تضافرت على

QaradawiBooks.com

هذا الوضع الكريم، وإنَّ حب المدينة لم يمنع رسول الله أن يحن إلى مكَّة، وأن يقول لأصيل، وقد أخذ يصفها: «**يا أُصَيْل، دع القلوب تَقِرّ**»[١]، وأن يجعل بلالًا يهتف من قرارة نفسه:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وحَوْلِي إِذْخِرٌ وجَلِيلُ؟
وهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وهل يَبْدُوَنْ لي شَامَةٌ وطَفِيلُ؟[٢]

فالإخوان المسلمون يحبون وطنهم، ويحرصون على وحدته القومية بهذا الاعتبار، ولا يجدون غضاضة على أي إنسان يخلص لبلده، وأن يفنى في سبيل قومه، وأن يتمنى لوطنه كل مجد، وكل عزة وفخار.. هذا من وجهة القومية الخاصَّة.

ثم إنَّ الإسلام الحنيف نشأ عربيًّا ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه بلسان عربي مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين، وقد جاء في الأثر: إذا ذلَّ العرب ذلَّ الإسلام[٣]، وقد تحقق هذا المعنى حين دال سلطان العرب السياسي، وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه.

وأحب هنا أن ننوِّه إلى أنَّ الإخوان المسلمين يعتبرون العروبة، كما

(١) رواه أبو الفتح الأزدي في المخزون في علم الحديث صـ ٤٦، ٤٧، عن بديح بن سبرة السلمي، نشر الدار العلمية، دلهي، الهند، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) رواه البخاري في فضائل المدينة (١٨٨٩)، عن عائشة.

(٣) رواه أبو يعلى (١٨٨١)، وقال الهيثمي في المجمع (١٦٦٠٧): رواه أبو يعلى، وفيه محمد بن الخطاب البصري، ضعفه الأزدي وغيره، ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح. عن جابر بن عبد الله.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عرفها النبي، فيما يرويه ابن كثير، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: «**ألا إنَّ العربيَّة اللسان، ألا إنَّ العربيَّة اللسان**»[١].

ومن هنا كانت وحدة العرب أمرًا لا بدَّ منه لإعادة الإسلام، وإقامة دولته، وإعزاز سلطانه. ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربيَّة وتأييدها ومناصرتها، وهذا موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربيَّة»[٢].

لماذا حدثت الجفوة؟

وإنَّما حدثت الجفوة بين العروبة والإسلام بدخول الغلاة من الفريقين في الميدان، فساء ظن كل منهما بالآخر، وساء تفسيره لفكرته، فرأينا في القوميين من يعتبر القومية العربيَّة «نبوة جديدة» للعرب، ومن يعتبر الإسلام مجرد «انتفاضة عربية»، ومن يجعل القومية فوق الدين، ومن يقول في شعره:

سَلَامٌ عَلَى كُفْرٍ يُوَحِّدُ بَيْنَنَا وأهلًا وسهلًا بَعْدَهُ بِجَهَنَّمِ[٣]

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠٧/٢١)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م. عن معاذ بن جبل، وقال شيخ الإسلام: هذا الحديث ضعيف وكأنه مركب على مالك، لكن معناه ليس ببعيد بل هو صحيح من بعض الوجوه. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٤٦١/١) تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، نشر دار عالم الكتب، بيروت، ط ٧، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) رسالة المؤتمر الخامس ضمن مجموعة الرسائل صـ ١٤١، ١٤٢. وانظر أيضًا: رسالة دعوتنا صـ ١١ وما بعدها، ورسالة دعوتنا في طور جديد صـ ٢٢٣، وانظر كتابنا: الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه صـ ١٧٨ ـ ١٨٣، فصل: مصرية عربية إسلامية، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٧، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٣) البيت للشاعر القروي رشيد سليم الخوري، كما في ديوانه الأعاصير صـ ١١١، نشر مطابع مجلة الشرق.

QaradawiBooks.com

ورأينا في الإسلاميِّين من يعتبر القوميين كلهم من هذا الصنف المذكور، ولا يفرق بين فصيل وفصيل، ويعتبر القومية كلها جاهليَّة، ولقد حدثت لقاءات وندوات للحوار بين الإسلاميِّين والقوميين قربت بين المنصفين والمعتدلين من التيارين، ليتفهم كل طرف ما عند الآخر، والتفهم إذا اقترن بالإنصاف كثيرًا ما يؤدي إلى التقارب والتواصل، بدلًا من التجافي والتقاطع.

خطر الصراع الجديد:

على أنَّ الصراع الآن ليس بين العروبيين والإسلاميِّين، فإنَّ هناك خطرًا داهمًا يهدد الفريقين جميعًا، وهو الخطر الصهيوني، الَّذي يشحذ أسلحته لغزو المنطقة، اقتصاديًّا وثقافيًّا، والهيمنة عليها وحذف العنوانين معًا: الإسلام والعروبة، وإظهار اسم جديد هو «الشرق الأوسط»، فلا يبقى اسم هذه المنطقة: العربيَّة أو الإسلاميَّة، بل «الشرق أوسطية»، الَّتي يكون لإسرائيل فيها نصيب الأسد، وموقع القيادة والتحريك.

ومما يؤسف له: أن نجد بعض الكبار في ديارنا يدور في هذا الفلك، ويدعو لهذا التوجه دونما وجل ولا خجل، بل وجدنا أحد الوزراء المسؤولين في بلاد الخليج العربي، يحطب في هذا الحبل، ويروج لهذه البضاعة الجديدة المشبوهة، في صراحة غريبة يحسد عليها[1]!

يقول الوزير: «لا شيء اسمه عروبة! خيال هذا الَّذي يطلقون عليه القومية العربيَّة! هذه كلها أحلام خلقناها وصدقناها، ونجري وراءها، بينما التاريخ والواقع والحقائق تثبت خطأها وعدم جدواها»!

(١) هو السيد يوسف العلوي وزير خارجية سلطنة عمان.

QaradawiBooks.com

وأكثر من ذلك ما أجاب به عن سؤال عن هذه (الموجودات) الَّتي تسمى «الجامعة العربيَّة» أو «مجلس التعاون الخليجي» و«إعلان دمشق» وغيرها من الكيانات وهي كثيرة.

يقول الوزير: الحقيقة المؤكدة، والواقع الثابت هو أن هناك كيانًا كبيرًا يسمى «الشرق الأوسط»، وهو الموجود في ملفات القوى العظمى والمتوسطة، وفي وزارات الخارجية والدفاع، وهو الَّذي توضع له الخطط، ويجري التعامل معه، إلخ.

وأدهى من ذلك وأمر أن يقول الوزير العربي: إنَّ اللغة العربيَّة هي سبب تفككنا، في حين يظن البعض أنَّها الجامع والرابط بين البلدان العربيَّة والشعوب العربيَّة!

اللغة العربيَّة ـ لدى الوزير الجريء ـ هي لغة الركون إلى الماضي، هي لغة الجمود وبطء الحركة، بما تحمله من بلاغة وبيان فارغ من أي مضمون[1]!

أرأيت كيف تصنع الهزيمة النفسيَّة بأصحابها؟ إنَّهم ـ تحت شعار الواقعيَّة ـ يتنازلون عن كل شيء، ويتخلون عن كل عزيز، وينسلخون من جلودهم لينفذوا ما تحويه ملفات القوى الكبرى، وما تخطط له وزارات الخارجية والدفاع، وما تحلم به إسرائيل!

إنَّ الوطن والقوم واللغة والتراث والدين والتحرر والوحدة... وكل المقدسات: ألفاظ لا معنى لها، وأوهام لا صلة لها بالواقع، أمَّا الواقع

(١) انظر: مقال حلقة نقاش للأستاذ محفوظ الأنصاري، جريدة الجمهورية القاهرية، بتاريخ ١٣ يناير ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

الماثل بالفعل فهو الشرق الأوسط وإسرائيل. فليكن هذا الواقع، فلماذا نستسلم له؟ ولا نجاهد لتغييره؟ لقد كانت إسرائيل حلما في حكم المستحيل، فأصبح واقعا يتحدانا، فلماذا نحرم أنفسنا أن (نحلم) بتغيير واقعنا الأسود، كما غير الآخرون؟

كل رسالات السماء، ونهضات الأرض، إنَّما قامت لتغيير الواقع، وتحقيق واقع أفضل. والمفارقة العجيبة هنا: أن إسرائيل وحدها من حقها أن تحلم وتحقق، ونحن ليس من حقنا مجرد أن نحلم! من حق إسرائيل أن تتحد بأحلام التوراة، وليس من حقنا أن نتحرك بوعود القرآن! من حق إسرائيل أن تحيي العبرية الميتة، ومن واجبنا نحن أن نميت العربيَّة الحية!

ذَلَّ مَن يَغبِطُ الذَّلِيلَ بِعَيشٍ ... رُبَّ عَيشٍ أَخَفُّ مِنهُ الحِمَامُ!
مَن يَهُن يَسهُلُ الهَوَانُ عَلَيهِ ... مَا لِجُرحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ[1]

لماذا لا يتَّحد المسلمون؟

وإذا كان اليهود قد حلموا بقيام دولة لهم تحيي تراثهم، وتجمع شتاتهم، ثمَّ حولوا الحلم إلى حقيقة، فأولى بالمسلمين أن يسعوا إلى توحيد أمتهم الكبرى بكل تياراتهم. حتَّى القوميون المخلصون ينبغي أن يحرصوا على توحيد الأمة الإسلاميَّة بصورة من الصور، فهي ظهير قوي للعرب، بل إنَّ الإسلام عرب عواطفهم، فجعلهم يحبون العرب، ولسان العرب، وأرض العرب؛ لأن رسولهم عربي، وقرآنهم عربي، وكعبتهم عربية.

(١) القائل: أبو الطيب المتنبي، كما في الأمثال السائرة من شعر المتنبي صـ ٣٠، نشر مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، وانظر: ديوان المتنبي صـ ١٦٤.

QaradawiBooks.com

ولا غرو أن يكون المسلمون أمة واحدة، فإن ربهم واحد، ورسولهم واحد، وكتابهم واحد، وقبيلتهم واحدة، وشعائرهم واحدة، وشريعتهم واحدة، وفلسفتهم الأساسيَّة عن الدين والحياة والله والإنسان واحدة.

ومن شأن هذا كله أن يوحدهم في العقيدة والوجهة، ويوحدهم في النظرة والفكرة، ويوحدهم في الولاء والبراء، وفي المودة والعداء، والَّذي أعنيه هنا هو: التوحيد في الكُلِّيَّات والأساسيات، لا في الجزئيات والتفصيلات، فإن هذه تختلف باختلاف الاجتهادات، وتتعدد بتعدد زوايا النظر، وتغير الزمان والمكان والإنسان. والاختلاف هنا سعة ورحمة إذا صدقت النيات، وفهم الاختلاف على وجهه، فلم يؤد إلى تفرق ولا عداوة بين المختلفين.

وقد ربط القرآن بين المسلمين برباط لا ينفصم، وهو رباط الأخوة الإيمانيَّة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ومعنى هذا: أنَّه لا يتحقق الإيمان بغير الأخوة، ولا معنى للأخوة إذا لم يشعر الأخ بآلام أخيه وهمومه، فالمسلم في أمته عضو في جسد حي، يأخذ منه ويعطيه، ويحيا به، ويصح بصحته، ويسلم بسلمه. وقد صور هذا الحديث المتَّفق عليه: «**ترى المسلمين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالحُمَّى والسهر**»[(١)].

وهذا التعاطف والتراحم يقتضي أن يثمر تعاونا وتساندا صوره النبي ﷺ بقوله: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا**» وشبَّك بين أصابعه[(٢)].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

وقال عليه الصلاة والسلام: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلِمه**»[١]. أي لا يخذله، ولا يتخلى عنه.

ولم يكتف الإسلام من المسلمين أن يكونوا أمة واحدة، في الأفكار والمشاعر، والشعائر والتقاليد، ثمَّ يدعهم بعد ذلك متفرقين في سياساتهم، مختلفين في أنظمتهم، متباينين في مصالحهم، متنابذين في ارتباطاتهم وولاءاتهم، هذا يشرق وهذا يغرب، وهذا يتجه إلى اليمين وذاك إلى اليسار، وهذا يوالي زيدا والآخر يوالي عمرا، وبهذا تتناقض مصالحهم، وتتضارب اتِّجاهاتهم، وتتباعد ولاءاتهم، وتتناكر سياساتهم، حتَّى يغدو بعضهم خصما لبعض، بدلا من أن يكون بعضهم أولياء بعض، بل إن بعضهم قد يستعين بالعدو الكافر على أخيه المؤمن.

وهذا شر ما تصاب به الأُمَّة: أن يجعل الله بأسها بينها، كما جاء في الحديث الصحيح[٢]، أو كما عبر كتاب الله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

ذكر القرآن ذلك في معرض العقوبات السماوية الَّتي ينزلها الله بالأمم إذا أعرضت عن هداه، كالعذاب من فوقهم، أو من تحت أرجلهم. ومعنى جعل بأس الأمة بينها: ألا يتجه بأس الأمة إلى خارجها، إلى عدوها، بل إلى الداخل، إلى نفسها.. فإذا كان من صفات الصحابة رضي الله عنهم أنَّهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، فإن من صفة هؤلاء أنَّهم أشداء على أنفسهم، رحماء مسترخون مع عدوهم.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٢) إشارة إلى حديث: «سألت ربِّي ثلاثًا، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة. سألت ربي: ألَّا يهلك أمتي بالسَّنَة فأعطانيها، وسألته ألَّا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألَّا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها». رواه مسلم في الفتن (٢٨٩٠)، وأحمد (١٥٧٤)، عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

وأكثر من هذا أن يعادي بعضهم بعضا، بل يحارب بعضهم بعضا. وهو ما حذر منه الرسول الكريم في حجة البلاغ أو الوداع، في بيانه العام للأمة في الشهر الحرام، والبلد الحرام حين قال: «**لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض**»(٣).

كما حذر القرآن من مكايد أعداء المسلمين، الَّذين لا يسرهم أن يروهم كالبنيان المرصوص، أو كالجسد الواحد، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

وسبب نزول الآية يبين المعنى: يردونكم بعد أخوتكم متعادين، وبعد اتحادكم وتلاحمكم متفرقين متمزقين، وحتَّى لا يحدث هذا التمزق في الأمة المسلمة، شرع لها الإسلام نظاما محكما، يجمع شملها، وينظمها في عقد متماسك الحبات، ويجسد وحدتها العقديَّة والروحية والفكريَّة في وحدة سياسيَّة عمليَّة، ويجعل منها كيانًا واحدًا قويًّا كبيرًا، كيانًا دينيًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا وسياسيًّا وعسكريًّا واقتصاديًّا.

ملاك الوحدة أمور ثلاثة:

وملاك هذا النظام الَّذي يضبط هذا الكيان الواحد أمور ثلاثة:

الأوَّل: وحدة دار الإسلام: فالمسلمون لهم دار واحدة، وإن تعددت أقاليمها، وتنوعت عناصر سكانها، واختلفت ألسنتهم وألوانهم، فهي أسرة واحدة تسكن هذه الدار، وإن تناءت أطرافها، واتسعت أقطارها،

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، مسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

وهم ـ كما سماهم الله ورسوله ـ إخوة، «**يسعى بذمَّتهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على مَنْ سواهم**»[١].

الثاني: وحدة المرجعية العليا: الَّتي تتجلى في الاحتكام إلى الكتاب والسُّنَّة، في ضوء اجتهاد معاصر قويم، يصل الحديث بالفقه، كما يصل الفقه بالواقع، ويزواج بين كليات المقاصد وجزئيات النصوص، ويميز بين الثابت والمتغير، بين القطعي والظني، بين المنطقة المغلقة والمنطقة المفتوحة، وهي معظم أحكام الشريعة، مقدرًا أن للضرورات أحكامها، وأنَّ الله يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر.

وينبغي أن يتمثل هذا الاجتهاد في صورة جماعية على مستوى الأمة، في صيغة «مجلس للمجتهدين»، ينظر في الاجتهادات القديمة، ليرجح منها ويختار، وفي المشكلات الحديثة، ليحكم في شأنها، وفق معايير منضبطة، لا أهواء منفرطة، سواء في اجتهاده الترجيحي الانتقائي، أم الإبداعي الإنشائي، ودون تعصُّب لرأيٍ قديم، ولا عبوديَّة لفكر جديد.

الثالث: وحدة القيادة المركزيَّة: أو الرئاسة العامَّة للأُمَّة كُلِّها، وهي الَّتي تتمثَّل في «الخليفة» أو «الإمام» الَّذي ينوب عن رسول الله ﷺ في إقامة الدين وسياسة الدُّنْيا به. والرسول الكريم ﷺ يشدد في إيجاب الوحدة، ولزوم الجماعة، والتحذير من الشذوذ والفرقة، حتَّى إنَّه يوجب استعمال القوَّة للحفاظ على وحدة الأمة، ووحدة قيادتها، فقد قال: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخِر منهما**»[٢]. وتنصيب هذا الإمام أو الخليفة

(١) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧٣)، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل (٢٢٠٨)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٣)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

واجب شرعي، أجمعت عليه الأمة كلها، على اختلاف مذاهبها، والنبي ﷺ يقول، فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه: «**من لقي الله وليس في عنقه بيعة لإمام مات مِيتَة جاهليَّة**»(١).

والصحابة رضي الله عنهم قدموا نصب الخليفة ومبايعته على دفن رسول الله ﷺ، إيمانًا منهم بأن هذا أمر لا يقبل التسويف والتأجيل. والخلافة أو الإمامة بهذه الصورة ليست مجرد سلطة تحكم بما أنزل الله، وتتخذ الإسلام منهاج حياة في إقليم من الأقاليم، فهذا لا يخرج عن كونه ولاية إسلاميَّة؛ إنَّما الخلافة تعني قيادة الأمة المسلمة الواحدة بشريعة الإسلام.

قد تختلف صور الوحدة وتتنوع، كما وقع قديمًا، ووقع حديثًا، ويقع اليوم، وحدة اندماجية، فيدرالية، كونفدرالية إلخ، المهم أن تتحقق هذه الأمور الثلاثة: وحدة دار الإسلام، ووحدة الرئاسة أو القيادة المركزيَّة، ووحدة المرجعية العليا.

وهنا لا يوجد مجال للتنازع على (الحدود) أو التقاتل عليها، كما هو حادث الآن، إذ الجميع أجزاء من كل، أو أقطار في وطن واحد، أو دار واحدة، أو دولة واحدة، ولو فرض أن حدث نزاع من هذا النوع، فإن حكم الإمام أو الخليفة يرفع الخلاف، ويزيل النزاع، وقد يكون هذا الحكم بواسطة «محكمة عدل إسلاميَّة»، يأمر الإمام بتكوينها، لتفصل في أمور الخلاف، وإذا كان القرآن قد أمر بالتحكيم في أمر الخلاف أو الشقاق بين الزوجين، ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥]، فأمر الأمة أحق وأولى وأعظم.

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥١)، عن ابن عمر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كما لا توجد هنا مشكلة الأغنياء والفقراء في توزيع الثروة، فإن ظهور ثروة طبيعية ضخمة كالنفط في جزء معين لا يعني أنَّها ملك هذا الجزء أو هذه المنطقة وحدها، بل هو ملك الأمة كلها، وإن كانت المنطقة الَّتي تظهر فيها الثروة تنعم بخيرها أكثر من غيرها بطبيعة الحال، كما هو مشاهد في العالم كله، حتَّى داخل الدولة الواحدة.

هذا هو نظام الخلافة أو الإمامة العظمى، الَّذي عرفه المسلمون منذ عهد أبي بكر الصديق، والخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الأمويين والعباسيين والعثمانيين، إلى أن جاء «أتاتورك» فاجترأ على هتك هذه المظلَّة الإسلاميَّة، وتهديم هذه القلعة التاريخيَّة، وأعلن في يوم أسود من سنة ١٩٢٤م، إلغاء الخلافة الإسلاميَّة العثمانيَّة، الَّتي كانت تُمَثِّل آخر تجمع لأمة الإسلام تحت راية العقيدة، وكان يوم مأساة وحداد وأحزان في طول العالم الإسلامي وعرضه، عبر عنه أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته الشهيرة، الَّتي نعى فيها الخلافة إلى الأمة، بعد أن ظنوا يوما أن أتاتورك أحد أبطالها، حتَّى قال له شوقي يومًا:

يَا خَالِدَ التُّركِ جَدِّد خَالِدَ العَرَبِ[1]

يقول شوقي في نعي الخلافة:

عَادَت أَغَانِي العُرسِ رَجعَ نُوَاحِ ... وَنُعِيتِ بَينَ مَعَالِمِ الأَفرَاحِ
كُفِّنتِ فِي يَومِ الزِّفَافِ بِثَوبِهِ ... وَدُفِنتِ عِندَ تَبَلُّجِ الإِصبَاحِ
ضَجَّت عَلَيكِ مَآذِنٌ وَمَنَابِرٌ ... وَبَكَت عَلَيكِ بِمَدمَعٍ سَحَّاحِ
وَالشَّامُ تَسأَلُ وَالعِرَاقُ وَفَارِسٌ ... أَمَحَا مِنَ الأَرضِ الخَلَافَةَ مَاحِ[2]**؟!**

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٥٩/١).

(٢) المصدر السابق (١٠٥/١، ١٠٦).

QaradawiBooks.com

ولا بدَّ للمسلمين أن يعملوا جادين لإحياء نظام الخلافة في صورة عصرية، مستفيدين من تجاربنا، وتجارب الأمم من حولنا، وإعادة الأمة إلى وحدتها، الَّتي أثبتت الأيام حاجتهم الماسة إليها، فهي فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الشرع، وضرورة تحتمها الظروف.

الحوائل دون الوحدة:

أذكر أنني عندما زرت تركيا لأول مرَّة عقب حرب يونيو سنة ١٩٦٧م، حرب الأيام الستَّة كما سموها وانتصار إسرائيل السريع والساحق على العرب، فكان من الأسئلة المتكررة الَّتي وجهت إلي: لماذا هزم العرب، وهم نحو مائة وخمسين مليونا، أمام إسرائيل وهي نحو مليونين؟ وبعبارة أخرى: لماذا انتصرت إسرائيل وهي دولة واحدة، على بضع عشرة دولة تضمها الجامعة؟

وكان جوابي: إن إسرائيل انتصرت، وانهزمنا نحن لأسباب كثيرة، أهمها اثنان:

أوَّلًا: أنَّهم دخلوا الحرب يهودا، ولم ندخلها مسلمين، دخلوها ومعهم التوراة، ودخلناها وليس معنا القرآن.

ثانيًا: أنَّهم دولة واحدة، ونحن بضع عشرة دولة. إرادة واحدة، واضحة الهدف، محددة الوسائل، أمام إرادات مختلفة متفرقة، غاب عنها الهدف، وضاع منها الطريق.

وقد سألني مندوب إحدى الصحف عن حكم الوحدة بين المسلمين في هذا العصر؟

فقلت: إنَّها فريضة لازمة في كل عصر، ولكنَّها في هذا العصر أوجب وألزم.

QaradawiBooks.com

قال: وما الَّذي يحول بين المسلمين والوحدة؟

قلت: حوائل كثيرة، أهمها خمسة:

١ ـ العصبيات العرقيَّة والإقليميَّة، الَّتي جعلت كل مجموعة من المسلمين تعتز بقوميتها، أو وطنها على حساب الانتماء إلى الأمة الكبرى، فهذا يدعو لقومية طورانية، وذاك يدعو لقومية عربية، وآخر لقومية هندية، أو فارسية، إلخ.

٢ ـ اختلاف المذاهب والاتِّجاهات الأيديولوجيَّة المستوردة من الغرب والشرق، من اليمين واليسار، فهذا استورد الديمقراطية الليبرالية، وذاك استورد الاشتراكيَّة الثوريَّة، هذا أخذ عن (روسو)، وذاك أخذ عن (ماركس).. هذا كتابه المقدس «الأمير» لميكيافلي، والآخر كتابه المقدس «رأس المال». هذا اتجه إلى اليمين، وذاك اتجه إلى اليسار، واليمين واليسار مراتب ودرجات، فهناك يمين اليمين، ووسط اليمين، ويسار اليمين، كما أنَّ هناك يمين اليسار، ووسط اليسار، ويسار اليسار. فكيف يتوحد هؤلاء، وأحدهم مشرق، والآخر مغرب؟

سَارَتْ مُشَرِّقَةً وسِرْتُ مُغَرِّبًا شَتَّانَ بَيْنَ مُشَرِّقٍ ومُغَرِّبِ[1]

٣ ـ اختلاف الولاءات، ما بين بلد وآخر، فهذا ولاؤه للندن، والثاني لباريس، والثالث لواشنطن، وآخرون ولاؤهم لموسكو أو بكين. وإذا لم يكن أصل الولاء لله ولرسوله وللذين آمنوا، فلا بدَّ أن تتعدد الولاءات وتختلف ويناقض بعضها بعضا، تبعا للمتولين ومصالحهم وأهوائهم، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

(١) القائل: ابن هاني الأندلسي، كما في الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (٨٨/٢)، نشر المطبعة العامرة الشرفية، ط١، ١٣٠٨هـ.

QaradawiBooks.com

٤ ـ اختلاف المصالح الإقليميَّة والمحليَّة، الَّتي يتشبث المنتفعون بها، من ذوي السلطان، ومن يستظل بظلهم، ويدور في فلكهم، برغم استيقان الجميع أنَّ الضرر كل الضرر، والخطر كل الخطر في بقاء هذه التجزئة الَّتي تهدم ولا تبني، وتضعف ولا تقوي، وتميت ولا تحيي، ولكن لا يريد أحد أن يضحي بسلطانه الضعيف الصغير، من أجل سلطان أقوى، وأكبر لأمته، لأن هناك ملكا أو رئيسا أو أميرا، له شأن وهيل وهيلمان، وجيش وأعوان، ولن يكون له مثل ذلك في ظل الدولة الكبرى، فليحتفظ كل بسلطانه، وليقاتل دونه، وإن كان مساحة سلطانه لا تكاد ترى على خريطة العالم إلَّا بالمجهر!

٥ ـ وهناك أمر خامس، أخرت ذكره لأنِّي أحرص دائمًا على تأكيد العوامل الداخلية والذاتية، وأعني به العامل الخارجي، الَّذي يتمثل في المكايد الأجنبية، من صهيونيَّة وصليبيَّة وإلحادية ووثنية، ممَّن يهمهم أن يظل المسلمون متفرقين، بل متناحرين، وهؤلاء مهرة في بذر بذور الخلاف بين الدول المنتسبة للإسلام، وتعهد هذه البذور بالسقي والتسميد، حتَّى تثمر ثمرها النكد، في تمزيق الأمة إلى حد التعادي، بل التقاتل من أجل حدود متنازع عليها، أو خلافات قديمة يعملون على إحيائها وإذكائها، أو إثارة نزعات عنصرية، أو تعصبات إقليميَّة، أو اختلافات دينيَّة أو سياسيَّة، وهم لا يبالون باستخدام الدس والنميمة، والكذب الصراح، وتسميم الآبار؛ ليقتتل الإخوة وهم يتفرجون، فلا شيء عندهم حرام، والغاية تبرر الوسيلة.

مقوِّمات القوَّة في الأُمَّة:

إنَّ هذه الأُمَّة المسلمة تملك من الطاقات والمقوِّمات والإمكانات المادِّيَّة والمعنوية، ما يجعلها في طليعة الأمم، ويمنحها مكانتها كما أراد الله لها ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، من هذه المقومات:

QaradawiBooks.com

القوة العددية: فهذه الأمة تملك طاقة بشريَّة ضخمة، تقدر بنحو مليار وربع مليار من المسلمين، في أنحاء العالم، وهي أمة خصبة ولود، فهي في زيادة وغيرها من الأمم في نقص مستمر، جعل بعض مفكريهم يتخوفون من مصيرها، وقد امتنَّ الله بكثرة العدد، فقال على لسان بعض رسله: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦].

ويقول الشاعر العربي قديمًا مفتخرًا بكثرة قومه:

مَلَأْنَا البَرَّ حتَّى ضاق عنَّا ونحن البحر نملؤه سَفِينَا[١]

وقال آخر:

وإنَّمَا العِزَّةُ للكَاثِرِ[٢]

صحيح أنَّ العبرة ليست بالكم بل بالنوع. ولهذا حذر الحديث النبوي أمة الإسلام من عصر يوشك أن تتداعى فيه الأمم عليها، كما «**تتداعى الأَكَلَةُ على قَصْعَتِها**». قالوا: أو من قلة نحن يومئذ، يا رسول الله؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنَّكم غثاء كغثاء السيل. ولينزعنَّ الله من صدور عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهْن**». قالوا: وما الوهن، يا رسول الله؟ قال: «**حبُّ الدُّنْيا وكراهية الموت**»[٣].

---

(١) القائل: عمرو بن كلثوم في معلقته، كما في جمهرة أشعار العرب صـ ٢٩٩، تحقيق علي محمد البجادي، نشر نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢) القائل: الأعشى، كما في الرسائل السياسية للجاحظ صـ ٤٢٧، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت.

(٣) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

QaradawiBooks.com

شبههم مع كثرتهم بالغثاء الَّذي يحمله السيل، من الحطب والقش والأوراق ونحوها، وكلها أشياء تشترك في أمور ثلاثة:

١ ـ الخفة والسطحية.

٢ ـ عدم التجانس بينها.

٣ ـ فقدان الهدف والغاية من مسيرها.

ففرق ما بين ماء النهر وماء السيل: إن ماء النهر له مصب معلوم، ومجرى مرسوم. أمَّا السيل فلا تعرف له غاية، ولا يعلم له خط؛ ولهذا يخرب ولا يعمر، ويفسد ولا يصلح، وكذلك شأن الأمة في «المراحل الغثائية» من حياتها.

ولهذا ندعو إلى الاستفادة من القوَّة البشريَّة للأمة بحسن إعدادها، وتعليمها وتربيتها، وتوثيق روابطها، وفتح المجالات لها، وربطها بأهداف كبرى تعيش لها، وتجاهد في سبيلها، فتجد للحياة معنى وطعما، وتستعذب العذاب لتحقيق أحلامها.. كما فعلت الأمة في قرونها الأولى، حين أقامت دولة العدل والإحسان، وشيدت حضارة العلم والإيمان.

وبجوارنا أمم كبرى كالصين، استغلت كثرة العدد في الزراعة والصناعة، وغزت العالم بمنتجاتها.

القوة الماليَّة: وتملك هذه الأمة الطاقة المادِّيَّة والاقتصاديَّة: فهي تملك مساحات شاسعة صالحة للزراعة لو وجدت من يحسن استغلالها بما يناسبها، من الغلات والمحاصيل والخضراوات والفواكه وغيرها، وقد اختلفت بيئاتها وأنواع تربتها ومناخها، فما لا يصلح في أرض يصلح في أخرى، وما لا يجود في بيئة يجود ويمتاز في أخرى.

QaradawiBooks.com

وهناك من المعادن والثروات المدفونة في باطن الأرض، في قلب البحار والأنهار والبحيرات ما لا يملكه غيرها؛ فمعظم نفط العالم في القرن القادم من مخزون عالمنا الإسلامي.

نعم، لا ننكر أنَّنا لا ننتفع كما ينبغي بهذه الطاقة الهائلة من الثروات الاقتصاديَّة، فبعضها لا يزال بكرًا، وبعضها استخرجه الخواجات من أرضنا، فاشتروه منَّا «مادَّة خامًّا» بأرخص الأسعار، ثمَّ صنعوه وباعوا لنا منه ما أرادوا بأغلى الأسعار، فأعطونا باليمين، ثمَّ أخذوا بالشمال، ولكن هذا تمَّ في حالة «غياب الأُمَّة»، ونحن نتحدَّث في حالة «حضور الأُمَّة»، الَّتي تستطيع أن تقيم بينها تكاملًا اقتصاديًّا بحيث يتمم بعضها بعضًا، فهذه تغرس النخيل، وتلك تغرس الزيتون، وأخرى تزرع القمح، ورابعة تزرع جوز الهند إلخ، وهذه تتخصَّص في صناعة الأخشاب، وثانية في صناعة القطن والحرير، وثالثة في صناعة السيارات، وأخرى في صناعة السلاح، وهذه تصدر الثروة الحيوانيَّة لتلك، وتستورد منها الماكينات، والأخرى تصدر النفط، وتستورد القطن أو الصوف.

لقد ذكرت بعض الدراسات الَّتي صدرت من البنك الإسلامي للتنمية، في أوَّل سنة ١٩٩٣م: أن حجم التبادل بين الأقطار الإسلاميَّة لم يزد عن (٨٪).

القوة الروحية: وتملك الأمة قبل ذلك كله القوَّة الروحية، المستمدة من الرسالة الَّتي أورثها الله إياها، وميزها بها عن سواها، ومنحها وحدها الوثيقة السماوية الوحيدة، الَّتي تتضمن كلمات الله الأخيرة للبشريَّة، أعني القرآن العزيز، الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الَّذي تولى الله حفظه، لم ينقص منه جملة ولا كلمة ولا حرف: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

QaradawiBooks.com

هذه الرسالة تتميز بالشمول الَّذي وصفه الشهيد حسن البنَّا بقوله: «إنَّها الرسالة الَّتي امتدت طولًا حتَّى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضًا حتَّى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقًا حتَّى استوعبت شؤون الدُّنْيا والآخرة»[1].

وتتميز كذلك بالتوازن، فهي رسالة تصل الأرض بالسماء، وتمزج المادة بالروح، وتربط الدُّنْيا بالآخرة، وتدعم العلم بالإيمان، وتضم نور العقل إلى نور الوحي، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥]. وبهذا تعطي الإنسان الدين ولا تسلبه الدُّنْيا، وتمنحه الإيمان ولا تحرمه العلم، وتصله بالسماء ولا تنزعه من الأرض، وتطالبه بالواجب ولا تأخذ منه الحق.

وتتميز هذه الرسالة بملاءمتها للفطرة السليمة والعقل الرشيد، ومراعاتها للمصلحة وتيسيرها على الناس، وتكليفهم ما تسعه طاقتهم، ورفع الحرج عنهم، وتقدير ظروفهم، وضرورات حياتهم، ووضع الآصار والأغلال الَّتي كانت عليهم، وكان من أبرز ما وصفت به رسالة نبيهم في كتب الأقدمين: أنَّه ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والبشريَّة أحوج ما تكون إلى هذه الرسالة الحنيفيَّة السَّمْحة، بعد أن أشقتها المادِّيَّة المسرفة، والإباحيَّة، والعصبيَّة المجحفة، ولكن الرسالة

(١) مقال من وحي حراء للإمام حسن البنا، جريدة الإخوان المسلمون اليومية، السنة الأولى، العدد (١٦٨)، صـ ١، بتاريخ ٢٧ ذو الحجة ١٣٦٥هـ ـ ٢١ نوفمبر ١٩٤٦م، وانظر: سلسلة من تراث الإمام لجمعة أمين عبد العزيز (١٨١/٥)، نشر دار الدعوة، الإسكندرية، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

لا يُقَدِّمها إلَّا أُمَّة تتمثَّلها وتُجَسِّـدها في حياتها، فتقدم للناس «النموذج العملي»، الَّذي يقتدى به فيهتدى، وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه، وكان الأمر كما قال بشار، وقد استنجد به بصير ـ وهو أي بشار أعمى ـ ليدله على الطريق، فقال:

أَعْمَى يَقُودُ بَصِيـرًا لا أبَا لَكُمو قَدْ ضَلَّ من كانت العِمْيَانُ تَهْدِيهِ[1]!

شروط ضروريَّة لنجاح الأُمَّة:

وإنَّما تسـتطيع هذه الأُمَّة أن تثبت وجودها، وتؤدي رسالتها، وتتبوَّأ مكانتها تحت الشمس، إذا تمسكت بما يلي:

١ ـ **تحديد الهوية وأساس الانتماء**: أن تحدد بصراحة ووضوح هويتها وأساس انتمائها، ولا هوية لغير الإسـلام، ولا انتماء لها إلى غير نسبه، فهو محور حياتها، وروح وجودها، وسر بقائها وصانع حضارتها، ومكون وحدتها، وقد قال ابـن الخطاب بحق: «نحـن كُنَّا أذلَّ قَـوْمٍ فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّ بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله»[2].

وبهذا ترفض كل العصبيَّات العنصريَّـة واللونيَّة والإقليميَّة واللُّغويَّة والطبقيَّة وغيرها، الَّتي تُفَرِّق ولا تجمع، وتهدم ولا تبني.

٢ ـ **تحديد المرجعية العليا**: ويترتب علـى هذا أن تحدد المرجعية العليا لحياتها العقديَّة والتشـريعيَّة والثقافية والاجتماعيَّة، الَّتي يحتكم إليها النَّاس إذا اختلفوا. ويرجعون إليها إذا شردوا أو انحرفوا، وما دامت

(١) القائل: بشار بن برد، كما في الدر الفريد وبيت القصيد للمستعصمي (٤٥٥/٢).

(٢) رواه ابن أبي شـيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١، ٦٢) وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

أمة مسلمة فلا مرجع لها غير الإسلام. ولا نعني به إسلام عصر من العصور، أو قطر من الأقطار، أو مذهب من المذاهب، إنَّما نعني به الإسلام الأوَّل، إسلام القرآن والسُّنَّة، قبل أن تشوبه الشوائب، بعيدًا عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الإسلام كاملًا شاملًا خالصًا، بلا زيادة عليه، ولا إنقاص منه، ولا تشويه له، ولا إخلال بنسبه.

فهو إسلام واحد، معروف الأصول، بين الأهداف، واضح المصادر، لا يقبل التقسيمات المبتدعة، حسب العصور: فإسلام أموي، وآخر عباسي، وثالث عثماني. أو حسب الأجناس: فإسلام عربي، وآخر هندي، وغيره فارسي. أو حسب الأماكن، فإسلام أفريقي، وإسلام آسيوي. أو حسب الموضوعات، فإسلام روحي، وإسلام سياسي.

فالإسلام هو الإسلام، كما أنزل الله في كتابه، وكما دعا إليه رسوله، وكما فهمه أصحابه، وكما عرفه خير قرون هذه الأمة. فلا مكان إذن لعِلْمانيَّةٍ دخيلة نبتت في أرض غير أرضنا، وصيغت لأمة غير أمتنا لتحل مشكلة ليست هي أصلًا عندنا.

٣ ـ **ضرورة الاجتهاد والتجديد**: أن ترفض الجمود والتقليد، وتؤمن بالاجتهاد والتجديد وسيلة ضروريَّة لفهم مقاصد الإسلام ونصوصه، وتنزيلها على وقائع الحياة، مراعية ما قرره علماؤها من تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والعرف والحال، ولا توجد أمة حث دينها على الاجتهاد مثل هذه الأمة، حتَّى إنَّ المجتهد فيها ليؤجر على خطئه في اجتهاده، فهو ليس مجرد معذور، بل هو عند الله مأجور، وإنَّما أجره لتحريه واستفراغه الوسع في طلب الصواب، وإن كان أجره دون أجر من

QaradawiBooks.com

أصاب الحق، فهذا له أجران، والأول له أجر واحد، كما صح في الحديث[١]. هذا بشرط أن يكون الاجتهاد صادرًا من أهله، في محله.

ولا غرو أن تنوعت المشارب، وتعددت المذاهب، واختلفت المدارس، وتعايشت جنبا إلى جنب في ظل رحابة الإسلام، وسماحة الإسلام، كما أنَّ الرسول ﷺ بين للأمة شرعيَّة التجديد في الدين، وذلك بحديثه الشريف: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنة من يُجَدِّد لها دِينَها**»[٢]. وليس معنى التجديد إظهار «طبعات جديدة» من الإسلام، في كل قرن أو عصر، تتغيَّر بتغير الناس، وتتلوَّن بتلون الحياة.

فالحق أنَّ الإسلام ـ بأصوله الثابتة وأحكامه القطعية ـ هو الَّذي يلون الحياة، ويصبغها بصبغته، ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، وهو الحاكم لا المحكوم، والميزان لا الموزون.

وإنَّما التجديد هنا: تجديد الفهم للدين، وتجديد للإيمان به، وتجديد للعمل به والعمل له.

وتجديده يعني العودة به إلى أقرب ما كان يوم ظهوره، فهذا هو معنى التجديد: الاجتهاد في العودة بالشيء إلى أصله، وليس تغييره بشيء آخر على أحدث طراز، فليس هذا من التجديد في شيء.

ولا يظنَّ ظانٌّ أنَّ العودة بالدين إلى عصوره الأولى: عصور النبوة والصحابة وتابعيهم بإحسان، يتضمن تضييقًا أو تجميدًا أو تشديدًا على

(١) إشارة إلى حديث: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر». وقد سبق تخريجه صـ٤١٦.

(٢) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (٢٨١/٢)، فلعله سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الناس. كلا فقد عرفنا بالدراسة والمعايشة الطويلة لتراث الأمة: أنَّ أكثر العصور مرونة وتوسعة وتيسيرًا، ومراعاة للمقاصد، وتحررًا من الجمود والتزمت هو عصر النبوة، فالعصر الراشدي، فمن بعدهم. وكلَّما نزلنا من عصر إلى آخر بدأ التشديد والتضييق شيئًا فشيئًا، والأخذ بالأحوط لا بالأيسر، وإن شق على الناس، حتَّى أمسى الدِّين مجموعة من «الأحوطيَّات»، الَّتي تكون في النهاية آصارا وأغلالًا على المُكَلَّفين، جاء رسول الإسلام ليضعها عن الناس، وقد قال ﷺ: «**إنَّما بُعِثتم مُيسِّرين، ولم تُبعَثوا مُعسِّرين**»[(١)]. وقال: «**إنَّما أنا رحمة مهداة**»[(٢)].

والتجديد ليس عمل فرد يترقبه النَّاس في آخر كل قرن، كما فهم كثيرون من لفظ: «**من يُجَدِّد لها دِينَها**». فإن كلمة «من» تصلح للجميع، كما تصلح للفرد، وما نختاره في معنى الحديث: أنَّ التجديد يكون جماعيًّا، وبهذا لا يكون كل دور الفرد أن يقول: متى يظهر المجدد؟ بل يقول: ما دوري ونصيبي في حركة التجديد[(٣)]، وإذا كان التجديد مطلوبًا في أمر الدين والأصل فيه الاتباع، فهو أكثر طلبًا ولزومًا في أمر الدُّنْيا، والأصل فيها الابتداع، فلا بدَّ من تهيئة المناخ العقلي والنفسي والاجتماعي للإبداع والابتكار، لا للتكرار والاجترار، وتنمية المواهب والقدرات الخاصَّة، وتشجيع العقول المبدعة، وتكريم النبوغ والتفوق ومعاونته على العطاء الأفضل، واستعادة العقول المهاجرة إلى ميدانها الطبيعي والشرعي في رحاب أمتها، فهي أولى بهم، وهم أولى بها، ومن

(١) سبق تخريجه صـ ١٨٢.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٧٣.

(٣) انظر كتابنا: من أجل صحوة راشدة صـ ١١ وما بعدها، مبحث: التجديد في ضوء السنة، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

فروض الكفاية على الأمة في عصرنا: أن تنشئ مجالس أو مؤسسات على مستوى الأمة الكبرى، لتنمية الإبداع، ورعاية المبدعين.

٤ ـ **تجسيد الإسلام في أخلاق وأعمال**: أن تجسد إسلامها الَّذي تعتز به في علوم وأخلاق وأعمال، ولا يبقى مجرد شعارات ترفع، أو دعوى تدعى، أو أقوال تقال، فإنَّما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.

إن رسول الإسلام جعل الغاية من رسالته أخلاقيَّة، حين قال: «**إنَّما بُعِثْتُ لأتمِّم مكارم الأخلاق**»[(١)]، وأثنى ربُّه عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وسئلت زوجه عائشة عن خُلُقه فقالت: كان خُلُقه القرآن[(٢)]. وإنَّما تستحق الأمة الانتساب إليه إذا اتخذت من أخلاقه وهديه أسوة، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأول هذه الأخلاق: التجرد لله، والانتصار على شهوات النفس، ونزعات العصبيَّة للقبيلة أو الحزب، فقد رأينا العصبيات العرقيَّة والقبلية حطمت الصومال، وتوشك أن تحطم أفغانستان، وتحرق ثمرة جهادها، وحب حصادها، وترى العصبيات الحزبية في أكثر البلاد العربيَّة والإسلاميَّة، تمزقها شر ممزق، وتفتح ثغرة لعدوها ليدخل منها، ويعبث بمقدراتها.

وثاني هذه الأخلاق: أن تخرج الأمة من العجز والكسل إلى أفق الإنتاج والعمل، ولا تكتفي بأي عمل، حسن أو سيئ، بل تعبد الله تعالى

(١) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد في حسن الخلق (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

بإحسان العمل، فإحسان العمل فريضة كتبها الله على المؤمنين، كما كتب الصيام والصلاة: «**إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء**»(١)، «**إنَّ الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه**»(٢).

لقد أخرتنا أخلاق الضعف والسلبية، فلتتمسك الأمة بأخلاق القوَّة والإيجابيَّة. «**المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف... استعنْ بالله ولا تعجز**»(٣)، «**اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من العجز والكسل**»(٤).

«**ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده**»(٥).

«**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فَسِيلة** ـ نخلة أو شتلة صغيرة ـ **فإن استطاع ألا تقوم حتَّى يغرسها، فليغرسها**»(٦).

إن هذه الروح هي الَّتي صنعت الحضارة الإسلاميَّة المتميزة، حضارة العلم والإيمان، وأقامت دولة العدل والإحسان، ومدت شعاع الإسلام في آفاق الأرض، فما انتشر الإسلام إلَّا بأخلاق المسلمين، وجل بلاد الإسلام لم يدخلها جيش فاتح، بل مسلم صالح. على أنَّ الجيش قد يفتح أرضًا، ولكنَّه لا يفتح قلبًا، إنَّما القلوب تفتح بالإقناع والقدوة.

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٥٣.

(٢) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩٢٩)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٠)، عن عائشة.

(٣) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هُرَيْرة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد (٢٨٢٣)، ومسلم في الذكر (٢٧٠٦)، عن أنس.

(٥) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، عن المقدام بن معديكرب.

(٦) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

إنَّ الأمة مطالبة بأن تقدم شيئًا للبشـــريَّة اليوم، كما قدمت بالأمس، ولن تفعل ذلك وهي كَلٌّ على غيرها في العلم والعمل، تستورد غذاءها، كما تستورد سلاحها، ولا يشفع لها التغني بأمجاد الماضي، إذا لم تصل أسبابه بالحاضر، وإلا صدق فيها ما قاله الشاعر قديمًا:

أَلهَى بَنِي تَغلِـــبٍ عَن كُلِّ مَكرُمَةٍ قَصِيـــدَةٌ قَالَهَا عَمرُو بـــنُ كُلثُومِ!
يُفَـاخِـــرُونَ بِهَا مُـــذ كَانَ أَوَّلُهُـم يِـــا لَلرِّجَالِ لِشِـــعرٍ غَيرِ مَســـؤُومِ
إِنَّ القَـدِيـــمَ إِذَا مَا ضَـــاعَ آخِـرُهُ كَصَارِمٍ فَلَّـــت الأَيَّـــامُ مَثلُـومِ[1]

خاتمة:

والخلاصة، أنَّ الأمة الإسلاميَّة حقيقة واقعة، ولكنَّها لا تجد ما يعبِّر عنها في واقع المسلمين، و«منظمة المؤتمر الإسلامي» عاجزة عن تجسيد هذه الحقيقة، فهي كيان هش، يكاد إذا نفخت فيه يذوب، حتَّى الاســـم نفسه يدل على الوهن، فهي ليســـت منظمة البلاد الإسلاميَّة، أو جامعة الدول الإســـلاميَّة، على غرار جامعة الدول العربيَّـــة، فقد رفضت تلك التسمية دول معروفة، أبت توصف بالإسلاميَّة، فهي عِلْمانيَّة، وظلت هذه المؤسسة الَّتي تمثل مليارًا وربعًا من البشر تنتسب إلى ما سمي «المؤتمر الإسلامي»، وهي تسمية لأدنى ملابسة كما يقول النحويون[2].

لم يجد المسلمون من يحل مشـــكلة النـزاع بين العراق والكويت، ولا مشـــكلة العراق وإيران، حتَّـــى انتهت بالاســـتعانة بالأجانب لحلها بالتدخل العســـكري، ومثل ذلك مشكلة الصومال والصراع بين فصائله،

(١) ذكر الأبيات من غير نسبة عبد الكريم النهشلي في الممتع في صنعة الشعر صـ ٥٤.
(٢) تغير اسم المؤسسة سنة ٢٠١١م، إلى منظمة التعاون الإسلامي.

QaradawiBooks.com

وأدهى من ذلك وأمر: مأساة القتال بين فصائل المجاهدين في أفغانستان!

وإذا كان هــذا موقف الدول والحكومات والمؤسســات الرســمية، فالأمل في الشــعوب والجماهير، المعتزة بانتمائها إلى الإسلام، والَّتي تحيا أمة الإسلام في ضميرها، وخصوصًا في عصر الصحوة والانبعاث.

إننا نريــد «أمة» واحــدة، كما أمــر الله، لا أمما متناكــرة، كما أراد الاستعمار، وكما تريد القوى المعادية للإسلام.

د. يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

مقدمة
«مجلَّة الأُمَّة الوسط»(١)

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على رحمته للعالمين، وحجته على النَّاس أجمعين، سيِّدنا وأمامنا محمد، وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فماذا أقول في هذا المقام ـ مقام الحمد والشكر لواهب النعم جل شأنه ـ إلَّا الحمد؟ لقد أصبح الحلم حقيقة: أن يكون لعلماء المسلمين الَّذين يعبرون عن حقائق الإسلام، ويردون على أباطيل خصومه، والذين يدعون لهذا الدين بشموله وتكامله: عقيدة وشريعة، وعبادة ومعاملة، وأخلاقًا وثقافة، وحقًّا وقوة، ودعوة ودولة. أن يكون لهم اتحاد عالمي ينظمهم في سلك واحد، ويجمعهم تحت راية واحدة، هي راية التوحيد والرسالة. فهو اتحاد لأهل القبلة جميعًا، وإن اختلفت مذاهبهم وطوائفهم، وتعددت مشاربهم واتِّجاهاتهم.

(١) العدد الأول، السنة الأولى، ٢٠٠٩م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كما أصبح لهذا الاتِّحاد العالمي مجلَّة تنطق باسمه، وتعبر عن وجهته، وتربط بين أعضائه، وتقوم بدورها في توجيه الأمة المسلمة، وتفقيهها في دينها، وربطها بالمحكمات من كتاب ربها، وسنة نبيها، وجمع كلمتها على الهدى، وقلوبها على التقى.

مجلة تنظر إلى الإسلام وتراثه الهائل بعين، وتنظر إلى العصر ومنجزاته ومشكلاته بالعين الأخرى، على نحو ما أثر عن سلفنا: رحم الله امرأ عرف زمانه، واستقامت طريقته[١].

لقد تعلمنا من سنة نبينا أنَّ العلماء ورثة الأنبياء[٢]، ورثوهم في الهداية والتبليغ والتعليم.

وقد رفع القرآن الكريم والسُّنَّة النبويَّة ـ في نصوص مستفيضة ـ من شأن العلماء، ونوها بمكانتهم، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]. يقول الإمام الغزالي في «الإحياء»: «فانظر كيف بدأ ﷻ بنفسه، وثنَّى بالملائكة، وثلَّث بأهل العلم»[٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال بعض السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]: أولو الأمر هم العلماء[٤]. وقال

---

(١) انظر: فيض القدير للمناوي (٢٩/٤).

(٢) جزء من حديث رواه أحمد (٢١٧١٥)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في العلم (٣٦٤١)، والترمذي في العلم (٢٦٨٢)، وابن ماجه في المقدمة (٢٢٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٢)، عن أبي الدرداء.

(٣) إحياء علوم الدين (٤/١).

(٤) رواه الدارمي في العلم (٢٢٥)، عن عطاء بن أبي رباح.

QaradawiBooks.com

بعض السلف: الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك[١].
وهذا ما عبر عنه الشاعر بقوله:

إنَّ الأكابرَ يَحْكُمونَ على الوَرَى وعلى الأكابرِ يَحْكُـمُ العُلَمَاءُ[٢]

وفي بعض الآثـار: صنفان من الأمة، إذا صلحـا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: الأمراء والعلماء[٣].

وكثيرًا ما يكون فساد الأمراء بسبب فساد العلماء؛ لأنَّهم هم الأطباء، فإن فسد الطبيب أو قصر في علاج المريض، فمن يداويه؟! ولهذا قالوا قديمًا: يا علماء الدين يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد.

وقال ﷺ: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»[٤].

والعلمـاء الحقيقيون هم الَّذيـن يوظفون علمهم فـي خدمة الحق وهداية الأمة، ولا يفصلون بين العلم والعمـل، والدعوة والتعليم، فهم يعلمون ويعملون، ويدعون ويعلِّمون، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ولقد كان العلماء في تاريخنا ملاذ الأمة في الأزمات، هم الَّذين يثبتونها على الدين، ويدعونها إلى الاسـتقامة، ويحرضونها علـى الجهاد، وكثيرا ما أصابهم من الأذى في سـبيل الله ما أصابهم، فما وهنوا وما اسـتكانوا، حتَّى أئمَّة المذاهب الأربعة المشاهير نال كلًّا منهم ما ناله من الأذى.

(١) ذكره الغزالي في الإحياء (٧/١)، عن أبي الأسود الدؤلي.
(٢) ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات (١٩٧/١٢)، ونسبه إلى الحسين بن إبراهيم ذو اللسانين.
(٣) ذكره ابن القيم في إعلام الموقعين (٨/١)، عن عبد الله بن المبارك.
(٤) رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٢٧)، عن عثمان بن عفان.

QaradawiBooks.com

وقد علَّمنا القرآنُ كما علَّمتنا السُّنَّة: أنَّ هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة أبدًا، يقول القرآن: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١].

وتؤكد السُّنَّة أن لا تزال هناك طائفة قائمة على الحق، لا يضرهم من خالفهم حتَّى يأتي أمر الله وهم على ذلك[١]. صح ذلك واستفاض عن عدد من الصحابة، عن رسول الله ﷺ، وسمى العلماء هذه الفئة: الطائفة المنصورة، وهؤلاء هم «الخلف العدول» من «حَمَلَة العلم»، الَّذين جاء ذكرهم في بعض الأحاديث: «**يحمل هذا العلم من كلِّ خَلَف عُدُوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[٢].

تأسيس اتحاد عالمي لعلماء المسلمين:

وفيما مضى كان هناك فرصة لدور العالم الفرد ذي المنزلة في مجتمعه، فيقوم بإيقاظ النائمين، وتنبيه الغافلين، وتعليم الجاهلين، ورد الشاردين، ونصح الحاكمين، فيصلح الله على يديه ما شاء من الخلق، بقدر ما يسر له من أسباب.

وفي عصرنا أصبح هذا دور المؤسسات الجماعية الَّتي تناط بها الأعمال الكبيرة، وتقدر على ما لا يقدر عليه الفرد، وهذا ما يدعو إليه الإسلام، الَّذي يقول رسوله: «**يد الله مع الجماعة**»[٣]، «**وإنَّما يأكل**

(١) سبق تخريجه صـ٧٦٣.

(٢) سبق تخريجه صـ٧١.

(٣) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٦)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في إصلاح المساجد (٦١)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

الذئب من الغنمِ القاصية»[(١)]، «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا**»[(٢)]، ويقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومن أجل هذا دعونا وحرصنا وعملنا جاهدين لتأسيس اتحاد عالمي لعلماء المسلمين، الَّذي أصبح قيامه فرض كفاية على الأمة؛ لأن هناك واجبات لا تتم إلَّا به، وما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب.

وقد استجاب لنا خيار علماء المسلمين في أنحاء العالم. وقد اجتمعت الجمعية العامَّة الأولى في (يونيو ٢٠٠٤م) في مدينة «لندن»؛ لتوافق على قيام هذا الاتِّحاد والإعلان عن ميلاده. والحمد لله على إتمام ذلك حمدًا كثيرًا.

سمات الاتِّحاد العالمي:

إن هذا الاتِّحاد مفتوح لكل علماء الإسلام في المشارق والمغارب، ونعني بالعلماء: خريجي الكُلِّيَّات الشرعيَّة، والأقسام الإسلاميَّة، وكل من له عناية بعلوم الشريعة، والثقافة الإسلاميَّة، وله فيها إنتاج معبر، أو نشاط ملموس. ولهذا الاتِّحاد سمات وخصائص اتصف بها، وتميز عن غيره، نشير إليها فيما يلي:

١ ـ **الإسلاميَّة**: فهو اتحاد إسلامي خالص، يتكون من علماء مسلمين، ويعمل لخدمة القضايا الإسلاميَّة، ويستمد من الإسلام

---

(١) رواه أحمد (٢١٧١٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٥٤٧)، والحاكم في التفسير (٤٨٢/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٥٦)، عن أبي الدرداء.

(٢) سبق تخريجه صـ٧٨٩.

QaradawiBooks.com

منهجه، ويستهدي به في كل خطواته، وهو يمثل المسلمين بكل مذاهبهم، وكل طوائفهم.

٢ ـ **العالميَّة**: فهو ليس محليًّا ولا إقليميًّا، ولا عربيًّا ولا عجميًّا، ولا شرقيًّا ولا غربيًّا، بل هو يمثل المسلمين في العالم الإسلامي كله، كما يمثل الأقلِّيَّات والمجموعات الإسلاميَّة خارج العالم الإسلامي.

٣ ـ **الشعبيَّة**: فهو ليس مؤسَّسة رسميَّة حكوميَّة، إنَّما يستمدُّ قوَّته من ثقة الشعوب والجماهير المسلمة به. ولكنَّه لا يعادي الحكومات، كما لا ينافقها، بل يجتهد أن يفتح نوافذ للتعاون معها، على ما فيه خير الإسلام والمسلمين.

٤ ـ **الاستقلال**: فهو لا يتبع دولة من الدول، ولا جماعة من الجماعات، ولا طائفة من الطوائف، ولا يعتز إلَّا بانتسابه إلى الإسلام وأمته.

٥ ـ **العلميَّة**: فهو مؤسسة لعلماء الأمة، فلا غرو أن يهتم بالعلم وتعليمه، وبتراثنا العلمي وإحيائه وتحقيقه ونشره.

٦ ـ **الدعويَّة**: فهو مؤسسة تعنى بالدعوة إلى الإسلام، باللسان والقلم، وكل الوسائل المعاصرة المشروعة، مقروءة أو مسموعة أو مرئية، ملتزمة بمنهج القرآن بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالَّتي هي أحسن.

٧ ـ **الوسطيَّة**: فهو لا يجنح إلى الغلو والإفراط، ولا يميل إلى التقصير والتفريط، لا يطغى في الميزان، ولا يخسر في الميزان، وإنَّما يتبنى المنهج الوسط للأمة الوسط، وهو منهج التوسط والاعتدال.

QaradawiBooks.com

٨ ـ **الحيويَّـة**: فلا يكتفي بمجـرد اللافتات والإعلانـات، بل يعنى بالعمل والبناء، وتجنيد الكفايات العلميَّة والطاقات العمليَّة، تقودها ثلة من العلماء المشـهود لهم بالفقه في الدين، والاسـتقامة في السـلوك، والشجاعة في الحق، والاسـتقلال في الموقف، والحائزين على القبول بين جماهير المسلمين.

أهداف الاتِّحاد:

يسـعى اتحاد العلماء ـ وبالتالي تسـعى مجلته الناطقة باسمه ـ إلى تحقيق هدف كلي، تنبثق منه أهداف جزئية شتَّى.

أمَّا الهدف الكُلِّي الأكبر: فهو الحفاظ على الهوية الإسـلاميَّة للأُمَّة، لتبقى كما أراد الله لها أمة وسطا، شـهيدة على الناس، داعية إلى الخير، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، مؤمنة بالله.

والوقوف في وجه التيارات الهدامة ـ كتيـارات العِلْمانيَّة والتغريب ـ الَّتي تريد أن تقتلع الأمة من جذورها، داخلية كانت أم خارجية، وتيارات الغلو والتشـدد الَّتي شوهت وجه الإسلام، واسـتباحت الدماء والأموال المعصومة، متبعة المتشابهات من النصوص، تاركة المحكمات والبينات، وضرورة موالاة الأمـة بالتفقيه والتثقيف والتوعيـة، حتَّى تعرف حقيقة دورها ورسالتها، وتندفع إلى أداء مهمتها بإيمان وإخلاص، موحدة الغاية، موحدة المرجعية، موحدة الدار، مستقيمة المنهج والطريق.

وإبراز الوجه الحضاري والعالمي للإسـلام: الَّـذي يدعو إلى ثقافة التسامح لا التعصب، والحب لا الكراهية، والحوار لا الصدام، والمساواة لا التميز، والتنوع لا الانفراد.

QaradawiBooks.com

أمَّا الأهداف المتفرعة عن هذا الهدف الكلي الأصلي، فتتمثل فيما يلي:

١ ـ **التعاون على حسن تفقيه المسلمين بدينهم**، وتوعيتهم حيثما كانوا بالإسلام الصحيح ـ إسلام القرآن والسُّنَّة ـ عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، فكرًا وسلوكًا، في شموله ووسطيته ويسره وسماحته، بعيدًا عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

٢ ـ **تنبيه المسلمين إلى الأخطار الَّتي تهدد هويتهم العقديَّة والثقافية**، وتعمل على تمزيق روابطهم، وإبعادهم عن الإسلام الَّذي يجمع بينهم، ومقاومة هذا الغزو المنظم بمثل أسلحته، وتحذير الأمة من الأسلحة الجديدة الَّتي تستخدم ألفاظا براقة، مثل الحداثة والعولمة وغيرهما.

٣ ـ **بناء الشخصيَّة الإسلاميَّة، الفرديَّة والجماعية، وتهيئتها لتقوم برسالتها الكبرى** في عبادة الله تعالى، وعمارة الأرض، وخلافة الله تعالى، وتقوم بالشهود الحضاري على البشريَّة، حتَّى يبرز تدينها في الحياة: علمًا نافعًا، وعملًا متقنًا، وخلقًا قويمًا، ورشدًا في الفكر، وثراء في الإنجاز، وسموا في الأخلاق، ورحمة للعالمين.

٤ ـ **إنارة السبيل للمسلمين في الأوضاع المستجدة**، والأحوال المتطورة من حياة الأفراد والأسر والمجتمعات، بتوجيههم إلى الآراء الناضجة، والحلول الناجعة لمشكلات حياتهم الفكريَّة والعمليَّة، من خلال أحكام الشريعة وقواعدها في ضوء الاجتهادات المعاصرة المعتبرة، الصادرة من جهات موثوقة، أو من علماء مشهود لهم بالكفاية والأمانة، بعيدا عن التعصب وضيق الأفق.

QaradawiBooks.com

٥ ـ **توحيد جهود العلماء ومواقفهم الفكريَّة والعمليَّة، في قضايا الأمة الكبرى**، لتبصير الأمة بمواقع الخطر، والأبواب الَّتي تهب منها رياح الفتن، حتَّى لا تؤخذ الأمة على غرة، أو تقوض دعائمها، أو ينتقص من أطرافها، وهي غافلة عما يدبر لها. فالعلماء هم عينها الَّتي بها ترى، كما أنَّهم لسانها الناطق باسمها، المعبر عنها كلَّما ادلهمت الأحداث، وبدت نذر الخطر، وإصدار البيانات الَّتي توجه الأمة إلى المواقف الإيجابيَّة المتوازنة في القضايا الساخنة والمثيرة.

٦ ـ **تجميع قوى الأمة كلها، على اختلاف مذاهبهم واتِّجاهاتهم**، ما داموا من أهل القبلة الملتزمين بالقرآن والسُّنَّة، والسعي إلى تضييق نقاط الافتراق، وتوسيع نقاط الاتفاق، والتركيز على القواسم المشتركة، والاستهداء بالقاعدة الذهبيَّة الشهيرة: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ونتسامح ونتحاور فيما اختلفنا فيه». وبهذا نواجه أعداء الأمة صفًّا واحدًا.

وسائل الاتحاد:

يتخذ الاتِّحاد لتحقيق هدفه الكلي وأهدافه الفرعيَّة كل الوسائل والأسباب المشروعة المتنوعة، الَّتي تلتقي كلها عند الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والحوار بالحسنى، والإقناع بالحجة، باللسان أو بالقلم، بالكتاب والصحيفة، أو بالإذاعة والتلفاز، أو بالقنوات الفضائية، أو شبكة الإنترنت، أو غيرها من الآليات المعاصرة.

ولا ريب في أن إصدار مجلَّة علميَّة فكريَّة باسم الاتحاد، تعبر عن وجهته، وتعلن عن موقفه، وتخاطب العالم بلسان عصره، تبين له، وتقيم الحجة بإبلاغ الدعوة، وتربط بين العلماء، المنضمين للاتحاد والمؤيدين له، برباط علمي وثقافي لا تنفصم عراه.

QaradawiBooks.com

نبني ولا نهدم نجمع ولا نفرق:

وقد قلت في كلمتي في الجمعية التأسيسيَّة للاتحاد: إننا لا نريد بهذا الاتِّحاد الصدام مع أحد، لا في الخارج ولا في الداخل.. لا نريد الصدام في الخارج مع الغرب المسيحي، ولا مع الشرق الوثني، كما لا نريد الصدام في الداخل مع الحكومات المحلية، ولا مع الجماعات الدينيَّة، والحركات الإسلاميَّة. بل نريد أن نتعامل مع الجميع بروح الناصح الأمين، وعاطفة الأخ المشفق، ويد الجراح المداوي، نؤثر الرفق على العنف، والرحمة على الشدَّة، والحق على القوَّة، وندفع السيئة بالحسنة، بل بالَّتي هي أحسن، كما أمرنا القرآن الكريم.

لقد دعوت من قديم إلى قَبول تعدد الحركات والجماعات الإسلاميَّة، على ما بينها من فروق ووجهات نظر مختلفة، في الأهداف والمناهج والمواقف. ولا مانع من ذلك ما دام الجميع يعمل لخدمة الإسلام، وإحياء أمته، وتوحيد كلمتها، وتحريرها من كل سلطان أجنبي؛ على أن يكون بين الجميع قدر من التنسيق والتفاهم، وأن يقفوا في القضايا المصيرية للأمة صفًّا واحدًا، وجبهة متراصة في وجه أعداء الأمة. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

وإذا كانت المسيحيَّة قد تقاربت مع اليهود، وأصدر الفاتيكان وثيقته التاريخيَّة بتبرئة اليهود من دم المسيح.

ورأينا الكنائس المسيحيَّة يقترب بعضها من بعض، برغم ما بينها من عداءات تاريخيَّة، ومن فوارق عقدية، تجعل كل مذهب دينًا غير الدين الآخر.

QaradawiBooks.com

فلماذا نرى المسلمين وحدهم هم الَّذين يتباعدون ولا يتقاربون؟! مع أنَّ التقارب بينهم فريضة وضرورة: فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع.

إننا نعلن هنا: أنَّ الاتِّحاد العالمي لعلماء المسلمين يسعى بكل جهده إلى التقريب بين أبناء الأمة جميعها، محاولًا أن يذيب الفوارق والاختلافات الَّتي تريد أن تجعل من الأمة الواحدة أممًا، وأن تقسمها إلى شيع وأحزاب: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

يجب أن يعلو الإسلام فوق المذاهب، وتعلو وحدة الأمة على كل الاختلافات: الطائفيَّة والعرقيَّة والإقليميَّة والأيديولوجيَّة والطبقية وغيرها، وأن تتوحد الأمة تحت راية التوحيد، متخذة من القرآن معيارها، ومن السنة منارها، ولا سيَّما بين الجماعات والاتِّجاهات العاملة للبعث الإسلامي، والتحرر الإسلامي، والميدان يتسع للجميع، ويتطلب تكاتف الجميع، فلا مجال للخلافات الفرعيَّة، والمعارك الجانبية.

إن هذا الاتِّحاد قوَّة تبني ولا تهدم، وتجمع ولا تفرق، وتقرب ولا تباعد، وتحبب ولا تبغض، وتحيي ولا تميت. وهذا ما تقوم به مجلتنا الناطقة باسم الاتحاد.

الحوار الإسلامي المسيحي:

ونود أن نعلنها صريحة: إنَّ الاتِّحاد العالمي لعلماء المسلمين ليس اتحادًا منغلقًا على نفسه، بل هو مفتوح الأبواب والنوافذ على العالم من حوله، من الأديان والحضارات والفلسفات. وهو ـ من منطلقه الديني المحض ـ يؤمن بالتعددية العرقيَّة، والتعددية اللسانية، والتعددية الدينيَّة،

QaradawiBooks.com

والتعددية الثقافية، والتعددية السياسيَّة، وأنَّ الله هو الواحد، وما عداه متعدد، وأن هذا التعدد واقع بمشيئة الله المرتبطة بحكمته.

وهو يؤمن بضرورة حوار المختلفين، لا بحتمية الصراع بينهم، وأنَّ الحوار يمكن أن يثمر إذا استقامت أهدافه، وأخلصت أطرافه، وصفت النيات، والتزم فيه بأدب الحوار، فكان ـ كما أمر القرآن ـ جدالًا بالَّتي هي أحسن.

لهذا نرحب بالحوار الإسلامي المسيحي خاصَّة، لما للمسيح وأمه وكتابه من منزلة خاصَّة لدى أهل الإسلام. ونرى أنَّ هناك مجالات مهمة يمكن للطرفين أن يتعاونا فيها بوضوح، أذكر منها:

أوَّلًا: مجال الإيمان بالله والدار الآخرة، في مواجهة المادِّيَّة العاتية، الَّتي تنكر الغيب، وكل ما وراء الحس، وتشيع الإلحاد في العالم، وترى أن قصة الحياة كلها: أرحام تدفع، وأرض تبلع، ولا شيء بعد ذلك، نموت ونحيا وما يهلكنا إلَّا الدهر.

ثانيًا: مجال القيم الأخلاقيَّة، في مقابل موجة الإباحيَّة والتحلل، الَّتي تكاد تدمر الفضائل الإنسانيَّة الرفيعة، الَّتي توارثتها البشريَّة من مواريث النبوة الهادية: من الحياء والعفاف والإحصان والإيثار والأخوة.

ثالثًا: مجال العدل والكرامة والحرية، وكل ما يتعلق بحقوق الإنسان، وسيادة الشعوب، وحقها في استرداد حقوقها وحريتها في أرضها، وأبرز مثال لذلك: حق الشعب الفلسطيني المظلوم، الَّذي تسفك كل يوم دماؤه، وتدمر منازله، وتجرف أراضيه، وتقتلع أشجاره، وتنتزع منه أرضه، وتستباح حرماته، وتداس مقدساته، على مرأى ومسمع من العالم المتحضر.

QaradawiBooks.com

الإسلام والغرب:

كما أنَّنا نريد أن نتعامل مع الغرب من منطلق إنساني وأخلاقي وإيماني، وأن ننادي أحرار الغرب بما نادى به الإسلام أهل الكتاب من قبل: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

نريد أن نتعامل مع الغرب وأن يتعامل معنا الغرب معاملة الند للند، وأن يتخلى عن عقده الموروثة من عهد الحروب الصليبيَّة القديمة، وعهد الاستعمار الحديث، فنحن أبناء اليوم لا بقايا الأمس.

نريد أن نقف معًا مدافعين عن الإنسان في كل مكان: عن كرامته وحقوقه وحرماته، ونقول لكل من جار على حق أخيه ما قاله عمر بن الخطاب: متى استعبدتم النَّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا[1]؟!

الإسلام والعنف:

لقد ألصقت بالإسلام تهم هو بريء منها، فزعم زاعمون أنَّه دين يفرز العنف، ويثمر الإرهاب. والحق أنَّ الإسلام اعتبر الرحمة عنوانًا له، فقال الله لرسوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال الرسول عن نفسه: «**إنَّما أنا رحمةٌ مهداة**»[2].

---

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم صـ ١٨٣، تحقيق محمد الحجيري، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، وحسن المحاضرة للسيوطي (٥٧٨/١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٧٣.

QaradawiBooks.com

وحرص الرسول الكريم على الرفق، وذم العنف، وقال: «**مَنْ يُحْرَم الرفقَ، يحرم الخير**»[١].

كما دعا إلى السلام بين الناس، إلَّا إذا تعرضت أمته وحرماتها للعدوان، فهنا يخوض المعركة حينئذ كارها، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وإذا انتهى اللقاء بين المسلمين وخصومهم بغير قتال، عقب القرآن على ذلك بمثل قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وإذا خاض الإسلام الحرب مضطرًّا فإنَّه يقيدها بقيم أخلاقيَّة تضبط سيرها قبل المعركة وخلالها وبعدها، فيحرم العدوان، وينهى عن قتل النساء والولدان والشيوخ والرهبان والحراث والمدنيين بشكل عام: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وإذا وجد من أبناء المسلمين من انتهى بهم الغلو والشطط إلى تبني العنف والإرهاب، فلا يمكن أن يحمل الإسلام ولا الأمة الإسلاميَّة الكبرى وزرهم، ففي كل بلاد العالم يوجد أفراد وجماعات تتبنى فكر العنف، وتمارس الإرهاب، ومنهم كاثوليك وبروتستانت وهندوس ويهود، ولم تتهم أديانهم ولا أممهم بالعنف والإرهاب.

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٢)، وأحمد (١٩٢٠٨)، عن جرير بن عبد الله.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تسمية المجلَّة:

لقد اخترنا أن يكون اسم مجلَّة الاتِّحاد العالمي لعلماء المسلمين: «**الأمة الوسط**»، وكان يمكن أن تسمى بأسماء أخر، ولكننا آثرنا هذا الاسم لأمرين:

أوَّلًا: أنَّ المجلَّة تُعبِّر عن أُمَّة كبرى، وليس عن شريحة معيَّنة ولا بلدٍ مُعَيَّن، ولا حزب ولا جماعة، ولكنَّها تدور حول محور كبير هو الأمة، وإذا ذكرت الأمة فالمعني بها: أمة الإسلام، أمة القرآن، أمة مُحمَّد ﷺ، في مشرق أو مغرب، حيثما ارتفعت المآذن، وحيثما وجد من يشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله.

ثانيًا: أن هذه الأمة لها صفة تميزها، وعنوان يعلن عن شخصيتها، وهو الوسط، فالوسطيَّة صفة أصيلة، ومزية جوهرية في هذه الأمة، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وبهذا يتَّضح لنا من أوَّل يوم: في أي خط تسير فيه المجلة: إنَّه خط التوسط والتوازن والاعتدال، لا غلو ولا تقصير، لا تشديد ولا تسيب، لا إفراط ولا تفريط، لا طغيان في الميزان، ولا إخسار في الميزان، كما عبر القرآن الكريم بقوله: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٨، ٩].

ومن فضل الله علي: أنِّي تبنيت منهج الوسطيَّة من قديم، منذ دخلت مَيدان التأليف بكتابي «الحلال والحرام». وزادتني الأيام استمساكًا به، وحرصًا عليه: في التعليم، والدعوة، وفي الفتوى، وفي الإصلاح والتجديد. وقد كان هناك من قبل من يهاجم الوسطيَّة، على أنَّها تعني

QaradawiBooks.com

التساهل في أمر الدين. والحمد لله، أصبح الجميع الآن ينوهون بها، وينادون بالرجوع إليها، والتمسك بها، ويقيمون المراكز والمنتديات للدعوة إليها ونشر أفكارها.

وحتى لا تظل كيانًا هلاميًّا، يدعيه لنفسه من يشاء، ويفسره كما يشاء، فقد وضعت لها ثلاثين معلمًا، يجلي مقوماتها، ويبرز خصائصها، ويكشف اللثام عن مفاهيمها وقيمها ومبادئها[1].

ومما أحمد الله عليه: أنَّ الرسالة الأولى الَّتي أرسلتها إلى علماء المسلمين في مختلف الأقطار، لأعرض عليهم فكرة الاتِّحاد وأهدافه ووسائله وخصائصه، تضمنت الإشارة إلى الوسطيَّة الجامعة المتوازنة والمتكاملة، منهجا للاتحاد، وكان جواب الجميع عليها بالإيجاب.

ولما عهد إليَّ مجلس أمناء الاتِّحاد ومكتبه التنفيذي: أن أكتب مسودة الميثاق الإسلامي الَّذي ينطلق منه العلماء بعد الموافقة عليه: كان من معالمه الأساسيَّة الوسطيَّة الإسلاميَّة. وكانت الروح المبثوثة في كل صوره هي الوسطيَّة، وقد لقي هذا الميثاق القبول من علماء الأمة، بعد أن أبدوا ملاحظاتهم عليه، وعدلوا ونقحوا، وأخذ ذلك كله بعين الاعتبار، ولا سيَّما في الطبعة الثانية.

فلا غرو بعد ذلك أن نسمي مجلَّة الاتحاد: الأمة الوسط.

وكان من توفيق الله كذلك: أن وكل مجلس الأمناء أمر المجلة إلى واحد منهم، معروف بسعة أفقه، وعمق تفكيره، ومعايشة عصره، وعمق إيمانه، وسمو خلقه، وتحرره من الانتماءات إلَّا إلى الإسلام وقيمه

(١) راجع كتابنا: فقه الوسطية والتجديد، نشر دار الشروق، القاهرة.

QaradawiBooks.com

وحضارته، لا يمكـــن أن يزايد عليـــه أحد في معرفة العصـــر، أو يتهمه بالرجعيـــة أو الحزبيـــة أو التشـــدد، فهو ممَّـــن يجمعون بيـــن الأصالة والمعاصرة، وبين الدين والعلم، وبين العقل والنقل، وبين ثوابت الدين، ومتغيرات الدنيا. أحســـبه كذلك، والله حســـيبه، ولا أزكيه على الله. إنَّه المفكر المســـلم الأصيل الأســـتاذ الدكتور طه عبد الرحمن، حفظه الله، وســـدد خطاه، وأنار بصيرته، وألهمه الحكمة وفصل الخطاب، هو ومن يعاونه من إخوانه الفضلاء، بارك الله فيهم جميعا ونفع بهم.

وهذا هو العـــدد الأوَّل لمجلتنـــا، وهو باكورة يأتـــي بعدها الغيث، وتتوالى بعده الأعداد والأمداد. أدعو الله تعالى أن يبارك في هذه المجلة، ويجعلها منارا للهدى، ومنبرا للفكر الإسلامي الحر، ونشر الثقافة الحية الأصيلة، الَّتي تسعى إلى توضيح الغاية، وإضاءة الطريق، وتفقيه الأمة، وتجديد الدين، وحوار خصومه بالَّتي هي أحســـن، ووصل علماء الأمة بعضهم ببعض.

﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم: ٨].

الفقير إلى ربه

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٢	٤٢٨
﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٢٨٤
سورة البقرة		
﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾	١٦	٤٥٤
﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾	٣٠	٤٦٢
﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾	٣٢	٧٣٨
﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾	٣٥	٢٧٢، ٢٧٧، ٢٨٣، ٧٢٦
﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾	٦١	١٥٢
﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾	١٠٨	١٥٢
﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾	١١١	٣٩٩
﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾	١١٥	٣١٤
﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾	١٢٨	٧٦٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ ﴾	١٢٩	٢٥٥
﴿ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ ﴾	١٣٤	٥٥٠
﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ ﴾	١٣٨	٨٠٤
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	١٤٣	٢٨٤، ٣٣٦، ٣٤٠، ٤١٥، ٤٣٠، ٧٦١، ٧٧١، ٨٢٤
﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾	١٥١	١٦٠، ٢٥٥
﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾	١٥٢	١٦٠، ٢٥٥
﴿ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾	١٧٨	١٨٣
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾	١٨٥	١٩٧، ١٨٣، ٢٣٠
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ ﴾	١٨٦	٤٤٢
﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ﴾	١٩٠	٨٢٣
﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾	١٩٧	٧٢١
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾	٢٠٤ ـ ٢٠٦	٢٥٠
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ ﴾	٢٠٧	٥٣٤
﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾	٢١٣	٧٦٩
﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ ﴾	٢١٦	٣٧١، ٨٢٣
﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ ﴾	٢١٩	١٩٤
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى ﴾	٢٢٢	١٩٤
﴿ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا ﴾	٢٣٣	٢٨٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾	٢٥١	٦٦٩
﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾	٢٦٩	٦٥٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾	٢٨٢	٦٠، ١٩٤، ٢١٢
﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾	٢٨٣	٦٩٧
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	٢٨٥	٣٩٧
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾	٢٨٦	٢١٠، ٧٥٠
سورة آل عمران		
﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾	٧	٢٢، ٢٤، ٤٨٤
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾	٨	٣١، ٧٦٣
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾	١٤	٢٧٧
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾	١٨	٨١١
﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾	٣٤	٥٧، ١٩٣، ٥٩٤، ٦٥٩
﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾	٣٦	٢٧٧
﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ﴾	٤٢	٢٧٨، ٤٠٤
﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾	٤٣	٢٧٨، ٤٠٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾	٥١	٤٠٣
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	٦٤	٤٠٤، ٨٢٢
﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾	٧٥	٢٠٩
﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾	٧٩	٢٥٤، ٥١٩، ٨١٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾	١٠٠	٧٩١
﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾	١٠١	٧٣٧
﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾	١٠٣	٧٧٣، ٨١٤
﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	١١٠	٧٦١، ٧٦٩، ٧٧١، ٧٩٧
﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾	١٢٣ ـ ١٢٧	٥٤٤
﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ ﴾	١٥٢	٥٤٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾	١٥٥	٥٤٥
﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ ﴾	١٥٩	١٧٣
﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ ﴾	١٦٠	٣٢١
﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾	١٦٤	١١٦، ٢٥٥
﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ ﴾	١٩٥	٢٧٢، ٢٨٣، ٧٠٨
سورة النساء		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾	١	٢٧٧، ٤٢٨
﴿ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾	١١	٢٩٣، ٢٧٣
﴿ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	١٢	٢٧٣
﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾	١٣	٢٧٣
﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا ﴾	١٤	٢٧٣
﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ ﴾	١٥	٢٨٥
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾	٢٨	١٨٣، ١٩٧، ٢٣٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾	٣٥	٧٩٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾	٥٩	٢٢٠، ٨١١
﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾	٨٣	٣٦٦، ٦٢٧
﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾	١٦٦	١٧١
﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾	١٧١	٤٠٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾	١٧٤	٣٨
سورة المائدة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾	١	١٩٤
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾	٢	٨١٤
﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾	٣	١٧٠، ٧٨٠
﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾	٦	١٨٢
﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾	٢٧ ـ ٣٠	٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤
﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ﴾	٣١	٧٢٥
﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾	٥١	٣٧٩، ٧٩٦
﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾	٦٤	٢٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾	٦٧	٤٢٩
﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾	٧٥	٤٠٢
﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾	٧٧	٧٤١
﴿ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾	٩٢	٤٢٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنعام		
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾	٣٨	٧٦٨
﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾	٦٥	٧٩٠
﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾	٨٩	٧٣٤
﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾	١٢٤	١٦٤
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾	١٢٥	٤٣٩
﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾	١٤١	٤٥٩، ٥٦٠
﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾	١٥٢	٤٩٩، ٥٢٥
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾	١٥٣	٨٠
سورة الأعراف		
﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾	١٠	٣٥٤
﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾	١٩	٢٧٧
﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾	٤٣	١٢٢، ٧٦٠
﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾	٥٨	١٦، ١٩٢، ٥٨٣، ٦٠٦
﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾	٨٥	٤٩٩
﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾	٨٦	٧٩٨
﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾	٨٩	٥٦٤
﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾	١٥٧	٢٤٢، ٨٠١

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾	١٥٨	٣٨، ١٦٧، ٣٦٩، ٣٩٩، ٤٢٨، ٤٣٧، ٧٦٩
﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾	١٧٥ ـ ١٧٧	٢٥٣
﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾	١٧٩	٥٣٤
﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾	١٨١	٨٢، ٧٣٤، ٧٦٢، ٨١٣
سورة الأنفال		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٣٦	٣٩٤
﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾	٤٦	٧٧٣
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦٢	٥٤٦
﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ ﴾	٦٣	٥٤٦
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾	٧٣	٣٧٣
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٧٤	٥٤٤
سورة التوبة		
﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾	١١	٦١٦
﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٣١	٤٠٤
﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ ﴾	٣٢	٣٤٥، ٣٩٦
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ ﴾	٣٣	٣٤٥، ٣٩٦، ٤٠٨
﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ ﴾	٤٢	٤٨٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾	٤٣	١٧٠
﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾	٥٥	٥٣٣
﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾	٦٧	٣٠٨
﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾	٧١	٥٦٥
﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾	٧٩	٣٠٩
﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ﴾	٨٠	١٣٥، ٤٩٣
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾	١٠٠	٥٤٤
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ﴾	١٢٠	٥٣٥
﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾	١٢٨	١١٦
سورة يونس		
﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٠	١٢٢، ٤٦٦
سورة هود		
﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾	٣٨	٣٠٩
﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾	٨٨	١٥٤، ٥٣٨
﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾	١١٢	٣٥٩
﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾	١١٨، ١١٩	٦٦٩
سورة يوسف		
﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾	١	٣٧
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾	٢	٣٩
﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾	١٨	٧٢٤

QaradawiBooks.com

غير مرخص للطباعة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾	٢٨	٢٧٧
﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾	٥٣	٢٧٣، ٧٢٤
﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾	٧٦	٢٩
﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٨٧	٨٢
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٤	٤٢٨
﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾	١٠٨	٤٢٩
﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ﴾	١١١	٧٩، ١٦٨، ٧٢٦
سورة الرعد		
﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	١٧	١٦٦، ٤٠٢
سورة إبراهيم		
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾	١	٣٨
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	٤	٣٩، ٤٢٩، ٧١٨
﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾	٢٢	٥٠
﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾	٣٥	٦٢١
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ﴾	٣٩	١٢١
﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾	٤٠	٦٢١
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٩	٣٥، ٨٠٠
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾	٢٩	٧٢١

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النحل		
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾	٣٦	١٦٤
﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٤٤	٥٥، ٨٠، ٢١٢، ٧٦٢
﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾	٥٣	٥٣٨
﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾	٥٩	٢٧٤
﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾	٦٤	٨٠
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾	٨٩	٧٩، ١٦٨، ٢١١
﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾	١١٦	١٨٤
﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	١٢٠	٥٣٢
﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾	١٢٥	٣٧٠
سورة الإسراء		
﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾	٩	٧٩
﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾	٣٢	٢٧٣
﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾	٥٧	٣٤٣
﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	٣١٣
﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٨٥	٤٢٣
﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ ﴾	٨٨	٣٦

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الكهف		
﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا﴾	٦٩	٧٢٦
﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَ﴾	٧٨	٧٢٦
﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾	١٠٣	٤٠٣
﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾	١٠٤	٤٠٣
سورة طه		
﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾	٥	٤٨٤، ٤٨٩
﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾	٣٩	١٨
﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي﴾	٩٦	٧٢٤
﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا﴾	١١٤	٣٥٢، ٤٢٣
﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمًا﴾	١١٥	٢٨٣
﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾	١٢١، ١٢٢	٢٨٣
سورة الأنبياء		
﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾	٧	٦٢٧
﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾	١٨	٣١٣، ٤٠٢
﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾	٧٩	١٨١
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾	٩٢	٧٧١
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	٣٨، ١٦٧، ١٧٣، ٣١٤، ٣٦٩، ٣٩٩، ٤٢٨، ٤٣٧، ٧٦٩، ٨٢٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحج		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾	٧٧	٢١٥، ٢٣٠، ٦١٥
﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾	٧٨	٢١٥، ٢٣٠، ٦١٥
سورة المؤمنون		
﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾	٣	٥٢١
﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٢٨	١٢١
﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾	٥٢	٧٧١
﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾	٥٣	٨٢٠
﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ﴾	٥٥	٥٣٣
﴿نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ﴾	٥٦	٥٣٣
﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾	٦٣	٤٨٣
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾	١٠١ ـ ١٠٣	١١٣
سورة النور		
﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾	٣٥	٦١٤، ٨٠١
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٣٨، ١٦٧، ٣٦٩، ٣٩٩، ٤٢٨
﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا﴾	٥٩	٦٢٣، ٦٢٧
﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾	٧٤	٦٢١، ٦٦٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشعراء		
﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾	١٩٢ ـ ١٩٥	٣٩، ٧٩، ١٦٩
﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾	٢٢٤ ـ ٢٢٧	٦٣٣، ٦٧٤، ٦٨٩
سورة النمل		
﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾	٦	١٦٩
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾	١٥	١٢١
﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾	٢٢	٢٢٣
﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ ﴾	٣٤	٢٧٢
﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾	٥٩	١٢٢
﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	٩٣	١٢٢
سورة القصص		
﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾	٧	٢٧٨
﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾	٢٦	٢٧٣، ٢٨٧
﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾	٣٥	٥٢٢
﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾	٨٦	١٦٩
﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾	٨٨	١٨
سورة العنكبوت		
﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾	٤٣	٤٦٥
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	٤٦	٣١٦

غير مرخص للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾	٤٨	١٦٩
﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾	٥١	٣٧
سورة الروم		
﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	٤	٦٥٠
﴿ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٥	٦٥٠
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾	٥٤	١١٧، ٦٢٥
سورة لقمان		
﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	١٣ ـ ١٩	٦٥٨
سورة السجدة		
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾	٢٤	٢٥٥
سورة الأحزاب		
﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾	٤	٢١٧
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾	٧	١٦٥
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ ﴾	٢١	٤٢٣، ٤٣٤، ٨٠٦
﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾	٢٢	٥٤٥
﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ﴾	٢٣	٢٥١، ٤٩٨، ٥٣٤، ٥٤٥
﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	٢٤	٢٥١، ٤٩٨، ٥٣٤
﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٢٥	٨٢٣
﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ ﴾	٣٢	٢٨٧، ٣٠٣، ٣٠٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾	٣٣	٢٨٧، ٣٠٣، ٣٠٤
﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾	٣٧	١٧٠
﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾	٣٩	١٠٢، ١٦٨، ٢٢٠، ٣١٣، ٣٥٨، ٧٥٨
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾	٤٠	١٦٥
﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾	٥٣	٢٨٧
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾	٥٦	١٦٠
﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾	٧٢	٣٤٤
سورة سبأ		
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	٢٨	٣٨، ١٦٧، ٤٢٨
﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ﴾	٤٦	٦١١
سورة فاطر		
﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾	٢	٢٣٨
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾	١٠	٤٨٩
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾	١٤	٦٢٣
﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾	٢٤	١٦٤
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾	٢٨	٨١١
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾	٣٢	٣٩١
﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾	٣٤	١٢٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الصافات		
﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾	١٠٢	٧٢٦
﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	١٨٠ ـ ١٨٢	١٢٢، ٥٠٩
سورة ص		
﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾	٤٥	٣٤٣
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾	٧٢	٧٢١
﴿ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	٧٤	٥٣٣
﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾	٧٥	٤٨٥
﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾	٧٦	٥٣٣
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۞ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾	٨٧، ٨٨	٣٨، ١٦٧، ٣٦٩، ٤٢٨
سورة الزمر		
﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾	٩	٣٤٣
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٢٧	٣٩
﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾	٢٨	٣٩
﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾	٧٤	١٢٢
سورة غافر		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾	٢٣ ـ ٢٦	٣٤٨
﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾	٢٨	٢٥١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾	٢٩	٣٤٨
﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ﴾	٦٥	١٢٢
سورة فصلت		
﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾	٣٣	٤، ١٦، ٢٥٥، ٤٢٣، ٧٠٦، ٨١٢
سورة الشورى		
﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾	١١	١٨، ٤٨٩
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾	١٣	١٦٥
﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾	٥٣	٧٦٠
سورة الزخرف		
﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾	٥٩	٤٠٢
سورة الدخان		
﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾	٢٩	٦٨٠
﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾	٤٩	٣٠٩
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٥٨	٣٨
سورة الجاثية		
﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا﴾	١٨ ـ ٢٠	٧٦٢
﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾	١٩	٣٧٣
﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	٣٦	١٢٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأحقاف		
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾	١٥	٥٤١، ٦٢١
﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾	٣٥	١٦٥
سورة محمد		
﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾	٤ ـ ٦	٥٣٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	٧	٣٢١
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾	١٢	٥٣٢
﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾	٣٠	٣٧٥
سورة الفتح		
﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾	١٨	٥٤٥
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾	٢٨	٤٠٨
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾	٢٩	٥٣٥، ٥٤٣، ٧٠٧، ٧٩٠
سورة الحجرات		
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	١٠	٧٨٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾	١٣	٣١٦، ٧٨٠
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾	١٥	٥٤٣
سورة الطور		
﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾	٤٨	١٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النجم		
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾	٣، ٤	٢٩، ٥٤٧
﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	٣٨	٣٧٩
سورة القمر		
﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾	١٤	٤٨٥
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾	١٧	٣٨
سورة الرحمن		
﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾	٧	٣٤٠، ٧٢٤
﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾	٨	٢٩٥، ٣٤٠، ٧٢٤، ٨٢٤
﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾	٩	٢٩٥، ٣٤٠، ٧٢٤، ٨٢٤
﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾	٢٧	٤٨٥
﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾	٦٠	٢٠٩
سورة الحديد		
﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ ﴾	١٠	٥٤٥، ٥٥١
﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾	٢٧	٣٣٩
سورة الحشر		
﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	٢	٣١٣
﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾	٨	٥٤٤، ٦١٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾	٩	٥٤٤، ٦١٧
﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ﴾	١٠	١٥٥
سورة الممتحنة		
﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾	٤	٣٥٩
﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	٥	٣٥٩
﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾	٨	٧٠٢
سورة الصف		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾	٢	٢٥٣
﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾	٣	٢٥٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾	٤	٤٠٦، ٨١٩
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾	٩	٤٠٨
سورة الجمعة		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾	٢	١١٦، ٢٥٥
﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾	٥	٢٥٣
سورة التغابن		
﴿ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾	١٢	٤٢٩
سورة التحريم		
﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	١	١٧٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾	٦	٦٢٢
﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾	٨	٨٢٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الملك		
﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾	١	١٨، ٢٠
﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾	١٥	٣٥٥
﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾	١٦	٢٠
سورة القلم		
﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	١	٤٢٢
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	١٧١، ٨٠٦
﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	٥٢	٣٨
سورة الجن		
﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾	١، ٢	٣٧
سورة المدثر		
﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	٣٨	٣٧٩
سورة عبس		
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾	١، ٢	١٧٠
سورة التكوير		
﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾	٨، ٩	٦٧
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	٢٧	٤٢٨
سورة الأعلى		
﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾	٨	١٨٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفجر		
﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾	٢٢	٤٨٥
سورة الشمس		
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾	٧، ٨	٧٢٤
سورة العلق		
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾	١	٣٩٩
﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾	٤	٤٢٢
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾	١ ـ ٤	١٨
سورة الناس		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾	١ ـ ٣	٤٢٨

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
إذا بلغ الماء قُلَّتَيْن لم يحمل الخبث	٤٩٨
إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخِر منهما	٧٩٢
إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران	٨٠٤
إذا خرج ثلاثة في سفر، فليُؤَمِّروا أحدَهم	٣٤٧
إذا ذُكِرَ أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكِرَتِ النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكِرَ القدرُ فأمسكوا	٥٥٠
إذا سُئِلُوا أَفتَوا بغير علمٍ فضلُّوا وأضلُّوا	٢٠٩، ٧٥٩
إذا لم تَستَحِ فاصنعْ ما شئتَ	١٣٧
الأرواح جنودٌ مُجَنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف	٥٠٨، ٦٩٣
استحيوا من الله حقَّ الحياء. قال: قُلنا: يا رسول الله، إنَّا لنستحيي والحمد لله	١٣٦
اشتُروا أنفُسَكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مَنَافٍ	١١٣
أفضل الصدقة جهد المُقِلِّ	٦١٧
ألا إنَّ العربيَّة اللسان، ألا إنَّ العربيَّة اللسان	٧٨٥
ألا هلك المُتَنَطِّعون	١٩٨، ٣٣٩
ألبانُ البقر دواءٌ، ولحومُها داءٌ	٦٧

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اللهمَّ اجعل خيرَ عمري أواخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك	٥٤٠
اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من العجز والكسل	٨٠٧
اللَّهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتدَّ غضب الله على قوم	١٥١
أليس بَعدَها طَرِيق هي أطيَبُ منها؟ قالت: قُلتُ: بلى! قال: فهذه بهذه	١٤٤
أمَّا غَنِيُّكم فيُزَكِّيه الله تعالى، وأمَّا فقيرُكم فيردُّ اللهُ عليه أكثرَ ممَّا أعطى	٦١٧
أمر أم ورقة الأنصارية أن تؤم أهل دارها	٥٨١
إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر	٤١٦
إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء	٤٥٣، ٨٠٧
إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس	٧٥٩
إنَّ الله لم يبعثني مُعَنِّتًا ولا مُتَعَنِّتًا، ولكن بعثني مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا	١٨٢
إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنة من يُجَدِّد لها دِينَها	٨٠٤
إنَّ الله يحبُّ الرفقَ، ويُعطي على الرِّفقِ ما لا يُعطي على العُنف	١٧٤
أن تعبدَ الله كأنَّك تراه	٦١١
إنَّ رسولَ الله ﷺ أكل كتف شاة ثمَّ صلَّى ولم يتوضَّأ	١٣٨
إن شئتَ فتوضَّأ وإن شِئتَ فلا تتوضَّأ. قال أنتوضَّأ مِن لُحُوم الإبل؟	١٣٨
إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة	٢٩٦
إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فَسِيلة ـ نخلة أو شتلة صغيرة ـ	٨٠٧
إنَّ له دسمًا	١٣٨
أنَّ النبيَّ ﷺ أكل كتف شاة ثمَّ صلى ولم يتوضأ	١٣٨
أنتم أعلم بأمر دُنْياكم	٧٣٧
أنزلوا النَّاس منازلهم	١٤٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّك رجل مفؤود	٥٠
إنَّما أنا رحمةٌ مُهداة	١٧٣، ٨٠٥، ٨٢٢
إنَّما بُعِثْتُ لأتمِّم مكارم الأخلاق	٨٠٦
إنَّما بُعِثتُم مُيَسِّرين، ولم تُبعَثُوا مُعَسِّرين	١٨٢، ١٩٧، ٤٢٩، ٨٠٥
إنَّما النساءُ شقائقُ الرجال	٢٨٣، ٥٦٥
إنَّه قد شهد بدرًا، وما يُدريك لعلَّ الله أن يكون قد اطَّلع على أهل بدر	٥٤٥
إنِّي أُرسِلتُ بحنيفيَّة سمحة	١٨٢
اهدني لما اختلف فيه من الحقِّ بإذنك، إنَّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم	٥٥٤
أوَّل ما يُقضى فيه يومَ القيامة الدماءُ	٤٦٣
إيَّاكم والغلوَّ في الدِّين، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلوِّ في الدِّين	٣٣٩، ٧٤١
أيُّكم المُتَكَلِّم بالكلمات؟ فأَرَمَّ القوم، فقال: أيُّكم المُتَكَلِّم بها؟	١٤٨
الإيمان بِضعٌ وسَبعُون شُعبَة، فَأَفضَلُها قولُ: لا إلٰه إلَّا الله	١٣٤، ٤٤٢
أيُّها النَّاس، ألا إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد	٤٢٧
البِكرُ تُستَأذَنُ، وإذنُها صُمَاتُها	٢٤١
ت	
تتداعى الأَكَلَةُ على قَصْعَتِها. قالوا: أو من قلة نحن يومئذ، يا رسول الله؟	٧٩٨
ترى المسلمين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد	٧٨٩
تقتلك الفئة الباغية	٥٤٧
تناول شيئًا من الطعام ولم يتوضأ	١٣٨
توضؤوا ممَّا مسَّتِ النار	١٣٨، ١٤٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ح	
حتَّى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون	٧٦٣، ٨١٣
الحسنُ والحُسَين سيِّدا شبابِ أهل الجنَّة	١١٤
الحياء لا يأتي إلَّا بخير	١٣٦
خ	
خالفوا اليهود، صلُّوا في نعالكم	١٤٧
خيرُكم قرني، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ الَّذين يلونهم	٢٤٢
خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه	٨١٢
د	
الدعاء مخ العبادة	٤٤٠
ز	
زمِّلوني، زمِّلوني	١٧٠
زوال الدُّنْيا أهونُ على الله من قتل رجل مسلم	٤٦٣
س	
سألت ربِّي ثلاثًا، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة	٧٩٠
سمَّى الوصل زورًا	٢٩٤
ش	
شابٌّ نشأ في عبادة ربِّه	٦٢٥
ظ	
الظعينة تخرج وحدها من الحيرة إلى الكعبة، لا تخاف إلَّا الله	٢٧٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ع	
العجلةَ من الشيطان	٤٥٨
العلماء ورثة الأنبياء	٨١١
ف	
فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ	١٦٥
فُضِّلت هذه الأُمَّة على سائر الأمم بثلاثٍ: جعلت لها الأرض طهورًا ومسجدًا	٧٧٢
فمن رغب عن سُنَّتي فليس مِنِّي	٧٣٦
فيما سقت السماء العشر	٤٥٩
ق	
قال الله ﷻ: من عادى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرب	٩٦
ك	
كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء ممَّا مسَّتِ النار	١٣٩
كان خُلُقه القرآن	٧٦٢، ٨٠٦
كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه	٧٥٢
كلُّ أُمَّتي يدخلون الجنَّة إلَّا من أبى	٧٧٢
كل راعٍ مسؤولٌ عن رعيَّته	٦٢٠
كُنَّا نُصَلِّي مع رسول الله ﷺ ولا نتوضَّأ من المَوْطِئ	١٤٤
ل	
لا تجلسوا على القبور، ولا تُصَلُّوا إليها ولا عليها	١٥١
لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض	٧٩١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا تزال طائفة من أُمَّتي قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم	٤٦، ٧٣٤
لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي يقاتلون على الحقِّ، ظاهرين على من ناوأهم	٧٣٤، ٧٣٥
لا تسبُّوا أصحابي	٥٥٠
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله	٢٨٦
لا يَبُولَنَّ أحدُكم في الماء الدائم الَّذي لا يَجري، ثُمَّ يغتسلُ فيه	١٣٢
لا يجمع الله هذه الأُمَّة على ضلالة	٧٧٢
لا يدخُلْنَ الجنَّة ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا	٢٩٤
لا يزال الرجلُ في فُسْحَةٍ من دِينِه ما لم يسفك دمًا حرامًا	٤٦٣
لا يغتسل أحدُكم في الماء الدائم وهو جُنُب	١٣٢
لأزيدنَّ على السبعين	٤٩٣
لعن اللهُ اليهودَ والنصارى، اتَّخذوا قُبُور أنبيائهم مساجدَ	١٤٩
لقد رأيتُ اثنَي عَشَرَ مَلَكًا يَبتدِرُونها، أيُّهم يَرفعُها	١٤٨
لَكُنَّ أحسن الجهادِ وأجملُه: الحجُّ	٣٠٣
لم يُنَجِّسه شيء	٤٩٨
لن يُشَادَّ الدِّينَ أحدٌ إلَّا غلبه	٣٣٩
لن يُفْلِحَ قومٌ وَلَّوا أمرَهم امرأة	٢٩٢
لو أمرتُ أحدًا أن يسجد لأحدٍ، لأمرتُ المرأة أن تسجدَ لزَوجِها	٢٨٨
لو أنَّ أهل السماوات وأهل الأرض اشتركوا في دمِ رجلٍ مؤمنٍ لأكبَّهم الله في النار	٤٦٤
لولا أنَّ الكلاب أُمَّة من الأمم؛ لأمرتُ بقتلها	٧٦٨
لولا بنو إسرائيل لم يَخنَز اللَّحْمُ، ولولا حواءُ لم تخُنْ أنثى زَوْجَها الدَّهْرَ	٦٦
ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليلُ والنهار، ولا يترك الله بيتَ مَدَرٍ ولا وبر	٤٠٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ليس شيءٌ خيرًا من ألف مثله إلَّا الإنسان	٥٣١
ليس لك عليه نفقة	٥٧٤
ليس من أُمَّتي من لم يُجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا	٧٧٢
م	
ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده	٨٠٧
ما أنـزل داء إلَّا وأنـزل له شفاء	٦١٠
ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلَّا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا	١٩٨
ما دخل الرفقُ في شيءٍ إلَّا زانه	١٧٤
ما رأيتُ أذهبَ للُبِّ الرجل الحازم من إحداكنَّ	٣٠٥
ما من نفْسٍ تُقْتَل ظلمًا إلَّا كان على ابن آدم الأوَّل كِفْلٌ منها	٧٢٣
مثل أُمَّتي كالمطر، لا يُدْرى أوَّله خيرٌ أم آخره	٧٧١
مثلي ومثل الأنبياء من قبلي	١٦٥
المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلِمه	٧٩٠
المُسلِم مَن سَلَمَ المُسلِمُون مِن لِسَانِه ويَدِه، والمُهَاجِرُ من هَجَر ما نهى الله عنه	١٣٧
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد	٧٣٧
من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة	٥
مَن سَلَمَ المُسلِمُونَ مِن لِسانه ويده	١٣٧
من سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة، فله أجرُها، وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة	٣٢٦
مَن كانت له فَضلُ أرضٍ فليَزرَعها، أو ليمنحها أخاه، فإن أبى فليُمسِك أرضه	٥٩
من لقي الله وليس في عنقه بيعة لإمام مات مِيتَة جاهليَّة	٧٩٣
من يُجَدِّد لها دِينَها	٨٠٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
مَنْ يُحْرَم الرفقَ، يحرم الخير	٨٢٣
من يُرِد الله به خيرًا يفقِّهْه في الدِّين	٣٤٨، ٧٣٨
المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف... استعنْ بالله ولا تعجز	٨٠٧
المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا	٧٨٩، ٨١٤
ن	
الناس كإبلٍ مائةٍ، لا تكاد تجدُ فيها راحلة	٥٣١
ناقصاتُ عقلٍ ودين	٢٨٨، ٣٠٣، ٣٠٥
نعم. قال: عندي أحسنُ العرب وأجملُه، أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان	٩٦
نهى رسول الله ﷺ أن يُبال في الماء الراكد	١٣٣
هـ	
هذه ثمَّ ظهور الحُصر	٣٠٣
هلك المُتَنَطِّعون	٧٤١
هُنَّ لهنَّ، ولمن أتى عليهنَّ من غير أهلهنَّ	١٧٩
هو الطَّهور ماؤه، الحِلُّ مَيتَتُه	١٩٤
و	
الوائدةُ والموؤدةُ في النَّار	٦٧
وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى	٣٥٩
وإنَّما يأكل الذئب من الغنمِ القاصيةَ	٨١٣
ولا تختلفوا؛ فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا	٧٧٣
ولا تزال طائفةٌ من أُمَّتي قائمين على الحقِّ	٧٧١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ولا تُشَددوا على أنفسكم، فيُشَدَّد عليكم، فإنَّ قومًا شدَّدوا على أنفسهم	٣٣٩
ومَن بَطَّأ به عملُه، لم يُسرِع به نَسَبُه	١١٣
ي	
يا أُصَيْل، دع القلوب تَقِرّ	٧٨٤
يا معشر النساء... ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للُبِّ الرجل	٣٠٤
يا نبيَّ الله، ثلاثٌ أَعطِنِيهِنَّ. قال: نعم. قال: عندي أحسنُ العرب وأجملُه	٩٦، ٧٥٢
يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم	٣٤١
يحمل هذا العلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُه، ينفون عنه تحريفَ الغالين	٥، ٨٠، ٧٣٦، ٧٤٠، ٨١٣
يد الله مع الجماعة	٨١٣
يستحلُّون الحِرَ ـ أي الزنا والعلاقات المحرَّمة ـ والحريرَ والخمرَ والمعازفَ	٣١٠
يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا	١٣٠، ١٨٢، ١٩٧، ٣٤٠
يَسِّروا ولا تُعسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا	١٩٧، ٣٣٩
يسعى بذمَّتهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على مَنْ سواهم	٧٩٢
يُطَهِّرُه ما بعده	١٤٤
ينزل ربُّنا إلى سماء الدُّنْيا في الثلث الأخير	٢٤
ينزل ربُّنا في الثلثِ الأخيرِ من اللَّيْلِ	١٨
ينفون عن علم النبوَّة تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبطِلين، وتأويلَ الجاهلين	٧١
ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبطِلين، وتأويلَ الجاهلين	٧١، ٧٣٦، ٧٤٠، ٧٥٠، ٧٦٢، ٨١٣

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

❖ من الدستور الإلٰهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• **مقدمة** ٧

• **الشرعيات: في العقيدة الإسلاميَّة** ١١

❖ مقدمة «البيان في أركان الإيمان» للشيخ مجد أحمد مكي ١٣

❖ مقدمة «القول التمام بإثبات التفويض مذهبًا للسلف الكرام»
للشيخ سيف العصري ١٧

بين السلف والخلف ٢٢

اتِّباع نهج القرآن في عدم التجميع ٢٦

• **في القرآن وعلومه** ٣٣

❖ مقدمة «الهيئة العالميَّة للقرآن الكريم» للدكتور حسن المعايرجي ٣٥

ترجمة للتفسير لا المعاني ٤١

الهيئة العالميَّة للقرآن الكريم ٤٣

❖ مقدمة «نظرات في كتاب الله» للإمام الشهيد حسن البنَّا
جمعه وحقَّقه وعلق عليه الشيخ عصام تليمة ٤٦

QaradawiBooks.com

• **في السُّنَّة النبويَّة** **٥٣**

❖ **مقدمة «تكملة فتح المُلْهِم بشرح صحيح مسلم بن الحجَّاج القُشَيْري» للشيخ مُحمَّد تقي العثماني** **٥٥**

❖ **مقدمة «ردُّ الحديث من جهة المتن دراسة في مناهج المُحَدِّثين والأصوليِّين» للدكتور معتزّ الخطيب** **٦٣**

النظر في مقاييس الردِّ عند المُحَدِّثين والأصوليِّين ٧١

خاتمة البحث ٧٣

أهم النتائج ٧٤

أهم التوصيات **٧٦**

❖ **مقدمة «الذهبي ومنهجه في نقد متن الحديث الشريف» للدكتور حسن فوزي حسن الصعيدي** **٧٩**

المرونة والاعتدل ٨٩

الذهبي يناقش حفاظ الحديث ٨٩

مثال: سنن ابن ماجه ٩٠

استقراء المصادر ٩١

مصطلح الحديث ٩٢

الجرح والتعديل ٩٢

التاريخ ٩٣

وكذلك ذكر النقد السلبي للمتن عند الذهبي ٩٨

وخلاف المعلومات التاريخيَّة الثابتة ٩٩

ومخالفة الواقع ٩٩

وخلاف المعقول ١٠٠

ومشابهة كلام القصاص ١٠٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

❖ **مقدمة «مِشعال المصابيح شرح مِشكاة المصابيح» للشيخ سلمان الندوي** **١٠٤**
الجزء الأوَّل من المقدمة ١٠٤
الجزء الثاني من المقدمة ١١٠
عمل الشيخ سلمان في «مِشعال المصابيح» ١١٩
بداية الشرح تنبيه العلماء ١٢١
سبب اختيار «مِشكاة المصابيح» للشرح ١٢٣
قراءة مقدمة ناشر «مرعاة المفاتيح» ١٢٥
عمل سلمان الحُسَيْني في شرح المِشكاة ١٢٩
ثورة الشيخ سلمان على المشايخ إذ تساهلوا في البول في الماء الدائم واستعماله ١٣١
نماذج عمليَّة للأحاديث المشروحة ١٣٤
ومن أحاديث الفصل الثالث في الجزء الثالث ما جاء فيه ١٤٤
تنبيهات للأخ الشارح ١٥٢

• **في السِّيرة النبويَّة** **١٥٧**

❖ **مقدمة «السِّيرة النبويَّة» للإمام أبي الحسن الندوي** **١٥٩**

❖ **مقدمة «هذا رسول الله» إعداد مجموعة من العلماء والباحثين بإشراف الدكتور سلمان العودة** **١٦٤**
الرسالة الأخيرة من الله للبشر ١٦٥
عالمية الرسالة المحمَّديَّة ١٦٦
شموليَّة الرسالة المحمَّديَّة ١٦٨
إعداد مُحمَّد لحمل الرسالة العامَّة الخالدة ١٦٨
أعظم شخصيَّة في البشر ١٧١

❖ **مقدمة «الرحمة» للشيخ إبراهيم حسين مليباري** **١٧٣**

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **في الفقه والفتوى** **١٧٥**

❖ **مقدمة «رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود»** **١٧٧**

المزيَّة الأولى هي الواقعيَّة ١٨١

المزيَّة الثانية التيسير والتخفيف ١٨٢

المزية الثالثة التحرر من التقليد ١٨٤

المزية الرابعة الشجاعة في إبداء الرأي ١٨٦

❖ **مقدمة «الغناء والموسيقى دراسة في الحكم الشرعي»**
للأستاذ عمرو عبد الكريم **١٨٩**

❖ **مقدمة «فتاوى مصطفى الزرقا» اعتنى بها مجد أحمد مكي** **١٩٢**

❖ **مقدمة «قرارات المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث»** **٢٠٥**

❖ **مقدمة «حكم الاستثمار في الأسهم» للدكتور علي القرداغي** **٢١١**

❖ **مقدمة «القول المجتبى في تحريم الربا»**
للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي **٢١٨**

❖ **مقدمة «فتاوى مُحمَّد أبو زهرة» اعتنى بها مجد أحمد مكي** **٢٢١**

❖ **مقدمة «المقاصد الجزئيَّة ضوابطها، حجيتها، وظائفها،**
أثرها في الاستدلال الفقهي» للدكتور وصفي عاشور أبو زيد **٢٢٩**

❖ **مقدمة «مقصد الحرية وتطبيقاته في الفقه السياسي الإسلامي»**
للدكتور فتحي أبو الورد **٢٣٨**

❖ **مقدمة «نظريَّة القضاء الشرعي خارج ديار الإسلام تأصيلًا وتنزيلًا»**
للشيخ سالم الشيخي **٢٤٩**

QaradawiBooks.com

إنِّه رجل ٢٥١
رجل عالم ٢٥٢
عامل بما علم ٢٥٣
معلِّم لما يعلم ٢٥٤
العالم الربَّاني ٢٥٤
اقتران الدعوة والتزكية والتعليم ٢٥٥
أثر العمل في الخارج على التعرف على العاملين للإسلام ٢٥٦
ثورات الربيع العربي ٢٥٨
مع كتاب «نظريَّة القضاء الشرعي خارج ديار الإسلام» ٢٦٠
بين النظريَّة والتطبيق ٢٦٠
دور مجالس الشريعة في الغرب ٢٦١
ولاية العلماء عند فقدان السلطان الشرعي ٢٦١
وخلاصة ما ذكره المؤلِّف في هذا الصدد ما يلي ٢٦١
التفريق للشقاق بين الزوجين نموذجًا عمليًّا ٢٦٣
أثر قرارات مجالس الشريعة على العقود غير المسجلة ٢٦٥
أثر قرارات مجالس الشريعة على العقود المسجلة ٢٦٥

- **في القضايا الإسلاميَّة ٢٦٩**

❖ **مقدمة «المرأة المسلمة في تونس بين توجيهات القرآن وواقع المجتمع التونسي» للشيخ راشد الغنوشي ٢٧١**

❖ **مقدمة «تحرير المرأة في عصر الرسالة» للأستاذ عبد الحليم أبو شُقَّة ٢٨١**

❖ **مقدمة «تجفيف المنابع» للشيخ عبد السلام البسيوني ٣٠٧**

غير مرخصة للطباعة
نسخة معاينة
QaradawiBooks.com

❖ **مقدمة «الإسلام في عيون السويسريِّين» لكريستوف بيتر باومان وكريستيان ياجي ترجمه عن الألمانيَّة وعرضه ولخصه وقدم له الأستاذ ثابت عيد** ٣١٤

ملاحظات على بعض الفقرات ٣٢٠

الجهل بحقيقة الإسلام والمسلمين ٣٢٥

الخوف من الإسلام ٣٢٨

❖ **مقدمة الإسلام والتيارات الفكرية العالمية وبحوث أخرى للأستاذ محمد المبارك** ٣٣١

❖ **مقدمة «المُتَطَرِّفون خوارج العصر» للدكتور عمر كامل** ٣٣٨

❖ **مقدمة «خطب الشيخ مُحمَّد الغزالي الجزء السادس» إعداد الدكتور قطب عبد الحميد قطب** ٣٤٦

هذا الجزء السادس ٣٥٤

❖ **مقدمة «الميثاق الإسلامي»** ٣٥٧

❖ **مقدمة «ندوات الشيخ مُحمَّد الغزالي في مجلة لواء الإسلام» جمعها ورتبها وعلق عليها مجد أحمد مكي** ٣٦٠

❖ **مقدمة «حتى تبحر السفينة» للأستاذ مُحمَّد بن سالم السقطري** ٣٦٦

❖ **مقدمة «التنصير الأمريكي خطَّة لغزو العالم الإسلامي»** ٣٦٩

عالمية الإسلام ٣٦٩

صراع مع النصرانيَّة ينتهي إلى انتصار الإسلام ٣٧١

غزو الفرنجة (الصليبيِّين) للشرق الإسلامي ٣٧١

بحث في تغيير نوع المواجهة ٣٧٢

QaradawiBooks.com

مواجهة جديدة عن طريق التنصير والاستشراق ٣٧٢
مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين في العالم ٣٧٣
لا بدَّ من تهيئة الأمة لمواجهة خطر التنصير الأمريكي ٣٧٥
كتاب «الغارة على العالم الإسلامي» ٣٧٥
الغرب الصليبي يخطط لحرب إبادة دينيَّة للمسلمين ٣٧٧
مكونات الخطة ٣٧٨
أهداف التنصير في ديار الإسلام ٣٧٩
(أ) العوامل المساعدة لحملة التنصير ٣٨٠
عوامل من جهة المُنَصِّرين ٣٨٠
(ب) عوامل مساعدة من جهتنا ٣٨٢
عودة إلى مؤتمر كولورادو وما تقرر فيه ٣٨٤
وصف مجمل للمؤتمر وأبحاثه ٣٨٥
معهد زويمر ٣٨٥
مؤتمر لتغيير مجرى التاريخ ٣٨٦
مشاعر رؤساء مؤتمر التنصير ٣٨٧
من أسباب تفاؤل المُنَصِّرين ٣٨٩
أيها المُنَصِّرون لا تسرفوا في تفاؤلكم ٣٩٠
توقيت المؤتمر ٣٩٢
قطع الطريق على الصحوة ٣٩٣
تأسيس الهيئة الخيريَّة الإسلاميَّة لمواجهة كيد المُنَصِّرين ٣٩٤
تنصير إندونيسيا في خمسين عامًا ٣٩٥
كلُّ سنن الله وآياته تنذر بإخفاق المُنَصِّرين في مُهِمَّتهم ٣٩٦
دعاة التنصير ليسوا حملة هداية دينيَّة ٤٠٠

QaradawiBooks.com

همسة في آذان الَّذين يريدون تنصير المسلمين ٤٠٢
استنفار قوى الأمة المسلمة لتدافع عن دينها وهويتها ٤٠٦
نحن أصلب عودًا من أن تهزنا تهويلات المُنَصِّرين ٤٠٧

❖ **مقدمة «الانتخابات أحكام وضوابط» للدكتور أكرم كسَّاب** ٤١٠

❖ **مقدمة «تأملات» مجموعة مقالات للأستاذ وليد أبو النجا** ٤٢١

• **في الكتب الإسلاميَّة المترجمة** ٤٢٥

❖ **مقدمة «ترجمة معاني القرآن الكريم» للدكتور أحمد زكي حمَّاد** ٤٢٧

❖ **مقدمة «ترجمة الكلم الطيِّب» للدكتور عزِّ الدين إبراهيم** ٤٣٣

• **التحقيقـــات** ٤٤٥

❖ **مقدمة «أصول الشاشي مختصر في أصول الفقه الإسلامي» للشاشي**
حقَّقه وراجع نصوصه وعلَّق عليه الدكتور مُحمَّد أكرم الندوي ٤٤٧

❖ **مقدمة «المسالك في شرح موطأ مالك» لابن العربي**
قرأه وعلق عليه الدكتور مُحمَّد بن الحسين السليماني
والدكتورة عائشة بنت الحسين السليماني ٤٥١

❖ **مقدمة «نهاية المطلب في دراية المذهب» للجويني**
حقَّقه وصنع فهارسه الدكتور عبد العظيم الديب ٤٦٧
١ ـ الكتاب ٤٦٨
٢ ـ المصنف ٤٧١
عبقرية متميزة ٤٧٥
الاستقلال في التفكير والاستقلال في التعبير ٤٧٥

QaradawiBooks.com

عقل كبير وقلب كبير ٤٨٠
الإخلاص والشجاعة ٤٨١
إمام الحرمين وعلم الحديث ٤٩٠
إمام الحرمين ومعاصروه ٤٩٤
كلمة عتاب لإمام الحرمين ٤٩٥
٣ ـ المُحقِّق ٤٩٨

❖ **مقدمة «الغياثي» للجويني**
حقَّقه ووضع فهارسه الدكتور عبد العظيم الديب ٥١٠
من هو عبد العظيم الديب؟ ٥١٣
المحقق المتميز ٥١٥
كلمة لجمهور المثقفين ٥١٩
عالم عامل معلم ٥١٩
عبد العظيم العالم ٥١٩
عبد العظيم العامل ٥٢٠
عبد العظيم المعلم ٥٢٢
كان أبًا وصديقًا لطلابه ٥٢٣
أستاذ جامعي متميز ٥٢٣
لم يركض وراء الشهرة والمال ٥٢٥
رجل مشغول بهموم أمته ٥٢٦

• **الإنسانيات في التاريخ والتراجم** ٥٢٩

❖ **مقدمة «المهندس يحيى عياش رمز الجهاد**
وقائد المقاومة في فلسطين» للأستاذ غسَّان دوعر ٥٣١

QaradawiBooks.com

❖ **مقدمة «يوسف القرضاوي كلمات في تكريمه وبحوث في فكره وفقهه»** **٥٣٦**

إنَّ المقام هنا مقام الحمد والشكر ٥٣٧

❖ **مقدمة «الخلافات السياسيَّة بين الصحابة» للأستاذ مُحمَّد المختار الشنقيطي** **٥٤١**

من هم الصحابة؟ ٥٤٢

ابتلاء هذا الجيل بالفتنة المفرقة ٥٤٥

حاجة هذه الفترة الحرجة إلى كتابة جادة موثقة ٥٤٦

تصدي الشنقيطي لهذه المهمة الكبيرة ٥٤٧

رأى بعض العلماء وجوب الإمساك عمَّا شجر بين الصحابة ٥٤٨

مواقف علماء السنة ممَّا وقع بين الصحابة ٥٥١

قواعد الشنقيطي الاثنتان والعشرون ٥٥٦

قواعد أربع أقترح إضافتها ٥٥٦

خيرية القرون الأولى ٥٥٦

الأمة الإسلاميَّة ليست هي الحكام فقط ٥٥٧

الإسلام هو المرجع الأعلى للأُمَّة ٥٥٧

تقييم الأحداث في إطارها الزمني ٥٥٨

انتقاد الإمام ابن العربي ٥٥٩

انتقادات الغضبان على الشنقيطي ٥٦١

❖ **مقدمة «الوفاء بأعلام النساء» للدكتور أكرم الندوي** **٥٦٤**

حبي للندويين وصلتي بأبي الحسن ٥٦٥

تعرفي على الأخ أكرم الندوي ٥٦٦

الثبت الَّذي صنعه لي وسمَّاه «كفاية الراوي» ٥٦٦

QaradawiBooks.com

قراءة الأخ أكرم علي وتوسمي فيه ٥٦٧
اهتمامه بموسوعة النساء المحدثات ٥٦٩
جهده الكبير في إخراج الموسوعة ٥٦٩
ترتيب الكتاب وصياغة الترجمة ٥٧٠
عوامل النجاح والتوفيق ٥٧١
مقدمة مهمة تعرف بالعمل الكبير ٥٧١
تلقي المرأة للحديث ونقله ٥٧٢
طلب المرأة للحديث ٥٧٣
فرص التلقي وأمكنته وطرقه ٥٧٤
الشيوخ المروي عنهم ٥٧٥
المواد الدراسية ٥٧٦
دور النساء في الرواية ونشر العلم ٥٧٧
أحاديث النساء وروايتهن ٥٧٧
النقد الحديثي عند المحدثات ٥٧٨
المساحة الزمانية والمكانية للمحدثات ٥٧٩
فقه النساء للحديث وتطبيقهن له ٥٧٩
منزلة بعض المحدثات عند العلماء ٥٨٠
ظاهرة تدهور وضع المرأة المسلمة ٥٨١
بشائر النهضة العلميَّة النسوية الإسلاميَّة ٥٨٢
ملاحظاتي على بعض التراجم ٥٨٢

❖ **مقدمة «الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام»**
للشيخ مُحمَّد بن عبد الله الرشيد ٥٨٥

QaradawiBooks.com

❖ مقدمة «د. موسى أبو مرزوق مشوار حياة ذكريات اللجوء والغربة وسنوات النضال» إعداد شاكر الجوهري ٥٩٦

• **في التربية والتنمية وعلم النفس** ٦٠١

❖ مقدمة «برنامج مقترح لتنمية القيم الخاصَّة بمادة التربية الإسلاميَّة لدى تلميذات المرحلة الإعداديَّة بدولة قطر» للدكتورة وضحة السويدي ٦٠٣

❖ مقدمة «التفكر من المشاهدة إلى الشهود» للدكتور مالك بدري ٦٠٧

❖ مقدمة «تنمية الموارد البشريَّة والماليَّة في المنظمات الخيريَّة» للأستاذ سليمان بن علي العلي ٦١٥

❖ مقدمة «معًا نربي أولادنا» من إصدارات موقع إسلام أون لاين ٦٢٠

❖ مقدمة «سلسلة مشاكل وحلول للشباب» من إصدارات موقع إسلام أون لاين ٦٢٥

• **الأدبيات: في الشعر** ٦٢٩

❖ مقدمة ديوان «الشعاع» للشاعر وليد الأعظمي ٦٣١

❖ مقدمة ديوان «نداء الحق» للشاعر أحمد مُحمَّد الصديق ٦٣٧

❖ مقدمة أرجوزة «إلى ولدي» للأستاذ مُحمَّد عبد الله الأنصاري ٦٥١

❖ مقدمة ديوان «ميراث الأرض لمن؟» للشاعر محمود خليل ٦٦٧

❖ مقدمة ديوان «أنات قلب» للشاعر علي أحمد العثمان ٦٧٣

❖ مقدمة ديوان «مشاعل ومشاعر» للشاعر مُحمَّد قطبة ٦٧٦

❖ مقدمة «ديوان قطبة الأعمال الشعرية الكاملة» للشاعر مُحمّد قطبة ٦٨٠

QaradawiBooks.com

• **في النثــر** **٦٩١**

❖ **مقدمة «العقد الفريد عشر سنوات مع الإمام حسن البنَّا»**
للدكتور حسَّان حتحوت **٦٩٣**
بداية صلتي بحسَّان ٦٩٣
تعارف رُوحي ٦٩٣
لقاء في المعتقل ٦٩٥
ضرورة نشر هذه المذكرات ٦٩٧
مذكرات رجل قيم وأخلاق ٦٩٨
مواقف مُعَلِّمة ٦٩٩
رجل الاعتزاز والتسامح ٧٠١
رجل طابعه الاعتدال ٧٠٣

❖ **مقدمة «هؤلاء يحبهم الله» للدكتور عارف الشيخ** **٧٠٥**

❖ **مقدمة «زاد المسلم من الدين والحياة» للعلَّامة مُحمَّد عبد الله دراز**
جمع وإعداد الشيخ أحمد مصطفى فضلية **٧٠٩**

❖ **مقدمة «علمني أبي مع آدم من الطين إلى الطين»**
للدكتور سلمان العودة **٧١٥**
ما طلب مِنِّي الشيخ سلمان ٧١٩

• **الدوريَّـات** **٧٢٩**

❖ **مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسِّيرة» العدد الأول** **٧٣١**

❖ **مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسِّيرة» العدد الثالث** **٧٣٩**
التحذير من آفات ثلاث ٧٤٠

نسخة إلكترونية غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

❖ مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسِّيرة» العدد الرابع ٧٤٦
❖ مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسيرة» العدد السادس ٧٤٩
❖ مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسيرة» العدد السابع ٧٥١
❖ مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسيرة» العدد الثامن ٧٥٤
❖ مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسيرة» العدد التاسع ٧٥٧
❖ مقدمة «مجلة مركز بحوث السُّنَّة والسِّيرة» العدد العاشر ٧٦٠
❖ مقدمة «المجلة العلميَّة للمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث» ٧٦٤
❖ مقدمة «تقرير الأُمَّة في عام» ٧٦٨
الأُمَّة الإسلاميَّة حقيقة بكل المعايير ٧٧١
هي حقيقة بمنطق الدين ٧٧١
هي حقيقة بمنطق التاريخ ٧٧٢
هي حقيقة بمنطق الجغرافيا ٧٧٤
هي حقيقة بمنطق الواقع ٧٧٤
هي حقيقة بمنطق الآخرين ٧٧٦
منطق المصلحة والعصر ٧٧٨
أمة ذات شعوب متعددة ٧٨٠
صلة العروبة بالإسلام ٧٨٢
كلمات مضيئة لحسن البنَّا ٧٨٣
لماذا حدثت الجفوة؟ ٧٨٥
خطر الصراع الجديد ٧٨٦
لماذا لا يتَّحد المسلمون؟ ٧٨٨

QaradawiBooks.com

ملاك الوحدة أمور ثلاثة ٧٩١
الحوائل دون الوحدة ٧٩٥
مقوِّمات القوَّة في الأُمَّة ٧٩٧
شروط ضروريَّة لنجاح الأُمَّة ٨٠٢
خاتمة ٨٠٨

❖ **مقدمة «مجلَّة الأُمَّة الوسط»** ٨١٠
تأسيس اتحاد عالمي لعلماء المسلمين ٨١٣
سمات الاتِّحاد العالمي ٨١٤
أهداف الاتِّحاد ٨١٦
وسائل الاتحاد ٨١٨
نبني ولا نهدم نجمع ولا نفرق ٨١٩
الحوار الإسلامي المسيحي ٨٢٠
الإسلام والغرب ٨٢٢
الإسلام والعنف ٨٢٢
تسمية المجلَّة ٨٢٤

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** **٨٢٩**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** **٨٥١**
- **فهرس الموضوعات** **٨٦١**

❊ ❊ ❊

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com